تاريخ ابن خلدون

المسمّى

ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر
ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر

تأليف

عبد الرحمن بن خلدون

٧٣٢-٨٠٨هـ - ١٣٣٢-١٤٠٦م

ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس
الأستاذ خليل شحادة

مراجعة الدكتور
سهيل زكار

طبعة مستكملة ومقارنة مع عدة نسخ
ومخطوطات ومذيلة بحواشي وشروح وتمتاز
بفهارس للموضوعات والأعلام والأماكن الجغرافية

دار الفكر

تاريخ
ابن خلدون

تاريخ ابن خلدون

المسمّى

ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر
ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر

تأليف

عبد الرحمن بن خلدون

٧٣٢-٨٠٨هـ - ١٣٣٢-١٤٠٦م

ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس
الاستاذ خليل شحادة

مراجعة الدكتور
سهيل زكار

طبعة مستكملة ومقارنة مع عدة نسخ
ومخطوطات ومذيلة بحواشي وشروح وتمتاز
بفهارس للموضوعات والأعلام والاماكن الجغرافية

الجزء الثاني

دار الفكر
للطباعة والنشر والتوزيع

١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م

Email: darelfkr@cyberia.net.lb
E-mail: darlfikr@cyberia.net.lb
Home Page: www.darelfikr.com.lb



حارة حريك - شارع عبد النور - برقياً: فكسي - ص.ب: ١١/٧٠٦١
تلفون: ٥٥٩٩٠٠ - ٥٥٩٩٠١ - ٥٥٩٩٠٢ - ٥٥٩٩٠٣
فاكس: ٠٠٩٦١١٥٥٩٩٠٤



بسم الله الرحمن الرحيم

الكتاب الثاني ويشتمل :

أخبار العرب وأجيالهم ودولهم منذ مبدأ الخليقة الى هذا العهد

وفيه ذكر معاصريهم من الامم المشاهير ، مثل السريانيين والنبط والكلدانيين والفرس والقبط وبني اسرائيل وبني يونان والروم ، والإلمام بأخبار دولهم . ويتقدّم الكلام في ذلك مقدمتان :

إحداهما في أمم العالم وأنسابهم على الجملة .

الثانية في كيفية أوضاع الانساب في هذا الكتاب .

المقدّمة الاولى في أمم العالم واختلاف أجيالهم والكلام على الجملة في أنسابهم

اعلم أن الله سبحانه وتعالى اعتمر هذا العالم بخلقه وكرّم بني آدم باستخلافهم في ارضه ، وبثهم في نواحيها لتمام حكمته ، وخالف بين أممهم وأجيالهم إظهارا لآياته ، فيتعارفون بالانساب ، ويختلفون باللغات والالوان ، ويتمايزون بالسير والمذاهب والاخلاق ، ويفترقون بالنِحَلِ والأَديان والأَقاليم والجهات . فمنهم العَرَبُ والفُرْسُ والروم وبنو إسرائيل والبربر ، ومنهم الصقالبة والحبش والزنج ، ومنهم أهل الهند وأهل بابل وأهل الصين وأهل اليمن وأهل مصر وأهل المغرب . ومنهم المسلمون والنصارى

واليهود والصابئة والمجوس ، ومنهم أهل الوبَرِ وهم أصحاب الخيام والحلل وأهل المَدَرِ وهم أصحاب المحاشر والقرى والأطم ، ومنهم البدو الظواهر والحضر الأهلون . ومنهم العرب أهل البيان والفصاحة والعجم وأهل الرطانة بالعبرانية والفارسية والإغريقية واللطينية والبربرية . خالف أجناسهم وأحوالهم وألسنتهم وألوانهم ليتم أمر الله في اعمار ارضه بما يتوزعونه من وظائف الرزق وحاجات المعاش بحسب خصوصياتهم ونحلهم فتظهر آثار القدرة وعجائب الصنعة وآيات الوحدانية إنّ في ذلك لآياتٍ للعالمين .

واعلم أنَّ الامتياز بالنَسَبِ أضعف المميزات لهذه الاجيال والأُمم لخفائه واندراسه بدروس الزمان وذَهابه . ولهذا كان الاختلاف كثيراً ما يقع في نَسَبِ الجيل الواحِد أوّ الأُمّـة الواحدة اذا اتصلت مع الايام وتشعَّبتْ بطونُها على الأَحقاب كما وقع في نسب كثير من أَهل العالم مثل اليونانيين والفرس والبربر وقَحْطان من العرب . فاذا اختلفت الأَنساب واختلفت فيها المذاهب وتبايَنَتْ الدعاوى استظهر كل ناسب على صحّة ما ادَّعاه بشواهد الاحوال والمتعارف من المقارنات في الزمان والمكان وما يرجع الى ذلك من خصائص القبائل وسِمات الشعوب والفِرَق التي تكون فيهم منتقلة متعاقبة في بنيهم .

وسُئِلَ مالكٌ رحمه الله تعالى عن الرجل يرفع نسبه الى آدم فكره ذلك وقال من أين يعلم ذلك ؟ فقيل له فإلى إسمعيل فأَنكر ذلك وقال من يخبره به ؟ وعلى هذا درج كثير من علماء السَلَف وكره ايضا أَن يُرْفَعَ في أَنساب الأَنبياء مثل أَن يقال ابراهيم بن فلان بن فلان وقال من يخبره به . وكان بعضهم إِذا تلا قوله تعالى : « والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله » قال : كَذَبَ النسابون . واحتجوا أيضا بحديث ابن عباس أنَّـه صلى الله عليه وسلم لما بلغ نسبهُ الكريم الى عدنان قال من ههنا كـذب النسابون . واحتجوا أيضا بما ثبت فيه أَنه عِلْـم لا ينفع وجهالة لا تضرّ إلى غير ذلك من الاستدلالات .

وذهب كثيرٌ من أئمة المحدِّثين والفقهاء مِثْـلُ ابن اسحق والطبري والبخاري الى جواز الرفع في الأَنساب ولم يكرهوه ، محتجين بعمل السلف فقد كان أبو بكر رضي الله عنه أنسبَ قريش لقريش ومضر بل ولسائر العرب وكذا ابن عباس وجُبَير بن مطعم وعَقيل بن أبي طالب وكان من بعدهم ابن شهاب والزهري وابن سيرين وكثير من

التابعين . قالوا وتدعو الحاجة اليه في كثير من المسائل الشرعية مثل تعصيب الوراثة وولاية النكاح والعاقلة في الديات والعلم بنسب النبيّ صلى الله عليه وسلم وأنه القُرَشِيّ الهاشمي الذي كان بمكة وهاجر الى المدينة فانّ هذا من فروض الايمان ولا يعذر الجاهل به . وكذا الخلافة عند من يشترط النَسَبَ فيها . وكذا من يفرّق في الحرّيّة والاسترقاق بين العرب والعجم . فهذا كله يدعو الى معرفة الانساب ويؤكد فضل هذا العلم وشرفه فلا ينبغي أن يكون ممنوعا .

وأمّا حديث ابنْ عباس أنه صلى الله عليه وسلم لما بلغ نسبه الى عدنان قال من ههنا كذب النسَّابون يعني من عدنان . فقد أنكر السُهيليّ روايته من طريق ابن عبّاس مرفوعاً وقال الأصح انه موقوف على ابن مسعود . وخرّج السُهَيلي عن أُمّ سلمة أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : مُعَدٌّ بن عَدنان بن أُدَدٍ بن زَيدٍ بن البرّي بن أَعْراق الثري . قال وفسرت أم سلمة زيداً بأنه الهُمَيْسَع والبرّي بأنه نَبْتٌ أَوْ نابتٌ واعراق الثري بأنه اسمعيل ، واسمعيل هو ابن ابراهيم وابراهيم لم تأْكله النار كما لا تأْكل الثرى . وردّ السُهَيْلِي تفسير أمّ سَلَمَةَ وهو الصحيح ، وقال إنما معناه معنى قوله صلى الله عليه وسلم كلكم بنو آدم وآدم من تراب لا يريد أنّ الهُمَيْسَع ومن دونه ابن لاسمعيل لِصُلْبِهِ وعضد ذلك باتفاق الأَخبار على بعد المدَّة بين عدنان واسمعيل التي تستحيل في العادة أن يكون فيها بينهما أَربعة آباء أو سبعة أو عشرة أو عشرون لأن المدَّة أطولُ من هذا كله كما نذكره في نَسَبِ عدنان فلم يبق في الحديث مُتَمَسَّكٌ لأَحدٍ من الفريقين . وأما ما رووه من أَنَّ النَسب عِلْمٌ لا ينفع وجَهالة لا تَضُرُّ فقد ضَعَّفَ الأئمةُ رَفعَهُ إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم مثل الجِرجاني وأبي محمد بن حَزْم وأبي عُمَرَ بْنِ عَبْدِ البرِّ .

وأَلحقَ في الباب أنّ كل واحد من المذهبين ليس على إطلاقه فانّ الانسابَ القَريبةَ التي يمكن التوصُّلُ إلى معرفتها لا يَضُرُّ الاشتغال بها لدعوى الحاجة اليها في الأُمور الشرعية من التعصيب والولاية والعاقلة وفرض الايمان بمعرفة النبي صلى الله عليه وسلم ، ونسب الخلافة والتفرقة بين العرب والعجم في الحريّة والاسترقاق عند من يشترط ذلك كما مرّ كله وفي الامور العادية ايضا تثبت به اللُّحْمة الطبيعية التي تكون بها المدافعة والمطالبة . ومنفعةُ ذلك في اقامة المُلْكِ والدينِ ظاهرةً . وقد كان صلى

الله عليه وسلم وأَصحابه يُنْـسَـبون الى مُضَرَ ويتساءَلون عن ذلك . ورُوِيَ عنه صلى الله عليه وسلم أَنَّه قال : تعلموا من أَنسابكم ما تصلون به أَرحامَكم . وهذا كله ظاهر في النسب القريب ، وأَمَّا الأَنساب البعيدة العَسِرَةُ المَـدْرِكِ التي لا يوقف عليها إِلا بالشواهد والمقارنات لبعد الزمان وطول الأَحقاب أَو لا يوقف عليها رأسا لدروس الاجيال فهذا قد ينبغي أن يكون له وجه في الكراهة كما ذهب اليه من ذهب من أهل العِلْم مثل مالك وغيره لأَنـه شغلُ الإِنسان بما لا يعنيه . وهذا وجهٌ قوله صلى الله عليه وسلم فيما بعد عدنان من ههنا كَـذَبَ النسَّابون لأَنها أَحْقاب متطاولة ومَعـالم دارِسَـة لا تُـثْـلِجُ الصُـدُورَ باليقين في شيء منها مع أَنَّ علمها لا ينفع وجهلها لا يضرُّ كما نقل والله الهادي الى الصواب .

ولنأخذ الآن في الكلام في أَنساب العالم على الجملة ونترك تفصيل كل واحد منها الى مكانه فنقول : إِنَّ النسَّابين كلَّهم اتفقوا على أَنَّ الأَب الأَوَّل للخليقة هو آدم عليه السلام كما وقع في التنزيل إِلا ما يذكره ضُعفاء الإِخْـبَارِيـين من أن الجِنَّ والطَـمَّ أُمَّتان كانتا فيما زعموا من قبل آدم ، وهو ضعيف متروك وليس لدينا من أَخبار آدم وذرَّيته إِلاَّ ما وقع في المصحف الكَريم وهو معروفٌ بين الأَئمَّة . واتفقوا على أَنَّ الأَرض عَـمُـرَت بنسله أحقاباً وأجيالاً بعد أجيالٍ إِلى عصر نوح عليه السلام وأنه كان فيهم أنبياءُ مثلُ شيثَ وإِدريسَ وملوكٌ في تلك الأَجيال معدودون وطوائف مشهورون بالنِحَلِ مِثْـلُ الكلدانيين ومعناه الموحِّدون ، ومِثْـلُ السريانيين وهم المشركون . وزعموا أَنَّ أُمَـمَ الصابئةِ منهم وأنهم من وُلْدِ صابىء بن لَمك بن أَخْنُوخ ، وكان نِحْلَـتُـهُـم في الكواكب والقيام لها كلها واستنزال روحانيتّها وأَنَّ من حزبهم الكلدانيين أي المُـوَحِّدِينَ . وقد أَلَّف أبو اسحق الصابي الكاتب مقالة في أَنسابهم ونحلتهم . وذكر أخبارَهم أيضاً داهِرُ مؤرِّخُ السريانيين والبابا الصابي الحرَّاني وذكروا استيلاءهم على العالم وجُـمَلاً من نواميسهم . وقد اندرسوا وانقطع أثرهم . وقد يقال أَنَّ السريانيين من أهلِ تلك الأَجيال ، وكذلك النُـمْرُوذُ والازدِهاق وهو المسمى بالضَـحَّاك من ملوك الفُرس وليس ذلك بصحيح عند المحقِّقِين .

واتفقوا على أَنَّ الطَـوَفَانَ الذي كان في زمن نوح وبدعوته ذهب بعُـمْـرَانِ الأَرض أَجمع بما كان من خراب المعمور ومَـهْـلَكِ الذين ركبوا معه في السفينة ولم يعقبوا فصار

أهل الارض كلُّهم من نسله وعاد أَباً ثانياً للخليقة وهو نوحُ بْنِ لامِكْ ويُقالُ لَمَكَ بْنِ مَتُوشَلَخ بفتح اللام وسكونها ابن خَنوخ ، ويقال أَخنوخ ، ويقال أَشْنَخ ، ويقال أَخْنَخ وهو إدريس النبيُّ فيما قاله ابن إسحق ابن بيرد ويقال بيرد بن مَهْلائيل ويقال ماهلايلَ بن قاينَ ويقال قَيْنِن بن أَنوش ويقال يانش بن شيث بن آدم ، ومعنى شيث عطيَّةُ الله هكذا نَسَبَهُ ابنُ إسحق وغيرُهُ من الأَئمة وكذا وقع في التوراة نَسَبُهُ وليس فيه اختلافٌ بين الأَئمة . ونقل ابن إسحق أَنَّ خنوخ الواقعُ إسمَهُ في هذا النسب هو إدريس النبيُّ صلوات الله عليه وهو خلاف ما عليه الأَكثرِ من النسَّابين فإنَّ إدريس عندهم ليس بجدٍّ لنوح ولا في عمود نَسَبِهِ وقد زعم الحُكَماء الأَقدمون أَيضا أنّ إدريس هو هِرْمِسْ المشهور بالإمامةِ في الحكمة عندهم . وكذلك يقال : أَنَّ الصابئة من ولد صابىء بن لاَمِك وهو أخو نوح عليه السلام . وقيل أَنَّ صابىء متوشلخ جدُّه .

واعلم أنّ الخلافَ الذي في ضبط هذه الأَسماءِ إنَّما عرض في مخارج الحروف فَإنَّ هذه الأَسماء إنَّما أخذها العرب من أَهل التوراةِ ومخارجُ الحروف في لغتهم غير مخارجها في لغة العرب ، فاذا وقع الحرف متواسطاً بين حرفين من لغة العرب ، فتردّه العرب تارة الى هذا وتارة الى هذا . وكذلك إشباعُ الحركات قد تحذفه العرب اذا نقلت كلامَ العجم ، فمِن ههنا اختلف الضبط في هذه الأَسماء .

واعلم أنَّ الفُرْس والهنْد لا يعرفون الطوفان وبعضُ الفرسِ يقولون كان ببابلَ فقط .

واعلم أنّ آدم هو كيومرث وهو نهاية نسبهم فيما يزعمون ، وأَنَّ أَفريدون الملك في آبائهم هو نوح ، وأَنَّهُ بُعِثَ لازدهاق وهو الضحَّاك فلبسه الملك وقبله كما يذكر بعد في أخبارهم . وقد تترجَّحُ صحة هذه الأَنساب من التوراة وكذلك قصص الأَنبياء الأَقدمين اذ أخذت عن مسلمي يهودا ومن نسخ صحيحة من التوراة يَغْلِبُ على الظن صحتُها وقد وقعت العناية في التوراة بنسب موسى عليه السلام واسرائيل وشعوب الأَسباط ونسب ما بينهم وبين آدم صلوات الله عليه . والنسب والقصص أمرٌ لا يدخله النَسْخُ فلم يبقَ الاتحرّي النُسخ الصحيحة والنقل المعتبر . وأمَّا ما يقال من أن علماءَهم بدَّلوا مواضِع من التوراة بحسب أَغْراضهم في ديانتهم . فقد قال ابن عباس على ما نقل عنه البخاري في صحيحه : انَّ ذلك بعيد ، وقال معاذ الله ان تَعْمد أُمَّة الأُمَم الى كتابها المُنْزَل على نبيِّها فَتُبَدِّله أو ما في معناه ، وقال وإنَّما بدَّلوه

وحرَّفوه بالتأْويل ويشهد لذلك قوله تعالى : «وعندهم التوراة فيها حكم الله» ولو بدّلوا من التوراة ألفاظها لم يكن عندهم التوراةُ التي فيها حكم الله وما وقع في القرآن الكريم من نسبة التحريف والتبديل فيها إليهم فإنّما المعنيُّ به التأْويل اللهمَّ إلاّ أَنْ يطرقَها التبديل في الكلمات على طريق الغفلة وعدم الضبط . وتحريفُ مَنْ لا يُحْسنُ الكتابة بنسخها فذلك يمكن في العادة لا سيما وملكهم قد ذهب ، وجماعتهم انتشرت في الآفاق واستوى الضابط منهم وغيرُ الضابط ، والعالمُ والجاهل ، ولم يكن وازع يحفظ لهم ذلك لِذَهاب القدرة بذَهاب الملك فتطرَّق من أجل ذلك الى صحف التوراة في الغالب تبديل وتحريف غير متعمد من علمائهم وأَحبارهم . ويمكن مع ذلك الوقوف على الصحيح منها اذ تحرّى القاصد لذلك بالبحث عنه .

ثم اتفق النسابون ونَقَلَتِ المفسرين على أَنَّ ولد نوح الذين تفرّعت الأُممُ منهم ثلاثة : سام وحام ويافث وقد وقع ذكرهم في التوراة ، وأنّ يافث أكبرهم وحام الاصغر وسام الاوسط . وخرَّج الطبري في الباب أَحاديث مرفوعة بمثل ذلك وأنَّ سامَ أبو العرب ، ويافثَ أبو الروم ، وحامَ أبوا الحَبَش والزِنْج وفي بعضها السودان . وفي بعضها سامُ أبو العرب وفارِسَ والرومَ ، ويافثُ أبو التُّركِ والصَقالبة ويأجوج ومأجوج ، وحام أبو القِبْط والسودان والبَرْبَر ، ومِثْلِهِ عن ابن المسَيَّب وَوَهْبِ بْن مُنَبِّه . وهذه الأَحاديث وإن صحَّت فإنّما الأَنساب فيها مجملة ولا بدّ من نقل ما ذكره المحققون في تفريع أنساب الأمم من هؤلاء الثلاثة واحداً واحداً . وكذلك نقل الطبريُّ انه كان لنوح ولد إسمه كنعان وهو الذي هلك في الطوفان ، قال وتسميه العرب يام ، وآخر مات قبل الطوفان إسمه عابر . وقال هشام كان له ولدٌ إسمه بوناطر والعقب إنّما هو من الثلاثة على ما أجمع عليه الناس وصحت به الأَخبار ، فأمّا سام فمن ولده العرب على اختلافهم وابراهيم وبنوه صلوات الله عليهمّ باتفاق النسابين . والخلاف بينهم إنّما هو في تفاريع ذلك أَوْفي نَسَب غير العرب الى سام .

فالذي نقله ابن اسحق : أنَّ سام بن نوح كان له من الولد خمسة وهم : أَرفخشَذ ولاوَذ وإرم وأَشوذ وغليم . وكذا وقع ذكر هذه الخمسة في التوراة وأَنَّ بني أَشوذ هُمْ أَهْلُ الموصل ، وبني غليم أهل خوزستان ومنها الأَهواز . ولم يذكر في التوراة وُلد لاوَذ . وقال ابن اسحق : وكان للاوَذ أربعةٌ من الولد : وهم طسْم وعَمْليق وجَرْجان وفارس قال : ومن العماليق أُمَّةُ جاسِم فمنهم بنو لَفٍّ وبنو هَزَّان وبنو مَطَر.

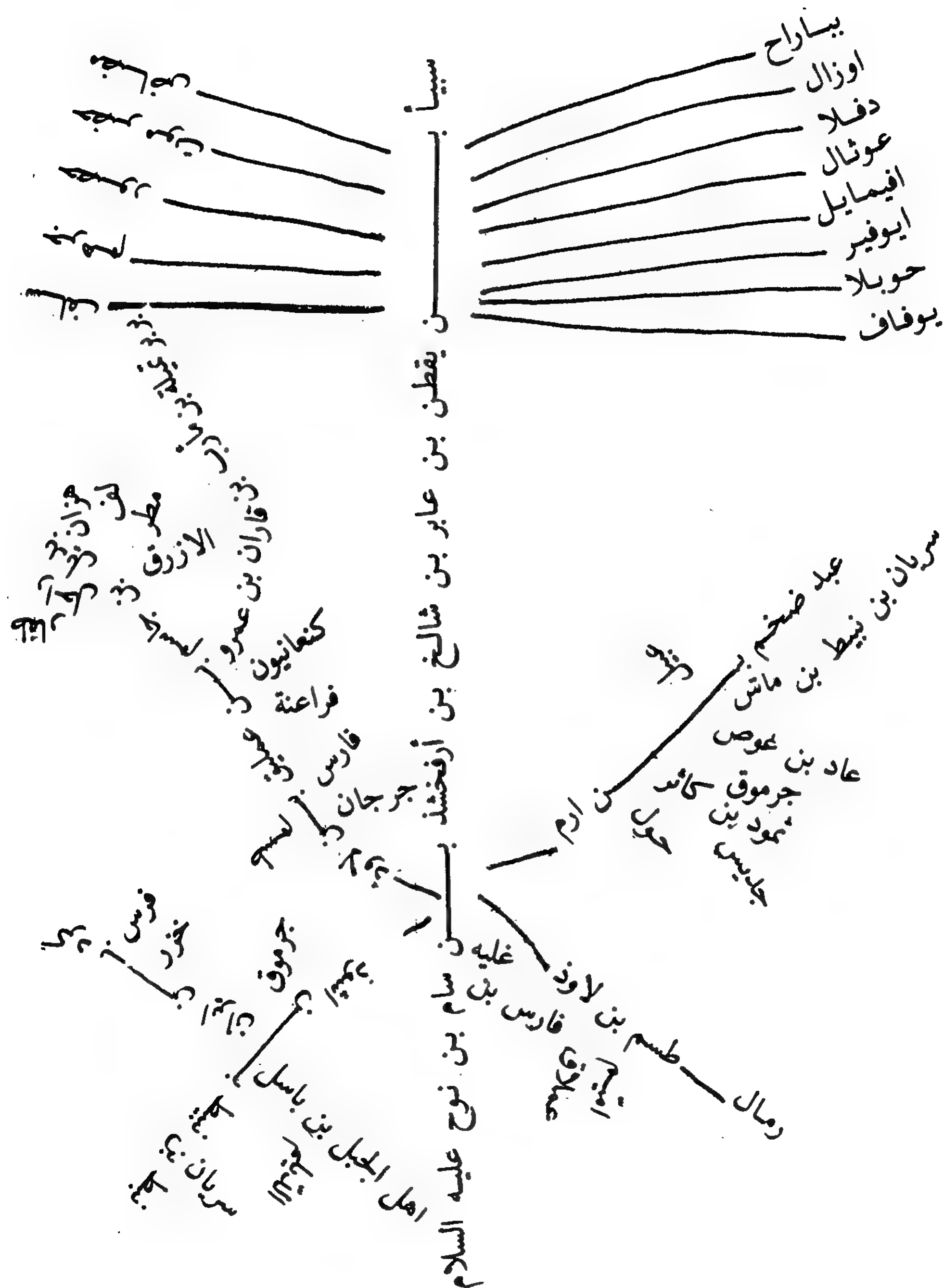
وبنو الأزْرَق ومنهم بُدَيْل وراحِل وظَفَّار ، ومنهم الكنعانيُّون وبرابرَةُ الشام وفراعِنَة مِصْرَ. وعن غير ابن إسحق أَنَّ عبد بن ضَخَم وأُمَيْم من وُلد لاوَذ. قال ابن اسحق : وكانت طَسْم والعماليق وأُمَيْم وجاسم يتكلّمون بالعربية وفارس يجاورونهم إلى المشرق ويتكلّمون بالفارسية.

قال ووُلْدُ إرَمَ : عُوصُ وكاثَرُ وعُبَيْل ومن وُلْد عُوص عادٌ ومنزلهم بالرمال والأَحقاف إلى حضرمـوت. ومن وُلد كاثَرثمُود وجَديس ومنزل ثمود بالحِجْربين الشام والحجاز.

وقال هشام بن الكلبي : عَبيل بن عوص أَخو عاد. وقال ابن حَزْمَ عن قدماء النَّسَّابين : انّ لاوَذ هو ابن إرَمَ بن سام أخو عوص وكاثَر. قال : فعلى هذا يكون جَديس وثمود أَخوَين ، وطَسْم وعِملاق أخوَين أَبناء عمٍّ لِحَام وكلهم بنو عم عاد. قال : ويذكرون أنَّ عبد بن ضَخَم بن إرَم وأنَّ أُمَيْم بن لاوَذ بن إرَم. قال الطبري : وفهَّـمَ اللهُ لسانَ العربيَّـة عاداً وثمودَ وعَبيل وطَسْم وجَديس وأُمَيْـم وعِمْليق وهم العَرَبُ العاربـة. وربما يقال : إنَّ من العرب العاربة يَقْطِنَ أَيْضاً ، ويسمون أيضاً العرب البائدة ولم يبقَ على وجه الأرض منهم أحد. قال : وكان يقال عادُ إرَم فلمّا هَلكوا قيل ثمودُ إرَم ثمَّ هلِكوا فقيل لسائر وُلْدِ إرَم أَرْمان وهم النَبَـط. وقال هشام بن محمد الكلبيّ : إنَّ النَبَـطِ بنو نبيط بن ماشِ بن إرَم والسريان بنو سُريان بن نَبَـط.

وذكر أيضا أنَّ فارِس من ولد أشوذ بن سام وقال فيه فارس بن طبراش بن أشوذ ، وقيل أنهم من أميم بن لاوذ وقيل ابن غَليم وفي التوراة : ذكر ملك الاهواز واسمه كردلا عمرو من بني غليم والأهواز متصلة ببلاد فارس. فلعل هذا القائل ظنّ أنّ أهل أهواز هم فارس والصحيح أنهم من وُلد يافث كما يُذكر. وقال أيضاً إنّ البربر من ولد عِمليق بن لاوَذ وأنهم بنو تميلة من مأرب بن قاران بن عمر بن عمليق والصحيح أنهم من كنعان بن حام كما يذكر. وذكر في التوراة ولد إرَم أربعة عوص وكاثر وماش ويقال مَشَحْ والرابع حول. ولم يقع عند بني إسرائيل في تفسير هذا شيءٌ إلاَّ أنّ الجرامقة من ولد كاثر. وقد قيل إنّ الكرد والدَّيلم من العرب. وهو قول مرغوبٌ عنه.

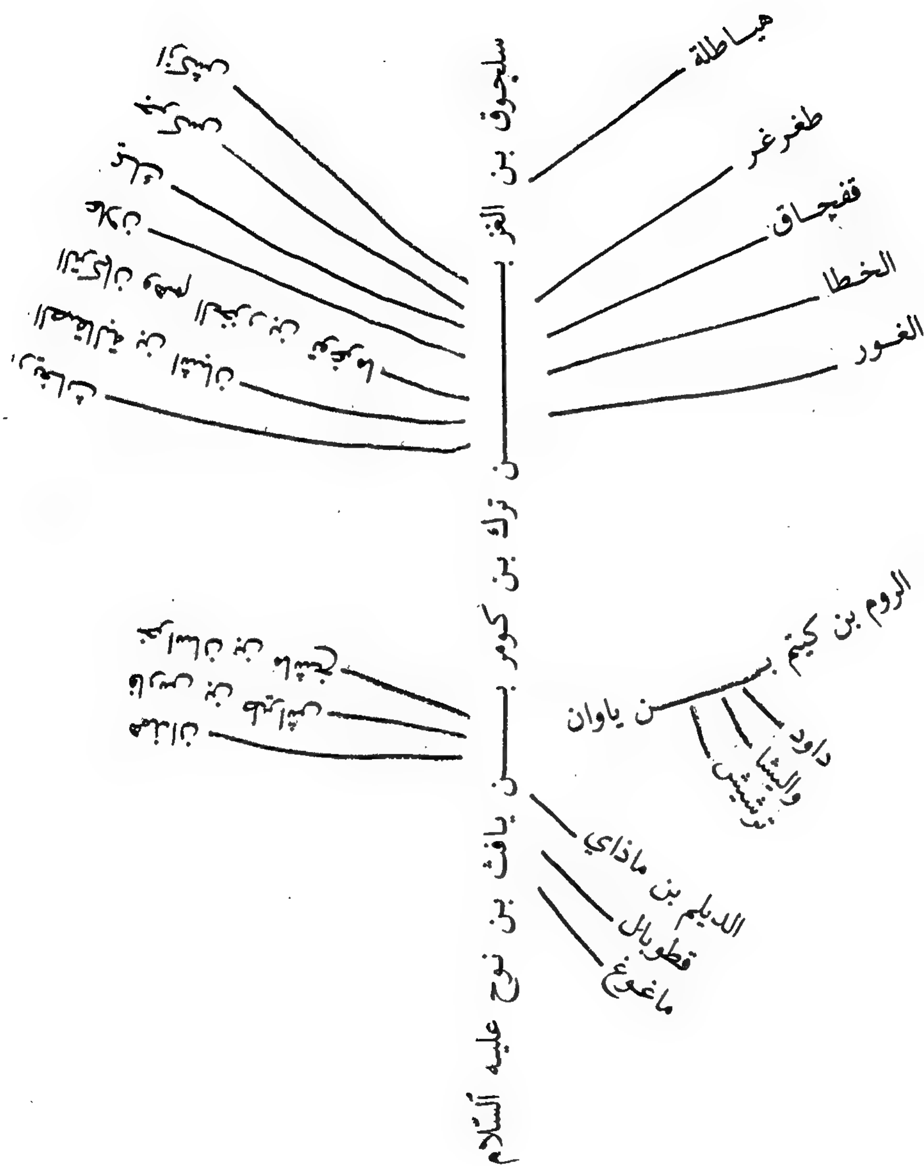
وقال ابن سعيد كان لأشوذ أربعة من الولد إيران ونَبيط وجرموق وباسل فمن إيران الفرس والكرد والخزر ، ومن نبيط النبط والسريان ، ومن جرموق الجرامقة وأهل الموصل ، ومن باسل الديلم وأهل الجبل. قال الطبري : ومن وُلْدِ أرفخشذ العبرانيون



يباراح
اوزال
دفلا
عوثال
افيمايل
ايوفير
حويلا
يوفاف
سبأ بن يقطن بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام
عبد ضخم
سريان بن نبيط بن ماش
عاد بن عوص
جرموق
كاثر
ثمود بن
جديس
حول
بن ارم
غليه
لاوذ
طسم بن
فارس بن
رمال
قاران بن عمرو
الازرق
مطر
كنعانيون
فراعنة
فارس
جرجان
فرس
خزر
جرموق
اهل الجبل بن باسل

وبنو عابر بن شالخ بن أرفخشذ وهكذا نسبه في التوراة. وفي غيره أن شالخ بن قينن بن أرفخشذ وإنما لم يذكر قينن في التوراة لأنه كان ساحراً وادّعى الألوهية.
وعند بعضهم أنّ النمروذ من ولد ارفخشذ وهو ضعيف وفي التوراة أن عابر ولد إثنين من الولد هما فالغ ويقطن، وعند المحققين من النسَّابة أن يقطن هو قحطان عربته العرب هكذا. ومن فالغ إبراهيم عليه السلام وشعوبه ويأتي ذكرهم. ومن يقطن شعوبٌ كثيرةٌ ففي التوراة ذكر ثلاثة من الولد له وهم: المِرذاذ ومعربه ومضاض وهم جرهم وإرم وهم حضور وسالف وهم أهل السلفات وسباوهم أهل اليمن من حمير والتبابعة وكهلان وهدرماوت وهم حضرموت. هؤلاء خمسة، وثمانية أخرى ننقل أسماءَهم وهي عبرانية ولم نقف على تفسير شيءٍ منها ولا يُعلم من أي البطون هم، وهم: بباراح وأوزال ودفلا وعوثال وأفمايَل وأبو فير وحويلا ويوفاف، وعند النسابين أن جرهم من ولد يقطن فلا أدري من أيهم، وقال هشام بن الكلبيّ: إن الهِنْدَ والسِنْدَ من نوفير بن يقطن والله أعلم.
وأما يافث فمن ولده الترك والصين والصقالبة و يأجوج ومأجوج باتفاق من النسابين. وفي آخرين خلاف كما يذكر. وكان له من الولد على ما وقع في التوراة سبعة. وهم كومَر وياوان وماذاي وماغوغ وقَطوبال وماشَخ وطيراش وعدّهم ابن اسحق هكذا وحذف ماذاي ولم يذكر كومر وتوغرما وأشبان وريغاث هكذا في نص التوراة. ووقع في الإسرائيليات أن توغرما هم الخزر، وأن أشبان هم الصقالبة، وأن ريغاث هم الإفرنج ويقال لهم برنسوس، والخزر هم التركمان وشعوب الترك كلهم من بني كومر ولم يذكروا من أي الثلاثة هم. والظاهر أنهم من توغرما ونسبهم ابن سعيد الى الترك ابن عامور بن سويل بن يافث، والظاهر أنه غلط وأن عامور هو كومر صحف عليه.
وهم أجناس كثيرة منهم الطغرغر وهم التتر والخطا وكانوا بأرض طغماج والخزلقية والغز الذين كان منهم السلجوقية والهياطلة الذين كان منهم الخلج، ويقال للهياطلة الصغد أيضاً. ومن أجناس الترك الغور والخزر والقفجاق، ويقال الخفشاخ، ومنهم يمك والعلاّن، ويقال الأز، ومنهم الشركس وأزكش. ومن ماغوغ عند الاسرائيليين يأجوج ومأجوج، وقال ابن اسحق: إنهم من كومر ومن ماذاي الديلم ويسمون في اللسان العبراني ماهان. ومنهم أيضاً همذان وجعلهم بعض الاسرائيليين من بني همذان بن يافث وعد همذان ثامناً للسبعة المذكورين من ولده.

وأمّا ياوان واسمه يونان فعند الإسرائيليين أنّه كان له من الولد أربعةٌ وهم : داود بن اليشا وكيتم وترشيش ، وأن كيتم من هؤلاء الأربعة هو أبو الروم والباقي يونان ، وأن ترشيش أهل طرسوس .
وأما قطوبال فهم أهل الصين من المشرق والليمان من المغرب . ويقال أنّ أهل افريقية قبل البربر منهم وأن الإفرنج أيضا منهم . ويقال أيضا أنّ أهل الأندلس قديماً منهم .
وأما ماشخ فكان ولده عند الاسرائيليين بخراسان وقد انقرضوا لهذا العهد فيما يظهر وعند بعض النسابين أنّ الأشبان منهم .
وأما طيراش فهم الفرس عند الإسرائيليين وربما قال غيرهم إنهم من كومر وأن الخزر والترك من طيراش وأن الصقالبة وبرجان والأشبان من ياوان وأن يأجوج ومأجوج من كومر وهي كلها مزاعم بعيدة عن الصواب . وقال اهروشيوش مؤرّخ الروم أن القوط واللطين من ماغوغ . وهذا آخر الكلام في أنساب يافث .
وأمّا حام فمن ولده : السودان والهند والسند والقبط وكنعان باتفاق . وفي آخرين خلاف نذكره وكان له على ما وقع في التوراة أربعة من الولد وهم مصر ويقول بعضهم مصرايم وكنعان وكوش وقوط . فمن وُلد مصر عند الاسرائيليين فتروسيم وكسلوحيم ووقع في التوراة فلشنين منهما معاً . ولم يتعيَّن من أحدهما وبنو فلشنين الذين كان منهم جالوت . ومن ولد مصر عندهم كفتورع ويقولون هم أهل دمياط ووقع الانقلوس ابن أخت قيطش الذي خرب القدس في الجلوة الكبرى على اليهود . قال إن كفتورع هو قبطقاي ويظهر من هذه الصيغة أنهم القبط لما بين الإسمين من الشبه . ومن ولد مصر عناميم وكان لهم نواحي إسكندرية وهم أيضاً بفتوحيم ولوديم ولها بيم . ولم يقع إلينا تفسير هذه الأسماء . وأما كنعان بن حام فذكر من ولده في التوراة أحد عشر منهم صيدون ولهم ناحية صيدا وإيموري وكرساش ، وكانوا بالشام وانتقلوا عندما غلبهم عليه يوشع إلى أفريقية فأقاموا بها . ومن كنعان أيضاً يبوسا وكانوا ببيت المقدس وهربوا أمام داود عليه السلام حين غلبهم عليه إلى أفريقية والمغرب وأقاموا بها . والظاهر أنّ البربر من هؤلاء المنتقلين أوّلاً وآخراً إلا أنّ المحققين من نسابتهم على أنهم من ولد مازيغ بن كنعان فلعل مازيغ ينتسب إلى هؤلاء . ومن كنعان أيضاً حيث الذين كان ملكهم عوج بن عناق . ومنهم عرفان وأروادى وخوي ولهم نابلس وسبنا ولهم طرابلس وضمارى ولهم حمص وحما ولهم أنطاكية وكانت تسمى حما باسمهم وأما كوش بن حام


سلجوق بن الغز بن ترك بن كومر بن يافث بن نوح عليه السّلام
هياطلة
طغرغر
قفچاق
الخطا
الغور
الروم بن كيتم بن ياوان
داود
والشبا
ترشيش
ماذاي
الديلم بن ماذاي
قطوبال
ماغوغ

فذكر له في التوراة خمسة من الولد وهم سَفَنا وسبا وجويلا ورعما وسفخا ومن ولد رعماشاو وهم السند ودادان وهم الهند . وفيها أن النمروذ من ولد كوش ولم يعينه وفي تفاسيرها أن جويلا زويلة وهم أهل برقة . وأما أهل اليمن من ولد سبا . وأما قوط فعند أكثر الإسرائيليين أن القبط منهم . ونقل الطبري عن ابن اسحق أن الهند والسند والحبشة من بني السودان من ولد كوش . وأن النوبة وفزان وزغاوة والزنج منهم من كنعان . وقال ابن سعيد أجناس السودان كلهم من ولد حام ونسب ثلاثة منهم الى ثلاثة سماهم من ولده غير هؤلاء الحبشة الى حبش ، والنوبة الى نوابة أو نوى ، والزنج الى زنج ، ولم يسم أحداً من آباء الأجناس الباقية وهؤلاء الثلاثة الذين ذكروا لم يعرفوا من ولد حام فلعلَّهم من أعقابهم ، أو لعلها أسماء أجناس . وقال هشام بن محمد الكلبي إن النمروذ هو ابن كوش بن كنعان . وقال أهروشيوش مؤرخ الروم : إن سبا وأهل افريقية يعني البربر من جويلا بن كوش ويسمى يضول وهذا والله أعلم غلط لأنه مرّ أن يضول في التوراة من ولد يافث ولذلك ذكر أن حبشة المغرب من دادان ابن رعما من ولد مصر بن حام بنو قبط بن لاب بن مصر اهـ الكلام في بني حام . وهذا آخر الكلام في أنساب أمم العالم على الجملة والخلاف الذي في تفاصيلها يذكر في أماكنه والله وليّ العون والتوفيق .

بربر بن ايموري بن كنعان بن حام بن نوح عليه السلام

عرفان
مازيغ
اروادي
ضماري
حما

كرساش
بيوسا
صيدون
حيث
خوي

مصرايم بن
كسلوحيم
فتروسيم
فوط
كفتوريم
عنانيم
لهابيم
نفتوحيم
لوديم

عند الاسرائيليين القبط بن قوط

كوش بن
سبأ
نمروذ
سفنا
داداذ بن رعما
شبا
سفحنا
حويلا

المقدّمة الثانية في كيفية وضع الانساب في كتابنا لأهل الدول وغيرهم

اعلم أن الأنساب تتشعب دائماً وذلك أن الرجل قد يكون له من الولد ثلاثة أو أربعة أو أكثر ، ويكون لكل واحد منهم كذلك ، وكل واحد منهم فرعٌ ناشيءٌ عن أصلٍ أو فرع أو عن فرع فرع فصارت بمثابة الأغصان للشجرة تكون قائمة على ساق واحدة هي أصلها والفروع عن جانبها ، ولكل واحدٍ من الفروع فروعٌ أخرى الى أنْ تنتهي إلى الغاية . فلذلك اخترنا بعد الكلام على الأنساب للأمّة وشعوبها أن نضع ذلك على شكل شجرة نجعل أصلها وعمود نسبها باسم الأعظم من أولئك الشعوب ومن له التقدم عليهم فيجعل عمود نسبه أصلالها وتفرع الشعوب الاخرى عن جانبه من كل جهة ، كأنها فروع لتلك الشجرة حتى تتصل تلك الأنساب عموداً وفروعاً بأصلها الجامع لها ظاهرة للعيان في صفحة واحدة ، فترسم في الخيال دفعة ويكون ذلك أعون على تصوّر الأنساب وتشعبها .فإن الصور الحسيّة أقرب الى الإرتسام في الخيال من المعاني المتعلقة . ثم لما كانت هذه الأمم كلها لها دول وسلطان ، اعتمدنا بالقصد الأوّل ذكر الملوك منهم في تلك الشجرات متصلة أنسابهم الى الجد الذي يجمعهم ، بعد أن نرسم على كل واحد منهم رتبته في تعاقبهم واحداً بعد واحدٍ بحروف أ ب ج د فالألف للأوّل والباء للثاني والجيم للثالث والدال للرابع والهاء للخامس وهلم جرّا . ونهاية الأجداد لأهل تلك الدولة في الآخر منهم ، ويكون للأول غصون وفروع في كل جهة عنه فإذا نظرت في الشجرة علمت أنساب الملوك في كل دولةٍ وترتبهم بتلك الحروف واحداً بعد واحد والله أعلم بالصواب .

القول في أجيال العرب وأوّليتها واختلاف طبقاتهم وتعاقبها وأنساب كل طبقة منها

اعلم أن العرب منهم الأمة الراحلة الناجعة ، أهل الخيام لسكناهم والخيل لركوبهم ، والأنعام لكسبهم ، يقومون عليها ، ويقتاتون من ألبانها ، ويتخذون الدفءَ والاثاث من أوبارها وأشعارها ، ويحملون أثقالهم على ظهورها . يتنازلون حِلَلاً متفرقة ،

ويبتغون الرزق في غالب أحوالهم من القنص، ويختطف الناس من السبل، ويتقلبون دائماً في المجالات فراراً من حمارّة القيظ تارة، وصبارة البرد أخرى، وانتجاعاً لمراعي غنمهم، وارتياداً لمصالح إبلهم الكفيلة بمعاشهم، وحمل أثقالهم ودفئهم ومنافعهم، فاختصوا لذلك بسكنى الإقليم الثالث ما بين البحر المحيط من المغرب الى أقصى اليمن وحدود الهند من المشرق. فعمروا اليمن والحجاز ونجداً وتهامة وما وراء ذلك مما دخلوا إليه في المائة الخامسة كما ذكروه من مصر وصحاري برقة وتلولها وقسطينة وأفريقية وزاغا والمغرب الأقصى والسوس، لاختصاص هذه البلاد بالرمال والقفار المحيطة بالأرياف والتلول والأرياف الآهلة بمن سواهم من الأمم في فصل الربيع وزخرف الأرض لرعي الكلأ والعشب في منابتها، والتنقل في نواحيها الى فصل الصيف لمدّة الأقوات في سنتهم من حبوبها. وربما يلحق أهل العمران اثناء ذلك معرات من أضرارهم بإفساد السابلة، ورعي الزرع مخضرًّا، وانتهابه قائماً وحصيداً إلا ما حاطته الدولة، وذادت عنه الحامية في الممالك التي للسلطان عليهم فيها. ثم ينحدرون في فصل الخريف الى القفار لرعي شجرها، ونتاج إبلهم في رمالها، وما أحاط به علمهم من مصالحها، وفراراً بأنفسهم وظعائنهم من أذى البرد الى دفء مشاتيها. فلا يزالون في كل عام مترددين بين الريف والصحراء ما بين الاقليم الثالث والرابع صاعدين ومنحدرين على ممر الأيام، شعارهم لبس المخيط في الغالب، ولبس العمائم تيجاناً على رؤسهم يرسلون من أطرافها عذبات يتلثم قوم منهم بفضلها وهم عرب المشرق، وقومٌ يلفون منها الليث والأخدع قبل لبسها ثم يتلثمون بما تحت اذقانهم من فضلها وهم عرب المغرب حاكوا بها عمائم زناتة من أمم البربر قبلهم. وكذلك لقنوا منهم في حمل السلاح اعتقال الرماح الخطية، وهجروا تنكب القسي. وكان المعروف لأولهم ومن بالمشرق لهذا العهد منهم استعمال الأمرين.

ثم إنَّ العرب لم يزالوا موسومين بين الأمم بالبيان في الكلام والفصاحة في المنطق والذلاقة في اللسان ولذلك سموا بهذا الاسم فإنه مشتق من الابانة لقولهم أعرب الرجل عما في ضميره إذا أبان عنه. ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: «الثيب تعرب عن نفسها». والبيان سمتهم بين الأمم منذ كانوا. وانظر قصة كسرى لما طلب من خليفته على العرب النعمان بن المنذر أن يوفد عليه من كبرائهم وخطبائهم من رضي لذلك، فاختار منهم وفد أوفده عليه وكان من خبره واستغراب ما جاؤا به من البيان ما هو معروف.

فهذه كلها شعائرهم وسماتهم وأغلبها عليهم اتخاذ الإبل والقيام على نتاجها وطلب الانتجاع بها الارتياد مراعيها ومفاحص توليدها بما كان معاشهم منها . فالعرب أهل هذه الشعار من أجيال الآدميين . كما أن الشاوية أهل القيام على الشاة والبقر لما كان معاشهم فيها فلهذا لا يختصون بنسب واحد بعينه الا بالعرض ولذلك كان النسب في بعضهم مجهولاً عند الأكثر وفي بعضهم خفيًّا على الجمهور . وربما تكون هذه السمات والشعائر في أهل نسب آخر فيدعون باسم العرب إلا أنهم في الغالب يكونون أقرب الى الأولين من غيرهم . وهذا الانتقال لا يكون إلاّ في أزمنة متطاولة وأحقاب متداولةٍ . ولذلك يعرض في الأنساب ما يعرض من الجهل والخفاء .

واعلم أنّ جيل العرب بعد الطوفان وعصر نوح عليه السلام كان في عادٍ الأولى وثمود والعمالقة وطسم وجديس وأميم وجرهم وحضرموت ومن ينتمي إليهم من العرب العاربة من أبناء سام بن نوح . ثم لما انقرضت تلك العصور وذهب أولئك الامم وأبادهم الله بما شاء من قدرته وصار هذا الجيل في آخرين ممن قرب من نسبهم من حمير وكهلان وأعقابهم من التبابعة ومن إليهم من العرب المستعربة من أبناء عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام . ثم لما تطاولت تلك العصور وتعاقبت وكان بنو فالغ بن عابر أعالم من بين ولده واختص الله بالنبوه منهم إبراهيم بن تارخ[1] وهو آزر بن ناحور بن ساروخ بن أرغو بن فالغ وكان من شأنه مع نمروذ ما قصّه القرآن . ثم كان من هجرته الى الحجاز ما هو مذكور ، وتخلف ابنه اسمعيل مع أمه هاجر بالحجر قرباناً لله ، ومرَّت بها رفقة من جرهم في تلك المفازة فخالطوها ونشأ إسمعيل بينهم ، وربّي في أحيائهم ، وتعلم لغتهم العربية بعد أن كان أبوه أعجمياً . ثم كان بناء البيت كما قصه القرآن ، ثم بعثه الله الى جرهم والعمالقة الذين كانوا بالحجاز فآمن كثير منهم واتبعوه . ثم عظم نسله وكثر وصار بالجيل آخر من ربيعة ومضر ومن إليهم من إياد وعك وشعوب نزار وعدنان وسائر ولد إسمعيل وهم العرب التابعة للعرب . ثم انقرض اولئك الشعوب في أحقاب طويلة وانقرض ما كان لهم من الدولة في الإسلام . وخالطوا العجم بما كان لهم من التغلب عليهم ففسدت لغة أعقابهم في آماد متطاولة وبقي خلفهم أحياء بادين في القفار والرمال والخلاء من الأرض تارة والعمران تارة . وقبائل بالمشرق والمغرب والحجاز واليمن وبلاد الصعيد والنوبة والحبشة وبلاد الشام والعراق

(١) تارخ او تارح كما في التورات .

والبحرين وبلاد فارس والسند وكرمان وخراسان ، أمم لا يأخذها الحصر والضبط ، قد كاثروا أمم الأرض لهذا العهد شرقاً وغرباً ، واعتزوا عليهم فهم اليوم أكثر أهل العالم وأملك لأمرهم من جميع الأمم . ولما كانت لغتهم مستعجمة على اللسان المضري الذي نزل به القرآن ، وهو لسان سلفهم ، سميناهم لذلك العرب المستعجمة فهذه أجيال العرب منذ مبدإ الخليقة ولهذا العهد في أربع طبقات متعاقبة ، كان لكل طبقة منها عصور وأجيال ودول وأحياء وقعت العناية بها دون من سواهم من الأمم لكثرة أجيالهم واتساع النطاق من ملكهم . فلنذكر لكل طبقة أحوال جيلها وبعض أيامهم ودولهم ، ومن كان عهدهم من ملوك الأمم ودولهم ، ليتبين لك بذلك مراتب الأجيال في الخليقة كيف تعاقبت والله سبحانه وتعالى وليّ العون .

برنامج بما تضمنه الكتاب من الدول في هذه الطبقات الاربع على ترتيبها والدول المعاصرين من العجم في كل طبقة منها

فنبدأ أوّلاً بذكر الطبقة الأولى وهم العرب العاربة ونذكر أنسابهم ومواطنهم وما كان لهم من الملك والدولة . ثم الطبقة الثانية وهم العرب المستعربة من بني حِمْيَر بن سبا ونذكر أنسابهم وما كان لهم من الملك باليمن في التبابعة وأعقابهم . ثم نرجع إلى ذكر معاصرهم من العجم وهم ملوك بابل من السريانيّين ثم ملوك الموصل ونينوى من الجرامقة ثم القبط وملوكهم بمصر ، ثم بني إسرائيل ودولهم ببيت المقدس قبل تخريب بختنصر وبعده وبالصابئة ، ثم الفرس ودولهم الأولى والثانية ، ثم يونان ودولهم الإسكندر وقومه ، ثم الروم ودولهم في القياصرة وغيرهم .

ثم نرجع إلى ذكر الطبقة الثالثة وهم العرب التابعة للعرب من قضاعة وقحطان وعدنان وشعبيها العظيمين ربيعة ومضر . فنبدأ بقضاعة وأنسابهم وما كان لهم من الملك البدوي في آل النعمان بالحيرة والعراق ومن زاحمهم فيها من ملوك كندة بني حجر آكل المرار . ثم ما كان لهم أيضاً من الملك البدوي بالشام في بني جفنة بالبلقاء والأوس والخزرج بالمدينة النبوية . ثم عدنان وأنسابهم وما كان لهم من الملك بمكة في قريش ثم ما شرفهم الله به وجيل الآدميين أجمع من النبوّة ، وذكر الهجرة والسير النبوية ، ثم نذكر ما أكرمهم الله به من الخلافة والملك فنترجم للخلفاء الأربعة وما كان على عصرهم من الردّة والفتوحات والفتن . ثم نذكر خلفاء الإسلام من بني أمية

وما كان لعهدهم من أمر الخوارج . ثم نذكر خلفاء الشيعة وما كان لهم من الدول في الإسلام . فالأولى الدولة العظيمة لبني العبَّاس التي انتشرت في أكثر ممالك الإسلام ، ثم دولة العلوية المزاحمين لها بعد صدر منها وهي دولة الأدارسة بالمغرب الأقصى ، ثم دولة العبيدية من الإسماعيلية بالقيروان ومصر ، ثم القرامطة بالبحرين ، ثم دعاة طبرستان والديلم ثم ما كان من هؤلاء العلوية بالحجاز ثم نذكر بني أمية المنازعين لبني العبَّاس بالأندلس وما كان لهم من الدولة هنالك والطوائف من بعدهم ، ثم نرجع الى ذكر المستبدين بالدعوة العباسية بالمغرب والنواحي وهم بنو الأغلب بأفريقية وبنو حمدان بالشام وبنو المقلد بالموصل وبنو صالح بن كِلاب بحلب وبنو مروان بديار بكر وبنو أسد بالحلة وبنو زياد باليمن وبنو هود بالأندلس .

ثم نرجع إلى القائمين بالدعوة العبيدية بالنواحي وهم الصليحيون[1] باليمن وبنو أبي الحسن الكلبي بصقلية وصنهاجة بالمغرب . ثم نرجع الى المستبدين بالدعوة العباسية من العجم في النواحي وهم بنو طولون بمصر ، ومن بعدهم بنو طغج وبنو الصفار بفارس وسجستان ، وبنو سامان فيما وراء النهر ، وبنو سبكتكين في غزنة وخراسان ، وغورية في غزنة والهند ، وبنو حسنويه من الكرد في خراسان . ثم نرجع إلى ذكر المستبدين على الخلفاء ببغداد من العجم وهم أهل الدولتين العظيمتين القائمتين بملك الإسلام من بعد العرب وهم بنو بويه من الديلم والسلجوقية من الترك . ثم نرجع إلى ملوك السلجوقية المستبدين بالنواحي وهم بنو طغتكين بالشام ، وبنو قطلمش ببلاد الروم ، وبنو خوارزم شاه ببلاد العجم وما وراء النهر ، وبنو سقمان بخلاط وأرمينية ، وبنو أرتق بماردين ، وبنو زنكي بالشام ، وبنو أيوب بمصر والشام . ثم الترك الذين ورثوا ملكهم هنالك ، وبنو رسول باليمن ثم نرجع الى ذكر التتر من الترك القائمين على دولة الإسلام والماحين للخلافة العبَّاسية ثم ما كان من دخولهم في دين الإسلام وقيامهم بالملك بالنواحي وهم بنو هولاكو بالعراق ، وبنو ذوشيخان بالشمال ، وبنو أرتنا ببلاد الروم ، ومن بعد بني هولاكو بنو الشيخ حسن ببغداد وتوريز ، وبنو المظفر بأصبهان وشيراز وكرمان ، وبعد بني أرتنا ملوك بني عثمان من التركمان ببلاد الروم وما وراءها .

(١) وفي نسخة اخرى : الصلحيون

ثم نرجع إلى الطبقة الرابعة من المغرب وهم المستعجمة ومن له ملك بدوي منهم بالمغرب والمشرق . ثم نخرج بعد ذكر ذلك الى ذكر البربر ودولهم بالمغرب لأنهم كانوا من شرط كتابنا . وهنالك نذكر برنامج دولهم والله سبحانه أعلم .

الطبقة الاولى من العرب وهم العرب العاربة وذكر نسبهم والإلمام بملكهم ودولهم على الجملة

هذه الأمة أقدم الأمم من بعد قوم نوح ، وأعظمهم قدرة ، وأشدّهم قوة وآثاراً في الأرض ، وأول أجيال العرب من الخليقة فيما سمعناه . لأن أخبار القرون الماضية من قبلهم ، يمتنع اطلاعنا عليها التطاول الأحقاب ودروسها إلا ما يقصه علينا الكتاب ويؤثر عن الانبياء بوحي الله إليهم ، وما سوى ذلك من الأخبار الأزلية فمنقطع الاسناد . ولذلك كان المعتمد عند الإثبات في أخبارهم ، ما تنطق به آية القرآن في قصص الأنبياء الأقدمين ، أو ما ينقله زعماء المفسرين في تفسيرها من أخبارهم وذكر دولهم وحروبهم ينقلون ذلك عن السلف من التابعين الذين أخذوا عن الصحابة أو سمعوه ممن هاجر إلى الإسلام من أحبار اليهود وعلمائهم أهل التوراة أقدم الصحف المنزلة فيما علمناه ، وما سوى ذلك من حطام المفسرين وأساطير القصص وكتب بدءِ الخليقة فلا نعوّل على شيء منه . وإن وجد لمشاهير العلماء تأليف مثل كتاب الياقوتية للطبريّ ، والبدء للكسائي ، فإنما نحوا فيها منحى القصاص ، وجروا على أساليبهم ، ولم يلتزموا فيها الصحة ، ولا ضمنوا لنا الوثوق بها فلا ينبغي التعويل عليها ، وتترك وشأنها . وأخبار هذا الجيل من العرب وان لم يقع لها ذكر في التوراة ، إلا أن بني إسرائيل من بين أهل الكتاب أقرب إليهم عصراً ، وأوعى لأخبارهم ، فلذلك يعتمد نقل المهاجرة منهم لأخبار هذا الجيل ، ثم إن هذه الامم على ما نقل كان لهم ملوك ودول .

فملوك جزيرة العرب وهي الأرض التي أحاط بها بحر الهند من جنوبها ، وخليج الحبشة من غربها ، وخليج فارس من شرقها ، وفيها اليمن والحجاز والشحر وحضرموت ، وامتد ملكهم فيها الى الشام ومصر في شعوب منهم على ما يذكر . ويقال : انهم انتقلوا إلى جزيرة العرب من بابل لما زاحمهم فيها بنو حام ، فسكنوا جزيرة العرب بادية مخيمين ، ثم كان لكل فرقة منهم ملوك وآطام وقصور حسبما نذكره ، إلى أن

غلب عليهم بنو يعرب بن قحطان. وهؤلاء العرب العاربة شعوب كثيرة. وهم عاد وثمود وطسم وجديس وأميم وعبيل وعبد ضخم وجرهم وحضرموت وحضورا والسلفات.

وسمي أهل هذا الجيل العرب العاربة، إما بمعنى الرساخة في العروبية كما يقال: ليل أليل، وصوم صائم. أو بمعنى الفاعلة للعروبية والمبتدعة لها بما كانت أول أجيالها وقد تسمى البائدة أيضا بمعنى الهالكة، لأنه لم يبق على وجه الارض أحد من نسلهم.

فأما عاد وهم بنو عاد بن عوص بن إرم بن سام فكانت مواطنهم الأولى بأحقاف الرمل بين اليمن وعمان الى حضرموت والشحر. وكان أبوهم عاد فيما يقال أول من ملك من العرب، وطال عمره وكثر ولده، وفي التواريخ ولد له أربعة آلاف ولد ذكر لصلبه، وتزوج ألف امرأة وعاش ألف سنة ومائتي سنة. وقال البيهقي: إنه عاش ثلثمائة سنة، وملك بعده بنوه الثلاثة شديدٌ وبعده شداد وبعده إرم. وذكر المسعودي: إن الذي ملك من بعد عاد وشدّاد منهم هو الذي سار في الممالك واستولى على كثير من بلاد الشام والهند والعراق. وقال الزمخشري: إن شدّاد هو الذي بنى مدينة إرم في صحارى عدن، وشيدها بصخور الذهب وأساطين الياقوت والزبرجد، يحاكي بها الجنة لما سمع وصفها طغياناً منه وعتوّاً. ويقال: إن باني إرم هذه هو إرم بن عاد. وذكر ابن سعيد عن البيهقيّ: أن باني ارم هو ارم بن شداد بن عاد الأكبر، والصحيح أنه ليس هناك مدينة إسمها إرم وإنما هذا من خرافات القصاص وإنما ينقله ضعفاء المفسرين. وإرم المذكورة في قوله تعالى: «إرم ذات العماد» القبيلة لا البلد. وذكر المسعودي أنّ ملك عوص كان ثلثمائة وأن الذي ملك من بعده إبنه عاد بن عوص، وان جيرون بن سعد بن عاد كان من ملوكهم، وأنه الذي اختط مدينة دمشق ومصرها، وجمع عُمُدَ الرخام والمرمر إليها وسماها إرم. ومن أبواب مدينة دمشق الى هذا العهد باب جيرون، وذكره الشعراء في معاهدها قال الشاعر:

النخل فالقصر فالحماء بينهما ... أشهى إلى القلب من أبواب جيرون

وهذا البيت في الصوت الأوّل من كتاب الأغاني. وذكر ابن عساكر في تاريخ دمشق جيرون ويزيد أخوان هما ابنا سعد بن لقمان بن عاد، وبهما عرف باب جيرون ونهر يزيد. والصحيح أن باب جيرون إنما سمي باسم مولى من موالي سليمان عليه السلام في دولة بني إسرائيل، جيرون كان ظاهراً في دولتهم.

وذكر ابن سعيد في أخبار القبط: أن شدّاد بن بداد بن هداد بن شدّاد بن عاد

حارب بعضاً من القبط ، وغلب على أسافل مصر ونزل الإسكندرية وبنى بها حينئذ مدينة مذكورة في التوراة يقال لها أون ، ثم هلك في حروبهم ، وجمع القبط إخوتهم من البربر والسودان وأخرجوا العرب من ملك مصر .

ثم لما اتصل ملك عاد وعظم طغيانهم وعتوّهم انتحلوا عبادة الأصنام والاوثان من الحجارة والخشب ويقال : انّ ذلك لانتحالهم دين الصابئة ، فبعث الله إليهم أخاهم هوداً ، وهوفيما ذكر المسعودي والطبريّ هود بن عبدالله بن رَبَاح بن الخَلود بن عاد ، وفي كتاب البدء لابن حبيب رباح بن حرب بن عاد ، وبعضهم يقول هود بن عابر بن شالِخ بن أرْفخشذ . فوعظهم وكان ملوكهم لعهده : الخلجان ، ولقمان بن عاد بن عادِيا بن صدا بن عادفا ، آمن به لُقمان وقومه ، وكفر الخلْجان ، وامتنع هود بعشيرته من عاد . وحبس الله عنهم المطر ثلاث سنين وبعثوا الوفود من قومهم إلى مكة يستسقون لهم ، كان في الوفد على ما قاله الطبري نعيم بن هزال بن هزيل بن عبيل بن صدا بن عاد . وقيل ابن عنز منهم ، وحلقمة بن الخسري ، ومرثد بن سعد بن عنز . وكان ممن آمن بهود واتبعه وكان بمكة من عاد هؤلاء : معاوية بن بكر وقومه ، وكانت هزيلة أخت معاوية عند نعيم بن هزال وولدت له عبيداً وعمراً وعامراً ، فلما وصل الوفد الى مكة مرّوا بمعاوية بن بكر وابنه بكر ونزل الوفد عليه . ثم تبعهم لقمان بن عاد ، وأقاموا عند معاوية وقومه شهراً لما بينهم من الخؤلة ، ومكثوا يشربون وتغنيهم الجرادتان قينتان لمعاوية بن بكر وابنه بكر . ثم غنتاهم شعراً تذكرهم بأمرهم فانبعثوا ومضوا إلى الإستسقاء ، وتخلف عنهم لقمان بن عاد ومرثد بن سعد ، فدعوا في استسقائهم وتضرعوا وأنشأ الله السحب ونودي بهم ان اختاروا فاختاروا سوداءَ من السحب ، وأنذروا بعذابها فمضت إلى قومهم وهلكوا كما قصّه القرآن .

وفي خبر الطبري أن الوفد لما رجعوا إلى معاوية بن بكر ، لقيهم خبر مهلك قومهم هنالك ، وأن هوداً بساحل البحر ، وأن الخلجان ملكهم قد هلك بالريح فيمن هلك ، وأن الريح كانت تدخل تحت الرجل فتحمله حتى تقطعوا في الجبال وتقلع الشجر وترفع البيوت ، حتى هلكوا أجمعون انتهى كلام الطبري .

ثم ملك لقمان ورهطه من قوم عاد واتصل لهم الملك فيما يقال ألف سنة أو يزيد وانتقل ملكه الى ولده لقمان ، وذكر البخاري في تاريخه أن الذي كان يأخذ كل سفينة غصباً هو هدد بن بدَد بن الخلجان بن عاد بن رقيم بن عابر بن عاد الأكبر ، وأن المدينة

بساحل برقة اهـ ولم يزل ملكهم متصلاً إلى أنْ غلبهم عليه يعرب بن قحطان ، واعتصموا بجبال حضرموت إلى أن انقرضوا . وقال صاحب زجار أن ملكهم عاد بن رقيم بن عابر بن عاد الأكبر هو الذي حارب يعرب بن قحطان ، وكان كافراً يعبد القمر ، وأنه كان على عهد نوح ، وهذا بعيد لأن بعثة هود كانت عند استفحال دولتهم أو عند مبتدئها ، وغلب يعرب كان عند انقراضها ، وكذلك هدد الذي ذكر البخاري أنه ملك برقة إنما هو حافد الخلجان الذي اعتصم آخرهم بجبل حضرموت ، وخبر البخاري مقدم .

وقال علي بن العزيز الجرجاني : وكان من ملوك عاد يعمر بن شداد ، وعبد أبهر بن معد يكرب بن شمد بن شداد بن عاد ، وحناد بن مياد بن شمد بن شداد ، وملوك آخرون أبادهم الله والبقاء لله وحده . فأما عبيل وهم إخوان عاد بن عوص فيما قاله الكلبي ، وإخوان عوص بن إرم فيما قاله الطبريّ ، وكانت ديارهم بالجحفة بين مكة والمدينة وأهلكهم السيل . وكان الذي اختط يثرب منهم هكذا قال المسعودي ، وقال هو يثرب بن ابائلة بن مهلهل بن عبيل . وقال السهيلي إن الذي اختط يثرب من العماليق ، وهو يثرب بن مهلايل بن عوص بن عمليق . وأما عبد ضخم بن إرم فقال الطبري كانوا يسكنون الطائف وهلكوا فيمن هلك من ذلك الجيل . وقال غيره إنهم أوّل من كتب بالخط العربي .

وأَمَّا ثَمود وهم بنو ثَمود بن كاثر بن إرم فكانت ديارهم بالحِجرْ ووادي القُرى فيما بين الحجاز والشام ، وكانوا ينحتون بيوتهم في الجبال ، ويُقال لأنَّ أعمارهم كان تطول فيأتي البلاءُ والخرابُ على بيوتهم ، فنحتوها لذلك في الصخر ، وهي لهذا العهد ، وقد مرَّ بها النبيُّ صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ونهى عن دخولها كما في الصحيح ، وفيه إشارة إلى أَنَّها بيوتَ ثمود أَهلُ ذلك الجيل . ويشهد ذلك ببطلان ما يذهب إليه القُصَّاصُ ، ووقع مثله للمسعودي من أَنَّ أَهلَ تلك الأَجيال كانت أجسامهم مفرطةً في الطولِ والعِظَم ، وهذه البيوتِ المشاهدة المنسوبة إليهم بكلام الصادق صلوات الله عليه ، يشهد بأَنَّهم في طولهم وعِظَمِ حُجُرَاتِهم مثلنا سواء فلا أَقدم من عادٍ وأهل أجيالهم فيما بلغنا .

ويقال إنَّ أَوَّل ملوكهم كان عابرَ بن إرم بن ثمود مَلَكَ عليهم مائتي سنة . ثم كان من بعده جُنْدُعُ بن عمرو بن الدُبَيْل بن إِرَم بن ثمود . ويقال مَلَكَ نحواً من ثلثمائة سنة .

هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام

لقمان بن هلد بن بدد بن الخلجان بن عاد بن رقيم بن عابر

عبد ابهر بن معد يكرب بن شمد بن شداد

حناد بن مياد

يعمر بن شداد

شداد بن بداد بن هداد

مرثد بن سعد بن عتر

عامر بن نعيم بن هزال بن هزيل بن عيل بن صنا

عبيد

عمرو

جلهمة بن خيبري

جيرون بن سعد بن لقمان

عاد الآخره

بكر بن معاوية بن بكر

وفي أيامه كانت بَعْثَةُ صالح عليه السلام ، وهو صالح بن عَبِيل بن أَسف بن شالِخ بن عبيل بن كاثَر بن ثمود ، وكانوا أَهل كُفْرٍ وبَغْيٍ وعبادةِ أوثان ، فدعاهم صالح إلى الدين والتوحيد . قال الطبريُّ : فلمَّا جاءهم بذلك كفروا وطلبوا الآيات ، فخرج بهم إلى هَضَبَةٍ من الأَرض ، فتمخَّضت عن الناقة ونهاهم أَنْ يتعرضوا لها بعَقْرٍ أَوْ هلكة ، وأخبرهم مع ذلك أَنهم عاقِرُوها ولا بدَّ ، ورأس عليهم قَدَار بن سالف ، وكان صالح وصف لهم عاقِرَ الناقة بصفة قَدَار هذا . ولما طال النذير عليهم من صالح سئموه وهمُّوا بقتله ، وكان يأوي إلى مسجدٍ خارج ملائهم ، فكمن له رهْطٌ منهم تحت صخرة في طريقه ليقتلوه فانطبقت عليهم وهلكوا. وحنِقوا ومضوا الى الناقة ورماها قَدَارٌ بسهمٍ في ضرعها وقتلها ، ولجأ فصيلها إلى الجبل فلم يدركوه ، وأقبل صالح وقد تخوف عليهم العذاب ، فلمَّا رآه الفصيل أقبل إليه ورغا ثلاث رغاآت ، فأنذرهم صالح ثلاثاً ، وفي صبح الرابعة صُعقوا بصيحة من السماء تقطَّعت بها قلوبهم فأَصبحوا جاثمين ، وهَلِكَ جميعهم حيث كانوا من الأَرض ، إلَّا رجلاً كان في الحرم منعه الله من العذاب . قيل من هو يا رسول الله ؟ قال : أبو رغال . ويقال إنَّ صالحاً أقام عشرين سنة ينذرهم وتوفي ابن ثمان وخمسين سنة . وفي الصحيح أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم مرَّ في غزوة تبوك بقُرى ثَمُود فنهى عن استعمال مياههم وقال : لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أَنفسهم إلاَّ وأَنتم باكون أَنْ يصيبكم ما أصابهم . اهـ كلام الطبري .

وقال الجرجاني : كان من ملوكهم دوبان بن يَمْنَع ملك الإسكندرية ، ومَوْهِب بن مرَّة بن رحيب وكان عظيم المُلك وأخوه هُوبيل بن مرَّة كذلك . وفيما ذكره المفسرون أَنَّهم أوَّل من نحت الجبال والصخور ، وأَنَّهم بنو ألفاً وسبعمائة مدينة وفي هذا ما فيه . ثم ذهبوا بما كسبوا ودرجوا في الغابرين وهلكوا . ويقال إنَّ من بقاياهم أَهلُ الرسِّ الذين كان نبيهُم حَنْظَلَةُ بن صَفْوان ، وليس ذلك بصحيح . وأَهلُ الرسِّ هم حضور ويأْتي ذكرهم في بني فالغَ بن عَابِر ، وكذلك يزعم بعض النسَّابة أن ثقيفاً من بقايا ثمود هؤُلاءِ وهو مردود . وكان الحجَّاج بن يوسف إذا سَمِع ذلك يقول كذبوا . وقال والله جلَّ مِن قائل يقول وثمودَ فما ابقى أي أَهلكهم فما أبقى أحداً منهم . وأَهلُ التوراة لا يعرفون شيأً من أخبار عاد ولا ثمود لأَنهم لم يقع لهم ذِكْر في التوراة ، ولا لهود ولا لصالِح عليهما السلام ، بل ولا لأَحد من العرب العاربة ، لان

سياق الأَخبار في التوراة عن اولئك الأُمم انما هو لمن كان في عَمُود النَسَب ما بين موسى وآدم صلوات الله عليهم ، وليس لأَحد من آباء هؤلاء الاجيال ذكر في عمود ذلك النَسَب فلم يُذْكَرُوا فيها .

وأما جَدِيسُ وطَسْمٍ فعند ابن الكلبي أَنَّ جَدِيساً لإِرَم بن سام وديارهم اليَمَامَة وهم أَخَوَان لثمود بن كاثر ، ولذلك ذكرهم بعدهم وان طَسْماً لِلاَوَذ بن سام وديارهم بالبَحْرَيْن . وعند الطبريّ أَنهما معاً لِلاَوَذ وديارهم باليمامة . ولهذين الإثنين خبرٌ مشهورٌ ينبغي سياقُهُ عند ذكرهم . قال الطبريُّ عن هشام بن محمد الكلبي بسَنَدِهِ إلى ابن اسحق وغيره من علماءِ العرب : أَنَّ طَسْماً وجديسا كانوا من ساكني اليَمَامَة ، وهي إِذْذاك مِنْ أخْصب البلاد وأعمرِها ، وأكثرِها خيـراً وثمارا وحدائِق وقصورا ، وكان مَلِكُ طَسْم غَشوماً لا ينهاه شيءٌ عن هواه ، ويقال له : عَمْلُوق وكان مُضِرّاً لجديس مُسْتَذِلاً لَهُم ، حتى كانت البِكْرُ من جَدِيس لا تُهْدى إلى زوجها حتى تدخلَ عليه فَيَفْتَرِعَها . وكان السببُ في ذلك أَنَّ امرأة منهم كان اسمها هُزَيْلَةَ طلَّقها زوجها وأخذ ولده منها ، فأَمر عَمْلوق ببيعها وأخذ زوجُها الخُمس من ثمنها ، فقالت شِعراً تتظلَّم منه ، فامر ان لا تزوَّج منهم امرأَة حتى يفترعها فقاموا كذلك حتى تزوَّجت الشَمُوس ، وهي عُفَيْرَةُ ابنة غفَّار بن جَدِيس أُخت الأَسود ، فافتَضَّها عَمْلوق ، فقال الأَسود بن غفَّار لرؤساء جَدِيس : قد ترون ما نحن فيه من الذل والعار الذي ينبغي للكلاب أن تعافهُ فأَطيعوني أدعوكم إلى عِزّ الدهر ، فقالوا وما ذاك ، قال : أصنعُ للمَلِكِ وقومه دعوةً فاذا جاؤا ، يعني طَسْماً ، نهضنا إِلَيْهِم بأَسيافنا فنقتلهم . فأجمعوا على ذلك ودفنوا سيوفهم في الرمل ، ودعوا عَمْلوقاً وقومَه فلما حضروا قتلوهم ، فأَفنوهم ، وقتل الأَسْوَد عَمْلوقاً ، وأَفلت رَباح بن مُرَّة بن طَسْم فأَتى حسان بن تُبَّع مستغيثاً ، فنهض حسّان في حِمْيَر لإغاثته حتى كان من اليمامة على ثلاث مراحل . قال لهم رباح إنّ لي أُختا مُزَوّجة في جديس إسمُها اليمامة ، ليس على وجه الأرض أبصر منها وانها لتبصر الراكب على ثلاث مراحل ، وأَخافُ أن تنظر القوم . فأَمر كل رجل أنْ يقلعَ شجرة فيجعلها في يديه ويسير كأنه خلفها ، ففعلوا وبصرت بهم اليَمَامَة فقالت لِجَدِيس : لقد سارت إليكم حِمْيَر وإني أرى رجلاً من وراءِ شجرة بيده كتف يتعرقها ، أو نعل يخصفها ، فاستبعدوا ذلك ولم يحفلوا به . وصَبحَهُمْ حَسَّانُ وجنوده من حِمْيَر فأَبادهم وخرَّب حصونهم وبلادهم

وهرب الأَسودُ بن غفَّار الى جَبَلَيْ طيء، فأَقام بهما، ودعا تُبَّع باليَمَامَة أُخت رَباح التي أَبصرتهم فقلع عينها. ويقال إِنه وجد بها عُروقا سوداً زعمت أَنَّ ذلك من اكتِحالها بالإِثْمِد، وكانت تلك البلدُ تسمى جُو فسُمِيَّتِ باليَمامَة اسم تلك المرأة.

قال أَبو الفرج الأَصبهاني: وكانت طَيِّء تسكن الجُرُف من أَرض اليَمَن وهي اليوم محلةٍ مُراد وهَمْدَان، وسيدهم يومئذ سامَةُ بن لُؤي بن الغَوْث بن طيء، وكان الوادي مَسْبَعةً وهم قليل عددهم، وكان يجتاز بهمْ بعير في زمن الخريف ويذهبُ ثم يجيىءُ من قابِل ولا يعرفون مقرَّهُ، وكانت الأَزْدُ قد خرجت ايام سَيْل العرِم واستوحشت طيء فظعنوا على أَثَرِهِم، وقالوا لسامَةَ هذا البعيرُ إِنما ياتي من الريف والخِصْبِ لان في بعره النوى، فلما جاءَهم زمن الخريف أَتَّبعُوه يسيرون لسيره حتى هبط عن الجبلين، وهجموا على النخل في الشعاب وعلى المواشي وإِذا هم بالأَسْوَدِ بنْ غفّار، في بعض تلك الشِعاب فهَالَهُم خَلْقُهُ وتخوّفوه، ونزلوا ناحية ونفضوا الطريق فلم يروا أَحداً. فأَمر سامَةُ ابنه الغَوْثُ بقتل الأَسود، فجاء إِليه فعجب من صِغَرِ خَلْقِهِ، وقال: من أين أقبلتم؟ قال: من اليَمَن وأخبره خبر البعير ثم رماه فقتله وأقامت طيء بالجبلين بعده.

وذكر الطبريُّ عن غير ابن اسحق أنّ تُبَّع الذي أوقع بجديس هو والد حَسَّان هذا، وهو ثبان أَسعد أبو كَرِب بن مِلكي كَرِب ويأتي ذكره في ملوك اليَمَن إِنْ شاء الله تعالى انتهى كلام الطبريّ.

وقال غيره إِنَّ حَسَّان بن تُبَّع لما سار بِحِمْيَر الى طَسْم بعث على مقدمته إِلَيْهم عبدَ كلال بن مَنوب بن حَجَر بن ذي رَعين من أَقيال حِمْيَر فسلك بهم رباح بن مُرَّة الرمل وكانت الزرقاءُ أُخت رباح ناكحاً في طَسْم وتُسمَّى عَنَزة واليَمامَة، وكانت تُبْصِر على البعد فأَنذرتهم فلم يقبلوا وصَبحَ عبد بن كَلال جَدِيسا إِلى آخر القِصَّة، وبقيت اليمامة بعد طَسْم يباباً لا يأْكل ثمرها إِلا عوافي الطَيْر والسباع حتى نزلها بنو حنيفة، وكانوا بعثوا رائدهم عُبَيْد بن ثَعْلَبَة الحَنَفي يرتاد لهم في البلاد، فلما أَكل من ذلك الثمر قال إِنَّ هذا الطَعَامُ! وحَجَرَ بعصاه على موضع قَصَبَةِ اليَمامَة، فسميت حَجَرا واستوطنها بنو حنيفة وبها صَبِحَهُم الإِسلام كما يأْتي في أَخبارهم إِنْ شاء الله تعالى.

وأما العمالقة فهم بنو عَمْليق بن لاوذ وبهم يضرب المَثَل في الطول والجثمان. قال

صالح بن عبيل بن اسف بن شالخ بن عبيل بن كاثر بن ثمود بن كاثر بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام

قدار بن سالف

جندع بن عمرو بن الدبيل بن ارم

عابر

طسم

جديس

موهب بن مرة بن رجيب

هويل

نبيت بن دوبان

لاوذ بن سام

الطبريُّ : عَمليق أبو العَمَالقة كلهم أمم تفرَّقت في البلاد ، فكان أهلُ المشرق وأهلُ عُمان والبَحْرَيْن وأهلُ الحِجَاز منهم ، وكانت الفراعنة بِمِصْرَ منهم ، وكانت الجبابرة بالشام الذين يُقال لهم الكَنْعَانِيُّون منهم . وكان الذين بالبَحْرَيْن وعُمان والمدينة يُسَمّون جَاسِم ، وكان بالمدينة من جَاسِمٍ هؤلاء بنو لَفٍّ وبنو سَعْدٍ بن هَزَال وبنو مَطَر وبنو الأَزرق ، وكان بنجد منهم بُدَيْل وراحِل وغَفَّار وبالحجاز منهم إلى تَيْمَا بنو الأَرْقَم ويسكنون مع ذلك نَجْداً وكان مَلِكهُم يُسمَّى الأَرْقم ، قال : وكان بالطائف بنو عبد ضَخْم بن عادٍ الاول انتهى .

وقال ابن سعيد فيما نقله عن كتب التواريخ التي اطلع عليها في خزانة الكتب بدار الخلافة من بغداد قال : كانت مواطن العَمَالِقة تُهَامَةَ من أَرض الحجاز فنزلوها أيام خروجهم من العراق أمام النَمَارِدَةِ من بني حام ، ولم يزالوا كذلك إلى أن جاء إسمعيل صلوات الله عليه وآمن به من آمن منهم . وتَطرَّدَ لهم المُلك إلى أَن كان منهم السُمَيْدَعُ بنِ لاوَذ بن عَمْليق وفي أيامه خرجت العَمَالقة من الحَرَم ، أَخرجتهم جُرْهُم من قبائل قحطان فتفرقوا ونزل بمكان المدينة منهم بنو عَبيل بن مَهْلايل بن عُوص بن عَمْليق فعُرِفَت به ، ونزل أرض أَيْلة ابنِ هُومَر بن عَمْليق ، واتصل مُلكُها في ولده وكان السُمَيْدَع سِمَةً لمن ملك منهم إلى أَنْ كان آخرهم السُمَيْدَعُ بن هُومَر الذي قتله يُوشَع لما زحف بنو إسرائيل إلى الشام بعد موسى صلوات الله عليه ، فكان معظم حروبهم مع هؤلاء العمالقة هنالك ، فغلبه يُوشعُ وأسره وملك أَريحا قاعدة الشام وهي قرب بيت المقدس ومكانها معروف لهذا العهد . ثمَّ بعث من بني إسرائيل بعثا إلى الحجاز فملكوه وانتزعوه من أيدي العمالقة ملوكه ونزعوا يَثْربَ وبلادها وخَيْبَرَ . ومن بقاياهم يهود قُرَيْظَة وبنو النُضَيْر وبنو قَيْنَقاع وسائر يهود الحجاز على ما نذكره . ثُمَّ كان لهم مُلك بعد ذلك في دولة الروم ومَلَّكوا أُذَيْنَةَ بن السُمَيْدَعُ على مشارف الشام والجزيرة من ثغورهم وأنزلوهم في التخوم ما بينهم وبين فارس ، وهذا المَلِكُ أُذَيْنَةَ ابن السُمَيْدَع هو الذي ذكره الشاعر في قوله :

أَزال أُذَيْنَةَ عَنْ مُلْكِه وَأَخرجَ عَنْ أَهْلِهِ ذَا يَزَنِ

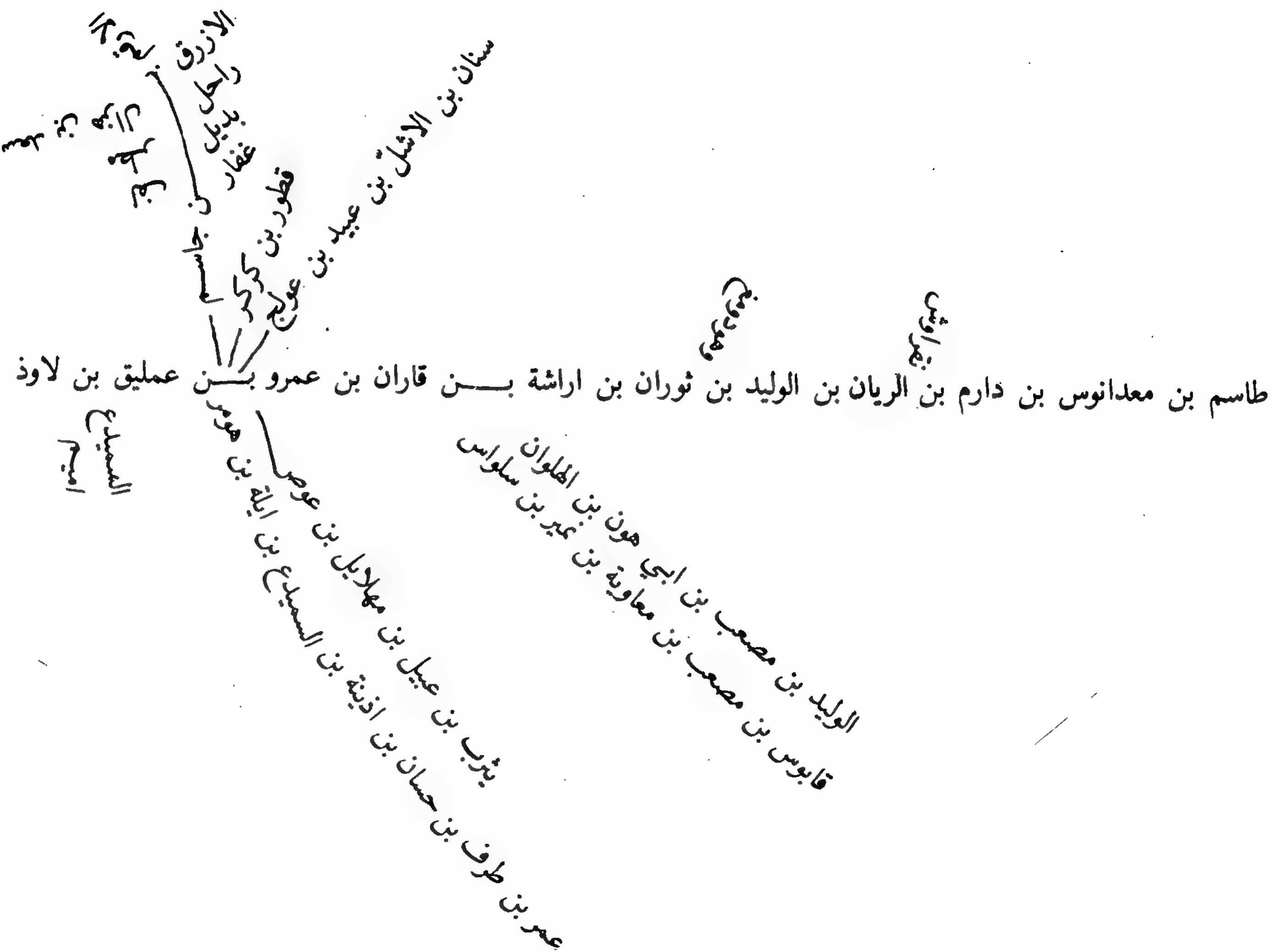
وكان من بعده حَسَّان بن أُذَيْنَة ، ومن بعده طرف بن حَسَّان بن يدياه نسبة إلى امه ، وبعده عمرو بن طرف ، وكان بينه وبين جُذَيْمَةَ الأَبرش حروب ، وقتله جُذَيْمة واستولى على ملكهم وكان آخراً من العَمَالِقَةِ كما نذكر ذلك في موضعه .

ومن هؤلاءِ العَمَالِقَةِ فيما يَزْعَمون عَمَالِقَةُ مِصْرَ وأَنَّ بعضَ ملوك القِبْطِ استنصر بمَلِكِ العَمَالِقَة بالشام لعهده واسمه الوَلِيدُ بن دُومَغ ، ويقال ثُورَان بن أَرَاشة بن فادان بن عمرو بن عَمْلاق فجاء معه مَلِكُ مِصْر واستعبد القِبْط . قال الجرجاني ومن ثم مَلَكَ العَمَالِيقُ مِصْرَ ويقال أَنَّ منهم فِرْعَوْن ابراهيم وهو سِنَان بن الأَشَل بن عُبَيْد بن عُولَج بن عَمْلِيق ، وفِرْعَونُ يوسف أيضاً منهم وهو الريّان بن الوليد بن فُورَان ، وفِرْعون موسى كذلك وهو الوَليد بن مصعب بن أبي أهون بن الهَلْوان ، ويقال أَنّه قابوسُ بن مُصْعَب بن مُعَاوِية بن نُمَيْر بن السلواس بن فاران ، وكان الذي ملك مِصْر بعد الريان بن الوليد طَاشِم بن مَعْدان اهـ كلام الجرجانيّ وقال غيره : الريان فرعون يوسف وهو الذي تُسَمِيه القِبْطُ نَقْراوش وأَنَّ وزيره كان أَطْفِير وهو العَزِيزُ وأَنَّه آمن بيوسف ، وأَنَّ أَرضَ الفَيُّوم كَانت مَغَايِضَ للماء فدبّرها يوسفَ بالوَحْي والحِكْمَةِ حتى صارت أَعزّ الديّار المِصْرية ومَلِكَ بعده ابنه دارِم بن الريان ، وبعده ابنه مَعْدَانوس فاستعبد بني إسرائيل . قال الكلبي : ويذكر القِبْط أنَّه فرعون موسى ، وذكر أهل الأَثر أَنَّه الوَلِيدُ بن مُصْعَب وأَنه كان نجاراً من غير بيت المَلِكِ فاستولى إلى أن وَلِيَ حرسُ السلطان ثم غلب عليه ثم استبدّ بعده وعليه انقرض أمر العمالقة .ولما غرق في اتباع موسى صلوات الله عليه رجع المُلْكُ إلى القِبْطِ فوَلُّوا من بيت مَلِكِهم دَلُوكَة العَجُوز كما نذكره في أَخبارهم إنْ شاء الله تعالى ، وأما بنو إسرائيل فليس عندهم ذِكْر لِعَمَالِقَةِ الحجاز وعندهم أَنَّ عَمَالِقَةَ الشام من وُلْد عَمْلاق بن أليفاذ — بتفخيم الفاء — ابن عِيصو أو عِيصاب أو العِيص بن إسحق بن إبراهيم عليه السلام وفراعنة مصر منهم على الرأيين وأَمَّا الكنعانيون الذّين ذكر الطبري أَنَّهم من العَمَالِقَةِ ، فهم عند الإسرائيليين من كنعان ابن حام ، وكانوا قد انتشروا ببلاد الشام وملكوها ، وكان معهم فيها بنو عِيصو المذكورون ويقال لهم بنو يَدُوم ، ومن أيديهم جميعاً ابتزها بنو اسرائيل عند المجي أيام يُوشَع بن نون ، ولذلك تزعم زنَاتَةُ المغرب أَنَّهم من هؤلاءِ العَمَالِقَةِ وليس بصحيح . وأَمَّا أُمَيْم فهم إخوان عَمْلاق بن لاوَذ قال السُهَيْليّ : يقال بفتح الهمزة وكسر الميم وبضم الهمزة وفتح الميم وهو أَكثرُ ووجدت بخط بعض المشاهير أُمَّيم بتشديد الميم . ويذكر أَنهُم أَوّلُ من بنى البُنيان ، واتخذ البيوت والأطام من الحجارة ، وسقفوا بالخشب وكان ديارُهم فيما يقال أرض فارس ، ولذلك زعم بعض نسَّابَةِ الفُرْسِ أَنَّهم من أُمَيْم ، وأَنَّ كَيُومَرْث الذين يُنْسبون إِلَيْه هو ابن أُمَيْم بن

لاوَذ وليس بصحيح وكان من شعوبهم وَبَار بن أُمَيْم نزلوا رَمْل عَالِج بين اليَمَامَة والشِحْر وسالت عليهم الريح فهلكوا .

وأما العرب البايدة من بني أرفخشذ بن يقطن بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ فهم جُرْهُم وحضورا وحضرموت والسلف . فأما حضورا فكانت ديارهم بالرَسّ ، وكانوا أهل كفر وعبادة أوثان ، وبعث إليهم نبيٌّ منهم إسمه شُعيب بن ذي مهرع فكذبوه وهلكوا كما هلك غيرهم من الأمم وأما جُرْهُم فكانت ديارهم باليمن وكانوا يتكلمون بالعبرانية ، وقال البيهقي : إنّ يَعْرُبَ بن قحطان لما غلب عاداً على اليمن وملكه من أيديهم ولى إخوته على الأقاليم ، وولّى جُرْهُم على الحجاز ، وولى بلاد عادٍ الأولى وهي الشحْر ، عاد بن قحطان ، فعرفت به ، وولى عُمان يقطن بن قحطان انتهى كلام البيهقي ، وقيل إنما نزلت جُرْهُم الحجاز ، ثم بنى قَطُور بن كركر بن عملاق لقحط أصاب اليمن ، فلم يزالوا بمكة إلى أن كان شأن إسمعيل عليه السلام ونبوَّته فآمنوا به وقاموا بأمره وورثوا ولاية البيت عنه حتى غلبتهم عليه خُزاعة وكنانة فخرجت جُرْهُم من مكة ، ورجعوا إلى ديارهم باليمن إلى أن هلكوا .

وأما حضْرموت فمعدودون في العرب العاربة لقرب أزمانهم وليسوا من العرب البايدة لأنهم باقون في الأجيال المتأخرة ، إلاّ أن يقال انه جمهورهم قد ذهب من بعد عصورهم الأولى واندرجوا في كِنْدَةَ ، وصاروا من عدادهم ، فهم بهذا الاعتبار قد هلكوا وبادوا والله أعلم . وقال عليٌّ بن عبد العزيز إنه كان فيهم ملوك التبابعة في عُلُو الصيت ونهاية الذكر . قال وذكر جماعة من العلماء أن أول من انبسط ملكه منهم ، وارتفع ذكره عمرو الأشنب بن ربيعة بن يُرام بن حضرموت ثم خلفه ابنه نمر الأزج ، فملك مائة سنة وقاتل العمالقة ، ثم ملك كُرَيْب ذوكراب ، ثم نمر الأزج مائة وثلاثا وثلاثين سنة ، وهلك إخوته في ملكه . ثم ملك مرثد ذو مزوان بن كريب مائة وأربعين سنة وكان يسكن مأرب ثم تحوّل إلى حضرموت ، ثم ملك علقمة ذو قيعان ابن مرثد ذي مروان بحضرموت ثلاثين سنة ، ثم ملك ذو عيل بن ذي قيعان عشر سنين وسكن صنعاء وغزا الصين فقتل ملكها وأخذ سيفه ذا النور ، ثم ملك ذو عيل بن ذي عيل بحضرموت عشر سنين ، ولما شخص سنان ذو ألم لغزو الصين تحوّل ذو عيل الى صنعاء واشتدت وطأته ، وكان أوّل من غزا الروم من ملوك اليمن ، وأول من أدخل الحرير والديباج الى اليمن . ثم ملك بدعات بن ذي عيل بحضرموت أربع


طاسم بن معدانوس بن دارم بن الريان بن الوليد بن ثوران بن اراشة بن قاران بن عمرو بن عمليق بن لاوذ
نقراوش
وهودومغ
الوليد بن مصعب بن ابي هون بن الهلوان
قابوس بن مصعب بن معاوية بن نمير بن سلواس
يثرب بن عبيل بن مهلايل بن عوص
عمر بن طرف بن حسان بن اذينة بن السميدع بن ايلة بن هومر
السميدع
اميم
سنان بن الاشل بن عبيد بن عوبل
قطور بن كركر
جاسم
الازرق
راحل
بديل
غفار
الارقم
مطر
سعد بن هزال

سنين ، ثم ملك بدعيل بن بدعات وبني حصونا وخلّف آثارا ، ثم ملك بديع ذو عيل ، ثم ملك حماد بن بدعيل بحضرموت فأنشأ حصنه المعقرب وغزا فارس في عهد سابور ذي الأكتاف وخرّب وسبى ودام ملكه ثمانين سنة وكان أوّل من اتخذ الحجاب من ملوكهم . ثم ملك يَشْرَح ذو المُلْك بن ودب بن ذي حمَّاد بن عاد من بلاد حضرموت مائة سنة وكان أول من رتب الرواتب وأقام الحرس والروابط . ثم ملك مُنْعِمُ بن ذي الملك دثّار بن جُذيمة بن منعم ، ثم يشرح بن جذيمة بن منعم ، ثم نمر بن بشرح ، ثم ساجن المسمى ابن نمر وفي أيامه تغلبت الحبشة على اليمن .

هذه قبائل هذا الجيل من العرب العاربة وما كانوا عليه من الكثرة والملك إلى أن انقرضوا وأزال الله من أمرهم بالقحطانيّة كما نحن ذاكروه . ولم نغفل منهم إلاّ من لم يصلنا ذكره من خيره والله وارث الأرض ومن عليها .

وأما جُرْهُم فقال ابن سعيد : إنهم أمّتان أُمّة على عهد عاد وأمّة من وُلد جُرْهُم بن قحطان ، ولما ملك يَعْرُبُ بن قحطان اليمن ملك أخوه جُرْهُم الحجاز . ثم ملك من بعده ابنه عبد يا ليل ، ثم بعده ابنه عبد المدان بن جُرْهُم ، ثم ابنه نفيلة بن عبد المدان ، ثم ابنه عبد المسيح بن نفيلة ، ثم ابنه مضاض بن عبد المسيح ، ثم ابنه الحرس . ثم ملك من بعده جُرْهُم بن عبد ياليل ، ثم بعده ابنه عَمْرو بن الحرث ، ثم أخوه بشير بن الحرث ، ثم مضاض بن عمرو بن مضاض . قال وهذه الأمّة الثانية هم الذين بُعِثَ إليهم اسمعيل عليه السلام وتزوج فيهم ، انتهى .

سام

بن ارفخشذ بن شالخ بن عابر بن

بن يقطن بن حضرموت بن يرام بن ريعة بن الاشنب بن عمرو بن الازج بن نمر بن كراب ذي كراب بن كريب ذي مروان بن مرثد ذي قيفان

ب ج ه

[illegible]

بن ذي الملك بن منعم بن جذيعة بن ثاران بن يشرح بن غر بن ساجن

يج يد يه يو يز

قحطان بن جرهم بن عبد ياليل بن جرهم بن عبد المدان بن بقيلة بن عبد المسيح بن مضاض بن الحارث بن عمرو بن مضاض

ب ج د ه و ز ح ط ي يا

يعرب

عاد

الصدف بن حضرموت

وأما بنو سبا بن يقطن فلم يبيدوا ، وكان لهم بعد تلك الأجيال البائدة أجيال باليمن منهم حِمْيَر وكَهْلان وملوك التبابعة وهم أهل الطبقة الثانية . وفي مسند الإمام أحمد : أنّ رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل هو فروة بن مسيك المرادي عن سبا أرجل هو أو امرأة أم أرض ؟ فقال بل رجل ولد عشرة فسكن اليمن منهم ستة والشام أربعة . فأمّا اليمانيّون فمذ حج وكندة والأزد والأشعر وأنمار وحِمْيَر . وأما الشاميّون فلخم وجذام وعاملة وغسّان . وثبت أن أباهم قحطان كان يتكلم بالعربية ولقنها عن الأجيال قبله فكانت لغة بنيه ولذلك سمّوا العرب المستعربة ولم يكن في آباء قحطان من لدن نوح عليه السلام إليه من يتكلم بالعربية ، وكذلك كان أخوه فالغ ، وبنوه إنما يتكلمون بالعجمية ، إلى أن جاء اسمعيل بن ابراهيم صلوات الله عليهما فتعلم العربية من جُرْهُم فكانت لغة بنيه وهم أهل الطبقة الثالثة المسمّون بالعرب التابعة للعرب . فلنذكر هذا النسب لينتظم أجياله مع الأجيال السابقة واللاحقة ونستوفي أنساب الأمم منها .

الخبر عن ابراهيم أبي الأنبياء عليهم السلام ونسبه الى فالغ بن عابر وذكر أولاده صلوات الله عليهم وأحوالهم

ولنذكر الآن أهل هذا النسب ما بين إسمعيل ونوح عليهما السلام ومن كان منهم ، أو من إخوانهم أوْ أبنائهم من الأنبياء والشعوب والملوك وما كان لإسمعيل صلوات الله عليه من الولد . ونختم هذه الطبقة الأولى بذكرهم ، وان كانوا عجماً في لغاتهم ، إلاّ أنهم أصون الخليقة في أنسابهم ، وكل البشر على بعض الآراء من أعقابهم ، وهم مع ذلك معاصرون لهذه الطبقة ، فيتسق الكلام فيهم على شرط كتابنا ، ويتميز بذكر أخبارهم أحوالُ الطبقات التي بعدهم على الوفاءِ والكمال .

فنبدأ أولا بذكر عَمُود هذا النسب على التوالي ، ثم نرجع إلى أخبارهم . وإسمعيل صلوات الله عليه هو ابن ابراهيم بن آزَر وهو تارح وآزر اسمٌ لصنمه لُقِّب به ابن ناحور بن ساروخ بالخاء أو بالغين ابن عابر أو عنْبَر بن شالح أو شليخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح . وهذه الأسماء الأعجميّة كلها منقولة من التوراة ، ولغتها عبرانية ، ومخارج حروفها في الغالب مغايرة لمخارج الحروف العربية . وقد يجيء الحرف منها بين

حرفين من العربيّة ، فترده العرب الى أحد ذينك الحرفين وفي مخرجه ، فيتغير عن أصله ، ولذلك تكون فيها إمالة متسوطة أو محضة ، فيصير الى حرف العلّة الذي بعده من ياء أو واو ، فلذلك تنقل الكلمة منها على اختلاف ، وإلا فشأن الأعلام أن لا تختلف . وقال الطبريٌّ : إن بين شالخ وأرفخشذ أبا آخر اسمه قَيْنَنَ ، وسقط ذكره من التوراة لأنه كان ساحرا وادّعى الألوهية . وقال ابن حزم : في كتب النصارى أنّ بين فالغ وعابر أبا آخر اسمه ملكيصدق وهو أبو فالغ .

واعلم أن نوحا صلوات الله عليه بلغ عمره يوم الطوفان ستمائة سنة ، وعاش بعد الطوفان ثلثمائة وخمسين سنة ، فكانت جملة ذلك تسعمائة وخمسين سنة ، ألف سنة إلا خمسين وهذا نص المصحف الكريم ، وكذا وقع في التوراة بعينه . ومن الغريب الواقع في التوراة أنّ عُمَرَ إبراهيم كان يوم وفاة نوح ثلاثا وخمسين سنة ، لأنه قال إنّ أرفخشذ ولد لسام بعد سنتين من الطوفان ، ولما بلغ خمسا وثلاثين سنة ولد له ابنه شالخ ، وبعد ثلاثين سنة ولد ابنه عابر ، وبلغ عابر أربعا وثلاثين سنة فولد ابنه فالغ ، وبلغ فالغ ثلاثين سنة فولد له أرغو ، وبلغ أرغو اثنتين وثلاثين سنة فولد شاروغ ، وبلغ شاروغ ثلاثين سنة فولد ناحور ، وبلغ ناحور تسعا وعشرين سنة فولد تارح ، وبلغ تارح خمسا وسبعين سنة فولد ابراهيم ، وجملة هذه السنين من الطوفان إلى ولادة إبراهيم مائتان وسبع وتسعون سنة ، وعُمْر نوح بعد الطوفان ثلثمائة وخمسون سنة ، فيكون إبراهيم بعد وفاة نوح ابن ثلاث وخمسين سنة ، فيكون لقي نوحا صلوات الله عليهما وخالطه وأخذ عنه ، وهو على رأي بعضهم أب لجميع الشعوب من بعده ، فلذلك كان الأب الثالث للخليقة من بعد آدم ونوح صلوات الله عليهم أجمعين اهـ .

وفي كتاب البدء ونقله ابن سعيد : أنّ أوّل من ملك الأرض من ولد نوح ، كنعان بن كوش بن حام ، فسار من أرض كنعان بالشام الى أرض بابل ، فبنى مدينة بابل إثني عشر فرسخا في مثلها ، وورث ملكه ابنه النمرود بن كنعان ، وعظم سلطانه في الأرض ، وطال عمره ، وغلب على أكثر المعمور ، وأخذ بدين الصابئة ، وخالفه الكلدانيون منهم في التوحيد وأسمائه ، ومال معهم بنو سام ، وكان سام قد نزل بشرقيّ الدجلة ، وكان وصيٌّ أبيه في الدين والتوحيد ، وورث ذلك ابنه أرفخشذ ، ومعنى أرفخشذ مصباح مضيء ، فاشتغل بالعبادة ودعاه الكلدانيون الى القيام بالتوحيد

فامتنع . ثم قام من بعده ابنه شالخ وعاش طويلا وقام من بعده بأمره ابنه عابر كذلك وخرج مع الكلدانيين على النمروذ منكراً لعبادة الهياكل ، فغلبه نمروذ وأخرجه من كوثا ، فلحق هو ومن معه من الحلفاء بالجزيرة وهي مدينة المَجْدَل بين الفرات ودجلة . وعابر هذا هو أبو العبرانيين الذين تكلموا بالعبرانية ، واستفحل ملكه بالمَجْدَل . قال ابن سعيد وورث من بعده ابنه فالغ وهو الذي قسّم الأرض بين ولد نوح ، وفي زمانه بنى النمروذ الصرح ببابل[1] وكان من أمره ما نصّه القرآن ، وقام بأمر فالغ من بعده ابنه ملكان فيما زعموا وغلبه الجرامقة والنبط على ملكه ، وقام بالمجدل في ملكهم إلى أن هلك وخلف ابنه أتيا ويقال له الخِضْر . وأما أرغو بن فالغ فعبر الى كلواذا ودخل في دين النبط ، وهي بدعة الصابئة وولد له منهم ابنه شاروخ ، ثم بعده ناحور بن شاروخ ، ثم بعد تارح بن ناحور الذي سُمّيَ آزر ، واستخلص النمروذ آزر وقدمه على بيت الأصنام ، والنمروذ من ملوك الجرامقة وإسمه هاصد بن كوش ، انتهى كلام ابن سعيد .

وولد لتارح وهو آزر على ما وقع في التوراة ثلاثة من الولد إبراهيم وناحور وهاران ، ومات هاران في حياة أبيه تارح ، وترك ابنه لوطا فهو ابن أخي إبراهيم . قال الطبري : ولد إبراهيم الخليل قيل بناحية كوثا من السواد وهو قول ابن إسحق ، وقيل بحرّان ، وقيل ببابل . وعامة السلف انه ولد على عهد نمروذ بن كنعان بن كوش بن سام . وكان الكهان يتحدّثون بولادة رجل يخالف الدين ، ويكسر الأصنام والأوثان ، فأمر بذبح الولدان ، فولدته أمه وتركته بمغارة في فلاة من الأرض حتى كبر وشب ، ورأى في الكواكب ما رآه ، وكَمُلت نبوّته ، فأحضرته إلى أبيه ودعاه إلى التوحيد ، فامتنع وكسر إبراهيم الأصنام ، وأحضر عند نمروذ وقذفه في النار ، فصارت بردا وسلاما ، وخرج منها ولم تعد عليه كما نصَّ ذلك القرآن . ثم تدبر النمروذ في أمره ، وطلب من إبراهيم أن يقرّب قربانا يفتدي مما دعاه إليه ، فقال له إبراهيم : لن يقبل منك إلاّ الايمان ، فقال : لا أستطيع ، وترك إبراهيم وشأنه .

ثم أمر الله إبراهيم بالخروج من أرض الكلدانيين ببابل فخرج به أبوه تارح ومعهما على ما في التوراة إبنه ناحور بن تارح ، وزوجته ملكا بنت أخيه هاران ، وحافده لوط بن

---

(١) يقال ان الصرح سبعة الاف درجة ويقال ثلاثة الاف وشيء وجعل يرمي في السماء فيرجع نبله اليه مختضباً .. (البدء والتاريخ ج ٣ ص ٥٦) .

هاران ، قال في التوراة وكنته سارة يعني زوج ابراهيم ، فقيل انها أخت ملكا بنت هاران بن تارح ، وقيل بنت ملك حران ، طعنت على قومها في الدين ، فتزوجها إبراهيم على أن لا يضرها . ويردّ هذا ما في التوراة انها خرجت معهم من أرض الكلدانيين إلى حرّان ، فتزوجها ، وقيل انها بنت هاران بن ناحور وهاران عم إبراهيم ، قاله السهيلي ، فأقاموا بحرّان ومات بها أبوه تارح وعمره مائتا سنة وخمس سنين ، ثم أمر بالخروج إلى أرض الكنعانيين ، ووعده الله بأن تكون أثراً لبنيه ، وأنهم يكثرون مثل حصى الأرض . فنزل بمكان بيت المقدس وهو ابن خمس وسبعين سنة ، ثم أصاب بلد الكنعانيين مجاعة ، فخرج إبراهيم في أهل بيته وقدم مصر ، ووصف لفرعون ملك القِبْط جمال امرأته سارة فأحضرها عنده ، ولما همّ بها يبست يده على صدره ، فطلب منها الإقالة فدعت له الله فانطلقت يده . ويقال عاود ذلك ثلاثا يصاب في كلها وتدعو له فردّهـ إلى إبراهيم ، واستخدمها هاجر.[1] قال الطبريُّ والملك الذي أراد سارة هو سنان بن علوان وهو أخو الضحاك ، والظاهر أنه من ملوك القِبْط .

ثم ساروا إلى أرض كنعان بالشام ، ويقال أنَّ هاجر أهداها ملك الأردن لسارة ، وكان إسمه فيما قال الضبيُّ صلاوق ، وأنه انتزع سارة من إبراهيم ، ولما همّ بها صرع مكانه وسألها في الدعاء ، فدعت له فأفاق فردّها إلى إبراهيم ، وأخدمها هاجر أمة كانت لبعض ملوك القِبْط . ولما عاد إبراهيم إلى أرض كنعان ، نزل جيرون وهو مدفنه المسمى بالخليل ، وكانت معظمة تعظمها الصابئة ، وتسكب عليها الزيت للقربان ، وتزعم أنها هيكل المُشْتَري والزُهْرَة ، فسمّاها العبرانيون إيليّا ومعناه بيت الله .

ثم أنّ لوطا فارق إبراهيم عليه السلام لكثرة مواشيهما وتابعهما وضيق المرعى ، فنزل المؤتفكة بناحية فلسطين وهي بلاد العدور المعروف بعدور صقر ، وكانت هناك على ما

---

(١) ويروي الطبري هذه الحادثة في ج ١ ص ١٣٥ : (وكانت سارة من أحسن الناس فيما يقال فكانت لا تعصي ابراهيم شيئا وبذلك أكرمها الله عزّ وجل فلما وصف لفرعون ووصف له حسنها وجمالها ارسل الى ابراهيم فقال : ما هذه المرأة التي معك ؟ قال : هي أختي وتخوف إبراهيم ان قال هي امرأتي ان يقتله عنها . فقال لإبراهيم : زينها ثم ارسلها اليّ حتى انظر اليها ، فرجع ابراهيم الى سارة وأمرها فتهيأت ثم ارسلها اليه ، فأقبلت حتى دخلت عليه ، فلما قعدت اليه تناولها بيده فيبست الى صدره . فلما رأى ذلك فرعون أعظم أمرها وقال : ادعي الله ان يطلق عني فوالله لا اريك مكروها ولأحسنن اليك . فقالت : اللهم إن كان صادقا فاطلق يده ، فردها الى إبراهيم ووهب لها هاجر جارية كانت له قبطية) . وفي كتاب البدء والتاريخ ج ٣ — ص ٥٢ ما شابه ذلك .

نقله المحقّقون خمس قرى سدُوم . ووجدهم على ارتكاب الفواحش ، فدعاهم الى الدين ، ونهاهم عن المخالفة ، فكذّبوه وعتوا ، وأقام فيهم داعيا إلى الله إلى أن هلكوا كما قصَّه القرآن . وخرج لوط مع عساكر كنعان وفلسطين للقاء ملوك الشرق حين زحفوا إلى أرض الشام ، وكانوا أربعة ملوك ملك الأهواز من بني غليم بن سام واسمه كَرْزِلاً عامر ، وملك بابل واسمه في التوراة شنْعًا واسمه أمّراقيل ويقال هو نمروذ ، وملك الاستار وما أدري معنى هذه اللفظة واسمه أرْيُوح ، وملك كوتم ومعناه ملك أمم أو جماعة واسمه تزعال . وكان ملوك كنعان الذين خرجوا إليهم خمسة على عدد القرى الخمسة ، وذلك أن ملك الأهواز كان استعبدهم اثنتي عشرة سنة ، ثم عَصَوا فزحف إليهم واستجاش بالملوك المذكورين معه ، فأصابوا من أهل جبال يَسْعِين إلى فاران التي في البرية وكان بها يومئذ الجويون من شعوب كنعان أيضا . وخرج ملك سدوم وأصحابه لمدافعتهم فانهزم هو والملوك الذين معه من أهل سدُوم ، وسباهم ملك الأهواز ومن معه من الملوك ، وأسروا لوطا وسبوا أهله وغنموا ماشيته . وبلغ الخبر إبراهيم عليه السلام فاتّبعهم في ولده ومواليه نحواً من ثلثمائة وثمانية عشر ، ولحقهم بظاهر دمشق فدهمهم ، فانفضوا وخلص لوطا في تلك الوقعة ، وجاء بأهله ومواشيه وتلقاهم ملك سدوم واستعظم فعلتهم .

ثم أوحى الله إلى إبراهيم أنّ هذه الأرض أرض الكنعانيّين التي أنت بها ، ملّكتها لك ولذرّيتك وأكثرهم مثل حصى الأرض ، وأن ذريتك يسكنون في أرض ليست لهم أربعمائة سنة ويرجع الحقب الرابع الى هنا .

ثم إن سارة وهبت مملوكتها هاجر القبطية لإبراهيم عليه السلام لعشر سنين من مجيئهم من مصر ، وقالت لعل الله يرزقك منها ولدا . وكان إبراهيم قد سأل الله أن يهب له ولداً فوعده به . وكانت سارة قد كبرت وعقمت عن الوُلْد ، فولدت هاجر لإبراهيم إسمعيل عليهما السلام لست وثمانين من عمره ، وأوحى الله إليه أني قد باركت عليه وكثرته ويولد له اثنا عشر ولدا ، ويكون رئيساً لشعب عظيم . وأدركت سارة الغيرة من هاجر وطلبت منه إخراجها ، وأمره الله أن يطيع سارة في أمرها ، فهاجر بها إلى مكة ووضعها وابنها بمكان زَمْزَم عند دَوْحَةٍ هنالك وانطلق . فقالت له هاجر : آلله أمرك ؟ قال : نعم . فقالت : اذاً لا يضيعنا . وانطلق إبراهيم وعطش إسمعيل بعد ذلك عطشا شديداً ، وأقامت هاجر تتردّد بين الصفا والمروة ، إلى أن صعدت عليها

سبع مرات لعلها تجد شيئاً ، ثم أتته وهو يفحص برجليه فنبعت زَمْزم .
وعن السدّي : أنه تركه في مكان الحجر ، واتخذ فيه عريشاً ، وأن جبريل هو الذي همز له الماء بعقبه ، وأخبر هاجر أنها عين يشرب بها ضيفان الله ، وأنّ أبا هذا الغلام سيجيء ويبنيان بيتاً لله هذا مكانه . ثم مرّت رفقة من جُرْهُم أو أهل بيت من جُرْهُم أقبلوا من كداء ، ونزلوا أسفل مكة ، فرأوا الطير حائمة ، فقالوا : لا نعلم بهذا الوادي ماء ، ثم أشرفوا فرأوا المرأة ونزلوا معها هنالك .
وعن ابن عبَّاس : كانت أحياؤها قريبا من ذلك المكان ، فلما رأوا الطير تحوم عليه ، أقبلوا اليه فوجدوهما ، فنزلوا معها حتى كان بها أهل أبيات منهم ، وشبَّ إسمعيل بينهم ، وتعلم اللغة العربية منهم ، وأعجبهم وزوّجوه امرأة منهم ، وماتت أمه هاجر فدفنها في الحجر . ولما رجع إبراهيم وأقام في أهله بالشام ، وبالغ أهل المؤتفكة في العصيان والفاحشة ، ودعاهم لوط فكذّبوه وأقام على ذلك . قال الطبريّ : فأرسل الله رسولا من الملائكة لاهلاكهم ، ومرّوا بإبراهيم فأضافهم وخدمهم ، وكان من ضحك سارة وبشارة الملائكة لها باسحق وابنه يعقوب ما قصَّه القرآن ، وكانت البشارة بإسحق وإبراهيم ابن مائة سنة وسارة بنت تسعين . وفي التوراة إنه أمر أن يحرّر ولده اسمعيل لثلاث عشرة سنة من عمره ، وكل من في بيته من الأحرار فكان ذلك لتسع وتسعين من عمر إبراهيم ، وقال له ذلك عهد بيني وبينك وذريتك . ثم أهلك الله المؤتفكة ونجى لوطاً إلى أرض الشام ، فكان بها مع عمه إبراهيم صلوات الله عليهما . وولدت سارة إسحق ، وأمر الله إبراهيم بعد ولادة اسمعيل وإسحق ببناء بيت يعبد فيه ويذكر ، ولم يعرف مكانه فجعل له علامة تسير معه حتى وقفت به على الموضع ، يقال انها ريح لينة لها رأسان تسير معه حتى تكون بالموضع ، ويقال بل بعث معه جبريل لذلك حتى أراه الموضع . وكان إبراهيم يعتاد إسمعيل لزيارته ، ويقال انه كان يستأذن سارة في ذلك ، وأنها شرطت عليه أن لا يقيم عندهم ، وأنّ إبراهيم وجد امرأة لاسمعيل في غيبة منه وكانت من العماليق ، وهي عمارة بنت سعيد بن أسامة بن أكيل ، فرآها فظة غليظة فأوصاها لإسمعيل بان يحوّل عتبة بابه ، فلما قصت عليه الخبر والوصيّة قال ذلك أبي يأمرني أن أطلقك فطلقها . وتزوّج بعدها السيدة بنت مضّاض بن عمرو الجُرهمي ، وخالفه إبراهيم إلى بيته فتسهلت له بالإذن وأحسنت التحية وقرّبت الوضوء والطعام ، فأوصاها لإسمعيل بأني قد رضيت

عتبة بابك، ولما قصّت عليه الوصية قال ذلك أبي يأمرني بإمساكك فأمسكها. ثم جاء إبراهيم مرة ثالثة وقد أمره الله ببناء البيت وأمر اسمعيل باعانته ، فرفعوها من القواعد وتمّ بناؤها ، وأذن في الناس بالحج .

ثم زوّج لوط ابنته من مَدْيَن بن ابراهيم عليهما السلام ، وجعل الله في نسلها البركة ، فكان منه أهل مَدْيَن الأمّة المعروفة .

ثم ابتلى الله ابراهيم بذبح إبنه في رؤيا رآها وهي وَحْي ، وكانت الفدية ونجّى الله ذلك الولد كما قُصَّ في القرآن . واختلف في ذلك الذبيح من ولديه فقيل إسمعيل وقيل إسحق ، وذهب إلى كلا القولين جماعة من الصحابة والتابعين ، فالقول بإسمعيل لابن عبّاس وابن عمر والشعبي ومجاهد والحسن ومحمد بن كعب القرظي وقد يحتجون له بقوله صلى الله عليه وسلم : «أنا ابن الذبيحين» ، ولا تقوى الحجة به لأنّ عمّ الرجل قد يجعل أباه يضرب من التجوز لاسيما في مثل هذا الفخر . ويحتجّون أيضا بقوله تعالى : «فبشرناها بإسحق ومن وراء إسحق يعقوب » ، ولو كان ذبيحا في زمن الصبا ، لم تصح البشارة بابن يكون له لأنّ الذبح في الصبا ينافي وجود الولد ، ولا تقوم من ذلك حجة ، لأنّ البشارة انما وقعت على وفق العلم بأنه لا يذبح وإنّما كان ابتلاء لابراهيم ، والقول بإسحق للعبّاس وعمرو وعليّ وابن مسعود وكعب الأحبار وزيد بن أسلم ومسروق وعكرمة وسعيد بن جبير وعطا والزهري ومكحول والسدّي وقتادة .

وقال الطبريّ : والراجح أنه إسحق لأن نصّ القرآن يقتضي أن الذبيح هو المبشّر به ، ولم يبشّر إبراهيم بولد إلا من زوجته سارة ، مع أنّ البشارة وقعت إجابة لدعائه عند مهاجره من أرض بابل . وقوله إنّي ذاهب إلى ربّي سيهدين ، ثم قال عقبة : ربِّ هَبْ لي من الصالحين ، ثم قال عقبة فبشّرناه بغلام حليم . وذلك كله كان قبل هاجر ، لأن هاجر إنما ملكتها سارة بمصر ، وملّكتها لإبراهيم بعد ذلك بعشر سنين ، فالمبشّر به قبل ذلك كله إنّما هو ابن سارة ، فهو الذبيح بهذه الدلالة القاطعة . وبشارة الملائكة لسارة بعد ذلك حين كانوا ضيوفا عند إبراهيم في مسيرهم لإهلاك سدوم ، إنّما كان تجديداً للبشارة المتقدّمة اهـ .

ثم توفيت سارة لمائة وسبع وعشرين من عمرها ، وذلك في قرية جيرون[1] من بلاد بني حبيب الكنعانيين ، فطلب إبراهيم منهم مقبرة لها ، فوهبه عفرون بن صخر مغارة كانت في مزرعته ، فامتنع من قبولها إلا بالثمن ، فأجاب إلى ذلك ، وأعطاه إبراهيم أربعمائة مثقال فضة ودفن فيها سارة . وتزوّج إبراهيم من بعدها قطورا بنت يقطان من الكنعانيين . وقال السهيلي قنطورا بزيادة نون بين القاف والطاء ، وهذا الإسم أعجمي وطاؤه قريبة من التاء ، فولدت له كما هو مذكور في التوراة ستة من الوُلْد وهم : زمران يقشان مُدان مدين أشبق شوخ . ثم وقع في التوراة ذكر أولادهم فولد يقشان سبا ودذّان ، وولد دذّان أشور ثم ولطوسيح ولاميم . وولد مَدْيَن عَيْفا وعَيْفين وحنوخ وأفيداع وألزاعا هذا آخر ولده من قنطورا في التوراة . وقال السهيلي : كان لإبراهيم عليه السلام أولاد آخرون خمسة من امرأة اسمها حُجَيْن أو حجّون بنت أهيب ، وهم كبسان وفرُّوخ وأميم ولوطان ونافس . ولما ذكر الطبري بني قنطورا الستة وسمّى منهم يقشان ، قال بعده : وسائرهم من الأخرى وهي رَعْوَة . ثم قال : ومن يَقْشَان جيل البربر اهـ . فولد إبراهيم على هذا ثلاثة عشر : فإسمعيل من هاجر ، وإسحق من سارة ، وستة من قنطورا كما ذكر في التوراة ، والخمسة بنو حُجَيْن عند السهيلي ، أو رَعْوَة عند الطبريّ .

وكان إبراهيم عليه السلام قد عهد لإبنه إسحق أن لا يتزوّج في الكنعانيين ، وأكّد العهد والوصيّة بذلك لمولاه القائم على أموره ، ثم بعثه إلى حرّان مهاجرهم الأول ، فخطب من ابن أخيه بتويل بن ناحور بن آزر بنته رفقا فزوّجها أبوها واحتملها ومن معها من الجواري وجاء بها إلى إسحق في حياة أبيه وعمره يومئذ أربعون سنة فتزوّجها ، وولدت له يعقوب وعيصو توأمين وسنذكر خبرهما . ثم قبض الله نبيّه إبراهيم صلوات الله عليه بمكان هُجْرته من أرض كنعان وهو ابن مائة وخمس وسبعين سنة ، ودفن مع سارة في مغارة عفرون الحبيبي ، وعُرف بالخليل لهذا العهد ، ثم جعل الله في ذريته النبوّة والكتاب آخر الدهر .

---

(١) جيرون : بالفتح ، قال ابن الفقيه : ومن بنائهم جيرون عند باب دمشق من بناء سليمان بن داوود عليه السلام . ويقال إنَّ الشياطين بنته ، وهي سقيفة مستطيلة على عمد وسقائف وحولها مدينة تطيف بها ، قال : واسم الشيطان الذي بناه جيرون فسُمّي به ... (معجم البلدان) وربما المقصود جبرون كما في التوراة .

فإسمعيل سكن مع جُرْهُم بمكة وتزوّج فيهم وتعلم لغتهم وتكلم بها وصار أبا لمن بعده من أجيال العرب ، وبعثه الله إلى جُرْهُم والعمالقة الذين كانوا بمكة ، وإلى أهل اليمن فآمن بعض وكفر بعض . ثم قبضه الله إليه وخلّف ولده بين جُرْهُم ، وكانوا على ما ذكر في التوراة اثنتي عشر أكبرهم بنايوت وهو الذي تقوله العرب نابت ونَبْت ، ثم قيذار وأدبيل وبسام ومشمع وذوما ومسار وحرّاه وقيما وبطور ونافس وقدما . قال ابن إسحق : وعاش فيما ذكر مائة وثلاثين سنة ، ودفن في الحجر مع أمه هاجر ، ويقال آجر . وفي التوراة أنّه قبض ابن مائة وسبع وثلاثين سنة ، وأنّ شيعته سكنوا من حَويلا إلى شور قُبالة مِصْرَ من مدخل أثور ، وسكنوا على حذر شيع اخوته . وحويلا عند أهل التوراة هي جنوب برقة والواو منها قريبة من الياء ، وشور هي أرض الحجاز ، وأثور بلاد الموصل والجزيرة . ثم وليَ أمر البيت من بعد إسمعيل ابنه نابت ، وأقام ولده بمكة مع أخوالهم جُرْهُم حتى تشعبوا وكثر نسلهم وتعدّدت بطونهم من عدنان في عِداد معد ، ثم بطون مَعَدٍّ في ربيعة ومضر وإياد وأنمار بني نزار بن مَعَد ، فضاقت بهم مكة ، على ما نذكره عند ذكر قريش وأخبار ملكهم بمكة ، فكانت بطون عدنان هذه كلها من ولد إسمعيل لابنه نابت ، وقيل لقَيْذار ، ولم يذكر النسّابون نسلاً من ولده الآخرين ، وتشعبت من إسمعيل أيضاً عند جماعة من أهل العلم بالنَسَب بطونُ قحطان كلها فيكون على هذا أبا لجميع العرب بعده .

وأمّا إسحق فأقام بمكانه من فلسطين ، وعمّر وعمي بعد الكثير من عمره وبارك على ولده يعقوب فغضب بذلك أخوه عيصو ، وهمَّ بقتله فأشارت عليه رفقا بنت بَتْويل بالسير الى حرَّان عند خاله لابانِ بن بتويل ، فأقام عنده وزوّجه بنتيه ، فزوجه أولا الكبرى واسمها ليًا وأخدمها جاريتها زُلْفة ، ثم من بعدها أختها الصغرى واسمها راحيل وأخدمها جاريتها بلها . وأوّل من ولد منهنّ ليًا ولدت له رويبل ، ثم شمعون ، ثم لاوي ، ثم يهوذا . وكانت راحيل لا تحبَل فوهبت جاريتها بَلْها ليعقوب لتلد منه ، فولدت له دان ثم نفتالي . ولما فعلت ذلك راحيل وهبت أختها ليا ليعقوب عليه السلام جاريتها زلفة فولدت له كادو وآشر ، ثم ولدت ليًا من بعد ذلك يساخر ، ثم زبولون ، فكمل له بذلك عشرة من الولد . ثم دعت راحيل الله عزّ وجل أن يهب لها ولدا من يعقوب فولدت يوسف ، وقد كملت له بحرَّان عشرون سنة ، ثم أمر بالرحيل إلى أرض كنعان التي وعدوا بملكها . فارتحل وخرج لابانِ في اتباعه وعزم له في المقام

عنده ، فأبى فودَّعه وانصرف إلى حران وسار يعقوب لوجهه حتى اذا قرب من بلد عبصو ، وهو جبل يسعين بأرض الكرك والشوبك لهذا العهد ، إعترضه عيصو لتلقّيه وكرامته ، فأهدى إليه يعقوب من ماشيته هديّة احتفل فيها وتودّد إليه بالخضوع والتضرُّع ، فذهب ما كان عند عيصو وأوحى الله إليه بأن يكون إسمه إسرائيل ، ومرّ على أرشاليم وهي بيت المقدس فاشترى هنالك مزرعة ضرب فيها فسطاطه وأمر ببناء مرجح سماه إيل في مكان الصخرة . ثم حملت راحيل هنالك فولدت له بنيامين ، وماتت من نفاسه ودفنها في بيت لحم . ثم جاء إلى أبيه إسحق بقرية جيرون من أرض كنعان فأقام عنده .

ومات إسحق عليه السلام لمائة وثمانين سنة من عمره ودفن مع أبيه في المغارة ، وأقام يعقوب بمكانه وولده عنده ، وشب يوسف عليه السلام على غير حالهم من كرامة الله به ، وقصَّ عليهم رؤياه التي بَشَّر الله فيها بأمره فغصوا به وخرجوا معه الى الصيد ، فألقوه في الجبِّ واستخرجه السيَّارة الذين مرُّوا به بعد ذلك وباعوه للعرب بعشرين مِثقالاً ، ويقال إنّ الذي تولّى بيعه هو مالك بن دَعَر بن واين بن عيفا بن مدين . واشتراه من العرب عزيز مصر وهو وزيرها أو صاحب شرطتها . قال ابن إسحق واسمه أطفير بن رجيب وقيل قوطفير . وكان ملكها يومئذ من العماليق ، الريَّان بن الوليد بن دُومغ ، وربي يوسف عليه السلام في بيت العزيز فكان من شأنه مع امرأته زليخا ، ومكثه في السجن ، وتعبيره الرؤيا للمحبوسين من أصحاب الملك ما هو مذكور في الكتاب الكريم . ثم استعمله ملك مصر عندما خشي السَّنة [1] والغلاء على خزائن الزرع في سائر مملكته يقدر جمعها وتصريف الأرزاق منها وأطلق يده بذلك في جميع أعماله ، وألبسه خاتمه وحمله على مركبه ، ويوسف لذلك العهد ابن ثلاثين سنة . فقيل عزل أطفير العزيز وولاه ، وقيل بل مات أطفير فتزوّج زليخا وتولّى عمله وكان ذلك سبباً لانتظام شمله بأبيه واخوته لما أصابتهم السنة بأرض كنعان وجاء بعضهم للميرة ، وكال لهم يوسف عليه السلام ، وردّ عليهم بضاعتهم وطالبهم بحضور أخيهم فكان ذلك كله سببا لاجتماعه بأبيه يعقوب بعد أن كبر وعمي .

قال ابن اسحق : كان ذلك لعشرين سنة من مغيبه ، ولما وصل يعقوب إلى بلبيس قريباً من مصر ، خرج يوسف ليلقاه ، ويقال خرج فرعون معه ، وأطلق لهم أرض

(١) سنت الارض : صارت سنيناً أي اكل نباتها (قاموس) .

بلبيس يسكنون بها وينتفعون . وكان وصول يعقوب صلوات الله عليه في سبعين راكباً من بنيه ، ومعه أيوب[1] النبيّ من بني عيصو ، وهو أيوب بن برحما بن زبرج بن رعويل بن عيصو ، واستقرّوا جميعا بمصر ثم قُبِضَ يعقوب صلوات الله عليه لسبع عشرة سنة من مقدمه ولمائة وأربعين من عمره ، وحمله يوسف صلوات الله عليه إلى أرض فلسطين ، وخرج معه أكابر مصر وشيوخها بإذن من فرعون . واعترضهم بعض الكنعانيّين في طريقهم ، فأوقعوا بهم ، وانتهوا إلى مدفن إبراهيم وإسحق عليهما السلام فدفنوه في المغارة عندهما ، وانتقلوا الى مصر ، وأقام يوسف صلوات الله عليه بعد موت أبيه ومعه إخوته إلى أن أدركته الوفاة فقُبِضَ لمائة وعشرين سنة من عمره ، وأدرج في تابوت وختم عليه ، ودفن في بعض مجاري النيل . وكان يوسف أوصى أن يحمل عند خروج بني اسرائيل إلى أرض اليَفَاع ، فيدفن هنالك ولم تزل وصيته محفوظة عندهم إلى أن حمله موسى صلوات الله عليه عند خروجه ببني اسرائيل من مصر .

ولما قُبِضَ يوسف صلوات الله عليه ، وبقي من بقي من الأسْباط اخوته وبنيه تحت سلطان الفراعنة بمصر ، تشعَّب نسلهم ، وتعدَّدوا إلى أن كاثروا أهل الدولة وارتابوا بهم فاستعبدوهم . قال المسعودي : دخل يعقوب إلى مصر مع ولده الأسباط وأولادهم حين أتوا إلى يوسف في سبعين راكبا ، وكان مُقَامُهُم بمصر إلى أن خرجوا مع موسى صلوات الله عليه نحواً من مائتين وعشر سنين ، فتداولهم ملوك القِبْط والعمالقة بمصر ، ثم أحصاهم موسى في التّيْه ، وعدّ من يطيق حمل السلاح من ابن عشرين فما فوقها ، فكانوا ستمائة ألف ويزيدون . وقد ذكرنا ما في هذا العدد من الوَهْم والغلوّ في مقدّمة الكتاب ، فلا نطوِّلَ به . ووقوعه في نصِّ التوراة لا يقضي بتحقيق هذا العدد لأنّ المقام للمبالغة ، فلا تكون اعداده نصوصا . وكان ليوسف صلوات الله عليه من الوُلْد كثير ، إلاّ أنّ المعروف منهم إثنان أفرائيم ومَنْشى[2] وهما معدودان في الأسباط ، لأنّ يعقوب صلوات الله عليه أدركهما وبارك عليهما وجعلهما من جملة ولده ، وقد يزعم بعض من لا تحقيق عنده أنّ يوسف صلوات الله عليه إستقلّ آخرا بملك مصر . وينسب لبعض ضعفة المفسِّرين ومعتمدهم في ذلك قول

---

(١) هو ايوب بن موص بن رازح بن عيص ، كذا في كتب التفسير ، قاله نصر .
(٢) ورد ذكره في التوراة : منس .

يوسف عليه السلام في دعائه : رب قد آتيتني من المُلْك . ولا دليل لهم في ذلك لأنّ كل من مَلِك شيئا ولو في خاصة نفسه فاستيلاؤه يُسمى مُلْكاً حتى البيت والفَرَس والخادم ،فكيف من مَلَكَ التصرُّف ولو كان في شعب واحد منها فهو ملك وقد كان العرب يُسمُّون أهل القرى والمدائن ملوكا ، مثل هَجَر ومَعَان ودُومة الجَنْدل ، فما ظنك بوزير مصر لذلك العهد وفي تلك الدولة ، وقد كان في الخلافة العباسيّة تُسمّى ولاة الأطراف وعمالها ملوكا ، فلا استدلال لهم في هذه الصيغة . وأخرى أيضا فيما يستدلون به من قوله تعالى : «وكذلك مكنا ليوسف في الأرض» أن لا يكون لهم فيه مستند لأنَّ التمكين يكون بغير الملك . ونص القرآن إنَّما هو بولايته على أُمور الزرع في جمعه وتفريقه كما قال تعالى : «اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم» . ومساق القصة كلها أنه مرؤس في تلك الدولة بقرائن الحال كلها لا ما يتوهم من تلك اللفظة الواقعة في دعائه ، فلا نعدل عن النص المحفوف بالقرائن إلى هذا المتوهم الضعيف . وأيضا فالقصّة في التوراة قد وقعت صريحة في أنه لم يكن ملكا ولا صار اليه مُلْك . وأيضا فالأمر الطبيعي من الشوكة والقطامة له يدفع أن يكون حصل له ملك لأنه إنما كان في تلك الدولة قبل أن يأتي إليه إخوته منفرداً لا يملك إلا نفسه ولا يتأتى المُلْكُ في هذا الحال وقد تقدَّم ذلك في مقدمة الكتاب والله أعلم .

وأما عيصو بن إسحق فسكن جبال بني يَسْعِين من بني جوي ، إحدى شعوب كنعان ، وهي جبال الشراة بين تبوك وفلسطين وتُعرفُ اليوم ببلاد كرك والشوبك ، وكان من شعوبهم هناك على ما في التوراة بنو لوطان وبنو شوبال وبنو صمقون وبنو عنا وبنو ديشوق وبنو يصد وبنو ديسان سبعة شعوب . ومن بني ديشون الأشبان ، فسكن عيصو بينهم بتلك البلاد ، وتزوّج منهم من بنات عنا بن يسعين من جوى ، وهي أهليقاما ، وتزوّج أيضا من بنات حي من الكنعانيين عاذا بنت أيلول ، وباسمت بنت إسمعيل عليه السلام . وكان له من الولد خمسة مذكورون في التوراة وأكبرهم أليفاز ، بالفاء المفخّمة وإشباع حركتها وزاي معجمة من بعدها ، من عاذا بنت أيلول ، ثم رعويل من باسمت بنت إسمعيل ، ثم يعوش ويعلام وقورح من أهليقاما بنت عنا . وولد أليفاز ستة من الولد تيمال وأومار وصفو وكعتام وقتال وعمالق السادس ، لسرّيّة اسمها تمناع وهي شقيقة لوطان بن يسعين . وولد رعويل بن عيصو أربعة من الولد ، ناحة وزيدم وشمّا ومزّا . هكذا وقع ذكر وُلْد العيص وولدهم في التوراة ، وفيها أنّ

العيص إسمه أروم[1] ، فلذلك قيل لهم بنو أروم ، ولبعض الاسرائيليين أنّ أروم اسم لذلك الجبل ومعناه بالعبرانية الجبل الأحمر الذّي لا نبات به . وقد يقع لبعض المؤرّخين أن القياصرة ملوك الروم من ولد عيصو ، وقال الطبريّ : أنّ الروم وفارس من ولد رعويل ابن باسمت . وليس ذلك كله بصحيح ورأيته في كتاب يوسف بن كرمون مؤرخ العمارة الثانية ببيت المقدس قبيل الجلوة الكبرى ، وكان من كهنوتينا اليهود وهو قريب من الغلط .

قال ابن حزم في كتاب الجمهرة : وكأن لإسحق عليه السلام ابن آخر غير يعقوب إسمه عيصاب أو عيصو ، كان بنوه يسكنون جبال الشراة بين الشام والحجاز ، وقد بادوا جملة ، إلا أنّ قوما يذكرون أنّ الروم من وُلْده وهذا خطأ . وإنّما وقع لهم هذا الغلط لأن موضعهم كان يقال له أروم فظنوا أنّ الروم من ذلك الموضع ، وليس كذلك لأنّ الروم إنما نسبوا الى رومس باني رومة ،فإن ظنّ ظان أنّ قول النبيّ صلى الله عليه وسلم للحُرّ بن قيس هل لك في بلاد بني الأصفر العام ، وذلك في غزوة تبوك ، يدل على أنّ الروم من بني الأصفر وهو عيصاب المذكور فليس كما ظُنّ . وقول النبيّ صلى الله عليه وسلم حق ، وإنما عنى عليه السلام بني عيصاب على الحقيقة لا الروم ، لأن مغزاه عليه الصلاة والسلام في تلك الغزوة كان إلى ناحية الشراة مسكن القوم المذكورين اهـ كلام ابن حزم .

وزعم أهروشيوش مؤرّخ الروم أنّ أم الفينان وهاؤا وعالوم وقدوح الأربعة من بنات كاتيم بن ياوان ابن يافث ، والأوّل أصح لأنه نص التوراة . ثم كثر نسل بني عيصو بأرض يسعين وغلبوا الجويّين على تلك البلاد وغلبوا بني مدين أيضا على بلادهم إلى أيلة . وتداول فيهم ملوك وعظماء كان منهم فالغ بن ساعور ، وبعده يودب بن زيدح ، ثم كان منهم هداد بن مدّاد الذي أخرج بني مدين عن مواطنهم ، ثم كان فيهم بعده ملوك إلى أن زحف يوشع الى الشام وفتح أريحاء وما بعدها وانتزع الملك من جميع الأمم الذين كانوا هنالك ، ثم استلحمهم بختنصر عندما ملك أرض القدس ، ولحق بعضهم بأرض يونان ، وبعضهم بأفريقية . وأما عمالِق بن أليفاز فمن عقبه عند الإسرائيليين عمالقة الشام ، وفي قول فراعنة مصر من القِبْط ونُسّاب العرب ، يأبون

---

(١) وفي نسخة اخرى : أدوم .

من ذلك ونسبوهم إلى عملاق بن لاوَذ كما مرّ . ثم بنو يروم وكنعان ولم يبق منهم عين تطرف والله الباقي بعد فناء خلقه .

وأمّا مَدْيَن بن إبراهيم فتزوّج بابنة لوط وجعل الله في نسلها البركة ، وكان له من الوُلْدِ خمسة عيّفا وعَيْفِين وخنوخ وأنيداغ والزاعا . وقد تقدّم ذكرهم في وُلْد إبراهيم من قَنْطورا ، فكان منهم مَدين أمّة كبيرة ذات بطون وشعوب ، وكانوا من أكبر قبائل الشام وأكثرهم عددا ، وكانت مواطنهم تجاور أرض معان من أطراف الشام مما يلي الحجاز قريبا من بحيرة قوم لوط ، وكان لهم تغلبٌ بتلك الأرض ، فعتوا وبغوا وعبدوا الآلهة ، وكانوا يقطعون السبل ويبخسون في المكيال . وبعث الله فيهم شعيبا نبيا منهم ، وهو ابن نويل بن رعويل بن عيا بن مَدْيَن . قال المسعوديّ : مَدْيَن هؤلاء من وُلْد المحْضَر بن جندل بن يعصب بن مَدْيَن ، وأنّ شُعيبا أخوهم في النسب ، وكانوا ملوكا عدة يسمون بكلمات أبجد إلى آخرها وفيه نظر . وقال ابن حبيب في كتاب البدء : هو شُعَيْب بن نويب بن أحزم بن مَدْيَن . وقال السهيلي : شعيب بن عيفا ، ويقال ابن صيفون ، وشعيب هذا هو شعيب موسى الذي هاجر إليه من مصر أيامَ القِبْط واستأجره على إنكاح ابنته أياه على أنّ يخدمه ثماني سنين ، وأخذ عنه آداب الكتاب والنبوّة حسبما يأتي عند ذكر موسى صلوات الله عليهما وأخبار بني إسرائيل . وقال الصيمري الذي استأجر موسى وزوّجه : هو بَثْر بن رعويل ، ووقع في التوراة أنّ اسمه يَبْثُر وأنّ رعويل أباه أو عمّه هو الذي تولى عقد النكاح . وكان لِمَدْيَن هؤلاء مع بني إسرائيل حروب بالشام ، ثم تغلب عليهم بنو إسرائيل وانقرضوا جميعا .

وأما لوط بن هاران أخي إبراهيم عليهما السلام فقد تقدّم من خبره مع قومه ما ذكرناه هنالك ، ولما نجا بعد هلاكهم لحق بأرض فلسطين ، فكان بها مع إبراهيم إلى أن قبضه الله ، وكان له من الوُلْد على ما ذكر في التوراة عمُّون بتشديد الميم واشباع حركتها بالضمّ ونون بعدها ، وموآبي باشباع ضمة الميم واشباع فتحة الهمزة بعدها وياء تحتية وبعدها ياء ساكنة هوائية ، وجعل الله في نسلهما البركة ، حتى كانوا من أكثر قبائل الشام ، وكانت مساكنهم بأرض البلقاء ومدائنها في بلد موآبي ومعان وماوالاهما ، وكانت لهم مع بني إسرائيل حروب نذكرها في أخبارهم ، وكان منهم بَلعام بن باعورَا بن رَسَيوم بن بَرْسيم بن موآبي ، وقصته مع ملك كنعان حين طلبه في الدعاء على بني إسرائيل أيام موسى صلوات الله عليه وأنّ دعاءه صرف إلى

الكنعانيّين ، مذكورة في التوراة ونوردها في موضعها .

وأمّا ناحور أخو ابراهيم عليه السلام فقد تقدّم ذكره أنه هاجر مع إبراهيم عليه السلام من بابل الى حرّان ، ثم إلى الأرض المقدّسة ، فكان معه هنالك ، وكانت زوجته مَلْكا بنت أخيه هاران ، ومَلْكا هذه هي أخت سارة زوج إبراهيم عليه السلام وأم إسحق ، وكان لناحور من مَلْكا على ما وقع في نص التوراة ثمانية من الوُلْد عوص وبوص وقَمويل وهو أبو الأرمن ، وكاس ومنه الكلدانيّون الذين كان منه بختنصّر وملوك بابل ، وحذو وبلداس وبلداف ويثويل . وكان له من سرِّيّة إسمها أدوما أربعة من الوُلْد وهم طالج وكاحم وتاخش وماعخا . هؤلاء ولد ناحور أخي إبراهيم كلهم مذكورون في التوراة وهم إثنا عشر ولدا ، وهؤلاء كلهم بادوا وانقرضوا ، ولم يبق منهم إلاّ الأرمن من قمويل بن ناحورأخي إبراهيم عليه السلام ابن آزر وهم لهذا العهد على دين النصرانية ومواطنهم في أرمينية شرقي القسطنطينيّة ، والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين . وهذا آخر الكلام في الطبقة الأولى من العرب ومن عاصرهم من الأمم ، ولنرجع إلى أهل الطبقة الثانية وهم العرب المستعربة ، والله سبحانه وتعالى الكفيل بالإعانة .

أفرايم بن يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم بن تارح بن ناحور بن ساروغ بن ارعو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام

منشا

دان
بنيامين
روبيل
شمعون
لاوي
يهوذا
زبولون

يساخر
كاد
آشر
نفتالي

عيفين
حنوخ
وابيداع بن مدين
ذوما
مشمع
بسام
ادبيل
قيذار
اسماعيل
هاران
على قول

اومار بن اليفا بن عيصو
عمالق
قتال
قورح
افيداع
شوح
زمران
مدان
يشبق
تيرخ
داذان بن يقشان
اشوخ بن لاميم
سبا
ناحور
عوص
بوص
كاسر
حذو
الارمن بن قمويل
الطوسيح

الطبقة الثانية من العرب وهم العرب المستعربة وذكر أنسابهم وايامهم وملوكهم والالمام ببعض الدول التي كانت على عهدهم

وإنّما سمّي أهل هذه الطبقة بهذا الإسم لأنّ السمات والشعائر العربية لما انتقلت إليهم ممن قبلهم ، إعتبرت فيها الصيرورة ، بمعنى أنهم صاروا إلى حال لم يكن عليها أهل نسبهم ، وهي اللغة العربية التي تكلموا بها ، فهو من استفعل بمعنى الصيرورة من قولهم : استنوق الجمل ، واستحجر الطين . وأهل الطبقة الأولى لما كانوا أقدم الأمم فيما يعلم جيلا ، كانت اللغة العربية لهم بالأصالة وقيل العاربة .

واعلم أنّ أهل هذا الجيل من العرب يعرقون باليمنيَّة والسبائيّة ، وقد تقدم أنّ نسَّابة بني إسرائيل يزعمون أنّ أباهم سَبَا من وُلْدِ كوش بن كنعان ، ونسَّابة العرب يأبون ذلك ويدفعونه ، والصحيح الذي عليه كافتهم أنهم من قحطان ، وأنّ سبا هو ابن يشجب بن يَعْرُب بن قحطان . وقال ابن اسحق يَعْرُب بن يشْجُب فقدم وأخر . وقال ابن ماكولا على ما نقل عنه السهيليّ اسم قحطان مَهْزَم . وبين النسَّابة خلاف في نسب قحطان فقيل هو ابن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام أخو فالغ ، ويقطُن ولم يقع له ذكر في التوراة ، وإنّما ذكر فالغ ويَقْطُن . وقيل هو معرَّب يَقْطُن لأنّه إسمٌ أعجمي والعرب تتصرّف في الأسماء الأعجمية بتبديل حروفها وتغييرها وتقديم بعضها على بعض . وقيل إنّ قحطان بن يمن بن قيدار ، وقيل إنّ قحطان من وَلْد إسمعيل . وأصح ما قيل في هذا إنّه قحطان بن يمن بن قيدر ، ويقال الهُمَيْسع بن يَمَن بن قيدار ، وأنّ يمن هذا سميت به اليمن . وقال ابن هشام أن يعرب ابن قحطان كان يسمى يمنا وبه سميت اليمن . فعلى القول بأن قحطان من وُلْد إسمعيل تكون العرب كلهم من وُلْدِهِ لأن عدنان وقحطان يستوعبان شعوب العرب كلها .

وقد احتج لذلك من ذهب إليه بأنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم قال لرماة الأنصار : «ارموا يا بني إسمعيل فإن أباكم كان رامياً» . والانصار من ولد سبا وهو ابن قحطان ، وقيل إنّما قال ذلك لقوم من أسلم من أقصى أخوة خُزاعة بن حارثة بناء على أنّ نسبهم في سَبَا . وقال السهيلي ولا حجة في شيء منها لأنه إذا كانت العرب كلها من ولد

إسمعيل ، فهذا من السهيليّ جنوح إلى القول بمفهوم اللقب وهو ضعيف . ثم قال : والصحيح أنّ هذا القول إنّما كان منه صلى الله عليه وسلم لأسلم كما قدّمناه وإنّما أراد أنّ خزاعة من مَعَدَّ بن إلياس بن مُضَر وليسوا من سَبَا ، ولا من قحطان كما هو الصحيح في نسبهم على ما يأتي . واحتجوا أيضا لذلك بأنّ قحطان لم يقع له ذكر في التوراة كما تقدم ، فدلّ على أنه ليس من وُلْدِ عابر فترجّح القول بأنّه من إسماعيل ، وهذا مردود بما تقدم أنّ قحطان معرب يَقْطُن وهو الصحيح ، وليس بين الناس خلاف في أنَّ قحطان أبو اليمن كلهم . ويقال إنه أوّل من تلكم بالعربية ومعناه من أهل هذا الجيل الذين هم العرب المستعربة من اليمنية ، وإلاّ فقد كان للعرب جيل آخر وهم العرب العاربة ، ومنهم تعلم قحطان تلك اللغة العربية ضرورة ولا يمكن أن يتكلم بها من ذات نفسه . وكان بنو قحطان هؤلاء معاصرين لإخوانهم من العرب العاربة ومظاهرين لهم على أمورهم ، ولم يزالوا مجتمعين في مجالات البادية مبعدين عن رتبة المُلْكِ وترفه الذي كان لأولئك فأصبحوا بمنجاة من الهرم الذي يسوق إليه الترف والنضارة ، فتشعبت في أرض الفضا فصائلهم ، وتعدّد في جوّ القفر أفخاذهم وعشائرهم ونَمَا عددهم ، وكثر إخوانهم من العمالقة في آخر ذلك الجيل ، وزاحموهم بمناكبهم ، واستجدوا خلق الدولة بما استأنفوه من عزهم .

وكانت الدولة لبني قحطان متصلة فيهم ، وكان يعرب بن قحطان من أعاظم ملوك العرب . يقال إنه أول من حيّاه قومه بتحية المُلْك . قال ابن سعيد : وهو الذي ملك بلاد اليمن وغلب عليها قوم عاد ، وغلب العمالقة على الحجاز ، وولى إخوته على جميع أعمالهم ، فولّى جُرْهُمًا على الحجاز ، وعاد بن قحطان على الشحْر ، وحضرموت بن قحطان على جبال الشحْر ، وعُمان بن قحطان على بلاد عُمان هكذا ذكر البيهقي .

وقال ابن حزم : وعُدَّ لقحطان عشرة من الوُلْد وأنه لم يعقب منهم أحد ، ثم ذكر ابنين منهم دخلوا في حِمْيَر ، ثم ذكر الحرث بن قحطان ، وقال فولد فما يقال له لاسور ، وهم رهط حنظلة بن صفوان نبي الرَّسّ ، والرسُّ ما بين نجران إلى اليمن ومن حضرموت إلى اليمامة ، ثم ذكر يعرب بن قحطان وقال فيهم الحِمْيَرِيّة والعُدَّاد انتهى . قال ابن سعيد وملك بعد يعرب إبنه يشجُب وقيل إسمه يَمَن واستبدّ أعمامه بما في أيديهم من الممالك ، وملك بعده إبنه عبد شمس وقيل عابر ويسمى سبَا لأنه قيل إنه أوّل من سَنَّ السبي ، وبنى مدينة سبَا وسد مأرب . وقال صاحب التيجان إنه غزا

الأقطار وبنى مدينة عين شمس باقليم مصر وولّى عليها إبنه بابليون . وكان لسَبَا من الوُلْد كثير وأشهرهم حِمْيَر وكهلان اللذان منهما الأمتان العظيمتان من اليمنيّة أهل الكثرة والملك والعزّ ومُلك حِمْيَر منهم أعظمه . وكان منهم التبابعة كما يذكر في أخبارهم ، وعدّ ابن حَزْم في وُلْده زَيْدان وابنه نجران بن زيدان وبه سميت البلد .

ولما هلك سَبَا قام بالملك بعده ابنه حِمْيَر ويعرف بالعرنجج ، وقيل هو أول من تتوج بالذهب ويقال إنه ملك خمسين سنة ، وكان له من الوُلْد ستة فيما قال السُهيلي : واثل ومالك وزيد وعامر وعوف وسعد . وقال أبو محمد بن حزم الهُمَيْسع : ومالك وزيد وواثل ومشروح ومعديكرب وأوس ومرّة . وعاش فيما قال السهيلي ثلثمائة سنة ، وملك بعده ابنه واثل وتغلب أخوه مالك بن حِمْيَر على عُمَان ، فكانت بينهما حروب . وقال ابن سعيد : إنّ الذي ملك بعد حِمْيَر أخوه كهلان ، ومن بعده واثل بن حِمْيَر ، ثم من بعد واثل السكسك بن واثل ، وكان مالك بن حِمْيَر قد هلك وغلب على عُمان بعده ابنه قضاعة فحاربه السكسك وأخرجه عنها ، وملك بعده ابنه يعفر بن السكسك ، وخرجت عليه الخوارج ، وحاربه مالك بن الحاف بن قضاعة ، وطالت الفتنة بينهما ، وهلك يعفر وخلف ابنه النعمان حملا ويعرف بالمعافر ، واستبد عليه من بني حِمْيَر ماران بن عوف بن حِمْيَر ويعرف بذي رياش وكان صاحب البحرين ، فنزل نجران واشتغل بحرب مالك بن الحاف بن قضاعة .

ولما كبر النعمان حبس ذارياش واستبدّ بأمره وطال عمره وملك بعده ابنه أسجم بن المعافر ، فاضطربت أحوال حِمْيَر ، وصار ملكهم طوائف إلى أن استقر في الرايش وبنيه التبابعة كما نذكره .

ويقال انّ بني كهلان تداولوا الملك مع حِمْيَر هؤلاء ، وملك منهم جبّار بن غالب بن كهلان ، وملك أيضا من شعوب قحطان نجران بن زيد بن يعرب بن قحطان ، وملك من حِمْيَر هؤلاء ثم من بني الهميسع بن حِمْيَر أبين بن زهير بن الغوث بن أبين بن الهميسع ، واليه نسب عرب أبْيَن من بلاد اليمن ، وملك منهم أيضا عبد شمس بن واثل بن الغوث بن حيران بن قطن بن عريب بن زُهير بن أبْين بن الهميسع بن حِمْيَر ، ثم ملك من أعقابه شداد بن الملطاط بن عمرو بن ذي هرم بن الصوّان بن عبد شمس ، وبعده أخوه لقمان ، ثم أخوهما ذو شدد وهدّاد ومداثر ، وبعده ابنه الصعب ويقال انه ذو القرنين ، وبعده أخوه الحرث بن ذي شدد ، وهو الرائش جدُّ

الملوك التبابعة . وملك في حِمْيَر أيضا من بني الهميسع من بني عبد شمس هؤلاء حسان بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس .

قال أبو المنذر هشام بن الكلبي في كتاب الأنساب ونقلته من أصل عتيق بخط القاضي المحدّث أبي القاسم بن عبد الرحمن بن حبيش قال : ذكر الكلبي عن رجل من حِمْيَر من ذي الكلاع قال : أقبل قيس يحرق موضعا باليمن ، فأبدى عن أزج ، فدخل فيه ، فوجد سريرا عليه رجل ميت وعليه جِبَابُ وَشْيٍ مذهّبة ، في رأسه تاج ، وبين يديه محجن من ذهب ، وفي رأسه ياقوتة حمراء ، واذا لوح مكتوب فيه : بسم الله ربّ حِمْيَر أنا حسان بن عمرو القيل مات في زمان هيد وما هيد هلك فيها اثنا عشر ألف قبيل فكنت آخرهم قبيلا فابتنيت ذا شعبين ليجرني من الموت فاخفرني اهـ كلامه . وقال الطبريُّ : وقيل أن أوّل من ملك اليمن من حِمْيَر شمر بن الأملوك كان لعهد موسى عليه السلام وبني طفّار وأخرج منها العمالقة ، ويقال كان من عمال الفرس على اليمن . انتهى الكلام في أخبار حِمْيَر الأول والله سبحانه وتعالى وليُّ العون .

الحارث — بن ذو سدد — بن الملطاط بن عمرو بن ذي هرم بن الصوان — بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن حيران بن قطن

أصعب

لقمان
سدد

حسان بن عمرو بن قيس
ابن معاوية بن جشم

مالك بن الحاف بن قضاعة بن مالك

اسحم بن المعافر بن يعفر بن السكسك بن وائل

باران بن عوف

بحران ابن زيدان

جبار بن غالب بن زيد بن كهلان

ابن

الخبر عن ملوك التبابعة من حمير وأوليتهم باليمن ومصاير أمورهم

هؤلاء الملوك من وُلْدِ عبد شمس بن وائِل بن الغَوْث باتفاق من النسَّابين ، وقد مرَّ نسبه إلى حِمْيَر ، وكانت مدائن ملكهم صنعاء ، ومأرب على ثلاث مراحل منها ، وكان بها السدُّ ، ضربته بَلْقِيس ملكة من ملوكهم سدًّا ما بين جبلين بالصخر والقار ، فحقنت به ماء العيون والأَمطار ، وتركت فيه خروقا على قدر ما يحتاجون إليه في سقيهم ، وهو الذي يسمى العَرِم والسِكر وهو جمع لا واحد له من لفظه قال الجُعْدِي :

من سبأ الحاضرين مأرب اذ — يبنون من دونِ سيله العرما

أي السدّ ويقال انّ الذي بنى السدّ هو حِمْيَر أبو القبائل اليمنية كلها قال الاعشى :

في ذلك للمؤتسى اسوة — مأربُ غطى عليه العرم

رُخام بناه لهم حِميَر — إذا جاءه من رامه لم يرم

وقيل بناه لُقْمَان الأكبر ابن عاد كما قاله المسعودي ، وقال : جعله فرسخاً في فرسخ ، وجعل له ثلاثين شِعْباً . وقيل وهو الأليق والأَصوب أَنه من بناء سَبَا بن يَشْجُب ، وأنّه ساق إليه سبعين وادياً ، ومات قبل إتْمامه ، فأتمّه ملوك حِمْيَر من بعده . وإنّما رجحّناه لأَنّ المباني العظيمة ، والهياكل الشامخة ، لا يستقل بها الواحد كما قدَّمنا في الكِتاب الأَوّل ، فأقاموا في جناته عن اليمين والشمال كما وصف القرآن . ودولتهم يومئذ أَوْفرما كانت ، وأترف وأَبذخ وأعلى يداً وأظهر ، فلمّا طغوا وأعرضوا سلّط الله عليهم الخُلْد ، وهو الجُرَذ فنقبه من أسفله فأجْحفَهُم السيل ، وأغرق جناتهم ، وخربت أرضهم ، وتمزّق ملكهم ، وصاروا أحاديث .

وكان هؤلاءِ التَبابِعَةِ ملوكاً عدّة في عصور متعاقبة ، وأحقاب متطاولة ، لم يضبطهم الحصر ، ولا تقيدت منهم الشوارد . وربّما كانوا يتجاوزون مُلك اليمن إلى ما بَعُدَ عنهم من العراق والهند والمغرب تارة ، ويقتصرون على يَمنهم أخرى ، فاختلفت أَحوالهم واتفقت أسماء كثيرة من ملوكهم ، ووقع اللبس في نقل أيامهم ودولهم ، فلنأْت بما صحَّ منها متحِرّياً جُهْدَ الإِستطاعة عن طموسٍ من الفكر ، واقتفاء التقاييد المرجوع

اليها والأُصول المعتمد على نقلها ، وعدم الوقوف على أَخبارهم مدونة في كتابٍ واحدٍ والله المستعان .

قال السُهَيْليُّ : معنى تبَّع الملك المتبع . وقال صاحب المحكم : التَبَابِعَة ملوك اليمن وأحدهم تُبَّع لأَنَّهم يتبع بعضهم بعضاً كلما هلك واحد قام آخر تابعاً له في سيرته ، وزادوا الباء في التَبابِعَة لارادة النَسَب . قال الزمخشري : قيل لملوك اليمن التَبَابعة لأَنَّهم يتبعون ، كما قيل الأَقيال لأَنهم يتقيلون . قال المسعودي : ولم يكونوا يسمون الملك منهم تُبَّعاً حتى يملك اليَمَن والشَحْر وحَضْرَمَوْت ، وقيل حتى يتبعه بنو جَشَم بن عبد شمس ، ومن لم يكن له شيء من الأَمرين فيسمى مَلِكاً ولا يقال له تُبَّع . وأول ملوك التَبَابَعَة باتفاق من المؤرِّخين ، الحَرْث الرائِش ، وإنَّما سميّ الرائش لأنه راش الناس بالعطاء .اواختلف الناس في نسبه بعد اتفاقهم على أنه من ولد وائل بن الغوث بن حيْران بن قطن بن عريب بن زهير بن ابين بن الهميسع بن حِمْيَر فقال ابن إسحق وأبو المنذر بن الكلبي : انّ قيسا بن معاوية بن جشم . فابن اسحق يقول في نسبه إلى سبا الحرثُ بن عديّ بن صيفي ، وابن الكلبيّ يقول الحرث بن قيس بن صيفي . وقال السهيليُّ هو الحرث بن همال بن ذي سدد بن الملطاط بن عمرو بن ذي يقدم بن الصوار بن عبد شمس بن وائل وجشم جدُّ سباهو بن عبد شمس ، هذا عند المسعودي . وعند بعضهم أنه أخوه وأنهما معاً إبنا وائل . وذكر المسعودي عن عبيد بن شرية الجرهميّ ، وقد سأله معاوية عن ملوك اليمن في خبر طويل ونسب الحرث منهم ، فقال : هو الحرث بن شدد بن الملطاط بن عمرو وأمَّا الطبري فاختلف نسبه في نسب الحرث ، فمرَّة قال : وبيت ملك التبابعة في سبا الأصغر ونسبه كما مرّ . وقال في موضعٍ آخر والحرث بن ذي شدد هو الرائش جدُّ الملوك التبابعة ، فجعله إلى شدد ولم ينسبه إلى قيس ولا عديّ من ولد سبَا . وكذلك اضطرب أبو محمد بن حزم في نسبه في الجُمْهُرَة مرّة إلى الملطاط ومرّة إلى سبَا الأصغر ، والظاهر أنه تبع في ذلك الطبريّ والله أعلم .

وملك الحرث الرائش فيما قالوا مائة وخمسا وعشرين سنة ، وكان يسمّى تبعاً ، وكان مؤمنا فيما قال السهيليُّ . ثم ملك بعده ابنه أبرهة ذو المنار مائة وثمانين سنة . قال المسعوديُّ ، وقال ابن هشام : أبرهة ذو المنار هو ابن الصعب بن ذي مداثر بن الملطاط ، وسميّ ذا المنار لأنه رفع المنار ليهتدي به . ثم ملك من بعده أفريقش بن

أبرهة مائة وستين سنة . وقال ابن حزم هو أفريقش بن قيْس بن صيفي أخو الحرث الرائش ، وهو الذي ذهب بقبائل العرب إلى أفريقية ،وبه سميت .وساق البربر إليها من أرض كنعان ، مرَّ بها عندما غلبهم يوشع وقتلهم ، فاحتمل الفل منهم ، وساقهم إلى أفريقية ، فأنزلهم بها ، وقتل ملكها جرجير . ويقال إنَّه الذي سمى البرابرة بهذا الإسم لأنه لما افتتح المغرب ، وسمع رطانتهم قال : ما أكثر بربرتهم فسموا البرابرة . والبربرة في لغة العرب هي اختلاط أصوات غير مفهومة ، ومنه بربرة الأسد . ولما رجع من غزو المغرب ترك هنالك من قبائل حمير صنهاجة وكتامة فهم إلى الآن بها ، وليسوا من نسب البربر ، قاله الطبري والجرجاني والمسعوديّ وابن الكلبي والسهيلي وجميع النسَّابين .

ثم ملك من بعد افريقش أخوه العبد بن أبرهة ، وهو ذو الأذعار عند المسعودي قال : سميّ بذلك لكثرة ذعر الناس من جوره . وملك خمسا وعشرين سنة ، وكان على عهد سليمان بن داود وقبله بقليل ، وغزا ديار المغرب ، وسار إليه كيقاوس بن كنعان ملك فارس فبارزه وانهزم كيقاوس وأسره ذو الأذعار ، حتى استنقذه بعد حين من يده وزيره رُستم زحف إليه بجموع فارس إلى اليمن وحارب ذا الأذعار فغلبه واستخلص كيقاوس من أسره كما نذكره في أخبار ملوك فارس . وقال الطبري إنّ ذا الأذعار اسمه عمرو بن ابرهة ذي المنار بن الحرث الرائش بن قيْس بن صيفي بن سبَا الأصغر انتهى . وكان مهلك ذي الأذعار فيما ذكر ابن هشام مسموماً على يد الملكة بلقيس .

وملك من بعده الهدْهَاد بن شرْحَبيل بن عمرو بن ذي الأذعار وهو ذو الصرْح ، وملك ستا أو عشرا فيما قال المسعودي . وملكت بعده إبنته بلقيس سبع سنين . وقال الطبري : إنّ إسم بلقيس يلقمة بنت اليشرح بن الحرث بن قيس انتهى . ثم غلبهم سليمان عليه السلام على اليمن كما وقع في القرآن فيقال تزوجها ، ويقال بل عزلها في التأيم ، فتزوجت سدد بن زرعة بن سبا ، وأقاموا في ملك سليمان وإبنه أربعا وعشرين سنة . ثم قام بملكهم ناشر بن عمرو ذي الأذعار ، ويعرف بناشر النعم ، لفظين مركبين جعلا إسما واحداً كذا ضبطه الجرجاني . وقال السهيلي ناشر بن عمرو ، ثم قال ويقال ناشر النعم . وفي كِتاب المسعودي نافس بن عمرو ، ولعله تصحيف ونسبه إلى عمرو ذي الأذعار وليس يتحقق في هذه الأنساب كلها أنها للصلب فإنّ

الآماد ، طويلة والأحقاب بعيدة ، وقد يكون بين إثنين منهما عدد من الآباء ، وقد يكون ملصقاً به . وقال هشام بن الكلبي انّ ملك اليمن صار بعد بلقيس إلى ناشر بن عمرو بن يعفر الذي يقال له ياسر أنعم ، لا نعامه عليهم بما جمع من أمرهم وقوي من ملكهم . وزعم أهل اليمن أنه سار غازياً إلى المغرب ، فبلغ وادي الرمل ولم يبلغه أحدٌ ولم يجد فيه مجازاً لكثرة الرمل ، وعبر بعض أصحابه ، فلم يرجعوا فأمر بصنم من نحاس نصب على شفير الوادي ، وكتب في صدره بالخط المسند هذا الصنم لياسر أنعم الحميري ليس وراءه مذهب * فلا يتكلف أحد ذلك فيعطب انتهى .

ثم ملك بعد ياسر هذا ابنه شمر مرعش ، سمي بذلك لارتعاشٍ كان به . ويقال انه وطىء أرض العراق وفارس وخراسان وافتتح مدائنها وخرّب مدينة الصغد وراء جيحون ، فقالت العجم «شمركنداي» شمر خرّب . وبنى مدينة هنالك فسميت باسمه هذا ، وعربته العرب فصار سَمَرْقَند . ويقال انه الذي قاتل قباذ ملك الفرس وأسره ، وأنه الذي حير الحيرة . وكان ملكه مائة وستين سنة ، وذكر بعض الإخباريين أنه ملك بلاد الروم ، وأنه الذي استعمل عليهم ماهان قيصَر فهلك ، وملك بعده ابنه دقيوس . وقال السهيلي في شمر مرعش الذي سميت به سمرقند انه شمر بن مالك ومالك هو الأملوك الذي قيل فيه :

فنقب عن الأملوك واهتف بذكره وعش دار عزٍ لا يغالِبه الدهر

وهذا غلط مُن السهيلي فإنهم مجمعون على أنّ الأملوك كان لعهد موسى صلوات الله عليه وشمر من أعقاب ذي الأذعار الذي كان على عهد سليمان ، فلا يصح ذلك إلا أن يكون شمر ابرهة ، ويكون أوّل دولة التبابعة .

ثم ملك على التبابعة بعد شمر مرعش تبَّع الاقرن واسمه زيد . (قال السهيلي) وهو ابن شمر مرعش وقال الطبريّ انه ابن عمرو ذي الأذعار . وقال السهيلي إنما سمّي الأقرن لشامة كانت في قرنه ، وملك ثلاثاً وخمسين سنة . وقال المسعودي ثلاثا وستين . ثم ملك من بعده ابنه مَلْكِيكَرِب وكان مضعّفاً ولم يغزقط إلى أن مات . وملك بعده ابنه تُبان أسعد أبو كرب ، ويقال هو تبَّع الآخر وهو المشهور من ملوك التبابعة . وعند الطبريّ أنّ الذي بعد ياسر ينعم بن عمرو ذي الأذعار تبع الأقرن أخوه ، ثم بعد تبع الأقرن شمر مرعش بن ياسر ينعم ، ثم من بعده تبع الأصغر وهو تبان أسعد أبو كرب هذا هو تبع الآخر وهو المشهور من ملوك التبابعة . وقال الطبريّ : ويقال له الرائد

وكان على عهد يستاسب وحافده أردشير يَمَن ابن ابنه أسفنديار من ملوك الفرس وأنه شخص من اليمن غازيا ومرّ بالحيرة فتحيَّر عسكره هنالك فسُمِيّت الحيرة . وخلف قوما من الأزد ولخم وجذام وعاملة وقضاعة فأقاموا هنالك وبنو الإطام ، واجتمع إليهم ناس من طيرة وكلب والسكون وأياد والحرث بن كعب . ثم توجه إلى الانبار ثم الموصل ثم أذربيْجَان ، ولقي الترك فهزمهم وقتل وسبى ، ثم رجع إلى اليمن ، وهابته الملوك وهادنه ملوك الهند . ثم رجع لغزو الترك ، وبعث إبنه حسَّان إلى الصغد ، وإبنه يعفو إلى الروم ، وابن أخيه شمر ذي الجناح إلى الفرس . وان شمر لقي كيقباذ ملك الفرس فهزمه ، وملك سمرقنْد وقتله ، وجاز إلى الصين فوجد أخاه حسَّان قد سبقه إليها ، فأثخنا في القتل والسبي ، وانصرفا بما معهما من الغنائم إلى أبيهما . وبعث ابنه يعفر إلى القسطنطينيَّة فتلقوه بالجزية ، والأتاوة فسار إلى رومة ، وحصرها ووقع الطاعون في عسكره ، فاستضعفهم الروم ووثبوا عليهم فقتلوهم ، ولم يفلت منهم أحد . ثم رجع إلى اليمن ، ويقال أنه ترك ببلاد الصين قوما من حِمْيَر وأنهم بها لهذا العهد ، وأنه ترك ضعفاء الناس بظاهر الكوفة فتحيروا هنالك وأقاموا معهم من كل قبائل العرب .

وقال ابن إسحق إنّ الذي سار إلى المشرق من التابعة تبّع الآخر ، وهو تبّان أسعد أبو كرب بن ملكيكَرب بن زيد الأقرن ابن عمرو ذي الأذعار ، وتَبّان أسعد هو حسّان تبّع وهو فيما يقال أوّل من كسا الكعبة ، وذكر ابن إسحق الملأ والوصائل ، وأوصى ولاته من جرهم بتطهيرها وجعل لها باباً ومفتاحاً ، وذكر ابن إسحق أنه أخذ بدين اليهودية ، وذكر في سبب تهوّده أنه لما غزا إلى المشرق مرّ بالمدينة يثرب فملكها ، وخلف ابنه فيهم ، فعدوا عليه وقتلوه غيلة ورئيسهم يومئذ عمرو بن الطلّة من بني النجّار . فلما أقبل من المشرق وجعل طريقه على المدينة مجمعا على خرابها فجمع هذا الحيّ من أبناء قيلة لقتاله فقاتلهم ، وبينما هم على ذلك جاءه حبْرَان من أحبَار يهود من بني قريظة ، وقالا له : لا تفعل فانك لن تقدر وأنّها مهاجر نِبَيّ قُرشي يخرج آخر الزمان فتكون قراراً له . وانه أعجب بهما واتبعهما على دينهما ، ثم مضى لوجهه . ولقيه دون مكة نفر من هُذَيْل ، وأغروه بمال الكعبة وما فيها من الجواهر والكنوز ، فنهاه الحبران عن ذلك وقالا له إنما أراد هؤلاء هلاكك . فقتل النفر من الهذليّين وقدم مكة فأمره الحبران بالطواف بها والخضوع ، ثم كساها كما تقدّم ، وأمر ولاتها من

جرْهُم بتطهيرها من الدماء والحيض وسائر النجاسات ، وجعل لها باباً ومفتاحاً ، ثم سار إلى اليمن . وقد ذكر قومه ما أخذ به من دين اليهودية ، وكانوا يعبدون الأوْثان ، فتعرضوا لمنعه ثم حاكموه إلى النار التي كانوا يحاكمون إليها ، فتأكل الظالم وتدع المظلوم ، وجاؤا بأوثانهم . وخرج الحبران متقلدان المصاحف ، ودخل الحمْيَرِيُّون فأكلتهم وأوثانهم ، وخرج الحبران منها ترشح وجوههم وجباههم عرقاً ، فآمنت حِمْيَر عند ذلك ، وأجمعوا على اتباع اليهودية . ونقل السهيليُّ عن ابن قتيبة في هذه الحكاية انّ غزاة تبع هذه ، إنما هي استصراخة أبناء قيلة على اليهود ، فانهم كانوا نزلوا مع اليهود حين أخرجوهم من اليمن على شروط ، فنقضت عليهم اليهود فاستغاثوا بتبَّع فعند ذلك قدمها وقد قيل :ان الذي استصرخه أبناء قيلة على اليهود إنما هو أبو جبلة من ملوك غسان بالشام ، جاء به مالك بن عجلان ، فقتل اليهود بالمدينة ، وكان من الخزرج كما نذكر بعد . ويعضد هذا أنّ مالك بن عجلان بعيد عن عهد تبع بكثير ، يقال إنه كان قبل الاسلام بسبعمائة سنة ذكره ابن قتيبة . وحكى المسعودي في أخبار تبع هذا أنَّ أسعد أبا كرب سار في الأرض ، ووطأ الممالك وذلّلها ووطىء أرض العراق في ملك الطوائف ، وعميد الطوائف يومئذ خرّداد بن سابور ، فلقي ملكاً من ملوك الطوائف إسمه قبَّاذ ، وليس قبَّاذ بن فيروز ، فانهزم قباذ وملك أبو كرب العراق والشام والحجاز وفي ذلك يقول تبَّع أبو كرب :

إذ حسينا جيادنا من دماء ... ثم سرنا بها مَسيرا بعيدا
واستبحنا بالخيل خيل قبَّاذ ... وابن اقليد جاءنا مَصْفودا
وكسونا البيت الذي حرّم ... الله ملاء منضدا وبرودا
وأقمنا به من الشهر عشرا ... وجعلنا لبابه اقليدا

* (وقال أيضا) *

لست بالتبع اليماني ان لم ... تركض الخيل في سواد العراق
أو تؤدّي ربيعة الخرج قسرا ... لم يعقها عوائق العوّاق

وقد كانت لكندة معه وقائع وحروب ، حتى غلبهم حجر بن عمرو بن معاوية بن ثور بن مرتع بن معاوية بن كندة من ملوك كهلان ، فدانوا له ورجع أبو كرب إلى اليمن ، فقتله حِمْيَر وكان ملكه ثلثمائة وعشرين سنة .

ثم ملك من بعد أبي كرب هذا فيما قال ابن إسحق ربيعة بن نصر بن الحرث بن نمارة بن لخم ولخم أخو جذام . وقال ابن هشام ويقال ربيعة بن نصر بن أبي حارثة بن عمرو بن عامر . كان أبو حارثة تخلف باليمن بعد خروج أبيه ، وأقام ربيعة بن نصر ملكا على اليمن بعد هؤلاء التبابعة الذين تقدّم ذكرهم ، ووقع له شأن الرؤيا المشهورة . قال الطبريُّ عن ابن إسحق عن بعض أهل العلم أنّ ربيعة بن نصر رأى رؤيا هالته وفظع بها ، وبعث في أهل مملكته في الكهنة والسحرة والمنجّمين وأهل العيافة ، فأشاروا عليه باستحضار الكاهنين المشهورين لذلك العهد في إياد وغسّان ، وهما شقّ وسطيح . قال الطبريُّ شِقّ هو أبو صعب شكر بن وهب بن أمول بن يزيد بن قيّس عبقر بن أنمار ، وسطيح هو ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذيب بن عديّ بن مازن بن غسَّان ، ولوقوع اسم ذيب في نسبه كان يعرف بالذيبيّ . فأحضرهما وقص عليهما رؤياه وأخبراه بتأويلها ، أنّ الحبشة يملكون بلاد اليمن من بعد ربيعة وقحطان بسبعين سنة ، ثم يخرج عليهم ابن ذي يزن من عدن فيخرجهم ، ويملك عليهم اليمن ، ثم تكون النبوّة في قريش في بني غالب بن فهر . ووقع في نفس ربيعة أنّ الذي حدّثه الكاهنان من أمر الحبشة كائن ، فجهز بنيه وأهل بيته إلى العراق بما يصلحهم ، وكتب إلى ملك من ملوك فارس يقال له سابور بن خرّداذ فأسكنهم الحيرة .

ومن بيت ربيعة بن نصر كان النعمان ملك الحيرة ، وهو النعْمَان بن المُنذر بن عمْرو بن عديّ بن ربيعة بن نصر . قال ابن إسحق ولما هلك ربيعة بن نصر اجتمع ملك اليمن لحسّان بن تبان أسعد أبي كرب . قال السهيليُّ وهو الذي استباح طسماً كما ذكرناه ، وبعث على المقدّمة عبدُ كهلان بن يَثْرِب بن ذي حرب بن حارث بن ملك بن عبدَان بن حجر بن ذي رُعيْن . واسم ذي رعين يريم وهو ابن زيد الجمهور ، وقد مرّ نسبه إلى سَبَا الأصغر . وقال السهيليُّ في أيام حسَّان تبَّع كان خروج عمرو بن مزيقيا من اليمن بالأزد ، وهو غلط من السهيليّ لأنّ أبا كرب أباه إنما غزا المدينة فيما قال هو صريخاً للأوْس والخزرج على اليهود وهو من غسّان ونسبه إلى مزيقيا ، فعلى هذا يكون الذي استصرخه الأوْس والخزرَجُ على اليهود إنما هو من ملوك غسّان كما يأتي في أخبارهم . قال ابن اسحق : ولما ملك حسّان بن تبّع بن تبان أسعد سار بأهل اليمن يريد أن يطأ بهم أرض العرب والعجم كما كانت التبابعة تفعل ، فكرهت حِمْيَر

وقبائل اليمن السيْر معه وأرادوا الرجوع إلى بلادهم ، فكلموا أخاً له كان معهم في العسكر يقال له عمرو ، وقالوا له اقتلْ أخاك نملِكك وترجع بنا إلى بلادنا . فتابعهم على ذلك وخالفه ذورُعيْن في ذلك ونهى عمراً عن ذلك ، فلم يقبل وكتب في صحيفة وأودعها عنده :

ألا من يشتري سهرا بنوم سعيد من يبيت قرير عين
فأمّا حمير غدرت وخانت فمعذرة الاله لذي رُعَيْن

ثم قتل عمرو أخاه بعرصة لخم ، وهي رحبة مالك بن طوق ، ورجع حِمْيَر إلى اليمن فمنع النوم عليه السهر ، وأجهده ذلك فشكى إلى الأطباء عدم نومه والكهّان والعرّافين ، فقالوا ما قتل رجل أخاه إلا سُلّط عليه السهر . فجعل يقتل كل من أشار عليه بقتل أخيه ولم يغنه ذلك شيئا ، وهمّ بذي رعين فذكره شعره فكانت فيه معذرته ونجاته . وكان عمرو هذا يسمَّى موْثبان ، قال الطبريُّ : لوثو به على أخيه ، وقال ابن قتيبة لقلّة غزوه ولزومه الوثب على الفراش . وهلك عمرو هذا لثلاث وستين سنة من ملكِهِ .

قال الجرجاني والطبريّ : ثم مَرَجَ أمر[1] حِمْيَر من بعده وتفرقوا ، وكان ولد حسّان تبّع صغاراً لا يصلحون للملك وكان أكبرهم قد استهوته الجنُّ ، فوثب على ملك التبابعة عبد كلال موثبا فملك عليهم أربعاً وتسعين سنة ، وكان يدين بالنصرانية ، ثم رجع ابن حسَّان تبّع من استهواء الجن فملك على التبابعة . قال الجرجاني ملك ثلاثا وسبعين سنة وهو تبع الأصغر ذو المغازي والاثار البعيدة . قال الطبريُّ : وكان أبوه حسان تبع قد زوج بنته من عمرو بن حجر آكل المرارا بن عمرو بن معاوية من ملوك كندة ، فولدت له ابنه الحرث بن عمرو ، فكان ابن تبع بن حسَّان هذا ، فبعثه على بلاد معدّ ، وملك على العرب بالحيرة مكان آل نصر بن ربيعة . قال وانعقد الصلح بينه وبين كيقباد ملك فارس على أن يكون الفرات حدّا بينهم ، ثم أغارت العرب بشرقي الفرات ، فعاتبه على ذلك ، فقال لا أقدر على ضبط العرب الا بالمال والجند ، فأقطعه بلاداً من السواد ، وكتب الحرث إلى تبع يغريه بملك الفرس ، وتضعيف أمر كيقباد ، فغزاهم . وقيل إنَّ الذي فعل ذلك هو عمرو بن حجر أبوه الذي ولاه تبع أبو كرب ، وأنه أغراه بالفرس واستقدمه إلى الحيرة ، فبعث عساكره مع ولده الثلاثة إلى الصغد والصين والروم ، وقد تقدّم ذكر ذلك .

---

(١) مرج الامر : ضيّعه ولم يحكمه .

قال الجرجاني : ثم ملك بعد تبع بن حسّان تبّع أخوه لأمه وهو مُدَّثِر بن عبد كلال . فملك احدى وأربعين سنة . ثم ملك من بعده ابنه وليعة بن مدَّثِر سبعاً وثلاثين سنة . ثم ملك من بعده أبرهة بن الصبّاح بن لهيعة بن شيبة بن مدّثر قيلف بن يعلق بن معد يكرب بن عبدالله بن عمرو بن ذي أصبح الحرث بن مالك ، أخوذي رعين ، وكعب أبو سبا الأصغر . قال الجرجاني : وبعض الناس يزعم أنّ أبرهة بن الصبّاح إنما ملك تهامة فقط . قال: ثم ملك من بعده حسان بن عمرو بن تبع بن ملكيكرب سبعاً وخمسين سنة ، ثم ملك لخيْتَعَة[٢] ولم يكن من أهل بيت المملكة . قال ابن إسحق ولما ملك لخيتعة غلب عليهم ، وقتل خيارهم ، وعبث برجالات بيوت المملكة منهم ، قيل إنه كان ينكح ولدان حمير ، يريد بذلك أن لا يملكوا عليهم ، وكانوا لا يملكون عليهم من نكح ، نقله ابن إسحق . وقال أقام عليهم مملكا سبعا وعشرين سنة ، ثم وثب عليه ذو نواس زرعة تبع بن تبان أسعد أبي كرب ، وهو حسّان أبي ذي معاهر فيما قال ابن إسحق ، وكان صبياً حين قتل حسان ثم شب غلاما جميلا ذاهيئة وفضل ووضاءة ففتك بالختيعة[١] في خلوة اراده فيها على مثل فعلاته القبيحة ، وعلمت به حمير وقبائل اليمن فملكوه واجتمعوا عليه ، وجدّد ملك التبابعة ، وتسمىّ يوسف وتعصب لدين اليهودية ، وكانت مدّته فيما قال ابن إسحق ثمانية وستين سنة ، الى هنا اهـ ترتيب ابى الحسن الجرجاني . ثم قال : وقال آخرون ملك بعد أفريقش بن أبرهة قيس بن صيفي ، وبعده الحرث بن قيس بن مياس ، ثم ماء السمّاء بن مروه ثم شرحبيل وهو يصحب بن مالك بن زيد بن غوث بن سعد بن عوف بن علي بن الهمّال بن المنثلم بن جهيم ، ثم الصعب بن قرين بن الهمال بن المنثلم ، ثم زيد بن الهمّال ، ثم ياسر بن الحرث بن عمرو بن يعفر ، ثم زهير بن عبد شمس أحد بني صيفي بن سبا الاصغر وكان فاسقا مجرما يفتض أبكار حمير حتى نشأت بلقيس بنت اليشرح بن ذي جدن بن اليشرح بن الحرث بن قيس بن صيفي فقتلته غيلة ، ثم ملكت . ولما أخذها سليمان ملك لمك بن شرحبيل ، ثم ملك ذو وداغ فقتله ملكيكرب بن تبع بن الأقرن وهو أبو ملك ، ثم هلك . فملك أسعد بن

---

(٢) قوله لخيتعه وقيل اسمه لخيعة بن ينوف وهو هكذا في القاموس قاله نصر. وقد ذكره ابن الأثير في كتاب الكامل باسم لختيعه . ه

(١) في نسخة اخرى وفي مكان آخر : لخيتعة .

قيس بن زيد بن عمرو ذي الأذعار بن أبرهة ذي المنار بن الرايش بن قيس بن صيفي بن سبا ، وهو أبو كرب ، ثم ملك حسّان ابنه فقتله عمرو أخوه ووقع الإختلاف في حمير ، ووثب على عمرو الختيعة ينوف ذو الشناتر وملك . ثم قتله ذو نواس بن تبع وملك . اهـ كلام الجرجاني .

وزعم ابن سعيد ونقله من كتب مؤرخي المشرق أنّ الحرث الرايش هو ابن ذي شَدَد ويعرف بذي مداثر ، وأنّ الذي ملك بعده ابنه الصعب وهو ذو القرنين ، ثم ابنه أبْرَهَة بن الصَعْب وهو ذو المنار ، ثم العبد ذو الأشفارا بن أبرهة بن عمرو ذي الأذعار ابن أبرهة ، ثم قتلته بلقيس . قال في التيجان : إنّ حِمْيَر خلعوه ، وملكوا شَرْحَبِيل ابن غَالِب بن المَنْتَاب بن زَيْد بن يَعْفُر بن السَكْسَك بن واثل وكان بمأرب ، فجازبه ذو الأذعار وحارب ابنه الهدْهاد بن شرحبيل من بعده ، وابنته بلقيس بنت الهدْهاد الملكة من بعده ، فصالحته على التزويج وقتلته ، وغلبها سليمان عليه السلام على اليمن إلى أن هلك وابنه رَحَبْعَم من بعده . واجتمعت حِمْيَر من بعده على مالك بن عمرو ابن يَعْفُر بن عَمْرو بن حِمْيَر بن المنتاب بن عمرو بن يزيد بن يعفر بن السكسك بن واثل بن حِمْيَر ، وملك بعده ابنه شَمِر يَرْعَش وهو الذي خرّب سَمَرْقَنْد ، وملك بعده ابنه صيفي بن شمر على اليمن ، وسار أخوه أفريقش بن شمر إلى أفريقية بالبربر وكنعان فملكها . ثم انتقل الملك إلى كَهْلان وقام به عُمْران بن عَامِر ماء السماء بن حارثة امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد وكان كاهنا ، ولما احتضر عهد إلى أخيه عمرو بن عامر المعروف بمزيقيا وأعلمه بخراب سدْ مأرب وهلاك اليمن بالسيل ، فخرج من اليمن بقومه وأصحاب اليمن سيل العرم فلم ينتظم لبني قحطان بيعته ، واستولى على قصر مأرب من بعده ربيعة بن نصر. ثم رأى رؤيا ونذر بملك الحبشة وبعث ولده إلى العراق وكتب إلى سابور الأشعاني فأسكنهم الحيرة وكثرت الخوارج باليمن . فاجتمعت حِمْيَر على أن تكون لأبي كرب أسعد بن عدي بن صيفي فخرج من ظَفَّار وغلب ملوك الطوائف باليمن ، ودوّخ جزيرة العرب ، وحاصر الأوْس والخَزْرَج بالمدينة ، وحمل حمير على اليهودية ، وطالت مدّته وقتلته حِمْيَر . وملك بعده ابنه حسَّان الذي أباد طسماً ، ثم قتله أخوه عمرو بمداخلة حِمْيَر ، وهلك عمرو . فملك بعده أخوه لأبيه عبد كلال بن منوب ، وفي أيامه خلع سابور أكتاف العرب . وملك بعده تبع بن حسَّان وهو الذي بعث ابن أخيه الحرث بن عمرو

الكندي إلى أرض بني مَعَدّ بن عدنان بالحجاز فملك عليهم . وملك بعده مُرْثِد بن عبد كلال . ثم ابنه وليعة وكثرت الخوارج عليه ، وغلب أبرهة بن الصبَّاح على تهامة اليمن ، وكان في ظفَّار دار التبابعة حسَّان بن عمرو بن أبي كرب ، ثم وثب بعده على ظفَّار ذو شَنَاتِر ، وقتله ذو نُوَاس كما مرّ ، هذا ترتيب ابن سعيد في ملوكهم .

وعند المسعودي : أنه لما هلك كليكرب بن تُبَّع المعروف بالأقْرن ، قال وهو الذي سار قومه نحو خُرَاسَان والصغد والصين ، وولي بعده حسان بن تُبَّع ، فاستقام له الأمر خمسا وعشرين سنة ، ثم قتله أخوه عمرو بن تبع ، وملك أربعا وستين سنة ، ثم تبع أبو كَرِب وهو الذي غزا يَثْرِب وكسا الكعبة بعد أن أراد هدمها ، ومنعه الحبران من اليهود ، وتهوّد وملك مائة سنة . ثم بعده عمرو بن تبّع أبي كَرِب ، وخلع وملكوا مرثد بن عبد كلال ، واتصلت الفتن باليمن أربعين سنة . ومن بعده وليعة بن مَرْثِد تسعا وثلاثين سنة . ومن بعده أَبْرَهَة بن الصبَّاح بن وليعة بن مَرْثِدِ ، ويدعى شيبة الحمد ثلاثا وتسعين سنة ، وكانت له سير وقصص . ومن بعده عمرو ذو قَيْفَان تسع عشرة سنة . ومن بعده لخيتعة ذو شناتر ومن بعده ذو نُوَاس .

وأمّا ابن الكَلْبِيّ والطبريّ وابن حَزْم فعندهم أن تُبَّع أَسْعَد أبي كَرِب هو ابن كُلِيكَرِب بن زَيْد الأَقْرَن ابن عمرو بن ذي الأَذْعَار بن أَبْرَهَة ذي المَنَار الرَايِش بن قيس بن صيفي بن سبا الأصغر . وقال السُهَيْلِيّ انه أسقط أسماء كثيرة وملوكا . وقال ابن الكلبيّ وابن حزم : ومن ملوك التبابعة أفريقش بن صيفي ، ومنهم شَمر يَرْعِش ابن ياسِر يَنْعُم بن عمرو ذي الأذعار ، ومنهم بَلْقِيس ابنة اليَشْرُح بن ذي جَدَن بن اليَشْرُح بن الحَرْث الرايش بن قَيْس بن صَيْفي . ثم قال ابن حزم بعد ذكر هؤلاء من التبابعة : وفي أنسابهم اختلاف وتخليط وتقديم وتأخير ونقصان وزيادة ، ولا يصح من كتب أخبار التبابعة وأنسابهم إلاّ طرف يسير لاختلاف رواتهم وبعد العهد اهـ .

وقال الطبريُّ لم يكن لملوك اليمن نظام وإنما كان الرئيس منهم يكون ملكا على مخلافه لا يتجاوزه ، وان تجاوز بعضهم عن مخلافه بمسافة يسيرة من غير أن يرث ذلك الملك عن آبائه ولا يرثه أبناؤه عنه إنما هو شأن شدّاد المتلصّصة يغيرون على النواحي باستغفال أهلها ، فإذا قصدهم الطلب لم يكن لهم ثبات ، وكذلك كان أمر ملوك اليمن يخرج أحدهم من مخلافه بعض الأحيان ويبعد في الغزو والإغارة فيصيب ما يمر به ، ثم يتشمّر عند خوف الطلب زاحفا إلى مكانه من غير أن يدين له أحد من غير مخلافه

بالطاعة أو يؤدّي إليه خراجاً اهـ .

وأمّا الخبر عن ذي نُواس وما بعده فاتفق أهل الأخبار كلهم أنّ ذا نواس هو ابن تبان أسعد واسمه زرعة ، وأنه لما تغلب على ملك آبائه التبابعة ، تسمى يوسف وتعصب لدين اليهودية ، وحمل عليه قبائل اليمن ، وأراد أهل نَجّران عليها ، وكانوا من بين العرب يدينون بالنصرانية ولهم فضل في الدين واستقامة . وكان رئيسهم في ذلك يسمَّى عبدالله بن الثَامِر ، وكان هذا الدين وقع اليهم قديما من بقية أصحاب الحواريين من رجل سقط لهم من ملك التبعيّة يقال له ميمون نزل فيهم ، وكان مجتهداً في العبادة ، مجاب الدعوة ، وظهرت على يده الكرامات في شفاء المرضى ، وكان يطلب الخفاء عن الناس جهده ، وتبعه على دينه رجل من أهل الشام إسمه صالح ، وخرجا فارَّين بأنفسهما ، فلما وطئا بلاد العرب اختطفتهما سيارة فباعوهما بنجران ، وهم يعبدون نخلة طويلة بين أظهرهم ، ويعلقون عليها في الأعياد من حليهم وثيابهم ، ويعكفون عليها أياماً . وافترقا في الدير على رجلين من أهل نجران ، وأعجب سيد ميمون صلاته ودينه وسأله عن شأنه ، فدعاه إلى الدين وعبادة الله ، وأنّ عبادة النخلة باطل ، وأنه لو دعا معبوده عليها هلكت . فقال له سيده إن فعلت دخلنا في دينك . فدعا ميمون فأرسل الله ريحاً فجعفت النخلة من أصلها ، وأطبق أهل نجران على أتباع دين عيسى صلوات الله عليه . ومن رواية ابن إسحق أنّ ميمون نزل بقرية من قرى نجران ، وكان يمرّ به غلمان أهل نجران ، يتعلمون من ساحر كان بتلك القرية ، وفي أولئك الغلمان عبدالله بن الثامر ، فكان يجلس إلى ميمون ، ويسمع منه فآمَنَ به واتبعه ، وحصل على معرفة اسم الله الاعظم ، فكان مجاب الدعوة لذلك ، واتبعه الناس على دينه ، وأنكر عليه ملك نجران وهمّ بقتله . فقال له : لن تطيق حتى تؤمن وتوحد فآمَنَ ثم قتله ، فهلك ذلك الملك مكانه[1] . واجتمع أهل نجران

---

(١) العبارة هنا غير واضحة تماماً وهي اوضح عند الطبري في كتابه تاريخ الملوك والأمم الجزء ٢ ص ١٠٥ :
« ... لم يبق احد بنجران به ضر إلا أتاه فاتبعه على أمره ودعا له فعوفي حتى رفع شأنه إلى ملك نجران فدعاه فقال له : أفسدت عليّ أهل قريتي وخالفت ديني ودين آبائي لأمثّلن بك ، قال : لا تقدر على ذلك . فجعل يرسل به إلى الجبل الطويل فيطرح عن رأسه فيقع على الارض ليس به بأس فلما غلبه قال عبدالله بن الثامر : إنك والله لا تقدر على قتلي حتى توحد الله فتؤمن بما آمنت به فانك ان فعلت ذلك سلطت عليّ فقتلتني ، فوحد الله ذلك الملك وشهد بشهادة عبدالله بن الثامر ثم ضربه بعصا في يده فشجه شجة غير كبيرة فقتله ، فهلك الملك مكانه ... »

على دين عبدالله بن الثامر ، وأقام أهل نجران على دين عيسى صلوات الله عليه ، حتى دخلت عليهم في دينهم الأحداث . ودعاهم ذو نواس إلى دين اليهودية ، فأبوا . فسار إليهم في أهل اليمن وعرض عليهم القتل فلم يزدهم إلاّ جماحاً ، فحدّد لهم الأخاديد ، وقتل وحرق حتى أهلك منهم فيما قال ابن إسحق عشرين ألفا أو يزيدون ، وأفلت منهم رجل من سبا يقال له دَوْس ذو ثُعْلَبَان فسلك الرمل على فرسه وأعجزهم .

مَـلَـكُ الحبشةُ اليَـمَـنَ

قال هشام بن محمد الكلبيّ في سبب غزو ذي نواس أهل نجْران أنّ يهودياً كان بنجران فعدا أهلها على إبنين له فقتلوهما ظلماً ، فرفع أمره إلى ذي نواس ، وتوسل له باليهوْدية واستنصره على أهل نجران وهم نصارى ، فحمي له ولدينه وغزاهم . ولما أفلت دَوْس ذو ثُعْلَبَان فقدم على قَيْصَر صاحب الروم يستنصره على ذي نُواس ، واعلمه بما ركب منهم وأراه الإنجيل قد احترق بعضه بالنار ، فكتب له إلى النَجَاشِيّ يأمره بنصره ، وطلب بثأره ، وبعث معه النَجَاشِيّ سبعين ألفاً من الحَبَشَة . وقيل إنّ صريخ دوْس كان أولاً للنَجَاشِيّ ، وإنه اعتذر اليه بقلّة السفن لركوب البحر ، وكتب إلى قَيْصَر وبعث إليه بالإنجيل المحرق ، فجاءته السفن وأجاز فيها العساكر من الحبشة ، وأمَّر عليهم أرباطاً رجلاً منهم ، وعهد إليه بقتلهم وسبيهم وخراب بلادهم فخـرج أربــاط لذلك ومعه أَبْرَهَة الأَشْرَم فركبوا البحر ، ونزلوا ساحل اليمن . وجمع ذو نواس حِمْيَر ومن أطاعه من أهل اليمن على افتراق واختلاف في الأهواء ، فلم يكن كبير حرب وانهزموا . فلمّا رأى ذو نُواس ما نزل به وبقومه وجه بفرسه إلى البحر ، ثم ضربه فدخل فيه وخاض ضحصاح البحر ، ثم أفضى به إلى غمْرَةٍ فأقحمه فيه ، فكان آخر العهد بهِ ، ووطىء أرباط اليمن بالحبشة ، وبعث إلى النجاشِيَّ بثلث السبي كما عهد له ، ثم أقام بها فضبطها وأذل رجالات حِمْيَر . وهدم حصون الملك بها مثل سلجيق وسون وغمْدَان ، وقال ذو يَزَن يرثي حِمْيَر وقصور الملك باليمن :

هَوِّنْكَ ليس يَـرُدُّ الدَّمْعُ مَا فَاتَا ... لا تَـهْلَكَنْ أسَفاً فِي إِثْرِ مَنْ مَاتَا
أَبَعْـد سُون فَـلاَ عَيْـنٌ وَلاَ أَثَرٌ ... وَبَـعْد سَلْجِيق يَبْني النَّاسُ أَبْيَاتَا

وفي رواية هشام بن محمد الكلبيّ أنّ السفن قدمت على النَجَاشِيّ من قَيْصَر ، فحمل فيها الحبش ونزلوا بساحل اليمن ، واستجاش ذو نُواس بأقْيَال حِمْيَر فامتنعوا من صريخه وقالوا : كل أحد يقاتل عن ناحيته . فألقى ذو نُواس باليد ولم يكن قتال . وأنه سار بهم إلى صَنْعَاءَ ، وبعث عماله في النواحي لقبض الأموال ، وعهد بقتلهم في كل ناحية ، فقتلوا . وبلغ ذلك النَجَاشِيّ فجهز إلى اليمن سبعين ألفاً ، وعليهم أبْرَهَة فبلغوا صَنْعَاءَ ، وهرب ذو نُواس واعترض البحر فكان آخر العهد به . وملك أبرهة اليمن ولم يبعث إلى النَجَاشِيّ بشيء وذكر له أنه خلع طاعته فوجه جيشاً من أصحابه عليهم أرْبَاط . ولما حلّ بساحته دعاه إلى النصفة والنزال فتبارزا وخدعه أبْرَهَة ، وأكمن عبداً له في موضع المبارزة ، فلما التقيا ضربه أرْباط فشرم أنفه ، وسمي الأَشْرَم وخالفه العبد من الكمين فضرب أَرْباطاً فأنفذه ، وبلغ النَجَاشِيّ خبر أرباط فحلف ليريقنّ دمه[1] . ثم كتب إليه أبْرَهَة واسترضاه فرضي عليه واقره على عمله .

وقال ابن إسحق إنّ أرباط هو الذي قدم اليمن أوّلاً وملكه وانتقض عليه أبْرَهَة من بعد ذلك ، فكان ما ذكرنا من الحرب بينهما وقتل أرْبَاط ، وغضب النَجَاشِي لذلك ثم أرضاه واستبدّ أبرهة بملك اليمن .

ويقال إنّ الحبشة لمّا ملكوا اليمن أمّر أبْرَهَة بن الصبّاح ، وأقاموا في خدمته . قاله ابن سلام : وقيل إنّ مُلْكَ حِمْيَر لما انقرض أمر التبابعة صار متفرقاً في الأذواء من وُلْدِ زَيْد الجُمْهُور . وقام بملك اليمن منهم ذو يَزَن من وُلْد مالِك بن زَيْد . قال ابن حَزْم : واسمه عَلَس بن زَيْد بن الحَرْث بن زَيْد الجُمْهُور . وقال ابن الكَلْبِيّ وأبو الفَرَج الأَصْبَهَاني : هو عَلَس بن الحَرْث بن زَيْد بن الغَوْث بن سَعْد بن عَوْف بن عَدِيّ بن مالِك بن زيْد الجُمْهُور . قالوا كلهم : ولما ملك ذو يَزَن بعد مهلك ذي نُواس واستبدّ أمر الحَبَشَة على أهل اليمن ، طالبوهم بدم النصارى الذين في أهل نَجْرَان ، فساروا إليه وعليهم أرْبَاط ، ولقيهم فيمن معه فانهزم واعترض البحر ، فأقحم فرسه وغرق فهلك بعد ذي نُواس ، وولي ابنه مَرْثِد بن ذي يَزَن مكانه ، وهو الذي استجاشه امرؤ القَيْس على بني أَسَد وكان من عقب ذي يَزَن أيضاً ، من هؤلاء الأذواء عَلْقَمَة ذو قَيْفَان بن شَرَاحيل بن ذي يَزَن ، وملك مدينة الهُون فقتله أهلها من هَمَدَان اهـ . ولما استقرّ أبرهة في ملك اليمن أساء السير في حِمْيَر ، ورؤسائهم وبعث في رَيْحَانَة بنت عَلْقَمَة بن

---

(١) الضمير يعود إلى أبرهه .

مالك بن زيد بن كهلان فانتزعها من زوجها أبي مرّة بن ذي يزن ، وقد كانت ولدت منه ابنه مَعْدِ يكَرِب ، وهرب أبو مرّة ، ولحق بأطراف اليمن واصطفى أبرهة ريحانة فولدت له مسروق بن أبرهة وأخته بسباسة . وكان لأبرهة غلامٌ يُسمَّى عمدَدَة ، وكان قد ولاّه الكثير من أمره ، فكان يفعل الأفاعيل حتى عدا عليه رجل من حِمْيَر أو خَثْعَم فقتله وكان حليماً فأهدر دمه .

غزو الحبشة الكعبة

ثم إنّ أبرهة بنى كنيسة بصنعاء تسمّى القُلَيْس لم يُرَ مثلها وكتب إلى النجاشيّ بذلك ، وإلى قيصر في الصنَّاع والرُخام والفسيفساء ، وقال لست بمنتهٍ حتى أصرف إليها حج العرب . وتحدّث العرب بذلك فغضب رجل من السادة ، أحد بني فُقَيم ، ثم أحد بني مالِك ، وخرج حتى أتى القليس فقعد فيها ، ولحق بأرضه . وبلغ أبرهة وقيل له الرجل من البيت الذي يحج إليه العرب ، فحلف ليسيرنّ إليه يهدمه . ثم بعث في الناس يدعوهم إلى حج القُلَيْس ، فضرب الداعي في بلاد كنانة بسهم فقتل . وأجمع أبرهة على غزو البيت وهدمه ، فخرج سائرا بالحبشة ومعه الفيل . فلقيه ذو نفر الحِمْيَريّ وقاتله فهزمه وأسره ، واستبقاه دليلا في أرض العرب . قال ابن إسحق : ولما مرّ بالطائف خرج إليه مسعود بن معتب في رجال ثقيف فأتوه بالطاعة وبعثوا معه أبا رِغَال دليلا ، فأنزله المغْمِس بين الطائِف ومكة فهلك هنالك ورجمت العرب قبره من بعد ذلك قال جرير :

إذا مَاتَ الفَرَزْدَقُ فَارْجُمُوهُ ... كَمَا تَرْمُونَ قَبْرَ أبي رِغَال

ثم بعث أبرهة خيلا من الحبشة ، فانتهوا إلى مكة ، واستاقوا أموال أهلها ، وفيها مائتا بعير لعبد المطلب وهو يومئذ سيد قُرَيْش ، فهمّوا بقتاله ثم علموا أنّ لا طاقة لهم به فاقصروا . وبعث أبرهة حِنَاطَة الحِمْيَريّ إلى مكة يعلمهم بمقصده من هدم البيت ، ويؤذنهم بالحرب إن اعترضوا دون ذلك ، وأخبر عبد المطلب بذلك عن أبرهة ، فقال له : والله ما نريد حربه ، وهذا بيت الله فان يمنعه فهو بيته وان يخلي عنه فما لنا نحن من دافع . ثم انطلق به إلى أبرهة ، ومرّ بذي نفر وهو أسير ، فبعث معه إلى سائس الفيل ، وكان صديقا لذي نفر ، فاستأذن له على أبرهة ، فلما رآه جلّه ونزل عن سريره ، فجلس معه على بساطه . وسأله عبد المطلب في الإبل . فقال له أبرهة هلا

سألت في البيت الذي هو دينك ودين آبائك وتركت البعير. فقال عبد المطلب: أنا ربّ الإبل وللبيت ربٌّ سيمنعه. فردّ عليه إبله. قال الطبريّ: وكان فيما زعموا قد ذهب مع عبد المطلب عَمْرو بن لُعَابَة بن عدي بن الرمل سيّد كنانة، وخُوَيْلِد بن واثلة سيّد هُذَيْل، وعرضوا على أبرهة ثلث أموال تهامة ويرجع عن هدم البيت، فأبى عليهم، فانصرفوا. وجاء عبد المطلب وأمر قريشا بالخروج من مكة إلى الجبال والشعاب للتحرُّز فيها، ثم قام عند الكعبة ممسكاً بحلقة الباب ومعه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه، وعبد المطلب ينشد ويقول:

لا همّ إنّ العبـــــــــد يمنع رحلـه فـامنع رحـالك

لا يغلبـنّ صليبـهم ومحالهم أبــــــــدا محالك

وانصر على آل الصليب وعـــابـــديـــه اليوم آلك

في أبيات معروفة.

ثم أرسل الله عليهم الطير الأبابيل من البحر، ترميهم بالحجارة فلا تصيب أحداً منهم إلاّ هلك مكانه، وأصابه في موضع الحجر من جسده كالجدري والحصبة فهلك، وأصيب أبرهة في جسده بمثل ذلك، وسقطت أعضاؤه عضواً عضواً، وبعثوا بالفيل ليقدم على مكة فربض ولم يتحرك فنجا. واقدم فيل آخر فحصب[1] وبعث الله سيلا مجحفا فذهب بهم، وألقاهم في البحر. ورجع أبرهة إلى صنعاء وهو مثل فرخ الطائر، فانصدع صدره عن قلبه ومات.

ولمّا هلك أَبْرَهَة ملك مكانه ابنه يكسوم وبه كان يكنى واستفحل ملكه وأذل حِمْيَر وقبائل اليمن ووطئتهم الحَبَشَة، فقتلوا رجالهم ونكحوا نِسَاءَهم واستخدموا أبناءهم. ثم هلك يكسُوم بن أبرهة فملك مكانه أخوه مسْرُوق، وساءت سيرته وكثر عسف الحبشة باليمن، فخرج ابن ذي يَزَن واستجاش عليهم بكسرى، وقدم اليمن بعساكر الفرس، وقتل مسروقا وذهب أمر الحبشة بعد أن توارث ملك اليمن منهم أربعة في إثنتين وسبعين سنة أوّلهم أَرْبَاط، ثم أَبْرَهَة، ثم ابنه يَكْسُوم، ثم أخوه مَسْرُوق بن أَبْرَهَة.

---

(١) أي ضرب بالحصباء.

قصة سيف بن ذي يزن وملك الفرس على اليمن

ولما طال البلاء من الحبشة على أهل اليمن ، خرج سيف بن ذي يَزَن الحِمْيَريّ من الأذواء بقية ذلك السلف ، وعقب أولئك الملوك ، وديال الدولة المفوض للخمود . وقد كان أبرهة انتزع منه زوجته ريحانة بعد أن ولدت منه ابنه مَعْدِ يكَرِب كما مرّ . ونسبه فيما قال الكلبيّ سيف بن ذي يَزَن بن عافر بن أسلم بن زيد بن سعد بن عوْف بن عدي بن مالك بن زيد الجمهور ، هكذا نسبه ابن الكلبيّ ، ومالك بن زيد هو أبو الأذواء . فخرج سيف وقدم على قيصر ملك الروم وشكى إليه أمر الحبشة ، وطلب أن يخرجهم ويبعث على اليمن من شاء من الروم ، فلم يسعفه عن الحبشة ، وقال الحبشة على دين النصارى . فرجع إلى كسرى وقدم الحيرة على النعمان بن المنذر عامل فارس على الحيرة وما يليها من أرض العرب ، فشكى إليه ، واستمهله النعمان إلى حين وفادته على كسرى ، وأوفد معه وسأله النصر على الحبشة وأن يكون ملك اليمن له . فقال : بعدت أرضك عن أرضنا ، أوْ هي قليلة الخير إنما هي شاءٌ وبعير ولا حاجة لنا بذلك . ثم كساه وأجازه ، فنثر دنانير الاجازة ونهبها الناس يوهم الغنى عنها بما في أرضه . فأنكر عليه كسرى ذلك . فقال : جبال أرضي ذهب وفضة ، وإنما جئت لتمنعني من الظلم . فرغب كسرى في ذلك ، وأمهله للنظر في أمره ، وشاور أهل دولته ، فقالوا في سجونك رجال حبستهم للقتل ابعثهم معه فإنْ هلكوا كان الذي أردت بهم ، وإن ملكوا كان ملكاً إزددته إلى ملكك . وأحصوا ثمانمائة وقدم عليهم أفضلهم وأعظمهم بيتا وأكبرهم نسباً وكان وَهْرَز الدَيْلَمِي .

وعند المسعودي وهشام بن محمد والسُهَيْلِيّ أنّ كسرى وعده بالنصر ولم ينصره وشغل بحرب الروم ، وهلك سيف بن ذي يزن عنده ، وكبر إبنه ابن رَيْحَانَة وهو مَعْد يكَرِب وعرّفته أمّه بأبيه ، فخرج ووفد على كسرى يستنجزه في النصرة التي وعد بها أباه ، وقال له : أنا ابن الشيخ اليمني الذي وعدته . فوهبه الدنانير ونثرها إلى آخر القصة .

وقيل إنّ الذي وفد على كسرى وأباد الحبشة هو النُعْمان بن قَيْس بن عُبَيْد بن سَيْف بن ذي يَزَن . قالوا ولما كتبت الفرس مع وَهْرَز وكانوا ثمانمائة ، وقال ابن قتيبة كانوا سبعة آلاف وخمسمائة ، وقال ابن حَزْم كان وَهْرَز من عقب جاماسب عمّ أنو شروان ، فأمّره على أصحابه وركبوا البحر ثمان سفائن فغرقت منها سفينتان وخلصت ست إلى

ساحل عدن . فلما نزلوا بأرض اليمن ، قال وَهْرَز لسيف : ما عندك ؟ قال : ما شئت من قوس عربي ورِجْلي مع رِجْلِك حتى نظفر أو نموت . قال أنصفت . وجمع ابن ذي يَزَن من استطاع من قومه ، وسار إليه مسروق بن أَبْرَهَة في مائة ألف من الحبشة وأوباش اليمن ، فتواقفوا للحرب ، وأمر وَهْرَز ابنه أن يناوشهم القتال فقتلوه ، وأحفظه ذلك . وقال : أروني ملكهم . فأروه إياه على الفيل عليه تاجه وبين عينيه ياقوتة حمراء ثم نزل عن الفيل إلى الفرس ، ثم إلى البغلة . فقال وَهْرَز ، ركب بنت الحمار ، ذُلّ وذلّ ملكه . ثم رماه بسهم فصكّ الياقوتة بين عينيه ، وتغلغل في دماغه ، وتنكّس عن دابته وداروا به ، فحمل القوم عليهم وانهزم الحبشة في كل وجه ، وأقبل وهزر إلى صنعاء ، ولما أتى بابها قال : لا تدخل رايتي منكوسة . فهدم الباب ، ودخل ناصبا رايته فملك اليمن ونفى عنها الحبشة وكتب بذلك إلى كسرى وبعث إليه بالأموال . فكتب إليه أن يملك سيف بن ذي يَزَن على اليمن على فريضة يؤدّيها كل عام ففعل ، وانصرف وهزر إلى كسرى .

وملك سيف اليمن وكان أبوه من ملوكها وخلف وهزر نائباً على اليمن في جماعة من الفرس ضمهم إليه وجعله لنظر ابن ذي يَزَن وأنزله بصنعاء . وانفرد ابن ذي يَزَن بسلطانه ، ونزل قصر الملك وهو رأس غُمْدَان ، يقال إنّ الضَحَّاك بناه على اسم الزُهَرَة وهو أحد البيوت السبعة الموضوعة على أسماء الكواكب وروحانيتها ، خرب في خلافة عثمان قاله المسعودي .

وقال السُهَيْلِيّ : كانت صَنْعَاءَ تسمى أوال ، وصنعاء اسم بانيها صنعاء بن أَوَال بن عُمَيْر بن عَابِر بن شَالِخ . ولمّا استقل ابن ذي يَزَن بملك اليمن وفدت العرب عليه يهنوه[1] بالملك ، ولما رجع من سلطان قومه وأباد من عدوّهم ، وكان فيمن وفد عليه مشيخة قُرَيْش وعظماء العرب لعهدهم من أبناء إسمعيل وأهل بيتهم المنصوب لحجهم ، فوفدوا في عشرة من رؤوسائهم فيهم عبد المطلب ، فأعظمهم سيف وأجلهم وأوجب لهم حقهم ووفر من ذلك قسم عبد المطلب من بينهم . وسأله عن بنيه حتى ذكر له شأن النبيّ صلى الله عليه وسلم وكفالته إياه بعد موت عبدالله أبيه عاشر ولد عبد المطلب ، فأوصاه به وحضه على الإبلاغ في القيام عليه ، والتحفظ به

(١) الصحيح ان يقول : « وفدت العرب عليه يهنونه أو « تهنيه » لان الفعل من الأفعال الخمسة ولم يتقدم عليه ما يوجب حذف النون . »

من اليهود وغيرهم ، وأسرّ إليه البُشْرى بنبوّته وظهور قريش قومهم على جميع العرب . وأسنى جوائز هذا الوفد بما يدل على شرف الدولة وعظمها لبعد غايتها في الهمة ، وعلو نظرها في كرامة الوفد ، وبقاء آثار الترف في الصبابة شاهد لشرافة الحال في الاوّل . ذكر صاحب الأعلام وغيره أنه أجاز سائر الوفد بمائة من الإبل وعشرة أعبد وعشرة وصائف وعشرة أرطال من الورق والذهب وكرش مليء من العنبر وأضعاف ذلك بعشرة أمثاله لعبد المطلب .

قال ابن إسحق : ولما انصرف وَهْرَز إلى كسرى غزا سيف على الحبشة وجعل يقتل ويبقر بطون النساء ، حتى اذا لم يبق إلا القليل جعلهم خولا واتخذ منهم طوابير يسعون بين يديه بالحراب ، وعظم خوفهم منه . فخرج يوما وهم يسعون بين يديه ، فلما توسطهم وقد انفردوا به عن الناس ، رموه بالحراب فقتلوه ، ووثب رجل منهم على الملك . وقيل ركب خليفة وَهْرَز فيمن معه من المسلحة ، واستلحم الحَبَشَة وبلغ ذلك كسرى ، فبعث وَهْرَز في أربعة آلاف من الفُرْس وأمره بقتل كل أسود أو منتسب إلى أسود ولو جَعْداً قططاً ففعل ، وقتل الحبشة حيث كانوا ، وكتب بذلك إلى كسرى ، فأمّره على اليمن فكان يجبيه له حتى هلك . واستضافت حشّابة ملك الحِمْيَريّين بعد مهلك ابن ذي يزن وأهل بيته إلى الفرس ، وورثوا ملك العرب وسلطان حِمْيَر باليمن بعد أن كانوا يزاحمونهم بالمناكب في عراقهم ، ويجوسونهم بالغزو خلال ديارهم . ولم يبق للعرب في الملك رسم ولا طلل إلا أقيالا منْ حِمْيَر وقَحْطان رؤساء في أحيائهم بالبدو لا تعرف لهم طاعة ، ولا ينفذ لهم في غير ذاتهم أمر ، إلا ما كان لكهلان إخوتهم بأرض العرب من ملك آل المنذر من لخم على الحيرة والعراق بتولية فارس ، وملك آل جفنة من غسان على الشام بتولية آل قيصر كما يأتي في أخبارهم .

وقال الطَبَرِيُّ : لما كانت اليمن لكسرى بعث إلى سَرَنْدِيب منْ الهنْد قائداً من قواده ، ركب إليها البحر في جند كثيف ، فقتل ملكها واستولى عليها ، وحمل إلى كسرى منها أموالا عظيمة وجواهر . وكان وَهْرَز يبعث العير إلى كسرى بالأموال والطيوب ، فتمرّ على طريق البحرين تارة وعلى أرض الحجاز أخرى . وعدا بنو تميم في بعض الأيام على عيره بطريق البحرين ، فكتب إلى عامله بالإنتقام منهم ، فقتل منهم خلقا كما يأتي في أخباركسرى . وعدا بنوكنانة على عيره بطريق الحجاز حين مرّت بهم ، وكان في جوار رجل من أشراف العرب من قَيْس ، فكانت حرب الفجّار بين قيس وكنانة

بسبب ذلك وشهدها النبيّ صلى الله عليه وسلم وكان ينبل فيها على أعمامه أي يجمع لهم النبل .

قال الطبريّ : ولما هلك وهزر أمّر كسرى من بعده على اليمن ابنه المَرْزَبَان ، ثم هلك فأمّر حافده خَرْخِسْرو بن التيجان بن المرزبان ، ثم سخط عليه وحمل إليه مقيدا ، ثم أجاره ابن كسرى وخلّى سبيله ، فعزله كسرى وولى باذان فلم يزل إلى أن كانت البعثة وأسلم باذان وفشا الإسلام باليمن كما نذكره عند ذكر الهجرة وأخبار الاسلام باليمن .

هذا آخر الخبر عن ملوك التبابعة من اليمن ومن ملك بعدهم من الفُرس ، وكان عدد ملوكهم فيما قال المسعودي سبعة وثلاثين ملكا في مدّة ثلاثة آلاف ومائتي سنة إلاّ عشراً ، وقيل أقل من ذلك . فكانوا ينزلون مدينة ظَفَّار . قال السُهَيْليّ زمار وظفّار اسمان لمدينة واحدة ، يقال بناها مالك بن أبرهة وهو الأملوك ويسمى مالك وهو ابن ذي المنار ، وكان على بابها مكتوب بالقلم الأوّل في حجر أسود :

يوم شيدت ظفار فقيل لمن ... أنت فقالت لخير الاخيار
ثم سيلت من بعد ذلك قالت ... انّ ملكي احابش الاشرار
ثم سيلت من بعد ذلكَ قَالَتْ ... ان ملكي لفارس الاحرارِ
ثمّ سيلت من بعد ذلك قَالَتْ ... انّ ملكي لقريش النجّارِ
ثم سيلت من بعد ذلك قالت ... ان ملكي لخيَر سنجارِ
وقليلا ما يلبث القوم فيها ... غير تشييدها لحامي البوارِ
من أسود يلقيهم البحر فيها ... تُشْعِلُ النار في أعالي الجدار

ولم تزل مدينة ظفّار هذه منزلا للملوك ، وكذلك في الإسلام صدر الدولتين ، وكانت اليمن من أرفع الولايات عندهم بما كانت منازل العرب العاربة ، وداراً للملوك العظماء من التبابعة والأقيال والعباهلة . ولما انقضى الكلام في أخبار حِمْيَر وملوكهم باليمن من العرب ، استدعى الكلام ذكر معاصريهم من العجم على شرط كتابنا لنستوعب أخبار الخليقة ، ونميّز حال هذا الجيل العربي من جميع جهاته ، والأمم المشاهير من العجم الذين كانت لهم الدول العظيمة لعهد الطبقة الأولى والثانية من العرب وهم النبط والسريانيُّون أهل بابل ، ثم الجَرَامِقَة أهل الموصل ، ثم القبط ، ثم بنو اسرائيل والفُرْس ويونان والروم ، فلنأت الآن بما كان لهم من الملك والدولة وبعض أخبارهم على اختصار ، والله ولي العون والتوفيق ، لا رب غير ولا مأمول إلاّ خيره .

٣ زرعة ذو نواس — عمر ثوبان

بن تبان بن أسعد أبي كرب بن كليكرب بن تبع الأقرن بن زيد —

شمر مرعش ابن ياسر ينعم

بن عمر ذي الأذعار ابن ابرهة ذي المنار —

بلقيس

يلقمة بنت اليشرح بن شمر بن افريقش بن ابرهة

ابن الحرث الرايش بن ذي سدد

افريقش

بن قيس بن صيفى بن سبا الاصغر

بن الملطاط بن عمرو بن ذي يقرم بن الصوار بن عبد شمس

الخبر عن ملوك بابل من النبط والسريانيين وملوك الموصل ونينوى من الجرامقة

قد تقدم لنا أنّ ملك الأرض من بعد نوح عليه السلام كان لكنعان بن كوش بن حام ، ثم لإبنه النمروذ من بعده ، وانه كان على بدعة الصابئة ، وأنّ بني سام كانوا حنفاء ينتحلون التوحيد الذي عليه الكلدانيون من قبلهم . قال ابن سعيد : ومعنى الكلدانيين الموحدين . ووقع ذكر النمروذ في التوراة منسوبا إلى كوش بن حام ، ولم يقع فيها ذكر لكنعان بن كوش ، فالله أعلم بذلك . وقال ابن سعيد أيضاً : وخرج عابر بن شالخ بن أرفخشذ فغلبه ، وسار من كوثا إلى أرض الجزيرة والموصل فبنى مدينة مجدل هنالك ، وأقام بها إلى أن هلك ، وورث أمره ابنه فالغ من بعده ، وأصاب النمروذ وقومه على عهد سيدنا إبراهيم عليه السلام ما أصابهم في الصرح وكانت البلبلة وهي المشهورة . وقد وقع ذكرها في التوراة ولا أدري معناها . والقول بأن الناس أجمعين كانوا على لغة واحدة فباتوا عليها ، ثم أصبحوا وقد افترقت لغاتهم ، قول بعيد في العادة ، إلاّ أنْ يكون من خوارق الأنبياء فهو معجزة حينئذ ولم ينقلوه كذلك . والذي يظهر أنه اشارة إلى التقدير الإلهي في خرق العادة وافتراقها وكونها من آياته كما وقع في القرآن الكريم ، ولا يعقل في أمر البلبلة غير ذلك .

وقال ابن سعيد سوريان بن نبيط ولاه فالغ على بابل ، فانتقض عليه وحاربه ، ولما هلك فالغ قام بأمره بعده ابنه ملكان ، فغلبه سوريان على الجزيرة ، وملكها هؤلاء الجرامقة إخوانه في النسب بنو جرموق بن أشوذ بن سام ، وكانت مواطنهم بالجزيرة وكان ابن أخت سوريان منهم الموصل بن جرموق ، فولاّه سوريان على الجزيرة وأخرج بني عابر منها ، ولحق ملكان منها بالجبال فأقام هناك ، ويقال إن الخضر من عقبه ، واستبد الموصل على خاله سوريان بن نبيط ملك بابل ، وامتازت مملكة الجرامقة من مملكة النبط . وملك بعد الموصل ابنه راتق وكانت له حروب مع النبط ، وملك من بعده ابنه أثور وبقي ملكها في عقبه وهو مذكور في التوراة ، وملك بعده ابنه نينوى وبنى المدينة المقابلة للموصل من عدوة دجلة المعروفة باسمه ، ثم كان من عقبه سنجاريف بن أثور بن نينوى بن أثور وهو الذي بنى مدينة سنجار وغزا بني اسرائيل فصلبوه على بيت المقدس .

وقال البيهقيّ : إنّ الجزيرة ملكها بعد مقتل سنجاريف أخوه ساطرون ، وهو الذي بنى مدينة الخضر في برية سنجار على نهر الترتار لتولعه بصيد الأسود في غيضاتها . وملك من بعده ابنه زان وكان يدين بالصابئة ، ويقال إن يونس بن متى بعث إليه ويونس من الجرامقة من سبط بنيامين بن إسرائيل من ابنه ، فآمن به زان بن ساطرون بعد الذي قصّه القرآن من شأنه معهم ، ثم انّ بختنصر لما غلب على بابل زحف إليه ودعاه إلى دين الصابئة ، وشرط له أن يبقيه في ملكه فأجاب . ولم يزل على الجزيرة حتى زحف إليه جيوش الفرس مع أرتاق ، فضمن القيام بالمجوسية على آن يبقوه في ملكه ، وكتب بذلك أرتاق إلى بهمن فيضمن له ، فأجابه بأن هذا رجل متلاعب بالأديان فاقتله ، فقتله أرتاق وانقرض ملكه بعد ألف وثلثمائة سنة فيما قال البيهقي . وفي أربعين ملكا منهم ، وصارت الجزيرة لملوك الفرس ، والذي عند الإسرائيليين سنجاريف من ملوك نينوى وهم أولاد موصل بن أشوذ بن سام . وأنه كان قبله بالموصل ملوك منهم وهم فول وتلفات وبلناص ، وأنهم ملكوا بلد الأسباط العشرة ، وهي شمورون المعروفة بالسامرة ، وأنه غرّب الأسباط الذين كانوا فيها إلى نواحي أصبهان وخراسان ، وأسكن أهل كومة وهي الكوفة في شمورون هذه ، فسلط الله عليهم السباع يفترسونهم في كلّ ناحية . فشكوا ذلك إلى سنجاريف وسألوه أن يخبرهم عن بلد شمورون في قسمة أي كوكب هي كي يتوجهوا إليه ، ويستنزلوا روحانيته على طريق الصابئة ، فأعرض عن ذلك وبعث كاهنان إليهم من اليهود فعلموهم دين اليهودية ، وأخذوا به . وهؤلاء عند اليهود هم الشمرة نسبة الى شمرة وهي شمورون ، وليس الشمرة عندهم من بني اسرائيل ، ولان دينهم صحيح في اليهودية .

وزحف سَنْجَارِيف عندهم إلى بيت المَقْدِس بعد استيلائه على شمورون فحاصرها ، وداخله العجب بكثرة عساكره ، فقال لبني اسرائيل من الذي خلصه إلهه من يدي حتى يخلصكم إلهكم ، وفزع ملك بني اسرائيل إلى نبيّهم مَدْليلا ، وسأله الدعاء فدعا له وأمنه من شرّ سنجاريف ، ونزلت بعسكره في بعض لياليهم آفة سماوية ، فأصبحوا كلهم قتلى . يقال أحصى قتلاهم فكانوا مائة وخمسة وثمانين ألفاً ، ورجع سِنجاريف إلى نينوى ، ثم قتله أولاده في سجوده لمعبوده من الكواكب ، وولي ابنه أَيْسَرْ حَدُّون ، ثم استولى عليهم بعد ذلك بَخْتَنَصَّر كما سنذكره في خبره .

وأما ملوك بابل فهم النبط بنو نبيط بن أشوذ بن سام . وقال المسعودي : نبيط بن ماش بن إرَم ، وكانوا موطنين بأرض بابل وملك منهم سوريان بن نبيط ، وقال المسعوديّ : هو أحد نبيط بن ماش ملك أرض بابل بولاية من فالغ ، فلما مات فالغ أظهر بدعة الصابئة ، وانتحلها بعده ابنه كنعان ويلقب بالنمروذ . وملك بعده ابنه كوش وهو نمروذ ابراهيم عليه السلام ، وهو الذي قدم اباه آزر فاصطفاه هاجر على بيت الأصنام لأن أرعو بن فالغ لما هلك أبوه فالغ وكان على دين التوحيد الذي دعاه إليه أبوه عابر ، رجع حينئذ أرعُو إلى كوثا ، ودخل مع النمارذة في دين الصابئة ، وتوارثها بنوه إلى آزر بن ناحور ، فاصطفاه هاجر بن كوش وقدّمه على بيت الأصنام ، وولد له إبراهيم عليه السلام ، وكان من أمره ما ذكرنا فيما نصه التنزيل ونقله الثقات .

ثم توالت ملوك النمارذة ببابل وكان منهم بختنصر على ما ذهب إليه بعضهم ، ويقال إنّ الجرامقة وهم أهل نينوى غلبوا على بابل وملكها سنجاريف منهم واستعمل فيها بختنصر من ملوكها ، ثم انتقض عليه بالجزا والطاعة ، وغزا بني اسرائيل ببيت المقدس ، فاقتحمها عليهم بعد الحصار ، وأثخن فيهم بالقتل والأسر ، وقتل ملكهم وخرب مسجدهم وتجاوزهم إلى مصر فملكها . ولما هلك بختنصر ملك من بعده فيما ذكروه ابنه نَشْبَتْ نَصَّر ، ثم من بعده بَنيَصَّر وغزاه أَرْتَاق مرزبان كسرى من ملوك الكينية فقتله وملك بابل وأعمالها وصار النبط والجرامقة رعية للفرس ، وانقرضت دولة النمارذة ببابل ، هكذا ذكر ابن سعيد ونقله عن داهر مؤرخ دولة الفرس ، وجعل السريانيين والنبط أمة واحدة ، وهما دولة واحدة . وأما المسعودي فجعلهما دولتين .

وأما السريانيون فقال هم أول ملوك الأرض بعد الطوفان ، وسمّى من ملوكهم تسعة متعاقبين في مائة سنة أو فوقها بأسماء أعجمية لا فائدة في نقلها لقلة الوثوق بالأصول التي بايدينا من كتبه وكثرة التغيير في الأسماء الأعجمية . نعم ذكر أن شوشان بشينين معجمتين ، وأنه أول من وضع التاج على رأسه . والرابع منهم انه الذي كَوَّرَ الكُوَر ومَدَّنَ المُدُن وأنّ ملك الهند لعهده كان اسمه رَتْبيل وأنه على ملكه واستولى على السريانيين ، وأن بعض ملوك المغرب ظاهرهم عليه وانتزع لهم ملكهم منه ورده عليهم . وسمّى الثامن منهم ماروت وأشار في آخر كلامه إلى أنهم كانوا مستولين على بابل وعلى الموصل ، وأن ملوك اليمن ربما غلبوهم على أمرهم بعض الأحيان . وذكر في التاسع أنه كان غير مستقل بأمره ، وانّ أخاه كان مقاسمه في سلطانه ، وأنّ أوّل من

اتخذ الخمر فلانٌ وأوّل من ملك فلانٌ ، وأوّل من لعب بالصقور والشطرنج فلانٌ ، مزاعم كلها بعيدة من الصحة . إنما وجهه أن السريانيين لما كانوا أقدم في الخليقة نسب اليهم كل قديم من الأشياء ، أو طبيعي كالخط واللغة والسحر والله أعلم .

وأمّا النبط فعند المسعودي أنهم من أهل بابل لقوله في ترجمتهم ذكر ملوك بابل والنبط وغيرهم المعروفين بالكلدانيين ، وذكر أنّ أولهم نمروذ الجبار ونسبه الى ماش بن إرَم بن سام ، وذكر أنه الذي بنى الصرح ببابل ، واحتفر نهر الكوفة . ونسب النمروذ في موضع آخر الى كوش بن حام لا أدري هو أو غيره . ثم عَدَّ ملوكهم بعد النمروذ ستاً وأربعين أو نحوها في ألف وأربعمائة من السنين باسماء أعجمية متعذر ضبطها فتركت نقلها . إلاّ أنه ذكر في الموفي منهم عدد العشرين وبعد التسعمائة من سنيهم انه الذي غزت فارس لعهدة مدينة بابل . وذكر في الموفى عدد ثلاثة وثلاثين منهم عند الألف والأربعمائة من سنيهم انه سنجاريف الذي حارب بني اسرائيل حاصرهم ببيت المقدس حتى أخذ الجزية منهم . وأن آخر ملوكهم دارينوش ، وهو دار الذي قتله الإسكندر لما ملك بابل . هذا ما ذكره المسعودي ولم يذكر منهم نمروذ الخليل عليه السلام . وذكر ان مدينتهم بابل وأن الذي اختطها إسمه نير واسم إمرأته شَمِرَام ملوك السريانيين اسمان أعجميان لا وثوق لنا بضبطها . وقال الطبري نمروذ بن كوش بن كنعان بن حام صاحب ابراهيم الخليل عليه السلام . وكان يقال عاد إرَم ، فلما هلكوا قيل ثمود إرَم ، فلما هلكوا قيل نمروذ إرَم ، فلما هلك قيل لسائر وُلْدِ إرَم إرْمان فهم النبط ، وكانوا على الإسلام ببابل حتى ملكهم نمروذ فدعاهم إلى عبادة الأوثان فعبدوها انتهى كلام الطبري .

وقال هروشيوش مؤرخ الروم : إنه نمروذ الجسيم ، وإن بابل كانت مربعة الشكل ، وكان سورها في دور ثمانين ميلا ، وارتفاعه مائتا ذراع وعرضه خمسون ذراعا ، وهو كله مبني بالآجرّ والرصاص ، وفيه مائة باب من النحاس ، وفي أعلاه مساكن الحرّاس والمقاتلة تبيت على الجانبين في سائر دورة الطريق بينهما . وحول هذا السور خندق بعيد المهوى ، أجري فيه الماء ، وأن الفرس هدموه ، ولما تغلبوا على ملك بابل تولى ذلك منهم جيرش وهو كسرى الأوّل انتهى كلام هروشيوش .

ويظهر من كلام هؤلاء ان اسم النمروذ سمتٌ لكل من ملك بابل لوقوعه في أهل أنساب مختلفة مرّة إلى سام ومرة إلى حام . وزعم بعض المؤرّخين أنّ نمروذ الخليل

عليه السلام هو النُمروذ بن كنعان بن سَنْجَاريف بن النمروذ الأكبر ، وأنّ بَخْتَنَصّر من عقبه وهو ابن برزاد بن سنجاريف بن النمرود[1] ، وأنّ الفُرْس الكينية غلبوا بختنصر على بابل ، ثم أبقوه واستعملوه عليها ،وأنّ كسرى الأوّل من بني ساسان خرب مدينة بابل .وعند الإسرائيليين وينقلونه عن كتاب دانيال وأرميا من أنبيائهم وضبط هذا الاسم يَرْمِيا انّ بَخْتَنَصّر من عقب كاسِد بن حَاوَر وهو أخو ابراهيم الخليل ، وبنو كَاسِد هؤلاء من ملوك بابل ويعرفون بالكسدانيين نسبة إليه ، وانّ بختنصر منهم ملك أكثر المعمور ، وغلب على بني اسرائيل ، وأزال دولتهم ، وخرّب بيت المقدس ، وانتهى ملكه إلى مصر وما وراءها ، وكان ملكه خمسا وأربعين . وملك بعده ابنه أويل مرود ثلاثا وعشرين سنة ، وبعده ابنه بلينصر ثلاث سنين ثم زحف إليه دارا من ملوك الفرس وصهره كورش فحاصروه بمدينة بابل ،وقال بعض الاسرائيليين ان بختنصر وملوك بابل من كسديم ، وكسديم من عيلام بن سام وهو أخو أشوذ ، ومن أشوذ ملوك الموصل انتهى الكلام في ملوك الموصل وملوك بابل .

وهذا غاية ما أدى اليه البحث من أخبارهم وأنسابهم ، وكان من هؤلاء والكلدانيين دين الصابئة وهو عبادة الكواكب واستجلاب روحانيتها . ويذكر أنهم كانوا لذلك أهل عناية بأرصاد الكواكب ، ومعرفة طبائعها ، وخلاص المولدات ، وما يشابه ذلك من علوم النجوم والطلسمات والسحر ، وأنهم نهجوا ذلك لأهل الربع الغربي من الأرض . وقد يشهد لذلك قراءة من قرأ : وما أنزل على المَلِكَيْن بكسر اللام ، مشيراً إلى أن هاروت وماروت من ملوك السريانيين ، وهم أول ملوك بابل ، وعلى القراءة المشهور وأنهما من الملائكة ، فيكون اختصاص هذه الفتنة ، والابتلاء ببابل من بين أقطار الأرض ، دليلا على وفور قسطها من صناعة السحر الذي وقع الابتلاء به ، ومما يشهد لانتحالهم السحر وفنونه من النجوم وغيرها ، أنّ هذه العلوم وجدناها من منتحل أهل مصر المجاورين لهم ، وكان لملوكها عناية شديدة بذلك ، حتى كان من مباهاتهم موسى بذلك وحشر السحرة له ما كان ، وبقايا الآثار السِحْرِيّة في برابي أخْمِيم من صَعِيد مِصر ما يشهد لذلك ايضا والله أعلم .

١) ورد هذا الاسم بالدال وهو الاصح وفي اماكن اخرى كثيرة بالذال .

بنيصر بن نشبتنصر بن بختنصر بن هاصر بن كوش بن نمروذ بن قالغ بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام

بلنيصر بن بختنصر بن براراد بن سنجاريف بن النمروذ بن كنعان بن النمروذ الاكبر

زان بن ساطرون بن اثور بن نينوى بن راثق بن موصل بن جرموق

ملوك الجزائر بعد فالغ في المصحف

سوريان بن نبيط بن ماش بن ارم

بختنصر بن كسديم بن عيلام

في الجدل

الخضر بن ملكان عليه السلام

كنعان

نمروذ ابراهيم عليه السلام

ارعو

ابراهيم آزر

بختنصر بن كاسد بن ناحور بن

النمروذ بن كنعان بن كوش بن حام

الخبر عن القبط وأوّلية ملكهم ودولهم وتصاريف أحوالهم والالمام بنسبهم

هذه الأمّة أقدمُ أمم العالم وأطولهم أمداً في الملك ، واختصوا بملك مِصْر وما اليها ، ملوكها من لدن الخليقة إلى أنْ صبحهم الإسلام بها ، فانتزعها المسلمون من أَيديهم . ولعهدهم كان الفتح ، وربما غلب عليهم جميع من عاصرهم من الأمم حين يستفحل أمرهم مثل العَمَالِقَة والفُرْس والروم واليونان ، فيستولون على مِصْر من أيديهم ، ثم يتقلّص ظلهم ، فراجع القِبْطُ ملكهم هكذا إلى أن انقرضوا في مملكة الإسلام .

وكانوا يسمون الفَرَاعِنَة سمة لملوك مِصْر في اللغة القديمة ، ثم تغيرت اللغة وبقي هذا الإسم مجهول المعنى ، كما تغيرت الحِمْيَرِيّة الى المُضَرِيّة ، والسُرْيَانِيّة إلى الرومية . ونسبهم في المشهور إلى حام بن نوح ، وعند المسعودي إلى بَنْصَر بن حام ، وليس في التوراة ذكر لِبَنْصَر بن حام وإنما ذكر مصرايم وكوش وكنعان وقوط . وقال السهيلي إنهم من ولد كنعان بن حام لأنه لما نسب مصر ، قال فيه : مصر بن النبيط أو ابن قِبْط بن النَبيط من وُلْد كوش بن كنعان. وقال أهروشيوش : إنّ القبط من وُلْد قبط ابن لايق بن مصر. وعند الإسرائيليين أنهم من قوط بن حام .

وعند بعضهم أنهم من كفتوريم قِبْطَقَايين ومعناه القِبْط .

وقال المسعودي اختص بَنْصَر بن حام أيام النمروذ ابن أخيه كنعان بولاية أرض مصر ، واستبدّ بها وأوصى بالملك لابنه مصر ، فاستفحل ملكه ما بين أسوان وايمن والعريش وأَيْلَيَة وفَرْسِيسَة(١) ، فسميت كلها أرض مصر نسبة إليه ، وفي قبليها النوبة وفي شرقيها الشام وفي شمالها بحر الزقاق وفي غربها برقة والنيل من دونها . وطال عمر مصر وكبر ولده وأوصى بالملك لأكبرهم وهو قِبْط بن مصر أبو الأقباط ، فطال أمد ملكه وكان له بنون أربع : قِبْط بن مِصْر وأنّ مِصْر هو الذي قسّم الأرض وعهد إلى أكبرهم بالملك وهو قِبْط ، فغلب عليهم فأضيفوا إليه لمكان الملك والسنّ ، وملك بعد قِبْط بن مصر أَشْمون بن مصر ، ثُمّ من بعده صَاثُمّ أخوهما أَتْرِيب ، ثم عدّ ملوكاً بأسماء

(١) وفي نسخة أخرى : فرسية .

أعجمية بعيدة عن الضبط لعجمتها وفساد الأصول التي بين أيدينا من كتبته ، ثم لما ذكر ستة منهم بعد أَتْرِيب قال : فكثر ولد بنصر بن حام وتشاغبوا وملك عليهم النساء ، فسار إليهم ملك الشام من العمالقة الوليد بن دومع فملكهم وانقادوا إليه .

وأما ابن سعيد فيما نقل من كتب المشارقة فقال :ملك مصر ابنه قِبْط ،ثم من بعده أخوه أتريب . قال : وفي أيام قبط زحف شَدّاد بن مَدّاد بن شَدّاد بن عاد إلى مصر ، وغلب على أسافلها ،ومات قبط في حروبه ، ثم جمع أتريب قومه واستظهر بالبربر والسودان على العرب حتى أخرجهم إلى الشام ، واستبدّ اتريب بملك مصر وبنى المدينة المنسوبة إليه ، ومدينة عين شمس . وملك بعده ابن أخيه البُودَشِير بن قِبْط وهو الذي بعث هرمساً المصري إلى جبل القمر حتى ركب جرية النيل من هنالك ، وعدل البطيحة الكبرى التى تنصب إليها عيون النيل ، وعمر بلاد الواحات وحول إليها جمعا من أهل بيته . ثم ملك من بعده عديم بن البُودَشِير ، ثم ابنه شَدّات بن عَدِيم ، ثم ابنه مَنْد وش بن شدّات وجدّد مدينة عين شمس . وكان لهم في السحر آثارٌ عجيبةٌ . ثم ملك بعده ابنه مَقْلاوش بن مَقْناوش وعَبَدَ البَقَر وصوَّرها من الذهب ، ثم هلك وخلف ابنه مَرْقيش فغلب عليه عمه أَشْمون بن قِبْط ، وبنى مدينة الأشمون . وملك بعده ابنه أشاد بن أشمون ،ثم من بعده عمه صابن قِبْط وبنى مدينة باسمه ،وملك بعده ابنه ندراس وكان حكيماً وهو الذي بنى هيكل الزهرة الذي هدمه بختنصر . وملك بعده ابنه ماليق بن ندراس فرفض الصابئة ودان بالتوحيد ، ودوّخ بلاد البربر والأندلس ، وحارب الإفرنج . وملك بعده ابنه حَرْبَيَا بن ماليق فرجع عن التوحيد إلى الصابئة ، وغزا بلاد الهند والسودان والشام . وملك بعده ابنه كلكي بن حربيا ، وهو الذي تسميه القبط حكيم الملوك ، واتخذ هيكل زُحَل وعهد إلى أخيه ماليا بن حَرْبَيَا ، واشتغل باللهو فقتله ابنه خَرْطِيش وكان سفَّاكا للدماء ، والقِبْط تزعم أنه فرعون الخليل عليه السلام ، وأنه أول الفراعنة . ولما تعدّى بالقتل إلى أقاربه سَمَّته ابنته حوريّا ، وملكت القبط من بعده فنازعها أَبْرَاحِس من ولد عمها أَتْرِيب ، وحاربته فكان لها الغلب ، وانهزم أبراحس إلى الشام ، فاستظهر بالكنعانيين وبعث ملكهم قائده جِيرُون فلما قرب مِصْر استقبلته حوريا وأطمعته في زواجها على أن يقتل أَبْرَاحِس ويبني مدينة الاسكندرية ففعل ، ثم قتلته آخراً مسموما واستقام لها الأمر ، وبنت منارة الاسكندرية ، وعهدت بأمرها لدَلِيقِيَة ابنة عمها باقوم ، فخرج عليها

أيمين من نسل أَتْرِيب طالباً بثأر قريبه ابراحس ، ولحق بملك العمالقة يومئذ وهو الوليد ابن دومع الذي ذكرناه عند ذكر العمالقة فاستنصر به وجاء معه وملك ديار مصر. واستبدّ بالقِبْط نقراوُس فاشتغل باللذّات ، واستكفى من بنيه أطفير وهو العزيز فكفاه ، وقام بأمره ودبّر له يوسف الفيوم بالوحي والهندسة ، وكانت أرضها مغايض للماء فأخرجه وعمّر القرى مكانه على عدد أيام السنة ، فجعله على خزائنه . وملك بعده دارِم بن الريّان وسَمَّتْهُ القِبْط وَيْموص . وكان يوسف مدبّر أمره بوصية أبيه ، ومات لعهده فأساء السيرة وهلك غريقاً في النيل . وملك بعده ابنه مَعْدَ انوس بن دارِم فترهَّب واستخلف ابنه كاشِم فاستعبد بني اسرائيل للقبط ، وقتله حاجبه ونصب بعده ابنه لاطش ، فاشتغل باللهو فخلعه ، ونصب آخر من نسل نِدْرَاس اسمه لهوب فتجبَّر ، وتَذْكُر القِبط انه فرعون موسى عليه السلام . وأهل الأثر يقولون : إنه الوليد بن مصعب وأنه نجاراً تقلب حاله الى عرافة الحرس ، ثم تطور إلى الوزارة ، ثم إلى الاستبداد. وهذا بعيد لما قدّمناه في الكتاب الأوّل. وقال المسعودي : بل كان فرعون موسى من الأقباط .

ثم هلك فرعون موسى ، وخشي القبط من ملوك الشام ، فملّكوا عليهم دَلُوكَة من بيت الملك وهي التي بنت الحائط على أرض مصر ، ويعرف بحائط العجوز لأنها طال عمرها حتى كبرت واتخذت البرابي ومقاييس النيل . ثم سمّى المسعودي من بعد دَلُوكَة ثمانية من ملوكهم على ذلك النحو من عجمة الأسماء ، وقال في الثامن إنه فرعون الأعرج الذي اعتصم به بنو اسرائيل من بَخْتَنَصَّر ، فدخل عليه مِصْرَ وقتله وهدم هياكل الصابئة ووضع بيوت النيران له ولولده. وذكر في تواريخهم قال : قال ابن عبد الحكم : وهذه العجوز دَلُوكَة هي التي جدَّدت البرابي بمصر ، أرسلت إلى امرأة ساحرة كانت لعهدها اسمها ترورة-، وكانت السَحَرَة تعظّمها ،فعملت بربى من حجارة وسط مدينة مَنَف ، وصوّرت فيها صور الحيوانات من ناطق وأعجم ، فلا يقع شي بتلك الصورة إلاّ وقع بمثالها في الخارج . وكان لهم بذلك امتناع ممن يقصدهم من الأمم لأنهم كانوا أعلم الناس بالسحر ، وأقامت عليهم عشرين سنة حتى بلغ صبي من أبنائهم إسمه دَرْكُون بطْلوس فملكوه ، وأقامت معه على ذلك أربعمائة سنة [1] ، ثم مات فولوا ابنه يَرْدِيس بن دَرْكون ، ومن بعده أخاه نقاس بن نقراس ، ومن بعده

(١) لعل المدة أربعين سنة وربما يكون الخطأ حصل في النسخ .

مَرينا بن مَرينوس ، ثم ابنه اسْمَارُس بن مَرِينا فطغى عليهم وخلعوه وقتلوه ، وولوا عليهم من أشرافهم بلوطيس بن مناكيل أربعين سنة ، ثم استخلف مالوس بن بَلُوطيس ومات ، فاستخلف أخاه مَنَاكيل بن بَلُوطيس ثم توفي ، فاستخلف ابنه بركَة ابن مناكيل فملكهم مائة وعشرين سنة ، وهو فِرْعَوْن الأعرج الذي سبى أهل بيت المقدس ، ويقال أنه خُلِع .

وقال ابن عبد الحكم : وولي من بعده ابنه مرينوس بن بَرَكَة ، فاستخلف ابنه قَرقون بن مَرِينوس فملكهم ستين سنة ثم هلك ، واستخلف أخاه نِقَاس بن مرينوس . وكانت البرابي كلها اذا فسد منها شيء لا يصلحه إلاّ رجل من ذرية تلك العجوز الساحرة التي وضعتها ، ثم انقطعت ذريتها ففسدت البرابي أيام نقاس هذا ، وتجاسر الناس على طلب الملك الذي في أيديهم ، وهلك نِقَاس ، واستخلف ابنه قَوْمِس بن نِقَاس ، فملكهم دهراً ثم ملك بَخْتَنَصّر بيت المقدس ، واستلحم بني اسرائيل وفرّقهم وقتل وخرّب ولحقوا بمصر ، فأجارهم قَوْمِس ملكها وبعث فيهم بَخْتَنَصّر فمنعهم وزحف إليه وغلب عليه وقتله وخرب مدينة مَنَف . وبقيت مصر أربعين سنة خرابا . وسكنها أرَمْيَاء مدّة ثم بعث إليه بَخْتَنَصَّر فلحق به ثم ردّ أهل مصر إلى موضعهم ، وأقاموا كذلك ما شاء الله إلى أن غلب الفرس والروم على سائر الأمم ، وقاتل الروم أهل مصر إلى أن وضعوا عليهم الجزى ، ثم تقاسمها فارس والروم ، ثم تداولوا ملكها فتوالت عليها نواب الفُرْس . ثم ملكها الإسكندر اليوناني وجدّد الإسكندرية ، والآثار التي خارجها مثل عمود السواري ورواق الحِكْمة .

ثم غلب الروم على مصر والشام وأبقوا القِبْط في ملكها وصرفوهم في الولاية بمصر إلى أن جاء الله بالإسلام ، وصاحب القبط بمصر والإسكندرية المُقَوْقِس ، واسمه جُرَيْج بن مينا فيما نقله السُهَيْليّ . فأرسل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حَاطِب بن أبي بَلْتَعَة ، وجبرا مولى أبي رَهَم الغَفَاريّ ، فقارب الإسلام وأهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هديته المعروفة ذكرها أهل السيركان ، فيها البغلة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركبها وتسمى دلدل ، والحمار الذي يسمّى يَعْفور ، ومارية القِبْطِيّة أم ولده إبراهيم وأمّها وأختها سيرين وهبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسَّان بن ثابت ، فولدت له عبد الرحمن ، وقدح من قوارير كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب فيه ، وعسل استظرفه له من بنها احدى قرى مصر معروفة بالعسل الطيب .

ويقال إنّ هِرَقْل لما بلغه شأن هذه الهدية اتهمه بالميل الى الإسلام فعزله عن رياسه القِبْط .
وخَرَّجَ مُسْلِم في صحيحه من رواية أبي ذرّ أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اذا افتتحتم مصر أو إنكم مُسْتَفْتِحون مِصْرَ فاستوصوا بأهلها خيراً ، فإنّ لهم ذمّة ورحماً أو صهراً . » ورواه ابن إسحق عن الزُهْريّ وقال : قلت للزهري ما الرَحِم التي ذكر ؟ قال : كانت هَاجَر أم اسمعيل منهم . ولبعض رواة الحديث في تفسير الصهر أنّ مارية أم ابراهيم منهم ، أهداها له المقوقس ، وكانت من كورة حَفْن من عمل أَنْصِنَاء . وقال الطبريّ إنّ عمرو بن العاص لما ملك مصر أخبرهم بوصية النبيّ صلى الله عليه وسلم بهم ، فقال : هذا نَسَبٌ لا يحفظ حقه إلاّ نبيّ لأنه نسب بعيد وذكروا له أنّ هاجَر كانت امرأة لملك من ملوكنا ووقعت بيننا وبين أهل عين شمس حروب كانت لهم في بعضها دولة فقتلوا الملك وسبوها ، ومن هنالك تسيرت الى أبيكم ابراهيم .
ولما كمل فتح مصر والإسكندرية وارتحل الروم الى القسطنطينية ، أقام المقوقس والقبط على الصلح الذي عقده لهم عمرو بن العاص وعلى الجزى ، وأبقوه على رياسة قومه ، وكانوا يشاورونه فيما ينزل من المهمات إلى أن هلك ، وكان ينزل الإسكندرية وفي بعض الأوقات ينزل منف من أعمال مصر . واختط عمرو بن العاص الفسطاط بموضع خيامه التي كان يحاصر مصر منها ، فنزل بها المسلمون وهجروا المدينة التي كان بها المقوقس ، الى أن خَرِبَت . وكان في خرابها ومهلك المقوقس انقراض أمرهم . وبقي أعقابهم الى هذا الزمان يستعملهم أهل الدول الإسلامية في حسابات الخراج ، وجبايات الأموال لقيامهم عليها ، وغنائهم فيها ، وكفايتهم في ضبطها وتنميتها . وقد يهاجر بعضهم إلى الإسلام فترفع رتبتهم عند السلطان في الوظائف المالية التي أعلاها في الديار المصرية رتبة الوزارة ، فيقلدونهم إياها ليحصل لهم بذلك قرب من السلطان وحظ عظيم في الدولة وبسطة يد في الجاه ، تعدّدت منهم في ذلك رجال ، وتعينت لهم بيوت قصر السلطان نظره على الاختيار منها لهذا العهد . وعامتهم يقيم على دين النصرانية الذين كانوا عليها لهذا العهد ، وأكثرهم بنواحي الصعيد وسائر الأعمال مُتَحَرِّفُونَ بالفَلْح والله غالب على أمره .
وأمَّا إقليم مصر فكان في أيام القِبْط والفراعنة جسوراً كله بتقدير وتدبير يحبسونه

ويرسلونه كيف شاؤا ، والجنات حفاف النيل من أعلاه إلى أسفله ما بين أَسْوَان ورشيد ، وكانت مدينة مَنَف وعين شمس ، يجري الماء تحت منازلها وأفنيتها بتقدير معلوم ، ذكر ذلك كله عبد الرحمن بن شَمَاسَة ، وهو من خيار التابعين ، يرويه عن أشياخ مصر قالوا : ومدينة عين شمس كانت هيكل الشمس ، وكان فيها من الأبنية والأعمدة والملاعب ما ليس في بلد . قلت : وفي مكانها لهذا العهد ضيعة متصلة بالقاهرة يسكنها نصارى من القِبط وتسمى المَطَرِيّة . قالوا : ومدينة مَنَف مدينة الملوك قبل الفراعنة وبعدهم إلى أن خرّبها بَخْتَنَصّر كما تقدّم في دولة قَوْمِس بن نِقَاس ، وكان فرعون ينزل مدينة مَنَف ، وكان لها سبعون باباً وبنى حيطانها بالحديد والصفر[1] ، وكانت أربعة أنهار تجري تحت سريره ذكره أبو القاسم بن خَرْدَاذْبَه في كتاب المسالك والممالك قال : وكان طولها إثني عشر ميلاً ، وكانت جباية مصر تسعين ألف ألف دينار مكرّرة مرتين بالدينار الفِرْعَوْنِيّ وهو ثلاثة مثاقيل . وانما سميت مِصْر بمِصْر بن بَيْصَر بن حام ، ويقال انه كان مع نوح في السفينة فدعا له فأسكنه الله هذه الارض الطيبة ، وجعل البركة في ولده . وحدّها طولاً من برقة إلى أيلة ، وعرضاً من أسوان إلى رشيد . وكان أهلها صابئة ، ثم حملهم الروم لما ملكوها بعد قسطنطين على النصرانية ، عندما حملوا على الأمم المجاورة لهم من الجَلَالِقَة والصَقَالِبَة وبَرْجَان والروس والقِبط والحَبَشَة والنُوبَة ، فدانوا كلهم بذلك ورجعوا عن دين الصابئة في تعظيم الهياكل وعبادة الأوثان ، والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين .

(١) ربما يعنى النحاس الأصفر او الذهب .

والقّا بنت باقوم بن ماليا بن حريبا بن ماليق بن تدراس بن ضا بن قبط بن كفشوريم بن مصرايم بن حام

على عهدها انقرض ملك القبط على ايدي العمالقة

يد كلكلي

يب لاهوب

يح

يا

نز

طوطيس

يج

جورياق بنت طوطيس

ط

ي

اشاد بن اشمون

ملوك مصر من العمالقة المزاحمون للقبط

كد كح كب كا ك

لاطنش بن كاشم بن معدانوس بن دارم بن الريان بن هوليد بن دُمغ بن ثوران بن إراشة بن قاران بن عمرو بن عمليق

ر

ابراحس بن اتريب

بن البودشير بن عديم بن شداث بن منذوش بن مقناوش بن مقلاوش بن مرقيش

و ز ح

كط ل لد لو لز

كح

نقراس بن مرنيوس بن مرينا بن استمارس بن مناكيل بن نولة بن مرنيوس بن نقاس بن قومس

لا

قرقودة

لب

مالوس بن بلوطيس

كز كو كه

نقراس بن بودست بن دركون بن بلوطيس دلوكة ابنت زبا

بقية القبط

هؤلاء العمالقة الـــذين غلبوا القبط على مصر وملكوهـــا الى ايـــام موسى عليـــه السلام وفرعون الـــذي اغرقـــه الله منهم

ظلما كاشم بن معدانوس بن دارم بن الريان بن الوليد بن دومغ

وملكها مصر على القبط غلب دومغ على عهدها

هوفرعون يوسف عليه السلام

هند بن كوش

سند

بربر بن قوط

اتريب بن ماج

فارق

اشموم

زالفـــا بنت يـــاقوم بن مـــاليـــا بن حريبـــا بن مـــاليق بن نـــذراس بن صا بن مصر بن بيصر بن حـــام

قبط

ماج

كلكلى

كنعان

سودان

بربر بن

حبش

جورياق بنت طوطيس

هوفرعون ابراهيم الذي اعطاه هاجر كذا وجد

مناكيل

قومس بن نقاس بن مرنيوس بن نعملة بن مناكيل

استمارس بن مرينا بن مرنيوس بن بلوطس

هو الذي اخذه بختنصر

ادقاش

تودست بن دركون

قوقورة

الخبر عن بني اسرائيل وما كان لهم من النبوة والملك وتغلبهم على الارض المقدّسة بالشام وكيف تجدّدت دولتهم بعد الانقراض وما اكتنف ذلك من الأحوال

قد ذكرنا عند ذكر إبراهيم وبنيه صلوات الله وسلامه عليهم ما كان من شأن يعقوب بن إسحق واستقراره بمصر مع بنيه الأسباط ، وفي التوراة أنّ الله سماه إسرائيل . وإيل عندهم كلمة مرادفة لعبد وما قبلها من أسماء الله عز وجل وصفاته والمضاف أبدا متأخر في لسان المعجم ، فلذلك كان إيل هو آخر الكلمة وهو المضاف . ثم قبض الله نبيّه يعقوب بمصر لمائة وسبع وثمانين سنة من عمره ، وأوصى أن يدفن عند أبيه ، فطلب يوسف من فرعون أن يطلقه لذلك ، فأذن له . وأمر أهل دولته بالإنطلاق معه ، فانطلقوا وحملوه إلى فلسطين فدفنوه بمقبرة آبائه ، وهي التي اشتراها إبراهيم من الكنعانيين . ورجع يوسف إلى مصر وأقام بها إلى أن توفي لمائة وعشرين سنة من عمره ، ودفن بمصر وأوصى أن يحملوا شِلْوه معهم اذا خرجوا إلى أرض الميعاد ، وهي الأرض المقدّسة .

وأقام الأسباط بمصر وتناسلوا وكثروا حتى ارتاب القِبْط بكثرتهم واستعبدوهم ، وفي التوراة أنّ ملكا من الفراعنة جاء بعد يوسف لم يعرف شأنه ولا مقامه في دولة آبائه ، فاسترقّ بني اسرائيل واستعبدهم . ثم تحدّث الكُهّان من أهل دولتهم بأنّ نبوة تظهر في بني إسرائيل ، وأنّ ملكك كائن لهم مع ما كان معلوما من بشارة آبائهم لهم بالملك ، فعمد الفراعنة إلى قطع نسلهم بذبح الذكور من ذريتهم . فلم يزالوا على ذلك مدّة من الزمان حتى ولد موسى . وهو موسى بن عمران بن قاهث بن لاوى بن يعقوب . وأمّه يُوحانذ بنت لاوى عمة عمران وكان قاهث بن لاوى من القادمين إلى مصر مع يعقوب عليه السلام وولد عمران بمصر وولد هارون لثلاث وسبعين من عمره ، وموسى لثمانين ، فجعلته أمّه في تابوت وألقته في ضحضاح[1] اليمّ ، وأرصدت أخته على بعد لتنظر من يلتقطه فتعرفه . فجاءت ابنة فرعون الى البحر مع جواريها فرأته

(١) في التوراة : أخذت له سفطا من البردي ، وطلته بالحمر والزفت ، ووضعت الولد فيه ووضعته بين الحلفاء ، ووقفت اخته من بعيد لتعرف ماذا يفعل به .

واستخرجته من التابوت فرحمته . وقالت :هذا من العبرانيين فمن لنا بظئر[١] ترضعه . فقالت لها أخته أنا آتيكم بها . وجاءت بأمّه فاسترضعتها له ابنة فرعون ، إلى أن فُصِل . فأتت به إلى ابنة فرعون وسمّته موسى وأسلمته لها . ونشأ عندها ثم شب ، وخرج يوما يمشي في الناس وله صولة بما كان له في بيت فرعون من المربى والرضاع فهم لذلك أخواله ، فرأى عبرانياً يضربه مصريّ فقتل المصري الذي ضربه ودفنه ، وخرج يوما آخر فاذا هو برجلين من بني اسرائيل وقد سطا أحدهما على الآخر فزجره ، فقال له ومن جعل لك هذا ؟ أتريد أن تقتلني كما قتلت الآخر بالأمس . ونميَ الخبر إلى فرعون فطلبه ، وهرب موسى إلى أرض مَدْيَن[٢] عند عقبة أَيْلَة .

وبنو مَدْيَن أُمّةٌ عظيمةٌ من بني إبراهيم عليه السلام ، كانوا ساكنين هناك وكان ذلك لأربعين سنة من عمره ، فلقى عندمائهم بنتين لعظيم من عظمائهم فسقى لهما ، وجاءتا به الى أبيهما فزوّجه باحداهما ، كما وقع في القرآن الكريم ، وأكثر المفسّرين على أنه شُعَيْب بن نَوْفَل بن عيقا بن مدين وهو النبيّ صلى الله عليه وسلم . وقال الطبريّ : الذي استأجر موسى وزوّجه بنته رَعْويل[٣] وهو يَثْرَ حَبْرُ مَدْيَن ، أي عالمهم ، وأن رعويل هو الذي زوّجه البنت وأنّ اسمه يَثْرَ . وعن الحسن البصريّ انه شعيب رئيس بني مَدْيَن . وقيل انه ابن أخي شعيب . وقيل ابن عمه . فأقام عند شعيب صهره مقبلا على عبادة ربّه ، إلى أن جاءه الوحي وهو ابن ثمانين سنة ، وأوحى إلى أخيه هارون وهو ابن ثلاث وثمانين سنة ، فأوحى الله إليهما بأن يأتيا فرعون ليبعث معهما بني إسرائيل فيستنقذانهم من مملكة القِبْط ، وجورالفراعنة ، ويخرجون إلى الأرض المقدّسة التي وعدهم الله بملكها على لسان إبراهيم وإسحاق ويعقوب . فخرجا إليه وبلَّغا بني اسرائيل الرسالة فآمنوا به واتبعوه ، ثم حضرا إلى فرعون وبلّغاه أمر الله له بأن يبعث معهما بني اسرائيل وأراه موسى عليه السلام معجزة العصا ، فكان من تكذيبه وامتناعه واحضار السَحَرَة لما رآى موسى في معجزته ثم إسلامهم ما نصّه القرآن العظيم .

ثم تمادى فرعون في تكذيبه ومناصبته ، واشتدّ جوره على بني اسرائيل واستعبادهم

---

(١) الظئر : ج أظؤر وأظآر : المرضعة لولدٍ غيرها (قاموس)

(٢) وفي التوراة : مديان .

(٣) وفي التوراة : رعوئيل

واتخاذهم سخريا في مهنة الأعمال ، فأصابت فرعون وقومه الجوائح العشرة واحدة بعد أخرى يسالمهم عند وقوعها ، ويتضرع الى موسى في الدعاء بانجلائها ، إلى أن أوحى الله الى موسى بخروج بني اسرائيل من مصر. في التوراة انهم أمروا عند خروجهم أن يذبح أهل كل بيت حملا من الغنم ان كان كفايتهم ، أو يشتركون مع جيرانهم ان كان أكثر ، وان ينضحوا دمه على أبوابهم لتكون علامة ، وأن يأكلوه سواء برأسه وأطرافه ، ومعناه لا يكسرون منه عظما ولا يدعون شيئا خارج البيوت ، وليكن خبزهم فطيرا ذلك اليوم وسبعة ايام بعده ، وذلك في اليوم الرابع عشر من فصل الربيع ، وليأكلوا بسرعة وأوساطهم مشدودة ، وخفافهم في أرجلهم ، وعصيهم في أيديهم ، ويخرجوا ليلا وما فضل من عشائهم ذلك يحرقوه[1] بالنار ، وشرع هذا عيداً لهم ولاعقابهم ويسمّى عيد الفصح .

وفي التوراة أيضا انه قتل في تلك الليلة أبكار النساء من القِبْط ودوابهم ومواشيهم ليكون لهم بذلك ثقل عن بني اسرائيل . وأنّهم أمروا أن يستعيروا منهم حليا كثيرا يخرجون به ، فاستعاروه وخرجوا في تلك الليلة بمامعهم من الدواب والأنعام ، وكانوا ستمائة ألف أو يزيدون . وشغل القِبْط عنهم بالمآتم التي كانوا فيها على موتاهم ، وأخرجوا معهم تابوت يوسف عليه السلام ، استخرجه موسى صلوات الله عليه من المدفن الذي كان به بإلهام من الله تعالى ، وساروا لوجههم حتى انتهوا الى ساحل البحر بجانب الطور. وأدركهم فرعون وجنوده ، وأمر موسى بأن يضرب البحر بعصاه ويقتحمه ، فضربه فانفلق طرقا . وسار فيها بنو اسرائيل وفرعون وجنوده في اتباعه ، فهلكوا ، ونزل بنو إسرائيل بجانب الطور ، وسبّحوا مع موسى بالتسبيح المنقول عندهم وهو : نسبّح الرب البهي ، الذي قهر الجنود ، ونبذ فرسانها في البحر المنيع المحمود الى آخره . قالوا : وكانت مريم أخت موسى وهارون صلوات الله عليهما تأخذ الدف بيدها ، ونساء بني اسرائيل في أثرها بالدفوف والطبول ، وهي تُرتّل لهنّ التسبيح سبحان الرب القهّار الذي قهر الخيول وركبانها ألقاها في البحر وهو معنى الأوّل .

ثم كانت المناجاة على جبل الطور وكلام الله لموسى والمعجزات المتتابعة ، ونزول الالواح ، ويزعم بنو إسرائيل أنها كانت لوحين فيها الكلمات العشرة وهي : كلمة التوحيد ، والمحافظة على السبت بترك الأعمال فيه ، وبرّ الوالدين ليطول العمر ، والنهي

---

(١) الأصح ان يقول يحرقونه .

عن القتل ، والزنا ، والسرقة ، وشهادة الزور ، ولا تمتدّ عين إلى بيت صاحبه ، أو إمرأته ، أو لشيء من متاعه . هذه الكلمات العشرة التي تضمنتها الألواح .

وكان سبب نزول الألواح أن بني اسرائيل لما نجوا ونزلوا حول طور سينا صعد موسى إلى الجبل ، فكلمه ربّه وأمره أن يُذكّر بني إسرائيل بالنعمة عليهم في نجاتهم من فرعون وأن يتطهروا و يغسلوا ثيابهم ثلاثة أيام، ويجتمعوا في اليوم الثالث حول الجبل من بعد ، ففعلوا وظلت الجبل غمامة عظيمة ذات بروق ورعود ففزعوا ، وقاموا في سفح الجبل دهشين ، ثم غشى الجبل دخان في وسطه عمود نور وتزلزل له الجبل زلزلة عظيمة شديدة ، واشتدّ صوت الرعد الذي كانوا يسمعونه ، وأمر موسى صلوات الله عليه بأن يقرّب بني إسرائيل لسماع الوصايا والتكاليف ، قال فلم يطيقوا فأمر بحضور هارون وتكون العلماء غير بعيد ففعل ، وجاءهم بالألواح .

ثم سار بعد ذلك إلى ميعاد الله بعد أربعين ليلة ، فكلمه ربه وسأله الرؤية ، فمنعها فكان الصعق وساخ الجبل ، وتلقى كثيرا من أحكام التوراة في المواعظ والتحليل والتحريم . وكان حين سار الى الميعاد استخلف أخاه هارون على بني اسرائيل ، واستبطؤا موسى ، وكان هارون قد أخبرهم بأنّ الحلى الذي أخذوه للقِبْط محرّم عليهم ، فأرادوا حرقه وأوقدوا عليه النار . وجاء السامريّ في شيعة له من بني إسرائيل ، وألقى عليه شيئا كان عنده من أثر الرسول ، فصار عجلاً وقيل عجلا حيوانا ، وعبده بنو إسرائيل ، وسكت عنهم هارون خوفا من افتراقهم . وجاء موسى صلوات الله عليه من المناجاة وقد أخبر بذلك في مناجاته ، فلما رآهم على ذلك ألقى الالواح ، ويقال كسرها ، وأبدل غيرها من الحجارة ، وعند بني إسرائيل انهما اثنان ، وظاهر القرآن أنها أكثر مع أنه لا يبعد استعمال الجمع في الاثنين ، ثم أخذ برأس أخيه ووبّخه واعتذر له بما اعتذر ثم حرق العجل ، وقيل برده بالمبرد وألقاه في البحر .

وكان موسى صلوات الله عليه لما نجا ببني إسرائيل الى الطور بلغ خبره الى بيثر[1] صهره من بني مَدْيَن ، فجاء ومعه بنته صفورا زوجة موسى عليه السلام التي زوّجها به أبوها رعويل كما تقدّم ، ومعها ابناها من موسى وهما جَرْشُون وعَازَر ، فتلقّاها موسى صلوات الله عليه بالبرّ والكرامة وعظمه بنو إسرائيل ، ورأى كثرة الخصومات

---

(١) وفي التوراة : يثرون .

على موسى ، فأشار عليه بأن يتخذ النقباء على كلّ مائة أو خمسين أو عشرة فيفصلوا بين الناس ، وتفصل أنت فيما أهم وأشكل ، ففعل ذلك .

ثم أمر الله موسى ببناء قبة للعبادة والوحي من خشب الشَمْشَاد ، ويقال هو السنْط وجلود الأنعام وشعر الأغنام ، وأمر بتزيينها بالحرير والمصبغ والذهب والفضّة على أركانها صوّر منها صور الملائكة الكروبيّين على كيفيات مفصلة في التوراة في ذلك كله ، ولها عشر سرادقات مقدّرة الطول والعرض ، وأربعة أبواب وأطناب من حرير منقوش مصبغ ، وفيها دفوف وصفائح من ذهب وفضة ، وفي كلّ زاوية بابان وأبواب وستور من حرير ، وغير ذلك مما هو مشروح في التوراة . وبعمل تابوت من خشب الشَمْشَاد طول ذراعين ونصف في عرض ذراعين في ارتفاع ذراع ونصف مصفّحاً بالذهب الخالص من داخل وخارج ، وله أربع حلق في أربع زوايا ، وعلى حافته كَرُوبِيّان من ذهب يعنون مِثَالي مَلَكَيْن بأجنحة ويكونان متقابلين ، وان يصنع ذلك كله فلان شخص معروف من بني إسرائيل . وأن يعمل مائدة من خشب الشمشاد طول ذراعين في عرض ذراع ونصف بطناب ذهب ، واكليل ذهب ، بحافة مرتفعة باكليل ذهب ، وأربع حلق ذهب في أربع نواحيها مغروزة في مثل الرّمانة من خشب ملبّس ذهباً ، وصحافاً ومصافي وقصاعاً على المائدة كلها من ذهب . وان يعمل منارة من ذهب ، بست قصبات من كلّ جانب ثلاث وعلى كل قصبة ثلاث سُرُج ، وليكن في المنارة أربعة قناديل ، ولتكن هي وجميع آلاتها من قِنْطار من ذهب . وأن يعمل مذبحاً للقربان ، ووصف ذلك كله في التوراة بأتم وصف .

ونصبت هذه القبّة أول يوم من فصل الربيع ونصب فيها تابوت الشهادة وتضمن هذا الفصل في التوراة من الأحكام والشرائع في القربان والنحور وأحوال هذه القبّة كثيرا وفيها : أنّ قبة القربان كانت موجودة قبل عبادة أهل العجل ، وأنها كانت كالكعبة يصلّون إليها وفيها ، ويتقرّبون عندها ، وأنّ أحوال القربان كانت كلها راجعة إلى هارون عليه السلام بعهد الله إلى موسى بذلك ، وأنّ موسى صلوات الله عليه كانَ اذا دخلها يقفون حولها وينزل عمود الغمام على بابها ، فيخرون عند ذلك سُجّداً لله عز وجل ، ويكلم الله موسى عليه السلام من ذلك العمود الغمام الذي هو نور ويخاطبه ويناجيه وينهاه ، وهو واقف عند التابوت صامد لما بين ذينك الكَرُوبَيّيْن . فإذا فصل

الخطاب يخبر بني اسرائيل بما أوحاه إليه من الأوامر والنواهي ، واذا تحاكموا إليه في شيء ليس عنده من الله فيه بشيء ، يجيء إلى قُبّة القربان ، ويقف عند التابوت ، ويصمد لما بين ذينك الكروبيين فيأتيه الخطاب بما فيه فصل تلك الخصومة .

ولما نجا بنو إسرائيل ودخلوا البرية عند سينا أول المصيف لثلاثة أشهر من خروجهم من مصر ، وواجهوا جبال الشام وبلاد بيت المقدس التي وعدوا بها أنّ تكون مُلْكا لهم على لسان إبراهيم وإسحق ويعقوب صلوات الله عليهم بمسيرهم إليها ، وأتوه باحصاء بني اسرائيل من يطيق حمل السلاح منهم من ابن عشرين فما فوقها فكانوا ستمائة ألف أو يزيدون ، وضرب عليهم الغزو ورتب المصاف والميمنة والميسرة ، وعين مكان كل سبط في التعبية وجعل فيه التابوت والمذبح في القلب ، وعين لخدمتها بني لاوى من أسباطهم ، وأسقط عنهم القتال لخدمة القُبّة ، وسار على التعبية سالكا على برية فاران ، وبعثوا منهم إثني عشر نقيبا من جميع الأسباط فأتوهم بالخبر عن الجبارين . كان منهم كَالِب بن يُوفَنّا بن حصرون بن بَارص بن يَهُوذا بن يَعْقُوب ، ويُوشَع بن نُون بن أَلِيشَامَع بن عَمّيهُون بن بَارِص بن لعدان بن تَاحِن بن تَالِح بن أَرَاشِف بن رافِح بن بَريعا بن أَفْرَايِم بن يوسف بن يعقوب ، فاستطابوا البلاد واستعظمو العدوّ من الكنعانيين والعمالقة ، ورجعوا إلى قومهم يخبرونهم الخبر وخذلوهم ، إلا يُوشَع وكَالِب فقالا لهم ما قالا وهما الرجلان اللذان أنعم الله عليهما . وخامر بنو اسرائيل عن اللقاء ، وأبوا من السير الى عدوّهم ، والأرض التي ملكهم الله ، إلى أن يهلك الله عدوهم على غير أيديهم .

فسخط الله ذلك منهم وعاقبهم بأن لا يدخل الأرض المقدّسة أحد من ذلك الجيل إلا كالبا ويوشع . وإنما يدخلها أبناؤهم والجيل الذي بعدهم ، فأقاموا كذلك أربعين سنة في برية سينا وفاران ، يتردّدون حوالي جبال الشراة ، وأرض ساعير ، وأرض بلاد الكَرَك والشَوْبَك ، وموسى صلوات الله عليه بين ظهرانيهم يسأل الله لطفه بهم ومغفرته ويدفع عنهم مهالك سخطه ، وشكوا الجوع ، فبعث الله لهم المنّ حبات بيض منتشرة على الأرض مثل ذرير الكزبرة ، فكانوا يطحنونه ويتخذون منه الخبز لأكلهم . ثم قرموا إلى اللحم فبعث لهم السلوى طيراً يخرج من البحر ، وهو طير السماني ، فيأكلون منه ، ويدّخرون ثم طلبوا الماء ، فأمر أن يضرب بعصاه الحجر فانفجرت منه إثنتا عشرة عيناً ، وأقاموا على ذلك ثم ارتاب واحد منهم اسمه فودح بن

إيصهر بن قاهث ، وهو ابن عم موسى بن عمران بن قاهث ، فارتاب هو وجماعة منهم من بني اسرائيل بشأن موسى ، واعتمدوا مناصبته فاصابتهم قارعة وخسفت بهم وبه الأرض وأصبحوا عبرة للمعتبرين . واعتزم بنوا إسرائيل على الاستقالة مما فعلوه والزحف إلى العدّو ، ونهاهم موسى عن ذلك فلم ينتهوا وصعدوا جبل العمالقة فحاربهم أهل ذلك الجبل فهزموهم وقتلوهم في كل وجه . فأمسكوا وأقام موسى على الاستغفار لهم ، فأرسل إلى ملك أدوم يطلب الجواز عليه إلى الأرض المقدّسة فمنعهم ، وحال دون ذلك .

ثم قُبِض هارون صلوات الله عليه لمائة وثلاثة وعشرين سنة من عمره ، ولأربعين سنة من يوم خروجهم من مصر ، وحزن له بنو اسرائيل لأنه كان شديد الشفقة عليهم ، وقام بأمره الذي كان يقوم به ابنه العيزار[1] ، ثم زحف بنو اسرائيل الى بعض ملوك كنعان ، فهزموهم وقتلوهم وغنموا ما أصابوا معهم ، وبعثوا الى سيحون ملك العموريين من كنعان في الجواز في أرضه إلى الأرض المقدّسة فمنعهم وجمع قومه وغزا بني اسرائيل في البرية ، فحاربوه وهزموه وملكوا بلاده الى حدّ بني عمّون ، ونزلوا مدينته وكانت لبني مؤَاب . وتغلب عليها سيحون . ثم قاتلوا عوجا وقومه من كنعان وهو المشهور بعُوج بن عَوَق ، وكان شديد البأس فهزموه وقاتلوه وبنيه وأثخنوا في ارضه ، وورثوا أرضهم الى الأردن بناحية أريحا . وخشي ملك بني مؤاب من بني إسرائيل ، واستجاش بمن يجاوره من بني مَدْيَن وجمعهم ، ثم أرسل إلى بلعام بن باعورا وكان ينزل في التخم بين بلاد بني عمّون وبني مؤاب ، وكان مجاب الدعوة معبّراً لـلأحلام . واستدعاه ليستعين بدعائه ، وأتاه الوحي بالنهي عن الدعاء ، وألحّ عليه ذلك الملك وأصعده إلى الاماكن الشاهقة ، وأراه معسكر بني اسرائيل منها ، فدعا لهم وأنطقه الله بظهورهم وانهم يملكون الى الموصل . ثم تخرج أمّة من أرض الروم فيغلبون عليهم ، فغضب الملك وانصرف بلعام إلى بلاده .

وفشا في بني إسرائيل الزنا ببنات مؤاب ومَدْيَن فأصابهم الموتان ، فهلك منهم أربعة وعشرون ألفا . ودخل فَنْحَاص بن لِعَزْرَا على رجل من بني إسرائيل في خيمته ومعه امرأة من بني مَدْيَن قد أدخلها للزنا بمرأى من بني إسرائيل ، فطعنها برمحه وانتظمها وارتفع الموتان عن بني إسرائيل . ثم أمر الله موسى وألِعازَر بن هارون باحصاء بني

---

(١) وفي التوراة اسمه : اليعازر .

إسرائيل بعد فناء الجيل الذي أحصاهم موسى وهارون ببرية سينا ، وانقضاء الاربعين سنة التي حرم الله عليهم فيها دخول تلك الارض ، وان يبعث بعثا من بني اسرائيل الى مَدْيَن الذين أعانوا بني مؤاب ، فبعث اثني عشر ألفا من بني إسرائيل وعليهم فنحاص بن العيزر بن العزر بن هارون ، فحاربوا بني مَدْيَن وقتلوا ملوكهم وسبوا نساءهم وملكوا أموالهم ، وقسم ذلك في بني اسرائيل بعد أن أخذ منه لله ، وكان فيمن قتل بلعام بن باعورا . ثم قسّم الأرض التي ملك من بني مَدْيَن والعموريين وبني عمّون وبني مؤاب ، ثم ارتحل بنو إسرائيل ونزلوا شاطىء الأردن ، وقال الله قد ملكتكم ما بين الأردن والفرات كما وعدت أباءكم . ونهوا عن قتال عِيصو الساكنين سَاعِير وبني عمّون وعن أرضهم .وأكمل الله الشريعة والأحكام والوصايا لموسى عليه السلام ، وقبضه إليه لمائة وعشرين سنة من عمره ، بعد أن عهد إلى فتاه يوشع أن يدخل ببني إسرائيل إلى الأرض المقدّسة ليسكنوها ، ويعملوا بالشريعة التي فُرِضَت عليهم فيها ، ودفن بالوادي في أرض مؤاب ولم يعرف قبره لهذا العهد .

وقال الطَبَرِيّ : مدّة عُمْر موسى صلوات الله عليه مائة وعشرون سنة ، منها في أيام أَفْرِيدُون عشرون ، ومنها في أيام مَنُوجَهْر مائة . قال : ثم سار يوشع من بعد موسى إلى أريحا ، فهزم الجبارين ودخلها عليهم . وقال السُدّي : إنّ يوشع تَنَبَّأ بعد موسى ، وسار إلى أريحا فهزم الجبّارين ، ودخلها عليهم ، وأن بلعام بن باعورا كان مع الجبارين يدعو على يوشع ، فلم يستجب له ، وصرف دعاؤه على الجبّارين . وكان بلعام من قرى البلقاء ، وكان عنده الاسم الأعظم ، فطلبه الكنعانيون في الدعاء على بني إسرائيل فامتنع ، وألحّوا عليه فأجاب ، ودعا فصرف دعاؤه ، وكان قيامه للدّعاء على جبل حسّان مطلا على عسكر بني إسرائيل ، هذا خبر السُدّي في أنّ دعاء بلعام كان لعهد يوشع . والذي في التوراة أنّه كان لعهد موسى ، وأنّ بلعام قتل لعهد موسى كما مرّ في خبر الطَبَرِيّ .

وقال السُدّي : إنّ يوشع بعد وفاة موسى صلوات الله عليه أمر أن يعبر ، فسار ومعه التابوت تابوت الميثاق ، حتى عبر الأردن ، وقاتل الكنعانيين فهزمهم ، وأنّ الشمس جنحت للغروب يوم قتالهم ودعا الله يوشع فوقفت الشمس [1] حتى تمت عليهم

(١) وفي الطبري ج ١ ص ٢٢٨ : فقاتلهم يوشع يوم الجمعة قتالا شديدا حتى أمسوا وغربت الشمس ودخل السبت فدعا الله فقال للشمس : انك في طاعة الله وانا في طاعة الله اللهم اردد عليّ الشمس فرُدّت عليه الشمس .

الهزيمة ، ثم نازل أريحاء ستة أشهر [1]، وفي السابع نفخوا في القرون ، وضج الشعب ضجة واحدة ، فسقط سور المدينة فاستباحوها وأحرقوها . وكمل الفتح واقتسموا بلاد الكنعانيين كما أمرهم الله . هذا مساق الخبر عن سيرة موسى صلوات الله عليه وبني إسرائيل أيام حياته وبعد مماته حتى ملكوا أريحا .

وفي كتب الإخباريين أن العمالقة الذين كانوا بالشام قاتلهم يوشع فهزمهم وقتل آخر ملوكهم وهو السميدع بن هوبر بن مالك . وكان لقاؤهم إياه مع بني مَدْيَن في أرضهم وفي ذلك يقول عوف بن سعد الجرهمي :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ العَلْقَمِيّ بْنُ هَوْبَرٍ ... بِأَيْلَةَ أَمْسَى لَحْمُهُ قَدْ تَمَزَّعَا

تَرَامَتْ عَلَيْهِ مِنْ يَهُودَ جَحَافِلٌ ... ثَمَانُونَ أَلْفَاً حَاسِرِينَ وَدُرَّعَا

ذكره المسعودي وقد تقدّم لنا خلاف النَسَّابة في هؤلاء العمالقة وأنهم لعمليق بن لاوذ أو لعمالق بن أليفاز بن عيصو الثاني ، لنسابة بني اسرائيل سار إليه علماء العرب . وأما الأمم الذين كانوا بالشام لذلك العهد ، فأكثرهم لبني كنعان وقد تقدّمت شعوبهم ، وبنو أروم أبناء عمّون ، وبنو مؤاب أبناء لوط ، وثلاثتهم أهل يستعير[2] وجبال الشراة وهي بلاد الكرك والشوبك والبلقا ، ثم بنو فلسطين من بني حام ويسمى ملكهم جالوت وهو من الكنعانيين منهم ، ثم بنو مَدْيَن ثم العمالقة . ولم يؤذن لبني اسرائيل في غير بلاد الكنعانيين فهي التي اقتسموها وملكوها وصارت لهم تراثا ، وأما غيرها فلم يكن لهم فيها إلاّ الطاعة والمغارم الشرعية من صدقة وغيرها .

وفي كتب الإخباريين أنّ بني إسرائيل بعد ملكهم الشام ، بعثوا بعوثهم إلى الحجاز ، وهنالك يومئذ أمّة من العمالقة يسمّون جاسم ، وكان اسم ملكهم الإرم بن الأرقم ، وكان أوصاهم أن لا يستبقوا منهم من بلغ الحُلُم . فلما ظهروا على العمالقة وقتلوا

---

(١) يتفق ابن خلدون مع الطبري وابن الاثير حول المدة التي حاصر يوشع مدينة أريحا ففي الطبري ج ١ ص ٢٢٨ «فاحاط بمدينة اريحا ستة اشهر فلما كان السابع نفخوا في القرون وضج الشعب ضجة واحدة فسقط سور المدينة» وفي الكامل ج ١ ص ٢٠٢ وقيل بل حصرها ستة اشهر فلما كان السابع تقدموا الى المدينة وصاحوا صيحة واحدة فسقط السور» .

اما ابو الفداء فيذكر ان مدة حصار اريحا كانت ستة ايام ويوافق ذلك ما ذكر في التوراة ، الاصحاح السادس من سفر يوشع : «ان الحصار كان ستة ايام وفي اليوم السابع سقط السور» .

(٢) وفي نسخة اخرى : يسعير .

الأرقم ، استبقوا ابنه وضنوا به عن القتل لوضاءته . ولما رجعوا من بعد الفتح ، وبّخهم إخوانهم ومنعوهم دخول الشام وأرجعوهم إلى الحجاز ، وما تملكوا من أرض يثرب ، فنزلوها واستتم لهم فتح في نواحيها ، ومن بقاياهم يهود خَيْبَر وقُرَيْظَة والنُضير . قال ابن إسحق قُرَيْظَة والنُضَيْر والتحام وعمرو هو هزل من الخزرج . وقال ابن الصريح : ابن التومان بن السبط بن أليسع بن سعد ابن لاوى بن النمّام بن يتحوم بن عازر بن عزر بن هارون عليه السلام . واليهود لا يعرفون هذه القصة وبعضهم يقول كان ذلك لعهد طالوت والله أعلم .

الخبر عن حكام بني اسرائيل بعد يوشع الى أن صار أمرهم إلى الملك وملك عليهم طالوت

ولما قُبض يوشع صلوات الله عليه بعد استكمال الفتح ، وتمهيد الأمر ، ضيّع بنو إسرائيل الشريعة ، وما أوصاهم به وحذرهم من خلافه ، فاستطالت عليهم الأمم الذين كانوا بالشام ، وطمعوا فيهم من كل ناحية . وكان أمرهم شورى فيختارون للحكم في عامتهم من شاؤا ، ويدفعون للحرب من يقوم بها من أسباطهم ، ولهم الخيار مع ذلك على من يلي شيئا من أمرهم ، وتارة يكون نبيا يدبرهم بالوحي ، وأقاموا على ذلك نحوا من ثلثمائة سنة لم يكن لهم فيها ملك مستفحل ، والملوك تناوشهم من كل جهة ، إلى أن طلبوا من نبيهم شمويل أن يبعث عليهم ملكا ، فكان طالوت ، ومن بعده داود ، فاستفحل ملكهم يومئذ وقهروا أعداءهم ، على ما يأتي ذكره بعد . وتُسمّى هذه المدة بين يوشع وطالوت مدّة الحكّام ومدّة الشيوخ .

وأنا الآن أذكر من كان فيها من الحكّام على التتابع معتمدا على الصحيح منه ، على ما وقع في كتاب الطبريّ والمسعودي ، ومقابلا به ما نقله صاحب حماة[1] من بني أيوب في تاريخه عن سفر الحكام والملوك من الاسرائيليات ، وما نقله أيضا هروشيوش مؤرّخ الروم في كتابه الذي ترجمه للحكم المستنصر من بني أمية قاضي النصارى وترجمانهم بقرطبة وقاسم بن أصبغ . قالوا كلهم : لما فتح يوشع مدينة أريحاء سار إلى نابلس فملكها ودفن هنالك شلو[2] يوسف عليه السلام ، وكانوا حملوه معهم

(١) يعني ابي الفداء

(٢) يعني رفاة يوسف عليه السلام .

عند خروجهم من مصر . وقد ذكرنا انه كان أوصى بذلك عند موته . وقال الطبريُّ : إنّه بعد فتح أريحاء نهض الى بلد عاي من ملوك كنعان ، فقتل الملك وأحرق المدينة ، وتلقاه خيقون ملك عمّان ، وبارق ملك أروشليم بالجزي واستذمّوا[٣] بأمانه فأمنهم . وزحف إلى خيقون ملك الأرمانيّين من نواحي دمشق فاستنجد بيوشع ، فهزم يوشع ملك الأرمن إلى حوران واستلحمهم وصلب ملوكهم ، وتتبع سائر الملوك بالشام فاستباح منهم واحداً وثلاثين ملكا . وملك قيساريّة ، وقسم الأرض التي ملكها بين بني اسرائيل ، وأعطى جبل المقدس لكالب ابن يوفنّا فسكن مدينة أورشليم ، وأقام مع بني يهودا ، ووضع القُبّة التي فيها تابوت العهد والمذبح والمائدة والمنارة على الصخرة التي في بيت المقدس . وأما بنو أفرايم فكانوا يأخذون الجزية من الكنعانيين ، ثم قُبِض يوشع وفي سفر الحكّام أنه قُبض لثمان وعشرين سنة من ملكه ، وهو ابن مائة وعشرين سنة . وقال الطبريُّ : ابن مائة وستة وعشرين سنة . والأول أصح . قال : وكان تدبير يوشع لبني اسرائيل في زمن منوشهر عشرين سنة ، وفي زمن أفراسياب سبع سنين . وقال أيضا : إنّ ملك اليمن شمر بن الأملوك من حِميَر كان لعهد موسى وبني ظفّار وأخرج منها العمالقة . ويقال أيضا : كان من عُمَّال الفرس على اليمن . وزعم هشام بن محمد الكلبي أن الفلّ من الكنعانيين بعد يوشع احتملهم أفريقش بن قيس بن صيفي من سواحل الشام ، في غزاته الى المغرب التي قتل فيها جرجيس الملك ، وأنه أنزلهم بأفريقية ، فمنهم البربر وترك معهم صهاجة وكتامة من قبائل حِمْيَر انتهى .

وقام بأمر بني إسرائيل بعد يوشع كالب بن يوفنّا بن حصرون بن بارص بن يهودا وقد مرّ نسبه ، وكان فنحاص بن العيزر بن هارون كوهنا ، يتولى أمر صلاتهم وقربانهم ، ثم تنبأ وتنبّأ أبوه العيزر وكان كالب مضعفا فأقاما كذلك سبع عشرة سنة . وقال الطبريُّ كان مع كالف في تدبيرهم حزقيل بن يودي ، ويقال له ولد العجوز لأنه ولد بعد أن كبرت أمّه وعقمت . وحدث عن وهب بن منبّه أنّ حزقيل هذا دبّرهم بعد كالب ولم يقع لهذا ذكر في سفر الحُكّام . ثم بعد يوشع اجتمع بنو يهودا وبنو شمعون لحرب الكنعانيين ، فغلبوهم وقتلوهم ، وفتحوا أورشليم وقتلوا ملكها ، ثم فتحوا غزّة وعسقلان وملكوا الجبل كله ، ولم يقتلوا الغور . وأما سبط بنيامين فكان في قسمهم

(٣) اي دخلوا في ذمته .

بلد اليونانيين في أرضهم ، وأخذوا منهم الخراج واختلطوا بهم ، وعبدوا آلهتهم فسلّط الله عليهم ملك الجزيرة واسمه كوشان شقنائم ، ومعناه أظلم الظالمين . ويقال إنه ملك الأرمن في الجزيرة ودمشق وملك حوران وصيدا وحرّان ويُقال والبحرين ويُقال انه من أدوم .

وقال الطبريّ : من نسل لوط فاستعبد بني إسرائيل ثمان سنين بعد وفاة كالب بن يوفنّا ، ثم ولي الحكم فيهم عثينئال ابن أخيه قنّاز ابن يوفنّا فحاربهم كوشان هذا ، وازال ملكته عن بني إسرائيل ، ثم حاربه فقتله وكان له بعد ذلك حروب سائر أيامه مع بني مُؤاب وبني عمُّون أسباط لوط ومع العماليق إلى أن هلك لأربعين سنة من دولته . ثم عبد بنو إسرائيل الأوثان من بعده فسلّط الله عليهم ملك بني مؤاب واسمه عفلون ، بعين مهملة ومعجمة ساكنة ولام مضمومة تجلب واوا ساكنة ونون بعدها ، فاستعبدهم ثماني عشرة سنة . ثم قام بتدبيرهم أيهوذ بن كارا من سِبْط أفرايم ، وقال ابن حزم : من بنيامين ، وضبطه بهمزة مُمالة تجلب ياء ثم هاء مضمومة تجلب واوا ثم ذال معجمة فأنقذهم من يد بني مؤاب وقتل ملكهم عفلون بحيلة تمت لهم في ذلك . وهو أنه جاءه رسولا عن بني إسرائيل متنكرا بهدايا وتحف منهم حتى اذا خلا به طعنه فأنفذه ولحق بمكانه من جبل أفرايم ، ثم اجتمعوا ونزلوا فقتلوا من الحرس نحوا من عشرة آلاف ، وغلب ببني اسرائيل بني مؤاب واستلحمهم وهلك لثمانين سنة من دولته .

وقام بتدبيرهم بعده شمكار بن عناث من سِبْط كاد ، وضبطه بفتح الشين المثلثة بعدها ميم ساكنة وكاف تقرب من مخرج الجيم وبجلب فتحها الفا وبعدها راء مهملة ، ومات لسنة من ولايته وبنو إسرائيل على حيالهم من المخالفة ، فسلّط الله عليهم ملك كنعان واسمه يافين ، بفاء شفوية تقرب من الباء ، فسرّح إليهم قائده سميرا فملك عليهم أمرهم واستعبدهم عشرين سنة . وكانت فيهم كوهنة امرأة متنبّئة اسمها دافورا بفاء هوائية تقرب من الباء ، وهي من سبط نفطالي ، وقيل من سبط أفرايم ، وقيل كان زوجها بارق ابن أبي نوعم من سبط نفطالي واسمه البيدوق ، فدعته إلى حرب سميرا فأبى إلاّ أن تكون معه فخرجت ببني إسرائيل ، وهزموا الكنعانيين ، وقتل قائدهم سميرا وقامت بتدبيرهم أربعين سنة يرادفها زوجها بارق بن أبي نوعم . قال هروشيوش : وعلى عهدها كان أول ملوك الروم اللطينيين بأنطاكية بنقش بن شطونش

وهو أبو القياصرة . ثم توفيت دافورا وبقي بنو اسرائيل فوضى وعادوا إلى كفرهم فسلّط الله عليهم أهل مَدْيَن والعمالقة .

قال الطبريُّ : وبنو لوط الذين بتخوم الحجاز فهزوهم سبع سنين ، ثم تنبأ فيهم من سبط منشى بن يوسف كدعون بن يواش ، وضبطه بفتح الكاف القريبة من الجيم وسكون الدال المهملة بعدها وعين مهملة مضمومة تجلب واوا وبعدها نون ، فقام بتدبيرهم . وقد كان لمَدْيَن ملكان أحدهما اسمه رابح والآخر صلمناع ، فبعث إلى بني إسرائيل عساكره مع قائدين عوديب وزديف ، وأهمّ بني إسرائيل شأنهم ، فخرج بهم كدعون فهزموا بني مَدْيَن ، وغنموا منهم أموالا جمة ، ومكثوا أيام كدعون هذا على استقامة في دينهم ، وغلب لأعدائهم أربعين سنة ، وكان له من الوُلْدِ سبعون ولدا ، وعلى عهده بنيت مدينة طرسوس . وقال جرجيس بن العميد : وملطية أيضا . ولما هلك قام بتدبيرهم ولده أبو مليخ ، وكانت أمّه من بني شخام(٢) ابن منشى بن يوسف من أهل نابلس ، فانجدوه بالمال وقتل بني أبيب كلهم ثم نازعوه بنو شخام أخواله الأمر ، وطالت حروبه معهم ، وهلك محاصرا لبعض حصونهم بحجر طرحته عليه امرأة من السور فشدخه . فقال لصاحب سلاحه أجهز عليّ لئلا يقال قتلته امرأة . وذلك لثلاث سنين من ولايته .

ثم دبّر أمرهم بعده طولاع بن فوا بن داود من سبط يساخر ، وضبطه بطاء قريبة من التاء تجلب ضمتها واوا ثم لام ألف ثم عين . وقال الطبريّ هو ابن خال ابي مليخ وابن عمه . (قلت) : والظاهر أنه ابن خاله لأن سبط هذا غير سبط ذاك . وقال ابن العميد : هو من سبط يساخر إلا أنه كان نازلا في سائر من جبل أفرايم . فمن هنا والله أعلم وقع اللبس في نسبه ، ودبّرهم ثلاثا وعشرين سنة . قال هروشيوش : وعلى عهده كان بمدينة طرونيّة من ملوك الروم اللطينيين برمامش بن بنقش . وملك ثلاثين سنة وقد مضى ذكره . ولما هلك طولاع قام بتدبيرهم بعده يائير بن كلعاد من سبط منشى بن يوسف وضبطه بياء مثناة تحتية مفتوحة وألف ثم همزة مكسورة بعدها ياء أخرى ثم راء مهملة ، وقام في تدبيرهم اثنتين وعشرين سنة ، ونصب أولاده كلهم حكّاما في بني اسرائيل وكانوا نحوا من ثلاثين ، فلما هلك طغوا وعبدوا الأصنام ،

(١) وفي التوراة نفتالي .

(٢) وفي نسخة اخرى : سخام .

فسلّط الله عليهم بني فلسطين وبني عمّون فقهروهم ثماني عشرة سنة .

وقام بتدبيرهم يفتاح من سبط منشى ، وضبطه بياء مثنّاة تحتانية وفاء ساكنة وتاء مثناة من فوق بفتحة تجلب ألفاء ثم حاء مهملة ، فلما قام بأمرهم طلب ضريبة النحل من بني عمّون فامتنعوا من إعطائها وكانوا ملوكا منذ ثلثمائة سنة ، فقاتلهم وغلبهم عليها وعلى اثنتين وعشرين قرية معها ، ثم حارب سبط أفرايم وكانوا مستبدين وحدهم عن بني اسرائيل ، فارادهم على اتفاق الكلمة والدخول في الجماعة حتى استقاموا على ذلك ، وأقام في تدبيرهم ست سنين . وعلى عهده أصابت بلاد يونان المجاعة العظيمة التي هلك فيها أكثرهم .

ولما هلك قام بتدبيرهم أبصان من سبط يهودا من بيت لحم ، وضبطه بهمزة مفتوحة وباء موحدة ساكنة وصاد مهملة بفتحة تجلب ألفا وبعدها نون ، ويقال أنه جدّ داود عليه السلام ، بوعز بن سلمون بن نحشون بن عميناذاب بن رمّ بن حصرون بن بارص بن يهودا . وحصرون هذا هو جدُّ كالب بن يوفنّا الذي دبرهم بعد يوشع . ونحشون كان سيّد بني يهود العهد خروجهم من مصر مع موسى عليه السلام ، وهلك في التيه . ودخل ابنه سلمون أريحا مع يوشع ونزل بيت لحم على أربعة أميال من بيت المقدس ، قال هروشيوش : في أيام أبصان هذا كان انقراض ملك السريانيين ، وخروج القوط وحروبهم مع النبط .

وأقام أبصان في تدبير بني اسرائيل سبع سنين ثم هلك . فقام بتدبيرهم إيلون من سبط زبولون وضبطه بهمزة مكسورة تجلب ياء ثم لام مضمومة تجلب واوا ثم نون ، فدبّرهم عشر سنين ثم هلك . فدبّرهم عبدون بن هلال من سبط أفرايم ثمان سنين . وقال ابن العميد اسمه عكرون بن هليان وكان له أربعون ابنا وثلاثون حافدا . قال هروشيوش : وفي أيامه خربت مدينة طرونة قاعدة الروم اللطينيين خربها الروم الغريقيون[1] في فتنة بينهم . ولما هلك عبدون دفن بأرض أفرايم في جبال العمالقة واختلف بنو إسرائيل بعده وعبدوا الأصنام وسلّط الله عليهم بني فلسطين فقهروهم أربعين سنة ، ثم تخلصهم[2] من أيديهم شمشون بن مانوح من سبط دان ، ويعرف بشمشون القوي لفضل قوّة كانت في يده ويعرف أيضا بالجبّار

---

(١) يعني الروم الاغريقيين .

(٢) الاصح أن يقول «خلّصهم» .

وكان عظيم سبطه ، ودبّر بني اسرائيل عشر سنين بل عشرين سنة ، وكثرت حروبه مع بني فلسطين ، وأثخن فيهم وأتيح لهم عليه في بعض الأيام فأسروه ثم حملوه وحبسوه . واستدعاه ملكهم بعض الأيام الى بيت آلهتهم ليكلمه فامسك عمود البيت ، وهزه بيده فسقط البيت على من فيه وماتوا جميعا .

ولما هلك اضطربت بنو اسرائيل وافترقت كلمتهم وانفرد كل سبط بحاكم يولونه منهم ، والكهنونية فيهم جميعا في عقب العيزار بن هرون من لدن وفاة هرون عليه السلام بتوليته موسى صلوات الله عليه بالوحي ، ومعنى الكهنونية إقامة القرابين من الذبح والبخور على شروطها وأحكامها الشرعية عندهم . وقال ابن العميد : إنه ولي تدبيرهم بعد شمشمون حاكم آخر اسمه ميخائيل بن راعيل ، دبرهم ثمان سنين ، ولم تكن طاعته فيهم مستحكمة ، وأنّ الفتنة وقعت بين بني اسرائيل ففني فيها سبط بنيامين عن آخرهم .

ثم سكنت الفتنة وكان الكوهن فيهم لذلك العهد عالي بن بيطات بن حاصاب بن إليان بن فنحاص بن العيزار بن هرون ، وقيل من وُلْد ايتامار بن هرون ، وضبطه بعين مهملة مفتوحة تجلب ألفا ثم لام مكسورة تجلب ياء تحتانية . فلما سكنت الفتنة كانوا يجرعون إليه في أحكامهم وحروبهم . وكان له ابنان عاصيان ، فدفعهما إلى ذلك ، وكثر لعهده قتال بني فلسطين ، وفشا المنكر من ولديه ، وأمر بدفعهم عن ذلك فلم يزدادوا إلاّ عتوا وطغيانا ، وأنذر الأنبياء بذهاب الأمر عنه وعن ولده ، ثم هزمهم بنو فلسطين في بعض أيامهم وأصابوا منهم ، فتذامر بنو اسرائيل ، واحتشدوا وحملوا معهم تابوت العهد ، ولقيهم بنو فلسطين ، فانهزم بنو إسرائيل أمامهم وقتلوا ابنا عالي كوهن كما أنذر به أبوهما وشمويل . وبلغ أباهما الكوهن خبر مقتلهما فمات أسفا لأربعين سنة من دولته ، وغنم بنو فلسطين التابوت فيما غنموه ، واحتملوه إلى بلادهم بعسقلان وغزّة ، وضربوا الجزية على بني اسرائيل ، ولما مضى القوم بالتابوت فيما حكى الطبريّ ، وضعوه عند آلهتهم فقلاها مرارا فأخرجوه إلى ناحية من القرية ، فأصيبوا فتبادروا بإخراجه وحملوه على بقرتين لهما تبيعان ووضعتاه عند أرض بني اسرائيل ، ورجعتا إلى ولديهما وأقبل إليه بنو اسرائيل فكان لا يدنوا منه أحد إلا مات حتى أذن شمويل لرجلين منهم حملاه إلى بيت أمهما وهي أرملة فكان هنالك حتى ملك طالوت اهـ . وكان ردّهم التابوت لسبعة أشهر من يوم حملوه ، وكان عالي الكوهن

قد كفل ابن عمه شمويل بن الكنابن يوام بن إلياهد بن ياو بن سوف . وسوف هو أخو حاصاب بن البلى بن يحاص .

وقيل إن شمويل من عقب فورح وهو قارون بن يصهار بن قاهاث بن لاوى . ونسبه إليه شمويل بن القنا بن يروحام بن أليهوذ بن يوحا بن صوب بن ألقانا بن يويل بن عزير ابن صنعينا بن ثاحت بن أسر بن القانا بن النشاسات بن قارون . وكانت أمه نذرت أن تجعله خادما في المسجد ، وألقته هنالك فكفله عالي وأوصى له بالكهونية ، ثم أكرمه الله بالنبوة ، وولاه بنو إسرائيل أحكامهم فدبرهم عشر سنين . وقال جرجيس بن العميد : عشرين سنة ونهاهم عن عبادة الأوثان فانتهوا وحاربوا أهل فلسطين واستردّوا ما كانوا أخذوا لهم من القرى والبلاد ، واستقام أمرهم ثم دفع الأمر الى ابنيه يؤال وأبيا ، وكانت سيرتهما سيئة . فاجتمع بنو إسرائيل الى شمويل ، وطلبوه أن يسأل الله في ولاية ملك عليهم ، فجاء الوحي بولاية طالوت . فولاه وصار أمر بني اسرائيل ملكا بعد أن كان مشيخة ، والله معقب الأمر بحكمته لا رب غيره .

یح
شموئیل بن الکنا بن یوام بن الیاهد بن یاو بن سوف بن الیان بن فنحاص بن العیذار بن هرون بن عمران بن قاهاث بن لاوی بن یعقوب علیه السلام

یز
الکوهن عالی بن بیطات بن حاصاب

جرشون

عاوز

موسی

هو قارون

فورح بن یصهار

ط
طولاع بن فوا بن داود من سبط یساخر

کالب

عغلون

ح
عثنیال بن قناز بن یوفنا بن حصرون بن بارص بن یهودا

یوعن

یب
ابصان بن سلمون بن نحشون بن عمیناذاب بن رم

جد داود علیه السلام

یو
میخائیل بن راعیل

یه
شمسون بن مانوح من سبط دان

یج
ایلون من سبط زبولون

ع
ابوملیخ بن کدعون بن یؤاش بن منشی بن یوسف

ز

د
یفتاح

یایین بن کلعاد

ید
عبدون بن هلال

یوشع بن نون بن افرایب

ب

ابعر بن کارا

دافورا بنت نفتالی

شمکار بن عناث بن کاد

الخبر عن ملوك بني اسرائيل بعد الحكام ثم افتراق أمرهم والخبر عن دولة بني سليمان بن داود على السبطين يهوذا وبنيامين بالقدس الى انقراضها

لما نقم بنو إسرائيل على يؤال وأبيا ابني شمويل ما نقموا من أمورهم ، واجتمعوا إلى شمويل ، وسألوه من الله أن يبعث لهم ملكا يقاتلون معه أعداءهم ويجمع نشرهم ويدفع الذل عنهم ، فجاء الوحي بأن يولي الله طالوت ويدهنه بدهن القدس ، فأبوا بعد أن أمر شمويل بأن يستهموا عليه ، فاستهموا على بني آبائهم ، فخرج السهم على طالوت وكان أعظمهم جسما فولوه ، واسمه عند بني اسرائيل شاول بن قيس بن أفيل ، بالفاء الهوائية القريبة من الباء ، ابن صاروا بن نحورت بن أفياح ، فقام بملكهم ، واستوزر أفنين ابن عمه نير بن أفيل . وكان لطالوت من الوُلْد يهوناتان وملكيشوع وتشبهات وأنبياداف . وقام طالوت بملك بني اسرائيل ، وحارب أعداءهم من بني فلسطين وعمون ومؤاب والعمالقة ومَدْيَن فغلب جميعهم ، ونصر بنو اسرائيل نصراً لا كفاء له . وأوّل من زحف إليهم ملك بني عمّون ونازل قرية بلقاء فهجم عليهم طالوت ، وهو في ثلثمائة ألف من بني اسرائيل فهزمهم واستلحمهم ، ثم أغزى ابنه في عساكر بني اسرائيل الى فلسطين فنال منهم ، واجتمعوا لحرب بني إسرائيل فزحف إليهم طالوت وشمويل فانهزموا واستلحمهم بنو اسرائيل ، وأمر شمويل أن يسير إلى العمالقة وأن يقتلهم ودوابهم ففعل ، واستبقى ملكهم أعّاع مع بعض الأنام ، فجاء الوحي الى شمويل بأنّ الله قد سخطه وسلبه المُلْك فخبره بذلك ، وهجره شمويل فلم يره بعد .

وأمر شمويل أن يقدس داود ، وبعث له بعلامته فسار إلى بني يهوذا في بيت لحم ، وجاء به أبوه أيشا فمسحه شمويل ، وسلب طالوت روح الجسد ، وحزن لذلك ثم قبض شمويل وزحف جالوت وبنو فلسطين الى بني اسرائيل فبرز إليهم طالوت في العساكر وفيهم داود بن إيشا من سبط يهوذا ، وكان صغيرا يرعى الغنم لأبيه ، وكان يقذف بالحجارة في مخلاته فلا تكاد تخطيء . قال الطبريّ : وكان شمويل قد أخبر طالوت بقتل جالوت ، وأعطاه علامة قاتلة ، فاعترض بني اسرائيل حتى رأى

العلامة فيه فسلمه وأقام في المصاف . وقد احتمل الحجارة في مخلاته ، فلما عاين جالوت قذفه بحجارة فصكّه في رأسه ومات ، وانهزم بنو فلسطين ، وحصل النصر . فاستخلص طالوت حينئذ داود وزوّجه ابنته ، وجعله صاحب سلاحه ، ثم ولاه على الحروب فاستكفى به . وكان عمره حينئذ فيما قال الطبريّ ثلاثين سنة . وأحبه بنو إسرائيل ، واشتملوا عليه ، وابتلي طالوت وبنوه بالغَيْرَة منه ، وهمّ بقتله ونفذ لذلك مراراً ، ثم حمل ابنه يَهُونَتَان على قتله ، فلم يفعل لخلة ومصافاة كانت بينهما ودس إلى داود بدخيلة أبيه فيه ، فلحق بفلسطين وأقام فيهم أياما ، ثم إلى بني مؤاب كذلك ، ثم رجع الى سبطه يهوذا بنواحي بيت المقدس ، فأقام فيهم يقاتل معهم بني فلسطين في سائر حروبهم ، حتى إذا شعر به طالوت طلب بني يهوذا باسلامه اليه ، فأبوا فزحف إليهم فأخرجوه عنهم ، ولحق ببني فلسطين وقاتلهم طالوت في بعض الايام فهزموه ، واتبعوه واولاده يقاتلون دونه حتى قتل يهونتان ومشوى وملكيشوع وبنو فلسطين في اتباعه حتى إذا أيقن بالهلكة قتل نفسه بنفسه . وذلك فيما قال الطبريّ لأربعين سنة من مُلكه .

ثم جاء داود إلى بني يهوذا فملكوه عليهم ،وهو داود بن إيشا بن عوفذ ،بالفاء الهوائية ، ابن بوغر واسمه أفصان بالفاء، الهوائية والصاد المشمة . وقد قدّمنا ذكره في حكّام بني اسرائيل بن سلمون الذي نزل بيت لحم لأوّل الفتح ابن نحشون سيد بني يهوذا غند الخروج من مصر ابن عميناذاب بن إرم بن حصرون بن بارص بن يهوذا ، هكذا نسبه في كتاب اليهود والنصارى ، وأنكره ابن حزم قال : لأن نحشون مات بالتيه وإنما دخل القدس ابنه سلمون ، وبين خروج بني اسرائيل من مصر وملك داود ستمائة سنة باتفاق منهم ، والذي بين داود ونحشون أربعة آباء ، فاذا قسمت الستمائة عليهم يكون كل واحد منهم إنما ولد له بعد المائة والثلاثين سنة وهو بعيد .

ولما ملك داود على بني يهوذا نزل مدينتهم حفرون بالفاء الهوائية ، وهي قرية الخليل عليه السلام لهذا العهد ، واجتمع الأسباق كلهم إلى يشوشات بن طالوت ، فملكه في أورشليم وقام بأمره وزير أبيه أفيند وقد مرّ نسبه .

وفي كتاب أسفار الملوك من الاسرائيليات أنّ رجلا جاء الداود بعد وفاة طالوت ، فأخبره بمهلكه ومهلك أولاده في هزيمتهم أمام بني فلسطين ، وأمر هذا الرجل أن يقتله لما أدركوه ، فقتله وجاء بتاجه ودملجه إلى داود ، وانتسب الى العمالقة ، فقتله

داود بقتله ، وبكى على طالوت ، وذهب الى سبط يهوذا بأرض حفرون بالفاء القريبة من الباء ، وهي قرية الخليل لهذا العهد ، **وأقام شيوشيات**(١) **بن طالوت** في أورشليم ، والأسباط كلهم مجتمعون عليه ، وأقامت الحرب بينهم وبين داود أكثر من سنتين ، ثم وقع الصلح بينهم والمهادنة ، وأذعن الأسباط الى داود وتركوه ، ثم اغتاله بعض قواده وجاء برأسه الى داود فقتله به . وأظهر عليه الحزن والأسف وكفل أخواته وبنيه أحسن كفالة .

واستبدّ داود بملك بني اسرائيل لثلاثين سنة من عمره وقاتل بني كنعان فغلبهم ، ثم طالت حروبه مع بني فلسطين ، واستولى على كثير من بلادهم ، ورتب عليهم الخراج . ثم حارب أهل مؤاب وعمّون وأهل أدوم وظفر بهم وضرب عليهم الجزية ، ثم خرّب بلادهم بعد ذلك ، وضرب الجزية على الأرمن بدمشق وحلب ، وبعث العمّال لقبضها . وصانعه ملك انطاكية بالهدايا والتحف ، واختط مدينة صهيون وسكنها واعتزم على بناء مسجد في مكان القبة التي كانوا يضعون بها تابوت العهد ويصلون إليها . فأوحى الله الى دانيال نبيّ على عهده أنّ داود لا يبني وانما يبنيه ابنه ويدوم ملكه فسرّ داود بذلك . ثم انتقض عليه ابنه ابشلوم ، وقتل أخاه أمون غيرة منه على شقيقه بامان وهرب . ثم استماله داود ورده ، وأهدر دم أخيه وصيّر له الحكم بين الناس . ثم رجع ثانيا لأربع سنين بعدها وخرج معه سائر الاسباط ، ولحق داود بأطراف الشام وقيل لحق بخيبر وما إليها من بلاد الحجاز ، ثم تراجع للحرب فهزمه داود وأدركه يؤاب وزير داود وقد تعلق بشجرة فقتله ، وقتل في الهزيمة عشرون ألف من بني اسرائيل ، وسيق رأس قشلوط لوليّ أبيه داود فبكى عليه وحزن طويلا ، واستألف الأسباط ورضي عنهم ورضوا عنه . ثم أحصى بني إسرائيل فكانوا ألف ألف ومائة ألف ، وسبط يهوذا أزيد من أربعمائة ألف . وعوتب في الوحي لأنه أحصاهم بغير اذن ، وأخبره بذلك بعض الأنبياء لعهده .

وأقام داود صلوات الله عليه في ملكه والوحي يتتابع عليه ، وسور الزبور تنزل . وكان يسبح بالأوتار والمزامير ، وأكثر المزامير المنسوبة إليه في ذكر التسبيح وشأنه . وفرض على الكهنونية من سبطِ لاوَى التسبح بالمزامير قدّام تابوت العهد إثني عشركوهناً لكلّ

---

(١) هكذا بالأصل . وفي مكان آخر يشوشات وفي الشجرة : أشوشان .

ساعة . ثم عهد عند تمام أربعين سنة من دولته لابنه سليمان صلوات الله عليهما ، ومسحه مابان النبي وصادوق الخبر مسحة التقديس ، وأوصى ببناء بيت المقدس . ثم قبض صلوات الله عليه ودفن في بيت لحم ، وكان لعهده من الأنبياء نامان وكاد وآصاف. وكان الكهنون الأعظم افيثار بن أحيلج من عقب عالي الكوهن الذي ذكرناه في الحكام ، وكان من بعده صادوق .

ثم قام بالملك من بعده من بني اسرائيل ابنه سليمان صلوات الله عليه وهو ابن إثنتين وعشرين سنة ، فاستفحل ملكه وغالب الأمم ، وضرب الجزية على جميع ملوك الشام مثل فلسطين وعمون وكنعان ومؤاب وأدوم والأرمن ، وأصهر إليه الملوك من كل ناحية ببناتهم ، وكان ممن تزوّج بنت فرعون مصر. وكان وزيره يوّاب بن نيْثرا وهو ابن أخت داود اسمها صوريا ، وكان وزيراً لداود فلما ولي سليمان استوزره فقام بدولته ثم قتله بعد ذلك ، واستوزر يشوع بن شيداح[1] ، ولأربع سنين من ملكه شرع في بيت المقدس بعهد أبيه إليه بذلك ، فلم يزل إلى آخر دولته بعد ان هدم مدينة انطاكية وبنى مدينة تدمر في البرية وبعث إلى ملك صور ليعينه في قطع الخشب من لبنان ، وأجرى على الفعلة فيه في كل عام عشرين ألف كُرٍّ من الطعام ومثلها من الزيت ومثلها من الخمر . وكان الفعلة في لبنان سبعين ألفاً ولنحت الحجارة ثمانين ألفا وخدمة المناولة سبعون ألفا ، وكان الوكلاء والعرفاء على ذلك العمل ثلاثة آلاف وثلثمائة رجل .

ثم بنى الهيكل وجعل ارتفاعه مائة ذراع في طول ستين وعرض عشرين . وجعل بدائره كله أروقة وفوقها مناظر ، وجعل بدائر البيت ابريداً من خارج ، ونمقه وجعل الظهر مقوّراً ليودع فيه تابوت العهد . وصفّح البيت من داخله وسقفه بالذهب ، وصنع في البيت كروبيين من الخشب مصفحتين بالذهب وهما تمثالان للملائكة الكروبيين ، وجعل للبيت أبواباً من خشب الصنوبر ، ونقش عليها تماثيل من الكروبيين والنرجس والنخل والسوسن وغشاها كلها بالذهب . وأتمّ بناء الهيكل في سبع سنين ، وجعل لها باباً من ذهب ، ثم بنى بيتاً لسلاحه أقامه على أربعة صفوف من العمد من خشب الصنوبر في كل صف خمسة عشر عموداً ، ووضع فيه مائتي

---

(١) وفي التوراة : يشوع بن شيراخ .

(٢) الكُرّ : مِكيال قيل انه اربعون اردباً (قاموس) .

ترس من الذهب ، في كل ترس ستمائة من حجر الجوهر والزمرد ، وثلثمائة درقة من الذهب ، في كل درقة ثلثمائة من حجر الياقوت ، وسمى هذا البيت غيضة لبنان . وصنع منبراً لجلوسه تحت رواق وكراسي كثيرة كلها من العاج ملبسة من الذهب . ثم بنى من فوق هذا البناء بيتاً لابنة فرعون التي تزوج بها ، وصنع بها أوعية النحاس لسائر ما يحتاج إليه بالبيت ، واسترضى الصناع لذلك من مدينة صور . وعمل مذبح القربان بالبيت من الذهب ، ومائدة الخبز الوجوه من الذهب ، وخمس منابر عن يمين الهيكل ، وخمسا عن يساره بجميع آلاتها من الذهب ، ومجامر من الذهب . وأحضر موروث أبيه من الذهب والفضة والأوعية الحسنة فأدخلها إلى البيت ، وبعث إلى تابوت العهد من صهيون قرية داود إلى البيت الذي بناه له ، فحمله رؤساء الأسباط والكهنونية على كواهلهم حتى وضعوه تحت أجنحة التمثالين للكروبيين بالمسجد . وكان في التابوت اللوحان من الحجارة اللذين صنعهما موسى عليه السلام بدل الألواح المنكسرة ، وحملوا مع تابوت العهد قبة القربان وأوعيتها إلى المسجد . وأقام سليمان أمام المذبح يدعو في يوم مشهود ، اتخذ فيه وليمة لذلك ذبح فيها إثنتين وعشرين ألفاً من البقر ، ثم كان يقرّب ثلاث مرات من السنة قرابين وذبائح كاملة ، ويبخرّ البخور وجميع الأوعية لذلك كلها ذهب . وكانت جبايته في كل سنة ستمائة قنطار وستة وستون قنطاراً من الذهب ، غير الهدايا والقربان إلى بيت المقدس . وكانت له سفن بحر الهند تجلب الذهب والفضة والبضائع والفيلة والقرود والطواويس ، وكانت له خيل كثيرة مرتبة تجلب من مصر وغيرها تبلغ الفاً وستمائة فرس معدة كلها للحرب . وكانت له ألف امرأة لفراشه ما بين حرةٍ وسرية منها ثلثمائة سرية . وفي الأخبار للمؤرخين أنه تجهز للحج فوافى الحرم واقام به ما شاءالله ، وكان يقرب كل يوم خمسة آلاف بدنة وخمسة آلاف بقرة وعشرين ألف شاة . ثم سما إلى ملك اليمن وسار إليه فوافى صنعاء من يومه ، وطلب الهدهد لالتماس الوضوء ، وكانت قناقه أي ملتمس الوضوء له في الأرض فافتقده ، ورجع إليه بخبر بلقيس كما قصه القرآن . ودافعته بالهدية فلم يقبلها ، فلاذت بطاعته ودخلت في دينه وطاعته ، وملكته أمرها ووافته بملك اليمن ، وأمرها بأن تتزوج فنكرت ذلك لمكان الملك فقال لا بدّ في الدين من ذلك . فقالت زوّجني ذا تُبّع ملك همدان فزوّجها إياه وملكه على اليمن واستعملها فيه ورجع إلى الشام . وقيل تزوّجها وأمر الجنّ فبنوا لها سليمين

وغمدان . وكان يزورها في الشهر مرّة يقيم عندها ثلاثاً ، وعلماء بني إسرائيل ينكرون وصوله إلى الحجاز واليمن ، وإنما ملك اليمن عندهم بمراسلة ملكة سبأ ، وانها وفدت عليه في اورشليم ، واهدت إليه مائة وعشرين قنطارا من الذهب ، ولؤلؤاً وجوهراً واصنافاً من الطيب والمسك والعنبر فأجازها وأحسن إليها . وانصرفت ، هكذا في كتاب الأنساب من كتبهم .

ثم انتقض على سليمان آخر أيامه هدرور ملك الأرمن بدمشق ، وهداد ملك أدوم ، وكان قد ولى على ضواحي بيت المقدس وجميع أعماله يربعان بن نباط من سبط أفرايم ، واستكفى به في ذلك ، وكان جباراً فعوتب بالوحي على لسان أخيا النبي في توليته فأراد قتله ، وشعر بذلك يربعان فهرب إلى مصر ، فأنكحه فرعون إبنته وولدت له إبنه ناباط وأقام بمصر .

وقبض سليمان صلوات الله عليه لأربعين سنة من ملكه ، وقيل إثنتين وخمسين ، ودفن عند أبيه داود صلوات الله عليهما . وافترق ملك بني إسرائيل من بعده كما نذكره إنْ شاء الله تعالى .

٦ ج

سليمان بن داود بن ايشا بن عوفيذ بن افصان بن سلمون بن نحشون بن عميناذاب بن رام بن حصرون بن بارص بن يهوذا بن اسرائيل صلوات الله عليه

اسمه بوعز

اشوشان بن طالوت بن قيش

اسمه شاول

أول ملوك بني اسرائيل

بن افيل بن صنادو بن بحورث بن افيح بن بنيامين

الخبر عن افتراق بنى إسرائيل منهم ببيت المقدس على سبط يهوذا وبنيامين الى انقراضه

لما قبض سليمان صلوات الله عليه وسلامه ، ولي ابنه رُحُبْعُم[(١)] ، وضبطه براء مهملة وحاء مهملة مضمومتين وباء موّحدة ساكنة وعين مهملة مضمومة وميم ، فقام بأمره وزاد في عمارة بيت لحم وغزّة وصور وأيْلَة ، واشتدّ على بني إسرائيل وطلبوا منه تخفيف الضرائب ، فامتنع وطالبهم بالوظائف ، وأخذ فيهم برأي الغواة من بطانته ، فنقموا عليه ذلك وانتقضوا . وجاءهم يُرُبْعُم بن نباط من مصر ، فبايعوه وولّوه عليهم ، واجتمع عليه سائر الأسباط العشرة من بني اسرائيل ، ما عدا سبط يهوذا وبنيـامين ، وتزاحفوا للحرب . ثم دعـاهم بعض أنبيـائهم للصلح فتـواضعوا واصطلحوا .

وفي السنة الخامسة من ملك رُحُبْعُم زحف شيشاق ملك مصر إلى بيت المقدس ، فهرب رُحُبْعُم ، واستباحها شيشاق ورجع وضرب عليهم الجزية ، ثم دفعوه ومنعوه . فأقام بنو داود في سلطانهم على بني يهوذا وبنيامين ببيت المقدس وعسقلان وغزة ودمشق وحلب وحمص وحماة وما إلى ذلك من أرض الحجاز ، وملك الأسباط العشرة بنواحي نابلس وفلسطين ، ثم نزلوا مدينة شومرون وهي شمرة وسامرة في الناحية الشرقية الشمالية من الشام مما يلي الفرات والجزيرة ، واتخذوها كرسياً لملكهم ذلك ، وأقاموا على هذا الافتراق إلى حين انقراض أمرهم ، ووقعوا في الجلاء الذي كتب الله عليهم كما نذكره .

ثم هلك رُحُبْعُم لسبع عشرة سنة من دولته ، وولي بعده على سبط يهوذا وبنيامين بأرض القدس ابنه أفيا[(٢)] ، وضبطه بهمزة مفتوحة ومتوسطة بين الفاء والذال من لغتهم وياء مثناة من تحت مشدّدة وألف ، وكان على مثل سيرة أبيه . وكان عابداً صوّاماً ، وكانت أيامه كلها حرباً مع يُرُبْعُم بن نباط وبني إسرائيل ، وهلك لثلاث سنين . وولىَ بعده ابنه أسا[(٣)] ، بضم الهمزة وفتح السين المهملة وألف

(١) وفي التوراة : ورد اسمه رحبعام .
(٢) وفي نسخة اخرى : أبيّا .
(٣) وفي نسخة أخرى : آسا .

بعدها ، ابن أفيا . وطال أمد ملكه ، وكان رجلاً صالحا ، وكان على مثل سيرة جدّه داود صلوات الله عليه ، وتعدّدت الأنبياء في بني اسرائيل على عهده ، ومات يُرُبْعُم بن نباط لسنتين من ملكه ، وملك بعده ابنه ناداب وقتله يَعْشَا بن أحيا كما نذكر في أخبارهم . ثم وقعت بينه وبين أسا حروب ، واستمد اسا بملك دمشق فزحف معه ، وكان يعشا ملك السامرة في ناحية يثرب لبنائها ، فهرب وترك آلات البناء ، فنقلها أسا ملك القدس وبنى بها الحصون . ثم خرج عليهم زادح ملك الكوش في ألف ألف مقاتل ، ولقيهم أسا فهزمهم وأثخن فيهم . ولم تزل الحرب قائمة بين أسا وبين الاسباط بالسامرة سائر أيامه ، وعلى عهده اختطت السامرة كما نذكر بعد .

ثم هلك أسا بن أفيا لإحدى وأربعين سنة من ملكه ، ووليَ بعده ابنه يهوشاط [1] ، بياء مفتوحة مثناة تحتانية وهاء مضمومة وواو ساكنة وشين معجمة بعدها ألف ثم ظاء بين الذال والظاء المعجمتين ، فكان على مثل سيرة أبيه ، وكانت أيامه مع أهل السامرة وملوكهم سلماً . واجتمع ملوك العمالقة ، ويقال أروم [2] ، وخرج لحربهم فهزمهم وغنم أموالهم . وكان لعهده من الانبياء إلياس بن شوياق ، واليسع بن شوبوات . وقال ابن العميد : إيليا ومنحيا وعبوديا . وكانت له سفن في البحر يجلب له فيها بضائع الهند فأصابها قاصف الريح فتكسرت وغرقت . ثم هلك لخمسة وعشرين سنة من ملكه ، ووليَ ابنه يهورام [3] ، بفتح المثناة التحتية ثم هاء مضمومة تجلب واوا ثم راء مفتوحة تجلب ألفاً وبعدها ميم ، وانتقض عليه أروم ، وولوا عليهم ملكا منهم ، فزحف إليهم [4] ووقع بهم في سفيرا أوسط بلادهم ، وأثخن فيهم بالسبي والقتل . ثم رجع عنهم ، وأقاموا في عصيانهم . وعلى عهده زحف ملك الموصل إلى الاسباط بالسامرة ، فكانت بينه وبينهم حروب كما نذكر .

وقال ابن العميد : كانت على بني مؤاب جزية مضروبة لبني يهوذا ، مائتان من الغنم كل سنة ، فمنعوها ، واجتمع ملوك القدس والسامرة لحربهم وحاصروهم سبعة أيام ، وفقدوا الماء فاستسقى لهم اليسع وجرى الوادي . فخرج أهل مؤاب فظنوه ماء ،

---

(١) وفي نسخة أخرى : يهوشافاط .

(٢) وفي نسخة اخرى : أدوم .

(٣) وفي التوراة : يورام .

(٤) وفي نسخة أخرى : زحف فيهم .

فقتلهم بنو إسرائيل وأثخنوا فيهم . وفي أيام يهورام رفع إيليا النبي وانتقل سره الى اليسع ، وكان على عهده من الأنبياء أيضا عبوديا .

ثم هلك يورام لثمان سنين من ملكه ، ودفن عند جدِّ داود ، وولي بعده ابنه أحزياهو[1]**، بهمزة مفتوحة وحاء مهملة مضمومة وزاي معجمة ساكنة ثم ياء مثناة تحتية بفتحة تجلب ألفاً ثم هاء مضمومة تجلب واواً ، وأُمُّهُ غثليا بنت عمري أخت أجاب**[2] وسار سيرة خاله ، وملك سنة واحدة ، وقيل سنتين ، وخرج لقتال ملك الجزيرة والموصل واستنفر معه صاحب السَامِرَة يورام ابن خاله أجاب ، فاقتتلوا معه ثم انصرفوا وابن خاله جريح . وجاءه أحز ياهو في بعض الأيام يعوده وكان[3] ابن يهوشافاض بن منشي من سبط منشا بن يوسف يترصّد قتل يورام بن أجاب ملك السامرة ، فأصاب فرصة في ذلك الوقت فقتلها جميعا . وقال ابن العميد انّ يورام بن أجاب ملك السامرة خرج لحرب أروم ، في رواية كلعاد وخرج معه أحز ياهو فقتلا في تلك الحرب . قال : وقيل ان يَاهُو عَشّارمى بسهم فأصاب يورام بن أجاب . وكان لغصره من الانبياء اليسع وعامور وفنحاء .

ثم ملك بعد أحزيا أمه عثليا بنت عمري كذا وقع اسمها في كتاب الطبري ، وفي كتاب الإسرائيليات اسمها أضالية . ويقال كانت من جواري سليمان ، ثم استفحل ملكها بالقدس وقتلت بني داود كلهم ، وأغفلت ابناً رضيعاً من ولد أبيها أحزياهو اسمه يؤاش ، بضم الياء المثناة التحتية ثم همزة مفتوحة تجلب ألفاً ثم شين معجمة ، أخفته عمته يهوشيع بنت يهورام في بعض زوايا القدس ، وعلم بمكانه زوجها يهود يادع[4] وهو يومئذ الكوهن الأعظم . حتى اذا كملت له سبع سنين ، ونقم بنو يهوذا سيرة عثليا ، اجتمعوا إلى يهود يادع الكوهن فاخرج لهم يؤاش بن أحزياهو من مكانه ، واستحلفهم فبايعوا له وقتلوا جدَّته عثليا ومن معها لسبع سنين من ملكها .

---

(١) وفي التوراة : أحزيا .

(٢) وفي نسخة أخرى أخاب .

(٣) بياض بالاصل وفي الكامل لابن الاثيرج ١ ص ٢٥٤ ثم ملك بعد آسا ابنه سافاط وفي شرحه : هو يهو شافاط ولم يذكر شيئاً عن ابن يهوشافاط ، اوسافاط ، او يهوشافاض هذا . والذي في التوراة : يهورام بن يهوشافاط — الاصحاح الثامن من سفر الملوك الثاني .

(٤) وفي نسخة أخرى : يهوياداع وكذلك في التوراة .

وقام يؤاش بملكه في تدبير يهوديادع الكوهن ، ثم أراد عبادة الأصنام ، فمنعه زكريا النبيّ فقتله .وكان لعهده من الأنبياء إليسع وعوفريا وزكريا بن يهوديادع . وهلك يهوديادع لثلاث وعشرين سنة من ملك يؤاش بعد أن جدّد يؤاش بيت المقدس ، ولثمان وثلاثين من ملكه قبض إليسع النبي صلوات الله عليه ، وعلى عهده زحف شريال ملك الكلندانيين ببابل إلى بيت المقدس ، ويقال ملك نينوى والموصل . وقال ابن العميد : ملك الشام فأعطاهم جميع ما في خزائن الملك وبيت المقدس من الأموال ، ودخل في طاعتهم إلى أن قتله وزراؤه وأهل دولته لأربعين سنة من ملكه .
وولّوا مكانه ابنه أمصيا هو ، بفتح الهمزة والميم وسكون الصاد المشمة بالزاي بعدها ياء مثناة تحتانية بفتحة تجلب ألفاً ثم هاء مضمومة تجلب واواً ، واستبدّوا عليه ثم ثار عليهم بأمه وقتلهم أجمعين . وسار إلى أروم فظفر بهم ، وقتل منهم نحواً من عشرين ألفاً ، ثم زحف إليه ملك الأسباط بالسامرة[1] ولقيه فهزمه وحصل في أسره . وسار الى بيت المقدس فحاصرها ، وهدم من سورها نحواً من أربعمائة ذراع ، واقتحمها فغنم ما في خزائن بيت السلطان ، وبيت الهيكل من الأموال والأواني والذخائر ورجع إلى السامرة ، فأطلق أمصيا هو ملك القدس ، فرجع إلى قومه ورمّ ما تثلّم من سورها . ولم يزل مملكا حتى نقموا عليه أفعاله فقتلوه لسبع وعشرين سنة من ملكه . وكان لعهده من الأنبياء يونان وناحوم ، وتنبأ لعصره عاموص .
ولما قتلوا أمصياهو ولّوا ابنه عزيا هو[2] ، بعين مهملة مضمومة وزاي معجمة مكسورة مشدَّدة وياء مثناة تحتانية تجلب ألفاً وهاء تجلب واواً ، وطالت مدّته ثلاثا وخمسين سنة ، واختلفت فيها أحواله . قال ابن العميد : ولخمس من ملكه كان ابتداء وضع سِنِيِّ الكبس التي هي سنة بعد أربع تزيد يوماً على الماضية بحساب ربع يوم في كل سنة الذي اقتضاه حساب مسير الشمس عندهم . قال : ولِسِت من ملكه انقرض ملك الأرمانيين من الموصل وصارت إلى بابل ، لاثنتين وعشرين من ملكه غزا ملك بابل واسمه فول مدينة السامرة فاقتحمها ، وأعطاه ملكها بدرة من المال فرجع عنه . قال : ولعهده ملك على بابل رينوس ويُلقب قطب الملك ، ولعهده ملك على

(١) كذا بياض بالأصل وفي التوراة يوآش بن يوآحاز بن ياهو .
(٢) وفي التوراة : عزريا هو .
(٣) وهي السنة الكبيسة اي ٤/١ ٣٦٥ يوماً .

اليونانيين ملكهم الأول من مدينة أنقياس لثلاث وعشرين سنة من تملك عزيا هو. قال : ولإحدى وخمسين من ملكه ملك ببابل بختنصر الأول . قال : ولعهده أيضا كان الملك الأوّل من الروم المقدويس ويسمى فروس . ولعهده كان من الأنبياء يوشع وغوزيا وأموص وأشعيا ويونس بن متى . قال ابن العميد وانتهت عساكر عزيا هو إلى ثلثمائة ألف ، وأصابه البرص بدعاء الكوهن لما أراد أن يخالف التوراة في استعمال البخور وهو محرم على سبط لاوى ، فبرص ولزم بيته سنة وصار إبنه يؤام ينظر في أمر الملك إلى أن تغلب على أبيه . قال هروشيوش : وعلى عهده أيضاً قتل شرديال آخر ملوك بابل من الكلدانيّين على يد قائده أرباط بن المادس ، واستبدّ بملك بابل وأصاره إلى قومه بعد حروب طويلة ، ثم زحف إلى القوط والعرب من قضاعة فحاربهم طويلا وانصرف عنهم .

ثم هلك عزيا هو لثلاث وخمسين سنة من ملكه ، وملك بعده ابنه يؤاب وكان صالحاً تقيا ، وكان لعهده من الأنبياء هو شيع [1] وأشعيا ويويل [2] وعوفد . وفي أيامه ابتدأ غلب ملك الجزيرة على اليهود وكانوا يعرفون بالسوريانيين . ثم هلك يوآب لست عشرة من ملكه ، وملك ابنه أحاز ، بهمزة مفتوحة ممالة وحاء مهملة تجلب ألفاً وزاي معجمة ، فخالف سنة آبائه ، وعبد بنو إسرائيل الأوثان في أيامه ، وحارب الأرمن واستجاش عليهم بملك الموصل ، فزحف معه وحاصر دمشق وملكها منهم واستباحها ، ورجع إلى بلاده . ثم خرج أحاز لحربهم فهزموه وقتلوا من اليهود مائة وعشرين ألفا ونحوها ،وارجعوا أحاز الى دمشق أسيراً . قال هروشيوش : وعلى عهد أحاز كان انقراض ملك الماريس على يد كيرش ملك الفرس ، ورجعت أعمالهم إليه . ويقال : انّ آخر ملوكهم هو اشتانيش ، وكان جد كيرش لامّه ، وكفله صغيراً فلما شب وملك حارب جدَّه فقتله وانتزع ملكه . وقال ابن العميد عن المسبحي : ولذلك العهد ملك على الروم الفرنجة غير اليونان ، الاخوان روملس وررومانس ، واختط مدينة رومة . وقال هروشيوش : ولعهده ملك على الروم اللطينيين بأرض أنطاكية روملس ، ثم مَرّكَة وبنى مدينة رومة .

---

(١) وفي نسخة اخرى : هوسيع .
(٢) وفي نسخة اخرى : يوئيل كما في التوراة .

ثم هلك أحاز لست عشرة من ملكه ، وولى ابنه حزقيا هو ، بحاءٍ مهملة مكسورة وزاي معجمة ساكنة وقاف مكسورة وياء مثناة تحتانية مشددة تجلب ألفاً وهاء مضمومة تجلب واواً ، فقطع عبادة الأوثان وسار سيرة جدِّهِ داود ، ولم يكن في ملوك بني يهوذا مثله . وعصى على ملك الموصل وبابل وكوريش[1] وهزم فلسطين وخرّب قراهم . وفي أيامه وأيام أبيه سار شليشار ملك الجزيرة والموصل إلى الاسباط بالسامرة ، فضرب عليهم الجزية . ثم سار في أيامه فأزال ملكهم . ولاربع من ملكه زحف إليه رضين ملك دمشق ورجع عنه من غير قتال . ولاربع عشرة من ملكه زحف إليه سنجاريف[2] ملك الموصل بعد فتح السامرة ، فافتتح أكثر مدائن يهوذا وحاصرهم ببيت المقدس . وصانعه حزقيا هو بثلثمائة قنطار من الفضة وثلاثين من الذهب أخرج فيها ما كان في الهيكل ، وبيت الملك من المال ونثر الذهب من أبواب المسجد ، دفع ذلك له ورجع عنه . ثم فسد ما بينهما وزحف إليه سنجاريف ثانياً وحاصره وامتنع من قبول مصانعته ، وقال : من ذا الذي خلصه إلهه من يدي حتى يخلصكم أنتم الهكم . فخافوا منه وفزعوا إلى النبي شعياء في الدعاء فأمنهم منه ودعا عليه فوقع الطاعون في عسكره ، ثم تواقعوا في بعض الليالي ، فبلغ قتلاهم مائة وعشرين ألفا ورجع سنجاريف إلى نينوى والموصل ، فقتله أبناؤه وهربوا إلى بيت المقدس وملك ابنه السرمعون .

وقال الطبري إنّ ملك بني اسرائيل أسر سنجاريف وأوحى الله الى شعياء أن يطلقه فأطلقه . قال : وقيل إنّ الذي سار إليه سنجاريف من ملوك بني اسرائيل كان أعرج ، وأنّ سنجاريف لعهد ملك أذربيجان ، وكان يدعى سليمان الأعسر ، فلما نزل بيت المقدس صار بينهما احقاد كامنة ، فتواقعوا وهلك عامّة عسكرهما ، وصار ما معهما غنيمة لبني اسرائيل ، وبعث ملك بابل إلى حزقيا ملك الفرس بالهدايا والتحف ، فأعظم موصلها ، وبالغ في كرامة الوفد وفخر عليهم بخزانته وطوفهم عليها ، فنكر ذلك عليه شعياء النبي وأنذره بان ملوك بابل يغنمون جميع هذه الخزائن ، ويكون من أبنائك خصيان في قصرهم .

ثم هلك حزقيا هو لتسع وعشرين سنة من ملكه ، وولي ابنه منشا ، بميم مكسورة ونون

---

(١) وفي نسخة اخرى توريش .

(٢) وفي التوراة : سنحاريب .

مفتوحة وشين معجمة مشدّدة وألف ، وكان عاصياً قبيح السيرة ، وكانت آثاره في الدين شنيعة ، وأنكر عليه شعيا النبي أفعاله ، فقتله نشراً بالمناشير من رأسه إلى مغرق ساقيه ، وقتل جماعة من الصالحين معه . وفي التاسعة والثلاثين من ملكه ، ملك سنجاريف الصغير مملكة الموصل قاله ابن العميد وفي الثانية والخمسين بنيت بوزنطية بناها بورس الملك ، وهي التي جددها قسطنطين وسمّاها باسمه . وفي أيامه ملك برومة قنو قرسوس الملك ، وفي الحادية والخمسين من ملكه زحف سنجاريف ملك الموصل إلى القدس فحاصرها ثلاث سنين ، وافتتحها في الرابعة والخمسين من ملكه . وولي بعده ابنه أمون ، بهمزة قريبة من العين والميم مضمومة تجلب واواً ثم نون ، وكانت حاله مثل حال أبيه فملك سنتين ، وقيل اثنتي عشرة ، ثم اغتاله عبيده فقتلوه ، واجتمع بنو يهوذا فقتلوا أولئك العبيد ، وأقاموا ابنه يوشيا مكانه ، وضبطه بياء مثناة تحتية مضمومة تجلب واواً بعدها شين معجمة مكسورة ثم ياء مثناة تحتية بفتحة تجلب ألفاً . فلما ملك أحسن السيرة وهدم الأوثان وكان صالح الطريقة مستقيم الدين ، وقتل كهنة الأصنام وهدم البيوت والمذابح التي بناها يُرُبْعَام بن نباط بالبرابرة . وكان في أيامه من الأنبياء صفونا[1] وكلدي امرأة شالوم وناحوم . وتنبأ لعهده أرمياء بن ألحيا[2] من نسل هارون ، وأخبرهم بالجلاء إلى بابل سبعين سنة ، فأخذ يوشيا قبة القربان وتابوت العهد وأطبق عليهما في مغارة فلم يعرف مكانهما من بعد ذلك . وفي أيامه ملك المجوس بابل . ولاحدى وثلاثين من دولته ملك فرعون الأعرج مصر وزحف لقتال مسيح بالفرات ، فخرج يوشيا لحربه وانهزم يوشيا فهلك بسهم أصابه لاثنتين وثلاثين من دولته .

وولي بعده ابنه يوآش ، ويقال اسمه يَهُويَاحَاز فعطل أحكام التوراة ، وأساء السيرة ، فزحف إليه فرعون الأعرج ، وأخذه ورجع به إلى مصر فمات هنالك . وضرب على أرضهم الخراج مائة قنطار فضة وعشرة ذهبا ، وكانت ولايته ثلاثة أشهر . وولّوا مكانه أخاه ألياقيم بن يوشيا ، بهمزة مفتوحة ولام ساكنة وياء مثناة تحتانية يجلب فتحها ألفا وقاف مكسورة تجلب ياء ثم ميم ، وكان عاصياً كافراً ، وكان يأخذ الخراج لفرعون من بني يهوذا على قدر أحوالهم . ثم زحف إليه بختنصر ملك بابل لسبع من ولاية ألياقيم ،

(١) وفي التوراة : صفنيا بن كوشي — نبوّة صفنيا — الفصل الاولى .
(٢) وفي التوراة : إرميا بن خلقيا — نبوّة ارميا ، الفصل الاول .

فملك الجزيرة وسار إلى بيت المقدس فضرب عليهم الجزية أولا ، ودخل ألياقيم في طاعته ثلاث سنين ، وسلط الله عليه أروم وعمون ومؤاب والكلدانيين ، ثم انتقض عليه فسرح الجيوش اليه ، فقبضوا عليه واحتملوه الى بابل ، فهلك في طريقه لاحدى عشرة سنة من ملكه . وولى بختنصر مكانه ابنه يخنيو ، بفتح الياء المثناة التحتانية بعدها خاء معجمة مضمومة ثم نون ساكنة وبعدها ياء تحتانية تجلب ضمتها واواً ، فأقام ثلاثة أشهر ، ثم زحف إليه وحاصره ، وأخرج إليه أمّه وأشراف مملكته فأشخصهم الى بلده . وجمع أهله ورجال دولته وسائر بني اسرائيل نحواً من عشرة آلاف ، واحتملهم أسارى إلى بابل ، وغنم جميع ما كان في الهيكل والخزائن من الأموال وجميع الأواني التي صنعها سليمان للمسجد ، ولم يترك بمدينة القدس إلا الفقراء والضعفاء وبقي يخنيو ملك بني اسرائيل محبوساً سبعاً وثلاثين سنة .

وقال ابن العميد : إنّ بختنصر سار إلى القدس في الثالثة من مملكة ألياقيم ، وسبى طائفة منها ، وانتهب جميع ما في بيت الهيكل . وكان في سنة دانيال وخانيا وعزاريا وميصائل . وانّ في السنة الخامسة من ملكه قاتل بختنصر فرعون الأعرج ملك مصر ، وفي الثانية من ملك الياقيم غزا بختنصر القدس ووضع عليهم الخراج وأبقى الياقيم في ملكه وهلك لثلاث سنين بعد ذلك وملك ابنه يخنيو. وكان لعهده من الأنبياء ارميا وأوريا بن شعيا وموري والد حزقيا . وفي أيامه تنبأ دانيال ، ثم سار بختنصر ليخنيو فاشخصه الى بابل كما مرّ .

وقال الطبري ووافقه نقل هروشيوش : إنّ بختنصر ولّى مكان يخنيو بن الياقيم عمه متنيا ، بميم مفتوحة وتاء مثناة فوقانية مفتوحة مشدّدة ونون ساكنة وياء مثناة تحتانية بفتحة تجلب ألفاً ، ويسمّى صدقيا هو ، وكان عاصياً قبيح السيرة ، ولتسع سنين من ولايته انتقض على بختنصر ، فزحف إليه في العساكر وحاصر بيت المقدس وبنى عليها المدر للحصار ، وأقام ثلاث سنين واشتدّ الحصار بهم ، فخرجوا هاربين منها إلى الصحراء واتبعهم العساكر من الكلدانيين وأدركوهم في أريحا ، فقبض على ملكهم صدقيا هو وأتى به أسيراً فسمل عينيه . وقال الطبري : وذبح ولده بمرأى منه ، ثم اعتقله ببابل إلى أن مات . ولحق بعض من بني اسرائيل بالحجاز فأقاموا مع العرب ، وكان لعهده من الأنبياء ارميا وحبقون وباروح . وبعث بختنصر قائده نبو زراذون ، بنون مفتوحة وباء موحدة مضمومة تجلب واواً بعدها زاي وراء مفتوحة تجلب ألفا

وذال مضمومة تجلب واوا بعدها نون ، بعثه إلى مدينة القدس ، وكانوا يدعونها مدينة يروشالم[١] ، فخرّبها وخرّب الهيكل وكسر عمد الصفر التي نصبها سليمان في المسجد طول كل عمود منها ثمانية عشر ذراعا وطول رؤوسها ثلاثة أذرع ، وكسر صرح الزجاج وسائر ما كان بها من آثار الدين والملك ، واحتمل بقية الأواني وما كان وجده من المتاع ، وسبى الكوهن سارية والحبر منشا وخدمة الهيكل إلى بابل . قال هروشيوش : وأبقى صدقيا هو محبوساً ببابل إلى أن أطلقه بزداق قائد بهمن ملك الفرس حين غلبوا على بابل فأطلقه ووصله وأقطعه .

وقال مؤرخ حماة[٢] ووافقه المسعودي : انّ بختنصر بعد تخريب القدس هرب منه بعض ملوك بني اسرائيل إلى مصر وبها فرعون الأعرج ، وطلبه بختنصر فأجاره فرعون وسار إليه بختنصر فقتله وملك مصر . وافتتح من المغرب مدائن وبث فيها دعاته ، وكان إرْمياء نبي بني اسرائيل من سبط لاوَى ، ويقال اسمه إرَمياء بن خلقيا ، وكان على عهده صدقيا هو ووجده بختنصر في محبسهم فأطلقه واحتمله معه في السبي الى بابل ، وقيل انه مات في محبسه ولم يدركه بختنصر . وكذلك احتمل معهم دانيال بن حزقيل من أنبيائهم .

وقال ابن العميد :وولي جدليا بن أحان على من بقي من ضعفاء اليهود بالقدس ،ولسبعة أشهر من ولايته قام إسمعيل بن متنيا بن إسمعيل من بيت الملك فقتل جدليا واليهود والكلدانيين الذين معهم ، ثم هرب إلى مصر وهرب معه ارميا ، وهرب حبقون إلى الحجاز فمات وكان قيماً ولحقهم بمصر . وتنبأ ارمياء في مصر وبابل وأورشليم وصور وصيدا وعمون ثمانية وثلاثين سنة ، ورجمه أهل الحجاز فمات . وكان فيما أخبرهم به مسير بختنصر الى مصر وتخريبه هياكلها وقتله أهلها . ولما دخل بختنصر مصر نقل جسده الى الإسكندرية ودفنه بها ، وقيل دفن بالقدس لوصيته . وأمّا حزقيا هو فقتله اليهود في السبي .

قال الطبري : وافترقت جالية بني اسرائيل في نواحي العراق الى ان ردّهم ملوك الفرس الى القدس فعمروه وبنوا مسجده . وكان لهم فيه ملك في دولتين متصلتين الى أن وقع بهم الخراب الثاني والجلوة الكبرى على يد طيطش من ملوك القياصرة كما نذكر بعد .

---

(١) أوْ اورشليم .
(٢) يعني ابي الفداء .

ولنذكر هنا ما وقع من الخلاف في نسب بختنصر هذا ، والى من يرجع من الأمم : فقد ذهب قوم الى أنه من عقب سنجاريف ملك الموصل الذي كان يقاتل بني اسرائيل والسامرة بالقدس . قال هشام بن محمد الكلبي فيما نقل الطبري : هو بختنصر بن نبوزراذون بن سنجاريف ، ثم نسب سنجاريف إلى نمروذ بن كوش بن حام الذي وقع ذكره في التوراة في ولدكوش وعدّ بين سنجاريف والنمروذ ستة عشر أبا أو نحوها أوّلهم داريوش بن فالغ وعصا[1] بن نمروذ ، أسماء غير مضبوطة يغلب على الظنّ تصحيفها لعدم دراية الأصول وقلّة الوثوق بضبطها . وقيل إنّ بختنصر من نسل أشوذ[2] بن سام ، ولم يقع الينا رفع هذا النسب ولعله أصح من الأوّل لأنه قد تقدّم نسب سنجاريف في الجرامقة ثم في الموصل منهم وهم من ولد أشوذ باتفاق من أهل فارس ، نقله أيضا الطبري عن ابن الكلبي ، وان اسمه بختمرسه فسمي بختنصر ، وكان يملك ما بين الأهواز والروم من غربي دجلة أيام هراسب ويستاسب وبهمن من ملوك الفرس ، وانه افتتح ما يليه من بلاد بابل والشام ثم سار الى القدس فافتتحها كما تقدّم ، وقيل ان بهمن بعث رسله إلى القدس في طلب الطاعة منهم فقتلوه ، فبعث بهمن أصبهبذاً للناحية القريبة من مملكته ، وبعث معه داريوش[3] من ملوك مارى بن نابت ، وكيرش بن كيكوس من ملوك بنى غليم بن سام ، وأحشوارش بن كيرش بن جاماهن من قرابته . وسار معهم بختنصر بن نبوزراذون بن سنجاريف صاحب الموصل الذي لقومه البرآت في أهل المقدس فكان ما وقع من الفتح . وقيل كان بختنصر صاحب الموصل في مقدّمتهم وكان الفتح على يده .

وأما بنو اسرائيل فيزعمون أنّ بختنصر من الكلدانيين ، وهم وُلْدِ ناحور بن آزر أبي إبراهيم عليه السلام ، وكان لهم الملك ببابل وكان بختنصر هذا من أعقابهم ، وكان مدّة دولته خمسا وأربعين سنة ، وكان فتحه المقدس لثمانية عشر من دولته . وملك بعده أَوِيل مَرُوَمَاخ ثلاثا وعشرين سنة ، ثم بعده ابنه فيلسنصر بن أويل ثلاث سنين ، ثم غلب عليهم كوروش وأزال ملكهم وهو الذي ردّ بني اسرائيل إلى بيت المقدس فعمروه وجدّدوا به ملكاً كما نذكره .

---

(١) وفي التوراة : عوص .

(٢) وفي التوراة : اشور . .

(٣) وفي نسخة اخرى : داريوس .

وقد اختلف في كيرش الذي ردّ بني اسرائيل الى القدس من هو بعد اتفاقهم على أنه من الفرس ، فقيل هو يستاسب ولم يكن ملكاً وإنما كان مملكاً على خوزستان وأعمالها من قبل كيقوس وبنجسون بن سياوش ولهراسب من بعدهما ، وكان عظيم الشأن ولم يكن ملكاً . وقيل إنّ كيرش هو ابن احشوارش بن جاماسب بن لهراسب ، وابوه أحشوارش هذا الذي بعثه بهمن . ولما رجع من ذلك الفتح بعثه الى ناحية الهند والسند وانصرف الى حصن الأبر فولاه بابل وتزوج من سبي بني اسرائيل ابنة ابي حاويل الرّحا واخت مردخاي من الرضاع ، وهو من أنبياء بني اسرائيل . فتزعم النصارى انها ولدت عند حيرا حوارس إلى بابل ابنه كيرش هذا فحضنه مردخاي ولقنه دين اليهودية ، ولزم سائر أنبيائهم مثل متنيا وعازريا وميثائل وعزيز . وولي دانيال احكام دولته ، وجعل إليه أمره وأذن له أن يخرج ما في الخزائن من السبي والذخائر والآنية ويردّه إلى مكانه ويقوم في بناء القدس فعمره . وراجعه بنو إسرائيل وسأله هؤلاء الأنبياء أنْ يرجعوا إلى بيت المقدس فمنعهم اغتباطاً بمكانهم .

وقيل إنّ كيرش هو كيرش بن كيكو بن غليم بن سام ، وهو الذي كنا قدمنا أن بهمن بعثه مع قائده بختنصر الى فتح بيت المقدس ، وأنّ بختمرس ملكه بهمن على بابل ، وكان يسمى بختمرسي كما ذكرنا ، فملكها وملك ابنه من بعده ثلاثا وعشرين سنة ، ثم ابنه بلتنصر سنة واحدة ، ثم بلغ بهمن سوء سيرته فعزله وولّى على بابل داريوش الماذة بن ماداي ، ثم عزله وولى كيرش بن كيكو ، وكتب إليه بهمن بان يرفق ببني اسرائيل ويحسن ملكتهم وأن يردهم إلى أرضهم ويولي عليهم من يختارونه ، ففعل ، فاختاروا دانيال من أنبيائهم فولاّه . وقيل وهو لعلماء بني اسرائيل انّ بلتنصر حافد بختنصر وهو ملك بابل والكلدانيين ، وأنّ دارا ويسمى داريوش ملك ماري ، وكورش وهو كيرش ملك فارس ، كان في طاعته فانتقضا عليه ، وخرج إليهم في العساكر فانهزم أوّلا ، ثم بعث عساكره وقواده إليهم فهزمهم ثم قتله خادمه على فراشه . ولحق بداريوش وكورش وزحفا إلى بابل فغلبا الكلدانيين عليها ، واختص دارا وقومه مادي وأظنهم الديلم ببابل ونواحيها . واختص كورش وقومه فارس بسائر الاعمال والكور ، وكان كورش نذر ببناء بيت المقدس واطلاق الجالية ورد الآنية ، ثم هلك دارا وانفرد كورش بالملك على فارس ومادي ووفى بنذره هذا محصل الخلاف في بختنصر وكيرش والله أعلم .

الواقع ان الأسماء محرّفة ومحوّرة عن الأصل حتى في الصفحة الواحدة يرد الاسم مختلفاً ، وهذا ما جعلنا نعود الى التوراة وبعض المراجع القديمة ومقابلتها لضبط هذه الأسماء قدر الامكان .

ز و هـ د ج

احز يـــاهو بن يهورام بن يهوشافـــاط بن اسا بن افيـــاس بن رحبعم بن سليمان بن داود صلوات الله عليـــه

بن يواش بن

ح ط يج يد يه يو يح يط

امصياهو بن عز ياهو بن يواب بن احاز بن حزقياهـو بن منشا بن امون بن يوشيا بن يخنيو- بن ألياقيم

الخبر عن دولة الأسباط العشرة وملوكهم الى حين انقراض أمرهم

قد تقدّم لنا في دولة سليمان عليه السلام انّ يربعام بن نباط من سبط افرائيم كان والياً لسليمان على جميع نواحي يورشليم[1] وهي بيت المقدس ، وقيل إنّما كان والياً على عمل بني يوسف بنابلس وما إليها ، وكان جباراً وان سليمان عوتب على ولايته من الله وانتقض ولحق بمصر ، فلما قبض سليمان وَولي ابنه رحبعم واختلف عليه بنو إسرائيل بما بلوا من سوء ملكته والزيادة في الضرائب عليهم ، واجتمع الأسباط العشرة ما عدا يهوذا وبنيامين فاستقدموا يربعام بن نباط من مصر فبايعوا له وولوه الملك عليهم وحاربوا رحبعم ومن في طاعته وهم سبط يهوذا وبنيامين ، فامتنعوا عليهم بمدينة يروشليم ، ثم انحازوا إلى جهة فلسطين في عمل بني يوسف . ونزل يربعم مدينة نابلس بملك الأسباط العشرة ومنعهم من الدخول إلى بيت المقدس والقربان فيه ، وكان عاصياً مسخوط السيرة .

ولم يزل الحرب بينه وبين رحبعم بن سليمان وابنه أبيّا من بعده واثنين من ملْك أسا بن أبيا ، وكان أبيّا ظاهراً عليه في حروبه ، ثم هلك يربعام بن نباط لسنتين من ملك أبيّا ولثلاث وعشرين من ملكه ، فوليَ مكانه على الأسباط يوناذاب وكان على مثل سيرة أبيه من الجور وعبادة الأصنام ، فسلط الله عليه بعشا بن أحيا فقتله وجميع أهل بيته لسنتين من ملكه . وقام بملك الأسباط فلم يزل يحارب أسا بن أبيّا وأهل القدس سائر أيامه . وكان أسا يستمدّ عليه بملك دمشق من الأرمن . وسار معه إليه مرّة ، وكان أعشا بن أحيا نبي يثرب ، فأجفل أمامهم وترك الآلات فأخذها أسا وبنى بها الحصون وهلك أعشا بن أحيا لأربع وعشرين سنة من ملكه ودفن في برصا مدينة ملكهم بعد أنْ أنذره بالهلاك نبيهم فاهو . ولما هلك وليَ بعده ابنه إيليا ، ويقال إيلَـهْوا في السادسة والعشرين من ملك أُسَا فأقام سنين ثم بعث عساكر بني اسرائيل إلى محاصرة بعض المدن بفلسطين ، فوثب عليه سبط من الأسباط من عقب كان يعرف زمري صاحب المراكب ، ويقال ابن اليافا ، فقتله وجميع أهل بيته وقام

(١) هي اورشليم .

بالملك ومكث أياما يسيرة خلال ما بلغ الخبر لبني اسرائيل بمكانهم من حصار فلسطين ، فلم يرضوه وملكوا عليهم صيّ بن كسّات من سبطه ورجعوا الى زمري المتوثب على الملك فحاصروه ، فلما أحيط به دخل مجلس الملك وأوقد ناراً لتحرقه فاحترق فيه لسبعة أيام من فورتهم .

وكان عمري بن ناداب من سبط أفرايم ويلقب صاحب الحربة يرادف صيّ في الملك فقتله واستبدّ ، وذلك في الحادية والثلاثين من ملك أُسَا . ثم اختلف عليه بنو إسرائيل ونصب بعضهم بنيامين فنال من سبط يساخر ، وحاربهم عمرى فغلبهم . وكان ينزل مدينة برصا ، ولست سنين من ملكه اختط مدينة السامرية ابتاع لها جبل شمران[١] من رجل اسمه سامر بقنطار فضة ، وبنى فيه قصوره وسميت سبسطية ، ثم غلبت عليها النسبة إلى البائع . ويقال إنّ الاسم كان شو مرون فعرب سامرة وأهملت شينها المثلثة ، وكانت هذه المدينة مدينة ملكهم الى انقراض أمرهم .

ثم هلك عمري لإثنتي عشرة سنة من ولايته ودفن في نابلس ، وقام بملك الأسباط من بعده ابنه أحاب[٢] ، وكان على مذهبه ومذهب سلفه منهم من الكفر والعصيان ، وتزوّج بنت ملك صيدا ، وبنى هيكلاً بسامرة وجعل فيه صنما يسجد له وأفحش في قتل الأنبياء ، وبنى قرية أريحاء ودعا عليه إيليّا النبيّ فقحطوا ثلاث سنين خرج فيها إيليّا الى البرية فسكنها ، ثم رجع فدعا وأنزل الله المطر وذبح الذين حملوا أحاب على عبادة الأصنام هكذا قال ابن العميد .

والذي قاله الطبري إنّ هذا النبي الذي دعا عليهم هو الياس بن سين ، وقيل ابن ياسين من نسل فنحاص بن العازار . وكان بعث الى أهل بعلبك والى أحاب وقومه . وقال الطبريّ : فكذبوه فأصابهم القحط ثلاثا ، ففزعوا إليه في الدعاء وباهلهم في أصنامهم فلم تغن شيئا ، فدعا لهم فمطروا ، ثم انهم أقاموا على ما كانوا عليه من الكفر والعصيان . وكان أحاب شديداً عليه ودعا عليه الياس ثم طلب من الله أن يتوفاه بعد أن أنذر الناس بهلاكه وهلاك قومه بل عقبه . وتنبأ بعده إليسع بن أخطوب من سبط افرايم ، وقيل ابن عم الياس . وقال ابن عساكر : اسمه اسباط بن عدي بن شوليم

(١) وفي التوراة «واشترى جبل السامرة من شامر بوزنتين من الفضة .

(٢) وفي التوراة : اخآب .

بن افرائيم . قال الطبريّ : كان مستخفياً مع الياس بجبل قاسيون من ملك بعلبك ، ثم خلفه في قريته انتهى كلام الطبري .

وقال ابن العميد : في أيام أحاب أوحى الله إلى إيليا أن يبارك على إلياس بن بغسا ففعل ذلك ، وان يبارك على أدوم بدمشق ، وعلى ياهو ملكاً على بني اسرائيل ففعل ذلك . وهو أيضا على عهد أحاب فجاء سنداب ملك سورية فحاصر أحاب بن عمري والأسباط العشرة في السامرة ، وخرجوا إليه فهزموه واستلحموا عامة عسكره ، ثم رجع إليهم من العام القابل فخرجوا إليه وهزموه ثانيا وقتلوا من عسكره نحواً من مائة ألف ، ومروا في اتباعهم ، وامتنع سنداب في بعض حصونه وأحاطوا به فخرج إليهم مُلقيا بنفسه على ملكهم أحاب ، فعفا عنه ورده الى ملكه ، وسخط ذلك النبيّ من فعله وأنذره بعذاب يصيب ولده عقوبة من الله تعالى على إبقائه عليهم . ثم خرج أحاب من ملك الأسباط مع يهوشافاط ملك يهوذا المقدس لمحاربة ملك سورية ، فأصابه سهم هلك فيه ودفن بسامرة لإثنتين وعشرين سنة من ملكه . قال ابن العميد : وقيل لثمان عشرة . وقال إنّما خرج لحرب كلعاد ملك أدوم فانهزم وقتل .

ولما هلك ملك من بعده ابنه أحزيّا ويقال أمشيا وكان عاصياً سيىء السيرة قتل عاموص النبيّ وعبد بعلا الصنم وهلك لسنتين ، فملك أخوه يوآم وقيل انه لتسع عشرة من ملك يهوشافاط ملك الفرس ، فملك يوآم على الأسباط إثنتي عشرة سنة زحف فيها أوّلاً إلى مؤاب لما منعوه الجزية التي كانت عليهم للأسباط مائتين من الغنم في كلّ سنة ، واستنجد ملك يهوذا لحربهم فحاصرهم سبعة أيام وفقدوا الماء ، فاستسقى لهم اليسع وجرى الوادي وخرج أهل مؤاب يظنونه دماً ، فقتلهم بنو إسرائيل . وجمع هدّاد ملك ادوم لحصار سامرة ونازلها ثلاث سنين ، ثم دعا عليهم إليسع فاجفلوا ورجعوا إلى بلادهم . وفي الثانية عشر من ملك يؤام ملك الأسباط ثار عليه يهوشافاط بن يشا من سبط منشا بن يوسف ، وذلك عند منصرفه من محاربة ملوك الجزيرة وأروم مع أحزيّا بن يهورام ملك القدس ، وكان جريحاً فعاده أحزيا وكان هذا الفتى ياهو يترصد قتل يؤام فأمكنته الفرصة فيه تلك الساعة فقتله وقتل معه أحزيا ملك القدس وبني يهوذا وملك على الأسباط .

وقال ابن العميد : خرج يؤام بن أحآب ملك الاسباط لحرب أدوم ومعه أحزِيّا ملك القدس فقتلا جميعا في تلك الحرب . وقيل إنّ ياهو بن مَنْشَا رمى بسهم فأصاب يَوّام بن أحآب فمات .
ولما ملك ياهو على الأسباط قتل بني أحآب كلهم كما أمره إليسع ، وهلك لخمس وثلاثين من ملكه وولي ابنه يوآص ، وقيل يهوذا ، ولثمان وعشرين من دولة يوآص بن أحزيّا ملك يهوذا القدس وكان قبيح السيرة عبّاداً للأصنام وعمل مذبحاً بسامرة وهلك لسبع عشرة من ملكه ، ووَليَ بعده ابنه يوآش لسبع وثلاثين من دولة يوآص بالقدس وزحف إلى القدس فملكها من يد أمصيّا ملك يهوذا ، وهدم من سورها أربعمائة ذراع ، وسبى أهل المقدس وسبى بني عزريّا الكوهن ، وأخذ جميع ما في المسجد ورجع إلى سامرة . ومرض إليسع فعاده يوآش فوعده بأنه يهلك أدوم ويظفر بهم ثلاث مرات ، فكان كذلك ، وهلك لثلاث عشرة سنة من ملكه . ووليَ من بعده ابنه يربعام وكان سيء السيرة وزحف إلى أمصيا ملك يهوذا ، وقيل إنّ الذي زحف إلى أمصيّا إنمّا هو يُؤاش أبوه ، فهزمه وأخذه أسيراً وسار به إلى القدس فاقتحمها عنوة وغنم جميع ما في خزانتها وسبى بني عزريّا الكوهن ، ورجع إلى السامرة فأطلق أمصيّا . ثم لا حدى وأربعين سنة من ملكه ، ولسبع وعشرين من ملك عزيّا هو بن أمصيّا ملك القدس .
قال ابن العميد : وبقي بنو اسرائيل بالسامرة فوضى أحدى عشرة سنة ، ثم ملكوا ابنه زكريّا في الثامنة والثلاثين من ملك عزيّا هو فملك ستة أشهر ، وقال ابن العميد شهراً ، ثم وثب به مناخيم بن كاد من سبط زبلون من أهل برصا فقتله ، وملك مكانه إثنتي عشرة سنة . وقال ابن العميد عشر سنين . قال وفي التاسعة والثلاثين من ملك عزيّا هو خرج إلى مدينة برصا ففتحها عنوة واستباحها ، وزحف إليه فول ملك الموصل فصانعه بألف قنطار من الفضّة ورجع عنه ، وكانت سيرته رديئة ، ولما هلك مناخيم ملك ابنه بقحيّا لاربعين من دولة عزيّا ملك القدس فأقام فيهم إثنتي عشرة سنة ، وقال ابن العميد سنتين ، ثم ثار عليه من عماله باقح بن رصليّا[1] وكان على طريقة من تقدّمه في الضلال فأقام ملكاً على الأسباط بالسامرة عشر سنين ، وهلك لدولته عزيّا بن أمصيّا ملك يهوذا بالقدس ، وأقام باقح بن رصليّا على سوء السيرة

(١) وفي نسخة اخرى : رسليا .

وعبادة الأصنام إلى أن قتله هويشيع بن إيليّا من سبط كاد في الثالثة من ملك يؤاب ملك القدس وبقي الأسباط بعده فوضى عشر سنين ، ثم ملكوا قاتله هوبشيع بن إيليّا المذكور ، فأقام مملكا عليهم سبع سنين وفي أيامه زحف إليه ملك أثور[1] والموصل فصير الأسباط في دولته وأدّوا إليه الخراج ، ثم ان هويشيع راسل ملك مِصر في الاستعانة به والرجوع إلى طاعته ، فلما بلغ ذلك إلى ملك الموصل زحف إليه وحاصره في مدينة السامرة ثلاث سنين واقتحمها في الرابعة . وتقبّض على هوبشيع لتسع سنين من ملكه ونقله مع الأسباط كلهم إلى الموصل ، ثم بعثهم إلى قرى أصبهان وأنزلهم بها ، وقطع ملك بني اسرائيل من السامرة وبقي ملك يهوذا وبنيامين بالقدس ، وكان ذلك لعهد احزيّا بن أخآز من ملوكهم لسنة من دولته .

وتعاقبت ملوكهم بعد ذلك بالقدس إلى أن انقرضوا . وجمع ملك الموصل من كوره غاراً وحماة وصفرارام ، ويقال ومركتا وأسكنهم بالسامرة . قال ابن العميد وتفسيرها حفيظة ويوآطر . قالوا وسلّط الله عليهم السباع يفترسونهم فبعثوا إلى ملك الموصل أن يعرفهم بصاحب قسمة السامريّة من الكواكب ليتوجهوا إليه بما يناسبه على طريقة الصابئة ، فقيل إنّ العشرية التي رسخت فيها وهي دين اليهودية تمنع من ذلك ومن ظهور أثره . فبعث إليهم كوهنين من عامّة اليهود يعلمانهم اليهودية فتلقوها عنهما ، فهذا أصل السامرة في فرق اليهود وليسوا منهم عند أهل ملّتهم لا في نسبهم ولا في دينهم ، والله مالك الأمور لا رب غيره ولا معبود سواه سبحانه وتعالى .

---

(١) وفي التوراة : اشور .

يه زكريا بن يد يربعام بن يج يؤاش بن يب يواص (وقيل يهوذا) بن يا ياهو بن ي يهوشافاط بن ايشا بن منشا بن يوسف بن اسرائيل صلوات الله عليه وسلام

هوشع بن ايلا بن كاد — يط

زمري بن الياب — ه

بقحيا بن مناحيم بن كاد بن زبولون — يو — يز

شالوم بن يامش بن نفتالي

صي بن كسات

ح اخزيا بن ز احاب بن عمري بن و ناداب بن أفرايم

ط يورام

ب يوناذاب بن ا يربعام بن بناط — وقيل اليهو

بنيامين بن فنال

ج ايليا بن بعشوء بن أجيا بن رصوتا بن يساخر

يح باقح بن رصليا بن دان

الخبر عن عمارة بيت المقدس بعد الخراب الأوّل وما كان لبني اسرائيل فيها من الملك في الدولتين لبني حشمناي وبني هيرُدوس إلى حين الخراب الثاني والجلوة الكبرى

هذه الأخبار التي كانت لليهود ببيت المقدس والملك الذي كان لهم في العمارة بعد جلاء بختنصّر وأمر الدولتين اللتين كانتا لهم في تلك المدة ، لم يكتب فيها أحد من الأئمة ولا وقفت في كتب التواريخ مع كثرتها واتساعها على ما يلمّ بشيء من ذلك . ووقع بيدي وأنا بمصر تأليف لبعض علماء بني اسرائيل من أهل ذلك العصر في أخبار البيت والدولتين اللتين كانتا بها ما بين خراب بختنصّر الأوّل وخراب طيطُش [1] الثاني الذي كانت عنده الجلوة الكبرى ، استوفى فيه أخبار تلك المدّة بزعمه ومؤلف الكتاب يُسمّى يوسف بن كريّون وزعم أنه كان من عظماء اليهود وقوّادهم عند زحف الروم إليهم ، وأنه كان على صولة [2] ، فحاصره أسبِيَانوس أبو طيطش واقتحمها عليه عنوة ، وفرّ يوسف إلى بعض الشعاب وكمن فيها ثم حصل في قبضته بعد ذلك ، واستبقاه ومنّ عليه وبقي في جملته . وكانت له تلك وسيلة إلى ابنه طيطش عندما أجلى بني اسرائيل عن البيت فتركه بها للعبادة كما يأتي في أخباره . هذا هو التعريف بالمؤلف .

وأمّا الكتاب فاستوعب فيه أخبار البيت واليهود بتلك المدّة وأخبار الدولتين اللتين كانتا بها لبني حَشَمْناي وبني هيرُدوس من اليهود ، وما حدث في ذلك من الأحداث فلخصتها هنا كما وجدتها فيه لأني لم أقف على شيء فيها لسواه ، والقوم أعلم بأخبارهم اذا لم يعارضها ما يقدّم عليها . وكما قال صلى الله عليه وسلم : لا تصدّقوا أهل الكتاب . فقد قال ولا تكذبوهم . مع أنّ ذلك إنمّا هو راجع إلى أخبار اليهود وقصص الأنبياء التي كان فيها التنزيل من عند الله ، لقوله بعد ذلك : « وقولوا آمنّا بالذي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وأُنزِل إِلَيْكُمْ » . وأمّا الخبر عن الواقعات المستندة إلى الحس فخبر الراحد كاف فيه إذا غلب على الظنّ صحته ، فينبغي أنْ نلحق هذه الأخبار بما تقدّم

---

(١) وفي نسخة اخرى : طيطس .

(٢) قوله على صولة : بلد قريب من المقدس كما في التوراة ولعلها المسماة اليوم بصفد (بخط العطار) .

من أخبارهم لتكمل لنا أحوالهم من أوّل أمرهم إلى آخره والله أعلم . ولم التزم صدقه من كذبه والله المستعان .

قال الطَبريّ وغيره من الأئـمة : كان يرميّا ويقال أرميَا بن خلقِيّا من أنبياء بني اسرائيل ومن سبط لاوى ، وكان لعهد صدقيّا هو آخر ملوك بني يهوذا ببيت المقدس ، ولما توغلوا في الكفر والعصيان أنذرهم بالهلاك على يد بختنصّر وسأله عنه وأطلقه واحتمله معه في السبي ، وكان فيما يقوله أرمْيَا إنّهم يرجعون إلى بيت المقدس بعد سبعين سنة يملك فيها بختَنَصّر وابنه وابن ابنه ويهلكون ، واذا فرغت مملكة الكِلْدانيّين بعد السبعين يفتقدكم . يخاطب بذلك بني اسرائيل في نص آخر له عند كمال سبعين لخراب المقدس . وكان شَعْيَا بن أمْصيّا من أنبيائهم أخبرهم بأنهم يرجعون إلى بيت المقدس على يد كورش من ملوك الفرس ، ولم يكن وجد لذلك العهد ، فلما استولى كورش على بابل وأزال مملكة الكِلْدانيين أذن لبني اسرائيل في الرجوع إلى بيت المقدس وعمارة مسجدها ، ونادى في الناس أنّ الله أوصاني أن أبني بيتاً فمن كان لله وسعيه لله فليمض إلى بنائه . فمضى بنو اسرائيل في اثنين وأربعين ألفاً وعليهم زيريَافِيل ، بالفاء الهوائية ، بن شالتْهيل بن يوخنيّا آخر ملوكهم بالقدس الذي حبسه بختنصّر وقد مرّ ذكره . وقد مضى معهم عزير النبي من عقب أشيوع بن فنحاص ابن العازر بن هارون وبينه وبين أشيوع ستة آباء . لم أثق بنقلها لغلبة الظنّ بأنها مصحّفة ، وردّ عليهم كورش الأواني وكانت لا يعبر عنها من الكثرة . قال ابن العميد : كانت خمسة آلاف وأربعمائة قصعة ذهبا وفضة . فمضوا إلى بيت المقدس وشرعوا في العمارة وشرع كورش وسعى عليهم في ابطال ذلك بعض اعدائهم من السامرة ، ولم يكن أمد السبعين التي وعدهم بها انقضى لأنّ الخراب كان لثمان عشرة من ملك بختنصّر وكانت دولته خمسة وأربعين ومدّة ابنه وابن ابنه خمس وعشرون ، فبقيت من السبعين ثمانية عشر التي نفدت من ملك بختنصّر قبل الخراب ، فمنعوا من العمارة بسعاية السامريّة إلى أنْ انقضت الثمان عشرة .

وجاءت دولة دارا من ملوك الفرس فأذن لهم في العمارة وعاد السامرة لسعايتهم في ابطال ذلك عند دارا ، فأخبره أهل دولته أنّ كورش أذن لهم في ذلك فخلّى سبيلهم وعمرّوا بيت المقدس في الثانية من ملك دارا الأوّل ، وهو أرفخْشَد والكوهِن يومئذ عُزَيْر ، وجدّد لهم التوراة بعد سنتين من رجوعهم إلى البيت . ثم هلك زيريافيل

وخلفه فيهم بهشمياس ، وقبض العُزَيْر وخلفه شمعون الصفا من بني هرون أيضا .

وقال يوسف بن كريون : إنّ بختنصّر لما رجع إلى بابل أقام ملكاً سبعا وعشرين سنة ، وملك بعده ابنه بَلْتَنَصَّر ثلاث سنين ، وانتقض عليه داريوش ملك ماذي ، وأظنهم الديلم وكيرش ملك فارس ، وهزمتهم عساكره كما مرّ ، فعمل في بعض أيامه صنيعاً لقواده سروراً بالواقع ، وسقاهم في أواني بيت المقدس التي احتملها جدّه من الهيكل ، فسخط الله لذلك ورأى تلك الساعة كأنّ يداً خرجت من الحائط تومي بكتابة كلمات بالخط الكِلْداني والكلمات عِبْرانية ، وهي أحصى وزن نفذ ، فارتاع لذلك هو والحاضرون وفزع إلى دانيال النبي في تفسيرها . قال وَهَبُ بن منبّه وهو من أعقاب حزقيل الأصغر وكان خلفاً من دانيال الأكبر ، فقال له دانيال: هذه الكلمات تنذر بزوال ملكك ومعناها أنّ الله أحصى مدّة ملكك ، ووزن أعمالك ، ونفذ قضاؤه بزوال ملكك عنك وعن قومك . وقتل في تلك الليلة بلتنصّر ، وكان ما قدّمناه من استقلال كورش وقومه فارس بالملك ورد الجالية إلى بيت المقدس ، وأطلق لهم المال لعمارتها شكراً على الظفر بالكِلْدانيين ومضى بنو اسرائيل ومعهم عَزْرِا الكاهن ونجميّا ومرْدَخَاي وجميع رؤوساء الجالية يبنون البيت والمذبح على حدودها وقرّبوا القرابين . وكان كورش بعد ذلك يطلق لهم في كل سنة من الحنطة والزيت والبقر والغنم والخمر ما يحتاجون اليه في خدمة البيت ويطلق لهم جراية واسعة . وجرى ملوك الفرس بعده على سنته في ذلك إلا قليلا في أيام أخشويروش [1] منهم ، كان وزيره هامان وكان من العمالِقَة ، وكان طالوت قد استخلفهم بأمر الله ، فكان هامان يعاديهم لذلك وعظمت سعايته فيهم وحمله على قتلهم . وكان مرْدَخَاي من رؤوسائهم قد زوّج أخته من الرضاع لأخْشَوِيُروش ، فدس إليها مُرْدَخَاي أنْ تشفع إلى الملك في قومها فقبلها وعطف عليهم وأعادهم إلى أنْ انقرضت دولة الفرس بمهلك دارا ، واستولى بنو يونان بمهلك دارا على ملك فارس .

وملك الاسكندر بن فيلفوس [2] ودوّخ الأرض ، وفتح سواحل الشام ، وسار إلى بيت المقدس لأنها من طاعة دارا ، وخاف الكهنة من وصوله إليهم ، ورأى في بعض

(١) وفي التوراة سفر استير الفصل السادس : احشوروش وفي كتب التاريخ احشويروش .
(٢) هو الإسكندر المقدوني ابن فيلبس .

تمثال[1] رجلا فقال : أنا رجل أرسلت لمعونتك . ونهاه عن أذية المقدس ، وأوصاه بامتثال اشارتهم . فلما وصل إلى البيت لقيه الكُوهن ، فبالغ في تعظيمه ودخل معه إلى الهيكل ، وبارك عليه ، ورغب إليه الإسكنْدَر أن يضع هنالك تمثاله من الذهب اليذكر به ، فقال : هذا حرام لكن تصرف همتك في مصالح الكهنة والمصلين ويجعل لك من الذكر دعاؤهم لك ، وأن يسمي كل مولود لبني اسرائيل في هذه السنة بالاسكندر ، فرضي الاسكندر وحمل لهم المال وأجزل عطية الكوهن ، وسأله أن يستخير الله في حرب دارا ، فقال له : امضِ والله مُظْفِرُك . وحض دانيال وقص عليه الإسكندر رؤيا رآها فأوّلها له بأنه يظفر بدارا .

ثم انصرف الاسكندر وسار في نواحي بيت المقدس ، ومرّ بنابلس ولقيه سِنْبَلاط السامريّ وكان أهل المقدس أخرجوه عنهم ، فأضافه وأهدى له أموالا وأمتعة واستأذنه في بناء هيكل في طول بريدٌ فأذن له ، فبناه وأقام صهره مَنْشَا كُوهِنا فيه ، وزعم أنه المراد بقوله في التوارة اجعل البركة على جيل كريدم . فقصده اليهود في الأعياد ، وحملوا اليه القرابين وعظم أمره ، وغص بشأنه أهل بيت المقدس ، إلى أنّ خربه هرمايوس بن شمعون أوّل ملوك بني حشْمَنَاي كما يأتي ذكره .

ثم هلك الإسكندر ببابل بعد استيفاء مدّته لإثنتين وثلاثين من ملكه وقد كان قسم ملكه بين عظماء دولته ، فكان سِلْيَاقُوس بعد الإسكندر وكان عظيم أصحابه ، فأكرم اليهود وحمل المال إلى فقراء البيت ثم سعى عنده بأن في الهيكل أموالاً وذخائر نفيسة ورغبوه في ذلك ، فبعث عظيماً من قوّاده اسمه أرْدُوس ليقبض ذلك المال فحضر بالبيت ، وأنكر الكاهن حَنّينان[2] أن يكون بالبيت إلاّ بقية الصدقات من فارس ويونان وما أعطاهم سِلْياقوس آنفا ، فلم يقبل ، ووكل بهم في الهيكل فتوجهوا بالدعاء . وجاء أردوس ليقبض المال فصدع في طريقه ، وجاء أصحابه إلى الكوهن حنّينا وجماعة الكهنة يسألون الاقالة والدعاء لأردوس ، فدعوا له وعوفي وارتحل . وازداد الملك سلْياقوس اعظاماً للبيت وحمل ما كان يحمل إليهم مضاعفاً .

---

(١) العبارة هنا مشوشة ولم نجد في المراجع التي بين أيدينا على ما يصحح هذه العبارة . ومقتضى السياق : ورأى امام تمثال رجلاً فقاله ...

(٢) ورد اسمه في التوراة حناني (سفر نحميا — الفصل الأول) .

قال ابن كريّون : ثم ترجمت التوراة لليونانيين وكان من خبرها أنّ تلماي[1] ملك مصر من اليونانيين بعد الإسكندر ، وكان من أهل مقدونية ، وكان محباً للعلوم ومشغوفاً بالحكمة والكتب الإلهية . وذكرت له كتب اليهود الاربعة والعشرون سفراً فتاقت نفسه للوقوف عليها ، وكتب إلى كهنون القدس في ذلك وأهدى له ، فاختار سبعين من أحبار اليهود وعلمائهم وفيهم كوهن عظيم اسمه ألعازر ، وبعثهم إليه ومعهم الأسفار فتلقاهم بالكرامة وأوسع لهم النزول ورتب مع كل واحد كاتبا يملي عليه ما يترجم له ، حتى ترجم الأسفار من العبْرانية إلى اليونانية ، وصحّحها وأجاز الأحبار وأطلق لهم من كان بمصْر من سبي اليهود نحواً من مائة ألف ، وصنع مائدة من الذهب نقشت عليها صورة أرض مصر والنيل ورصعها بالجواهر والفصوص وبعث بها إلى القدس فأودعت في الهيكل .

ثم ملك تلماي صاحب مصر ، واستولى بعده أنطيخوس صاحب مقدونية على أنطاكية ثم على مصر ، وأطاعه ملوك الطوائف بأرض العراق ، واستفحل ملكه وعظم طغيانه ، وأمر الامم بعبادة الأصنام . وعمل أصناماً على صورته ، فامتنع اليهود من قبولها وسعى بهم عنده بعض شرارهم ، وكانوا أهل نجدة وشوكة ، فسار انطيخوس إليهم وأثخن فيهم بالقتل والسبي ، وفروا إلى الجبال والبراري ، فرجع واستخلف على بيت المقدس قائده فليلقوس ، وأمره أنْ يحملهم على السجود لأصنامه وعلى أكل الخنزير وترك السبت والختان ، ويقتل من يخالفه . ففعل ذلك أشدّ ما يكون ، وبسط على اليهود أيدي أولئك الأشرار الساعين ، وقتل العازر الكوهن الذي ترجم لهم التوراة لمّا امتنع من السجود لصنمه وأكل قربانه . وكان فيمن هرب إلى الجبال والبراري متيتيّـا بن يوحنّـا بن شمعون الكوهن الأعظم ويعرف بحشمنـاي بن حُونيّا من بني نوذاب من نسل هارون عليه السلام ، وكان رجلا صالحاً خيّرا شجاعاً ، وأقام بالبرية وحزن لما نزل بقومه . فلما أبعد انطيخوس الرحلة عن القدس ، بعث متيتيّا إلى اليهود يعرفهم بمكانه ، وينمعضُ لهم ويحرّضهم على الثورة على اليونانيين ، فأجابوه وتراسلوا في ذلك ، وبلغ الخبر فليلقوس قائد أنطيخوس ، فسار في عسكره إلى البريّة طالبا متيتيا وأصحابه ، فلما وصل إليهم حاربهم فغلبوه وانهزم في عساكره .

---

(١) هو بطليموس مؤسس دوله البطالسة في مصر .

وقوي اليهود على الخلاف ، وهلك متيتيّا خلال ذلك وقام بأمره ابنه يهوذا فهزم عساكر فليلَقُوس ثانية . وشغل أنطيخوس بحروب الفرس فزحف إليهم من مقدونية ، واستخلف عليهم ابنه أفظر ، وضمّ إليه عظيماً من قومه اسمه ليشاوش ، وأمرهم أنْ يبعثوا العساكر إلى اليهود ، فبعثوا ثلاثة من قوادهم وهم نيقانور وتلميَاس وصَرْدُوس ، وعهد إليهم بإبادة اليهود حيث كانوا فسارت العساكر ، واستنفروا سائر الأرمن من نواحي دمشق وحلب ، وأعداء اليهود من فلسطين وغيرهم . وزحف يهوذا بن متيتيّا مقدّم اليهود للقائهم بعد أن تضرعوا إلى الله وطافوا بالبيت وتمسحوا به ، ولقيهم عسكر نيقانور فهزموه ، وأثخنوا فيه بالقتل ، وغنموا ما معهم ، ثم لقيهم عسكر القائد ابن تلميَاس وصَرْدوس ثانياً فهزموهما كذلك ، وقبضوا على فليلقُوس القائد الأوّل لأنطيخوس فأحرقوه بالنار ، ورجع نيقانور إلى مقدونية فدخلها وخبّر ليشاوش وأفظر ابن الملك بالهزيمة ، فجزعوا لها . ثم جاءهم الخبر بهزيمة أنْطيخوس أمام الفرس ، ثم وصل إلى مقدونية واشتدّ غيظه على اليهود ، وجمع لغزوهم فهلك دون ذلك بطاعون في جسده ، ودفن في طريقه . وملك أفْظَر وسموه أنطيخوس باسم أبيه .

ورجع يهوذا بن متيتيّا إلى القدس ، فهدم جميع ما بناه أنطيخوس من المذابح ، وأزال ما نصبه من الأصنام ، وطهّر المسجد ، وبنى مذبحاً جديداً للقربان ، فوضع فيه الحطب ودعا الله أن يريهم آية في اشتعاله من غير نار ، فاشتعل كذلك ولم ينطفِ إلى الخراب الثاني أيام الجلوة ، واتخذوا ذلك اليوم عيداً سمُّوه عيد العساكر .

ونازل ليشاوش فزحف إليه يهوذا بن متيتيّا في عسكر اليهود وثبت عسكر ليشاوش فانهزموا ، ولجأ إلى بعض الحصون وطلب النزول على الأمان على أن لا يعود إلى حربهم ، فأجابه يهوذا على أن يدخل أفظَر معه في العقد وكان ذلك . وتم الصلح وعاهد أفْظَر اليهود على أنْ لا يسير إليهم ، وشغل يهوذا بالنظر في مصالح قومه .

قال ابن كريّون : وكان لذلك العهد ابتداء أمر الكِتّم وهم الروم ، وكانوا برومية وكان أمرهم شورى بين ثلثمائة وعشرين رئيساً ، ورئيس واحد عليهم يسمونه الشيخ يدبّر أمرهم ، ويدفعون للحروب من يثقون بغنائه وكفايته منهم أو من سواهم . هكذا كان شأنهم لذلك العهد ، وكانوا قد غلبوا اليونانيين واستولوا على ملكهم ، واجازوا البحر إلى إفريقية فملكوها كما يأتي في أخبارهم ، فأجمعوا السير إلى أنْطيخوس أفْظر وابن

عمه ليشاوش بقية ملوك يونان بأنطاكية ، وكاتبوا يهوذا ملك بني اسرائيل بالقدس يستميلونهم عن طاعة أنطيخوس واليونانيين فأجابوهم إلى ذلك ، وبلغ ذلك أنطيخوس فنبذ إلى اليهود عهدهم وسار إلى حربهم فهزموه ونالوا منه . ثم راسلهم في الصلح وأن يقيموا على عهدهم معه وتُحمل لبيت المقدس بما كان يحمله من المال ، وأن يقتل من عنده من شرار اليهود الساعين عليهم ، فتم العهد بينهم على ذلك وقتل شملاوش من الساعين على اليهود ، ثم جهز أهل رومة قائد حروبهم دمتْرياس[1] بن سلْياقوس إلى أنطاكية ، ولقيه أنطيخوس أُفُطَر فانهزم أنطيخوس وقتل هو وابن عمه ليشاوش ، وملك الروم أنطاكية . ونزلها قائدهم دِمتْرياس وكان ألقيمُوس الكوهن من شرار اليهود عند أنطيخوس ، فلما ملك دمترياس قائد الروم فسعى عنده في اليهود ورغبه في ملك القدس والاستيلاء على أمواله ، فبعث قائده نيقانور لذلك وخرج يهوذا ملك القدس لتلقيه وطاعته ، وقدم بين يديه الهدايا والتحف ، فمال نيقانور إلى مسالمة اليهود وحسن رأيه وأكد بينه وبينهم العهد . ورجع وبادر ألقيموس الكوهن إلى دمتْرياس وأخبره بميل قائده نيقانور إلى اليهود ، وزاد في إغرائه فبعث إلى قائده ينكر عليه ويستحثه لإنفاذ أمره ، وأن يحمل يهوذا مُقَيّداً . وبلغ ذلك يهوذا فلحق بمدينة السامرة صَبَصْطِيَة ، واتبعه نيقانور في العساكر فكرّ عليه يهوذا وهزمه وقتل أكثر عساكر الروم الذين معه . ثم ظفر به فصلبه على الهيكل ببيت المقدس ، واتخذ اليهود ذلك اليوم عيداً وهو ثالث عشر آذار .

ثم بعث قائد الروم دمترياس من قابل قائده الآخر يعْتَروس في ثلاثين ألفاً من الروم لمحاربة اليهود ، وخرجت عساكرهم من المقدس ، وفرّوا عن ملكهم يهوذا وافترقوا في الشعاب ، وأقام معه منهم فلٌّ قليل ، واتبعهم يَعْتَرُوس فلقيه يهوذا وأكمَن له فانهزم اليهود ، وخرج عليهم كمين الروم فقتل يهوذا في كثير من ولايته ودفن إلى جانب أبيه متيتيّا . ولحق أخوه يوناثال فيمن بقي من اليهود ، بنواحي الأردن وتحصنوا ببئر سَبْع ، فحاصرهم يعتَروس هنالك أياماً ، ثم بيتوه فهزموه وخرج يوناثال واليهود في اتباعه فتقبضوا عليه ، ثم أطلقوه على مسالمة اليهود وأن لا يسير إلى حربهم . فهلك يوناثال إثر ذلك وقام بأمر اليهود أخوهما الثالث شِمْعُون ، فاجتمع إليه اليهود من كل ناحية وعظمت عساكره ، وغزا جميع أعدائهم ومن ظاهر عليهم من سائر الأمم ، وزحف

(١) هو القائد الروماني الشهير ميتريدات .

إليه دمترياس قائد الروم بانطاكية فهزمه شِمْعون وقتل غالب عسكره .

ولم تعاودهم الروم بعدها بالحرب إلى أن هلك شِمْعُون . وثب عليه صهره تلْماي زوج أخته فقتله وتقبض على بنيه وامرأته ، وهرب ابنه الأكبر قانوس بن شمعون إلى غزة فامتنع بها ، وكان اسمه يوحان وكان شجاعا قتل في بعض الحروب شجاعاً اسمه هرقانوس فسمّاه أبوه باسمه . ثم اجتمع عليه اليهود وملكوه وسار إلى بيت المقدس ، وفرّ تلماي المتوثب على أبيه إلى حصن داخون ، فامتنع به وسار هِرْقانوس إلى محاربته وضيق عليه ، وأشرف تلماي في بعض الأيام من فوق السور بأم هِرْقانوس وأخته يتهدّده بقتلها ، فكف عن الحرب ، وانصرف لحضور عيد المظال ببيت المقدس فقتل تلماي أخته وأمّه وفرّ من الحصن .

قال ابن كريّون : ثم زحف دمترياس بن سلياقوس قائد الروم إلى القدس وحاصر اليهود فامتنعوا ، وثلم السور ، وراسلوه في تأخير الحرب إلى انقضاء عيدهم ، ففعل على أن يكون له نصيب في القربان . ووقعت في نفسه صاغية اليهم ، وأهدى تماثيل للبيت فحسن موقعها عندهم ، وراسلوه في الصلح على المسالمة والمظاهرة لبعض فاجاب . وخرج إليه هرْقانوس ملك اليهود وأعطاه ثلثمائة بدرة من الذهب استخرجها من بعض قبور بني داود . ورحل عنهم الروم ، وشغل هِرْقانوس في رَمّ ما ثُلِمَ[1] من السور ، وحدثت خلال ذلك فتنة بين الفرس والروم فسار إليهم دمترياس في جموع الروم ، وبينما أبطأ هِرْقانوس ملك اليهود لحضور عيدهم اذ جاءه الخبر بأنّ الفرس هزموا دمترياس ، فنهز الفرصة وزحف إلى أعدائه من أهل الشام وفتح نابُلُس وحصون أروم التي بجبل الشرَاة ، وقتل منهم خلقا ووضع عليهم الجزية واخذهم بالختان والتزام أحكام التوراة ، وخرب الهيكل الذي بناه سنبلاط السامري في طول بريد بإذن الإسكندر ، وقهر جميع الأمم المجاورين لهم ، ثم بعث وجوه اليهود وأعيانهم إلى الأشياخ والمدبّرين بيومة يسأل تجديد العهد ، وأن يردّوا على اليهود ما أخذ أنطيخوس ويونان من بلادهم التي صارت في مملكة الروم ، فأجابوا وكتبوا له العهد بذلك وخاطبوه بملك اليهود . وإنما كان يسمى من سلف قبله من آبائه بالكوهن فسمى نفسه من يومئذ بالملك ، وجمع بين منزلة الكهنونة ومنزلة الملك ، وكان أوّل ملوك بني حشْمَناي . ثم سار إلى مدينة السامرة صبصطية ففتحها وخرّبها وقتل أهلها .

---

(١) أي ترميم ما تهدّم .

قال ابن كريّون : وكان اليهود في دينهم يومئذ ثلاث فرق . فرقة الفقهاء وأهل القياس [١] ويسمّونهم الفَروشيم وهم الرَّبّانيّون ، وفرقة الظاهِريّة المتعلقين بظواهر الألفاظ من كتابهم ويسمونهم الصدوقيّة وهم القرّاؤن ، وفرقة العُبّاد المنقطعين إلى العبادة والتسبيح والزهاد فيما سوى ذلك ويسمونهم الحَيْسيد . وكان هِرْقانوس وآباؤه من الربانيين ، ففارق مذهبهم إلى القرائين لأنه جمع اليهود يوما عندما تمهّد أمره ، وأخذ بمذاهب الملك ، وألقى به في صنيع احتفل فيه وألان لهم جانبه وخضع في قوله وقال : أريد منكم النصيحة . فطمع بعض الربانيين فيه وقال : إنّ النصيحة أن تنزل عن الكَهْنُونَة وتقتصر على الملك وقد فاتك شرطها لأنّ أمك كانت سبية من أيام أنْطيخوس . فغضب لذلك وقال للربانيين : قد حكمتكم في صاحبكم فأخذوا في تأديبه بالضرب فتنكر لهم من أجل ذلك ، وفارق مذهبهم إلى مذهب القرائين ، وقتل من الربانيين خلقاً كثيراً ، ونشأت الفتنة بين هاتين الطائفتين من اليهود ، واتصلت بينهم الحرب إلى هذا العهد .

وهلك هِرْقانوس لاحدى وثلاثين سنة من دولته ، وملك بعده ابنه أرستَبْلوس وكان كبيرهم ، وكان له ولدان آخران وهم أنطقْنوس ويحبّ الملك له ويبغض الإسكندر فأبعده إلى جبل الخليل ، فلما ملك أرِستَبْلوس أخذ من اخوته بمذهب أبيهم وقبض على الإسكندر وأمه واستخلص أنطقْنوس وقدّمه على العساكر ، واكتفى به في الحروب ، وترفع عن تاج الكهنُونَة ولَبَس تاج المُلْك . وخرج أنْطِقْنوس إلى الأمم المجاورين الخارجين عن طاعتهم فردّهم إلى الطاعة ، وكثرت السعاية فيه عند أخيه من البطانة وأغروه به ، فلما قدم أنْطِقْنوس من مغيبه وافق عيد المظال ، وكان أخوه ملتزما بيته لمرض طرقه ، فعدل أنْطِقْنوس عن بيته إلى الهيكل للتبرك ، فأوهموا الملك أنّه إنما فعل ذلك لاستمالة الكَهْنُوينة والعامة وأنّه يروم قتل أخيه ، وعلامة ذلك أنّه جاء بسلاحه ، فعهد أرستَبْلوس إلى حِشْمَانِه وغلمان قصره إن جاء متسلحا أنْ يقتلوه . وكان ذلك وتمت حيلة البطانة وسعايتهم عليه وعلم أرِستَبْلوس أنْ قد خدع في أخيه ، فندم واغتمّ ولطم صدره حتى قذف الدم من فيه ، وأقام عليلاً بعده حولاً كاملاً ثم هلك . فأفرجوا على أخيه الإسكندر من محبسه ، وبايعوا له بالملك واستقام له الأمر ، ثم انتقض عليه أهل عكّا وأهل صيدا وأهل غزة بعثوا إلى قبرص ، وسار

(١) وفي نسخة اخرى : أهل القيافة .

الإسكندر إلى عكّا فحاصرها وكانت كِلُوبَطْرَه ملكة من بقية اليونان قد انتقض عليها ابنها واسمه أَلظِيرو وأجاز البحر إلى جزيرة قبرص فملكها ، فبعث أهل عكّا أنهّم يملكونه وأجاز إليهم في ثلاثين ألف مقاتل ، حتى اذا أفرج الإسكندر عن حصارهم راجعوا أمرهم ومنعوا أَلظِير ، وامن الدخول إليهم ، فسار في بلاد الإسكندر ونزل على جبل الخليل فقتل منه خلقاً ، ونزل على الأردن . وفي خلال ذلك زحف الإسكندر إلى صيدا ففتحها عنوة واستباحها ، وعاد إلى القدس وقد أطاعته البلاد وحسم داء المنتقضين عليه .

ثم تجدّدت الفتنة بين اليهود بالقدس وذلك أنّهم اجتمعوا في عيد المظال بالمسجد ، وحضر الإسكندر معهم فتلاعبوا بين يديه مراماة بما عندهم من مشموم ومأكول ، وأصاب الإسكندر رمية من الرَبّانيين فغضب لها ، وشاتمهم القراؤن بما كانوا من شيعته ، فشتموا الإسكندر وقتلوا الشاتم وأصحابه فلم يغن عنهم ، وعظم فيهم الفتك وانفض الجمع ، وعهد الإسكندر ان يستدّ المذبح والكهنة بحائط عن الناس ، ونفذ أمره بذلك ، واتصلت الفتنة بين اليهود ست سنين قتل من الربانيين نحو من خمسين ألفا ، والاسكندر يعين القرائين عليهم ، وبعثوا إلى دمتريوس المسمّى أنطيخوس ، وبذلوا له المال فسار معهم إلى نابُلُس ولقي الإسكندر فهزمه وقتل عامّة أصحابه ورجع . فخرج الإسكندر إلى الرَبّانيين وأثخن فيهم وظفر منهم بجماعة تزيد على ثلثمائة فقتلهم صبراً وقهر سائر اليهود . وسار إلى دمتريوس ففتح الكثير من بلاده ، وخرج فظفر به الإسكندر وقتله .

وعاد إلى بيت المقدس لثلاث سنين في محاربة الرَبّانيين ودمتريوس ، فاستقام أمره وعظم سلطانه ثم طرقه المرض فقام عليلاً ثلاثاً آخرين ، وخرج بعدها لحصار بعض الحصون وانتقضوا عليه فمات هنالك ، وأوصى امرأته الإسكندرة بكتمان موته حتى يفتح الحصن وتسير بشلوه[1] إلى القدس فتدفنه فيه ، وتصانع الرَبّانيين على ولدها فتملكه ، لأن العَامّة إليهم أميَل . ففعلت ذلك واستدعت من كان نافرا من الرَبّانيين ، وجمعتهم وقدّمتهم للشورى ، واستبدت بالملك . وكان لها إبنان من الإسكندر بن هِرْقانوس ، اسم الأكبر منهما هِرْقانوس ، والآخر أرستَبْلوس ، وكانا صغيرين عند موت أبيهما فلما كبرا عينت هِرْقانوس للكهنُونَة وقدّمت أرِستَبلوس على

---

(١) ج اشلاء وهنا تعني جثته أو رفاته .

العساكر والحروب ، وضمّت إليه الربّانيين ، وأخذت الرهن من جميع الأمم وسألها الرَبّانيون في الأخذ بثأرهم من القرّائين خلقاً كثيراً . وجاء القراؤون إلى ابنها الكَهْنُون ينكرون ذلك وأنّه اذا فعل بهم ذلك ، وقد كانوا شيعا لأبيه الإسكندر ، فقد تحدث النفرة من سائر الناس . وسألوه أنْ يلتمس لهم اذنها في الخّروج عن القدس والبعد عن الربانيين ، فأذنت لهم رغبة في انقطاع الفتنة ، وخرج معهم وجوه العسكر . ثم ماتت خلال ذلك لتسع سنين من دولتها ، ويقال إنّ ظهور عيسى صلوات الله عليه كان في أيامها . وكان ابنها أرِسْتَبْلوس قائد العسكر لما شعر بموتها خرج إلى القرائين يستدعيهم إلى نصرته فأجازوه ، وتقبضت هي على إبنيه وامرأته ، واجتمعت عليه العساكر من النواحي وضرب البوق وزحف لحرب أخيه هرْقانوس والربانيين ، وحاصرهم أرِسْتَبْلوس ببيت المقدس ، وعزم على هدم الحصن فخرج إليه أعْيَان اليهود والكَهْنونية ساعين في الصلح بينهما ، وأجاب على أن يكون ملكاً ويبقى هِرْقانوس على الكَهْنُونيّة ، فتم ذلك واستقر عليه أمره .

ابتداء أمر انطفتر(١) أبو هيردوس

ثم سعى في الفتنة بينهما انطفتر أبو هيرُدوس ، وكان من عظماء بني اسرائيل من الذين جمعوا مع العُزَيْر من بابل ، وكان ذا شجاعة وبأس ، وله يسار وقُنْية من الضياع والمواشي . وكان الاسكندر قد ولاّه على بلاد أروم(٢) وهي جبال الشراة ، فأقام في ولايتها سنين ، وكثر ماله وأنكحوه منهم ، فكان له منها أربعة من الأبناء وهم فسيلو وهيرُدوس وفرُودا ويوسف ، وبنت اسمها سلومث . وقيل أنّ أنطفتر لم يكن من بني إسرائيل ، وإنّما كان من أروم وربي في جملة بني خشمناي وبيوتهم . فلما مات الاسكندر وملكت زوجته الاسكندرة عزلته عن جبال الشراة ، فأقام بالقدس . حتى اذا استبد بالامر أرستبلوس ، وكان بين هرقانوس وأنظفتر مودّة وصحبة ، فغصّ أرستبلوس بمكانه من أخيه لما يعلم من مكر أنظفتر وهمّ بقتله ، فانفض عنه وأخذ في التدبير على أرستبلوس . وفشا في الناس تبغضه إليهم وينكر تغلبه ، ويذكر لهم أن هرقانوس أحق بالملك منه ، ثم حذر هرقانوس من أخيه وخيّل إليه أنه يريد قتله ،

(١) وهو معروف في التاريخ باسم انتيباتر
(٢) وفي نسخة ثانية أدوم

وبعث لشيعة هرقانوس المال على تخويفه من ذلك حتى تمكن منه الخوف ، ثم أشار عليه بالخروج الى ملك العرب هرثمة ، وكان يحب هرقانوس ، فعقد معه عهداً على ذلك ، ولحق هرقانوس بهرثمة ومعه أنظفتر ، ثم دعوا هرثمة الى حرب أرستبلوس فأجابهم بعد مراوغة ، وتزاحفوا ونزع الكثير من عسكر أرستبلوس إلى هرقانوس ، فرجع هاربا الى القدس ، ونازلهم هرقانوس وهرثمة واتصلت الحرب وطال الحصار. وحضر عيد الفطير وافتقد اليهود القرابين فبعثوا إلى أصحاب هرقانوس فيها ، فاشتطوا في الثمن ، ثم أخذوه ولم يعطوهم شيئا ، وقتلوا بعض النساك طلبوه في الدعاء على أرستبلوس وأصحابه ، وامتنع فقتلوه ، ووقع فيهم الوباء فمات منهم أمم .

قال ابن كريون : وكان الأرمن ببلاد دمشق وحمص وحلب ، وكانوا في طاعة الروم ، فانتقضوا عليهم في هذه المدّة وحدثت عندهم صاغية إلى الفرس ، فبعث الروم قائدهم فمقيوس[1] فخرج لذلك من رومية ، وقدم بين يديه قائده سكانوس فطوّع الأرمن ولحق دمشق ، ثم لحقه فمقيوس ونزل بها . وتوجهت إليه وجوه اليهود في أثرهم ، وبعث إليه أرستبلوس من القدس وهرقانوس من مكان حصاره ، كل واحد منهما يستنجده على أخيه ، وبعثوا إليه بالأموال والهدايا فأعرض عنها ، وبعث إلى هرثمة ينهاه عن الدخول بينهما فرحل عن القدس ، ورحل معه هرقانوس وأنظفتر ، وأعاد أرستبلوس رسله وهداياه من بيت المقدس ، وألحّ في الطلب وجاء أنظفتر الى فمقيوس بغير مال ولا هدية ، فنكث عنه فمقيوس ، فرجع إلى رغبته ومسح أعطافه وضمن له طاعة هرقانوس الذي هو الكهنوت الأعظم . ويحصل بعد ذلك إضعاف أرستبلوس فأجابه فمقيوس على أن يتحيّل له في الباطن ويكون ظاهره مع أرستبلوس حتى يتم الأمر ، وعلى أن يحملوا الخراج عند حصول أمرهم ، فضمن أنظفتر ذلك . وحضر هرقانوس وأرستبلوس عند فمقيوس القائد يتظلم كل واحد من صاحبه ، فوعدهم بالنظر بينهم إذا حل بالقدس .

وبعث أنظفتر في جميع الرعايا فجاؤا شاكين من أرستبلوس ، فأمره فمقيوس من إنصافهم فغضب لذلك واستوحش وهرب من معسكر فمقيوس وتحصن في القدس ، وسار فمقيوس في أثره فنزل أريحا ثم القدس وخرج أرستبلوس واستقال ، فأقاله وبذل له الأموال على أن يعينه على أخيه ويحمل له ما في الهيكل من الأموال والجواهر ،

(١) هو القائد الروماني المعروف بمبيوس .

وبعث معه قائده لذلك ، فمنعهم الكهنونية وثارت بهم العامّة وقتلوا بعض أصحاب القائد وأخرجوه . فغضب فمقيوس وتقبض لحينه على أرستبلوس ، وركب ليقتحم البلد فامتنعت عليه ، وقتل جماعة من أصحابه فرجع ، وأقام عليهم . ووقعت الحرب بالمدينة بين شيع أرستبلوس وهرقانوس ، وفتح بعض اليهود الباب لفمقيوس فدخل البلد وملك القصر وامتنع الهيكل عليه ، فأقام يحاصره أياما ، وصنع آلة الحصار فهدم بعض أبراجه واقتحمه عنوة ، ووجد الكهنونية على عبادتهم وقربانهم مع تلك الحرب ، ووقف على الهيكل فاستعظمه ولم يمد يده إلى شيء من ذخائره ، وملك عليهم هرقانوس ، وضرب عليهم الخراج يحمله كل سنة . ورفع يد اليهود عن جميع الأمم الذين كانوا في طاعتهم ، ورد عليهم البلدان التي ملكها بنو حشمناي ، ورجع الى رومة .

واستخلف هرقانوس وأنظفتر على المقدس وأنزل معهما قائده سكانوس الذي قدّمه لفتح دمشق وبلاد الأرمن عندما خرج من روميّة ، وحمل أرستبلوس وابنيه مقيدين معه ، وهرب الثالث من بنيه وكان يسمّى الاسكندر ولحقه فلم يظفر به . ولما بعد فمقيوس عن الشام ذاهباً إلى مكانه خرج هرقانوس وأنظفتر إلى العرب ليحملوهم على طاعة الروم ، فخالفهم الإسكندر بن أرستبلوس إلى المقدس وكان متغيباً بتلك النواحي منذ مغيب أبيه لم يبرح ، فدخل إلى المقدس وملّكه اليهود عليهم وبنى ما هدمه فمقيوس من سور الهيكل ، واجتمع إليه خلق كثير . ورجع هرقانوس وأنظفتر فسار إليهم الإسكندر وهزمهم وأثخن في عساكرهم . وكان قائد الروم كينانوس قد جاء إلى بلاد الأرمن من بعد فمقيوس ، فلحق به واستنصره على الاسكندر فسار معه إلى القدس ، وخرج إليهم الإسكندر فهزموه ، ومضى إلى حصن له يسمى الإسكندرونة واعتصم به .

وسار هرقانوس إلى القدس فاستولى على ملكه ، وسار كينانوس قائد الروم إلى الإسكندر فحاصره بحصنه واستأمن اليه فقبله وعفا عنه وأحسن إليه . وفي اثناء ذلك هرب أرستبلوس أخو هرقانوس من محبسه بروميّة ، وابنه أنطقنوس واجتمع إليه ، فحاربه كينانوس وهزمه وحصل في أسره فرده إلى محبسه بروميّة ، ولم يزل هنالك إلى أن تغلب قيصر على روميّة ، واستحدث الملك في الروم .

وخرج فمقيوس من روميّة إلى نواحي عمله وجمع العساكر لمحاربة قيصر ، فأطلق

ارستبلوس من محبسه ، وأطلق معه قائدين في إثني عشر ألف مقاتل ، وسرّحهم إلى الأرمن واليهود ليردوهم عن طاعة فمقيوس ، وكتب فمقيوس إلى أنظفتر ببيت المقدس أن يكفيه أمر أرستبلوس ، فبعث قوما من اليهود لقوه في بلاد الأرمن ودسّوا له سما في بعض شرابه كان فيه حتفه . وقد كان كينانوس كاتب الشيخ صاحب روميّة في إطلاق من بقي من وُلْدِ أرستبلوس فأطلقهم .

قال ابن كريون : وكان أهل مصر لذلك العهد انتقضوا على ملكهم تلماي وطردوه وامتنعوا من حمل الخراج إلى الروم ، فسار إليهم واستنفر معه أنظفتر فغلبهم وقتلهم ، وردّ تلماي إلى ملكه واستقام أمر مصر . ورجع كينانوس إلى بيت المقدس فجدّد الملك لهرقانوس ، وقدّم أنظفتر مدبّر المملكة وسار إلى روميّة .

قال ابن كريون : ثم غضبت الفرس على الروم فندبوا إلى ذلك قائداً منهم يسمى عرنبوس ، وبعثوه لحربهم ، فمرّ بالقدس ودخل إلى الهيكل وطالب الكهنون بما فيه من المال ، وكان يسمّى ألعازَر من صلحاء اليهود وفضلائهم ، فقال له : إن كينانوس وفمقيوس لم يفعلوا ذلك بتلك . فاشتدّ عليه . فقال : أعطيك ثلثمائة من الذهب وتتجافى عن الهيكل . ودفع إليه سبيكة ذهب على صورة خشبة كانت تلقى عليها الصور التي تنزل من الهيكل الذي تجدّد ، وكان وزنها ثلثمائة فأخذها ونقض القول وتعدّى على الهيكل ، وأخذ جميع ما فيه منذ عمارتها من الهدايا والغنائم وقربانات الملوك والأمم وجميع آلات القدس ، وسار إلى لقاء الفرس فحاربوه وهزموه وأخذوا جميع ما كان معه وقتل . واستولت الفُرْس على بلاد الأرمن من دمشق وحمص وحلب وما إليها ، وبلغ الخبر الى الروم فجهزوا قائداً عظيماً في عساكر جمة إسمه كسناو ، فدخل بلاد الأرمن الذين كانوا غلبوا عليها . وساروا إلى القدس فوجد اليهود يحاربون هرقانوس وأنظفتر فأعانهما حتى استقام مُلْكُ هرقانوس ثم سار إلى الفرس في عساكره فغلبهم وحملهم على طاعة الروم ، ورد الملوك الذين كانوا عصوا عليهم إلى الطاعة ، وكانوا إثنين وعشرين ملكا من الفرس كان فمقيوس قائد الروم هزمهم ، فلما سار عنهم انتقضوا .

قال ابن كريون : ثم ابتدأ أمر القياصرة وملك على الروم يولياس ولقبه قيصر لأنّ أمّه ماتت حاملا به عند مخاضها فشق بطنها عنه فلذلك سُمِيّ قيصر ، ومعناه بلغتهم القاطع . ويسمّى أيضا يولياس باسم الشهر الذي ولد فيه وهو يوليه خامس

شهورهم[1] ومعنى هذه اللفظة عندهم الخامس ، وكان الثلثمائة والعشرون المدبّرون أمر الروم والشيخ الذي عليهم قد أحكموا أمرهم مع جماعة الروم على أن لا يقدّموا عليهم ملكا ، وأنهم يعينون للحروب في الجهات قائدا بعد آخر . هذا ما اتفقوا عليه النقلة في الحكاية عن أمر الروم وابتداء ملك القياصرة . قالوا ولما رأى قيصر هذا الشيخ الذي كان لذلك العهد كبر وشب على غاية من الشجاعة والاقدام ، فكانوا يبعثونه قائدا على العساكر إلى النواحي ، فأخرجوه مرّة إلى المغرب فدوّخ البلاد ، ورجع فسمت نفسه إلى الملك فامتنعوا له وأخبروه أنّ هذا سُنّةُ آبائهم منذ أحقاب ، وحدّثوه بالسبب الذي فعلوا ذلك لأجله ، وهو أمر كيوس وأنه عهد لأوّلهم لا ينقض ، وقد دوّخ فمقيوس الشرق ، وطوّع اليهود ولم يطمع في هذا فوثب عليهم قيصر وقتلهم واستولى على ملك الروم منفردا به وسمّى قيصر ، وسار الى فمقيوس بمصر فظفر به وقتله ، ورجع فوجد بتلك الجهات قواد فمقيوس فسار إليهم يولياس قيصر ومرّ ببلاد الأرمن فأطاعوه ، وكان عليهم ملك اسمه مترداث فبعثه قيصر إلى حربهم .

فسار في الأرمن ولقيه هرقانوس ملك اليهود بعسقلان ونفر معه إلى مصر هو وأنظفتر ليمحوا بعض ما عرف منهم من موالاة فمقيوس ، وساروا جميعا إلى مصر ولقيتهم عساكرها واشتدّ الحرب فحصر بلادهم ، وكادت الأرمن أن ينهزموا ، فثبت أنظفتر وعساكر اليهود وكان لهم الظفر واستولوا على مصر ، وبلغ الخبر الى قيصر فشكر لأنظفتر حسن بلائه واستدعاه فسار إليه مع ملك الأرمن مترداث فقبله وأحسن وعده . وكان أنطقنوس بن أرستبلوس قد اتصل بقيصر وشكى بأنّ هرقانوس قتل أباه حين بعثه أهل رومة لحرب فمقيوس ، فتحيّل عليه هرقانوس وأنظفتر وقتلاه مسموماً ، فأحسن أنظفتر العذر لقيصر بأنه إنما فُعل ذلك في خدمة من ملك علينا من الروم ، وإنما كنت ناصحا لقائدهم فمقيوس بالأمس ، وأنا اليوم أيها الملك لك أنصح وأحب ، فحسن موقع كلامه من قيصر ورفع منزلته وقدّمه على عساكره لحرب الفرس ، فسار اليه أنظفتر وأبلى في تلك الحروب ومناصحة قيصر ، فلما انقلبوا من بلاد الفرس أعادهم قيصر الى ملك بيت المقدس على ما كانوا عليه .

واستقام الملك لهرقانوس وكان خيرا ، إلاّ أنه كان ضعيفا عن لقاء الحروب فتغلّب

---

(١) يوليه : هو شهر تموز وهو الشهر السابع كما في تقويمنا الحالي ، ولكن السنة عندهم كانت تبدأ بشهر اذار او «مارت» فيكون شهر يوليه هو الخامس كما ذكر .

عليه أنظفتر، واستبد على الدولة، وقدّم ابنه فسيّلو ناظرا في بيت المقدس، وابنه هيردوس عاملا على جبل الخليل. وكان كما بلغ الحلم واحتازوا الملك من أطرافه وامتلأ أهل الدولة منهم حسداً وكثرت السعاية فيهم، وكان في أطراف عملهم ثائر من اليهود يسمّى حزقيّا وكان شجاعا صعلوكا واجتمع إليه أمثاله فكانوا يغيرون على الأرمن وينالون منهم. وعظمت نكايتهم فيهم فشكى عامل بلاد الأرمن وهو سفيوس ابن عمّ قيصر الى هيردوس وهو بجبل الخليل ما فعله حزقيّا وأصحابه في بلادهم، فبعث هيردوس إليه سريّة فكبسوهم، وقتل حزقيّا وغيره منهم، وكتب بذلك إلى سفيوس فشكره وأهدى إليه اليهود.

ونكر اليهود ذلك من فعل هيردوس وتظلموا منه عند هرقانوس وطلبوه في القصاص منه، فأحضروه في مجلس الأحكام وأحضر السبعين شيخا من اليهود، وجاء هيردوس متسلحا ودافع عن نفسه، وعلم هرقانوس بغرض الأشياخ، ففصلوا المجلس فنكروا ذلك على هرقانوس، ولحق هيردوس ببلاد الأرمن فقدّمه سفيوس على عمله.

ثم أرسل هرقانوس إلى قيصر يسأل تجديد عهود الروم لهم، فكتب له بذلك، وأمر بأن يحمل أهل الساحل خراجهم إلى بيت المقدس ما بين صيدا وغزّة، ويحمل أهل صيدا إليها في كل سنة عشرين ألف وسق من القمح، وأن يرد على اليهود سائر ما كان بأيديهم إلى الفرات واللاذقية وأعمالها وما كان بنو حشمناي فتحوه عنوة من عدوات الفرات، لأن فمقيوس كان يتعدّى عليهم في ذلك، وكتب العهد بذلك في ألواح من نحاس بلسان الروم ويونان، وعلقت في أسوار صور وصيدا واستقام أمر هرقانوس.

قال ابن كريّون: ثم قُتل قيصر ملك الروم. وأنظفتر وزير هرقانوس المستبد عليه. أما قيصر فوثب عليه كيساوس من قواد فمقيوس فقتله، وملك وجمع العساكر وعبر البحر إلى بلاد أشيّت ففتحها، ثم سار إلى القدس وطالبهم بسبعين بدرة من الذهب، فجمع له أنظفتر وبنوه من اليهود، ثم رجع كيساوس إلى مقدونية فأقام بها. وأما أنظفتر فإن اليهود داخلوا القائد ملكيّا الذي كان بين أظهرهم من قبل كيساوس في قتل أنظفتر وزير هرقانوس، فأجابهم الى ذلك، فدسّوا إلى ساقيه سمّا فقتله، وجاء ابنه هيردوس إلى القدس مجمعا قتل هرقانوس، فكفّه فسيّلو عن ذلك، وجاء كيساوس من مقدونية إلى صور، ولقي هرقانوس وهيردوس وشكوا إليه ما فعله قائده ملكيا من

مداخلة اليهود في قتل أنظفتر ، فأذن لهم في قتله فقتلوه . ثم زحف كينانوس بن أخي قيصر وقائده أنطيوس[1] في العساكر لحرب كيساوس المتوثب على عمه قيصر ، فلقيهم قريبا من مقدونية فظفرا به وقتلاه ، وملك كينانوس مكان عمه وسمي أوغسطس قيصر بإسم عمه . فأرسل إليه هرقانوس ملك اليهود بهدية وفيها تاج من الذهب مرصع بالجواهر وسأل تجديد العهد لهم ، وأن يطلق السُبيّ[2] الذي سُبيَ منهم أيام كيساوس ، وأن يرد اليهود إلى بلاد يونان وأثينة ، وأن يجري لهم ما كان رسم به عمه قيصر ، فأجابه إلى ذلك كله .

وسار أنطيانوس وأوغسطس قيصر إلى بلاد الأرمن بدمشق وحمص ، فلقته هنالك كلبطرة ملكة مصر وكانت ساحرة ، فاستأمنته وتزوّجها وحضر عنده هرقانوس ملك اليهود . وجاء جماعة من اليهود فشكوا من هيردوس وأخيه فسيّلو وتظلموا منهما ، وأكذبهم ملكهم هرقانوس وأبى عليها ، وأمر انطيانوس بالقبض على أولئك الشاكين وقتل منهم ، ورجع هيردوس وأخوه فسارا إلى مكانهما ومكان أبيهما من تدبير مملكة هرقانوس ، وسار أنطيانوس إلى بلاد الفرس فدوّخها وعاث في نواحيها وقهر ملوكهم وقفل الى رومة .

قال أبن كريّون : وفي خلال ذلك لحق أنطقنوس وجماعة من اليهود بالفرس ، وضمنوا لملكهم أن يحملوا إليه بدرة من الذهب وثمانمائة جارية من بنات اليهود ورؤسائهم يسبيهنّ له ، على أن يملكه مكان عمه هرقانوس ويسلمه إليه ، ويقتل هيردوس وأخاه فسيّلو ، فأجابهم ملك الفرس إلى ذلك ، وسار في العساكر وفتح بلاد الأرمن وقتل من وجد بها من قواد الروم ومقاتلتهم ، وبعث قائده بعسكر من القدس مع أنطقنوس مورياً بالصلاة في بيت المقدس والتبرك بالهيكل ، حتى إذا توسط المدينة ثار بها وأفحش في القتل ، وبادر هيردوس إلى قصر هرقانوس ليحفظه ، ومضى فسيّلو إلى الحصن يضبطه . وتورّط من كان بالمدينة من الفرس فقتلهم اليهود عن آخرهم ، وامتنعوا على القائد ، وفسد ما كان دبره في أمر أنطقنوس فرجع إلى استمالة هرقانوس وهيردوس ، وطلب الطاعة منهم للفرس وأنه يتلطف لهم عند الملك

---

(١) وفي نسخة ثانية : انطونيوس .

(٢) السبي : بضم السين ج (سَبْي) ويطلق في الاغلب على النساء ، أما الرجال فيعبر عنهم في مثل هذا الحال بالأسرى .

في إصلاح حالهم ، فصغى هرقانوس وفسيّلو إلى قوله وخرجوا إليه . وارتاب هيردوس وامتنع فارتحل بهما قائد الفرس حتى اذا بلغ الملك ببلاد الأرمن تقبض عليهما فمات فسيّلو من ليلته ، وقيد هرقانوس واحتمله إلى بلاده ، وأشار أنطقنوس بقطع أذنه ليمنعه من الكهنونة .

ولما وصل ملك الفرس إلى بلاده أطلق هرقانوس من الاعتقال ، وأحسن إليه إلى أن استدعاه هيردوس ، كما يأتي بعد ، وبعث ملك الفرس قائده إلى اليهود مع أنطقنوس ليملك ، فخرج هيردوس عن القدس إلى جبل الشّراة فترك عياله بالحصن عند أخيه يوسف ، وسار إلى مصر يريد قيصر . فأكرمته كلبطرة ملكة مصر ، وأركبته السفن إلى رومية ، فدخل بها انطيانوس إلى أوغسطس قيصر ، وخبره الخبر عن الفرس والقدس ، فملكه أوغسطس وألبسه التّاج وأركبه في رومية في زي الملك ، والهاتف بين يديه بأن أوغسطس ملّكه . واحتفل انطيانوس في صنيع له حضره الملك أوغسطس قيصر وشيوخ رومية ، وكتبوا له العهد في ألواح من نحاس ، ووضعوا ذلك اليوم التاريخ ، وهو اول ملك هيردوس .

وسار أنطيانوس بالعسكر إلى الفرس ومعه هيردوس ، وفارقه من أنطاكية وركب البحر إلى القدس لحرب أنطقنوس ، فخرج أنطقنوس إلى جبال الشّراة للإستيلاء على عيال هيردوس ، وأقام على حصار الحصن ، وجاء هيردوس فحاربه وخرج يوسف من الحصن من ورائه ، فانهزم أنطقنوس إلى القدس ، وهلك أكثرعسكره. وحاصره هيردوس وبعث انطقنوس بالأموال إلى قواد العسكر من الروم فلم يجيبوه ، وأقام هيردوس على حصاره حتى جاءه الخبر عن أنطيانوس قائد قيصر أنه ظفر بملك الفرس وقتله ودوّخ بلادهم ، وأنه عاد ونزل الفرات . فترك هيردوس أخاه يوسف على حصار القدس مع قائد الروم سيساو ، ومن تبعهم من الأرمن ، وسار للقاء أنطيانوس ، وبلغه وهو بدمشق أنّ أخاه يوسف قتل في حصار القدس على يد قائده أنطقنوس ، وأنّ العساكر انفضت ورجعوا إلى دمشق ، وجاء سيساو منهزما قائد أنطيانوس بالعساكر . وتقدّم هيردوس وقد خرج أنطقنوس للقائه فهزمه ، وقتل عامّة عسكره واتبعه إلى القدس . ووافاه سيساو قائد الروم فحاصروا القدس أياماً ، ثم اقتحموا البلد وتسللوا صاعدين إلى السور ، وقتلوا الحرس وملكوا المدينة ، وأفحش سيساو في قتل اليهود ، فرغب إليه هيردوس في الابقاء . وقال له : إذا قتلت قومي

فعلى من تملكني ؟ فرفع القتل عنهم وردّ ما نهب وقرّب إلى البيت تاجا من الذهب وضعت فيه ، وحمل إليه هيردوس أموالا . ثم عثروا على أنطقنوس مختفيا بالمدينة ، فقيده سيساو القائد ، وسار به إلى أنطيانوس ، وقد كان سار من الشام إلى مصر ، فجاءه بأنطقنوس هنالك ، ولحق بهم هيردوس وسأل من أنطيانوس قتل أنطقنوس فقتله . واستبد هيردوس بملك اليهود وانقرض ملك بني حشمناي والبقاء لله وحده .

انقراض ملك بني حشمناي وابتداء ملك هيردوس وبنيه

وكان أوّل ما افتتح به ملكه أن بعث إلى هرقانوس الذي احتمله الفرس وقطعوا أذنه يستقدمه ليأمن على ملكه من ناحيته ، ورغّبه في الكهنونية التي كان عليها ، فرغب وحذّره ملك الفرس من هيردوس ، وعزله اليهود الذين معه ، وأراه أنّها خديعة وأنه العيب الذي به يمنع الكهنونية ، فلم يقبل شيئا من ذلك . وصغى إلى هيردوس وحَسُنَ ظنّه به وسار إليه وتلقّاه بالكرامة والإعطاء وكان يخاطبه بأبي في الجمع والخلوة .
وكانت الإسكندرة بنت هرقانوس تحت الإسكندر وابن أخيه أرستبلوس ، وكانت بنتها منه مريم تحت هيردوس ، فاطلعتا على ضمير هيردوس من محاولة قتله ، فخبرتاه بذلك واشارتا عليه باللحاق بملك العرب ليكون في جواره ، فخاطبه هرقانوس في ذلك وأن يبعث إليه من رجالاتهم من يخرج به إلى أحيائهم ، وكان حامل الكتاب من اليهود مضطغنا على هرقانوس لأنه قتل أخاه وسلب ماله ، فوضع الكتاب في يد هيردوس ، فلما قرأه ردّه إليه وقال : أبلغه إلى ملك العرب وأرجع الجواب إليّ . فجاءه بالجواب من ملك العرب إلى هرقانوس ، وأنه أسعف وبعث الرجال فالقهم بوصولك إليّ . فبعث هيردوس من يقبض على الرجال بالمكان الذي عينه ، وأحضرهم وأحضر حكام البلاد اليهود والسبعين شيخا . وأحضر هرقانوس وقرأ عليه الكتاب بخطه ، فلم يحر جوابا وقامت عليه الحجة ، وقتله هيردوس لوقته لثمانين سنة من عمره وأربعين من ملكه ، وهو آخر ملوك بني حشمناي .
وكان للإسكندر بن أرستبلوس ، ابن يسمّى أرستبلوس ، وكان من أجمل الناس صورة ، وكان في كفالة أمه الإسكندرة ، وأخته يومئذ تحت هيردوس كما قلناه . وكان هيردوس يغص به وكانت أخته وأمها يؤمّلان أن يكون كوهنا بالبيت مكان جدّه هرقانوس ، وهيردوس يريد نقل الكهنونة عن بني حشمناي ، وقدّم لها رجلا من

عوام الكهنونية ، وجعله كبير الكهنونية ، فشق ذلك على الاسكندرة بنت هرقانوس وبنتها مريم زوج هيردوس . وكان بين الإسكندرة وكلوبطره ملكة مصر مواصلة ومهاداة ، وطلبت منها أن تشفع زوجها انطيانوس في ذلك إلى هيردوس ، فاعتذر له هيردوس بأنّ الكواهن لا تُعزل ، ولو أردنا ذلك فلا يمكّنّنا أهل الدين من عزله ، فبعث بذلك إلى الإسكندرة . ودست الإسكندرة إلى الرسول الذي جاء من عند أنطيانوس ، وأتحفته بمال فضمن لهم أنّ انطيانوس يعزم على هيردوس في بعث أرستبلوس إليه ، ورجع إلى أنطيانوس فرغبه في ذلك ووصف له من جماله وأغراه باستقدامه ، فبعث فيه أنطيانوس إلى هيردوس وهدّده بالوحشة إن منعه ، فعلم أنه يريد منه القبيح ، فقدّمه كهنونا وعزل الأول ، واعتذر لانطيانوس بأنّ الكوهن لا يمكن سفره ، واليهود تنكر ذلك . فأغفل أنطيانوس الأمر ولم يعاود فيه .

ووكل هيردوس بالإسكندرة بنت هرقانوس عهدته من يراعي أفعالها ، فاطلع على كتبها إلى كلوبطرة أن تبعث إليها السفن والرجال يوصلنها إليها ، وأنّ السفن وصلت إلى ساحل يافا ، وأن الإسكندرة صنعت تابوتين لتخرج فيهما هي وابنتها على هيئة الموتى . فأرصد هيردوس من جاء بهما من المقابر في تابوتيهما فوبخهما ثم عفا عنهما . ثم بلغه أنّ أرستبلوس حضر في عيد المظال ، فصعد على المذبح وقد لبس ثياب القدس وازدحم الناس عليه وظهر من ميلهم إليه ومحبتهم ما لا يعبر عنه ، فغص بذلك واعمل التدبير في قتله . فخرج في منتزه له بأريحاء في نيسان ، واستدعى أصحابه وأحضر أرستبلوس ، فطعموا ولعبوا وانغمسوا في البرك يسبحون وعمد غلمان هيردوس إلى أرستبلوس فغمسوه في الماء حتى شرق وفاض ، فاغتم الناس لموته وبكى عليه هيردوس ودفنه ، وكان موته لسبع عشرة سنة من عمره . وتأكدت البغضاء بين الإسكندرة وابنتها مريم زوج هيردوس أخت هذا الغريق ، وبين أمّ هيردوس وأخته ، وكثرت شكواهما إليه فلم يشكها لمكان زوجته مريم وأمّها منه .

قال ابن كريّون : ثم انتقض أنطيانوس على أوغسطس قيصر وذلك انه تزوّج كلوبطره وملك مصر ، وكانت ساحرة فسحرته واستمالته ، وحملته على قتل ملوك كانوا في طاعة الروم ، وأخذ بلادهم وأموالهم ، وسبي نسائهم وأموالهم وأولادهم . وكان من جملته هيردوس وتوقف فيه خشية من أوغسطس قيصر ، لأنه كان يكرمه بسبب ما صنع في الآخرين ، فحمله على الانتقاض والعصيان ، ففعل وجمع

العسكر واستدعى هيردوس فجاءه وبعثه إلى قتال العرب ، وكانوا خالفوا عليه ، فمضى هيردوس لذلك ومعه أنيثاون قائد كلوبطرة ، وقد دست له أن يجرّ الهزيمة على هيردوس ليقتل ففعل . وثبت هيردوس وتخلص من المعترك بعد حروب صعبة هلك فيها بين الفريقين خلق كثير .

ورجع هيردوس إلى بيت المقدس فصالح جميع الملوك والأمم المجاورين له ، وامتنع العرب من ذلك فسار إليهم وحاربهم ، ثم استباحهم بعد أيام ومواقف بذلوا وجمعوا له الأموال وفرض عليهم الخراج في كل سنة ورجع . وكان أنطيانوس لما بعثه إلى العرب سار هو إلى رومة وكانت بينه وبين أغسطس قيصر حروب هزمه قيصر في آخرها وقتله ، وسار إلى مصر فخافه هيردوس على نفسه لما كان منه في طاعة أنطيانوس وموالاته ، ولم يمكنه التخلف عن لقائه . فأخرج خدمه من القدس فبعث بأمّه وأخته إلى قلعة الشّراة لنظر أخيه فُرُودا ، وبعث بزوجه مريم وأمها الإسكندرة إلى حصن الإسكندرونة لنظر زوج أخته يوسف ورجل آخر من خالصته من أهل صور إسمه سوّما وعهد إليهما بقتل زوجته وأمّها إن قتله قيصر .

ثم حمل معه الهدايا وسار الى أوغسطس قيصر وكان تحقد له صحبة أنطيانوس ، فلما حضر بين يديه عنّفه وازاح التاج عن رأسه وهمّ بعقابه ، فتلطف هيردوس في الاعتذار ، وأنّ موالاته لأنطيانوس إنما كان لما أولى من الجميل في السعاية عند الملك وهي أعظم أياديه عندي ، ولم تكن موالاتي له في عداوتك ولا في حربك ولو كان ذلك وأهلكت نفسي دونه كنت غير ملوم ، فإن الوفاء شأن الكرام . فإن أزلت عني التاج فما أزلت عقلي ولا نظري ، وإن أبقيتني فأنا محل الصنيعة والشكر . فانبسط أوغسطس لكلامه وتوّجه كما كان ، وبعثه على مقدّمته إلى مصر ، فلما ملك مصر وقتل كلوبطره وهب لهيردوس جميع ما كان أنطيانوس أعطاها إياه ونفل . فأعاد هيردوس إلى ملكه ببيت المقدس وسار إلى رومية .

قال ابن كريّون : ولما عاد هيردوس الى بيت المقدس أعاد حرمه من أماكنهنّ ، فعادت زوجته مريم وأمّها من حصن الإسكندرونة وفي خدمتها يوسف زوج أخته وسوْمَا الصوري وقد كانا حدّثا المرأة وأمّها بما أسر إليهما هيردوس ، وقد كان سلف منه قتل هرقانوس وأرستبلوس فشكرتا له . وبينما هو آخذ في استمالة زوجته إذ رمتها أخته بالفاحشة مع سوْمَا الصوري في ملاحاة جرت بينهما ، ولم يصدّق ذلك هيردوس

للعداوة والثقة بعفة الزوجة . ثم جرى منها في بعض الأيام وهو في سبيل استمالتها عتاب فيما أسرّ إلى سوّما وزوج أخته ، فقويت عنده الظنّة بهم جميعا وأن مثل هذا السرّ لم يكن إلاّ لأمر مريب ، وأخذ في إخفائها وإقصائها ودسّت عليه أخته بعض النساء تحدّثه بأنّ زوجته داخلته في أن تستحضر السّمّ وأحضره فجرّب وصح وقتل للحين صهره يوسف وصاحبه سوّما ، واعتقل زوجته ثم قتلها وندم على ذلك ، ثم بلغه عن أمّها الاسكندرة مثل ذلك فقتلها . وولّى على أروم مكان صهره رجلا منهم إسمه كرسّوس وزوجه أخته ، فسار إلى عمله وانحرف عن دين التوراة والإحسان الذي حملهم عليه هرقانوس ، وأباح لهم عبادة صنمهم وأجمع الخلاف ، وطلق أخت هيردوس فسعت به إلى أخيها وخبرته بأحواله وأنه آوى جماعة من بني حشمناي المرشحين للملك منذ اثني عشر سنة . فقام هيردوس في ركائبه ، وبحث عنه فحضر وطالبه ببني حشمناي الذي عنده ، فأحضرهم فقتله وقتلهم ، وأرهف حدّه وقتل جماعة من كبار اليهود ومُقدميهم ، اتهمهم بالإنكار عليه . فأذعن له الناس واستفحل ملكه وأهمل المراعاة لوصايا التوراة وعمل في بيت المقدس سوراً واتخذ منتزه لعب ، وأطلق فيه السباع ويحمل بعض الجهلة على مقابلتها فتفترسهم ، فنكر الناس ذلك وأعمل أهل الدولة الحيلة في قتله فلم تتم لهم ، وكان يمشي متنكراً للتجسس على أحوال الناس ، فعظمت هيبته في النفوس .

وكان أعظم طوائف اليهود عنده الربّانيون بما تقدّم لهم في ولايته ، وكان لطائفة العُبّاد من اليهود المسمى بالحيسيد مكانة عنده أيضا ، كان شيخهم مناحيم لذلك العهد محدثا وكان حدثه وهو غلام بمصير الملك له ، وأخبره وهو مَلِك بطول مدّته في الملك فدعا له ولقومه . وكان كَلِفاً ببناء المدن والحصون ، ومدينة قيسارية من بنائه . ولما حدثت في أيامه المجاعة شمّر لها وأخرج الزرع للناس وبثه فيهم بيعا وهبة وصدقة ، وأرسل في الميرة من سائر النواحي ، وأمر قيصر في سائر تخومه وفي مصر وروية أن يحملوا الميرة إلى بيت المقدس ، فوصلت السفن بالزرع إلى ساحلها من كل جهة . وأجرى على الشيوخ والأيتام والأرامل والمنقطعين كفايتهم من الخبز ، وعلى الفقراء والمساكين كفايتهم من الحنطة ، وفرّق على خمسين ألفا قصدوه من غير ملّته ، فرفعت المجاعة وارتفع له الذكر والثناء الجميل .

قال ابن كريّون : ولما استفحل مُلكُه وعظم سلطانه أراد بناء البيت على ما بناه سليمان

بن داود ، لأنهم لما رجعوا إلى القدس باذن كورش عين لهم مقدار البيت لا يتجاوزونه ، فلم يتمّ على حدود سليمان ، ولما اعتزم على ذلك ابتدأ أولا بإحضار الآلات مستوفيات خشية أن يحصل الهدم وتطول المدّة وتعرض القواطع والموانع . فأعدّ الآلات وأكمل جمعها في ست سنين ، ثم جمع الصنّاع للبناء وما يتعلق به فكانوا عشرة آلاف ، وعين ألفا من الكهنة يتولّون القدس الأقدس الذي لا يدخله غيرهم . ولما تمّ له ذلك شرع في الهدم فحصل لاقرب وقت ، ثم بنى البيت على حدوده وهيئته أيام سليمان وزاد في بعض المواضع على ما اختاره ووقف عليه نظره ، فكمل في ثمان سنين . ثم شرع في الشكر لله تعالى على ما هيّأ له من ذلك فقرّب القربان واحتفل في الولائم وإطعام الطعام ، وتبعه الناس في ذلك أياما فكانت من محاسن دولته .

قال ابن كريّون : ثم ابتلاه الله بقتل أولاده وكان له ولدان من مريم بنت الإسكندرة قتيلة السم ، أحدهما الاسكندر والآخر ارستبلوس ، وكانا عند قتل أمهما غائبين برومة يتعلمان خط الروم ، فلما وصلا وقد قتل أمّهما حصلت بينه وبينهما الوحشة ، وكان له ولد آخر اسمه انظفتر على اسم جدّه ، وكان قد أبعد أمّه راسيس لمكان مريم ، فلما هلكت واستوحش من وُلْدها لطلب محل راسيس منه ، قدم ابنها أنظفتر وجعله وليّ عهده ، وأخذ في السعاية على اخوته خشية منهما بأنهما يرومان قتل أبيهما فانحرف عنهما . واتفق أن سار الى أوغسطس قيصر ومعه إبنه إسكندر ، فشكاه عنده وتبرأ الإسكندر وحلف على براءته ، فأصلح بينهما قيصر ورجع إلى القدس . وقسم القدس بين وُلْدِه الثلاثة ، ووصاهم ووصى الناس بهم ، وعهد أن لا يخالطوهم خشية مما يحدث عن ذلك ، وأنظفتر مع ذلك متماد على سعايته بهما وقد داخل في ذلك عمه قدودا وعمته سلومنت ، فأغروا أباه بأخويه المذكورين حتى اعتقلهما . وبلغ الخبر أرسلاوش ملك كفتور ، وكانت بنته تحت الإسكندر ، منهما فجاء إلى هيردوس مظهرا السخط على الإسكندر والإنحراف عنه وتحيّل في إظهار جراءتهما ، وأطلعه على جلية الحال وسعاية أخيه وأخته ، فانكشف له الأمر وصدّقه وغضب على أخيه قدودا ، فجاء إلى أرسلاوش وأحضره عند هيردوس حتى أخبره بمصدوقيّة الحال ، ثم شفعه فيه وأطلق ولديه ورضي عنهما ، وشكر لأرسلاوش من تلطفه في تلافي هذا الأمر وانصرف إلى بلده .

ولم ينف ذلك أنظفتر عن تدبيره عليهما ، وما زال يغري أباه ويدسّ له من يغريه حتى

أسخطه عليهما ثانية واعتقلهما ، وأمضى بهما في بعض أسفاره مقيّدين . ونكر ذلك بعض أهل الدولة فدس أنظفتر إلى أبيه المنكر عليّ من المدبّرين عليك ، وقد ضمن لحجامك الإسكندر مالا على قتلك . فأنزل هيردوس بهما العقاب ليتكشف الخبر ، ونمي بأنّ ذلك الرجل معه ولذعه العقاب وأقرّ على نفسه وقتل هو وأبوه والحجّام ، ثم قتل هيردوس ولديه وصلبهما على مصطبة . وكان لإبنه الإسكندر ولدان من بنت أرسلاوش ملك كفتور وهما كوبان والإسكندر ، ولإبنه أرستبلوس ثلاثة من الوُلْد : أعرباس وهيردوس وأستروبلوس . ثم ندم هيردوس على قتل ولديه ، وعطف على أولادهما فزوّج كوبان بن الإسكندر بابنة أخيه قدودا وزوّج ابنة ابنه أرستبلوس من ابن ابنه أنظفتر ، وأمر أخاه قدودا وابنه أنظفتر بكفالتهما والإحسان اليهم ، فكرها ذلك واتفقا على فسخه وقتل هيردوس متى أمكن .

وبعث هيردوس ابنه أنظفتر إلى أوغسطس قيصر ، ونما الخبر إليه بأنّ أخاه قدودا يريد قتله ، فسخطه وأبعده وألزمه بيته . ثم مرض قدودا واستبدّ أخاه هيردوس ليعوده فعاده ثم مات ، فحزن عليه ثم حزن باستكشاف ما نمي إليه ، فعاقب جواريه ، فأقرّت إحداهما بأن أنظفتر وقدودا كانا يجتمعان عند رسيّس أمّ أنظفتر يُدبّران على قتل هيردوس على يد خازن أنظفتر ، فأقرّ بمثل ذلك وأنه بعث على السم من مصر وهو عند امرأة قدودا ، فأحضرت فأقرت بأنّ قدودا أمرها عند موته باراقته ، وأنها أبقت منه قليلا يشهد لها إن سئلت . فكتب هيردوس الى أبنه أنظفتر بالقدوم ، فقدم مُستريبا بعد أن أجمع على الهروب ، فمنعه خدم أبيه . ولما حضر جمع له الناس في مشهد وحضر رسول أغسطس وقدم كاتبه نيقالوس. وكان يحب أولاد هيردوس المقتولين ويميل إليهما عن أنظفتر ، فدفع يخاصمه حتى قامت عليه الحجة وأحضر بقية السمّ وجرّب في بعض الحيوانات فصدق فعله ، فحبس هيردوس ابنه أنظفتر حتى مَرض وأشرف على الموت ، وأسف على ما كان منه لأولاده فهمّ بقتل نفسه ، فمنعه جلساؤه وأهله ، وسمع من القصر البكاء والصراخ لذلك ، فهمّ أنظفتر بالخروج من محبسه ومنع ، وأخبر هيردوس بذلك وأمر بقتله في الوقت فقتل . ثم هلك بعده لخمسة أيام ولسبعين سنة من عمره وخمس وثلاثين من ملكه .

وعهد بالملك لإبنه أركلاوش وخرج كاتبه نيقالوس فجمع الناس وقرأ عليهم العهد وأراهم خاتم هيردوس عليه ، فبايعوا له وحمل أباه إلى قبره على سرير من الذهب

مرصع بالجوهر والياقوت وعليه ستور الديباج منسوجة بالذهب ، وأجلس مسنداً ظهره إلى الارائك والناس أمامه من الاشراف والرؤساء ، ومن خلفه الخدم والغلمان ، وحواليه الجواري بأنواع الطيب إلى أن اندرج في قبره .

وقام أركلاوش بملكه وتقرّب إلى الناس بإطلاق المسجونين ، فاستقام أمره وانطلقت الألسنة بذمّ هيردوس والطعن عليه . ثم انتقضوا على أركلاوش بملكه بما وقع منه من القتل فيهم ، فساروا إلى قيصر شاكين بذلك وعابوه عنده بأنه ولي من غير أمره ، وحضر أركلاوش وكاتبه نيقالوس بخصمهم ودفع دعاويهم ، وأشار عظماء الروم بإبقائه فملكه قيصر وأعاده الى القدس . وأساء السيرة في اليهود وتزوّج امرأة أخيه الإسكندر وكان له أولاد منها فماتت لوقتها . ووصلت شكاية اليهود بذلك كله إلى قيصر فبعث قائدا من الروم الى المقدس ، فقيد أركلاوش وحمله إلى رومة لسبع سنين من دولته ، وولى على اليهود بالقدس أخاه أنطيفس ، وكان شرّا منه واغتصب امرأة أخيه فيلقوس[1] وله منها ولدان ، ونكر ذلك عليه علماء اليهود والكهنونية. وكان لذلك العهد يوحنا بن زكريا فقتله في جماعة منهم ، وهذا هو المعروف عند النصارى بالمعمدان الذي عمد عيسى أي طهره بماء المعمودية بزعمهم .

وفي دولة أنطيفس هذا مات أوغسطس قيصر ، فملك بعده طبريانوس وكان قبيح السيرة ، وبعث قائده بعيلاس بصنم من ذهب على صورته ليسجد له اليهود فامتنعوا ، فقتل منهم جماعة ، فأذنوا بحربه وقاتلوه وهزموه . وبعث طبريانوس العساكر مع قائده إلى القدس فقبض على أنطيفس وحمله مقيدا . ثم عزله طبريانوس إلى الأندلس فمات بها وملك بعده على اليهود أغرباس ابن أخيه أرستبلوس المقتول ، وهلك في أيامه طبريانوس قيصر وملك نيروش[2] وكان أشرّ من جميع من تقدّمه ، وأمر أن يُسمّى إلاهو ، وبنى المذبح للقربان وقرّب وأطاعته الناس إلاّ اليهود ، وبعثوا إليه في ذلك أفيلو الحكيم في جماعة فشتمهم وحبسهم وسخط اليهود . ثم قبحت أحواله وساءت أفعاله وثارت عليه دولته فقتلوه ، ورموا شلوه في الطريق فأكلته الكلاب . ثم ملك بعده قلديوش قيصر وأطلق أفيلو والذين معه إلى بيت المقدس ، وهدم المذابح التي كان نيروش بناها .

---

(١) وهو معروف باسم فيليبس .

(٢) وفي نسخة ثانية نيرون .

وكان أغرباس حسن السيرة معظماً عند القياصرة وهلك لثلاث وعشرين سنة من دولته . وملك بعده ابنه أغرباس بأمر اليهود وملك عشرين سنة ، وكثرت الحروب والفتن في أيامه في بلاد اليهود والأرمن ، وظهرت الخوارج والمتغلبون ، وانقطعت السبل وكثر الهرج داخل المدينة في القدس . وكان الناس يقتل بعضهم بعضاً في الطرقات يحملون سكاكين صغار محدّين لها فإذا ازدحم مع صاحبه في الطريق طعنه فأهواه حتى صاروا يلبسون الدروع لذلك ، وخرج كثير من الناس عن المدينة فراراً من القتل . وهلك وُلْد اطبريانوس قيصر ونيروش من بعده ، وملك على الروم فيلقوس قيصر فسعى بعض الشرار عنده بأنّ هؤلاء الذين خرجوا من القدس يذمّون على الروم ، فبعث إليهم من قتلهم وأسرهم .

واشتدّ البلاء على اليهود وطالت الفتن فيهم ، وكان الكهنون الكبير فيهم لذلك العهد عنّاني ، وكان له ابن اسمه العازار وكان ممن خرج من القدس وكان فاتكا مصعلكا ، وأنضم إليه جماعة من الأشرار ، وأقاموا يغيرون على بلاد اليهود والأرمن وينهبون ويقتلون ، وشكتهم الأرمن إلى فيلقوس قيصر ، فبعث من قيده وحمله وأصحابه إلى رومة ، فلم يرجع الى القدس إلاّ بعد حين .

واشتدّ قائد الروم ببيت المقدس على اليهود وكثر ظلمه فيهم ، فأخرجوه عنهم بعد أن قتلوا جماعة من أصحابه ، ولحق بمصر فلقي هنالك أغرباس ملك اليهود راجعا من روميّة ومعه قائدان من الروم ، فشكى إليه فيلقوس بما وقع من اليهود ، ومضى إلى بيت المقدس فشكى إليه اليهود بما فعل فيلقوس وأنهم عازمون على الخلاف ، وتلطف لهم في الإمساك عن ذلك حتى تبلغ شكيتهم إلى قيصر ويعتذر منه ، فامتنع العازار بن عنّاني وأبى إلا المخالفة ، وأخرج القربان الذي كان بعثه معه نيروش قيصر من البيت ، ثم عمد إلى الروم الذين جاؤا مع أغرباس فقتلهم حيث وجدوا ، وقتل القائدين . ونكر ذلك أشياخ اليهود واجتمعوا لحرب العازرا وبعثوا إلى أغرباس ، وكان خارج القدس ، فبعث إليهم بثلاثة آلاف مقاتل ، فكانت الحرب بينهم وبين العازار سجالا ، ثم هزمهم وأخرجهم من المدينة ، وعاث في البلد وخرّب قصور الملك ونهبها وأموالها وذخائرها ، وبقي أغرباس والكهنونة والعلماء والشيوخ خارج المقدس . وبلغهم أنّ الأرمن قتلوا من وجدوه من اليهود بدمشق ونواحيها وبقيساريّة ، فساروا إلى بلادهم وقتلوا من وجدوه بنواحي دمشق من الأرمن . ثم

سار أغرباس إلى قيرش قيصر وخبّره الخبر فامتعض لذلك ، وبعث إلى كسنينا وقائده على الأرمن ، وقد كان مضى إلى حرب الفرس فدوّخها وقهرهم ، وعاد إلى بلاد الأرمن فنزل دمشق فجاءه عهد قيصر بالمسير مع أغرباس ملك اليهود إلى القدس ، فجمع العساكر وسار وخرّب كل ما مرّ عليه . ولقيه العازار الثائر بالقدس فانهزم ورجع ، ونزل كسنينا وقائد الروم فأثخن فيهم ، وارتحل كسنينا إلى قيساريّة ، وخرج اليهود في اتباعهم فهزموهم ، ولحق كسنينا وأغرباس بقيصر قيرش ، فوافقوا وصول قائده الأعظم اسبنانوس[1] عن بلاد الغرب ، وقد فتح الأندلس ودوّخ أقطارها فعهد إليه قيرش قيصر بالمسير إلى بلاد اليهود وأمره أن يستأصلهم ويهدم حصونهم .

فسار ومعه ابنه طيطوش وأغرباس ملك اليهود ، وانتهوا إلى أنطاكيّة ، وتأهب اليهود لحربهم ، وانقسموا ثلاث فرق في ثلاث نواحي مع كل فرقة كهنون ، فكان عناني الكهنون الأعظم في دمشق ونواحيها ، وكان ابنه العازر كهنون بلاد أروم وما يليها إلى أيلة ، وكان يوسف بن كريّون كهنون طبريّة وجبل الخليل وما يتصل به ، وجعلوا فيما بقي من البلاد من الأغوار الى حدود مصر من يحفظها من بقية الكهنونيّة . وعمّر كل منهم أسوار حصونه ورتب مقاتلته .

وسار اسبنانوس بالعساكر من أنطاكية فتوسط في بلاد الأرمن وأقام ، وخرج يوسف بن كريّون من طبرية فحاصر بعض الحصون بناحية الأغرباس ففتحه واستولى عليه ، وبعث أهل طبريّة من ورائه إلى الروم فاستأمنوا إليهم ، فزحف يوسف مبادراً وقتل من وجد فيها من الروم ، وقبل معذرة أهل طبرية . وبلغه مثل ذلك عن جبل الخليل فسار إليهم وفعل فيهم فعله في طبرية . فزحف اليه اسبنانوس من عكّا في أربعين ألف مقاتل من الروم ومعه أغرباس ملك اليهود وسارت معهم الأمم من الأرمن وغيرهم ، إلا أروم فإنهم كانوا حلفاء لليهود منذ أيام هرقانوس . ونزل أسبنانوس بعساكره على يوسف بن كريّون ومن معه بطبريّة فدعاهم الى الصلح ، فسألوا الإمهال إلى مشاورة الجماعة بالقدس ، ثم امتنعوا وقاتلهم أسبنانوس بظاهر الحصن ، فاستلحمهم حتى قل عددهم ، وأغلقوا الحصن فقطع عنهم الماء خمسين ليلة ، ثم بيّتهم الروم فاقتحموا عليهم الحصن فاستلحموهم ، وأفلت يوسف بن كريّون ومن معه من الفل فامتنعوا ببطن الأعراب ، وأعطاهم أسبنانوس الأمان ، فمال إليه يوسف وأبى القوم إلاّ أن

(١) وفي نسخة اخرى : أسبيانوس .

يقتلوا أنفسهم وهموا بقتله ، فوافقهم على رأيهم إلى أن قتل بعضهم بعضا ولم يبق من يخشاه ، فخرج إلى أسبانوس مطارحاً عليه ، وحرّضه اليهود على قتله فأبى واعتقله وخرّب أعمال طبرية وقتل أهلها ورجع إلى قيساريّة .

قال ابن كريّون : وفي خلال ذلك حدثت الفتنة في القدس بين اليهود داخل المدينة ، وذلك أنه كان في جبل الخليل بمدينة كوشالة يهودي إسمه يوحنّان ، وكان مرتكبا للعظائم واجتمع إليه أشرارٌ منهم فقوي بهم على قطع السابلة والنهب والقتل ، فلما استولى الروم على كوشالة لحق بالقدس وتألّف عليه أشرار اليهود من فل البلاد التي أخذها الروم ، فتحكم على أهل المقدس وأخذ الأموال وزاحم عنّاني الكهنون الأعظم ، ثم عزله واستبدل به رجلا من غواتهم وحمل الشيوخ على طاعته ، فامتنعوا فتغلب عليهم فقتلهم . فاجتمع اليهود إلى عنّاني الكهنون وحاربهم يوحنان وتحصنوا في القدس ، وراسله عنّاني في الصلح فأبى ، وبعث إلى أروم يشتجيشهم فبعثوا إليه بعشرين ألفا منهم ، فأغلق عنّاني أبواب المدينة دونهم ، وحاط بهم من الأسوار ، ثم استغفلوه وكبسوا المدينة ، واجتمع معهم يوحنان فقتلوا من وجوه اليهود نحوا من خمسة آلاف وصادروا أهل النعم على أموالهم ، وبعثوا يوحنان إلى المدن الذين استأمنوا إلى الروم فغنم أموالهم وقتل من وجد منهم . وبعث أهل القدس في استدعاء أسبانوس وعساكره فزحف من قيساريّة حتى إذا توسّط الطريق خرج يوحنّان من القدس وامتنع ببعض الشعاب ، فمال إليه أسبانوس بالعسكر وظفر بالكثير منهم فقتلوهم . ثم سار إلى بلاد أروم ففتحها ، وسبسطية بلاد السامرة ففتحها أيضا ، وعمّر جميع ما فتح من البلاد ، ورجع إلى قيسارية ليزيح علله ويسير الى القدس . ورجع يوحنّان أثناء ذلك من الشعاب ، فغلب على المدينة ، وعاث فيهم بالقتل ، وتحكم في أموالهم ، وأفسد حريمهم .

قال ابن كريّون : وقد كان ثار بالمدينة في مغيب يوحنّان ثائرا آخر اسمه شمعون ، واجتمع إليه اللصوص والشرار حتى كثر جمعه وبلغوا نحوا من عشرين ألفا ، وبعث إليه أهل أروم عسكرا فهزمهم واستولى على الضياع ونهب الغلال ، وبعث إلى امرأته من المدينة فردّها يوحنّان من طريقها وقطع من وجد معها ، ثم أسعفوه بأمرأته وسار إلى أروم فحاربهم وهزمهم ، وعاد إلى القدس فحاصرها وعظم الضرر على أهلها شمعون خارج المدينة ويوحنّان داخلها ، ولجؤا إلى الهيكل وحاربوا يوحنّان فغلد

وقتل منهم خلقا ، فاستدعوا شمعون لينصرهم من يوحنان فدخل ونقض العهد وفعل أشرّ من يوحنّان .

قال ابن كريّون : ثم ورد الخبر إلى أسبنانوس وهو بمكانه من قيساريّة بموت قيروش قيصر وأنّ الروم ملكوا عليهم مضعفا إسمه نطاوس فغضب البطارقة الذين مع أسبنانوس وملكوه ، وسار الى رومة وخلف نصف العسكر مع ابنه طيطش ، وقدّم بين يديه قائدين إلى رومة لمحاربة نطاوس الذي ملكه الروم فهزم وقتل ، وسار أسبنانوس إلى اسكندرية وركب البحر منها ، ورجع طيطش الى قيساريّة إلى أن ينلسخ فصل الشتاء ويزيح العلل .

وعظمت الفتن والحروب بين اليهود داخل القدس وكثر القتل حتى سالت الدماء في الطرقات ، وقتل الكهنونية على المذبح وهم لا يقربون الصلاة في المسجد لكثرة الدماء ، وتعذر المشي في الطرقات من سقوط حجارة الرمي ومواقد النيران بالليل ، وكان يوحنّان أخبث القوم وأشرّهم .

ولما انسلخ الشتاء زحف طيطش في عساكر الروم إلى أنّ نزل على القدس وركب إلى باب البلد يتخيّر المكان لمعسكره ويدعوهم إلى السلم ، فصموا عنه وأكمنوا له بعض الخوارج في الطريق فقاتلوه ، وخلص منهم بشدّته ، فعبى عسكره من الغد ونزل بجبل الزيتون شرقي المدينة ورتّب العساكر والآلات للحصار . واتفق اليهود داخل المدينة ورفعوا الحرب بينهم ، وبرزوا إلى الروم فانهزموا ، ثم عاودوا فظهروا ، ثم انتقضوا بينهم وتحاربوا ودخل يوحنّان الى القدس يوم الفطر فقتل جماعة من الكهنونة وقتل جماعة أخرى خارج المسجد . وزحف طيطش وبرزوا إليه فردّوه إلى قرب معسكره ، وبعث إليهم قائده نيقانور في الصلح فأصابه سهم فقتله ، فغضب طيطش وصنع كبشا وأبراجا من الحديد توازي السور وشحنها بالمقاتلة ، فأحرق اليهود تلك الآلات ودفنوها وعادوا إلى الحرب بينهم .

وكان يوحنّان قد ملك القدس ومعه ستة آلاف أو يزيدون من المقاتلة ، ومع شمعون عشرة آلاف من اليهود وخمسة آلاف من أروم ، وبقية اليهود بالمدينة مع العازر وأعاط طيطش الزحف بالآلات وثلم السور الأوّل وملكه إلى الثاني ، فاصطلح اليهود بينهم وتذامروا[1] واشتدّ الحرب ، وباشرها طيطش بنفسه ثم زحف بالآلات إلى

(١) تذامروا : بمعنى تلاوموا وربما عنى المؤرخ تذمّروا بمعنى تحاضّوا على القتال .

السور الثاني فثلمه ، وتذامر اليهود فمنعوهم عنه ومكثوا كذلك أربعة أيام .
وجاء المدد من الجهات إلى طيطش ولاذ اليهود بالأسوار وأغلقوا الأبواب ، ورفع طيطش الحرب ودعاهم إلى المسالمة ، فامتنعوا . فجاء بنفسه في اليوم الخامس وخاطبهم ودعاهم وجاء معه يوسف بن كريّون فوعظهم ورغبهم في أمنة الروم ووعدهم ، وأطلق طيطش أسراهم فجنح الكثير من اليهود إلى المسالمة ، ومنعهم هؤلاء لرؤسا الخوارج ، وقتلوا من يروم الخروج إلى الروم ، ولم يبق من المدينة ما يعصمهم إلاّ السور الثالث .
وطال الحصار واشتدّ الجوع عليهم والقتل ، ومن وجد خارج المدينة لرعي العشب قتله الروم وصلبوه ، حتى رحمهم طيطش ورفع القتل عمن يخرج في ابتغاء العشب . ثم زحف طيطش إلى السور الثالث من أربع جهاته ونصب الآلات ، وصبر اليهود على الحرب وتذامر اليهود وصعب الحرب وبلغ الجوع في الشدّة غايته ، واستأمن مِتّاي الكوهن إلى الروم وهو الذي خرج في استدعاء شمعون ، فقتله شمعون وقتل بنيه وقتل جماعة من الكهنونيّة والعلماء والأئمة ممن حذر منه أن يستأمن . ونكر ذلك العازر بن عنّاني ولم يقدر على أكثر من الخروج من بيت المقدس . وعظمت المجاعة فمات أكثر اليهود ، وأكلوا الجلود والخشاش [1] والميتة ، ثم أكل بعضهم بعضا ، وعثر على امرأة تأكل ابنها ، فأصابت رؤساؤهم لذلك رحمة ، وأذنوا في الناس بالخروج ، فخرجت منهم أمم وهلك أكثرهم حين أكلوا الطعام . وابتلع بعضهم في خروجه ما كان له من ذهب أو جوهر ضنة به ، وشعر بهم الروم فكانوا يقتلونهم ويشقون عنها بطونهم ، وشاع ذلك في توابع العسكر من العرب والأرمن فطردهم طيطش .
وطمع الروم في فتح المدينة وزحفوا إلى سورها الثالث بالآلات ولم يكن لليهود طاقة بدفعها وإحراقها فثلموا السور ، وبنى اليهود خلف الثلمة فأصبحت منسدة ، وصدمها الروم بالكبش فسقطت من الحدة ، واستماتوا في تلك الحال إلى الليل . ثم بيت الروم المدينة وملكوا الأسوار عليهم وقاتلوهم من الغد فانهزموا الى المسجد ، وقاتلوا في الحصن ، وهدم طيطش البناء ما بين الأسوار إلى المسجد ليتسع المجال . ووقف ابن كريّون يدعوهم إلى الطاعة فلم يجيبوا ، وخرج جماعة من الكهنونية فأمنهم ومنع

(١) خشرات الارض — حية الجبل (قاموس)

الرؤساء بقيتهم ، ثم باكرهم طيطش بالقتال من الغد فانهزموا الأقداس [٢] وملك الروم المسجد وصحنه .

واتصلت الحرب أياما وهدمت الأسوار كلها وثلم سور الهيكل ، وأحاط العساكر بالمدينة حتى مات أكثرهم وفرّ كثير . ثم اقتحم عليهم الحصن فملكه ونصب الأصنام في الهيكل ومنع من تخريبه . ونكر رؤساء الروم ذلك ودسّوا من اضرم النار في أبوابه وسقفه ، وألقى الكهنونة أنفسهم جزعا على دينهم وحزنوا ، واختفى شمعون و يوحنّان في جبل ضهيون ، وبعث إليهم طيطش بالأمان فامتنعوا وطرقوا القدس في بعض الليالي ، فقتلوا قائدا من قواد العسكر ورجعوا إلى مكان اختفائهم . ثم هرب عنهم أتباعهم وجاء يوحنّان ملقيا بيده إلى طيطش فقيده ، وخرج إليه يوشع الكوهن بآلات من الذهب الخالص من آلات المسجد فيها منارتان ومائدتان ، ثم قبض على فنحاس خازن الهيكل ، فأطلعه على خزائن كثيرة مملوءة دنانير ودراهم وطيبا فامتلأت يده منها ، ورحل عن بيت المقدس بالغنائم والأموال والأسرى ، وأحصى الموتى في هذه الوقعة . قال ابن كريّون : فكان عدد الموتى الذين خرجوا على الباب للدفن بأخبار مناحيم الموكل به مائة ألف وخمسة وعشرون ألفا وثمانمائة . وقال غير مناحيم كانت عدّتهم ستمائة ألف دون من ألقي في الآبار ، أو طرح إلى خارج الحصن وقتل في الطرقات ولم يدفن . وقال غيره كان الذي أحصي من الموتى والقتلى ألف ألف ومائة ألف والسبي والأسارى مائة ألف ، كان طيطش في كل منزلة يلقي منهم إلى السباع إلى أن فرغوا . وكان فيمن هلك شمعون أحد الخوارج الثلاثة .

وأمّا الفرّار بن عفّان فقد كان خرج من القدس عندما قتل شمعون أمتاي الكوهن كما ذكرنا ، فلما رحل طيطش عن القدس نزل في بعض القرى وحصّنها واجتمع إليه فل اليهود ، واتصل الخبر بطيطش وهو في انطاكية ، فبعث إليه عسكرا من الروم مع قائده سلياس فحاصرهم أياما ، ثم نهض الكهنونة وأولادهم وخرجوا إلى الروم مستميتين ، فقاتلوا إلى أن قتلوا عن آخرهم . وأما يوسف بن كريّون فافتقد أهله وولده في هذه الوقائع ولم يقف لهم بعدها على خبر وأراده طيطش على السكنى عنده برومة ، فتضرّع اليه في البقاء بأرض القدس ، فأجابه إلى ذلك وتركه . وانقرضت دولة اليهود أجمع ، والبقاء لله وحده سبحانه وتعالى لا انقضاء لملكه ..

---

(٢) الاصح ان يقول : فانهزم الاقداس .

اغرباس بن اغرباس — بن ارستبلوس —— بن هيردوس بن انظفتر المستولى على هرقانوس آخر ملوك بني حشمناي

— استروبلوس
— هيردوس

— امريكلاوش
— انظفتر

— الاسكندر — بن الاسكندر
— انطيفس

ارستبلوس بن الاسكندر — بن ارستبلوس — بن الاسكندر — بن هرقانوس — بن متينيا بن يوحنا — الكوهن — من بني جسمناي

— انطقنوس

— هرقانوس

— امها الاسكندرة

— ارستبلوس

— انطقنوس

(يوحنان)

— يوناثال

— يوذا

— بن شمعون

— بن شمعون

— الاعظم من نسل هرون

العازرا بن عناني يوسف بن كربون

يوحنا الحليل شمعون

الخبر عن شأن عيسى بن مريم صلوات الله عليه في ولادته وبعثته ورفعه من الارض والالمام بشأن الحواريين بعده وكتبهم الاناجيل الاربعة وديانة النصارى بملته واجتماع الاقسة على تدوين شريعته

كان بنو ماثان من وُلْدِ داود صلوات الله عليه كهنونية بيت المقدس ، وهو ماثان بن ألعازر بن أليهود بن أخس بن رادوق بن عازور بن ألياقيم بن أيود بن زرو قابل بن سالات بن يوخنانيا بن يوشيا السادس عشر من ملوك بني اسرائيل بن أمون بن عمون ابن منشا بن حزقيا بن أحاز بن يواش بن أحزيا بن يورام بن يهوشافاظ بن أسا بن رحبعم بن سليمان ابن داود صلوات الله عليهما . ويوخنانيا بن يوشيا السادس عشر من ملوك بني سليمان ولد في جلاء بابل وهذا النسب نقلته من انجيل متى[1] . وكانت الكهنونية العظمى من بعد بني حشمناي لهم ، وكان كبيرهم قبل عصر هيردوس عمران أبو مريم ، ونسبه ابن إسحق إلى أمون بن منشا الخامس عشر من ملوك بيت المقدس من لدن سليمان أبيهم ، وقال فيه عمران بن ياشم بن أمون . وهذا بعيد لأن الزمان بين عمون وعمران أبعد من أن يكون بينهما أب واحد ، فإنّ أمون كان قبيل الخراب الأوّل وعمران كان في دولة هيردوس قبيل الخراب الثاني ، وبينهما قريب من أربعمائة سنة . ونقل ابن عساكر ، والظنّ أنّه ينقل عن مستند ، أنه من ولد زريافيل الذي ولي على بني إسرائيل عند رجوعهم إلى بيت المقدس ، وهو ابن يخنيا آخر ملوكهم الذي حبسه بختنصر وولّى عمه صدقيا هو بعده كما مرّ . وقال فيه : عمران بن ماثان بن فلان بن فلان إلى زريافيل ، وعدّ نحواً من ثمانية أباء بأسماء

(١) بعد مقارنة الاسماء في انجيل متى ظهر تباين في بعض الاسماء وهذه هي الاسماء : ابراهيم ولد اسحاق واسحاق ولد يعقوب ويعقوب ولد يهوذا واخوته ويهوذا ولد فارص وزارح من تامار وفارص ولد حصرون وحصرون ولد آرام وآرام ولد عميناب وعميناب ولد نحشون ونحشون ولد سلمون وسلمون ولد بوعز من ارحاب وبوعز ولد عوبيز من راعوت وعوبيز ولد يسى ويسى ولد داود الملك ، وداوود الملك ولد سليمان من التي كانت لأوبا ، وسليمان ولد رحبعام ورحبعام ولد أبيّا وأبيّا ولد آسا وآسا ولد يوشافاط ويوشافاط ولد يورام ويورام ولد عزيا وعزيا ولد يوثام ويوثام ولد آحاز وآحاز ولد حزقيا وحزقيا ولد منسى ومنسى ولد آمون وآمون ولد يوشيا ويوشيا ولد يكنيا واخوته في جلاء بابل .

عبرانية لا وثوق بضبطها ، وهو أقرب من الأول وفيه ذكر ماثان الذي هو شهرتهم ، ولم يذكره ابن إسحق .

وكان عمران أبو مريم كهنوناً في عصره ، وكانت تحته حنّة بنت فاقود بن فيل وكانت من العابدات ، وكانت أختها إيشاع ويقال خالتها تحت زكريّا بن يوحنّا ، ونسبه ابن عساكر الى يهوشافاظ خامس ملوك القدس من عهد سليمان أبيهم وعد ما بينه وبين يهوشافاظ إثني عشر أباً أوّلهم يوحنا بأسماء عبرانية ، كما فعل في نسب عمران ، ثم قال وهو أبو يحيى صلوات الله عليهما ، ويقال بالمدّ والقصر من غير ألف ، وكان نبياً من بني اسرائيل صلوات الله عليهم اهـ . ونقلت من كتاب يعقوب بن يوسف النجّار مثان يعني ماثان من سبط داود ، وكان له ولدان يعقوب ويؤاقيم ، ومات فتزوّج أمّها بعده مطنان ، ومطنان بن لاوي من سبط سليمان بن داود وسمي ماثان فولدت هالي من مطنان . ثم تزوّج ومات ولم يعقب فتزوّج امرأته أخوه لأمه يعقوب بن ماثان فولدت منه يوسف خطيب مريم ونسب إلى هالي ، لأنّ من أحكام التوراة إنْ مات من غير عقب فامرأته لاخيه وأوّل ولد منها ينسب إلى الأوّل ، فلهذا قيل فيه يوسف بن هالي بن مطنان ، وإنّما هو يوسف بن يعقوب بن ماثان وهو ابن عمّ مريم لحا[1] .

وكان ليوسف من البنين خمسة بنين وبنت وهم يعقوب ويوشا وبيلوت وشمعون ويهوذا وأختهم مريم ، كانوا يسكنون بيت لحم . فارتحل بأهله ونزل ناصرة وسكن بها وتعلم النجارة حتى صار يلقّب بالنجار. وتزوّج يؤاقيم حنّة أخت إيشاع العاقر امرأة زكريّا بن يوحنا المعمدان ، وأقامت ثلاثين سنة لا يولد لها ، فدعوا الله وولد لها مريم فهي بنت يؤاقيم موثان وهو مثان . وولدت إيشاع العاقر من زكريا ابنه يحيى . قلت في التنزيل مريم ابنة عمران فليعلم أن معنى عمران بالعبرانية يؤاقيم وكان له إسمان اهـ .

وعن الطبري وكانت حنة أم مريم لا تحبل ، فنذرت لله إنْ حملت لتجعلن ولدها حبيساً ببيت المقدس على خدمته على عاداتهم في نذر مثله ، فلما حملت ووضعتها لفتها في خرقتها وجاءت بها إلى المسجد فدفعتها إلى عباده وهي ابنة امامهم وكهنونهم ، فتنازعوا في كفالتها ، وأراد زكريّا أن يستبدّ بها لأنّ زوجه إيشاع خالتها ، ونازعوه في ذلك لمكان أبيها من إمامهم ، فاقترعوا فخرجت قرعة زكريّا عليها فكفلها ووضعها في

(١) لحّا : بفتح اللام وشد الحاء المهملة قاله نصر .

مكان شريف من المسجد لا يدخله سواها وهو المحراب فيما قيل . والظاهر أنّها دفعتها إليهم بعد مدّة إرضاعها .

فأقامت في المسجد تعبد الله وتقوم بسدانة البيت في نوبتها حتى كان يضرب بها المثل في عبادتها ، وظهرت عليها الأحوال الشريفة والكرامات كما قصّه القرآن . وكانت خالتها إيشاع زوج زكريا أيضا عاقراً ، وطلب زكريّا من الله ولداً ، فبشره بيحيى نبياً كما طلب ، لأنه قال يرثني ويرث من آل يعقوب وهم أنبياء فكان كذلك . وكان حاله في نشوه وصباه عجباً وولد في دولة هيردوس ملك بني اسرائيل ، وكان يسكن القفار ويقتات الجراد ويلبس الصوف من وبر الإبل ، وولّاه اليهود الكهنونية ببيت المقدس ، ثم أكرمه الله بالنبوّة كما قصه القرآن . وكان لعهده على اليهود بالقدس أنطيفس بن هيردوس وكان يسمى هيردوس[٢] باسم أبيه ، وكان شريراً فاسقاً واغتصب امرأة أخيه وتزوّجها ولها ولدان منه ، ولم يكن ذلك في شرعهم مباحاً ، فنكر ذلك عليه العلماء والكهنونية وفيهم يحيى بن زكريا ، المعروف بيوحنان ويعرّفه النصارى بالمعمدان ، فقتل جميع من نكر عليه ذلك وقتل فيهم يحيى صلوات الله عليه . وقد ذكر في قتله أسباب كثيرة وهذا أقربها إلى الصحة .

وقد اختلف الناس هل كان أبوه حيّاً عند قتله فقيل إنه لما قتل يحيى طلبه بنو إسرائيل ليقتلوه ، ففرّ أمامهم ودخل في بطن شجرة كرامة له فدلهم عليه طرف ردائه خارجاً منها ، فشقوها بالمنشار وشق زكريا فيها نصفين . وقيل بل مات زكريا قبل هذا والمشقوق في الشجرة إنما هو شعيا النبي وقد مرّ ذكره . وكذلك اختلف في دفنه فقيل دفن ببيت المقدس وهو الصحيح . وقال ابو عبيد بسنده إلى سعيد بن المسيب أنّ بختنصر لما قدم دمشق وجد دم يحيى بن زكريّا يغلي ، فقتل على دمه سبعين ألفاً فسكن دمه . ويشكل أنّ يحيى كان مع المسيح في عصر واحد باتفاق وأنّ ذلك كان بعد بختنصر بأحقاب متطاولة وفي هذا ما فيه . وفي الإسرائيليات من تأليف يعقوب بن يوسف النجّار أنّ هيردوس قتل زكريا عندما جاء المجوس للبحث عن إيشوع والانذار به ، وأنه طلب ابنه يوحنّا ليقتله مع من قتل من صبيان بيت لحم ، فهربت به أمّه إلى الشقراء واختفت . فطالب به أباه زكريّا وهو كهنون في الهيكل ، فقال لا

---

(٢) وفي الانجيل : هيرودس .

علم لي هو مع أمّه فتهدّده وقتله . ثم قال بعد قتل زكريا بسنة تولى الكهنونية يعقوب بن يوسف إلى أن مات هيرودوس .

وأما مريم سلام الله عليها فكانت بالمسجد على حالها من العبادة إلى أن أكرمها الله بالولاية وبين الناس في نبوّتها خلاف من أجل خطاب الملائكة لها . وعند أهل السنة أنّ النبوّة مختصة بالرجل ، قاله أبو الحسن الأشعري وغيره وأدلة الفريقين في أماكنها .

وبشرت الملائكة مريم باصطفاء الله لها ، وأنها تلدُ ولداً من غير أب يكون نبيّاً ، فعجبت من ذلك فأخبرتها الملائكة أنّ الله قادر على ما يشاء ، فاستكانت وعلمت أنها محنة بما تلقاه من كلام الناس فاحتسبت .

وفي كتاب يعقوب بن يوسف النجّار أنّ أمّها حنّة توفيت لثمان سنين من عمر مريم ، وكان من سنتهم أنها إن لم تقبل التزويج يفرض لها من أرزاق الهيكل ، فأوحى الله إليه أن يجمع أولاد هارون ويردّها إليهم ، فمن ظهرت في عصاه آية تدفعها إليه تكون له شبه زوجة ولا يقربها ، وحضر الجمع يوسف النجار فخرج من عصاه حمامة بيضاء ووقفت على رأسه ، فقال له زكريّا هذه عزراء الرب تكون لك شبه زوجة ولا تردها . فاحتملها متكرّها بنت إثنتي عشرة سنة إلى ناصرة فأقامت معه ، إلى أن خرجت يوماً تستسقي من العين فعرض لها الملك[1] أوّلاً وكلّمها ثم عاودها وبشّرها بولادة عيسى كما نصّ القرآن . فحملت وذهبت إلى زكريا ببيت المقدس فوجدته على الموت وهو يجود بنفسه ، فرجعت الى ناصرة ، ورأى يوسف الحمل فلطم وجهه وخشي الفضيحة مع الكهنونية فيما شرطوا عليه ، فأخبرته بقول الملك ، فلم يصدّق وعرض له الملك في نومه وأخبره أنّ الذي بها من روح القدس ، فاستيقظ وجاء إلى مريم فسجد لها وردّها إلى بيتها . ويقال إنّ زكريا حضر لذلك وأقام فيهما سنة اللعان الذي أوصى به موسى ، فلم يصبها شيء وبرّأهما الله . ووقع في إنجيل متّى أنّ يوسف خطب مريم ووجدها حاملا قبل أن يجتمعا ، فعزم على فراقها خوفاً من الفضيحة ، فأمر في نومه أن يقبلها وأخبره الملك بأن المولود من روح القدس ، وكان يوسف صديقاً وولد على فراشه إيشوع انتهى .

وقال الطبريّ : كانت مريم ويوسف بن يعقوب ابن عمها ، وفي رواية عنه أنه ابن خالها ، وكانوا سدنة في بيت المقدس لا يخرجان منه إلاّ لحاجة الإنسان ، وإذا نفد

(١) وفي نسخة اخرى : الملاك .

ماؤهما فيملآن من أقرب المياه . فمضت مريم يوماً وتخلف عنها يوسف ، ودخلت المغارة التي كانت تعهد أنها للوِرْد ، فتمثّل لها جبريل بشراً ، فذهبت لتجزع ، فقال لها «إنّما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زَكياً» فاستسقاها . وعن وهب بن منبه أنه نفخ في جيب درعها فوصلت النفخة إلى الرحم ، فاشتملت على عيسى ، فكان معها ذو قرابة يسمى يوسف النجّار ، وكان في مسجد بجبل صهيون ، وكان لخدمته عندهم فضلٌ ، وكانا يجمرانه ويقمانه . وكانا صالحين مجتهدين في العبادة ، ولما رأى ما بها من الحمل استعظمه وعجب منه لما يعلم من صلاحها وأنها لم تغب قط عنه ، ثم سألها فردّت الأمر إلى قدرة الله ، فسكت وقام بما ينو بها من الخدمة . فلما بان حملها أفضت بذلك إلى خالتها إيشاع ، وكانت أيضا حبلى بيحيى ، فقالت لها اني أرى ما في بطني يسجد لما في بطنك . ثم أمرت بالخروج من بلدها خشية أن يعيرها قومها ويقتلوا ما في بطنها ، فاحتملها يوسف إلى مصر وأخذها المخاض في طريقها ، فوضعته كما قصّه القرآن ، واحتملته على الحمار ، وأقامت تكتم أمرها من الناس وتتحفظ به ، حتى بلغ إثنتي عشرة سنة وظهرت عليه الكرامات ، وشاع خبره ، فأمرت أن ترجع به إلى إيليّاء فرجعت . وتتابعت عنه المعجزات وانثال الناس عليه يستشفون ويسألون عن الغيوب .

قال الطبريّ : وفي خبر السدّي أنّها إنمّا خرجت من المسجد لحيض أصابها ، فكان نفخ الملك ، وأنّ إيشاع خالتها التي سألتها عن الحمل وناظرتها فيه فحجتها بالقدرة ، وأنّ الوضع كان في شرقي بيت لحم قريبا من بيت المقدس وهو الذي بنى عليه بعض ملوك الروم البناء الهائل لهذا العهد .

قال ابن العميد مؤرخ النصارى : ولد لثلاثة أشهر من ولادة يحيى بن زكريا ، ولاحدى وثلاثين من دولة هيردوس الاكبر ، ولإثنتين وأربعين من ملك أوغسطس قيصر .

وفي الإنجيل أنّ يوسف تزوّجها ومضى بها ليكتم أمرها في بيت لحم ، فوضعته هنالك ووضعته في مذود لأنها لم يكن لها موضع نزل . وأنّ جماعة من المجوس بعثهم ملك الفرس يسألون أين ولد الملك العظيم ؟ وجاؤا الى هيردوس يسألونه وقالوا جئنا لنسجد له ، وحدّثوه بما أخبر الكهان وعلماء النجوم من شأن ظهوره ، وأنه يولد ببيت لحم من ابن سنتين فما دونها . وسمع اوغسطس قيصر بخبر المجوس فكتب إلى هيردوس يسأله ،

فكتب له بمصدوقية خبره وأنه قتل فيمن قتل من الصبيان . وكان يوسف النّجار قد أمر أن يخرج به الى مصر ، فأقام هنالك إثنتي عشرة سنة ، وظهرت عليه الكرامات ، وهلك هيرودوس الذي كان يطلبه وأمروا بالرجوع إلى إيليا ، فرجعوا . وظهر صدق شعيا النبيّ في قوله عنه من مصر دعوتك . وفي كتاب يعقوب بن يوسف النجّار حذراً من أن يكتب كما أمر أوغسطس في بعض أيامه فاجأها المخاض وهي في طريقها على حمار ، فصابرته إلى قرية بيت لحم وولدت في غار وسماه إيشوع ، وأنه لما بلغ سنتين ، وكان من أمر المجوس ما قدّمناه ، حذر هيرودوس من شأنه وأمر أن يقتل الصبيان ببيت لحم ، فخرج يوسف به وبأمّه إلى مصر ، أمر بذلك في نومه ، وأقام بمصر سنتين حتى مات هيرودوس ، ثم أمر بالرجوع فرجع الى ناصرة ، وظهرت عليه الخوارق من احياء الموتى وابراء المعتوهين وخلق الطير وغير ذلك من خوارقه ، حتى اذا بلغ ثماني سنين كفّ عن ذلك .

ثم جاء يوحنان(١) المعمدان من البرية ، وهو يحيى بن زكريا ، ونادى بالتوبة والدعاء إلى الدين ، وقد كان شعيا أخبر أنه يخرج أيام المسيح ، وجاء المسيح من الناصرة ولقيه بالأردن فعمده يوحنان وهو ابن ثلاثين سنة ، ثم خرج الى البرية واجتهد في العبادة والصلاة والرهبانية واختار تلامذته الإثني عشر : سمعان بطرس وأخوه أندراوس ويعقوب بن زيدي وأخوه يوحنا وفيلبس وبرتولوماوس وتوما ومتى العشار ويعقوب بن حلفا وتداوس وسمعان القناني(٢) ويهوذا الأسخريوطي . وشرع في إظهار المعجزات . ثم قبض هيرودوس الصغير على يوحنان وهو يحيى بن زكريا لنكيره عليه في زوجة أخيه ، فقتله ودفن بنابلس .

ثم شرّع المسيح الشرائع من الصلاة والصوم وسائر القربات ، وحلّل وحرّم وأنزل عليه الانجيل ، وظهرت على يديه الخوارق والعجائب ، وشاع ذكره في النواحي ، واتّبعه الكثير من بني إسرائيل ، وخافه رؤساء اليهود على دينهم ، وتآمروا في قتله . وجمع عيسى الحواريين فباتوا عنده ليلتين يطعمهم ويبالغ في خدمتهم بما استعظموه ، قال وإنما فعلته لتتأسوا به ، وقال يعظهم ليكفرنّ بي بعضكم قبل أن يصيح الديك ثلاثاً ويبيعني أحدكم بثمن بخس وتأكلوا ثمني ، ثم افترقوا . وكان اليهود قد بعثوا العيون

(١) وفي الانجيل يوحنا .

(٢) وفي انجيل متى : سمعان الغيور او سمعان القناني او القانوني .

عليهم ، فأخذوا شمعون من الحواريين فتبرّأ منهم وتركوه ، وجاء يهوذا الأسخريوطي وبايعهم على الدلالة عليه بثلاثين درهماً ، وأراهم مكانه الذي كان يبيت فيه ، وأصبحوا به إلى فلاطش النبطي [1] قائد قيصر على اليهود . وحضر جماعة الكهنونية وقالوا هذا يفسد ديننا ويحل نواميسنا ويدّعي الملك فاقتله . وتوقف فصاحوا به وتوعدوه بإبلاغ الأمر إلى قيصر فأمر بقتله .

وكان عيسى قد أبلغ الحواريين بأنه يشبه على اليهود في شأنه فقتل ذلك الشبه وصلب ، وأقام سبعاً . وجاءت أمّه تبكي عند الخشبة فجاءها عيسى وقال : مالك تبكي ؟ قالت : عليك . قال : إنّ الله رفعني ولم يصبني إلاّ خير وهذا شيء شبه لهم ، وقولي للحواريين يلقوني بمكان كذا . فانطلقوا إليه وأمرهم بتبليغ رسالته في النواحي ، كما عين لهم من قبل . وعند علماء النصارى أن الذي بعث من الحواريين إلى رومة بطرس ومعه بولس من الأتباع ولم يكن حوارياً ، وإلى أرض السودان والحبشة ويعبرون عن هذه الناحية بالأرض التي تأكل أهلها والناس متّى العشار ، وأندراوس إلى أرض بابل ، والمشرق توماس ، وإلى أرض أفريقية فيلبس ، وإلى أفسوس قرية أصحاب الكهف يوحناس ، وإلى أورشليم وهي بيت المقدس يوحنا ، وإلى أرض العرب والحجاز برتلوماوس ، وإلى أرض برقة والبربر شمعون القناني .

قال ابن إسحق : ثم وثب اليهود على بقية الحواريين يعذبونهم ويفتنونهم ، وسمع قيصر بذلك وكتب إليه فلاطش النبطي قائده بأخباره ومعجزاته وبغي اليهود عليه وعلى يوحنان قبله ، فأمرهم بالكف عن ذلك . ويقال قتل بعضهم . وانطلق الحواريّون إلى الجهات التي بعثهم إليها عيسى فآمن به بعضٌ وكذب بعضٌ . ودخل يعقوب أخو يوحنان إلى رومة فقتله غاليوس قيصر وحبس شمعونَ ، ثم خلص وسار إلى أنطاكية ثم رجع إلى رومة أيام قلوديش قيصر بعد غاليوس ، واتبعه كثير من الناس وآمن به بعض نساء القياصرة وأخبرها بخبر الصليب ، فدخلت إلى القدس وأخرجته من تحت الزبل والقمامات بمكان الصلب وغشته بالحرير والذهب وجاءت به إلى رومة .

وأما بطرس كبير الحواريين وبولص اللذان بعثهما عيسى صلوات الله عليه إلى رومة فانهما مكثا هنالك يقيمان دين النصرانية ، ثم كتب بطرس الإنجيل بالرومية ونسبه إلى مرقص تلميذه ، وكتب متّى انجيله بالعبرانية في بيت المقدس ونقله من بعد ذلك

(١) وفي الانجيل بيلاطس البنطي .

يوحنّان بن زيدي إلى رومة ، وكتب لوقا انجيله بالرومية وبعثه الى بعض أكابر الروم ، وكتب يوحنّا بن زيدي انجيله برومة . ثم اجتمع الرسل الحواريون برومة ووضعوا القوانين الشرعية لدينهم وصيروها بيد إقليمنطس تلميذ بطرس ، وكتبوا فيها عدّ الكتب التي يجب قبولها ، فمن القديمة : التوراة خمسة أسفار ، وكتاب يوشع بن نون ، وكتاب القضاة ، وكتاب راعوث ، وكتاب يهوذا ، وأسفار الملوك أربعة كتب ، وسفر بنيامين ، وسفر المقباسين[1] ثلاثة كتب ، وكتاب عزرا الامام ، وكتاب أشير ، وكتاب قصة هامان ، وكتاب أيّوب الصديق ، ومزامير داود النبي ، وكتب ولده سليمان خمسة ، ونبوّات الأنبياء الصغار والكبار ستة عشر كتاباً ، وكتاب يشوع بن شارخ[2] . ومن الحديثة : كتب الإنجيل الأربعة ، وكتب القتاليقون سبع رسائل ، وكتاب بولس أربع عشرة رسالة ، والإيركْسيس وهو قصص الرسل ويسمى أفليمد ثمانية كتب تشتمل على كلام الرسل وما أمروا به ونهوا عنه .

وكتاب النصارى الكبار إلى أساقفتهم الذين يسمون البطارقة ببلاد معينة يعلمون بها دين النصرانية فكان : برومة بطرس الرسول الذي بعثه عيسى صلوات الله عليه ، وكان ببيت المقدس يعقوب النجّار ، وكان بالاسكندرية مرقص تلميذ بطرس ، وكان ببيزنطية وهي قسطنطينية أندرواس[3] الشيخ ، وكان بانطاكية[4] .

وكان صاحب هذا الدين عندهم والمقيم لمراسمه يسمونه البطرك وهو رئيس الملّة وخليفة المسيح فيهم ، ويبعث نوّابه وخلفاءه إلى من بَعُدَ عنهم من أُمم النصرانية ويسمّونه الأسقف أي نائب البطرك ، ويسمّون القرّا بالقسيس ، وصاحب الصلاة بالجاثليق ، وقومة المسجد بالشمامسة ، والمنقطع الذي حبس نفسه في الخلوة للعبادة بالراهب ، والقاضي بالمطران . ولم يكن بمصر لذلك العهد أسقف الى أن جاء دهدس الحادي عشر من أساقفة اسكندرية وكان بطرك أساقفة بمصر . وكان الاساقفة يسمون البطرك أبا ، والقسوس يسمون الأساقفة أبا ، فوقع الاشتراك في اسم الاب ، فاخترع اسم

---

(١) وهو سفر المكتابيين وهو كتابان : الاول والثاني ، كما في التوراة .

(٢) وفي التوراة : يشوع بن سيراخ .

(٣) وفي الانجيل اندراوس .

(٤) بياض بالاصل وفي الانجيل : وكان في الكنيسة التي بانطاكية انبياء ومعلمون منهم برنابا وسمعان الملقب بالاسود ولو قيوس القيرواني ومناين الذي تربى مع هيردوس رئيس الربع وشارل (اعمال الرسل الفصل ١٣) .

البابا لبطرك الاسكندرية ليتميز عن الأسقف في اصطلاح القسوس ، ومعناه أبو الاباء فاشتهر هذا الاسم . ثم انتقل الى بطرك رومة لأنه صاحب كرسي بطرس كبير الحواريين ورسول المسيح ، وأقام على ذلك لهذا العهد يسمى البابا .

ثم جاء بعد قلوديش قيصر نيرون قيصر فقتل بطرس كبير الحواريين وبولص اللذين بعثهما عيسى صلوات الله عليه الى رومة ، وجعل مكان بطرس أرنوس برومة . وقتل مرقص الإنجيلي تلميذ بطرس وكان بالاسكندرية يدعو الى الدين سبع سنين ويبعثه في نواحي مصر وبرقة والمغرب وقتله نيرون ، وولى بعده حنينيا وهو أوّل البطاركة عليها بعد الحواريين . وثار اليهود في دولته على أسقف بيت المقدس وهو يعقوب النجّار وهدموا البيعة ودفنوا الصليب الى أن أظهرته هيلانة أم قسطنطين كما نذكره بعد ، وجعل نيرون مكان يعقوب النجّار ابن عمه شمعون بن كيافا .

ثم اختلفت حال القياصرة من بعد ذلك في الأخذ بهذا الدين وتركه كما يأتي في أخبارهم ، الى أن جاء قسطنطين بن قسطنطين باني المدينة المشهورة ، وكانت في مكانها قبله مدينة صغيرة تسمى بيزنطية . وكانت أمه هيلانه صالحة فأخذت بدين المسيح لإثنتين وعشرين سنة من ملك قسطنطين ابنها ، وجاءت إلى مكان الصليب فوقفت عليه وترحمت وسألت عن الخشبة التي صلب عليها بزعمهم ، فأخبرت بما فعل اليهود فيها وأنهم دفنوها وجعلوا مكانها مطرحاً للقمامة والنجاسة والجيف والقاذورات ، فاستعظمت ذلك واستخرجت تلك الخشبة التي صلب عليها بزعمهم ، وقيل من علامتها أن يمسها ذو العاهة فيعافى لوقته ، فطهرتها وطيبتها وغشتها بالذهب والحرير ، ورفعتها عندها للتبرك بها ، وأمرت ببناء كنيسة هائلة بمكان الخشبة تزعم أنها قبره وهي التي تسمى لهذا العهد قمامة[1] . وخرّبت مسجد بني إسرائيل وأمرت بأن تلقى القاذورات والكناسات على الصخرة التي كانت عليها القبة التي هي قبلة اليهود ، إلى أن أزال ذلك عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه عند فتح بيت المقدس كما نذكره هنالك .

وكان من ميلاد المسيح إلى وجود الصليب ثلثمائة وثمان وعشرون سنة ، وأقام هؤلاء النصرانية بطاركتهم وأساقفتهم على إقامة دين المسيح على ما وضعه الحواريون من القوانين والعقائد والأحكام . ثم حدث بينهم اختلاف في العقائد وسائر ما ذهبوا إليه

(١) كان اسمها قيامه فحرفوها قامه . كذا في الخطط قاله نصر . اهـ .

من الإيمان بالله وصفاته ، وحاش لله وللمسيح وللحواريّين أن يذهبوا إليه ، وهو معتقدهم التثليث . وإنما حملهم عليه ظواهر من كلام المسيح في الإنجيل لم يهتدوا إلى تأويلها ، ولا وقفوا على فهم معانيها ، مثل قول المسيح حين صلب بزعمهم : أذهب إلى أبي وأبيكم . وقال : افعلوا كذا وكذا من البر لتكونوا أبناء أبيكم في السماء وتكونوا تامّين ، كما أنّ أباكم الذي في السماء تامّ . وقال له في الإنجيل إنّك أنت الابن الوحيد . وقال له شمعون الصفا إنك ابن الله حقاً . فلما أثبتوا هذه الأبوة من ظاهر هذا اللفظ زعموا أنّ عيسى ابن مريم من أب قديم ، وكان اتصاله بمريم تجسد كلمة منه مازجت جسد المسيح وتدرعت به ، فكان مجموع الكلمة والجسد ابناً ، وهو ناسوت كلي قديم أزلي ، وولدت مريم إلهاً أزلياً والقتل والصلب وقع على الجسد والكلمة ، ويعبرون عنهما بالناسوت واللاهوت .

وأقاموا على هذه العقيدة ووقع بينهم فيها اختلاف ، وظهرت مبتدعة من النصرانية اختلفت أقوالهم الكفرية ، كان من أشدّهم ابن دنصان ، ودافعهم هؤلاء الأساقفة والبطاركة عن معتقدهم الذين كانوا يزعمونه حقًّا ، وظهر يونس الشميصانيّ بطرك انطاكية بعد حين أيام افلوديس قيصر ، فقال بالوحدانية ونفى الكلمة والروح ، وتبعه جماعة على ذلك . ثم مات فردّ الأساقفة مقالته وهجروها ولم يزالوا على ذلك إلى أيام قسطنطين بن قسطنطين ، فتنصّر ودخل في دينهم . وكان باسكندرية أسكندروس البطرك وكان لعهده أريوش[1] من الأساقفة ، وكان يذهب الى حدوث الإبن وأنه إنما خلق الخلق بتفويض الأب إليه في ذلك ، فمنعه اسكندروس الدخول إلى الكنيسة وأعلم أن إيمانه فاسد ، وكتب بذلك إلى سائر الأساقفة والبطاركة في النواحي . وفعل ذلك بأسقفين آخرين على مثل رأي أريوش ، فدفعوا أمرهم إلى قسطنطين وأحضرهم جميعاً لتسع عشرة من دولته ، وتناظروا . ولما قال أريوش : إنّ الإبن حادث وأنّ الأب فوّض إليه بالخلق . وقال الإسكندروس : بالخلق استحق الألوهية ، فاستحسن قسطنطين قوله وأذن له أن يشيد بكفر أريوش .

وطلب الإسكندروس باجتماع النصرانية لتحرير المعتقد الإيماني ، فجمعهم قسطنطين وكانوا ألفين وثلثمائة وأربعين أسقفاً وذلك في مدينة نيقية ، فسمي المجتمع مجتمع نيقية ، وكان رئيسهم الإسكندروس بطرك إسكندرية ، وأسطانس بطرك أنطاكية ،

---

(١) وفي نسخة اخرى أريوس .

ومقاريوس أسقف بيت المقدس . وبعث سلطوس بطرك رومة بقسيس حضر معهم لذلك نيابة عنه ، فتفاوضوا وتناظروا واتفقوا عنهم ، بعد الاختلاف الكثير ، على ثلثمائة وثمانية عشر أسقفاً على رأي واحد ، فصار قسطنطين إلى قولهم ، وأعطى سيفه وخاتمه وباركوا عليه ووضعوا له قوانين الدين والملك ، ونفى أريوش وأشيد بكفره وكتبوا العقيدة التي اتفق عليها أهل ذلك المجمع ، ونصّها عندهم على ما نقله ابن العميد من مؤرخيهم والشهرستاني في كتاب الملل والنحل وهو :

« نؤمن بالله الواحد الأحد الأب مالك كل شيء وصانع ما يرى وما لا يرى وبالابن الوحيد إيشوع المسيح(٢) ابن الله ذكر الخلائق كلها وليس بمصنوع إلهٌ حقٌ من جوهر أبيه الذي بيده أتقنت العوالم وكل شيء اللذي من أجلنا ومن أجل خلاصنا بعث العوالم وكل شيء الذي نزل من السماء وتجسد من روح القدس وولد من مريم البتول وصلب أيام فيلاطوس ودفن ثم قام في اليوم الثالث وصعد إلى السماء وجلس على يمين أبيه وهو مستعدّ للمجيء تارة أخرى بالقضاءِ بين الاحياء والأموات ونؤمن بروح الواحد روح الحق الذي يخرج من أبيه بمعمودية واحدة لغفران الخطايا وبجماعة قدسية مسيحية جاثليقية وبقيام أبداننا بالحياة الدائمة أبد الآبدين انتهى » .

هذا هو اتفاق المجمع الأوّل الذي هو مجمع نيقية وفيه إشارة إلى حشر الأبدان ولا يتفق النصارى عليه ، وإنما يتفقون على حشر الأرواح ويسمون هذه العقيدة الأمانة ، ووضعوا معها قوانين الشرائع ويسمونها الهمايون :

وتوفي الإسكندروس البطرك بعد هذا المجمع بخمسة أشهر ، ولما عمرت هلانة أم قسطنطين الكنائس وأحب الملك أن يقدسها ويجمع الاساقفة لذلك ، وبعث أوسانيوس بطرك القسطنطينية وحضر معهم أثناس بطرك الإسكندرية ، واجتمعوا في صور وكان أوسانيوس الذي أخرجه إسكندروس مع أريوس من كنيسة إسكندرية . وكان بسبب ذلك مجمع نيقية وكتاب الأمانة . ونفي أريوس حينئذ وأوسانيوس وصاحبهما ولعنوا . جاء أوسانيوس من بعد ذلك وأظهر البراءة من أريوس ومن مقالته فقبله قسطنطين وجعله بطركاً بالقسطنطينية ، فلما اجتمعوا في صور وكان فيهم أومانيوس على رأي أريوس ، فأشار أوسانيوس بطرك القسطنطينية بأن يظاهر أثناس بطرك الاسكندرية عن مقالة أريوس . فقال أومانيوس : إنّ أريوس لم يقل إنّ المسيح

(٢) وهو يسوع المسيح كما في الانجيل .

خلق العالم وإنما قال هو كلمة الله التي بها خلق كما وقع في الإنجيل . فقال أثناس بطرك الاسكندرية : وهذا الكلام أيضا يقتضي أنّ الابن مخلوق وأنه خلق المخلوقات دون الأب لأنه إذا كان يخلق به فالأب لم يخلق شيئا لأنه مستعين بغيره والفاعل بغيره محتاج إلى ذلك المتمّم فهو في ذاته الخالق والله سبحانه منزّه عن ذلك وإن زعم أريوس ان الاب يريد الشيء والابن يكّونه فقد جعل فعل الإبن أتمّ لأنّ الاب إنما له الارادة فقط وللابن الإختراع فهو أتم .

فلما ظهر بطلان مقالة أريوس وثبوا على أومانيوس المناظر عن مقالة أريوس وضربوه ضربا وجيعا ، وخلصه ابن اخت الملك ، ثم قدّسوا الكنائس ، وانفضّ الجمع وبلغ الخبر إلى قسطنطين فندم على بطركية أوسانيوس بالقسطنطينية وغضب عليه ومات لستين من رئاسته ، واجتمع بعد ذلك أصحاب أريوس إلى قسطنطين فحسنوا له تلك المقالة ، وأنّ جماعة نيقية ظلموا أريوس وبغوا عليه وصدّوا عن الحق في قولهم إنّ الاب مساوٍ للإبن في الجوهرية وكاد الملك أن يقبل منهم . فكتب إليه كيراش أسقف بيت المقدس يحذره من مقالة أريوس فقبل ورجع . واختلف حال ملوك القياصرة بعد قسطنطين في الأخذ بالأمانة أو بمقالة أريوس ، وظهور إحدى الطائفتين متى كان الملك على دينهم . وأفحش بعض ملوك القياصرة في الحق على مخالفه ، فقال له بعض العلماء والحكماء : لا تنكر المخالفة فالحنفاء يختلفون أيضا وإنما هم الخلق يحمدون الله ويصفونه بالصفات الكثيرة والله يحب ذلك . فسكن بعض الشيء وكان بعضهم يعرض عن الطائفتين ويخلي كل أحد ودينه .

ثم كان المجمع الثاني بقسطنطينية بعد مجمع نيقية بمائتين وخمسين سنة اجتمعوا للنظر في مقالة مقدونيوس وسليوس ، بأن جسد المسيح بغيرنا موت وأنّ اللاهوت أغناه عنها ، مستدلين بما وقع في الإنجيل أنّ الكلمة صار لحماً ولم يقل صار انساناً ، وجعلا من الإله عظيماً وأعظم منه والأب أفضل عظماً . وقال : إن الأب غير محدود في القوّة وفي الجوهر . فأبطلوا هذه المقالة ولعنوهما وأشادوا بكفرهما وزادوا في الأمانة التي قرّرها جماعة نيقية ما نصه : « ونؤمن بروح القدس المنتقى من الأب » . ولعنوا مَن يزيد بعد ذلك على كلمة الأمانة أوْ ينقص منها .

ثم كان لهم بعد ذلك بأربعين سنة المجمع الثالث على نسطوريوس البطرك بالقسطنطينية لأنه كان يقول : إنّ مريم لم تلد إلها وإنما ولدت إنساناً ، وإنما اتحد به في المشيئة لا في الذات وليس هو إلهاً حقيقية بل بالموهبة والكرامة . ويقول بجوهرين

وأقنومين : وهذا الرأي الذي أظهره نسطوريوس كان رأي تاودوس وديودوس الأسقفين ، وكـان من مقالتهما أنّ المولود من مريم هو المسيح والمولود من الآب هو الإبن الأزلي والإبن الأزلي حلّ في المسيح المحدث فسمي المسيح ابن الله بالموهبة والكرامة ، وإنّما الاتحاد بالمشيئة والارادة . فأثبتوا لله ولدين أحدهما بالجوهر والثاني بالنعمة . وبلغت مقالة نسطوريوس إلى كِرِلّس بطرك اسكندرية ، فكتب الى بطرك رومة وهو أكليمس ، وإلى يوحنا وهو بطرك أنطاكية ، وإلى يونالوس أسقف بيت المقدس . فكتبوا إلى نسطوريوس ليدفعوه عن ذلك بالحجة فلم يرجع ولا التفت إلى قولهم . فاجتمعوا في مدينة أفسيس[1] في مائتين أسقفاً للنظر في مقالته ، فقرّروا إبطالها ولعنوه وأشاروا بكفره ، ووجد عليهم يوحنّا بطرك أنطاكية حيث لم ينتظروا حضوره فخالفهم ووافق نسطوريوس ، ثم أصلح بينهم باوداسوس من بعد مدّة واتفقوا على نسطوريوس . وكتب أساقفة المشارقة أمانتهم وبعثوا بها إلى كِرِلّس فقبلها ونفى نسطوريوس إلى صعيد مصر ، فنزل أخميم ومات بها لسبع سنين من نزولها ، وظهرت مقالته في نصارى المشرق وبفارس والعراق والجزيرة والموصل الى الفرات .

وكان بعد ذلك بإحدى وعشرين سنة المجمع الرابع بمدينة خلقدونية ، اجتمع فيه ستمائة وأربعة وثلاثون أسقفاً من فتيان قيصر للنظر في مقالة ديسقورس بطرك الاسكندرية لأنه كان يقول : المسيح جوهرٌ من جوهرين وأقنوم من أقنومين وطبيعة من طبيعتين ومشيئة من مشيئتين . وكانت الأساقفة والبطاركة لذلك العهد يقولون بجوهرين وطبيعتين ومشيئتين وأقنوم واحد ، فخالفهم ديسقورس في بعض الأساقفة وكتب خطه بذلك ولعن من يخالفه . فأراد مرقيان قيصر قتله ، فأشارت البطارقة بإحضاره وجمع الأساقفة لمناظرته ، فحضر بمجلس مرقيان قيصر وافتضح في مخاطبتهم ومناظرتهم . وخاطبته زوج الملك فأساء الردّ فلطمته بيدها ، وساوله الحاضرون بالضرب ، وكتب مرقيان قيصر إلى أهل مملكته في جميع النواحي بأنّ مجمع خلقدونية هو الحق ومن لا يقبله يقتل . ومرّ ديسقورس بالقدس وأرض فلسطين وهو مضروب منفي فاتبعوا رأيه ، وكذلك اتبعه أهل مصر والإسكندرية ، وولّى وهو في النفي أساقفة كثيرة كلهم يعقوبية .

قال ابن العميد : وإنما سمي أهل مذهب ديسقورس يعقوبية لأنّ إسمه كان في الغلمانية

(١) وهي مدينة أفسس كما في الإنجيل .

يعقوب ، وكان يكتب إلى المؤمنين من المسكين المنني يعقوب . وقيل بل كان له تلميذ إسمه يعقوب فنسبوا إليه . وقيل بل كان شاويرش بطرك أنطاكية على رأي ديسقورس وكان له تلميذ إسمه يعقوب ، فكان شاويرش يبعث يعقوب إلى المؤمنين ليثبتوا على أمانة ديسقورس فنسبوا إليه .

قال : ومن جمع خلقدونية افترقت الكنائس والأساقفة إلى يعقوبية وملكية ونسطورية ، فاليعقوبية أهل مذهب ديسقورس الذي قرّرناه آنفاً ، والملكية أهل الأمانة التي قرّرها جماعة نيقية وجماعة خلقدونية بعدهم وعليها جمهور النصرانية ، والنسطورية أهل المجمع الثالث وأكثرهم بالمشرق . وبقي الملكية واليعقوبية يتعاقبون في الرياسة على الكراسي بحسب من يريدهم من القياصرة وما يختارونه من المذهبين .

ثم كان بعد ذلك بمائة وثلاثين سنة أو ثلاث وستين سنة المجمع الخامس بقسطنطينية في أيام يوسيطانوس قيصر ، للنظر في مقالة أقفسح لأنه نقل عنه أنه يقول : بالتناسخ وينكر البعث . ونقل عن أساقفة أنقرا والمصيصة والرها أنهم يقولون أنّ جسد المسيح فنطايسا[1] . فأحضر قيصر جمعهم بالقسطنطينية ليناظرهم البطرك بها ، فقال البطرك : إن كان جسد المسيح فني فقوله وفعله كذلك . وقال الأسقف أقفسح : إنما قام المسيح من بين الأموات ليحقق البعث والقيامة ، فكيف تنكر ذلك أنت ؟ وجمع لهم مائة وعشرين أسقفا فأشادوا بكفره وأوجبوا لعنتهم ولعنة من يقول بقولهم . واستقرّت فرق النصارى على هذه الثلاثة .

الخبر عن الفرس وذكر أيامهم ودولهم وتسمية ملوكهم وكيف كان مصير أمرهم الى تمامه وانقراضه

هذه الأمّة من أقدم أمم العالم وأشدهم قوة وآثاراً في الأرض ، وكانت لهم في العالم دولتان عظيمتان طويلتان : الأولى منهما الكينية ، ويظهر أنّ مبتدأها ومبتدأ دولة التبابعة وبني إسرائيل واحد وأنّ الثلاثة متعاصرة . ودولة الكينية هذه هي التي غلب عليها الإسكندر والساسانية الكسروية ، ويظهر أنها معاصرة لدولة الروم بالشام ، وهي التي غلب عليها المسلمون . وأما ما قبل هاتين الدولتين فبعيد ، وأخباره متعارضة

(١) الواضح ان هذه الكلمة محرّفة ومقتضى السياق : فَنِيَ .

ونحن ذاكرون ما اشتهر من ذلك . وأما أنسابهم فلا خلاف بين المحققين أنهم من وُلْدِ سام بن نوح وأن جدّهم الأعلى الذي ينتمون إليه هو فرس ، والمشهور أنهم من وُلْدِ إيران بن أشوذ بن سام بن نوح . وأرض إيران هي بلاد الفرس ، ولما عربت قيل لها إعراق ، هذا عند المحققين . وقيل إنهم منسوبون إلى إيران بن إيران بن أشوذ ، وقيل إلى غليم بن سام . ووقع في التوراة ذكر ملك الأهواز كردامر من بني غليم ، فهذا أصل هذا القول والله أعلم ، لأنّ الأهواز من ممالك بلاد فارس . وقيل : إلى لاوذ بن إرَم بن سام ، وقيل إلى أميم بن لاوذ ، وقيل إلى يوسف بن يعقوب بن إسحق . ويقال إنّ الساسانيّة فقط من وُلْدِ إسحق وأنه يسمى عندهم وَتَرْك ، وأنّ جدّهم منوشهر بن منشحر بن فرهس بن وَتَرْك ، هكذا نقل المسعودي هذه الأسماء وهي كما تراه غير مضبوطة . وفيما قيل : إنّ الفرس كلهم من وُلْدِ إيران بن أفريدون الآتي ذكره ، وأنّ من قبله لا يسمون بالفرس والله أعلم . وكان أوّل ما ملك إيران أرض فارس فتوارث أعقابه الملك ثم صارت لهم خراسان ومملكة النبط والجرامقة ، ثم اتسعت مملكتهم إلى الإسكندرية غرباً وباب الابواب شمالاً . وفي الكتب أنّ أرض إيران هي أرض الترك ، وعند الإسرائيليين أنهم من وُلْدِ طيراس بن يافث وإخوتهم بنو مادي بن يافث وكانوا مملكة واحدة .

فأما علماء الفرس ونسّابتهم فيأبون من هذا كله وينسبون الفرس إلى كيومرث ولا يرفعون نسبه إلى ما فوقه ، ومعنى هذا الإسم عندهم ابن الطين وهو عندهم أوّل النسب ، هذا رأيهم . وأما مواطن الفرس فكانت أوّل أمرهم بأرض فارس وبهم سميت ، ويجاورهم إخوانهم في نسب أشوذ بن سام وهم فيما قال البيهقي : الكرد والديلم والخزر والنبط والجرامقة . ثم صارت لهم خراسان ومملكة النبط والجرامقة وسائر هؤلاء الأمم ، ثم اتسعت ممالكهم إلى الإسكندرية .

وفي هذا الجيل على ما اتفق عليه المؤرخون أربع طبقات : الطبقة الأولى تسمى البيشدانية ، والطبقة الثانية تسمى الكينية ، والطبقة الثالثة تسمى الاشكانية ، والطبقة الرابعة تسمى الساسانية ، ومدة ملكهم في العالم على ما نقل ابن سعيد عن كتاب تاريخ الأمم لعليّ بن حمزة الأصبهاني ، وذلك من زمن كيومرث أبيهم إلى مهلك يزدجرد أيام عثمان أربعة آلاف سنة ومائتا سنة ونحو إحدى وثمانين سنة . وكيومرث عندهم هو أوّل ملك نصب في الارض ويزعمون ، فيما قال المسعودي ، أنه

عاش ألف سنة ، وضبطه بكاف أوّل الإسم قبل الياء المثناة من أسفل ، والسهيلي ضبطه ، بجيم مكان الكاف والظاهر أنّ الحرف بين الجيم والكاف كما قدّمناه .

الطبقة الاولى من الفرس وذكر ملوكهم وما صار اليه في الخليقة أحوالهم

الفرس كلهم متفقون على أنّ كيومرت هو آدم الذي هو أوّل الخليقة ، وكان له ابن إسمه منشا ولمنشا سيامك ولسيامك أفروال ومعه أربعة بنين وأربع بنات ، ومن أفروال كان نسل كيومرت ، والباقون انقرضوا فلا يعرف لهم عقب . قالوا : وولد لأفروال أوشهنك بيشداد ، فاللفظة الأولى حرفها الأخير بين الكاف والقاف والجيم واللفظة الأخرى معناها بلغتهم النور ، قاله السهيلي .

وقال الطبري : أوّل حاكم بالعدل ، وكان أفروال وارث ملك كيومرت وملك الاقاليم السبعة . قال الطبري عن ابن الكلبي : إنه أوشهنك بن عابر بن شالخ ، قال : والفرس تدعيه وتزعم أنه بعد آدم بمائتي سنة ، قال وإنما كان نوح بعد آدم بمائتي سنة فصيره بعد آدم . وأنكره الطبري لأنّ شهرة اوشهنك تمنع من مثل هذا الغلط فيه ، ويزعم بعض الفرس أنّ أوشهنك بيشداد هو مهلايل وأنّ أباه أفروال هو قينن وأنّ سيامك هو أنوش وأنّ منشا هو شيث وأنّ كيومرت هو آدم . قال وزعمت الفرس أنّ ملك أوشهنك كان أربعين سنة فلا يبعد أن يكون بعد آدم بمائتي سنة . وقال بعض علماء الفرس : أنّ كيومرت هوكومر بن يافث بن نوح ، وأنه كان معمراً ونزل جبل دنباوند من جبال طبرستان وملكها ، ثم ملك فارس وعظم أمره وأمر بنيه حتى ملكوا بابل . وأنّ كيومرت هو الذي بنى المدن والحصون واتخذ الخيل وتسمى بآدم وحمل الناس على دعائه بذلك ، وأنّ الفرس من عقب ولده ماداي ، ولم يزل الملك في عقبهم في الكينية والكسرويّة إلى آخر أيامهم .

وتقول الفرس أنّ أوشهنك وهو مهلايل ملك الهند ، قالوا وملك بعد أوشهنك طهمورث بن أنوجهان بن أنكهد بن أسكهد بن أوشهنك . وقيل مكان أسكهد فيشداد ، وكلّها أسماء أعجمية لا عهدة علينا في نقلها لعجمتها وانقطاع الرواية في الأصول التي نقلت منها .

قال ابن الكلبي : إنّ طهمورث أوّل ملوك بابل وأنه ملك الأقاليم كلها وكان محموداً في ملكه وفي أوّل سنة من ملكه ظهر بيوراسب ودعا إلى ملة الصابئة . وقال علماء الفرس : ملك بعد طهمورث جمشيد ومعناه الشجاع لجماعة وهو جمّ بن نوجهان أخو طهمورث ، وملك الأرض واستقام أمره ، ثم بطر النعمة وساءت أحواله فخرج عليه قبل موته بسنة بيوراسب وظفر به فنشره بمنشار وأكله وشرط أمعاءه . وقيل إنه ادّعى الربوبية فخرج عليه أوّلاً أخوه أستوير فاختفى . ثم خرج بيوراسب فانتزع الأمر من يده وملك سبعمائة سنة . وقال ابن الكلبي مثل ذلك .

قال الطبري : بيوراسب هو الازدهاك والعرب تسميه الضحاك ، وهو بصاد بين السين والزاي وجاء قريب من الهاء وكاف قريبة من القاف وهو الذي عني أبو نواس بقوله :

وكان منّا الضحاك تعبده الـ * جامل[1] والجن في محاربها

لأنّ اليمن تدعيه . قال : وتقول العجم إنّ جمشيد زوّج أخته من بعض أهل بيته وملك على اليمن فولدت الضحاك . وتقول أهل اليمن في نسبه الضحاك بن علوان بن عبيدة بن عويج ، وأنه بعث على مصر أخاه سنان بن علوان ملكاً وهو فرعون إبراهيم ، قاله ابن الكلبيّ .

وأما الفرس فينسبونه هكذا : بيوراسب بن رتيكان بن ويدوشتك بن فارس بن أفروال ، ومنهم من خالف في هذا . ويزعمون أنه ملك الأقاليم كلّها ، وكان ساحراً كافراً وقتل أباه ، وكان أكثر إقامته ببابل .

وقال هشام : ملك الضحاك وهو نمرود الخليل بعد جمشيد وأنّه التاسع منهم ، وكان مولده بدنباوند ، وأنّ الضحاك سار إلى الهند فخالفه أفريدون إلى بلاده فملكها ، ورجع الضحاك فظفر به أفريدون وحبسه بجبال دنباوند ، واتخذ يوم ظفر به عيداً .

وعند الفرس أنّ الملك إنّما كان للبيت الذي وطنه أوشهنك وجمشيد وأن الضحاك هو بيوراسب خرج عليهم وبنى بابل ، وجعل النبط جنده ، وغلب أهل الأرض بسحره ، وخرج عليه رجل من عامّة أصبهان إسمه عالي ، وبيده عصا علّق فيها جراباً واتخذها رايةً ، ودعا الناس إلى حربه ، فأجابوا وغلبه فلم يدع الملك وأشار بتولية بني جمشيد لأنّه من عقب أوشهنك ملكهم الأوّل ابن أفروال ، فاستخرجوا أفريدون من مكان اختفائه فملكوه واتبع الضحاك فقتله ، وقيل أسره بدنباوند . ويقال كان على

(١) الجامل : قطيع الإبل مع رعاته وأربابه .

عهد نوح وإليه بعث . ولهذا يقال إنّ أفريدون هو نوح ، والتحقيق عند نسابة الفرس على ما نقل هشام بن الكلبيّ أنّ أفريدون من وُلْدِ جمشيد بينهما تسعة آباء . وملك مائتي سنة وردّ غصوب الضحاك ومظالمه . وكان له ثلاثة بنين الأكبر سَرْمُ والثاني طوج والثالث إيرج ، وأنه قسّم الأرض بينهم ، فكانت الروم وناحية المغرب لسَرْم ، والترك والصين والعراق لإيرج وآثره بالتاج والسرير ، ولما مات قتله أخواه واقتسما الأرض بينهما ثلثمائة سنة .

ويزعمون أنّ أفريدون وآباءه العشرة يلقّبون كلهم أشكيان ، وقيل في قسمته الأرض بين ولده غير هذا ، وأنّ بابل كانت لإيرج الأصغر وكان يسمّى خيارث ويقال كان لإيرج إبنان : وندان وأسطوية وبنت إسمها خورك ، وقتل الإبنان مع أبيهما بعد مهلك أفريدون ، وأنّ أفريدون ملك خمسمائة سنة وأنّه الذي محا آثار ثمود من النبط بالسواد ، وأنه أوّل من تسمّى بكي ، فقيل كي أفريدون ومعناه التنزيه أي مخلص متصل بالروحانيات . وقيل معناه البهاء لأنه يغشاه نور من يوم قتل الضحاك ، وقيل معناه مدرك الثأر. وكان منوشهر الملك ابن منشحر بن إيرج من نسل افريدون ،وكانت أمّه من وُلْدِ إسحق عليه السلام فكفلته حتى كبر ، فملك وثأر بأبيه إيرج من عمه بعد حروب كانت له معهما ، ثم استبدّ ونزل بابل وحمل الفرس على دين إبراهيم عليه السلام ، وثار عليه فراسياب[1] ملك الترك فغلبه على بابل وملكها . ثم اتبعه إلى غياض طبرستان فجهّز العساكر لحصاره وسار إلى العراق فملكه . ويقال فراسياب هذا من عقب طوج بن أفريدون ، ولحق ببلاد الترك عندما قتل منوشهر جدّ طوج فنشأ عندهم وظهر من بلادهم فلهذا نسب إليهم .

وقال الطبري : لما هلك منوشهر بن منشحور ، غلب أفراسياب بن أشك بن رستم بن ترك على خيارات ، وهي بابل ، وأفسد مملكة فارس وخيّرها ، فثار عليه زومر بن طهارست ، ويقال راسب بن طهارست . وينسب إلى منوشهر في تسعة آباء ، وأن منوشهر غضب على طهارست وكانوا يحاربون أفراسياب فهمّ بقتله وشفع فيه أهل الدولة فنفاه إلى بلاد الترك ، وتزوّج منهم ثم عاد إلى أبيه وأعمل الحيلة في إخراج إمرأته من بلاد الترك وكانت إبنة وامن ملك الترك ، فولدت له زومر ابنه . وقام بالملك بعد منوشهر وطرد أفراسياب عن مملكة فارس وقتل جدّه وامن في حروبه

---

(١) وفي نسخة اخرى : افراسياب .

مع الترك ، ولحق أفراسياب بتركستان واتخذ يوم ذلك الغلب عيداً ومهرجاناً وكان ثالث أعيادهم . وكان غلبه على بلاد فارس لإثنتي عشرة سنة من وفاة منوشهر جدّه ، وكان زومر بن طهمارست هذا محمودا في سيرته وأصلح ما أفسد أفراسياب بن خيارت من مملكة بابل ، وهو الذي حفر نهر الزاب بالسواد ، وبنى على حافته المدينة العتيقة وسمّاها الزواهي ، وعمل فيها البساتين وحمل إليها بزور الأشجار والرياحين . وكان معه في الملك كرشاسب من وُلْدِ طوج بن أفريدون وقيل من وُلْدِ منوشهر ، ويقال إنما كان رديفاً له وكان عظيم الشأن في أهل فارس ، ولم يملك وإنما كان الملك لزومر بن طهمارست ، وهلك لثلاث سنين من دولته . وفي أيامه خرج بنو إسرائيل من التيه وفتح يوشع مدينة أريحاء ودال الملك من بعده للكينية حسبما يذكر وأولهم كيقباذ . ويقال إن مدّة الملك لهذه الطبقة كانت ألفين وأربعمائة وسبعين سنة فيما قال البيهقي والأصبهاني ، ولم يذكر من ملوكهم إلاّ هؤلاء التسعة الذين ذكرهم الطبري والله وارث الأرض ومن عليها .

وقيل زومر

راسب بن طهمازست — بن منوشهر بن منشحر بن ايرج — بن أفريدون بن جمشيد بن طهمورث بن أوشهنك — بن افروال بن كومرت

ح ز و د ب

اسطوبة
ونداان
خورك
أول من لقب كي

قيل هو المتسمى آدم

كرشاسب — ادنوارتسب

بن طوج —— كرشاسب
— افراسياب
— بيوراسب

سرم

افراسياب بن شمح بن رستم بن ترك

اشتك

الضحاك

بيوراسب —

خرجت على طمورث وهو
من ولد افروال وقيل من ولد طوج
ابن افريدون

الطبقة الثانية من الفرس وهم الكينية وذكر ملوكهم وأيامهم إلى حين إنقراضهم.

هذه الطبقة الثانية من الفرس وملوكهم يعرفون بالكينيّة لأنّ إسم كل واحد مضاف إلى كي وقد تقدّم معناه ، والمضاف عند العجم متأخر عن المضاف إليه وأوّلهم فيما قالوا كيقباذ من عقب منوشهر بينهما أربعة آباء ، وكان متروجاً بامرأة من زؤوس الترك ولدت له خمسة من البنين : كي وافيا وكيكاوس وكي أرش وكي نية وكي فاسمن ، وهؤلاء هم الجبابرة وآباء الجبابرة. قال الطبريّ : وقيل إنّ الملوك الكينية وأولادهم من نسله جرت بينه وبين الترك حروب ، وكان مقيما بنهر بلخ يمانع الترك من طروق بلاده وملك مائة سنة وانتهى.

وملك بعده ابنه كيكاوس بن كينية وطالت حروبه مع فراسيات ملك الترك ، وهلك فيها إبنه سياوخش ، ويقال كان على عهد داود ، وأنّ عمراً ذا الأذعار من ملوك التبابعة غزاه في بلاده فظفر به وحبسه عنده باليمن ، وسار وزيره رستم بن دستان بجنود فارس إلى غزو ذي الأذعار فقتله وتخلص كيكاوس الى ملكه. وقال الطبري كان كيكاوس عظيم السلطان والحماية ، وولد له ابنه سياوخش فدفعه إلى رستم الشديد ابن دستان ، وكان أصهر بسجستان حتى إذا كملت تربيته وفصاله ردّه الى أبيه ، فرضيه وكفلت به إمرأة أبيه فسخطه ، وبعثه لحراب فراسيات[1] وأمره بالمناهضة ، فراوده فراسيات في الصلح ، وامتنع أبوه كيكاوس فخشي منه على نفسه ، ولحق بفراسيات فزوّجه بنته أم كي خسرو ، ثم خشيه فراسيات على نفسه وأشار على إبنته بقتله فقتلته . وترك إبنة فراسيات حاملا بخسرو وولدته هنالك ، وأعمل كيكاوس الحيلة في إخراجه فلحق به .

ويقال إنه لما بلغه قتل إبنه ، بعث عساكره مع قواده فوطئوا بلاد الترك وأثخنوا فيها وقتلوا بني فراسيات فيمن قتلوه . قال الطبري وإنه غزا بلاد اليمن ولقيه ذو الأذعار في حمير وقحطان ، فظفر به وأسره وحبسه في بئر وأطبق عليه . وإن رستم سار من سجستان فحارب ذا الأذعار ثم اصطلحا على أن يسلم إليه كيكاوس فأخذه ورجع إلى

(١) وفي نسخة أخرى : افراسيات .

بابل ، وكافأه كيكاوس على ذلك بالعتق من عبودية الملك ، ونصب لجلوسه سريرا من فضة بقوائم من ذهب وتوّجه بالذهب ، وأقطعه سجستان وأباستان ، وهلك لمائه وخمسين من دولته ، وملك بعده فيما قال الطبري والمسعودي والبيهقي وجماعة من المؤرخين ، حافده كي خسرو وابن ابنه سباوخش .

وقال السهيلي : إنه ملك كي خسرو وبعد ثلاثة آخرين بينه وبينه كيكاوس فأوّلهم بعده إبنه كي كينة ، ثم من بعده ابنه اجو بن كي كينة ، ثم عمّه سباوخش بن كيكاوس ، ثم بعد الثلاثة كي خسرو بن سباوخش اهـ . وهو غريب فانهم متفقون على أنّ سباوخش مات في حياة أبيه في حروب الترك .

قال الطبري : وقد كان كيكاوس بن كي كينة بن كيقباذ ملّك كي خسرو حين جاءه من بلاد الترك مع أمّه وأسفاقدين بنت فراسيات . قالوا ولما ملك بعث العساكر مع أجو إلى أصبهان لحرب فراسيات ملك الترك للطلب بثأر أبيه سباوخش ، فزحفوا إلى الترك وكانت بينهم حروب شديدة انهزمت فيها عساكر الفرس ، فنهض كي خسرو بنفسه إلى بلخ وقدم عساكره وقوّاده فقصدوا بلاد الترك من سائر النواحي وهزموا عساكرهم وقتلوا قوادهم . وكان قاتل سباوخش بن كي خسرو فيمن قتل منهم ، وبعث فراسيات ابنه وكان ساحرا الى كيخسر ويستميله ، فعمد إلى القواد بمنعه وقتاله ، وقاتل فقتل ، وزحف فراسيات فلقيه كي خسرو وكانت بينهما حروب شديدة انجلت عن هزيمة فراسيات والترك ، واتبعه كي خسرو فظفر به في أذربيجان فذبحه وانصرف ظافرا . وكان فيمن حضر معه لهذا الفتح ملك فارس وهو كي أوجن بن حينوش بن كيكاوس بن كي كينة بن كيقباذ ، وهو عند الطبري أبو كيهراسف الذي ملَكَ بعد كيخسرو على ما نذكر .

وملك على الترك بعد فراسيات جوراسف ابن أخيه شراشف . ثم أن كي خسرو ترهب وتزهد في الملك واستخلف مكانه كيهراسف بن كي أوجن الذي قدّمنا انه أبوه عند الطبري ولد كيخسرو فقيل غاب في البرية ، وقيل مات ، وذلك لستين سنة من ملكه .

ولما ملك كيهراسف اشتدّت شوكة الترك فسكن لقتالهم مدينة بلخ على نهر جيحون ، وأقام في حروبهم عامّة أيامه ، وكان أصبهبذ ما بين الأهواز والروم من غربي دجلة في أيام بختنرسي المشتهر ببختنصّر ، وأضاف إليه كهراسف ملكا عندما سار إليه وأذن له

في فتح ما يليه ، وسار إلى الشام معه ملوك الفرس وبختنصّر ملك الموصل وله سنجاريف ففتح بيت المقدس ، وكان له الظهور على اليهود واستأصلهم كما مرّ في أخبارهم ، وبختنصّر هذا الذي غزا العرب وقاتلهم واستباحهم ، ويقال إنّ ذلك كان في أيام كي بُهمُن حافد كيستاسب بن كيهراسف .

قال هشام بن محمد : أوحى الله إلى أرميا النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وكان حافد زريافيل الذي رجّع بني إسرائيل إلى بيت المقدس ، بأمر بختنصّر أن يفرّق العرب الذين لا أغلاق لبيوتهم ويستبيحهم بالقتل ويعلمهم بكفرهم بالرسل واتخاذهم الآلهة . وفي كتاب الإسرائيليين والوحي بذلك كان إلى يرميا بن خلقيّا وقد مرّ ذكره ، وأنه أمر أن يستخرج معدّ بن عدنان من بينهم ويكفله إلى انقضاء أمر الله فيهم انتهى .

قال : فوثب بختنصّر على من وجده ببلاده من العرب للميرة ، فحبسهم ونادى بالغزو وجاءت منهم طوائف مستسلمين فقبلهم وأنزلهم بالأنبار والحيرة .

وقال غير هشام إنّ بختنصّر غزا العرب بالجزيرة وما بين أيلة والأبلّة ، وملأها عليهم خيلا ورجالا ولقيه بنو عدنان فهزمهم إلى حضّورا واستلحمهم أجمعين . وأنّ الله أوحى إلى أرميا ويوحنّا أن يستخرجا معدّ بن عدنان الذي من وُلده محمد أختم به النبيّين آخر الزمان ، وهو ابن اثنتي عشرة سنة ، وردفه يوحنا على البراق وجاء به إلى حرّان ، وربى بين أنبياء بني إسرائيل .

ورجع بختنصّر إلى بابل وأنزل السبي بالأنبار فقيل أنبار العرب وسميت بهم ، وخالطهم النبط بعد ذلك . ولما هلك بختنصّر خرج معدّ بن عدنان مع أنبياء بني اسرائيل إلى الحج فحجّوا ، وبقي هنالك مع قومه وتزوج بعانة بنت الحارث بن مضاض الجرهمي ، فولدت له نزار بن معدّ .

وأما كيهراسف فكان يحارب الترك عامّة أيامه ، وهلك في حروبهم لمائة وعشرين سنة من ملكه ، وكان محمود السيرة ، وكانت الملوك شرقا وغربا يحملون إليه الأتاوة ويعظمونه ، وقيل إنه ولّى ابنه كيستاسب على الملك وانقطع للعبادة . ولما ملك ابنه كيستاسب شغل بقتال الترك عامة أيامه ، ودفع لحروبهم إبنه أسفنديار فعظم عناؤه فيهم . وظهر في أيامه زرادشت الذي يزعم المجوس نبوّته ، وكان فيما زعم أهل الكتاب من أهل فلسطين خادما لبعض تلامذة أرميا النبي خالصة عنده ، فخانه في

بعض أموره فدعا الله عليه فبرص ولحق بأذربيجان وشرّع بها دين المجوسية . وتوجّه إلى كيستاسب فعرض عليه دينه فأعجبه وحمل الناس على الدخول فيه ، وقتل من امتنع .

وعند علماء الفرس أنّ زرادشت من نسل منوشهر الملك ، وأنّ نبيًّا من بني إسرائيل بعث إلى كيستاسب وهو ببلخ ، فكان زرادشت وجاماسب العالم ، وهو من نسل منوشهر أيضا ، يكتبان بالفارسية ما يقول ذلك النبيّ بالعبرانية ، وكان جاماسب يعرف اللسان العربي ويترجمه لزرادشت ، وأنّ ذلك كان لثلاثين سنة من دولة كيهراسف .

وقال علماء الفرس : إن زرادشت جاء بكتاب ادّعاه وحياً ، كتب في إثني عشر ألف بعده نقشا بالذهب ، وأن كيستاسب وضع ذلك في هيكل باصطخر ووكّل به الهرابذة ومنع من تعليمه العامّة . قال المسعودي : ويسمى ذلك الكتاب نَسْنَاهُ وهو كتاب الزمزمة ، ويدور على ستين حرفا من حروف المعجم . وفسّره زرادشت وسمي تفسيره زند ، ثم فسّر التفسير ثانيا وسمّاه زنديّه ، وهذه اللفظة هي التي عربتها العرب زنديق . وأقسام هذا الكتاب عندهم ثلاثة : قسم في أخبار الأمم الماضية ، وقسم في حدثان المستقبل ، وقسم في نواميسهم وشرائعهم مثل أنّ المشرق قِبْلَة وأن الصلوات في الطلوع والزوال والغروب وأنها ذات سجدات ودعوات . وجدّد لهم زرادشت بيوت النيران التي كان منوشهر أخمدها ، ورتب لهم عيدين : النيروز في الاعتدال الربيعي والمهرجان في الاعتدال الخريفي ، وأمثال ذلك من نواميسهم . ولما انقرض مُلْكُ الفرس الأول أحرق الإسكندر هذه الكتب ، ولما جاء أردشير جمع الفرس على قراءة سورة منها تسمّى أسبا . قال المسعودي : وأخذ كيستاسب بدين المجوسية من زرادشت لخمس وثلاثين سنة من نبّوته فيما زعموا ، ونصّب كيستاسب مكانه جاماسب العالم من أهل أذربيجان ، وهو أوّل موبذان كان في الفرس انتهى .

قال الطبري : وكان كيستاسب مهادناً أرجاماسب ملك الترك وقد اشترط عليه أن تكون دابة كيستاسب موقفة على بابه بمنزلة دواب الرؤسا عند أبواب الملوك ، فمنعه من ذلك زرادشت وأشار عليه بفتنة الترك ، فبعث إلى الدابة والموكل بها وصرفها إليه . وبلغ الخبر الى ملك الترك فبعث إليه بالعتاب والتهديد وأن يبعث بزرداشت إليه وإلا فيعزره . وأغلظ كيستاسب في الجواب وآذنه بالحرب ، وسار بعضهما إلى بعض

واقتتلوا وقتل رزين بن كيستاسب وانهزم الترك وأثخن فيهم الفرس ، وقتل ساحر الترك قيدوشق ورجع كيستاسب إلى بلخ . ثم سعى عنده بابنه أسفنديار فحبسه وقيده وسار إلى جبل بناحية كرمان وسجستان فانقطع به للعبادة ودراسة الدين . وخلّف أباه كهراسف في بلخ شيخا قد أبطله الكبر وترك خزائنه وأمواله فيها مع إمراته ، فغزاهم بخا خدراسفُ وقدّم أخا جورا في جموع الترك وكان مرشحا للملك فأثخن واستباح واستولى على بلخ ، وقتل كهراسف أباهم وغنموا الأموال وهدموا بيوت النيران وسبوا حمَّايي بنت كستاسب وأختها ، وكان فيما غنموه العلم الأكبر الذي كانوا يسمَونه زركش كاويان وهي راية الحدّاد الذي خرج على الضحّاك وقتله . وولّى أفريدون فسمُّوا بتلك الراية ورصعوها بالجواهر ووضعوها في ذخائرهم يبسطوها [1] في الحروب العظام ، وكان لها ذكر في دولتهم وغنمها المسلمون يوم القادسية .

ثم مضى خَدْراسف ملك الترك في جموعه إلى كيستاسب وهو بجبال سجستان متعبداً فتحصن منه وبعث إلى إبنه أسفنديار مع جاماسب العالم وهو في الجبل فقلّده الملك ومحاربة الترك ، فسار إليهم وأبلى في حروبهم فانهزموا ، وغنم ما معهم واسترد ما كانوا غنموه والراية زَركش كاويان في جملته . ثم دخل أسفنديار إلى بلادهم في اتباعهم وفتح مدينتهم عنوة ، وقتل ملكهم خدراسف وإخوته ، واستلحم مقاتلته واستباح أمواله ونساءه ، ودخل مدينة فراسيات ودوّخ البلاد ، وانتهى إلى بلاد صُول والتبت ، وولّى على كل ناحية من الترك ، وفرض الخراج ، وانصرف إلى بلخ وقد غصّ به أبوه .

قال هشام بن محمد : فبعثه إلى رستم ملك سجستان الذي كان يستنفره كيقباذُ جدّهم من ملوك اليمن ، وأقطعه تلك الممالك جزاءً لفعله . فسار إليه أسفنديار وقاتله رستم وهلك كيستاسب لمائة وعشرين سنة . ويقال إنه الذي ردّ بني إسرائيل إلى بلادهم وأنّ أمّه كانت من بني طالوت . ويقال إنّ ذلك هو حافد بُهمُن . وقيل إن الذي ردّهم هو كورش من ملوك بابل أيام بهمن بأمره .

ثم ملك بعد كيستاسب حافده كي بهمن ويقال أردشير بهمن . قال الطبري : ويعرف بالطويل الباع لاستيلائه على الممالك والأقاليم . قال هشام بن محمد : ولمّا ملك سار إلى سجستان طالبا بثأر أبيه فكانت بينهما حروب فقتل فيها رستم بن دستان وأبوه

(١) الاصح ان يقول : يبسطونها .

وإخوته وأبناؤه . ثم غزا الروم وفرض عليهم الأتاوة وكان من أعظم ملوك الفرس ، وبنى مدنا بالسواد ، وكانت أمّه من نسل طالوت لأربعة آباء من لدنه وكانت له أمّ ولد من سبي بني إسرائيل إسمها راسف وهي أخت زريافيل الذي ملكه على اليهود ببيت المقدس وجعل له رياسة الجالوت وملك الشام ، وملك ثمانين سنة ، فملكت حمايي ملّكها الفرس لجمالها ولحسن أدبها وكمال معرفتها وفروسيتها ، وكانت بلغت شهرا أزاد . وقيل إنما ملكوها لأنها لما حملت من أبيها بدار الأكبر سألته أن يعقد له التاج في بطنها ففعل ذلك . وكان ابنه ساسان مرشّحا للملك فغضب ، ولحق بجبال اصطخر زاهد يتولى ماشيته بنفسه ،فلما مات أبوه فقدوا ذكرا من أولاده فولوا حمايي هذهِ وكانت مظفرة على الأعداء . ولما بلغ إبنها دارا الأشد ، سلّمت إليه الملك وسارت إلى فارس واختطت مدينة دار ابجرد ، وردت الغزو إلى بلاد الروم ، وأعطيت الظفر فكثر سبيهم عندها ، وملكت ثلاثين سنة . ولما ملك إبنها دارا نزل بابل وضبط ملكه وغزا الملوك وأدّوا الخراج إليه ، ويقال إنه الذي رتّب دواب البُردِ . وكان معجبا بابنه دارا حتى سمّاه بإسمه وولاّه عهده وهلك لإثنتي عشرة سنة .

وملك بعده ابنه دارا بهمن ، وكان له مربّي إسمه بيدلي قتله أبوه دارا بسعاية وزيره أرشيش محمود ، وندم على قتله . فلّما ولي دارا جعل على كتابته أخا بيدلي ثم استوزره رعيا لمرباه مع أخيه ، فاستفسده على أرشيش وزيره ووزير أبيه وعلى سائر أهل الدولة استوحشوا منه . وقال هشام بن محمد : وملك دارا بن دارا أربع عشرة سنة فأساء السيرة وقتل الرؤساء وأهلك الرعية وغزاه الاسكندر بن فيلبس ملك بني يونان . وقد كانوا يسمّونه (١) فوثب عليه بعضهم وقتله ، ولحق بالإسكندر وتقرب بذلك إليه فقتله الإسكندر وقال هذا جزاء من اجترأ على سلطانه ، وتزوّج بنته روشنك كما نذكره في أخبار الإسكندر .

وقال الطبري : قال بعض أهل العلم بأخبار الماضين كان لدارا من الولد يوم قتل أربع بنين أسسك وبنودار وأردشير وبنت إسمها روشنك وهي التي تزوجها الإسكندر . قال : وملك أربع عشرة سنة ، هذه هي الأخبار المشهورة للفرس الأولى إلى ملكهم الأخير دارا .

---

(١) لم نجد في كتب التاريخ لقبا لدارا بن دارا ، ولكن ابن الأثير ذكر ان دارا بن بهمن بن اسفنديار كان يلقب : جهرازاد اي كريم الطبع .

قال هروشيوش مؤرّخ الروم في مبدإ دولة الفرس هؤلاء إنما كانت بعد دخول بني إسرائيل إلى الشام ، وعلى عهد عثنيئال بن قنّاز بن يوفنّا ، وهو ابن أخي كالب بن يوفنّا الذي دبّر أمر بني اسرائيل بعد يوشع . قال : وفي ذلك الزمان خرج أبو الفرس من أرض الروم الغريقيين من بلاد آسيا واسمه بالعربية فارس باليونانية برشور وبالفارسية برشيرش ، فنزل بأهل بيته في ناحية وتغلب على أهل ذلك الموضع فنسبت إليه تلك الأمّة ، واشتق إسمها من إسمه ، وما زال أمرهم ينمو إلى دولة كيرش الذي يقال فيه أنه كسرى الأوّل ، فغلب على القضاعيّين ، ثم زحف إلى مدينة بابل وعرض له دونها النهر الثاني بعد الفرات وهو نهر دجلة ، فاحتفر له الجداول وقسّمه فيها ، ثم زحف إلى المدينة وتغلب عليها وهدمها ، ثم حارب السريانيين فهلك في حروبهم ببلاد شيت . وولي إبنه قنبيشاش بن كيرش فثأر منهم بأبيه ، وتخطاهم إلى أرض مصر فهدم أوثانهم ونقض شرائعهم ، فقتله السحرة وذلك لألف سنة من ابتداء دولتهم فولي أمر الفرس دارا وقتل السحرة بمصر وردّ عمالة[1] السريانيين إليهم ، ورجع بني اسرائيل إلى الشام في الثانية من أيامه ، وزحف إلى بلاد الروم الغريقيين طالبا ثأر كيرش ، فلم يزل في حروبهم إلى أن هلك لثلاث وعشرين من دولته ثار عليه أحد قواده فقتله ، وولّى بعده إبنه أرتشخار أربعين سنة ، وولي بعده ابنه دارا أنوطو سبع عشرة سنة .

ثم ولي بعده إبنه أرتشخار بعد أن نازعه كيرش بن نوطو فقتله أرتشخار واستولى على الأمر وسالم الروم الغريقيين ، ثم انتقضوا عليه واستعانوا بأهل مصر ، فطالت الحرب ثم اصطلحوا ووقعت الهدنة ، وهلك أرتشخار وذلك على عهد الاسكندر ملك اليونانيين وهو خال الاسكندر الأعظم ، وهلك لعهده ، فولي أبو الاسكندر الأعظم ببلد مقدونية وهو ملك فيلبش .

وهلك أرتشخار أوقش لست وعشرين من دولته وولي من بعده ابنه شخشار أربع سنين ، وفي أيامه ولي على مقدونية واليونانيين وسائر الروم الغريقيين الاسكندر بن فيلبّس . ثم ولي بعده شخاردارا وعلى عهده تغلب الاسكندر على يهود بيت المقدس وعلى جميع الروم الغريقيين ، ثم حدثت الفتنة بينه وبين دارا وتزاحفوا مرات انهزم في كلها ، وكان لاسكندر الظهور عليه ، ومضى إلى الشام ومصر فملكها وبنى

(١) بكسر العين : تولى إيالة ، وبفتحها : عمل الناقة ، وبضمّها : أجر العامل ورزقه .

الإسكندرية ، وانصرف فلقيه دارا أنطوس فهزمه وغلب على ممالك الفرس واستولى على مدينتهم وخرج في اتباع دارا فوجده في بعض طريقه جريحا ، ولم يلبث أن هلك من تلك الجراحة ، فأظهر الاسكندر الحزن عليه وأمر بدفنه في مقابر الملوك ،وذلك لألف سنة ونحو من ثمانين سنة منذ ابتداء دولتهم كما قلناه انتهى كلام هروشيوش .

وقال السُهيليّ : وجده مثخنا في المعركة فوضع رأسه على فخذه وقال : يا سيد الناس لم أرد قتلك ولا رضيته فهل من حاجة ؟ فقال تتزوّج ابنتي وتقتل قاتلي ففعل الاسكندر ذلك . وانقرض أمر هذه الطبقة الثانية والبقاء لله وحده سبحانه وتعالى .

ب

ابن دارا ی ط ح ز

أشك بن دارا بن حمايى بنت بهمن بن اسفنديار بن كيستاسب بن كهراسب بن كي كاوس بن كينيوش بن كينية ——— بن كيقاوش

بن كينية بن كيقباد

و ط كيخسرو بن سياوخش —

ك كي أجوا —

جـ كي كينية —

قال ابن العميد : في ترتيب هؤلاء الملوك الفرس من بعد كيرش إلى دارا . آخرهم يقال : إنه ملك من بعد كورش إبنه قمبوسيوس ثمانياً وقيل تسعاً وقيل إثنتين وعشرين سنة ، وقيل إنه غزا مصر وإستولى عليها وتسمّى بختنصّر الثاني ، وملك بعد أريوش بن كستاسب خمسا وعشرين سنة وهو أوّل الملوك الأربعة الذين عناهم دانيال بقوله ثلاث ملوك يقومون بفارس والرابع يكثر ماله ويعظم على من قبله . فأوّلهم دارا بنَ كستاسب وهو مذكور في المجسطي ، والثاني دارا إبن الأمة ، والثالث الذي قتله الاسكندر ، وقيل بل هو الرابع الذي عناه دانيال لأنه جعل أوّل الأربعة داريوش وأخشورش العادي وسركورش ورديفه في الملك ، ثم عد الثلاثة بعده . وفي الثانية من ملكة داريوش بن كيستاسب لبابل تمت سبعون سنة لخراب القدس ، وفي الثالثة كمل بناء البيت ، ثم ملك بعد داريوش بن كيستاسب هذا أسمرديوس المجوسي سنة واحدة وقيل ثلاث عشرة سنة وسمي مجوسيا لظهور زرادشت بدين المجوسية في أيامه . ثم ملك أخشويرش بن داريوش عشرين سنة وكان وزيره هامان العمليقيّ ، وقد مرّت قصته مع الجارية من بني اسرائيل . ثم ملك من بعده إبنه ارطحشاشت بن أخشويرش ويلقب بطويل اليدين ، وكانت أمّه من اليهود بنت أخت مردخاي ، وكانت خطيّة عند أبيه ، وعلى يدها تخلّص اليهود من سعاية وزيره فيهم عنده ، وكان العزيّر في خدمته ، ولعشرين من دولته أمر بهدم أسوار القدس ثم رغب إليه العزيّر في تجديدها فبناها في إثنتي عشرة سنة . قال ابن العميد عن المجسطي إنّ العزيّر هذا ويسمّى عزراء هو الرابع عشر من الكهنونة من لدن هرون عليه السلام ، وأنه كتب لبني إسرائيل التوراة وكتب الأنبياء من حفظه بعد عودهم من الجلاء الأوّل ، لأن بختنصّر كان أحرقها ، وقيل أنّ الذي كتب لهم ذلك هو يشوع بن أبو صادوق . ثم ملك من بعده أرطحشاشت الثاني خمس سنين وقيل إحدى وثلاثين وقيل ست عشرة وقيل شهرين ، ورجّح ابن العميد الخمس لموافقتها سياقة التواريخ ، وكان لعهده أبقراط وسقراط في مدينة أشيَاش ، ولعهده كتب النواميس الإثني عشر . ثم ملك بعده صَغريتُوس ثلاث سنين وقيل سنة واحدة وقيل سبعة أشهر ، ولم يزل محنقاً لمرض كان به إلى أن هلك . ثم ملك من بعده دارا ابن الأمة ويلقّب الناكيش ، وقيل داريوش الياريوس ، ملك سبع عشر سنة وكان على عهده من حكماء يونان سقراط وفيثاغورس وأقليوس ، وفي الخامسة من دولته انتقض أهل مصر على يونان واستبدوا

بملكهم بعد مائة وأربع وعشرين سنة ، كانوا فيها في ملكتهم ، ثم ملك من بعده أرطحشاشت ابن أخي كورش داريوش إحدى عشرة سنة وقيل إثنتين وعشرين سنة وقيل أربعين وقيل إحدى وعشرين ، وكان لعهده ألياقِم الكوهن الذي داهن الكهنونية ستاً وأربعين سنة . ثم ملك من بعده أرطحشاشت وتسمّى أخوش ، ويقال أوغش ، عشرين سنة وقيل خمسا وعشرين وقيل تسعا وعشرين ، وزحف إلى مصر فملكها وهرب منها فرعون ساناق إلى مقدونيّة وإسمه قصطرا ، وبنى أرطحشاشت قصر الشمع وجعل فيه هيكلا وهو الذي حاصره عمرو بن العاص وملكه . ثم ملك من بعده إبنه أرشيش بن أرطحشاشت ، وقيل إسمه فارس ، أربع سنين وقيل إحدى عشرة ، وكان لعهده من حكماء يونان بُقراط وأفلاطون ودمقراطس ، ولعهده قتل بُقراط على القول بالتناسخ وقيل لم يكن مذهبه وإنما ألزمه بعض تلامذته ثم شهدوا عليه وقتل مسموما قتله القضاة بمدينة أثينا . ثم ملك من بعده إبنه دارا بن أرشيش عشرين سنة وقيل ست عشرة . وقال ابن العميد عن أبي الراهب : إنّه دارا الرابع الذي أشار إليه دانيال كما مرّ ، وكان هذا الملك عظيما فيهم وتغلب على يونان ، وألزمهم الوظائف التي كانت عليهم لآبائه وملكهم يومئذ الاسكندر بن فيلبس وكان عمره ست عشرة سنة ، فطمع فيه دارا وطلب الضريبة فمنع وأجاب بالاغلاظ وزحف إليه فقاتله وقتله واستولى الإسكندر على ملك فارس وما وراءه انتهى كلام ابن العميد .

الطبقة الثالثة من الفرس وهم الأشكانية ملوك الطوائف وذكر دولهم ومصاير امورهم الى نهايتها

هذه الطبقة من ملوك الفرس يعرفون بالأشكانيّة ، وكافها أقرب إلى الغين ، من وُلد أشكان بن دارا الأكبر ، وقد مرّ ذكره ، وكانوا من أعظم ملوك الطوائف عنه افتراق أمر الفرس ، وذلك أنّ الإسكندر لما قتل دارا الأصغر استشار معلّمه أرسطو في أمر الفرس ، فأشار عليه أن يفرّق رياستهم في أهل البيوت منهم فتفترق كلمتهم ويخلص لك أمرهم ، فولّى الاسكندر عظماء النواحي من الفرس والعرب والنبط والجرامقة كلاًّ على عمله واستبدّ كلٌّ بناحية واستقام له مُلْكُ فارس والمشرق . ولما مات الإسكندر قسم ملكه بين أربعة من أمرائه : فكان مُلْكُ مقدونية وأنطاكية وما إليها من ممالك

الروم لفيلبُّس من قواده ، وكانت الإسكندرية ومصر والمغرب لفيلادفُس ولقبه بطليموس ، وكان الشام وبيت المقدس وما إلى ذلك لدمطوس ، وكان السواد إلى الجبال والأهواز وفارس ليلاقش سيلقس ولقبه أنطيخس وأقام السواد في ملكته أربعا وخمسين سنة .

قال الطبريّ : وكان أشك بن دارا الأكبر خلفه أبوه بالريّ فنشأ بها فلما كبر وهلك الإسكندر جمع العساكر وسار يريد أنطيخس ، والتقيا بالموصل فانهزم أنطيخس وقتل ، وغلب أشك على السواد من الموصل إلى الريّ وأصبهان ، وعظّمه سائر ملوك الطوائف لشرفه ونسبه وأهدوا إليه من غير أن يكون له عليهم إيالة في عزل ولا تولية ، بل إنّما كانوا يعظّمونه ويبدؤن بإسمه في المخاطبات وهم مع ذلك متعادون ، تختلف حالاتهم بعضهم مع بعض في الحرب والمهادنة . وقال بعضهم : كان رجلا من نسل الملوك من فارس مملكا على الجبال وأصبهان والسواد لفوات الاسكندر .

ثم غلب بعد ذلك ولده على السواد وجمعه إلى الجبال وأصبهان وصار كالرئيس على سائر ملوك الطوائف ، ولذلك قصر ذكر هؤلاء الملوك دون غيرهم من الطوائف ، فنهم من قال : إنه أشك بن دارا ، كما قدّمنا ، وهو قول الفرس . وقيل هو أشك عقب أسفنديار بن كستاسب بينهما ستة آباء . وقيل هو أشك بن أشكان الأكبر من وُلْد كينيّة بن كيقباذ ، ويقال : إنه كان أعظّم الأشكانية وقهر ملوك الطوائف وعلى إصطخر لاتصالها بأصبهان وتخطّاها إلى ما يتاخمها من بلاد فارس فغلب عليه واتصل ملكه عشرين سنة . وملك بعده جور بن أشك وغزا بني إسرائيل بسبب قتلهم يحيى بن زكريا .

وقال المسعودي : ملك أشك بن أشك بن دارا بن أشكان الأول منهم عشر سنين ، ثم سابور ابنه ستين سنة وغزا بني إسرائيل بالشام ونهب أموالهم ، ولإحدى وأربعين من ملكه ظهر عيسى صلوات الله عليه بأرض فلسطين . ثم ملك عمّه جور عشر سنين ، ثم نيرو بن سابور إحدى وعشرين سنة وفي أيامه غلب طيطش قيصر على بيت المقدس وخرّبها وأجلى منها اليهود كما مرّ . ثم جور بن نيرو تسع عشرة سنة ، ثم جرسي أخوه أربعين سنة ، ثم هرمز أخوهما أربعين سنة ، ثم ابنه أردوان بن هرمز خمس عشرة سنة ، ثم ابنه كسرى بن أردوان أربعين سنة . ثم ابنه يلاوش بن كسرى أربعا وعشرين سنة ، وفي أيامه غزت الروم السواد مع قيصر يطلبون بثأر أنطيخش ملك

أنطاكية من اليونان الذي قتله أشك جدّ يلاوش هذا ، فجمع يلاوش العساكر واستنفر ملوك الطوائف بفارس والعراق فوجهوا له بالمدد واجتمع له أربعمائة ألف من المقاتلة ، وولّى عليهم صاحب الحضر وكان من ملوك الطوائف على السواد ، فزحف إلى قيصر فقتله واستباح عسكر الروم وقتل وفتح أنطاكية وانتهى إلى الخليج . وولّى من بعد يلاش إبنه أردوان بن يلاوش ثلاث عشرة سنة . ثم خرج عليه أردشير بن بابك بن ساسان وجمع مُلْكَ فارس من أيدي ملوك الطوائف وجدّد الدولة الساسانية كما نذكر في أخبارهم .

قال الطبريّ : وفي أيام الطوائف كانت ولادة عيسى صلوات الله عليه لخمس وستين من غلب الإسكندر على بابل ولاحدى وخمسين من ملك الأشكانية ، والنصارى يزعمون أن ذلك كان لمضي ثلثمائة وثلاث وستين من غلْب الإسكندر على بابل . قال الطبريّ : وجميع سني الطوائف من لدن الإسكندر إلى ظهور أردشير بن بابك واستوائه على الأمر مائتان وستون سنة ، وبعضهم يقول خمسمائة وثلاث وعشرون سنة . وقال بعضهم : ملك في هذه المدّة منهم تسعون ملكا على تسعين طائفة كلهم يعظّم ملوك المدائن منهم وهم الأشكانيّون .

يا ى ط ح ز جرسى د ب

أردوان بن يلاوش بن كسرى بن أردوان بن هرمز بن فيروز بن سابور بن أشك بن أشك بن دارا الأكبر

الطبقة الرابعة من الفرس وهم الساسانية والخبر عن ملوكهم الأكاسرة إلى حين الفتح الإسلامي

هذه الدولة كانت من أعظم الدول في الخليقة وأشدّها قوة وهي إحدى الدولتين اللتين صبحها الإسلام في العالم وهما دولة فارس والروم . وكان مبدأ أمرها من توثب أردشير ابن بابك شاه ملك مرو ، وهو ساسان الأصغر ابن بابك بن سامان بن بابك بن هرمز بن ساسان الأكبر بن كي بهمن . وقد تقدّم ذكر كي بهمن وأنّ ابنه ساسان غضب لما توج للملك أخوه دارا وهو في بطن أمّه ، ولحق بجبال إصطخر فأقام هنالك وتناسل ولده بها إلى أن كان ساسان الأصغر منهم ، فكان قيّما على بيت النار

لاصطخر ، وكان شجاعا ، وكانت إمرأته من بيت مُلك فولدت له ابنه بابك ، ووُلد لبابك أردشير وضبطه الدارقطني : بالراء المهملة . وكان على اصطخر يومئذ ملك من ملوك الطوائف وله عامل على دار ابجرد خصيّ إسمه سرّي ، فلما أتت لأردشير سبع سنين جاء به جدّه ساسان إلى ملك إصطخر وسأله أن يضمه إلى عامل دار ابجرد الخصيّ يكفله إلى أن تتّم تربيته ، ولما هلك عامل دار ابجرد أقام بأمره فيها أردشير هذا وملكها ، وكان له علم من المنّجمين بأنّ الملك سيصير إليه ، فوثب على كثير من ملوك الطوائف بأرض فارس فاستولى عليهم ، وكتب إلى أبيه بذلك ، ثم وثب على عامل إصطخر فغلبه على ما بيده وملك إصطخر وكثيرا من أعمال فارس .

وكان زعيم الطوائف يومئذ أردوان ملك الأشكانيّين فكتب إليه يسأله أن يتوّجه فعنّفه ، وكتب إليه بالشخوص فامتنع ، وخرج بالعساكر من اصطخر وقدم موبذان رورين فتوَّجه ثم فتح كرمان وبها ملكٌ من ملوك الطوائف ، وولّى عليها إبنه ، وكتب إليه أردوان يتهدّده وأمر ملك الأهواز من الطوائف أن يسير إليه فرجع مغلوباً . ثم سار أردشير إلى أصبهان فقتل ملكها واستولى عليها ، ثم إلى الأهواز فقتل ملكها كذلك ، ثم زحف إليه أرذوان عميد الطوائف فهزمه أردشير وقتله وملك همذان والجبل وأذربيجان وأرمينية والموصل ثم السودان . وبنى مدينة على شاطىء دجلة شرقي المدائن . ثم رجع إلى إصطخر ففتح سجستان ثم جرجان ثم مرو وبلخ وخوارزم إلى تخوم خراسان ، وبعث بكثير من الرؤوس إلى بيت النيران ، ثم رجع إلى فارس ونزل صول وأطاعه ملك كوشان ومكران ثم ملك البحرين بعد أن حاصرها مدّة ، وألقى ملكها بنفسه في البحر . ثم رجع فنزل المدائن وتوجه إبنه سابور ، ولم يزل مظفرا وقهر الملوك حوله وأثخن في الأرض ، ومدّن المدن واستكثر العمارة وهلك لأربع عشرة سنة من ملكه بإصطخر بعد مقتل أردوان .

وقال هشام بن الكلبي : قام أردشير في أهل فارس يريد الملك الذي كان لآبائه قبل الطوائف وأن يجمعه لملك واحد ، وكان أردوان ملكا على الاردوانيين وهم أنباط السواد ، وكان بابا ملكا على الأرمانيّين وهم أنباط الشام ، وبينهما حرب وفتنة فاجتمعا على قتال أردشير فحارباه مناوبة . ثم بعث أردشير إلى بابا في الصلح على أن يدعه في الملك ويخلّي بابا بينه وبين أردوان ، فلم يلبث أن قتل أردوان واستولى على السواد فأعطاه بابا الطاعة بالشام ودانت له سائر الملوك وقهرهم . ثم رجع إلى أمر

العرب وكانت بيوتهم على ريف العراق ينزلون الحيرة ، وكانوا ثلاث فرق : الأولى تنوخ ومنهم قُضاعة الذين كنا قدّمنا أنهم كانوا اقتتلوا مع ملك من التبابعة وأتى بهم وكانوا يسكنون بيوت الشعر والوبر ويضعونها غربي الفرات بين الأنبار والحيرة وما فوقها فأنفوا من الإقامة في مملكة أردشير وخرجوا إلى البرية ، والثانية العُبّاد الذين كانوا يسكنون الحيرة وأوطنوها ، والثالثة الأحلاف الذين نزلوا بهم من غير نسبهم ولم يكونوا من تنوخ الناكثين عن طاعة الفرس ولا من العُبّاد الذين دانوا بهم . فملك هؤلاء الأحلاف الحيرة والأنبار وكان منهم عمرو بن عديّ وقومه ، فعمّروا الحيرة والأنبار ونزلوا وخربوها وكانتا من بناء العرب أيام بختنصّر ، ثم عمرها بنو عمرو بن عديّ لما أصاروها نُزُلا[1] لملكهم إلى أن صبحهم الإسلام ، واختط العرب الإسلاميون مدينة الكوفة فدثرت الحيرة .

وكان أردشير لمّا ملك أسرف في قتل الأشكانية حتى أفناهم لوصية جدّه ، ووجد بقصر أردوان جارية إستملحها ودفعت عن نفسها القتل بإنكار نسبها فيهم ، فقالت أنا مولاة وبكر ، فواقعها وحملت وظنّت الأمن على نفسها ، فأخبرته بنسبها فتنكّر ودفعها إلى بعض مرازبته ليقتلها ، فاستبقاها ذلك المرزبان إلى أن شكى إليه أردشير قلّة الولد والخوف على ملكه من الانقطاع وندم على ما سلف منه من قتل الجارية وإتلاف الحمل ، فأخبره بحياتها وأنها ولدت ولداً ذكرا وأنه سمّاه سابور وأنه قد كملت خصاله وآدابه ، فاستحضره أردشير واختبره فرضيه وعقد له التاج .

ثم هلك أردشير فملك سابور من بعده فأفاض العطاء في أهل الدولة وتخيّر العمّال ، ثم شخص إلى خراسان فمهد أمورها ، ثم رجع فشخص إلى نصّيبين فملكها عنوة فقتل وسبى ، وافتتح من الشام مدنا وحاصر أنطاكية وبها من الملوك أريانوس فاقتحمها عليه وأسره وحمله إلى جنديسابور فحبسه بها إلى أن فاداه على أموال عظيمة ويقال على بناء شاذروان تستر ويقال جدع أنفه وأطلقه ويقال بل قتله ، وكان بجبال تكريت بين دجلة والفرات مدينة يقال لها الحَضَر وبها ملك من الجرامقة يقال له الساطرون من ملوك الطوائف وهو الذي يقول فيه الشاعر :

وأرى الموت قد تدلى من الحضر على رب أهله الساطرون
ولقد كان آمنا للدّواهي ذا ثراء وجوهر مكنون

---

(١) بضم النون والزاي : المنزل ، بكسر فسكون : المجتمع ، وبفتح وكسر المكان الذي ينزل فيه (قاموس) .

وقال المسعودي : وهو الساطرون بن إسطرون من ملوك السريانيين . قال الطبريّ : وتسمّيه العرب الضيزن . وقال هشام بن محمد الكلبي : من قضاعة وهو الضيزن بن معاوية بن العميد بن الأجدم بن عمرو بن النخع بن سليم ، وسنذكر نسب سليم في قضاعة . وكان بأرض الجزيرة وكان معه من قبائل قضاعة ما لا يحصى وكان ملكه قد بلغ الشام ، فخلف سابور في غزاته إلى خراسان وعاث في أرض السواد ، فشخص إليه سابور عند انقضاء غزاته حتى أناخ على حصنه وحاصره أربع سنين قال الأعشى :

ألم تر للحضر إذ أهلــــــــــهُ بنعمــة وهــل خــالــد من نعم
أقـــام بـــه سابور الجنود حولين يضرب فيـــــه القمم

ثم إنّ ابنة ساطرون واسمها النضيرة خرجت إلى رَبَض[1] المدينة وكانت من أجمل النساء ، وسابوركان جميلا ، فأشرفت عليه فشغفت به وشُغف بها ، وداخلته في أمر الحصن ودلّته على عورته فدخله عنوة وقتل الضيزن وأباد قضاعة الذين كانوا معه وأكثرهم بنو حلوان فانقرضوا ، وخرّب حصن الحَضَر . وقال عديّ بن زيد في رثائه :

وأخو الحَضَر إذ بنـاه وإذ دجلـة تجبى إليـــه والخـــابور
شاده مرمرا وجلّلـــــه كلسا فلـلطير في ذراه وكـور
لم يهبـــه ريح المنون فبـــا دالمُلك عنـــه فبـــابـــه مهجور

ثم أعرس بالنضيرة بعين التمر وباتت ليلها تتضور في فراشها وكان من الحرير محشوّ بالقز والقِسيّ فإذا ورقة آس بينها وبين الفراش تؤذيها ، فقال : ويحك ما كان أبوك يغذيك ؟ قالت الزبد والمُخُّ والشهدُ وصفوُ الخمر ، فقال : وأبيك لأنا أحدث عهدا وأبعد ودّا من أبيك الذي غذاك بمثل هذا . وأمر رجلا ركب فرسا جموحا وعصب غدائرها بذنبه ولم يزل يركضه حتى تقطعت أوصالها .

وعند ابن اسحق أنّ الذي فتح حصن الحَضَر وخرّبه وقتل الساطرون هو سابور ذو الأكتاف . وقال السهيليّ : لا يصح لأنّ الساطرون من ملوك الطوائف والذي أزال ملكهم هو اردشير وابنه سابور ، وسابور ذو الأكتاف بعدهم بكثير هو التاسع من ملوك أردشير . قال السهيليّ وأوّل من ملك الحيرة من ملوك الساسانية سابور بن

(١) الربض : ما حول المدينة من بيوت ومساكن ، سور المدينة أو الضاحية (قاموس) .

أردشير ، والحيرة وسط بلاد السواد وحاضرة العرب ، ولم يكن لأحد قبله من آل ساسان حتى استقام العرب على طاعته ، وولّى عليهم عمرو بن عديّ جدّ آل المنذر بعده وأنزله الحيرة ، فجبى خراجهم وإتاوتهم واستعبدهم لسلطانه وقبض أيديهم عن الفساد باقطار ملكه وما كانوا يرومونه بسواد العراق من نواحي مملكته . وولّى بعده إبنه امرأ القيس بن عمرو بن عديّ وصار ذلك ملكا لآل المنذر بالحيرة توارثوه حسبما نذكر بعد .

وهلك سابور لثلاثين سنة من ملكه ووليَ بعده ابنه هرمز ويعرف بالبطل فملك سنة واحدة ، ووليَ بعده ابنه بهرام بن هرمز وكان عامله على مذحج من ربيعة ومُضر وسائر بادية العراق والجزيرة والحجاز أمرؤ القيس بن عمرو بن عديّ وهو أوّل من تنصّر من ملوك الحيرة وطال أمدُ ملكه . قال هشام بن الكلبي : ملك مائة وأربع عشرة سنة من لدن أيام سابور اهـ .

وكان بهرام بن هرمز حليما وقورا وأحسن السيرة واقتدى بآبائه ، وكان ماني الثنويّ الزنديق صاحب القول بالنور والظلمة قد ظهر في أيام جدّه سابور فاتبعه قليلا ثم رجع إلى المجوسية دين آبائه ، ولمّا ولي بهرام بن هرمز جمع الناس لامتحانه ، فأشادوا بكفره وقتله وقالوا زنديق . قال المسعودي : ومعناه أنّ من عدل عن ظاهر إلى تأويله ينسبونه إلى تفسير كتاب زرادشت الذي قدّمنا أنّ إسمه زندة فيقولون زنديه، فعرّبته العرب فقالوا زنديق ، ودخل فيه كل من خالف الظاهر إلى الباطن المنكر ، ثم اختص في عرف الشرع بمن يظهر الإسلام ويبطن الكفر .

ثم هلك بهرام بن هرمز لثلاث سنين وثلاثة أشهر من دولته ، ووليَ إبنه بهرام ثماني عشرة سنة عكف أوّلها على اللذات ، وامتدّت أيدي بطانته إلى الرعايا بالجور والظلم فخربت الضياع والقرى حتى نبّههُ الموبذان لذلك بمثل ضربه له ، وذلك أنّه سامره في ليلة فمرّ راجعا من الصيد فسمعا بومين يتحدّثان في خراب ، فقال بهرام ليت شعري هل أحد فهم لغات الطير؟ فقال له الموبذان : نعم إنّا نعرف ذلك أيها الملك وإنهما يتحاوران في عقد نكاح وإنّ الأنثى اشترطت عليه إقطاع عشرين ضيعة من الخراب فقبل الذكرُ وقال : إذا دامت أيام بهرام أقطعتك ألفاً . فتفطّن بهرام لذلك وأفاق من غفلته وأشرف على أحوال ملكه مباشرا بنفسه وقابضا أيدي البطانة عن الرعية وحسنت أيامه إلى أن هلك . ووليَ بعده بهرام بن بهرام بن بهرام ثلاثة أسماء

متشابهة وتلقّب شاه ، وكان مملّكاً على سجستان وهلك لأربع سنين من دولته . وملك بعده أخوه قرسين بن بهرام تسع سنين أخرى ، وكان عادلا حسن السيرة . وملك بعده إبنه هرمز بن قرسين فوجل منه الناس لفظاظته ، ثم أبدل من خلقه الشر بالخير وسار فيهم بالعدل والرفق والعمارة وهلك لسبع سنين من ولايته . وكان هؤلاء كلهم ينزلون جنديسابور من خراسان . ولما هلك ولم يترك ولدا شق ذلك على أهل مملكته لميلهم إليه ووجدوا ببعض نسائه حملا فتوّجوه وانتظروا إتمامه ، وقيل بل كان هرمز أبوه أوصى بالملك لذلك الحمل فقام أهل الدولة بتدبير الملك ينتظرون تمام الولد .

وشاع في أطراف المملكة أنهم يتلومون[(١)] صبيّا في المهد فطمع فيهم الترك والروم ، وكانت بلاد العرب أدنى إلى بلادهم وهم أحوج إلى تناول الحبوب من البلاد لحاجتهم إليها بما هم فيه من الشظف وسوء العيش ، فسار منهم جمع من ناحية البحرين وبلاد القيس ووحاظة فأناخوا على بلاد فارس من ناحيتهم وغلبوا أهلها على الماشية والحرث والمعايش ، وأكثر الفساد ومكثوا في ذلك حينا ولم يغزهم أحد من فارس ولا دافعوهم لصغر الملك ، حتى إذا كبر وعرضوا عليه الأمور فأحسن فيها الفصل وبلغ ست عشرة سنة من عمره[(٢)] ، ثم أطاق حمل السلاح نهض حينئذ للاستبداد بملكه . وكان أوّل شيء ابتدأ به شأن العرب ، فجهّز إليهم العساكر وعهد إليهم أن لا يبقوا على أحد ممن لقوا منهم ، ثم شخص بنفسه إليهم وغزاهم وهم غازون ببلاد فارس فقتلهم وأبرح القتل ، وهربوا أمامه وأجاز البحر في طلبهم إلى الخطّ وتعدّى إلى بلاد البحرين قتلا وتخريبا . ثم غزا بعدها رؤوس العرب من تميم وبكر وعبد القيس فأثخن فيهم وأباد عبد القيس ولحق فلّهم بالرمال ثم أتى اليمامة فقتل وأسر وخرّب ثم عطف إلى بلاد بكر وتغلب ، ما بين مملكة فارس ومناظر الروم بالشام ، فقتل من وجد هنالك من العرب وطمّ مياههم وأسكن من رجع إليه من بني تغلب دارين[(٣)] من البحرين والخطّو من بني تميم هجروا من بكر بن وائل كرمان ويُدعون بكر إياد ومن بني حنظلة الأهواز ، وبنى مدينة الأنبار والكرخ والسوس .

وفيما قاله غيره إنّ إياداً كان تشتو بالجزيرة وتصيّف بالعراق وتشن الغارة . وكانت

---

(١) لا معنى لهذه الكلمة حسب سياق الجملة وربما تكون محرفة عن : يولون .

(٢) الأصح ان يقول : لمّا أطاق حمل السلاح .

(٣) بمعنى البلد .

تسمى طِمّاً[1] لانطباقها على البلاد ، وسابور يومئذ صغير حتى اذا بلغ القيام على ملكه شرع في غزوهم ورئيسهم يومئذ الحرث بن الأغرّ الأيادي ، وكتب إليهم بالنذر بذلك رجل[2] من إياد كان بين ظهرانيّ الفرس ، فلم يقبلوا حتى واقعتهم العساكر فاستلحمهم وخرجوا إلى أرض الجزيرة والموصل إجلاءً ولم يعاودوا العراق . ولمّا كان الفتح طلبهم المسلمون بالجزية مع تَغْلب وغيرهم فأنفوا ولحقوا بأرض الروم .

وقال السهيليٌّ : عند ذكر سابور بن هرمز إنّه كان يخلع أكتاف العرب ولذلك لقّبه العرب ذو الأكتاف ، وأنه أخذ عمرو بن تميم بأرضهم بالبحرين وله يومئذ ثلثمائة سنة وإنه قال : إنما أقتلكم معاشر العرب لأنكم تزعمون أنّ لكم دولة . فقال له عمرو بن تميم : ليس هذا من الحزم أيها الملك فإن يكن حقا فليس قتلك إياهم بدافعه وتكون قد اتخذت يدا عندهم ينتفع بها ولدك وأعقاب قومك . فيقال إنه استبقاه ورَحِمَ كبره .

ثم غزا سابور بلاد الروم وتوغّل فيها ونازل حصونهم ، وكان ملوك الروم على عصره قسطنطين وهو أوّل من تنصّر من ملوكهم وهلك قسطنطين وملك بعده إليانوس من أهل بيته وانحرف عن دين النصرانية وقتل الاساقفة وهدم البيع وجمع الروم وانحدر لقتال سابور. واجتمعت العرب معهم لثأرهم عند سابور بمن قتل منهم وسار قائد إليانوس واسمه يوسانوس في مائة وسبعين ألفا من المقاتلة ، حتى دخل أرض فارس ، وبلغ خبره وكثرة جموعه إلى سابور فأحجم عن اللقاء وأجفل وصحبه العرب ، ففضّوا جموعه وهرب في فلّ من عسكره ، واحتوى إليانوس على خزائنه وأمواله واستولى على مدينة طبسون من مدائن ملكه . ثم استنفر أهل النواحي واجتمعت إليه فارس وارتجع مدينة طبسون وأقاما متظاهرين ، وهلك إليانوس بسهم أصابه ، فبقي الروم فوضى وفزعوا إلى يوسانوس القائد أن يُملّكوه ، فشرط عليهم الرجوع إلى دين النصرانية كما كان قسطنطين فقبلوا . وبعث إليه سابور في القدوم عليه ، فسار إليه في ثمانين من أشراف الروم ، وتلقّاه سابور وعانقه وبالغ في إكرامه وعقد معه الصلح على

---

(١) الطمّ : البحر ، العدد الكثير (قاموس)

(٢) ربما كان يقصد به لقيطا بن يعمر الايادي ، وكان كاتبا في البلاط الفارسي ومن قصيدته المنذرة :

يا ايها الراكب المزجي مطيته ... إلى الجزيرة مرتاداً ومنتجعا

لا تلهكم إبل ليست لكم إبل ... إن العدو بعظم منكم قرعا

أن يعطي الروم قيمة ما أفسدوه من بلاد فارس وأعطوا بدلا عن ذلك نصيبين فرضي بها أهل فارس ، وكانت ممّا أخذه الروم من أيديهم فملكها سابور وشرّد عنها أهلها خوفا من سطوته ، فنقل إليها من أهل إصطخر وأصبهان وغيرهما . وانصرف يوسانوس بالروم وهلك عن قرب ورجع سابور إلى بلاده .

وفيما نقله بعض الإخباريّين إنّ سابور دخل بلاد الروم متنكرا وعثر عليه فأخذ وحبس في جلد ثور وزحف ملك الروم بعساكره إلى جنديسابور فحاصرها ، وإن سابور هرب من حبسه ودخل جنديسابور المدينة ثم خرج إلى الروم فهزمهم وأسر ملكهم قيصر ، وأخذه بعمارة ما خرّب من بلاده ونقل التراب والغروس إليها ثم قطع أنفه وبعث به على حمار إلى قومه ، وهي قصة واهية تشهد العادة بكذبها .

ثم هلك سابور لاثنتين وسبعين سنة من ملكه وهو الذي بنى مدينة نيسابور وسجستان وبنى الإيوان المشهور لمقعد ملوكهم ، وملك لعهده أمرؤ القيس بن عديّ ، وأوصى بالملك لأخيه أردشير بن هرمز ، وفتك في أشراف فارس وعظمائهم فخلعوه لأربعين سنة من دولته . وملكوا سابور بن ذي الأكتاف فاستبشر الناس برجوع ملك أبيه إليه ، وأحسن السيرة ورفق بالرعية وحمل على ذلك العمّال والوزراء والحاشية ولم يزل عادلا ، وخضع له عمه أردشير المخلوع ، وكانت له حروب مع إياد وفي ذلك يقول شاعرهم :

على رغم سابور بن سابور أصبحت قبابُ إياد حولها الخيل والنعم

وقيل إنّ هذا الشعر إنما قيل في سابور ذي الأكتاف . ثم هلك سابور لخمس سنين من دولته ، وملك أخوه بهرام ويلقب كرمان شاه وكان حسن السياسة وهلك لإحدى عشرة سنة من دولته رماه بعض الرماة بسهم في القتال فقتله . وملك بعده ابنه يزدجرد الأثيم ، وبعض نسّابة الفرس يقول إنّه أخوه ولي إبنه وإنّما هو ابن ذي الأكتاف . وقال هشام بن محمد : كان فظًّا غليظا كثير المكر والخديعة يفرغ في ذلك عقله وقوّة معرفته وكان معجبا برأيه سيء الخلق كثير الحدّة يستعظم الزلّة الصغيرة ويردّ الشفاعة من أهل بطانته متهما للناس قليل المكافأة . وبالجملة فهو سيء الأحوال مذمومها واستوزر ، لأول ولايته برسيّ الحكيم ويسمّى فهر برشي ومهر مرسة ، وكان متقدّمًا في الحكمة والفضائل وأمّل أهل المملكة أن تهرب من يزدجرد الأثيم ، فلم يكن ذلك واشتدّ أمره على الأشراف بالاهانة وعلى من دونهم بالقتل . وبينما هو جالس في

مجلسه يوما إذا بفرس[1] عابر لم يطق أحد إمساكه قد وقف ببابه ، فقام إليه ليتولى إمساكه بنفسه فرمحه فمات لوقته لاحدى وعشرين سنة من ملكه .

وملك بعده ابنه بهرام بن يزدجرد ويلقب ببهرام جور ، وكان نشوؤه ببلاد الحيرة مع العرب أسلمه أبوه إليهم فربيّ بينهم وتكلّم بلغتهم ولما مات أبوه قدّم أهل فارس رجلا من نسل أردشير ، ثم زحف بهرام جور بالعرب فاستولى على ملكه كما نذكر في أخبار آل المنذر . وفي أيام بهرام جور سار خاقان ملك الترك إلى بلاد الصغد من ممالكه فهزمه بهرام وقتله ، ثم غزا الهند وتزوّج ابنة ملكهم فهابته ملوك الأرض ، وحمل إليه الروم الأموال على سبيل المهادنة ، وهلك لتسع وعشرين من دولته .

وملك ابنه يزدجرد بن بهرام جور واستوزر مهر برسي الحكيم الذي كان أبوه استوزره ، وجرى في ملكه بأحسن سيرة من العدل والاحسان ، وهو الذي شرع في بناء الحائط بناحية الباب والأبواب ، وجعل جبل الفتح سدا بين بلاده وما وراءها من أمم الأعاجم ، وهلك لعشرين سنة من دولته .

وملك من بعده ابنه هرمز وكان ملكا على سجستان فغلب على الدولة ولحق أخوه فيروز بملك الصغد بمرو الروذ . وهذه الأمم هم المعروفون قديما بالهياطلة وكانوا بين خوارزم وفرغانة ، فأمر فيروز بالعساكر وقاتل أخاه هرمز فغلبه وحبسه . وكانت الروم قد امتنعت من حمل الخراج فحمل إليهم العساكر مع وزيره مهر برسي ، فأثخن في بلادهم حتى حملوا ما كان يحملونه واستقام أمره وأظهر العدل . وأصابهم القحط في دولته سبع سنين فأحسن تدبير الناس فيها وكفّ عن الجباية وقسّم الأموال ، ولم يهلك في تلك السنين أحد إتلافاً . وقيل أنه استسقى لرعيته من ذلك القحط فسقوا وعادت البلاد إلى أحسن ما كانت عليه . وكان لأول ما ملك أحسن إلى الهياطلة جزاء بما أعانوه على أمره ، فقوي ملكهم أمره وزحفوا إلى أطراف ملكه وملكوا طخارستان وكثيرا من بلاد خراسان وزحف هو إلى قتالهم فهزموه وقتلوه وأربعة بنين له وأربعة إخوة واستولوا على خراسان بأسرها . وسار إليهم رجل من عظماء الفرس من أهل شيراز فغلبهم على خراسان وأخرجهم منها حتى ألقوا بجميع ما أخذوه من عسكر فيروز من الأسرى والسبي ، وكان مهلكه لسبع وعشرين من ملكه . وبنى المدن بالري

(١) وردت هذه القصة في كتاب التاج للجاحظ ص ٢٧٤ : «... وقالت الفرس ، هذا ملك من الملائكة جعله الله في صورة فرس ، فبعثه لقتل يزدجرد لما ظلم الرعية وعاث في الأرض » .

وجرجان وأذربيجان .

وقال بعضهم : إنّ ملك الهياطلة الذي سار إلى فيروز اسمه خشتوا[1] ، والرجل الذي استرجع خراسان من يده هو خرسوس من نسل منوشهر ، وإن فيروز استخلفه لما سار إلى خشتوا والهياطلة على مدينتي الملك وهما طبسون ونهرشير ، فكان من أمره مع الهياطلة بعد فيروز ما تقدّم .

وملك بعد فيروز بن يزدجرد ابنه يلاوش بن فيروز ونازعه أخوه قبّاذ الملك فغلبه يلاوش ولحق قبّاذ بخاقان ملك الترك يستنجده . وأحسن يلاوش الولاية والعدل وحمل أهل المدن على عمارة ما خرّب من مدنهم ، وبنى مدينة ساباط بقرب المدائن ، وهلك لأربع سنين من دولته . وملك من بعده أخوه قبّاذ بن فيروز وكان قد سار بعساكر الترك أمده بها خاقان ، فبلغه الخبر بمهلك أخيه وهو بنيسابور من طريقه ، وقد لقي بها إبناً كان له هنالك حملت به أمّه منه عند مروره ذلك الى خاقان ، فلما أحل بنيسابور ومعه العساكر سأل عن المرأة ، فأحضرت ومعها الخبر وجاء الخبر هنالك بمهلك أخيه يلاوش فتيمّن بالمولود وسار إلى سرحد الذي كان أبوه فيروز استخلفه على المدائن ، ومال الناس إليه دون قبّاذ واستبدّ عليه . فلما كبر وبلغ سن الاستبداد بأمره أنف من استبداد سرحد عليه ، فبعث إلى أصبهبذ البلاد وهو سابور مهران فقدم عليه وقبض على سرحد وحبسه ثم قتله ولعشرين من دولته حبس وخلع . ثم عاد إلى الملك وصورة الخبر عن ذلك أنّ مزدك الزنديق كان إباحيا ، وكان يقول باستباحة أموال الناس وأنها فيء ، وأنه ليس لأحد ملك شيء ولا حجره ، والأشياء كلها ملك لله مشاع بين الناس لا يختص به أحد دون أحد وهو لمن اختاره ، فعثر الناس منه على متابعة مزدك في هذا الاعتقاد واجتمع أهل الدولة فخلعوه وحبسوه ، وملكوا جاماسات أخاه .

وخرج رزمهر شاكيا داعيا لقباذ ويقرّب إلى الناس بقتل المزدكية ، وأعاد قباذ إلى ملكه ، ثم سعت المزدكية عنده في رزمهر بإنكار ما أتى قبلهم فقبله ، واتهمه الناس برأي مزدك فانتقضت الأطراف وفسد الملك وخلعوه وحبسوه وأعادوا جاماسات . وفرّ قباذ من محبسه ولحق قباذ بالهياطلة وهم الصغد مستجيشا لهم ، ومرّ في طريقه بأبو شهر فتزوج بنت ملكها وولدت له أنو شروان ، ثم أمدّه ملك الهياطلة ، فزحف إلى

---

(١) وفي الكامل : أخشنوار.

المدائن لست سنين من مغيبه وغلب أخاه جاماسات واستولى على الملك . ثم غزا بلاد الروم وفتح آمد وسبى أهلها وطالت مدّته وابتنى المدن العظيمة منها مدينة أرّجان بين الأهواز وفارس ، ثم هلك لثلاث وأربعين سنة من ملكه في الكرة الأولى .

وملك ابنه أنو شروان بن قبّاذ بن فيروز بن يزدجرد ، وكان يلي الأصبهبذ وهي الرياسة على الجنود ، ولما ملك فرّق أصبهبذ البلاد على أربعة فجعل : أصبهبذ المشرق بخراسان والمغرب بأذربيجان وبلاد الخزر واستردّ البلاد التي تغلب عليها جيران الأطراف من الملوك مثل السند وبست الرُخّج وزابلستان وطخارستان ودهستان . وأثخن في أمّة البازر وأجلى بقيتهم ، ثم أدهنوا واستعان بهم في حروبه . وأثخن في أمّة صول واستلحمهم ، وكذلك الجرامقة وبلنجر واللان وكانوا يجاورون أرمينية ويتملأون على غزوها فبعث إليهم العساكر واستلحموهم وأنزل بقيتهم أذربيجان . وأحكم بناء الحصون التي كان بناها قبّاذ وفيروز بناحية صول واللان لتحصين البلاد ، وأكمل بناء الأبواب والسور الذي بناه جدّه بجبل الفتح ، بنوه على الأزماق المنفوخة تغوص في الماء كلما ارتفع البناء إلى أن استقرّت بقعر البحر وشقت بالخناجر فتمكن الحائط من الأرض ثم وصل السور في البرما بين جبل الفتح والبحر ، وفتحت فيه الأبواب ثم وصلوه في شعاب الجبل وبقي فيه إلى أن كمل . قال المسعودي : إنه كان باقيا لعصره . والظنّ أن التتر خرّبوه بعدلمّا استولوا على ممالك الإسلام في المائة السابعة ، ومكانه اليوم في مملكة بني ذو شيخان ملوك الشمال منهم . وكان لِكسرى أنوشروان في بنائه خبر مع ملوك الخزر .

ثم استفحل ملك الترك زحف خاقان سيحور وقتل ملك الهياطلة واستولى على بلادهم وأطاعه أهل بلنجر وزحف إلى بلاد صول في عشرة آلاف مقاتل ، وبعث الى أنوشروان يطلب منه ما أعطاه أهل بلنجر في الفداء ، وضبط أنوشروان أرمينية بالعساكر ، وامتنعت صُول بملكها أنوشروان والناحية الأخرى بسور الأبواب ، فرجع خاقان خائبا .

وأخذ أنوشروان في إصلاح السّابلة والأخذ بالعدل وتفقّد أهل المملكة وتخيّر الولاة والعمّال مقتديا بسيرة أردشير بن بابك جدّه . ثم سار إلى بلاد الروم وافتتح حلب وقبرص وحمص وانطاكية ومدينة هرقل ثم الاسكندرية ، وضرب الجزية على ملوك القبط ، وحمل إليه ملكُ الروم الفدية ، وملك الصين والتبت الهدايا . ثم غزا بلاد

الخزر وأدرك فيهم بثأره وما فعلوه ببلاده . ثم وفد عليه ابن ذي يزن من نسل الملوك التبابعة يستجيشه على الحبشة فبعث معه قائدا من قوّاده في جند من الديلم فقتلوا مسروقا ملك الحبشة باليمن وملكوها ، وملك عليهم سيف بن ذي يزن . وأمره أن يبعث عساكره إلى الهند فبعث إلى سرنديب قائدا من قوّاده فقتل ملكها واستولى عليها وحمل إلى كسرى أموالا جمة . وملك على العرب في مدينة الحيرة . ثم سار نحو الهياطلة مطالبا بثأر جدّه فيروز فقتل ملكهم واستأصل أهل بيته ، وتجاوز بلخ وما وراءها ، وأنزل عساكره فرغانة وأثخن في بلاد الروم وضرب عليهم الجزى . وكان مكرما للعلماء محبا للعلم وفي أيامه ترجم كتاب كليلة وترجمه من لسان اليهود[1] وحله بضرب الأمثال ويحتاج إلى فهم دقيق . وعلى عهده ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم لإثنتين وأربعين سنة من ملكه وذلك عام الفيل . وكذلك ولد أبوه عبدالله بن عبد المطلب لأربع وعشرين من ملكه .

قال الطبريّ : وفي أيامه رأى الموبذان الإبل الصعاب تقود الخيل العراب وقد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها فأفزعه ذلك ، وقصّ الرؤيا على من يعبّرها ، فقال : حادث يكون من العرب . فكتب كسرى إلى النعمان أن يبعث إليه بمن يسأله عما يريده فبعث إليه بعبد المسيح بن عمرو بن حسّان بن نفيلة الغسّاني وقصّ عليه الرؤيا فدلّه على سطيح ، وقال له : إئته أنت فسار إليه وقصّ عليه الرؤيا فأخبره بتأويلها وأنّ ملك العرب سيظهر والقصة معروفة . وكان فيما قاله سطيح إنّه يملك من آل كسرى أربعة عشر ملكا فاستطال كسرى المدّة وملكوا كلهم في عشرين سنة أو نحوها .

وبعث عامل اليمن وهرز بهديّة وأموال وطرف من اليمن إلى كسرى ، فأغار عليها بنو يربوع من تميم وأخذوها ، وجاء أصحاب العير الى هوذة بن عليّ ملك اليمامة من بني حنيفة ، فسار معهم إلى كسرى فأكرمه وتوّجه بعقد من لؤلؤ ومن ثمَّ قيل له ذو التاج ، وكتب إلى عامله بالبحرين في شأنهم ، وكان كثيرا ما يوقع ببني تميم ويقطعهم حتى سمّوه المكفَّر فتحيل عليهم بالميرة ، ونادى مناديه في أحيائهم : إنّ الأمير يقسم فيكم بحصن المشعر ميرة ، فتسايلوا[2] إليه ودخلوا الحصن ، فقتل الرجال وخصى

(١) ترجم الكتاب من اللغة الهندية . وفي مقدمة هذا الكتاب عرض وافي لكيفية الحصول عليه من المكتبة الهندية .

(٢) اي قدموا من كل جهة كالسيل .

الصبيان . وجاءت هدية أخرى من اليمن على أرض الحجاز أجازها رجل من بني كنانة فعدت عليه قيس وقتلوه وأخذوا الهدية ، فنشأت الفتنة بين كنانة وقيس لأجل ذلك وكانت بينهما حرب الفجّار عشرين سنة وشهدها رسول الله صلى الله عليه وسلم صغيرا كان ينبل على أعمامه . ثم هلك أنوشروان لثمان وأربعين من دولته وملك ابنه هرمز .

قال هشام : وكان عادلا حتى لقد أنصف من نفسه خصيًّا كان له ، وكانت له خؤلة في الترك وكان مع ذلك يقتل الأشراف والعلماء ، وزحف إليه ملك الترك شبَّابة في ثلثمائة ألف مقاتل ، فسار هرمز إلى هراة وباذغيس لحربهم ، وخالفه ملك الروم إلى ضواحي العراق ، وملك الخزر الى الباب والأبواب ، وجموع العرب إلى شاطىء الفرات . فعاثوا في البلاد ونهبوا واكتنفته الأعداء من كل جانب ، وبعث قائده بهرام صاحب الريّ إلى لقاء الترك ، وأقام هو بمكانه من خراسان بيت هراة وباذغيس ، وقاتل بهرام الترك وقتل ملكهم شبّابة بسهم أصابه واستباح معسكره وأقام بمكانه . فزحف إليه برمومة بن شبّابة بالترك فهزمه بهرام وحاصره في بعض الحصون حتى استسلم وبعث به الى هرمز أسيرا ، وبعث معه بالأموال والجواهر والآنية والسلاح وسائر الأمتعة يقال في مائتين وخمسين ألفا من الأحمال ، فوقع ذلك من هرمز أحسن المواقع . وغصّ أهل الدولة ببهرام وفعله فأكثروا فيه السعاية وبلغ الخبر إلى بهرام فخشيه على نفسه فداخل من كان معه من المرازبة وخلعوا هرمز ، ودعوا لابنه أبرويز وداخلهم في ذلك أهل الدولة ، فلحق أبرويز بأذربيجان خائفا على نفسه ، واجتمع إليه المرازبة والأصبهبذيّون فملكوه . ووثب بالمدائن الأشراف والعظماء ونفدويه وبسطام خال أبرويز فخلعوا هرمز وحبسوه تحرّزا من قتله .

وأقبل أبرويز بمن معه إلى المدائن فاستولى على الملك ، ثم نظر في أمر بهرام وتحرّز منه وسار إليه وتوافقا بشط النهروان[1] ، ودعاه أبرويز إلى الدخول في أمره ويشترط ما أحب ، فلم يقبل ذلك وناجزه الحرب فهزمه . ثم عاود الحرب مرارا وأحس أبرويز بالقتل من أصحابه فرجع إلى المدائن منهزما ، وعرض على النعمان أن يركبه فرسه فنجا عليها . وكان أبوه محبوسا بطيسبون فأخبره الخبر وشاوره فأشار عليه بقصد موريق ملك الروم يستجيشه ، فمضى لذلك ونزل المدائن لإثنتي عشرة سنة من ملكه .

(1) ثلاث قرى بين واسط وبغداد .

وفي بعض من طرق هذا الخبر أنّ أبرويز لمّا استوحش من أبيه هرمز لحق بأذربيجان واجتمع عليه من اجتمع ولم يحدث شيئا . وبعث هرمز لمحاربة بهرام قائداً من مرازبته فانهزم وقتل ورجع فلّهم إلى المدائن وبهرام في اتّباعهم ، واضطرب هرمز وكتبت إليه أخت المرزبان المهزوم من بهرام تستحثه للملك فسار إلى المدائن وملك ، وأتاه أبوه فتواضع له أبرويز وتبرأ له من فعل الناس وأنه إنمّا حمله على ذلك الخوف ، وسأله أن ينتقم له ممن فعل به ذلك وأن يؤنسه بثلاثة من أهل النسب والحكمة يحادثهم كل يوم فأجابه ، واستأذنه في قتل بهرام جوبين فأشار به . وأقبل بهرام حثيثا وبعث خاليه نفدويه وبسطام يستدعيانه للطاعة فردّ أسوأ ردّ وقاتل أبرويز واشتدّت الحرب بينهما ، ولما رأى أبرويز فشل أصحابه شاور أباه ولحق بملك الروم ، وقال له خالاه عند وصولهم من المدائن : نخشى أن يدخل بهرام المدائن ويملّك أباك ويبعث فينا إلى ملك الروم . وانطلقوا إلى المدائن فقتلوا هرمز ثم ساروا مع أبرويز وقطعوا الفرات ، واتبعتهم عساكر بهرام وقد وصلوا إلى تخوم الروم وقاتلوهم وأسروا نفدويه خال أبرويز ورجعوا عنهم . ولحق أبرويز ومن معه بأنطاكية وبعث إلى قيصر موريق يستنجده فأجابه وأكرمه وزوّجه إبنته مريم ، وبعث إليه أخاه بناطوس بستين ألف مقاتل وقائدهم ، واشترط عليه الإتاوة التي كان الروم يحملونها ، فقبل وسار بالعساكر إلى أذربيجان ووافاه هنالك خاله نفدويه هاربا من الأسر الذي كانوا أسروه . ثم بعث العساكر من أذربيجان مع أصبهبذ الناحية ، فانهزم بهرام جوبين ولحق بالترك وسار أبرويز إلى المدائن فدخلها وفرّق في الروم عشرين ألف ألف دينار وأطلقهم إلى قيصر .

وأقام بهرام عند ملك الترك وصانع أبرويز عليه ملك الترك وزوجته حتى دست عليه من قتله ، واغتمّ لذلك ملك الترك وطلّقها من أجله ، وبعث إلى أخت بهرام أن يتزوّجها فامتنعت ، ثم أخذ أبرويز في مهاداة قيصر موريق وألطافه ، وخلعه الروم وقتلوه وملّكوا عليهم ملكا إسمه قُوفا قيصر ، ولحق ابنه بأبرويز فبعث العساكر على ثلاثة من القواد وسار أحدهم ودوّخوا الشام إلى فلسطين ، ووصلوا إلى بيت المقدس فأخذوا أسقفتها ومن كان بها من الأقسّة وطالبوهم بخشبة الصليب فاستخرجوها من الدفن وبعثوا بها إلى كسرى ، وسار منهم قائد آخر إلى مصر واسكندرية وبلاد النوبة فملكوا ذلك كلّه ، وقصد الثالث قُسطنطينيّة وخيّم على الخليج وعاث في ممالك الروم .

ولم يجب أحد إلى طاعة ابن موريق وقتل الروم قُوفا الذي كانوا ملّكوه لما ظهر من فجوره ، وملّكوا عليهم هرقل فافتتح أمره بغزو بلاد كسرى وبلغ نصيبين ، فبعث كسرى قائدا من أساورته فبلغ الموصل وأقام عليها يمنع الروم المجاوزة ، وجاز هرقل من مكان آخر إلى جند فارس ، فأمر كسرى قائده بقتاله فانهزم وقتل وظفر هرقل بحصن كسرى وبالمدائن ، ووصل هرقل قريبا منها ثم رجع . وأولع كسرى العقوبة بالجند المنهزمين ، وكتب إلى سخراب بالقدوم من خراسان وبعثه بالعساكر ، وبعث هرقل عساكره والتقيا بأذرعات وبصرى[1] فغلبتهم عساكر فارس ، وسار سخراب في أرض الروم يخرّب ويقتل ويسبي حتى بلغ القُسطنطينيّة ، ورجع وعزله أبرويز عن خراسان وولّى أخاه .

وفي مناوبة هذا الغلب بين فارس والروم نزلت الآيات من أوّل سورة الروم . (قال الطبري) : وأدنى الأرض التي أشارت إليها الآية هي أذرعات وبُصرى التي كانت بها هذه الحروب . ثم غلبت الروم لسبع سنين من ذلك العهد وأُخبر المسلمون بذلك الوعد الكريم لما أهمَّهُم من غلب فارس الروم ، لأن قريشا كانوا يتشيّعون لفارس لأنهم غير دائنين بكتاب ، والمسلمون يودّون غلب الروم لأنهم أهل كتاب ، وفي كتب التفسير بسط ما وقع في ذلك بينهم .

وأبرويز هذا هو الذي قتل النعمان بن المنذر ملك العرب وعامله على الحيرة سخَّطه بسعاية عديّ بن زيد العباديّ وزير النعمان ، وكان قد قتل أباه وبعثه إلى كسرى ليكون عنده ترجماناً للعرب كما كان أبوه قد فعل بسعايته في النُعمان وحمله على أن يخطب إليه إبنته ، وبعث إليه رسوله بذلك عديّ بن زيد فترجم له عنه في ذلك مقالة قبيحة أحفظت كِسرى أبرويز مع ما كان تقدّم له في منعه الفرس يوم بَهْرَام كما تقدّم ، فاستدعاه أبرويز وحبسه بساباط ، ثم أمر به فطرح للفيلة[2] ، وولّى على العرب بعده أياس بن قُبيصة الطائيّ جزاءً بوفاء ابن عمه حسّان يوم بُهرام كما تقدّم .

---

(١) بلد في الشام مشهورة بصناعة السيوف .

(٢) (المعروف في كتب الادب ان النعمان زوج ابنة عدي ، وان بني مرينا — وهي اسرة تكره بني ايوب : أسرة عدي — قد احفظها هذا الزواج الذي أدى الى ملكية النعمان لأنها كانت تريد ان يتولى الملك ولد آخر من اولاد المنذر الرابع فأخذت تتقرب إلى النعمان وتدس الدسائس على عدي — فغضب عليه النعمان وسجنه فشفع به كسرى فأخفقت الشفاعة ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل زاد النعمان على ذلك فقتل عديا فغضب زيد ابنه ودبّر مكيدة دفعت كسرى لقتل النعمان) .

ثم كان على عهده وقعة ذي قار لبكر بن وائل ومن معهم من عَبْس وتميم على الباهوت مسلحة كسرى بالحيرة ومن معه من طيء ، وكان سببها أنّ النعمان بن المنذر أودع سلاحه عند هانيء بن مسعود الشيباني وكانت شِكَّة ألف فارس ، وطلبها كسرى منه ، فأبى إلاّ أن يردّها إلى بيته ، فآذنه كسرى بالحرب وآذنوه بها . وبعث كسرى إلى أياس أن يزحف إليه بالمسالح التي كانت ببلاد العرب بأن يوافوا أياسا ، واقتتلوا بذي قار وانهزمت الفرس ومن معهم . وفيها قال النبي صلى الله عليه وسلم : «اليوم انتصف العرب من العجم وبي نُصِرُوا أوحى إليه بذلك أو نفث في روعه ، قيل إنّ ذلك كان بمكّة وقيل بالمدينة بعد وقعة بدر بأشهر .

وفي أيام أبرويز كانت البعثة لعشرين من ملكه وقيل لإثنتين وثلاثين حكاه الطبريّ ، وبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابه يدعوه إلى الإسلام ، كما تقدّم في أخبار اليمن وكما يأتي في أخبار الهجرة .

ولما طال ملك ابرويز بَطِرَ وأشِرَ وخَسِرَ الناس في أموالهم وولّى عليهم الظَّلَمَة وضيّق عليهم المعاش وبغّض عليهم ملكه . وقال هشام : جمع أبرويز من المال ما لم يجمعه أحد ، وبلغت عساكره القسطنطينية وأفريقية ، وكان يشتو بالمدائن ويصيّف بهمدان ، وكان له إثنتا عشرة ألف امرأة ، وألف فيل وخمسون ألف دابة . وبنى بيوت النيران وأقام فيها إثني عشر ألف هربذ وأحصى جبايته لثمان عشرة سنة من ملكه فكان أربعمائة ألف ألف مكرّرة مرتين وعشرون ألف ألف مثلها فحمل إلى بيت المال بمدينة طبسون ، وكانت هنالك أموال أخرى من ضرب فيروز بن يزدجرد منها إثنا عشر ألف بَدْرَة في كل بدرة من الورق مصارفة أربعة آلاف مثقال فتكون جملتها ثمانية وأربعين ألف ألف مثقال مكرّرة مرتين في صنوف من الجواهر والطيوب والأمتعة والآنية لا يحصيها إلا الله تعالى . ثم بلغ من عتوّه واستخفافه بالناس أنه أمر بقتل المقيدين في سجونه وكانوا ستة وثلاثين ألفاً ، فنقم ذلك عليه أهل الدولة وأطلقوا ابنه شيرويه واسمه قبّاذ وكان محبوسا مع أولاده كلهم لانذار بعض المنجمين له بأن بعض ولده يغتاله فحبسهم ، وأطلق أهل الدولة شيرويه وجمعوا إليه المقيدين الذين أمر بقتلهم ، ونهض إلى قصور الملك بمدينة نهرشير فملكها وحبس أبرويز وبعث إلى ابنه شيرويه يعنّفه ، فلم يرض ذلك أهل الدولة وحملوه على قتله ، وقتل لثمان وثلاثين سنة من ملكه ، وجاءته أختاه بُوران وأزرميدخت فأسمعتاه وأغلظتا له فيما فعل فبكى

ورمى التاج عن رأسه ، وهلك لثمانية أشهر من مقتل أبيه في طاعون وهلك فيه نصف الناس أو ثلثهم ، وكان مهلكه لسبع من الهجرة فيما قال السُهيليّ .
ثم وليَ ملك الفُرس من بعده ابنه أردشير طفلا ابن سبع سنين لم يجدوا من بين الملك سواه لأن أبرويز كان قتل المرشّحين كلهم من بنيه وبني أبيه ، فملّك عظماء فارس هذا الطفل أردشير وكفله بهادرخشنش صاحب المائدة في الدولة ، فأحسن سياسة ملكه وكان شهريران بتخوم الروم في جند ضمّهم إليه أبرويز وحموهم هنالك وصاحب الشورى في دولتهم ، ولما لم يشاوروه في ذلك غضب وبسط يده في القتل ، وطمع في الملك وأطاعه من كان معه من العساكر . وأقبل الى المدائن وتحصّن بهادرُخشنش بمدينة طبسون دار الملك ، ونقل إليها الأموال والذخائر وأبناء الملوك ، وحاصرها شهريران فامتنعت ، ثم داخل بعض العسس ففتحوا له الباب فاقتحمها وقتل العظماء واستصفى الأموال وفضح النساء .
وبعث أردشير الطفل الملك من قتله لسنة ونصف من ملكه ، وملك شهريرانَ على التخت ولم يكن من بيت الملك ، وامتعض لقتل أردشير جماعة من عظماء الدولة وفيهم زادان فرُّوخ وشهريران ووهبُ مؤدّبُ الأساورة ، وأجمعوا على قتل شهريران . وداخلوا في ذلك بعض حرس الملك فتعاقدوا على قتله ، وكانوا يعملون قدام الملك في الأيام والمشاهد سِماطين ، ومرّ بهم شهريران بعض أيام بين السماطين وهم مسلحون فلما حاذاهم طعنوه فقتلوه وقتلوا العظماء بعد قتل أردشير الطفل .
ثم ملّكوا بوران بنت أبرويز ودفعت أمر الدولة إلى[1] قبائل شهريران من حرس الملك وهو فرّوخ بن ماخدشيراز من أهل إصطخر ، ورفعت رتبته ، وأسقطت الخراج عن الناس ، وأمرت برم القناطير والجسور وضرب الورق ، وردّت خشبة الصليب على الجاثليق ملك الروم ، وهلكت لسنة وأربعة أشهر . وملّكوا بعدها خشنشده من عمومة أبرويز عشرين يوما فملك أقل من شهر . ثم ملك أزرميدخت بنت أبرويز وكانت من أجلّ نسائهم ، وكان عظيم فارس يومئذ فرّوخ هُرمُز أصبهبذ خراسان فأرسل إليها في التزويج ، فقالت هو حرام على الملكة ودعته ليلة كذا ، فجاء وقد عهدت إلى صاحب حرسها أن يقتله ففعل ، فأصبح بدار الملك قتيلا وأخفي أثره . وكان لما سار إلى أزرميدخت استخلف على خراسان إبنه رستم ، فلما سمع بخبر أبيه

(١) الواضح من سياق الجملة ان كلمة سقطت اثناء النسخ فتكون الجملة (الى رجل من قبائل شهريران).

أقبل في جند عظيم حتى نزل المدائن وملكها ، وسمل أزرميدخت وقتلها ، وقيل سمّها فماتت وذلك لستة أشهر من ملكها ، وملكوا بعدها رجلا من نسل أردشير بن بابك وقتل لأيام قلائل ، وقيل بل هو من وُلد أبرويز اسمه فرّوخ زاذ بن خسرو وجدوه بحصن الحجارة قريب نصيبين ، فجاؤا به إلى المدائن وملّكوه ثم عصوا عليه فقتلوه.

وقيل لمّا قتل كسرى بن مهرخشنش طلب عظماء فارس من يولّونه الملك ولو من قبل النساء ، فأتى برجل وجد بميسان إسمه فيروز بن مهرخشنش ويسمى أيضا خشنشدة أمّه صهاربخت بنت يرادفرّار بن أنوشروان فملّكوه كرهاً ، ثم قتلوه بعد أيام قلائل. ثم شخص رجل من عظماء الموالي وهو رئيس الخوَل إلى ناحية الغرب ، فاستخرج من حصن الحجارة قرب نصيبين إبناً لكسرى كان لجأ إلى طبسون فملّكوه ، ثم خلعوه وقتلوه لستة أشهر من ملكه.

وقال بعضهم : كان أهل إصطخر قد ظفروا بيزدجرد بن شهريار بن أبرويز فلما بلغهم أن أهل المدائن عصوا على ابن خِسْرو فَرّوخ زاذ أتوا بيزدجرد من بيت النار الذي عندهم ويدعى أردشير ، فملّكوه بإِصْطَخْر وأقبلوا به إلى المدائن ، وقتلوا فروخ زاذ خسرو لسنة من ملكه. واستقلّ يزدجرد بالملك وكان أعظم وزرائه رئيس الموالي الذي جاء بفرّخزاد خسرو من حصن الحجارة. وضعفت مملكة فارس ، وتغلب الأعداء على الأطراف من كل جانب ، فزحف إليهم العرب المسلمون بعد سنتين من ملكه ، وقيل بعد أربع ، فكانت أخبار دولته كلها هي أخبار الفتح نذكرها هنالك إلى أن قتل بمرو بعد نيف وعشرين سنة من ملكه.

هذه هي سياقة الخبر عن دولة هؤلاء الأكاسرة الساسانية عند الطبري. ثم قال آخرها : فجميع سني العالم من آدم إلى الهجرة على ما يزعمه اليهود أربعة آلاف سنة وستمائة وإثنان وأربعون سنة ، وعلى ما يدّعيه النصارى في توراة اليونانيين ستة آلاف سنة غير ثمان سنين ، وعلى ما يقوله الفرس إلى مقتل يزدجرد أربعة آلاف ومائة وثمانون سنة ومقتل يزدجرد عندهم لثلاثين من الهجرة ، وأمّا عند أهل الإسلام فبين آدم ونوح عشرة قرون والقرن مائة سنة وبين نوح وابراهيم كذلك وبين ابراهيم وموسى كذلك ونقله الطبري عن ابن عبّاس وعن محمد بن عمرو بن واقد الإسلامي عن جماعة من أهل العلم وقال : إنّ الفترة بين عيسى وبين محمد صلى الله عليه وسلم ستمائة سنة ورواه عن سلمان الفارسي وكَعْب الأحبار والله أعلم بالحق في ذلك والبقاء لله الواحد القهّار.

لا كج كب كا يط يز يه ه يد يج يب ط ح ز ه ا د ج

يزدجرد بن شهريار بن ابرويز بن هرمز بن انوشروان بن قباد بن فيروز بن يزدجرد بن بهراجور بن يزدجرد الاثم بن بهرام بن سابور بن هرمز بن قرسين بن بهرام بن بهرام بن هرمز بن

كا
اردشير بن شيرويه
كط
آزرميدخت
كح
بوران بنت
كد
خشنشدة
كه

ل
فيروز بن مهرخشنش
فرخزاد بن خسرو
كو شهزاد

جاماسب
يح
يو هرمز

يلقب بكرمان شاه
يا
سابور
هو ذو الاكتاف
اردشير
و بهرام

سابور بن اردشير بن بابك بن ساسان الاصغر بن بابك بن ساسان الاكبر بن كي بهمن بن اسفنديار بن بستاسف

الخبر عن دولة يونان والروم وأنسابهم ومصايرهم

كان هؤلاء الأمم من أعظم أمم العالم وأوسعهم ملكا وسلطانا ، وكانت لهم الدولتان العظيمتان للإسكندر والقياصرة من بعده الذين صبحهم الإسلام وهم ملوك بالشام ، ونَسَبُهُم جميعاً إلى يافث باتفاق من المحقّقين ، إلا ما ينقل عن الكندي في نسب يونان إلى عابر بن فالغ وأنه خرج من اليمن بأهله وولده مغاضبا لأخيه قحطان فنزل ما بين الافرنجة والروم فاختلط نسبه بهم ، وقد ردّ عليه أبو العبّاس الناشيء في ذلك بقوله :

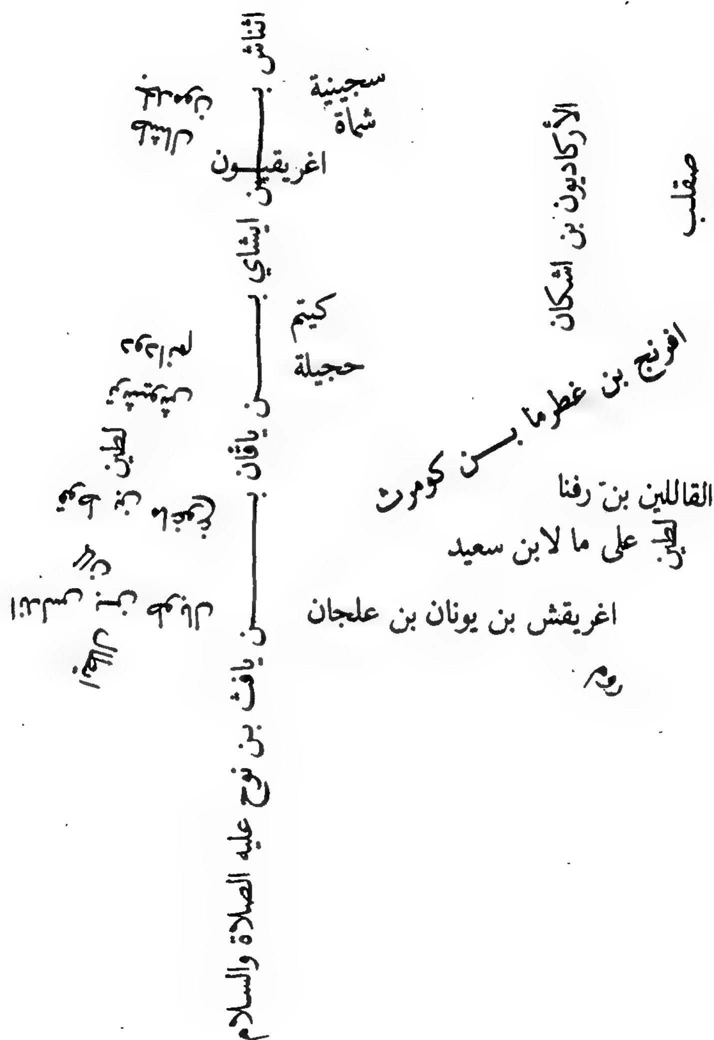
تخلط يونان بقحطانَ ضلّة　　　لعمري لقد باعدت بينهما جدّا

ولذلك يقال إنّ الاسكندر من تبّع ، وليس شيء من ذلك بصحيح ، وإنما الصحيح نسبهم إلى يافث ، ثم إنّ المحقّقين ينسبون الروم جيمعا إلى يونان الأغريقيون منهم واللطينيون . ويونان معدود في التوراة من وُلْد يافث لِصلبه ، وإسمه فيها يافانُ بفاء تقرب من الواو ، فعرّبته العرب الى يونان .

وأمّا هروشيوش فجعل الغريقيين خمس طوائف منتسبين إلى خمسة من أبناء يونان وهم : كيتم وحجيلة وترشوش ودودانم وإيشاي ، وجعل من شعوب إيشاي سجينيّة وأثناش وشمالا وطشّال ولحدمون . ونسب الروم اللطينيين فيهم ولم يعين نسبهم في أحد من الخمسة ، ونسب الافرنج إلى غطر ما بن عُومر بن يافث ، وقال : إن الصقالبة إخوانهم في نسبه ، وقال : إنّ الملك كان في هذه الطوائف لبني أشكان بن غومر والملوك منهم هؤلاء الغريقيون قبل يونان وغيرهم . ونَسَبَ القوط الى ماداي بن يافث وجعل من إخوانهم الارمن ، ثم نسب القوط مرّة أخرى إلى ما غُوغ بن يافث وجعل اللطينيين من إخوانهم في ذلك التسب . ونسب القاللّين منهم إلى رَفّنا بن غومار ، ونسب إلى طُوبال بن يافث الأندلس والإيطاليين والأركاديّين ، ونسب إلى طِيراش بن يافث أجناس الترك . واسم الغريقيين عنده يشمل أبناء يونان كلهم كما ذكره ، وينوّع الروم إلى الغريقيين واللطينيين .

وقال ابن سعيد فيما نقله منْ تواريخ المشرق عن البيهقي وغيره : إنّ يونان هو ابن علجان بن يافث ، قال : ولذلك يقال لهم العُلُوج ويشركهم في هذا النسب سائر

أهل الشمال من غير الترك ، وإنّ الشعوب الثلاثة من وُلْد يونان ، فالإغريقيون من ولد أغرِ يقش بن يونان والروم من وُلْد رومي بن يونان واللطينيون من وُلْد لظين بن يونان ، وإنّ الإسكندر من الروم منهم والله أعلم . ونحن الآن نذكر أخبار الدولتين الشهيرتين منهم مبلغ علمنا والله الموفق للصواب سبحانه وتعالى .



الخبر عن دولة يونان والاسكندر منهم وما كان لهم من الملك والسلطان الى انقراض أمرهم

هؤلاء اليونانيون المتشّعبون إلى الغريقيين واللطينيين — كما قلناه — اختصوا بسكنى الناحية الشمالية من المعمور مع إخوانهم من سائر بني يافث كلهم كالصقالبة والترك والافرنجة من ورائهم وغيرهم من شعوب يافث ، ولهم منها الوسط ما بين جزيرة الأندلس إلى بلاد الترك بالمشرق طولا وما بين البحر المحيط والبحر الرومي عرضاً ، فمواطن اللطينين منهم في الجانب الغربي ومواطن الغريقيين منهم في الجانب الشرقي والبحر بينهما خليج القسطنطينية . وكان لكل واحد من شعبي الغريقيين واللطينيين منهم دولة عظيمة مشهورة في العالم .

واختص الغريقيون باسم اليونانيين ، وكان منهم الإسكندر المشهور الذكر أحد ملوك العالم ، وكانت ديارهم كما قلناه بالناحية الشرقية من خليج القسطنطينية بين بلاد الترك ودروب الشام ، ثم استولى على ما وراء ذلك من بلاد الترك والعراق والهند ، ثم جال أرمينية وما وراءها من بلاد الشام وبلاد مقدونية ومصر والاسكندرية ، وكان ملوكهم يعرفون بملوك مقدونية .

وذكر هروشيوش مؤرّخ الروم من شعوب هؤلاء الغريقيين بنو لجدمون وبنو أنتناش ، قال : وإليهم ينسب الحكماء الأنتاشيون وهم ينسبون لمدينتهم أجدة أنتاش ، قال : ومن شعوبهم أيضا بنو طمّان ولَجْدَمُون كلهم بنو شمالا بن إيشاي ، وقال في موضع آخر : لَجدْمون أخو شمالا .

وكانت شعوب هذه الأمّة قبل الفرس والقِبْط وبني إسرائيل متفرّقة بافتراق شعوبها ، وكان بينهم وبين إخوانهم اللطينيين فتن وحروب ، ولما استفحل ملك فارس لعهد الكَيْنيّة أرادوهم على الطاعة لهم ، فامتنعوا وغزتهم فارس ، فاستصرخوا عليهم بالقِبْط فسالموهم إلى محاربة الغريقيين حتى أذلّوهم وأخذوا الجزى منهم وولّوا عليهم . ويقال : إنّ أفْريدُون ولّى عليهم إبنه ، وأنّ جدّه الإسكندر لأبيه من أعقابه . ويقال : أن بختنصّر لما ملك مصر والمغرب أنفوه بالطاعة وكانوا يحملون خراجهم إلى ملك فارس عدداً من كرات الذهب أمثال البيض ضريبة معلومة عليهم في كل سنة ، ولما فرغوا

من شأن أهل فارس وأنفوا ملكهم بالجِزَى والطاعة صرفوا وجوههم إلى حرب اللطينيين ، ثم استفحل أمر الإيشائيين من الغريقيين ولم يكن قوامهم إلا الجرمونيّون ، فغلبوهم وغلبوا بعدهم اللطينيين والفرناسيين والأركاديين ، واجتمع إليهم سائر شعوب الغريقيين واعتز سلطانهم وصار لهم الملك والدولة .

وقال ابن سعيد : إنّ الملك استقرّ بعد يونان في ابنه أغْرِيقش في الجانب الشرقي من خليج قسطنطينية ، وتوالى الملك في ولده وقهروا اللطينيين والروم ودال ملكهم في أرمينية ، وكان من أعظمهم هِرقل الجبّار بن ملكان بن سلقوس بن أغريقش ، يقال : إنه ضرب الأتاوة على الأقاليم السبعة . وملك بعده إبنه يَلاقُ وإليه تنسب الأمّة اليلاقيّةُ وهي الآن باقية على بحر سودان . واتصل الملك في عقب يلاق إلى أن ظهر إخوانهم الروم واستبدّوا بالملك ، وكان أولهم هردوس بن منطرون بن رومي بن يونان فملك الأمم الثلاثة وصار اسمه لقبا لكل من ملك بعده ، وسمّت به يهود الشام كل من قام بأمرها منهم . ثم ملك بعده إبنه هِرْمِس ، فكانت له حروب مع الفرس إلى أن قهروه وضربوا عليه الأتاوة ، فاضطرب حينئذ أمر اليونانيين وصاروا دُوَلا وممالِك . وانفرد الاغريقيون برئيس لهم ، وصنع مثل ذلك اللطينيون ، إلاّ أنّ اللقب بملك الملوك كان لملك الروم ، ثم ملك بعده إبنه مَطَرْيُوش فحمل الأتاوة لملك الفرس لاشتغاله بحرب اللطينيين والاغريقيين . وملك بعده ابنه فيلفُوش[1] وكانت أمّه من ولد سَرَم من ولد أفريدون الذي ملّكه أبوه على اليونان ، فظهر وهدم مدينة أغْريقيّة وبنى مدينة مقدونية في وسط الممالك بالجانب الغربي من الخليج . وكان محبًّا للحكمة فلذلك كثر الحكماء في دولته . ثم ملك من بعده ابنه الاسكندر وكان معلمه من الحكماء أرسطو .

وقال هروشيوش : إنّ أباه فيلفوش إنما ملك بعد الاسكندر بن تراوش أحد ملوكهم العظماء ، وكان فيلفوش صهراً له على أخته لينبادة بنت تراوش ، وكان له منها الإسكندر الأعظم . قال : وكان ملك الإسكندر بن تراوش لعهد أربعة آلاف وثمانمائة من عهد الخليقة ولعهد أربعمائة أو نحوها من بناء رومة ، وهلك وهو محاصر لرومة قتله اللطينيون عليها لسبع سنين من دولته . فولي أمر الغريقيين والروم من بعده صهره على أخته لينبادة فيلفوش ابن آمنْتة بن هركلش ، واختلفوا عليه فافترق أمرهم

(١) هو فيلبس المقدوني والد الاسكندر .

وحاربهم إلى أن انقادوا وغلبهم على سائر أوطانهم . وأراد بناء القسطنطينية فمنعه الجرمانيّون بما كانت لهم ، فقاتلهم حتى استلحمهم ، واجتمع إليه سائر الروم والغريقيين من بني يونان ، وملك ما بين المانية وجبال ارمينية . وكان الفرس لذلك العهد قد استولوا على الشام ومصر فاعتزم فيلفوش على غزو الشام ، فاغتاله في طريقه بعض اللطينيين وقتله بثأر كان له عنده . ووليّ من بعده إبنه الإسكندر فاستمرّ على مطالبة بلاد الشام ، وبعث إليه ملوك فارس في الخراج على الرسم الذي كان لعهد أبيه فيلفوش ، فبعث إليه الإسكندر إني قد ذبحت تلك الدجاجة التي كانت تبيض الذهب وأكلتها . ثم زحف إلى بلاد الشام واستولى عليها وفتح بيت المقدس وقرّب فيه القربان وذلك لعهد مائتين وخمسين من فتح بختنصّر إيّاها ، وامتعض أهل فارس لانتزاعه إياها من مَلكتهم ، فزحف إليه دارا في ستين ألفا من الفرس ولقيه الإسكندر في ستمائة ألف من قومه فغلبهم وفتح كثيرا من مدن الشام ورجع إلى طرسوس ، فزحف إليه دارا ولقيه عليها فهزمه الإسكندر وافتتح طرسوس . ومضى وبنى الإسكندرية .

ثم تزاحف مع دارا وهزمه وقتله وتخطى إلى فارس فملك بلادها وهدم مدينة المُلكِ بها وسبى أهلها ، وأشار عليه معلمه أرسطو بأن يجعل الملك في أسافلهم لتتفرق كلمتهم ويخلص إليه أمرهم ، فكاتب الإسكندر ملوك كل ناحية من الفرس والنبط والعرب وملّك على كل ناحية وتوّجه فصاروا طوائف في ملكهم ، واستبدّ كل واحد منهم بجهة كان مُلكها لِعَقِبه ومعلمه أرسطو هذا من اليونانيين وكان مسكنه أثينا وكان كبير حكماء الخليقة غير منازع ، أخذ الحكمة عن أفلاطون اليوناني ، كان يعلم الحكمة وهو ماش تحت الرُّواق المُظلّل له من حرّ الشمس فسمى تلاميذه بالمشّائين . وأخذ أفلاطون عن سُقراط ويعرف بسقراط الدَّنّ بسكناه في دنّ من الخزف اتخذه لرهبانيّته ، وقتله قومه أهل يونان مسموما لمّا نهاهم عن عبادة الأوثان ، وكان هو أخذ الحكمة عن فيثاغورس منهم ، ويقال : إنّ فيثاغورس أخذ عن تاليس حكيم ملطية ، وأخذ تاليس عن لُقمان . ومن حكماء اليونانيين دميقراطيس ، وأنكيثاغورس كان مع حكمته مبرزاً في علم الطب وبعث فيه بُهْمُن ملك الفرس إلى يونان فامتنع من إيفاده عليه ضنانة به ، وكان من تلامذته جالينوس لعهد عيسى عليه السلام ومات بصقليّة ودفن بها .

ولما استولى الاسكندر على بلاد فارس تخطّاها إلى بلاد السند فملكها وبنى بها مدينة سمّاها الإسكندرية ، ثم زحف إلى بلاد الهند فغلب على أكثرها وحاربه فور ملك الهند فانهزم وأخذه الإسكندر أسيرا بعد حروب طويلة ، وغلب على جميع طوائف الهنود وملك بلاد الصين والسِنْد وذللت إليه الملوك وحملت إليه الهدايا والخراج من كل ناحية ، وراسله ملوك الأرض من أفريقية والمغرب والافرنجة والصقالبة والسودان . ثم ملك بلاد خراسان والترك ، واختط مدينة الإسكندرية عند مصب النيل في البحر الرومي ، واستولى على الملوك يقال : على خمسة وثلاثين ملكا . وعاد إلى بابل فمات بها ، يقال مسموماً سمّه عامله على مقدونية لأنّ أمّه شكته إلى الاسكندر فتوعده فأهدى له سمّا وتناوله فمات لإثنتين وأربعين سنة من عمره ، بعد أن ملك إثنتي عشرة سنة ، سبعاً منها قبل مقتل دارا وخمسا بعده .

قال الطبري : ولما مات عرض الملك على ابنه إسكندروس فاختار الرهبانية ، فملّك يونان عليهم لوغوس من بيت الملك ولقبه بطليموس . قال المسعودي : ثم سارت هذه التسمية لكل من يملك منهم ومدينتهم مقدونية وينزلون الاسكندرية ، وملك منهم أربعة عشر ملكا في ثلثمائة سنة .

وقال ابن العميد : كان قسّم الملك في حياته بين أربعة من أمرائه بطليموس فليادا[1] كان على الاسكندرية ومصر والمغرب ، وفيلفوس بمقدونية وما إليها من ممالك الروم وهو الذي سمّ الاسكندر ، ودمطرس بالشام ، وسلقنوس[2] بفارس والمشرق . فلما مات استبدّ كل واحد بناحيته .

وكتب أرسطو شرح كتاب هرمس وترجمه من اللسان المصري إلى اليوناني ، وشرح ما فيه من العلوم والحكمة والطلسمات . وكتاب الأسطماخيس يحتوي على عبادة الأوَل ، وذكر فيه أنّ أهل الأقاليم السبعة كانوا يعبدون الكواكب السيّارة . كل إقليم لكوكب ، ويسجدون له ويُبخّرون ويُقرّبون ويذبحون ، وروحانية ذلك الكوكب تدبرهم بزعمهم . وكتاب الأستماطس يحتوي على فتح المدن والحصون بالطلسمات والحكم ، ومنها طلسمات لانزال المطر وجلب المياه . وكتب الأشطرطاش في الاختيارات على سرى القمر في المنازل والاتصالات ، وكتب أخرى في منافع

(١) وفي نسخة اخرى : بطليموس فلدلغوس .

(٢) وفي نسخة اخرى سَلَقُوس .

وخواص الأعضاء الحيوانيات والأحجار والأشجار والحشائش .

وقال هروشيوش : إنّ الذي ملك بعد الاسكندر صاحب عسكره بطليموس بن لاوي، فقام بأمرهم ونزل الاسكندرية واتخذها دارا لملكهم . ونهض كلمش بن الاسكندر وأمّه بنت دارا ولينبادة أمّ الاسكندر وساروا إلى صاحب أنطاكية وإسمه فمشاندر فقتلهم . واختلف الغريقيون على بطليموس وافترق أمره وحارب كل واحد منهم ناحيته ، إلى أن غلبهم جميعاً واستقام أمره ، ثم زحف إلى فلسطين وتغلب على اليهود وأثخن فيهم بالقتل والسبي والأسر ، ونقل رؤساءهم إلى مصر ، ثم هلك لأربعين سنة من مُلكه . ووليَ بعده ابنه فلديغيش ، وأطلق أسرى اليهود من مصر ، وردّ الأواني إلى البيت وحباهم بآنية من الذهب وأمرهم بتعليقها في مسجد القدس ، وجمع سبعين من أحبار اليهود ترجموا له التوراة من اللسان العبراني الى اللسان الرومي واللطيني ، ثم هلك فلديغيش لثمان وثلاثين سنة من ملكه .

ووليَ بعده ابنه أنطريس ويلقب أيضا بطليموس لقبهم المخصوص بهم الى آخر دولتهم ، فانعقدت السلم بينه وبين أهل أفريقية على مدعيون ملك قرطاجنّة ، ووفد عليه وعقد معه الصلح عن قومه ، وزحف قوّاد رومة إلى الغريقيين ونالوا منهم . ثم هلك أنطريس لست وعشرين سنة من ملكه ، ووليَ بعده أخوه فلوباذي فزحف إليه قواد رومة فهزمهم وجال في ممالكهم ، ثم كانت حروبه معهم بعدها سجالا .

وزحف إلى اليهود فملك الشام عليهم وولّى الولاة من قبله فيهم وأثخن بالقتل والسبي فيهم ، يقال : إنه قتل منهم نحواً من ستين ألفاً ، وهلك لسبع عشرة سنة من ملكه .

ووليّ بعده إبنه إيفانش وعلى عهده كانت فتنة أهل رومة وأهل افريقية التي اتصلت نحوا من عشرين سنة ، وافتتح أهل رومة صقليّة وأجاز قوّادهم إلى أفريقية وافتتحوا قرطاجنّة ، كما نذكر في أخبارهم ، وهلك إيفانش لأربع وعشرين سنة من دولته .

ووليَ بعده بالاسكندرية ابنه فلوماطر فزحف الغريقيون إلى رومة ، وكان فيهم صاحب مقدونية وأهل أرمينيّة والعراق وظاهرهم ملك النوبة واجتمعوا لذلك ، فغلبهم الرومانيون وأسروا صاحب مقدونية ، وهلك فلوماطر لخمس وثلاثين سنة من ملكه . ووليَ بعده ابنه إيرياطش وعلى عهده استفحل ملك أهل رومة واستولوا على الأندلس وأجازوا البحر إلى قرطاجنة بأفريقية فملكوها وقتلوا ملكها أشدريال وخرّبوا مدينتها بعد أن عمرت تسعمائة سنة من بنائها كما نذكر في أخبارها . وزحف أيضا أهل

رومة إلى الغريقيين فغلبوهم وملكوا عليهم مدينتهم قرنطة من أعظم مدنهم ، يقال : إنها كانت ثانية قرطاجنة .

ثم هلك إيرياطش لسبع وعشرين سنة من مدنه وولي بعده إبنه شوظار سبع عشرة سنة وعلى عهده استفحل ملك أهل رومة ومهدوا الأندلس ، وملك بعده أخوه الاسكندر عشر سنين ، ثم ابنه ديونشيس مائة وثلاثين سنة وعلى عهده استولى الرومانيون على بيت المقدس ووضعوا الجزية على اليهود ، وزحف قيصر يولش (١) من قوادهم إلى الافرنجة ولمياش أيضا من قوادهم إلى الفرس فغلبوهم جميعا وما حولهم إلى أنطاكية واستولوا على ما كان لهم من ذلك . وخرج الترك من بلادهم فأغاروا على مقدونية فردّهم هامس قائد الرومانيين بالمشرق على أعقابهم .

وهلك ديونشيس فوليت بعده ابنته كلابطرة سنتين فيما قال هزوشيوش لخمسة آلاف ونيف من مبدأ الخليقة ولسبعمائة سنة من بناء رومة ، وعلى عهدها استبد قيصر يولش بملك رومة وغلب عليها القواد أجمع ومحا دولتهم منها وذلك بعد مرجعه من حرب الافرنج ، ثم سار الى المشرق فملك إلى أرمينية ونازعه مبانش هنالك فهزمه قيصر ، وفرّ مبانش الى مصر مستنجدا بملكتها وهي يومئذ كلابطره ، فبعثت برأسه الى قيصر خوفا منه ، فلم يغنها ذلك وزحف قيصر إليها فملك مصر والإسكندرية من كلابطره هذه وانقرض مُلك اليونانيين ، وولّى قيصر على مصر والاسكندرية وبيت المقدس من قبله وذلك لسبعمائة أو نحوها من بناء رومة ولخمسة آلاف من مبدأ الخليقة .

وذكر البيهقي : إن كلابطره زحفت إلى أرض اللطينيين وقهرتهم ، وأرادت العبور إلى الأندلس فحال دونها الجبل الحاجز بين الأندلس والإفرنج فاستعملت في فتحه الحيل (٢) والنار حتى نفذت إلى الأندلس ، وإنّ مهلكها كان على يد أوغسطس يولش (٣) ثاني القياصرة . وكذا ذكر المسعودي وأنها ملكت لإثنتين وعشرين سنة ، وكان زوجها أنطونيوس مشاركا لها في ملك مقدونية ومصر ، وأن قيصر أوغسطس زحف إليهم فهلك زوجها انطونيوس في حروبه ، ثم أراد التحكّم في كلابطره ليستولي

---

(١) وفي نسخة اخرى : قيصر يوليوس .

(٢) (ورد في تاج العروس : الحول والحيل والحول ، كعنب هو الحذق وجودة النظر والقدرة على دقة التصرف) .

(٣) وفي نسخة أخرى : اوغسطوس يوليوس .

على حكمتها إذ كانت بقية الحكماء من آل يونان ، فخطبها وتحيّلت في إهلاكه وإهلاك نفسها بعد أن اتخذت بعض الحيّات القاتلة التي بين الشام والحجاز وأطلقتها بمجلسها بين رياحين نصبتها هنالك ، ولمست الحيّات فهلكت لحينها وأقامت بمكانها كأنها جالسة ، ودخل أوغسطس لا يشعر بذلك حتى تناول من تلك الرياحين ليشمها فأصابته الحيّة وهلك لحينه وتمت حيلتها عليه . وانقرض ملك اليونانيين بهلاكها ، وذهبت علومهم إلاّ ما بقي بأيدي حكمائهم في كتب خزائنهم حتى بحث عنها المأمون وأمر باستخراجها فترجمت له من هروشيوش .

وأمّا ابن العميد فعدّ ملوك مصر والإسكندرية بعد الإسكندر أربعة عشر آخرهم كلابطره كلهم يسمّون بطليموس ، كما قال المسعودي . ولم يذكر ملوك المشرق منهم بعد الإسكندر ولا ملوك الشام ولا ملوك مقدونية الذين قُسم المُلْكُ فيهم كما ذكرناه إلا بذكر ملك إنطاكية من اليونانيين ويسمّيه أنطيوخُس كما ذكرناه الآن ، وذكر في أسماء ملوك مصر هؤلاء وفي عددهم خلافا كثيرا إلاّ أنه سمّى كل واحد منهم بطليموس ، فقال في بطليموس الأوّل : إنّه أخو الاسكندر أو مولاه إسمه فلافاذافسد أو أرنداوس او لوغس أو فيليبّس ملك سبعا وقيل أربعين ، قال : وفي عصره بنى سلقيوس وأظنه ملك المشرق منهم قُامة وحلب وقنّسرين وسلوقية واللاذقية ، قال : ومنها كان الكوهن الأعظم بالقدس سمعان بن خونيّا[1] وبعده أخوه ألعازر ، قال : وفي التاسعة من ملك لوغش جاء أنطيوخس المُعظّم إلى بلاد اليهود واستعبدهم ، وفي الحادية عشر حارب الروم فغلبوه وأسروه وأخذوا منه إبنه أقفاقس رهينة ، وفي الثالثة عشر تزوج أنطيوخس كلابطره بنت لوغش زوّجها له أبوها وأخذ سورية بلاد المقدس في مهرها ، وفي التاسعة عشر وثب أهل فارس والمشرق على مَلِكِهِم فخلعوه وولّوا ابنه ثم هلك لوغش .

قال ابن العميد : بعد مائة وإحدى وثلاثين سنة لليونان ملك بطليموس بن الإسكندروس ويلقّب غالب أثور ، وملك مصر والإسكندرية والبلاد الغربية إحدى وعشرين سنة وقيل ثمانيا وثلاثين سنة ويسمّى أيضا فيلادلفُوس أي محب أخيه ، وهو الذي استدعى أحبار اليهود وعلماءهم الإثنين وسبعين يترجموا[2] له التوراة وكتب

(١) وفي الانجيل : سمعان بن يونا .

(٢) الاصح ان يقول ليترجموا .

الأنبياء من العبرانية إلى اليونانية وقابلوها بنسخهم فصحت ، وكان من هؤلاء الأحبار سمعان المذكور أوّلا وعاش الى أن حمل على ذراعيه في الهيكل ومات ابن ثلثمائة وخمسين ، وكان منهم إلعازر الذي قتله أنطيوخس على امتناعه عن السجود لصنمه وقتله ابن سبعين سنة . ويظهر من هذا أنّ بطليموس هو تِلماي وإنّه من ملوك مقدونية وملك مصر لأنّ ابن كريّون قال : وفي ذلك الزمان كان تِلماي من أهل مقدونية مَلِكَ مصر وكان يحبُّ العلوم ، فاستدعى من اليهود سبعين من أحبارهم وترجموا له التوراة وكتب الأنبياء ، وكان في عصره صادوق الكوهن انتهى . وملك خمسا وأربعين سنة .

وملك بعده بطليموس الأرْنَبَا وقيل إسمه رغادي وقيل راكب الأنْبَر ملك أربعا وعشرين ، وقيل سبعا وعشرين ، وهو الذي بنى ملعب الخيل بإسكندرية الذي أحرق في عصر زينون قيصر . وملك بعده بطليموس محب أخيه ويقال : أوغسطس ويقال فيلادلفُس ملك ست عشرة ، وكان في عصره أخْميم الكُوهن . وملك بعده بطليموس الصائغ ، ويقال : أخيه[1] ملك خمس سنين وقيل خمسا وعشرين ، وعلى عهده كان اليهودُ الكُوهن وكان ضالاً غشوماً وقتله بعض خدمه خنقا . وملك بعده بطليموس محب أبيه ، وقيل إسمه كلافاطر[2] ملك سبع عشرة سنة وأخذ الجزية من اليهود . وملك بعده بطليموس المظفّر وقيل الغالب وقيل محب أمّه ملك عشرين وقيل أربعا وعشرين ، وفي التاسعة عشرة من ملكه خرج متيتيّا بن يوحنّا بن شمعون الكُوهن الأعظم ويعرف بحشمناي من بني يوناداب من نسل هارون ، بعث أنطيخوس ملك انطاكية إبنه ألغايشُ بالعساكر إلى القدس فاعمل الحيلة في ملكها وقتل العازر والكوهن وحمل بني اسرائيل على السجود لآلهته ، فهرب مَتيتيّا في جماعة من اليهود الى الجبال ، حتى إذا خرجت عساكر يونان رجع إلى القدس ومرّ بالمذبح فوجد يهودياً يذبح خنزيراً عليه ، وثار باليونانيين فقتل قائدهم وأخرجهم واستبدّ بملك القدس كما ذكرناه في أخباره .

ثم ملك بطليموس كلاباطر أي محب أبيه خمسا وعشرين سنة وقيل عشرين ، وكان في أيامه بالقدس يهود ابنَ متيتيّا وبعده أخوه يوناداب وبعده أخوه شمعون وبعده

---

(١) الاصح ان يقول اخوه .

(٢) وفي نسخة اخرى : فيلوباطر .

أخوه هرقانوس وإسمه يوحنّان وهو أوّل من تسمّى بالملك من بن حشمناي ، وبعث إبنه يوحنّا بالعساكر لقتال قَيْدونوس قائد أنطيخوس فغلبه ، وارتفع عن اليهود الخراج الذي كانوا يعطونه لملوك سورية من أيام فيلفوس[1] ملك المشرق . وملك بعده بطليموس أرغادي أي الفاضل وقيل بطليموس الصايغ وقيل سانيطر ملك عشرين وقيل ثلاثا وعشرين وقيل ثلاثة عشر ، ولعهده جدّد أنطيخوس بناء أنطاكية وسمّاها باسمه ، ولعهده كان مُلْكُ هرقانوس على القدس وبنيه الثلاثة وخرّب مدينة السامرة سبسطية ، ولعهده أيضا زحف أنطيخوس[2] إلى القدس وحاصرها ، فصانعه هرقانوس بثلثمائة كرة من الذهب استخرجها من قبر داود عليه السلام .

ثم ملك على مصر والاسكندرية بطليموس المخلص وقيل مَقْرُوطون وقيل شَعْري ملك ثماني عشرة وقيل عشرين وقيل سبعا وعشرين ، ولعهده كان الاسكندروس تِلْماي ين هرقانوس سابع بني حشمناي بالقدس ، وكانت فرقة اليهود عندهم ثلاثة : الربّانيون ثم القرّأون وهم في الانجيل زنادقة[3] وهم في الانجيل الكتبة . ثم[4] على مصر بطليموس محب أمّه وقيل الاسكندروس وقيل قَيْقَتْس وقيل الاسكندر وقيل ابن المخلص ملك عشر سنين لا غير ، ولعهده كانت الإسكندرة ملكة على بيت المقدس ، ولعهده بطلت مملكة سورية لمائتين وسبع عشرة سنة من ملك يونان ، وقتل بطليموس هذا قتله أهل إهْرَاقِيَة وأحرقوه . ثم ملك على مصر بطليموس فيناس وقيل إيزيس وقيل المنفي ، لأنّ كلابطرة الملكة نفته عن المُلْك وملك ثمان سنين وقيل ثلاثا وعشرين يوما وقيل ثمانية عشر يوما ، وبعضهم أسقطه من البَطَالسة ولم يذكره . ثم ملك على مصر بطليموس يوناشيش إحدى وعشرين سنة وقيل إحدى وثلاثين وقيل ثلاثين ، ولعهده كان أرستبلوس وأخوه هرقانوس على القدس .

ثم ملك على مصر كلابطره بنت ديوناشيش ومعنى هذا الاسم الساكنة على الصخرة ملكت ثلاثين وقيل إثنتين وعشرين وكانت حاذقة ، وفي الثالثة من ملكها حفرت خليج الإسكندرية وجرى فيه الماء وبنت باسكندرية هيكل زُحَل والعاروص وبنت

---

(١) وفي نسخة اخرى : فيلبوس .

(٢) وفي نسخة اخرى : انطيوخوس .

(٣) بياض بالأصل ومكان البياض (ثم الحيسيد) كما في مكان آخر من الكتاب .

(٤) الواضح انه سقطت كلمة اثناء النسخ فتصبح الجملة . «ثم ملك على مصر» .

مقياسا بأحميم وآخر بمدينة أنْصِنَاء ، وفي الرابعة من ملكها ملك برومة أغانيوس أوّل القياصرة ملك أربعا ثم يوليوس بعده ثلاثا ، ثم أغسطس بن مونوجس فاستولى على الممالك والنواحي وبلغ خبره إليها فحصّنت بلادها وبنت حائطا من الفرماء إلى النوبة شرقي النيل وحائطا آخر من إسكندرية إلى النوبة غربيّ النيل وهو حائط العجوز لهذا العهد . وبعث أوغسطس العساكر إلى مصر مع قائده أنطريوس ومعه مترداب[1] ملك الأرمن ، فخادعت كلابطره أنطريوس وأوعدته بتزويجها فقتل رفيقه مترداب وتزوّجها وعصى أوغسطنس ، فسار أوغسطس إليها وملك مصر وقتل كلابطرة وولديها وقائده بطريوس[2] الذي تزوجها . يقال : إنّها وضعت له سمّا في مجلسها وأن أوغسطس تناوله ومات ، والله أعلم . وانقرضت مملكة يونان من مصر والاسكندرية والمغرب بملكها وصارت هذه الممالك للروم إلى حين الفتح الإسلامي ، انتهى كلام ابن العميد .

والخلاف الذي ينقله عن جماعة مؤرخيهم يذكر منهم سعيد بن بطريق ويوحنّا فم الذهب والمنجّبي وابن الراهب وابو فانيوس . والظاهر أنهم من مؤرخي النصارى والبقاءُ لله الواحد القهّار سبحانه لا إله غيره ولا معبود سواه .

---

(١) وفي نسخة اخرى : مترداث

(٢) هذا الاسم ورد : أنطريوس وبطريوس في الصفحة ذاتها.

ط ح ز و و

اسكندروس بن الاسكندر بن فيلبش بن بطزيوس بن هرمس بن هردوس بن هطرون بن رومي — بن نونان

ج ب

اسكندر بن فليش بن آمتته بن سركاش الاسكندر بن تراوش

د ج ب

يلاق بن هرقل الجبار بن ملكان بن سلمقوس بن اغريقش —

هذا ترتيب البطالسة عند ابن العميد

ب يو يج يب ى في ط ح ز و ه ح ح

كلابطره بنت ديوناشيش فيناس لسكندروس مقريطون ارغاد بن كلابطر المظفر كلابطر الصائغ أوغشطش ارغادي الاسكندروس بن كرياص

ن

ض

ب في ح ز و كا د ب ا

كلابطرة بنت ديوناشيش بن شوضان — بن ارباطش بن فلوباطر بن أبي قانش بن قلوباطر — بن فلذايقش بن لوغش

الاسكندر —

ايطريطش

أول الملوك بمصر والاسكندرية بعد الاسكندر وكل واحد منهم يسمى بطليموس

الخبر عن اللطينيين وهم الكيتم المعرفون بالروم من أمم يونان وأشياعهم وشعوبهم وما كان لهم من الملك والغلب وذكر الدولة التي فيهم للقياصرة وأولية ذلك ومصايره

هذه الأمّة من أشهر أمم العالم وهي ثانية الغريقيين عند هروشيوش ويجتمعان في نسب يونان ، وثالثتهم عند البيهقي ويجتمعون في نسب يونان بن علجان بن يافث ، واسم الروم يشملهم ثلاثتهم لما كان الروم أهل المملكة العظمى منهم ، ومواطن هؤلاء اللطينيين بالناحية الغربية من خليج القسطنطينية إلى بلاد الافرنجة فيما بين البحر المحيط والبحر الرومي من شماليه . ومُلْكُ هذه الأمّة قديما[1] كانت لهم مدينة اسمها طروبة ، وذكر هروشيوش أنّ أوّل من ملك من اللطينيين ألفُنس بن شطرنش بن أيّوب وذلك لعهد دائرة بني اسرائيل وقد مرّ ذكرها في آخر الألف الرابع من مبدأ الخليقة . وملك من بعده ابنه بريامش واتصل المُلك في عقب الفُنس هذا وإخوته وكان منهم كرمُنُس بن مرسية بن شيبن بن مزكة الذي ألف حروف اللسان اللطيني وأثبتها ولم تكن قبله ، وذلك على عهد يُوّاثيرَ بن كلعاد من حكّام بني إسرائيل بعد أربعة آلاف وخمسين من مبدإ الخليقة .

وكان بين هؤلاء اللطينيين وبين الغريقيين إخوانهم فتن طويلة ، وعلى يدهم خربت طُروبة مدينة اللطينيين لعهد أربعة آلاف ومائة وعشرين من مبدإ الخليقة أيام عبدون ملك بني إسرائيل وقد مرّ ذكره ، وكان ملكهم يومئذ أناشُ من عقب بريامش بن ألفُنس بن شطرنش ، ووَليَ بعده ابنه أشكانيش بن أناش وهو الذي بنى مدينة ألبا . ثم اتصل الملك فيهم إلى أن افترق أمرهم ، ثم كان من أعقابهم برقاش أيام انقراض ملك الكلدانيّين ، وصار للمازنيّين والقضاعيّين على عهد عُزيّاه بن أمصيا من ملوك بني اسرائيل ولعهد أربعة آلاف ومائة وعشرين سنة من مبدإ الخليقة ، فصار الأمر في اللطينيين لبرقاش هذا بتولية ملك المازنيّين ما كان لهم وللسريانيّين قبلهم من الصيت في العالم والتفوّق على الملوك بنسبهم وعصبيتهم . ثم اتصل الملك لابنه ولحافديه روملّوس وأماش[2] وهما اللذان اختطا مدينة رومة وذلك لعهد أربعة آلاف وخمسمائة

(١) الاصح ان يقول قديم

(٢) وفي نسخة اخرى : داموس .

سنة من مبدإ الخليقة وعلى عهد حزقيّا بن آحاز ملك بني اسرائيل ، ولأربعمائة ونيف من خراب مدينة طرُوبة . وكان طول مدينة رومة من الشمال إلى الجنوب عشرين ميلا في عرض إثني عشر ميلا ، وارتفاع سورها ثمانية وأربعون ذراعا في عرض عشرة أذرع ، وكانت من أحفل مدن العالم ، ولم تزل دار مملكة اللطينيين والقياصرة منهم حتى صبحهم الإسلام وهي في ملكهم .

وكان اللطينيون بعد رُومَلُّس وأماش وانقراض عقبهم قد سئموا ولاية الملوك عليهم فعزلوهم وصار أمرهم شورى بين الوزراء وكانوا يسمونهم القَنْشَلْش ومعناه الوزراء بلغتهم ، وكان عددهم سبعين على ما ذكر هروشيوش . ولم يزل أمرهم على ذلك مدّة سبعمائة سنة إلى أن استبدّ عليهم قيصر يولش[1] بن غايش أوّل ملوك القياصرة كما نذكر بعد .

وكانت لهم حروب مع الأمم المجاورة لهم من كل جهة فحاربوا اليونانيّين ثم حاربوا الفرس من بعدهم ، واستولوا على الشام ومصر ثم ملكوا جزيرة الاندلس ثم جزيرة صقليّة ثم أجازوا إلى أفريقية فملكوها وخرّبوا قرطاجنّة ، وأجاز أهل أفريقية إليهم وحاصروا رومة واتصلت الفِتَن بينهم عشرين سنة أو نحوها على ما نذكر .

وذهب جماعة من الإخباريّين إلى أن الروم من ولد عيصو بن إسحق عليه السلام ، قال ابن كريّون : كان لليفاز بن عيصو ولد إسمه صفوًا ولما خرج يوسف من مصر ليدفن أباه يعقوب في مدينة الخليل عليه السلام اعترضه بنو عيصو وقاتلوه ، فهزمهم وأسر منهم صفوا بن أليفاز وبعثه إلى أفريقية ، فصار عند ملكها ، واشتهر بالشجاعة . وحدثت الفتنة بين أغنياس وبين الكيتم وراء البحر فأجاز إليهم أغنياس في أهل أفريقية وأثخن فيهم ، وظهرت شجاعة صَفْوًا بن أليفاز ، ثم هرب صفوا إلى الكيتم وعظم بينهم وحسُنَ أثره في أهل أفريقية وفي الأمم المجاورة لكيتم من أموال وغيرها فزوّجوه وملّكوه عليهم ، قال : وهو أوّل من ملك في بلاد أسبانيا ، وأقام ملكا خمسا وخمسين سنة . ثم عدّ ابن كريّون بعد ستة عشر ملكا من أعقابه آخرهم رُومَلُّس باني رومة ، وكان لعهد داود عليه السلام ، وخاف منه فوضع مدينة رومة وبنى على جميعها هياكله ونسبت المدينة إليه وسمّيت بإسمه وسمّى أهلها الروم نسبة إليها .

---

(١) وفي نسخة ثانية : قيصر يوليوس .

ثم عدّ بعد رومُلُس خمسة من الملوك اغتصب خامسهم رجلا في زوجه فقتلت نفسها، وقتله زوجها في الهيكل. وأجمع أهل رومة أن لا يولّوا عليهم ملكا وقدّموا شيوخا ثلثمائة وعشرين يدبّرون مُلْكَهُم، فاستقام أمرهم كما يجب، إلى أن تغلّب قيصر وسمّى نفسه ملكا، فصاروا من بعده يسمّون ملوكا انتهى كلام ابن كريون. وهو مناقض لما قاله هروشيوش، فإنه زعم أنّ بناء رومة كان لعهد داود عليه السلام، وهروشيوش قال: إنه كان لعهد حزقيّا رابع عشر ملوك بني يهوذا من لدن داود عليه السلام، وبين المدّتين تفاوت، وخبر هروشيوش مقدّم لأن واضعيه مسلمان كانا يترجمان لخلفاء الإسلام بقُرْطُبَة وهما معروفان ووضعا الكتاب. فالله أعلم بحقيقة الأمر في ذلك.

الخبر عن فتنة الكَيْتَم مع أهل أفريقية وتخريب قرطاجنة ثم بناؤها على الكيتم وهم اللطينيون

كان بناء قرطاجنة هذه قبل بناء رومة بإثنتين وسبعين سنة، قال هروشيوش: على يدي ديدن بن أليشا من نسل عيصو بن إسحق. وكان بها أمير يسمّى ملكون وهو الذي بعث إلى الإسكندر بطاعته عند استيلائه على طرسوس، ثم صار ملك أفريقية إلى أملقا من ملوكهم فافتتح صقليّة وهاجت الحرب بينه وبين الرومانيين وأهل الاسكندرية بسبب أهل سَرْدَانيّة[1] وذلك لخمسين سنة من بناء رومة، ثم وقعت السلم بينهم وهي السلم التي وفد فيها عتّون من ملوك أفريقية على أنطريطش ملك مقدونية وإسكندرية وهو ملك الروم الأعظم. ثم ولي بقرطاجنة أملْقا ابنه أنبيل فأجاز إلى بلاد الإفرنج وغلبهم على بلادهم، وزحف إليه قواد رومة فوالى عليهم الهزائم وبعث أخاه أشدربال[2] إلى الأندلس فملكها، وخالفه قوّاد الرومانيين إلى أفريقية بعد أن ملكوا من حصون صقليّة أربعين أو نحوها، ثم أجازوا إلى أفريقية فملكوها وقتلوا غشُّول خليفة أنْبيل فيها وافتتحوا مدينة جرْدَا. وخرج آخرون من قوّاد رومة إلى الأندلس فهزموا أشدربال واتّبعُوه إلى أن قتلوه. وفرّ أخوه أنبيل عن بلادهم بعد ثلاث عشرة

(١) وهي جزيرة سردينية.
(٢) وفي نسخة اخرى: اشدريال.

سنة من إجازته إليهم ، وبعد أن حاصر رومة وأثخن في نواحيها فلحق بأفريقية ولقيه قوّاد أهل رومة الذين أجازوا إلى أفريقية فهزموه وحاصروه بقرطاجنّة ، حتى سأل الصلح على أن يغرم لهم ثلاثة آلاف قنطار من الفِضّة فأجابوه إليه .

وسكنت الحرب بينهم ثم ظاهر بعد ذلك أنّبيل صاحب أفريقية ملوك السُر يانيّين على حرب أهل رومة فهلك في حربهم مسموما . وبعد أن تخلص أهل رومة من تلك الحروب رجعوا إلى الأندلس فملكوها ، ثم أجازوا البحر إلى قرطاجنّة ففتحوها وقتلوا ملكها يومئذ أنْبيل وخرّبوها لتسعمائة سنة من بنائها وسبعمائة لبناء رومة .

ثم دارت الحرب بين أهل رومة وملك النُوبَة ، واستظهر مَلِكُ النوبة بالبربر بعد أن هزمه أهل رومة واتبعوه الى قَفْصَةَ فملكوها واستولوا على ذخيرتها ، وهي من بناء أرُكلش الجبّار ملك الروم ، وهزمهم أهل رومة فخافهم مَلِك البربر من ملوك النُوبة إلى أن هلك في أسرهم . وكانت هذه الحروب لعهد بطليموس الإسكندر ، بعد أن كان قوّاد رومة اجتمعوا على بناء قرطاجنّة وتجديدها لإثنتين وعشرين سنة من خرابها فعمرت واتصل بها لأهل رومة ملك على ما نذكره بعد إن شاء الله تعالى .

الخبر عن ملوك القياصرة من الكيتم وهم اللطينيون ومبدأ أمورهم ومصاير أحوالهم

لم يزل أمر هؤلاء الكيتم وهم اللطينيون راجعاً إلى الوزراء منذ سبعمائة سنة ، كما قلناه من عهد بناء رومة أو قبلها بقليل كما قال هروشيوش ، تقترع الوزراء في كل سنة فيخرج قائدٌ منهم إلى كل ناحية كما توجبه القرعة فيحاربون أمم الطوائف ويفتحون الممالك . وكانوا أوّلا يعطون إخوانهم من الروم اليونانيين طاعة معروفة بعد الفتن والمحاربة ، حتى إذا هلك الاسكندر وافترق أمر اليونانيين والروم وفشلت ريحهم وقعت فتنة هؤلاء اللطينيين وهم الكيتم مع أهل افريقية ، واستولوا عليها مرارا وخرّبوا قرطاجنّة ثم بنوها كما ذكرناه . وملكوا الأندلس وملكوا الشام وأرض الحجاز وقهروا العرب بالحجاز وافتتحوا بيت المقدس وأسروا ملكها يومئذ من اليهود وهو أرستبلوس ابن الإسكندر ثامن ملوك بني حشمناي وغرّبوه الى رومة وولّوا قائدهم على الشام ، ثم

حاربوا ألغماس. فكانت حربهم سجالا ، إلى أن خرج بولس [1] بن غايش ومعه ابن عمه لوجيار بن مدكة إلى جهة الأندلس ، وحارب من كان بها من الإفرنج والجلالقة إلى أن ملك برطانية [2] واشبونة [3] ورجع إلى رومة ، واستخلف على الأندلس أكتبيان إبن أخيه يونان . فلما وصل إلى رومة وشعر الوزراء أنه يروم الاستبداد عليهم فقتلوه .

فزحف اكتبيان إبن أخيه من الأندلس فأخذ بثأره وملك رومة واستولى على أرض قسطنطينية وفارس وأفريقية والأندلس ، وعمه يولش [4] هو الذي تسمّى قيصر فصار سمة لملوكهم من بعده . وأصل هذا الإسم جاشر فعرّبته العرب إلى قيصر ، ولفظ جاشر مشترك عندهم فيقال جاشر للشعر وزعموا أنّ يولش ولد شعره نام يبلغ عينيه ، ويقال أيضا للمشقوق جاشر ، وزعموا أنّ قيصر ماتت أمّه وهي مُقْرِبُ [5] فبُقر بطنها واستخرج يُولُس ، والأوّل أصحّ وأقرب إلى الصواب .

وكانت مدّة يولس قيصر خمس سنين ، ولما ولّى قيصر أكتبيان [6] ابن أخته انفرد بملك الناحية الشمالية من الأرض ، ووفد عليه رسل الملوك بالمشرق يرغبون في ولايته ويضرعون إليه في السلم فاسعفهم ، ودانت له أقطار الأرض ،وضرب الأتاوة على أهل الآفاق من الصغر . وكان العامل على اليهود بالشام من قبله هيردوس بن أنظفتر ، وعلى مصر ابنه غايش . وولد المسيح لإثنتين وأربعين سنة خلت من ملكه . وهلك قيصر أكتبيان لست وخمسين من ملكه بعد سبعمائة وخمسين سنة لبناء رومة وخمسة آلاف ومائتين لمبدإ الخليقة انتهى كلام هروشيوش .

وأما ابن العميد مؤرخ النصارى فذكر عن مبدأ هؤلاء القياصرة أنّ أمر رومة كان راجعا إلى الشيوخ الذين يُدَبّرون أمرهم ، وكانوا ثلثمائة وعشرين رجلا لأنهم كانوا حلفوا أن لا يُولّوا عليهم ملكا ، فكان تدبيرهم يرجع إلى هؤلاء وكانوا يقدّمون واحدا منهم ويسمّونه الشيخ ، وانتهى تدبيرهم في ذلك الزمان إلى أغانيوس فدبّرهم أربع

(١) وفي نسخة اخرى : يوليوس بن غايش .
(٢) هي بريتانيا مقاطعة فرنسية تقع في الشمال الغربي .
(٣) وهي لشبونة في الأندلس .
(٤) وهو يوليوس قيصر .
(٥) الحامل التي قرب ولادها (قاموس) .
(٦) هو أوكتاف .

سنين ، وهو الذي سُمِّيَ قيصر لأن أمّه ماتت وهو جنين في بطنها فبقروا بطنها وأخرجوه ، ولما كبر انتهت إليه رياسة هؤلاء الشيوخ برومة أربع سنين ، ثم وليّ من بعده يوليوس قيصر ثلاث سنين ، ثم وليّ من بعده أوغسطس قيصر بن مَرْنُوخس ، قال : ويقال إن أوغسطس قيصر كان أحد قواد الشيخ مدبر رومة ، وتوجه بالعساكر لفتح المغرب والأندلس ففتحها وعاد إلى رومة فملك عليهم ، وطرد الشيخ من رياسته بها وتدبيره ووافقته الناس على ذلك . وكان للشيخ نائب بناحية المشرق يقال له فقيُوس ، فلما بلغه ذلك زحف بعساكره إلى رومة فخرج إليه أوغسطس فهزمه وقتله واستولى على ناحية المشرق . وسير عساكره إلى فتح مصر مع قائدين من قوّاده هما أنطونيوس ومترداب مَلِكُ الأرمن بدمشق ، فتوجها إلى مصر وبها يومئذ كلابطره الملكة من بقية البطالسة ملوك يونان بالاسكندرية ومصر ، فحصّنت بلادها وبنت بِعَدْوَتي النيل حائطين مبدؤهما من النُوبة إلى الإسكندرية غربا وإلى الفرما شرقا وهو حائط العَجُوز لهذا العهد . ثم داخلت القائد أنطونيوس وخادعته بالترويج فتزوّجها وقتل رفيقه مترداب وعصي على أوغسطس ، فزحف إليه وقتله وملك مصر وقتل كلابطره وولديها وكانا يسميان الشمس والقمر ، وملك مصر والإسكندرية وذلك لإثنتي عشرة سنة من ملكه .

قال ولإثنتين وأربعين سنة من ملك أوغسطس ولد المسيح بعد مولد يَحْيَى بثلاثة أشهر . وذلك لتمام خمسة آلاف وخمسمائة سنة من سنيّ العالم ولإثنتين وثلاثين من ملك هيردوس بالقدس ، وقيل لخمس وثلاثين من مملكته ، والكلُّ متفقون على أنها لإثنتين وأربعين من ملك أوغسطس . قال : وسياقة التاريخ تقتضي أنها خمسة آلاف وخمسمائة شمسية من مبدإ العالم لأن من آدم إلى نوح ألفا وستمائة ، ومن نوح إلى الطوفان ستمائة ، ومن الطوفان إلى إبراهيم ألفا وإثنتين وسبعين سنة ، ومن إبراهيم إلى موسى أربعمائة وخمسا وعشرين ، ومن موسى إلى داود عليهما السلام سبعمائة وستين ، ومن داود إلى الاسكندر سبعمائة وستين سنة ، ومن الاسكندر إلى مولد المسيح ثلثمائة وتسع عشرة سنة . هكذا ذكر ابن العميد وأنها تواريخ النصارى وفيها نظر ، ويظهر من كلامه أن قيصر الذي سمّاه أوغسطس ، وذكر أنّ المسيح ولد لإثنتين وأربعين من ملكه هو الذي سمّاه هيردوس قيصر أكتيبان وجعل مهلكه لخمسة آلاف ومائتين من مبدإ الخليقة . وعند ابن العميد أن مُلْكه لخمسة آلاف وخمسمائة وخمس عشرة

والله أعلم بالحق من ذلك.

ثم وَلِيَ من بعد طباريش[1] قيصر وكان وادعا واستولى على النواحي، وعلى عهده كان شأن المسيح وبغى اليهود عليه ورفعه الله من الأرض، وأقام الحواريّون من بعده واليهود يضطهدونهم ويحبسونهم على إظهار أمرهم، وكان بلاطس النبطي الذي كان قائدا على اليهود يسعى إلى طباريش بأخبار المسيح وبغى اليهود عليه وعلى يُوحنا المعمدان، وتبعتهم الحواريّون من بعده بالأذيّة، وأراه[2] انهم على حق فأمر بتخلية سبيلهم، وهمَّ بالأخذ بدينهم فمنعه من ذلك قومه. ثم قبض على هيردوس وأحضره إلى رومة ثم نفاه الى الأندلس فمات بها، ثم وَلِيَ مكانته أغرباس ابن أخيه، وافترق الحواريون في الآفاق لإقامة الدين وحمل الأمم على عبادة الله. ثم قتل طباريش قيصر أغرباس ملك اليهود الى أشرّ من حالهم وقتلوا أتباع الحواريين من الروم.

ومات طباريش لثلاث وعشرين من ملكه بعد أن جدّد مدينة طبرية، فيما قال ابن العميد، واشتقّ إسمها من إسمه وملك من بعده غاينس قيصر. وقال هيروشيوش: هو أخو طباريش وسمّاه غاينس فليفة من أكتبيان، وقال: هو رابع القياصرة وأشدّهم وأراد اليهود على نصب وثنه ببيت المقدس فمنعوه. وقال ابن العميد: ووقعت في أيامه شدّة على النصارى وقتل يعقوب أخاه يوحنّا من الحواريين وحبس بُطرس رئيسهم ثم هرب إلى انطاكية فأقام بها، وقدم هِراديوس بطركا عليها وهو أوّل البطاركة فيها. ثم توجه إلى رومة لسنتين من ملك غانيس فدبّرها خمسا وعشرين سنة ونصب فيها الأساقفة، وتنصّرت إمرأة من بيت الملك فعضدت النصارى، ولقي النصارى الذين بالقدس شدائد من اليهود وكان الأسقف عليهم يومئذ يعقوب بن يوسف الخطيب.

وقال ابن العميد عن المسبحي: إن فيلُقُس[3] ملك مصر غزا اليهود لأوّل سنة من ملك غانيس واستعبدهم سبع سنين، قال وفي الرابعة من ملكه أمر عامله على اليهود بسورية وهي أورشاليم. وهي بيت المقدس — أن ينصب الأصنام في محاريب اليهود، ووثب عليه بعض قوّاده فقتله.

وملك من بعده قلوديش قيصر، قال هروشيوش: هو ابن طباريش وعلى عهده

---

(١) هو طيباريوس.

(٢) الضمير يعود الى الله.

(٣) وفي نسخة ثانية: فيليبس.

كتب متّى الحواريّ إنجيله في بيت المَقدس بالعبرانية ، قال ابن العميد : ونقله يوحنّا ابن زبدي إلى الروميّة ، قال : وفي أيامه كتب بطرس رأس الحواريّين إنجيله بالرومية ونسبه إلى مَرْقُص تلميذه ، وكتب لوقا من الحواريين إنجيله بالرومية وبعث به إلى بعض الأكابر من الروم وكان لوقا طبيبا . ثم عظُم الفساد بين اليهود ولحق ملكهم أغرباش برومة فبعث معه أقلوديش عساكر الروم فقتلوا من اليهود خلقاً ، وحملوا إلى أنطاكية ورومة منهم سبياً عظيما وخربت القدس وانجلى أهلها فلم يُوَلّ عليهم القياصرة أحدا لخرابها ، وافترقت اليهود على فرق كثيرة أعظمها سبعة . قال ولسبع من ملك أقلوديش دخلت بطريقةٌ من الروم في دين النصارى على يد شمعون الصفا ، وسمعت منه بالصليب ، فجاءت إلى القدس لإظهاره ، ورجعت إلى رومة .

وهلك أقلوديش قيصر لأربع عشرة سنة من ملكه وملك من بعده إبنه نيرون . قال هروشيوش : هو سادس القياصرة ، وكان غشوما فاسقا ، وبلغه أن كثيرا من أهل رومة أخذوا بدين المسيح فنكر ذلك وقتلهم حيث وجدوا ، وقتل بُطْرُس رأس الحواريين ، وأقام أريوس بطركا برومة مكان بطرس من بعد خمس وعشرين سنة مضت لبطرس في كرسيها وهو رأس الحواريين ورسول المسيح إلى رومة ، وقتل مُرْقُص الإنجيليّ بالإسكندرية لإثنتي عشرة من ملكه وكان هنالك منذ سبع سنين بها مساعدا إلى النصرانية بالاسكندرية ومصر وبرقة والمغرب ، ووَلِيَ مكانه حَنَانيّا[1] ويسمى بالقبطيّة جُنبار وهو أول البطارقة بها واتخذ معه الأقسّة الإثني عشر .

قال ابن العميد عن المسبحي : وفي الثانية من مُلك نيرون عزل بَلْخَسَ القاضي ، كان على اليهود من جهة الروم ، وولّى مكانه قُسْطُس القاضي ، وقتل بوثار رئيس الكهنونيّة بالمقدس ، ومات القاضي قسطس فثار اليهود على من كان بالمقدس من النصارى وقتلوا أسقفهم هنالك وهو يعقوب بن يوسف النجّار ، وهدموا البيعة وأخذوا الصليب والخشبتين ودفنوها إلى أن استخرجتها هلانة أم قسطنطين كما تذكر بعد . ووَلِيَ مكان يعقوب النجّار ابن عمه شمعون بن كنابا ، ثم ثار بهم اليهود وأخرجوهم من المقدس لعشر من ملك نيرون فأجازوا الأردن وأقاموا هنالك . وبعث نيرون قائده أسباشيانس ، وأمر بقتل اليهود وخراب القدس وتحصّن اليهود منه وبنوا عليهم ثلاثة حصون ، وحاصرهم أسباشيانس وخرّب جميع حصونهم وأحرقها وأقام عليهم سنة

(١) وفي الإنجيل : حنتيا .

كاملة . وقال هروشيوش : إنّ نيرون قيصر انتقض عليه أهل مملكته فخرج عن طاعته أهل بَرطَانيَة من أرض الجوف ، ورجع أهل أرمينية والشام الى طاعة الفرس . فبعث صهره على أخته وهو يشبشيان بن لوجيه فسار إليهم في العساكر وغلبهم على أمرهم . ثم زحف الى اليهود بالشام وكانوا قد انتقضوا فحاصرهم بالقدس ، وبينما هو في حصاره إذ بلغه موت نيرون لأربع عشرة سنة من ملكه ، ثار به جماعة من قوّاده فقتلوه ، وكان قد بعث قائدا الى جهة الجوف والأندلس ، فافتتح بَرطانية ورجع إلى رومة بعد مهلك نيرون قيصر فملكه الروم عليهم ، وأنه قتل أخاه يشبشيان فأشار عليه أصحابه بالانصراف إلى رومة . وبشّره رئيس اليهود وكان أسيراً عنده بالملك ، ويظهر أنه يوسف بن كِرَيّون الذي مرّ ذكره ، فانطلق إلى رومة وخلّف ابنه طيطُش على حصار القدس فافتتحها وخرّب مسجدها وعمرانها كما مرّ ذكره . قال : وقتل منهم نحوا من ستمائة ألف ألف[1] مرتين وهلك في حصارها جوعاً نحو هذا العدد ، وبيع من سراريهم في الآفاق نحو من تسعين ألفاً ، وحمل منهم إلى رومة نحوا من مائة ألف استبقاهم لفتيان الروم يتعلمون المقاتلة فيهم ضرباً بالسيوف وطعنا بالرماح . وهي الجَلْوَةُ الكُبْرى كانت لليهود بعد ألفٍ ومائة وستين سنة من بناء بيت المقدس ولخمسة آلاف ومائتين وثلاثين من مبدإ الخليقة ولثمانمائة وعشرين من بناء رومة . فكان معه إلى أن افتتحها وكان المستبد بها بعد مهلك نيرون قيصر ، وانقطع ملك آل يُولس قيصر لمائة وست عشرة سنة من مبدإ دولتهم ، واستقام ملك يشبشيان في جميع ممالك الروم وتسمّى قيصر كما كان من قبل اهـ . كلام هروشيوش .

وقال ابن العميد : إن أسباشيانْس لما بلغه وهو محاصرٌ للقدس أنّ نيرون هلك ، ذهب بالعساكر الذين معه ، وبَشّره يوسف بن كريّون كهنون طبرية من اليهود بأنّ مصير ملك القياصرة إليه ، ثم بلغه أنّ الروم بعد مهلك نيرون ملّكوا غليان بن قيصر فأقام عليهم تسعة أشهر ، وكان رديء السيرة ، وقتله بعض خدمه غِيلة ، وقدّموا عوضه أتونَ ثلاثة أشهر ثم خلعوه ، وملّكوا أبطالِس ثمانية أشهر ، فبعث أسْباشيانْس وهو

---

(١) انتقد ابن خلدون في مقدمته لهذا التاريخ اخبار المؤرخين الواهية البعيدة عن المعقول ، وهذا العدد الذي ذكره ابن خلدون بعيد جدا عن المعقول ، لأن الستمائة الف الف مكررة يعني انها تساوي ١٢٠٠ مليون وهذا رقم خيالي وربما تكون كلمة الألف الثانية مكررة من الناسخ فيكون العدد ستمائة ألف مكررة اي حوالي مليون ومائتي ألف . وهو رقم معقول .

الذي سمّاه هروشيوش يشبشيان قائدين إلى رومة فحاربوا أبْطانِش وقتلوه . وسار أسباشيانْس إلى رومة وبعث إليه طيطُش المحاصر للقُدْس بالأموال والغنائم والسبي ، قال وكانت عدّة القتلى ألف ألف والسبي تسعمائة ألف ، واحتمل الخوارج الذين كانوا في نواحي القدس مع الأسرى ، وكان يُلْقِي منهم كل يوم للسباع فرائس إلى أن فنوا . قال : ولما ملك طيطُش بيت المقدس رجع النصارى الذين كانوا عبروا إلى الأردن فبنوا كنيسة بالمقدس وسكنوا ، وكان الأسقف فيهم سِمْعَان بن كَلُوبا ابن عمّ يوسف النجّار وهو الثاني من أساقفة المقدس .

ثم هلك أسباشيانس وهو يشبشيان لتسع سنين من ملكه وملك بعده إبنه طيطش قيصر سنتين وقيل ثلاثا . قال ابن العميد : لأربعمائة من ملك الاسكندر. وقال هروشيوش : كان متفننا في العلوم ملتزما للخير عارفا باللسان الغريقيّ واللطيني ، ووليَ بعده أخوه دومريان خمس عشرة سنة ، قال هروشيوش : وهو إبن أخت نيرون قيصر ، قال : وكان غشوما كافرا وأمر بقتل النصارى فِعْلَ خاله نيرون ، وحبس يوحنا الحواري ، وأمر بقتل اليهود من نسل داود حذرا أن يملكوا ، وهلك في حروب الإفرنج وسمّاه ابن العميد دانسطيانوس ، وقال : ملك ست عشرة سنة وقيل تسعاً ، وكان شديدا على اليهود وقتل أبناء ملوكهم ، وقيل له إنّ النصارى يزعمون أنّ المسيح يأتي ويملك فأمر بقتلهم ، وبعث[1] عن أولاد يهوذا بن يوسف من الحواريّين وحملهم إلى رومة مقيّدين ، وسألهم عن شأن المسيح ، فقالوا إنّما يأتي عند انقضاء العالم فخلّى سبيلهم . وفي الثالثة من دولته طرد بطرك إسكندرية لسبع وثمانين سنة للمسيح ، وقدم مكانه مَـلـمُوَا فأقام ثلاث عشرة سنة ومات فولى مكانه كَرْمَاهُو.

قال ابن العميد عن المسبحي : ولعهده كان أمر ليونيوس صاحب الطلّسمات برومة ، فنفى ذوسطيالوس جميع الفلاسفة والمنّجمين من رومة وأمر أن لا يُغْرس بها كرم ، ثم هلك ذوسطيالوس ، وهو الذي سمّاه هروشيوش دُومَرّيَان ، وقال : هلك في حروب الإفرنج ، وملك بعده بَرْمَا ابن أخيه طيطُش نحوا من سنتين وسمّاه ابن العميد تاوَدَاس ، وقال : إنّ المسبحيّ سمّاه قارون ، قال : ويسمّى أيضا برسطوس ، وقال ملك على الروم سنة أو سنة ونصفا وأحسن السيرة وأمر بردّ من كان منفيًّا من النصارى وخلاهم ودينهم ورجع يوحنّا الإنجيلي إلى أفسُس بعد ست سنين . وقال هروشيوش :

(١) مقتضى السياق : وبحث .

أطلقه من السجن . قال : ولم يكن له وَلَد فعهد بالمُلْكِ إلى طِرْيَانُس من عظماء قوّاده وكان من أهل مالقة فولي بعده وتسمّى قيصر. قال ابن العميد : وإسمه أنْدِيَانُوس ، وسمّاه المسبحي طرينوس وملك على الروم باتفاق المؤرخين سبع عشرة سنة ، وقتل سمعان بن كلاويًا أسقف بيت المقدس وأغْنَاطيُوس بطرك أنطاكية . ولقي النصارى في أيامه شدّة وتتبع أئمتهم بالقتل واستعبد عامّتهم ، وهو ثالث القياصرة بعد نيرون في هذه الدولة . ولعهده كتب يوحنّا إنجيله برومة في بعض الجزائر السادسة من ملكه وكان قد رجع اليهود الى بيت المقدس فكثروا بها وعزموا على الانتقاض ، فبعث عساكره وقتل منهم خلقا كثيرا . وقال هروشيوش : إنّ الحرب طالت بينه وبين اليهود ، فخرّبوا كثيراً من المدن إلى عَسْقَلان ثم إلى مصر والإسكندرية فانهزموا هنالك وقتلوا وزحفوا بعدها إلى الكوفة ، فأثخن فيهم بالقتل وخضد من شوكتهم .

قال ابن العميد : وفي تاسعة من ملكه مات كوثْبَانو بطرك الإسكندرية لإحدى عشرة سنة من ولايته ، ووَلِيَ مكانه أمَرْغُو إثنتي عشرة سنة أخرى[1] . وقال بطليموس صاحب كتاب المجسطي : إنّ شيلوش الحكيم رصد برومة في السنة الأولى من ملك طَرِنيُوس وهو أندريانوس[2] لأربعمائة وإحدى وعشرين للإسكندر ولثمانمائة وخمس وأربعين لبختنصّر. وقال ابن العميد : خرج عليه خارجيّ ببابل فهلك في حروبه لتسع عشرة سنة من ولايته كما قلناه ، فولِيَ من بعد أندريانوس إحدى وعشرين سنة ، وقال إبن العميد عن ابن بطريق عشرين سنة . وقال هروشيوش : إنّه أثخن في اليهود ، ثم بنى مدينة المقدس وسمّاها إيليّاء. وقال ابن العميد : كان شديداً على النصارى وقتل منهم خلقاً ، وأخذ الناس بعبادة الأوثان ، وفي ثامنة ملكه خرّب بيت المقدس وقتل عامّة أهلها وبنى على باب المدينة عمودا وعليه لوح نقش فيه مدينة إيليّاء. ثم زحف إلى الخارجيّ الذي خرج على طِرنيوس قبله فهزمه إلى مصر وألزم أهل مصر حفر خليج من مجرى النيل إلى مجرى القُلْزُم وأجرى فيه الحلو[3] ، ثم أرتد بعد ذلك ، وجاء الفتح والدولة الإسلامية فألزمهم عمرو بن العاص حفره حتى جرى فيه الماء ثم انسد لهذا العهد .

---

(١) وفي نسخة اخرى : عشر سنوات اخرى .

(٢) هو أدريانوس .

(٣) ربما يكون قد سقط من الناسخ كلمة الماء فتصبح الجملة : «واجرى فيه الماء الحلو» .

وكان أندريانوس هذا قد بنى مدينة القدس ورجع إليها اليهود وبلغه أنهم يرومون الانتقاض ، وأنهم ملكوا عليهم زكريّا من أبناء الملوك ، فبعث إليهم العساكر وتتبعهم بالقتل وخرّب المدينة حتى عادت صحراء ، وأمر أن لا يسكنها يهودي ، وأسكن اليونان بيت المقدس ، وكان هذا الخراب لثلاث وخمسين سنة من خراب طِيطُش الذي هو الجلوة الكبرى . وامتلأ القدس من اليونان وكانت النصارى يتردّدون إلى موضع القبر والصليب يصلّون فيه ، وكانت اليهود يرمون عليه الزبل والكناسات ، فمنعهم اليونان من الصلاة فيه وبنوا هنالك هيكلا على اسم الزهرة .

وقال ابن العميد عن المسبحي : وفي الرابعة من ملك أندريانوس بطل الملك من الرُّهَا وتداولتها القضاة من قبل الروم ، وبنى أندريانوس بمدينة أثينوس[1] بيتا ورتب فيه جماعة من الحكماء لمدارسة العلوم ، قال : وفي خامسة ملكه قدم نِسْطُس بطركا على إسكندرية وكان حكيماً فاضلا فلبث إحدى عشرة سنة ثم مات ، وقدم مكانه أمانيق في سادسة عشر من مُلْكِ أندريانوس فلبث إحدى عشرة سنة وهو سابع البطارقة . ثم مات أندريانوس لإحدى وعشرين من ملكه كما مرّ ، وولي ابنه أنطونيش . قال هروشيوش : ويسمّى قيصر الرحيم . وقال ابن العميد : ملك إثنتين وعشرين . وقال الصعيديّون إحدى وعشرين . قال : وفي خامسة ملكه قدم مَرْتِيَانو بطركاً بإسكندرية وهو الثامن منهم ، فلبث تسع سنين ومات ، وكان فاضل السيرة . وقدم بعده كَلُوتِيَانو فلبث أربع عشرة سنة ، ومات في سابعة ملكه أوراليانوس بعده وكان محبوباً . وقال بطليموس صاحبُ المجسطي : إنه رصد الإعتدال الخريفيّ في ثالثة ملك أنطونيوس ، فكان لأربعمائة وثلاث وستين بعد الإسكندر.

ثم هلك أنطونيوس لإثنتين وعشرين كما مرّ ، فملك من بعده أوراليانُس . قال هروشيوش : وهو أخو أنطونيوس وسمّاه أورَالِش وأنطونيوس الأصغر ، وقال : كانت له حروب مع أهل فارس وبعد أن غلبوا على أرمينية وسورية من ممالكه فدفعهم عنهما وغلبهم في حروب طويلة ، وأصاب الأرض على عهده وباءٌ عظيمٌ ، وقحط الناس سنتين ، واستسقى لهم النصارى فأمطروا وارتفع الوباء والقحط بعد أن كان اشتدّ على النصارى وقتل منهم خلقاً ، وهي الشدّة الرابعة من بعد نيرون :

قال ابن العميد : وفي السابعة منَ ملكه قدم على الإسكندرية البطرك أغْريبوس ،

(١) هي مدينة أثينا .

فلبث إثني عشر سنة ومات في تاسعة عشر من ملك أنطونيوس الأصغر ، قال وفي أيامه ظهرت مبتدعة من النصارى واختلفت أقوالهم وكان منهم ابن ديصان وغيره ، فجاهدهم أهل الحق من الأساقفة وأبطلوا بدْعَتهم .

وهلك أنطونيوس هذا لتسع عشرة من ملكه . وفي عاشرة ملكه ظهر أردشير بن بابك أوّل ملوك الساسانيّة واستولى على مُلْكِ الفُرْس ، وكان صاحب الحضر متملّكاً على السواد فغلبه وملك السواد وقتله وقصّته معروفة . وكان لعهده جالينوس المشهور بالطبّ وكان رَبِيَ معه ، فلما بلغه أنه مَلَكَ على الروم قدم عليه من بلاد اليونان وأقام عنده ، وكان لعهده أيضا ديمقراطس الحكيم ، ولأوّل سنة من ملكه قدم بليانُس بطركاً على إسكندرية وهو الحادي عشر من بطاركتها فلبث فيهم عشر سنين ومات . ووليَ مكانه ديمتريوس فلبث فيهم ثلاثا وثلاثين سنة ومات كَمُودَةُ قيصر لثلاثة عشر كما قلناه . فوليَ من بعده وَرْمَتِيلُوس ثلاثة أشهر . قال ابن العميد : وسمّاه ابن بطريق فَرْطَنُوش . وقال : وملك ثلاثة أشهر وسمّاه غيره فَرْطِيخوس . وسمّاه الصعيديّون بَرْطَانُوس ومدّة ملكه باتفاقهم شهران . وقال هِروشيوش : إسمه اللِبيس بن طَيْجَلِيس وهو عمّ كَمُودَةَ قيصر ، قال ووَلِيَ سنة واحدة وقتله بعض قوّاده وأقام في الملك ستة أشهر وقتل .

قال ابن العميد : وملك بعده يوليَانُس قَيْصَر شهرين ومات ، ثم ولي سُورِيَانوس قيصر وسمّاه بعضهم سورس[1] وسمّاه هروشيوش طَبَارِيش بن أَرَنْت بن أنطونيش ، واختلفوا في مدّته ، فقال ابن العميد عن ابن بطريق : سبع عشرة سنة ، وقال المسبحي : ثمان عشرة ، وعن أبي فَانيُوس ستة عشرة ، وعن ابن الراهب ثلاث عشرة ، وعن الصعيديين سنتين . قال وملك في رابعة من ملك أردشير واشتدّ على النصارى وفتك فيهم وسار إلى مصر والإسكندرية فقتّلهم وهدم كنائسهم وشرّدهم كل مشرّد ، وبنى بالإسكندرية هيكلا سمّاه هيكل الآله . قال هروشيوش : وهي الشدّة الخامسة من بعد شدّة نيرون . قال : ثم انتقض عليه اللطينيون ولم يزل محصورا إلى أن هلك . وملك من بعده أَقْطُونِيشُ . قال ابن العميد عن ابن بطريق : ست سنين ، وعن المسبحيّ : سبع سنين . وسماه أنطونيش قُسْطُس . قال : وكان ابتداءُ ملكه عندهم لخمس وعشرين وخمسمائة من ملك

(١) وفي نسخة اخرى : سويُرس .

الإسكندر ، ولعهده سار أردشير ملك الفرس إلى نِصّيبين فحاصرها وبنى عليها حصنا ، ثم بلغه أنّ خارجا خرج عليه بخُراسان ، فاجفل عنهم بعد المصالحة على أن لا يتعرّضوا لحصنه ، فلما رحل بنوا من وراء الحصن وادخلوه في مدينتهم ، ورجع أردشير فنازلهم وامتنعوا عليه ، فأشار بعض الحكماء بأن يجمع أهل العلم فيدعون الله دعوة رجل واحد ، ففعلوا فملك الحصن لوقته . وقال هروشيوش : لمّا وِلِيَ أنطونيش ضعف عن مقاومة الفرس فغلبوا على أكثر مدن الشام ونواحي أرمينية وهلك في حروبهم ووَلِيَ بعده مَفْرِيقُ بن مَرْكَةَ وقتله قوّاد رومة لسنة من ملكه وكذا قال ابن العميد ، وسمّاه ابن بطريق بَقَرُونْشُوشَ ، والمسبحيّ هِرَقلْيَانُوس . قالوا جميعاً : وملك من بعده أنطونيش . قال ابن العميد عن ابن بطريق وابن الراهب : ثلاث سنين ، وعن المسبحيّ والصعيديين : أربع سنين ، قال : وفي أوّل سنة من ملكه بنيت مدينة عمّان بأرض فلسطين ، وملك سابور بن أردشير مدنا كثيرة من الشام .

ومات أنطونيش فملك من بعده إسكندروس لثلاثٍ وعشرين من ملك سابور بن أردشير فملك على الروم ثلاث عشرة سنة وكانت أمّه محبة في النصارى . وقال هروشيوش : ملك عشرين سنة وكانت أمّه نصرانية وكانت النصارى معه في سِعَةٍ من أمرهم . قال ابن العميد : وفي سابعة ملكه قَدِم[1] تَاوكِلاً بطركا بالإسكندرية وهو الثالث عشر من البطاركة فلبث فيهم ست عشر سنة ومات . قال هروشيوش : ولعشر من ملكه غزا فارس فقتل سابور بن أردشير وانصرف ظافراً فثار عليه أهل رومة وقتلوه .

وملك من بعده مَخْشَمْيَان بن لوجية ثلاث سنين ، ولم يكن من بيت الملك وإنّما ولوه لأجل حرب الإفرنج واشتدّ على النصارى الشِّدَّة السادسة من بعد نيرون . وأمّا ابن العميد فسماه فَقِيمُوس ووافق على الثلاث سنين في مدّته وعلى ما لقي النصارى منه ، وأنّه قتل منه سرْجَبُوس في سَلَمْيَة وواجوس في بَالِس على الفرات ، وقتل بطرك انطاكية فسمع أسقف بيت المقدس بقتله فهرب وترك الكرسي . قال : وفي ثالثة ملكه ملك سابور بن أردشير خلاف ما زعم هروشيوش من أنه قتله .

ثم هلك فقيموس أرمشميان ووليَ من بعده يونيوس ثلاثة أشهر وقتل فيما قال ابن العميد ، وقال : سمّاه أبو فانيوس لوكس قيصر وابن بطريق بلينايوس ولم يذكره

(١) بمعنى مضى على وجوده زمن طويل .

هروشيوش . ثم ملّك عِرْدِيَانوس قيصر ، قال ابن العميد عن ابن بطريق وابن الراهب : أربع سنين ، وعن المسبحيّ والصعيديّين : ست سنين ، وسمّاه أبوفانيوس فودينوس والصعيديّون قِرْطانوس . قال : وكان ملكه لإحدى وخمسين وخمسمائة من ملك الإسكندر . وقال هروشيوش : غَرْدَيار بن بَليسان . قال : وملك سبع سنين وطالت حروبه مع الفرس وكان ظافرا عليهم وقتله أصحابه على نهر الفرات ، قال ووليَ بعده فلفش[1] بن أولياق بن أنطونيش سبع سنين وهو ابن عم الإسكندر الملك قبله وأوّل من تنصّر من ملوك الروم . وقال ابن العميد عن الصعيديّين : مَلَكَ ست سنين وقيل تسع سنين ، وكان ملكه لخمس وخمسين وخمسمائة من ملك الإسكندر وآمن بالمسيح . وفي أول سنة من ملكه قدم دنوشيوش بطركا بالإسكندرية وهو رابع عشر البطاركة بها فلبث تسع عشرة سنة ، ولعهد فيلفش هذا قدم غرديانوس أسقفا على بيت المقدس بعد هروب مركيوس ثم عاد من هروبه فأقام شريكاً معه سنة واحدة ، ومات غرديانوس فانفرد مركيوش أسقفاً ببيت المقدس عشر سنين ، قال : وقتل فيلفش قيصر قائدٌ من قواده يقال له دَافِيَس وملك مكانه خمس سنين . وقال عن المسبحيّ وابن الراهب سنةً ، وعن ابن بطريق سنتين . قال : وكان يعبد الأصنام ولقي النصارى منه شدّة ، وكان من أولاد الملوك ، وقتل بطرك رومة وأجاز من مدينة قرطاجنّة إلى مدينة أفْسُس وبنى بها هيكلاً وحمل النصارى على السجود له ، قال : وفي أيامه كانت قصّة فِتْيَةِ أهل الكهف وظهروا بعده في ايام تاودوسيوس . وأمّا هروشيوش فسماه داجية بن مخشميان ، وقال : ملك سنة واحدة ، وكانت على النصارى في أيامه الشدّة السابعة ، وقتل بطرك رومة منهم .

ووليّ من بعده غالِشُ قيصر سنتين واستباح في قتل النصارى وباء عظيم أقفلت له المدن . وقال هروشيوش : هو غالش بن يولياش ، وقال ابن بطريق : إنّ يولياش كان شريكا له في ملكه ومات قبله . قال ابن العميد : إحدى عشرة سنة لسبعين وخمسمائة من ملك الإسكندر . وقال هروشيوش وابن بطريق : ملك خمس عشرة سنة وإسمه غاليوش ، وقال المسبحيّ : خمس عشرة سنة ، وسماه داقيوس وغاليوش ابنه . وقال آخرون : اسمه أورليوش وملك خمس سنين . وقال أبوفانيوس : إسمه غليوس وملك أربع عشرة سنة . وقال الصعيديّون ملك كذلك وإسمه أورَاليُونوس .

---

(١) وفي نسخة اخرى : فيلبّس .

قال ابن العميد : وكان يعبد الأصنام ولقي النصارى منه شدّة في أوّل سنة من ملكه قدم مكتميوش[٢] بطركا بالإسكندرية وهو الخامس عشر من بطاركتها فلبث إثنتي عشرة سنة ومات ، وفي خامسة ملكه قدم إسكندروس أسقفا ببيت المقدس ثم قتله بعد سبع سنين وبعث ابنه في عساكر الروم لغزو الفرس ، فانهزم وحمل أسيراً إلى كِسْرى بَهْرَام فقتله . وقال هرشيوش : وليَ غلينوس خمسة عشر سنة فاشتدّ على النصارى الأمر وقتلهم وقتل معهم بطرك بيت المقدس ، وكانت له حروب مع الفرس أسره في بعضها ملكهم سابور ثم منّ عليه وأطلقه ، ووقع في أيامه برومة وباءٌ عظيم فرفع طلبه عن النصارى بسببه ، وفي أيامه خرج القوط من بلادهم وتغلبوا على بلاد الغريقيين ومقدونية وبلاد النَبَط ، وكان هؤلاء القوط يعرفون بالسَنْسَبِين وكانت مواطنهم في ناحية بلاد السريانيين ، فخرجوا لِعَهْدِ غَلِنُوش هذا وغلبوا كما قلناه على بلاد الغريقيين ومقدونية وعلى مِرْيَةَ .

وهلك غلينوش قتيلا على يد قواد رومة ، ثم ملك أقاوِيدُوش قيصر سنة واحدة ، وقال ابن العميد عن المسبحيّ سنة وتسعة أشهر لثمانين وخمسمائة للإسكندر . وفي أوّل سنة من ملكه قدم يونس السَمِيصَانيّ بطركاً بأنطاكية فلبث ثمان سنين وكان يقول بالوَحْدَانيّة ويجحدُ الكلمة بالروح ، ولما مات اجتمع الأساقفة بأنطاكية وردوا مقالته . وقال هروشيوش : وَليَ بعد غَلِينُوش فَلُودِيش بن يَلاَرْيَان بن مُوكَلَه فنسبه هكذا ، وقال فيه من عظماء القواد . ولم يكن من بيت الملك ودفع القوط المتغلّبين عن مقدونية من منذ خمس عشرة سنة عليها ، ومات لسنتين من ملكه وهذا كما قال المسبحي .

وقال هروشيوش : وليَ بعده أخوه نَطِيلُ سبع عشرة يوما وقتله بعض القواد ، ولم يذكر ذلك ابن العميد . ثم ملك بعده أوريلْيَانُس ست سنين وسمّاه ابن بطريق أورالِيُوس والمسبحيّ أرينوس وأبوفانيوس أوليوس وهروشيوش أولْيان بن بلنسيان . وقال : ملك خمس سنين ، قال ابن العميد : وفي الرابعة من ملكه قدم تاونًا بطركاً بالإسكندرية سادس عشر البطاركة فلبث عشر سنين . وكان النصارى يقيمون الدين خفية ، فلّما صار بطركاً قابل الروم ولاطفهم بالهدايا فأذِنوا له في بناء كنيسة مريم وأعلنوا فيها بالصلاة ، قال : وفي سادسة ملكه ولد قسطنطين . وقال هروشيوش : إنّ

---

(٢) وفي نسخة اخرى : مكسيموس .

أورليان بن بلنسيان هذا حارب القوط فظفر بهم وجدّد بناء رومة واشتدّ على النصارى تاسعة بعد نيرون ثم قتل. فولي بعده طانيش بن إلياس وملك قريبا من السنة. وقال ابن العميد: إسمه طافِسُوس وملك ستة أشهر. وقال ابن بطريق: إسمه طَافِسَاس وملك تسعة أشهر.

ثم ملك فِروفِش قيصر خمس سنين، وقال أبوفانيوس: إسمه فَرُوش، وقال ابن بطريق وابن الراهب والصعيديّون ست سنين، وقال المسبحيّ سبع سنين وسمّاه ألاكيوس وأرْفِيون، وسمّاه ابن بطريق بَرُوش، وسماه هروشيوش فاروش بن أنْطِوِيش. قال: وتغلب على كثير من بلاد الفرس، وقال ابن العميد: كان ملكه لسابعة من ملك سابور ذي الأكتاف ولخمسمائة وإثنتين وتسعين من ملك الاسكندر، وكان شديداً على النصارى وقتل منهم خلقاً كثيراً وهلك هو وأبناه في الحرب.

وقال هروشيوش: ولما هلك فاروش وليَ من بعده ابنه مَنَاربان وقُتِل لحينه، ولم يذكره ابن العميد. ثم ملك بَقْلادَيانُوش إحدى وعشرين سنة، وقال المسبحيّ: عشرين سنة، وقال غيره: ثماني عشرة سنة، وملك لخمسمائة وخمس وتسعين للإسكندر، وقال غيرهم: كان إسمه عَرْبيطاً وارتقىٰ في أطوار الخدمة عند القياصرة إلى أن استخلصه فاريوش وجعله على خيله وكان حسن المزمار. ويقال أنّ الخيل كانت ترقص طرباً لمزاميره، وعشقته بنت فاريوش الملك، ولما مات أبوها وإخوتها ملّكها الروم عليهم فتزوجته وسلمت له في الملك، فاستولى على جميع ممالك الروم وما والاها، وقُسْطَنْطِشُ إبن عمه على بلاد أشيّا وبيزنطية، وأقام هو بأنطاكية وله الشام ومصر الى أقصى المغرب. وفي تاسعة عشر من ملكه انتقض أهل مصر والاسكندرية فقتل منهم خلقاً ورجع إلى عبادة الأصنام وأمر بغلق الكنائس، ولقِي النصارى منه شدّة وقتل القسيس مارجرس[1] وكان من أكابر أبناء البطارقة، وقتل ملقوس منهم أيضاً. وفي عاشرة ملكه قدم ماربطرس بطركا بالإسكندرية فلبث عشر سنين وقتله، وجعل مكانه تلميذه إسكندروس، وكان كبير تلامذته اريوش كثيراً لمخالفة[2] له فسخطه وطرده، ولما مات ماربطرس رجع أريوش عن المخالفة فأدخله إسكندروس إلى الكنيسة وصيّره قِسًّا.

(١) هو القديس مار جرجس.(٢) ومقتضى السياق «وكان كبير تلامذته أريوش يوشي به كثيرا لمخالفته له».

قال ابن العميد : وفي أيام دِقْلَادِيَانُوس خرج قُسْطَنْطِشُ ابن عمّه ونائبه على بيزنطيا وأشِيًّا ورأى هلانة ، وكانت تنصّرت على يد أسقف الرّها ، فأعجبته وتزوّجها وولدت له قُسْطَنْطِين ، وحضر المنّجمون لولادته فأخبروا بملكه ، فأجمع ديقلاديانوس على قتله فهرب إلى الرّها . ثم جاء بعد موت ديقلاديانوس فوجد أباه قُسطنطش قد ملك على الروم فتسلّم الملك من يده على ما نذكر ، وهلك ديقلاديانوس لعشرين سنة من ملكه ولستمائة وستة عشرة سنة من ملك الإسكندر وملك من بعده إبنه مقسيمانوس[1] قال ابن بطريق : سبع سنين ، وقال المسبحيّ وابن الراهب : سنة واحدة . قالوا وكان شريكه في الملك مَقطُوس ، وكان أشدّ كفراً من ديقلاديانوس ، ولقي النصارى منهما شدّة وقتلا منهم خلقاً كثيراً ، وفي أول سنة من ملكه قَدِمَ الإسكندروس تلميذ مار بطرس الشهير بطركا بالإسكندرية ، فلبث فيهم ثلاثا وعشرين سنة .

وعلى عهد مقسيمانوس تذكر تلك الخرافة بين المؤرخين من أن سابور ملك الفُرْس دخل أرض الروم متنكرا ، وحضر مكان مقسيمانوس وسجنه في جلد بقرة وسار إلى مملكة فارس وسابور في ذلك الجلد وهرب منه ، ولحق بفارس وهزم الروم ، في حكاية مستحيلة وكلها أحاديث خرافة . والصحيح منه أنّ سابور سار إلى مملكة الروم فخرج إليه مقسيمانوس واستولى على ملكه كما نذكر بعد . وأمّا هروشيوش فلما ذكر مَنَارَبَان قيصر بن قاريوس وأنّه ملك بعد أبيه وقتل لحينه ، ثم قال وقام بملكهم ديوقاريان وثأر من قاتله ، خرج عليه أَقْرِيرُ بن قاريوس فقتله ديوقاريان بعد حروب طويلة ، ثم انتقض عليه أهل ممالكه وثار الثوار ببلاد الإفرنجة والأندلس وأفريقية ومصر ، وسار إليه سابور ذو الأكتاف فدفع ديوقاريان إلى هذه الحروب كلها مخشميان هركوريش وصيّره قيصر ، فبدأ أوّلاً ببلاد الإفرنجة فغلب الثوار بها وأصلحها وكان الثائر الذي بالأندلس قد ملك برطانية سبع سنين فقتله بعض أصحابه ورجعت برطانية إلى ملك ديوقاريان ، ثم استعمل مخشميان خليفة ديوقاريان صهره قسطنطش وأخاه مَخْشَمِس ابني وليتنوس ، فمضى مخشمس إلى أفريقية وقهر الثوار بها وردّها إلى طاعة الرومانيين ، وزحف ديوقاريان قيصر الأعظم إلى مصر والإسكندرية فحصر الثائر بها إلى أن ظفر به وقتله ، ومضى قسطنطش إلى اللِّمانيّين في ناحية بلاد الافرنج فظفر بهم بعد حروب طويلة . وزحف مخشميان خليفة ديوقاريان إلى سابور ملك الفرس

(١) هو مكسيمانوس .

فكانت حروبه معه سجالاً حتى غلبه وأصاب منه ، واستأصل مدينة غَوْرَةَ والكوفة من بلاده سَبْياً وقتلاً ورجع إلى رومة . ثم سرّحه ديوقاريان قيصر إلى حروب أهل غَالِش من الإفرنجة ، فأثخن فيهم قتلاً وسبْياً ، ثم اشتدّ ديوقاريان على النصارى الشدّة العاشرة بعد نيرون وأثخن فيهم بالقتل ودام ذلك عليهم عشر سنين .

ثم اعتزل ديوقاريان وخليفته مخشميان المُلْك ورفضاه ودفعاه إلى قسطنْطِش بن وليتنوش وأخيه مَخْشمِس ويسمّى غلاريس ، فاقتسما ملك الرومانيين ، فكان لمخشمس غلاريس ناحية الشرق وكان لقسطنطش ناحية المغرب وكانت أفريقية وبلاد الأندلس وبلاد الافرنج في ملكته[1] . وهلك ديوقاريان ومخشميان معتزلين عن الملك بناحية الشام وأقام قُسطنْطِش في الملك ، ثم هلك ببرطانية وأقام بملك اللطينيين من بعده ابنه قُسْطَنْطِين . انتهى كلام هروشيوش .

ويظهر أنّ هذا الملك الذي سمّاه ابن العميد ديقلاديانوس هو الذي سمّاه هروشيوش ديوقاريان ، والخبر من بعد ذلك متشابه والأسماء مختلفة ولا يخفى عليك وضع كل إسم في مكانه من الآخر والله سبحانه وتعالى أعلم .

الخبر عن القياصرة المتنصرة من اللطينيين وهم الكيتم واستفعال ملكهم بقسطنطينية ثم بالشام بعدها إلى حين الفتح الإسلامي ثم بعد إلى إنقراض أمرهم

هؤلاء الملوك القياصرة المتنصرة من أعظم ملوك العالم وأشهرهم وكان لهم الاستيلاء على جانب البحر الرومي من الأندلس إلى رومة إلى القسطنطينية إلى الشام إلى مصر والإسكندرية إلى أفريقية والمغرب ، وحاربوا التُرْك والفُرْس بالمشرق والسودان بالمغرب من النُوبَة فمن وراءهم . وكانوا أوّلاً على دين المجوسيّة ، ثم بعد ظهور الحواريّين ونَشْر دين النصرانية بأرضهم وتسلطهم عليهم بأرضهم مرة بعد أخرى أخذوا بدينهم . وكان أول من أخذ به قُسْطَنْطين بن قسطنطش بن وليتنوس[2] وأمّه هلانه بنت مخشميان قيصر خليفة ديوقاريان قيصر الثالث والثلاثون من القياصرة ، وقد

(١) الأصح ان يقول ملكه .

(٢) هو ولتينوس .

مرّ ذكره آنفاً . وإنّما سمى هذا الدين دين النَصْرَانِيّة نسبة إلى ناصِرَة القرية التي كان فيها مسكن عيسى عليه السلام عندما رجع من مصر مع أمّه . وأمّا نسبه إلى نَصْرَان فهو من أبنية المبالغة ومعناه أنّ هذا الدين في غير أهل عصابة فهو دين من ينصره من أتباعه .

ويعرف هؤلاء القياصرة ببني الأصفر وبعض الناس ينبسهم إلى عِيصُو بن إسحق وقد أنكر ذلك المحقّقون وأبَوْه . وقال أبو محمد بن حَزْمٍ عند ذكر إسرائيل عليه السلام كان لإسحق عليه السلام ابن آخر غير يعقوب واسمه عِيصَاب ، وكان بنوه يسكنون جبال السَرَاةِ من الشام إلى الحجاز ، وقد بادوا جملة إلاّ أن قوماً يذكرون أنّ الروم من ولده وهو خطأ وإنما وقع لهم هذا الغلط لأنّ موضعهم كان يقال له أروم فظنّوا أنّ الروم من ذلك الموضع وليس كذلك ، لأنّ الروم إنّما نُسِبُوا إلى رُومَلُّس باني رومة وربما يحتّجون بأنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم قال في غزوة تبوك للحرْث بن قَيْس : هل لك في جلاد بني الأصفر؟ ولا حجة فيه لاحتمال أن يريد بني عِيصَاب على الحقيقة لأن قصده كان إلى ناحية السَرَاةِ وهو مسكن بني عِيصُو (قلت) : مسكن عِيصُو هؤلاء كان يقال له أيذومُ ، بالذال المعجمة إلى الظاء أقرب فعرّبتها العرب راء ، ومن هنا جاء الغلط والله تعالى أعلم . وهذا الموضع يقال له يَسْعُون أيضاً والاسمان في التوراة .

قال ابن العميد : خرج قُسْطَنْطِين المؤمن على مقسيمانوس فهزمه ، ورجع إلى رومة وازدحم العسكر على الجسر فوقع بهم في البحر وغرق مقسيمانوس مع من غرق ، ودخل قُسْطَنْطِين رومة وملكها بعد أن أقام مَلِكاً على بيزَنْطية من بعد أبيه ستا وعشرين سنة ، فبسط العدل ورفع الجور . وخرج قائده يسكن ناحية قُسطنطينيّة ، وولاّه على رومة وأعمالها وألزمه بإكرام النصارى ، ثم انتقض عليه وقتل النصارى وعبد الأصنام ، وكان فيمن قتل مَارِيَادِس بطرك بطارقة ، فبعث قسطنطين العساكر إلى رومة لحربه فساقوه أسيراً وقتله .

ثم تنصّر قسطنطين في مدينة نيقيا لاثنتي عشر من ملكه وهدم بيوت الأصنام وبنى الكنائس ، ولتاسع عشرة من ملكه كان مجمع الأساقفة بمدينة نيقية ونفى أريوس ، كما ذكرنا ذلك كله من قبل وأنّ رئيس هذا المجمع كان إسكندروس بطرك الاسكندرية ، وفي الخامسة عشر من رياسته توفي بعد المجمع بخمسة أشهر . وقال ابن بطريق كانت ولاية إسكندروس في الخامسة من ملك قسطنطين وبقي ست عشرة

سنة وقتل في السادسة والعشرين من ملك ديقلاديانوس وأنه كان على عهد أوسانيوس أسقف قيساريّة . قال المسبحيّ : مكث بطركا ثلاثا وعشرين وكسر صنم النحاس الذي هو هيكل زحل بإسكندرية ، وجعل مكانه كنيسة فهدمها العُبَيْدِيّون عند ملكهم إسكندريّة . وقال ابن الراهب : إنّ إسكندروس البطرك وليَ أول سنة من ملك قسطنطين فمكث إثنتين وعشرين سنة وعلى عهده جاءت هلانة أم قسطنطين لزيارة بيت المقدس وبنت الكنائس وسألت عن موضع الصليب فأخبرها مقاريوس الأسقف: إنّ اليهود أهالوا عليه التراب والزبل فأحضرت الكهنونيّة وسألتهم عن موضع الصليب وسألتهم رفع ما هنالك من الزبل ثم استخرجت ثلاثة من الخشب وسألت أيتها خشبة المسيح ، فقال لها الأسقف : علامتها أنّ الميت يحيا بمسيسها ، فصدّقت ذلك بتجربتها ، واتخذوا ذلك اليوم عيداً لوجود الصليب ، وبنت على الموضع كنيسة القُمَامَة(١) ، وأمرت مَقَارِيُوس الأسقف ببناء الكنائس وكان ذلك لثلثمائة وثمان وعشرين من مولد المسيح عليه السلام .

وفي حادية وعشرين من ملك قسطنطين كان مهلك اسكندروس البطرك ، ووليَ مكانه تلميذه أثناسيوس كانت أمّه تنصّرت على يده فربى ابنها عنده وعلمه ووليَ بطركا مكانه وسعى به أصحاب أريوش إلى الملك بعده مرتين بقي فيهما على كرسيه ثم رجع . وحمل قسطنطين اليهود بالقدس على النصرانية فأظهروها وافتتحوا في الامتناع من أكل الخنزير ، فقتل منهم خلقاً وتنصّر بعضهم ، فزعموا أنّ أخبار اليهود نقصوا من سني مواليد الآباء نحوا من ألف وخمسمائة سنة ليبطلوا مجيء المسيح في السوابيع التي ذكر دانيال أنّ المسيح يظهر عندها ، وأنها لم يحن وقتها وأنّ التوراة الصحيحة هي التي فسّرها السبعون من أحبار اليهود(٢) ملك مصر. وزعم ابن العميد أن قسطنطين أحضرها واطلع منها على النقص الذي قاله ، قال : وهي التوراة التي بيد النصارى الآن .

قال ثم أمر قسطنطين بتجديد مدينة بيزنطية وسمّاها قسطنطينية باسمه وقسّم ممالكه بين أولاده ، فجعل لقسطنطين قسطنطينية وما والاها ، لقسطنطين الآخر بلادَ الشام الى أقصى المشرق ، ولِقَسْطُوس الثالث رومة وما والاها . قال وملك خمسين سنة منها

---

(١) هي كنيسة القيامة .

(٢) بياض بالاصل ومقتضى السياق : فسرها السبعون من احبار اليهود وارسلوها الى ملك مصر .

ست وعشرون بيزنطية قبل غلبة مقسميانوس ومنها أربع وعشرون بعد استيلائه على الروم ، وتنصّر في إثنتي عشرة من آخر ملكه ، وهلك لستمائة وخمسين للإسكندر.

قال هروشيوش : كان قسطنطين بن قسنطش على دين المجوسية ، وكان شديدا على النصارى ، ونفى بطرك رومة فدعا عليه وابتلى بالجذام ، ووصف له في مداواته أن ينغمس في دماء الأطفال ، فجمع منهم لذلك عدداً ثم أدركته الرقة عليهم فأطلقهم ، فرأى في منامه من يحضّه على الاقتداء بالبطرك فردّه إلى رومة وبرىء من الجذام . وجنح من حينئذ إلى دين النصرانية ، ثم خشي خلاف قومه في ذلك ، فارتحل الى القسطنطينية ونزلها وشيّد بناءها وأظهر ديانة المسيح ، وخالف أهل رومة فرجع إليهم وغلبهم على أمرهم وأظهر دين النصرانية ، ثم جاهد الفُرْس حتى غلبهم على كثير من ممالكهم . ولعشرين سنة من ملكه خرجت طائفة من القوط إلى بلاده فأغاروا وسبوا فزحف إليهم وأخرجهم من بلاده . ثم رأى في منامه عرباً وبنوداً على تمثال الصلبان وقائلا يقول هذه علامة الظفر لك ، فخرجت أمه هلانة إلى بيت المقدس لطلب آثار المسيح وبنت الكنائس في البلدان ورجعت ثم هلك قسطنطين لإحدى وثلاثين سنة من ملكه اهـ . كلام هروشيوش .

ثم وليَ قسطنطين الصغير بن قسطنطين وسمّاه هروشيوش قِسَنْطُش . قال ابن العميد : ملك أربعاً وعشرين سنة وكان أخوه قِسْطُوس برومية بولاية أبيهما ففي خامسة من ملك قسطنطين بعث العساكر فقتل مقنيطوس وأتباعه وولّى على رومة من جهته فكانت له صاغية إلى أريوش فأخذ بمذهبه ، وغلبت تلك المقالة على أهل قسطنطينية وأنطاكية ومصر والإسكندرية ، وغلب أتباع أريوش على الكنائس ووثبوا على بطرك اسكندرية ليقتلوه فهرب كما مرّ ، ثم هلك لأربع وعشرين سنة من ملكه .

ووليَ ابن عمه يولياش . وقال هروشيوش بن منخشمطش قال : وملك سنة واحدة . وقال ابن العميد : ملك سنتين باتفاق لثلاثة من ملك سابور وكان كافراً وقتل النصارى وعزلهم عن الكنائس وأطرحهم من الديوان وسار لقتال الفرس فمات من سهم أصابه . وقال هروشيوش : تورط في طريقه في مفازة ضلّ فيها عن سبيله فتقبض عليه أعداؤه وقتلوه .

قال هروشيوش : ووليَ بعده بَلْيَان بن قسطنطي سنة أخرى ، وزحف إلى الفرس ومَلِكُهُم يومئذ سابور ، فحجم عن لقائهم ، فصالحهم ورجع وهلك في طريقه . ولم

يذكر ابن العميد بَليان هذا وإنّما قال : مَلَك من بعد يوليانوس الملك يوشانوس واحدة باتفاق في سادسة عشر من ملك سابور ، وكان مقدّم عساكر يوليانوس ، فلما قتل اجتمعوا إليه وبايعوه واشترط عليهم الدخول في النصرانية فغلبوه ، وأشار سابور بتوليته ونصب له صليبا في العسكر ، ولما وليَ نزل على نصيبين للفرس ونقل الروم الذي بها إلى آمد ورجع إلى كرسيّ مملكتهم ، فردّ الأساقفة إلى الكنائس ، ورجع فيمن رجع أثناشيوش بطرك اسكندرية ، وطلب منه أن يكتب له أمانة أهل مجمع نيقية ، فجمع الاساقفة وكتبوها وأشار عليه بلزومها . ولم يذكر هروشيوش يوشانوش هذا وذكر مكانه آخر قال : وسمّاه بلنسيان بن قسنطش . قال : وقاتل أمماً من القوط والافرنجة وغيرهم ، قال : وافترق القوط في أيامه فرقتين على مذهبي أريوش وأمانة نيقية ، قال : وفي أيامه وليَ داماش بطركا برومة ثم هلك بالفالج ، وملك بعده أخوه واليس أربع سنين وعمل على مذهب أريوش واشتدّ على أهل الأمانة وقتلهم . وثار عليه بأهل أفريقية بعض النصارى مع البربر فأجاز إليهم البحر وحاربهم فظفر بالثائر وقتله بقرطاجنة ، ورجع إلى قسنطينية فحارب القوط والأمم من ورائهم وهلك في حروبهم .

وقال ابن العميد في قيصر الذي قتل واليس وسمّاه واليطنوس : إنه ملك اثنتي عشرة سنة فيما حكاه ابن بطريق وابن الراهب ، وحكى عن المسبحيّ خمسة عشر سنة ، وأنّ أخاه والياش كان شريكه في الملك وأنه كان مبايناً وأنه ملك لستمائة وست وسبعين للاسكندر وسبع عشرة لسابور كسرى . قال : وفي أيامه وثب أهل اسكندرية على أثناشيوش البطرك ليقتلوه فهرب وقدّموا مكانه لوقيوس وكان على رأي أريوش ، ثم اجتمع أهل الأمانة بعد خمسة أشهر ورجعوه إلى كرسيه وطردوا لوقيوس ، وأقام أثناشيوش بطركاً إلى أن مات ، فولوا بعده تلميذه بطرس سنتين ، ووثب به أصحاب لوقيوس فهرب ورجع لوقيوس الى الكرسي فأقام ثلاث سنين . ثم وثب به أهل الأمانة ورجّعوا بطرس وما لسنة من رجعته ولّي من داريانوس قيصر ومن أصحاب أريوش شدائدَ ومحناً . وقال المسبحيّ : كان واليطينوس يدين بالأمانة ، وأخوه واليش يدين بمذهب أريوش أخذه عن ثاوذكيس أسقف القسطنطينية ، وعاهده على إظهاره ، فلما ملك نفى جميع أساقفة الأمانة وسار أريوس اسقف أنطاكية بإذنه إلى الاسكندرية ، فحبس بطرس البطرك وأقام مكانه أريوش من أهل سميساط ،

وهرب بطرس من السجن وأقام برومة .

وكانت بين واليطينوس قيصر وبين سابور كسرى فتنة وحروب وهلك في بعض حروبه معهم ، وولِيَ بعده أخوه واليش . قال ابن العميد عن ابن الراهب : سنتين ، وعن أبي فانيوس ثلاث سنين وسمّاه والاس . وقال : هو أبو الملكين اللذين تركا الملك وترهّبا وسمّى مكسينموس ودوقاديوس ، قال : وفي الثانية من ملكه بعث طيماناوس أخا بطرس بطركا على إسكندرية فلبث فيهم سبع سنين ومات ، وفي سادسة ملكه كان المجمع الثاني بقسطنطينية وقد مرّ ذكره . وفي أيام واليش قيصر هذا مات بطرك قسطنطينية فبعث أغريوس أسقف يزناروا وولّاه مكانه فوليه أربع سنين ومات . ثم خرج على واليش خارجٌ من العرب فخرج إليه فقتل في حروبه .

ثم ولي أغراديانوس قيصر ، قال ابن العميد : وهو أخو واليش وكان والنطوس بن واليش شريكا له في الملك وملك سنة واحدة ، وقال عن أبي فانيوس سنتين ، وعن ابن بطريق ثلاث سنين ، وذكر عن ابن المسبحيّ وابن الراهب : أن تاوداسيوس الكبير كان شريكا لهما وأنّ ابتداء ملكهم لستمائة وتسعين من ملك الاسكندر ، وأنه ردّ جميع ما نفاه واليش قبله من الأساقفة إلى كرسيه وخلّى كل واحد مكانه .

ومات أغراديانوس وابن أخيه في سنة واحدة ، قال ابن العميد . وملك بعدهما تاوداسيوس سبع عشرة سنة باتفاق لستمائة وتسعين من ملك الاسكندر ولإحدى وثلاثين من ملك سابور كسرى ، وفي سادسة ملكه مات أثناشيوش ، بطرك اسكندرية فولِيَ مكانه كاتبه تاوفيلا ، وكان بطرك القسطنطينية يوحنّا فم الذهب ، وأسقف قبرص أبوفانيوس كان يهوديا وتنصّر . قال : وكان لتاوداسيوس ولدان أرقاديوس وبرباريوس ، قال : وفي خامسة عشر من ملكه ظهر الفتية السبعة أهل الكهف الذين قاموا أيام دقيانوس ولبثوا في نومهم ثلثمائة سنة وتسع سنين كما قصّه القرآن ، ووجد معهم صندوق النحاس والصحيفة التي أودع البطريق فيها خبرهم ، وبلغ الأمر إلى قيصر تاوداسيوس فبعث في طلبهم فوجدهم قد ماتوا ، فأمر أن يبنى عليهم كنيسة ويتخذ يوم ظهورهم عيداً . قال المسبحيّ : وكان أصحاب أريوس قد استولوا على الكنائس منذ أربعين سنة فأزالهم عنها ونفاهم وأسقط من عساكره كل من يدين بتلك المقالة ، وعقد المجمع الثاني بقسطنطينية لمائتين وخمسين سنة من مجمع نيقية ، وقرّر فيه الأمانة الأولى بنيقية وعهدوا أن لا يزاد فيها ولا ينقص . وفي خامسة

عشر من ملكه مات سابور بن سابور وملك بعده بهرام . ثم هلك تاوداسيوس لسبع عشرة سنة من ملكه .

وأمّا هروشيوش فقال بعد ذكر واليش : وملك بعده وليطانش ابن أخيه فلنسيان ست سنين وهو الموفى أربعين عدداً من ملوك القياصرة ، قال واستعمل طودوشيش بن أنطيونش بن لوخيان على ناحية المشرق فملك الكثير منها ، ثم همّ أهل رومة على قائدهم فقتلوه وخلعوا وليطانش الملك ، فلحق بطودوشيش بالمشرق فسلّم إليه في الملك ، فأقبل طودوشيش إلى رومة وقتل الثائر بها واستقل بملك القياصرة ، وهلك لأربع عشرة سنة من ولايته ، فوليَ ابنه أركاديش . ويظهر من كلام هروشيوش أن طودوشيش هو تاوداسيوس الذي ذكره ابن العميد ، لأنهما متفقان في أنّ ابنه أركاديش ومتقاربان في المدة ، فلعل وليطانش الذي ذكره هروشيوش هو أغراديانوس الذي ذكره ابن العميد اهـ .

قال ابن العميد : وملك أركاديش ولد تاوداسيوس الأكبر ثلاث عشرة سنة باتفاق في ثالثة ملك بهرام بن سابور وكان مقيما بالقسطنطينية ، وولىَ أخاه أنوريش على رومة ، قال : وولد لأركاديش إبنٌ سمّاه طودوشيش باسم ابيه ، ولما كبر طلب معلمه أريانوس ليعلم ولده ، فهرب إلى مصر وترهّب ، ورغّبه بالمال فأبى وأقام في مغارة بالجبل المقطم على قرية طِرَا ثلاث سنين ، ومات فبنى الملك على قبره كنيسة وديراً يسمى دير القصير ، ويقال : دير البغل . وفي أيامه غرق أبوفانيوس بمرجعه إلى قُبْرُص ، ومات يوحنّا فم الذهب بطرك القسطنطينية وكان نفاه أركاديش بموافقة أبي فانيوس ، ودعا كل منهما على صاحبه فهلكا . وفي التاسعة من ملك أركاديش مات بهرام بن سابور وملك ابنه يزدجرد .

ثم هلك أركاديش وملك من بعده طودوشيش الأصغر ابن أركاديش ثلاث عشرة سنة ، وولّى أخاه أنوريش على رومة ، فاقتسما ملك اللطينيّين ، وانتقض لعهديهما قومِسُ أفريقية وخالفه إلى طاعة القياصرة فحدثت بأفريقية فتنة لذلك . ثم غلب القومِس أخاه فلحق بقبرص وترهّب بها ، ثم زحف القوط إلى رومة وفرّ عنها أنوريش فحاربوها ودخلوها عنوة واستباحوها ثلاثاً وتجافوا عن أموال الكنائس . قال : ولما هلك أركاديش قيصر استبدّ أخوه أنوريش بالملك خمس عشرة سنة وأحسن في دفاع القوط عن رومة وهلك ، فوليَ من بعده طودوشيش ابن أخيه أركاديش ولم يذكر ابن

العميد أنوريش وإنّما ذكر بعد أركاديش إبنه طودوشيش وسمّاه الأصغر ، قال : وملك إثنتين وأربعين سنة باتفاق في خامسة ملك يزدجرد ، وكانت بينه وبين الفرس حروب كثيرة . قال : وفي أوّل سنة من ملكه مات تاوفيلا بطرك إسكندرية فوليَ مكانه كيرلّوس ابن أخته ، في سابعة عشر من ملكه قدم نسطوريش بطركاً بالقسطنطينية فأقام أربع سنين وظهرت عنه العقيدة التي دان بها وقد تقدّمت ، وبلغت مقالته إلى كيرلّس بطرك الإسكندرية ، فخاطب في ذلك بطرك رومة وأنطاكية وبيت المقدس ، ثم اجتمعوا بمدينة أفسيس في مائتي أسقف وأجمعوا على كفرنسطوريش ونفوه ، فنزل أخميم من صعيد مصر وأقام بها سبع سنين ، وأخذ بمقالته نصارى الجزيرة والموصل إلى الفرات ثم العراق وفارس إلى المشرق ، وولّى طودوشيش بالقسطنطينية مقسيموس عوضاً عن نسطورس فأقام بها ثلاث سنين . وفي ثامنة وثلاثين من ملك طودوشيش الأصغر مات كيرلُّس بطرك الإسكندرية ووليَ مكانه ديسقَرِس ، ولقي شدائد من مَرْقيان الملك بعده . وفي سادسة عشرة من ملك طودوشيش الأصغر مات يزدجرد كسرى ووليَ ابنه بهْرام جُور ، وكانت بينه وبين خاقان ملك الترك وقائع ثم عدل عن حروبهم ودخل إلى أرض الروم فهزمه طودوشيش وملك إبنه يزدجرد . قال هروشيوش : وفي أيام طودوشيش الأصغر تغلب القوط على رومة وملكوها وهلك ملكهم أبطريك كما نذكر في أخبارهم ، ثم صالحواالروم على أن يكون لهم الأندلس فانقلبوا إليها وتركوا رومة انتهى .

قال ابن العميد : ثم ملك مَرْقيان بعده ست سنين باتفاق وتزوّج أخت طودوشيش ، وسمّاه هروشيوش مَركيان بن مَليكة . قالوا : وكان في أيامه المجمع الرابع بمقدونية ، وقد تقدّم ذكره ، وإنّه كان بسبب ديقوس بطرك إسكندرية وما أحدث من البدعة في الأمانة ، فأجمعوا على نفيه وجعلوا مكانه برْطَارس ، وافترقت النصارى إلى مَلَكيّةٍ وهم أهل الأمانة فنسبوا إلى مَركيان قيصر الملك الذي جمعهم وعهد بأن لا يقبل ما اتفق عليه أهل المجمع الخلقدُوني ، وإلى يَعقُوبيةٍ وهم أهل مذهب ديسقوس وتقدّم الكلام في تسميتهم يعقوبية ، وإلى نَسْطُورِيّة وهم نصارى المشرق . وفي أيام مركيان سكن شمعون الحبيس الصومعة بأنطاكية وترهبّ وهو أوّل من فعل ذلك من النصارى ، وعلى عهده مات يزدجرد كسرى .

ومات مركيان قيصر لست سنين من ملكه وملك بعده لاوُن الكبير . قال ابن العميد :

لسبعمائة وسبعين من ملك الاسكندر ولثانية من ملك نيرون ، ملك ست عشرة سنة . ووافقه هروشيوش على مدّته ، وقال فيه ليون بن شمخليّة . قال ابن العميد : وكان على مذهب الملكيّة ولما سمع أهل اسكندرية بموت مركيان وثبوا على برطارس البطرك فقتلوه بعد ست سنين من ولايته وأقاموا مكانه طيماناوس ، وكان يعقوبيًّا فجاء قائد من قسطنطينية بعد ثلاث سنين من ولايته فنفاه ، وأبدل عنه سورس من الملكيّة وأقام تسع سنين. ثم عاد طيماناوس بالأمر لاون قيصر[1] ، ويقال : إنه بقي بطركاً إثنتين وعشرين سنة . ولثانية عشر من ملك لاون زحف الفرس إلى مدينة آمد وحاصروها وامتنعت عليهم ، وفي أيامه مات شِمْعُون الحبيس صاحب العمود .

ثم هلك لاون قيصر لست عشرة سنة من ملكه . قال ابن العميد : ووليّ من بعده لاون الصغير وهو أبو زينون الملك بعده . وقال ابن بطريق : هو ابن سينون وكان يعقوبيًّا وملك سنة واحدة . ولم يذكره هروشيوش وإنّما ذكر زينون الملك بعده ، وسمّاه سينون بالسين المهملة . وقال ملك سبع عشرة سنة . وقال ابن العميد مثله ولثمانية عشر من ملك نيرون ولسبعمائة وسبع وثمانين للإسكندر ، قال : وكان يعقوبيًّا وخرج عليه ولده ورجل من قرابته وحاربهما عشرين شهراً ثم قتلهما واتباعهما ودخل قسطنطينية ووجد بطركها وكان رديء العقيدة قد غير كتب الكنيسة وزاد ونقّص ، فكتب زينون قيصر إلى بطرك رومة وجمع الأساقفة فناظروه ونفوه . وفي سابعة ملك زينون مات طيماناوس بطرك اسكندرية فولي مكانه بطرس وهلك بعد ثمان سنين ، فولي مكانه أثناسيوس وهلك لسبع سنين وكان قيّماً ببعض البيع في بطركيته . قال المسبحيّ : وفي أيام زينون احترق ملعب الخيل الذي بناه بطليموس الأرنبا بالإسكندرية . وقال ابن بطريق : وفي أيام زينون هاجت الحرب بين نيرون والهياطلة وهزموه في بعض حروبهم ، وورد الكرّة عليه بعض قواده كما في أخبارهم ، ومات نيرون وتنازع الملك إبناه قياد ويلاش . وفي عاشرة من ملك زينون غلب يلاش أخاه واستقلّ بالملك ولحق أخوه قياد بخاقان ملك الترك ، ثم هلك يلاش لأربع سنين ورجع قياد واستولى على مملكة فارس وذلك في أربعة عشر من ملك زينون فأقام ثلاثا وأربعين سنة .

وهلك زينون لسبع عشرة من ولايته ، فملك بعده نسطاس سبعا وعشرين سنة في

---

(١) مقتضى السياق : بالأمر للاون قيصر.

أربعة من ملك قيادة ولثمانمائة وثلاث للإسكندر ، وكان يعقوبيًا وسكن حماة ولذلك أمر أن تُشيَّدَ وتُحَصَّنَ فبنيت في سنتين . وعهد لأول ملكه أن يقتل كل إمرأة كاتبة ، وفي ثالثة ملكه أمر ببناء مدينة في المكان الذي قتل فيه دارا فوق نصّيبين . ثم وقعت الحرب بينه وبين الأكاسرة وخرّب قياد مدينة آمد ونازلت عساكر الفرس إسكندرية وأحرقوا ما حولها من البساتين والحصون ، وقتل بين الأمّتين خلق كثير . وفي سادسة ملكه مات أثناسيوس بطرك الاسكندرية فصيّر مكانه يوحنّا وكان يعقوبيًا ومات لتسع سنين ، فصيّر بعده يوحنّا الحسن ومات بعد إحدى عشرة . وفي أيام نسطاس قدم ساريوس بطركا بأنطاكية وكان كلاهما على أمّة ديسقوس . وفي سابعة وعشرين من ملك نسطاس قدم ساريوس بطركاً بأنطاكية . ومات يوحنّا بطرك اسكندرية فولّى مكانه ديسقوس الجديد ومات لسنتين ونصف .

وقال سعيد بن بطريق : إن إيليّا بطرك المقدس كتب إلى نسطاس قيصر يسأله الرجوع إلى الملكيّة ويوضح له الحق في مذهبهم ، وصبا إليه في ذلك جماعة من الرهبان ، فأحضرهم وسمع كلامهم وبعث إليهم بالأموال للصدقات وعمارة الكنائس . وكان بقسطنطينية رجل على رأي ديسقوس فمضى إلى نشطانش قيصر ومضى وأشار عليه باتباع مذهب ديسقوس وأن يرفض المجمع الخلقدوني . فقبل ذلك منه وبعث إلى جميع أهل مملكته ، وبلغ ذلك بطرك أنطاكية فكتب إلى نشطانش قيصر بالملامة على ذلك فغضب ونفاه ، وجعل مكانه بأنطاكية سويرس وبلغ ذلك إلى إيليّا بطرك القدس ، فجمع الرهبان ورؤساء الديور في نحو عشرة آلاف ولعنوا سويرس وأجرموه والملك نشطانش معه . فنفاه نشطانش إلى إيليّا وذلك في ثالثة وعشرين من ملكه ، فاجتمع جميع البطاركة والأساقفة من الملكيّة وأجرموا نشطانش الملك وسويرس وديسقوس إمام اليعقوبية ونسطورس . قال ابن بطريق : وكان لسويرس تلميذ إسمه يعقوب البرادعي يطوف البلاد داعياً إلى مقالة سويرس ودسيقوس فنسب اليَعَاقِبَة إليه . وقال ابن العميد : وليس كذلك لأنّ اليعاقبة سُمّوا بذلك من عهد ديسقوس كما مرّ .

ثم هلك نشطانش لسبع وعشرين من ملكه ، وملك بعده يشطيانش قيصر لثمانية وثلاثين من ملك قياد بن نيرون ولثمانية وثلاثين للاسكندر ، وملك تسع سنين باتفاق . وقال هروشيوش سبعا . وقال المسبحيّ : كان معه شريك في ملكه إسمه

يشطيان . وفي ثالثة ملكه غزت الفرس بلاد الروم فوقعت بين الفرس والروم حروب كثيرة ، وزحف كسرى في آخرها لثمانية من ملك يشطيانش ومعه المنذر ملك العرب ، فبلغ الرّها وغلب الروم وغرق من الفريقين في الفرات خلق كثير وحمل الفرس أسارى الروم وسباياهم ، ثم وقع الصلح بينهما بعد موت قيصر . وفي تاسعة ملكه أجاز البربر من المغرب إلى رومة وغلبوا عليها . قال ابن بطريق : وكان يشطيانش على دين المَلَكيّة فرد كل من نفاه نشطانش قبله منهم ، وصيّر طيماناوس بطركاً بالإسكندرية وكان يعقوبيًّا فلبث فيهم ثلاث سنين ، وقيل سبع عشرة سنة . وقال ابن الراهب : كان يشطيانش خلقدونيًّا ونفى طيماناوس البطرك عن إسكندرية وجعل مكانه أيوليناريوس وكان مَلَكياً ، وعقد مجمعا بالقسطنطينية يريد جمع الناس على رأي الخلقدونية مذهبه ، وأحضر شاويرش بطرك أنطاكية وأساقفة المشرق فلم يوافقوه ، فاعتقل بطرك أنطاكية سنين ثم أطلقه فسار إلى مصر وبقي مختفيا في الديور . ثم وصل أيوليناريوس بطرك إسكندرية ومعه كتاب الأمانة الخلقدونية ، فقبل الناس منه وتبعوا مذهبه فيها وصاروا إليه .

وهلك يشطيانش لتسع سنين من ملكه ثم ملك يشطينانش قيصر لإحدى وأربعين من ملك قَبَاد ولثمانمائة وأربعين للإسكندر وكان ملكيًّا وهو ابن عمّ يشطيانش الملك قبله . وقال المسبحيّ : بل كان شريكه كما مرّ وملك أربعين سنة بإتفاق . وقال أبو فانيوس : ثلاثاً وثلاثين . وفي سابعة ملكه غزا كِسْرى بلاد الروم وأحرق إيليّا وأخذ الصليب الذي كان فيها ، وفي حادية عشر من ملكه عصت السامريّة عليه فغزاهم وخرّب بلادهم ، وفي سادسة عشر من ملكه غزا الحارث بن جبلة أمير غسان والعرب ببرية الشام وغزا بلاد الأكاسرة وهزم عساكرهم وخرّب بلادهم ولقيه بعض مرازبة كِسْرى فهزمهم وردّ السبي منهم ، ثم وقع الصلح بين فارس والروم وتوادعوا . وفي خمس وثلاثين من ملك يشطينانش عهد بأن يتخذ عيد الميلاد في رابع وعشرين من كانون ، وعيد الغطاس [1] في ست منه ، وكانا من قبل ذلك جميعا في سادس كانون . وقال المسبحيّ : أراد يشطينانش حمل الناس على رأي الملكيّة ، فأحضر طيماناوس بطرك اسكندرية وكان يعقوبيًّا ، وأراده على ذلك فامتنع فهمّ بقتله ، ثم أطلقه فرجع إلى مصر مختفيا ثم نفاه بعد ذلك وجعل مكانه بولس ، وكان ملكيًّا فلم

(١) عيد الظهور الالهي عند المسيحيين .

يقبله اليَعَاقِبَة وأقام على ذلك سنين .

قال سعيد بن بطريق : ثم بعث قيصر قائداً من قوّاده إسمه يوليناريوس وجعله بطرك إسكندرية فدخل الكنيسة بزيّ الجند ثم لبس زيّ البطاركة وقدّس . فهموا به فصار إلى سياستهم فاقصروا ثم حملهم على رأي اليعقوبيّة وقتل من امتنع وكانوا مائتين . وفي أيام يشطينانش هذا ثار السامرة بأرض فلسطين وقتلوا النصارى وهدموا كنائسهم فبعث العساكر وأثخنوا فيهم وأمر ببناء الكنائس كما كانت ، وكانت كنيسة بيت لحم صغيرة فأمر بأن يوّسع فيها فبنيت كما هي لهذا العهد . وفي عهده كان المجمع الخامس بقسطنطينية بعد مائة وثلاث وستين من الجمع الخلقدوني ولتاسعة وعشرين من ملك يشطينانش وقد مر ذكر ذلك . وفي عهد قيصر هذا مات أيوليناريوس القائد الذي جعل بطركاً بإسكندرية لسبع عشرة سنة من ولايته ، وهو كان رئيس هذا المجمع ، وجعل مكانه يوحنّا وكان أمانيًّا وهلك لثلاث سنين ، وانفرد اليعاقبة بالإسكندرية وكان أكثرهم القبط وقدموا عليهم طودوشيوش بطركاً لبث فيهم إثنتين وثلاثين سنة ، وجعل الملكيّة بطركهم داقيانوس وطردوا طودوشيوش من كرسيه ستة أشهر ، ثم أمر يشطينانش قيصر بأن يعاد فأعيد وطلب منه المغامسة أن يقدّم دقيانوش بطرك الملكية على الشمامسة فأجابهم . ثم كتب يشطينانش الى طودوشيوش البطرك باجتماع المجمع الخلقدوني أو يترك البطركية ، فتركها ونفاه وجعل مكانه بولس التنسي فلم يقبله أهل إسكندرية ولا ما جاء به . ثم مات وغلقت كنائس القِبْط اليعقوبيّة ولقوا شدائد من الملكيّة ومات طودوشيوش البطرك في سابعة وثلاثين من ملكة يشطيانِش وجعل مكانه باسكندرية بطرس ومات بعد سنتين .

قال ابن العميد : وسار كسرى أنو شروان في مملكة يشطيانِش قيصر إلى بلاد الروم وحاصر أنطاكية وفتحها وبنى قبالتها مدينة سمّاها رومة ونقل إليها أهل انطاكية . ثم هلك يشطيانِش وملك بعده يوشطونش قيصر لست وثلاثين من ملك أنو شروان ولثمانمائة وثمانين للإسكندر فملك ثلاثة عشر سنة . وقال هروشيوش إحدى عشرة سنة . ولثانية من ملكه مات بطرس ملك إسكندرية فجعل مكانه داميانو فمكث ستاً وثلاثين سنة وخربت الديور على عهده ، وفي الثانية عشر من ملكه مات كسرى أنوشروان بعد أن كان بعث العساكر من الدَيْلَم مع سيف بن ذي يزن من التبابعة ففتحوا اليمن وصارت للأكاسرة . ثم هلك يوشطونش قيصر لإحدى عشرة أو ثلاث

عشرة من ملكه . وملك بعده طباريش قيصر لثالثة من ملك هُرْمُز ابن أنوشروان ولثمانمائة وإثنتين وتسعين للاسكندر ، فملك ثلاث سنين عند ابن بطريق وابن الراهب ، وأربعا عند المسبحيّ . ولعهده انتقض الصلح بين الروم وفارس واتصلت الحرب ، وانتهت عساكر الفرس إلى رأس عين الخابور ، فثار إليهم موريق من بطاركة الروم فهزمهم ، ثم جاء طباريش قيصر على أثره فعظمت الهزيمة واستحرّ[1] القتل في الفرس وأسر الروم منهم نحواً من أربعة آلاف غرّبهم إلى جزيرة قبرص ، ثم انتقض بَهْرَام مرزبان هُرْمُز كسرى وطرده عن الملك بمنجع من تخوم بلاد الروم وبعث بالصريخ إلى طباريش قيصر ، فبعث إليه المدد من الفرسان والأموال . يقال كان عسكر المدد أربعين ألفاً فسار هُرْمُز ولقيه بَهْرَام بين المدائن وواسط فانهزم واستبيح ، وعاد هُرْمُز إلى ملكه وبعث إلى طباريش بالأموال والهدايا أضعاف ما أعطاه ، ورد إليه ما كانت الفرس أخذته من بلادهم وسألهم[2] وغيرها ، ونقل من كان فيها من الفرس إلى بلاده . وسأله طباريش بأن يبني هيكلين للنصارى بالمدائن وواسط فأجابه إلى ذلك .

ثم هلك طباريش قيصر وملك من بعده موريكش قيصر في السادسة لهرمز ولثمانمائة وخمس وتسعين للإسكندر وملك عشرين سنة بإتفاق المؤرّخين فأحسن السيرة . وفي حادية عشر من ملكه بلغه عن بعض اليهود بأنطاكية أنه بال[3] على صورة المسيح ، فأمر بقتلهم ونفيهم . ولعهده انتقض على هرمز كسرى قريبه بَهْرَام وخلعه واستولى على ملكه وقتله ، وسار ابنه أبرويز إلى موريكش قيصر صريخاً فبعث معه العساكر ورد أبرويز إلى ملكه ، وقتل بهرام الخارج عليه وبعث إليه بالهدايا والتحف كما فعل أبوه من قبله مع القياصرة ، وخطب أبرويز من موريكش قيصر ابنته مريم فزوّجه إيّاها

(١) وفي نسخة اخرى : واستمر .

(٢) كذا بياض بالأصل واتفق كل من الطبري وابن الاثير على القول : «وخاف بهرام سطوة هرمز وخاف مثل ذلك من كان معه من الجنود فخلعوا هرمز وأقبلوا نحو المدائن ، فأظهروا الامتعاض مما كان من هرمز ، وان ابنه أبرويز أصلح للملك منه ، وساعدهم على ذلك بعض من كان بحضرة هرمز ، فهرب أبرويز بهذا السبب الى أذربيجان خوفا من هرمز ، فاجتمع اليه هناك عدة من المرازبة والاصبهبذين فأعطوه بيعتهم ، ووثب العظماء والاشراف بالمدائن وفيهم بندي وبسطام خالا أبرويز فخلعوا هرمز واستولوا على الملك ، ثم جرت بينه وبين بهرام حروب اضطرت أبرويز إلى الهرب إلى الروم مستغيثاً بملكها فأخبره واستتب له الملك . (الطبري ج ٢ ص ١٨) .

(٣) وفي نسخة اخرى : انهم بالوا .

وبعث معها من الجهاز والأمتعة والأقمشة ما يضيق عنه الحصر.

ثم وثب على موريكش بعض مماليكه بمداخلة قريبه البطريق قوقاص فدسه عليه فقتله وملك على الروم وتسمّى قيصر وذلك لتسعمائة وأربع عشرة للإسكندر وخمس عشرة لأبرويز، فملك ثماني سنين وقتل أولاد موريكش وافلت صغير منهم فلحق بطور سينا وترهّب ومات هنالك. وبلغ ابرويز كسرى ما جرى على موريكش وأولاده فجمع عساكره وقصد بلاد الروم ليأخذ ثأر صهره[1]، وبعث عساكره مع مرزبانه خَزْرَوَيْه إلى القدس وعهد إليه بقتل اليهود وخراب البلد. وبعث مرزبان آخر إلى مصر والإسكندرية، وجاء بنفسه في عساكر الفرس إلى القسطنطينية وحاصرها وضيّق عليها، وأمّا خَزْرَوَيْه المرزبان فسار إلى الشام وخرّب البلاد. واجتمع يهود طَبَريّة والخليل ونَاصِرَة وصور وأعانوا الفرس على قتل النصارى وخراب الكنائس، فنهبوا الأموال وأخذوا قطعة من الصليب، وعادوا إلى كسرى بالسُّبْيِ وفيهم ذَخَرِيّا بطرك القدس، فاستوهبته مريم بنت موريكش من زوجها أبرويز فوهبه إيّاها مع قطعة الصليب. ولما خلت الشام من الروم واجتمع الفرس على القسطنطينية، تراسل اليهود من القدس والخليل وطبرية ودمشق وقبرص، واجتمعوا في عشرين ألفاً وجاؤا إلى صور ليملكوها، وكان فيها من اليهود نحو من أربعة آلاف فتقبض بطركها عليهم وقيدهم، وحاصرهم عساكر اليهود وهدموا الكنائس خارج صور والبطرك يقتل المقيدين ويرمي برؤوسهم إلى أن فنَوا، وارتحل كسرى عن القسطنطينية جاثيا فأجفل اليهود عن صور وانهزموا.

وقال ابن العميد: وفي رابعة من قوقاص قيصر قَدِم يوحنّا الرحوم بطركاً على الملكيّة باسكندرية ومصر، وإنّما سُمِيّ الرحوم لكثرة رحمته وصدقته، وهو الذي عمل البيمارستان للمرضى بإسكندرية. ولما سمع بمسير الفرس هرب مع البطريق الوالي بإسكندرية إلى قبرص فمات بها لعشر سنين من ولايته، وخلا كرسي الملكيّة بإسكندرية سبع سنين. وكان اليعاقبة باسكندرية قدّموا عليهم في أيام قوقاص قيصر بطركاً إسمه أنِسْطانيوش مكث فيهم إثنتي عشرة سنة، واستردّ ما كانت الملكيّة استولت عليه من الكنائس اليعقوبية، وجاء أثناسيوس بطرك أنطاكية بالهدايا سروراً بولايته، فتلقاه هو بالأساقفة والرُهبان، واتخذت الكنيسة بمصر والشام وأقام عنده

(١) موريكش هو حميّ أبرويز اي والد زوجته. ومقتضى السياق ليأخذ بثأر حميّه.

أربعين يوما ورجع إلى مكانه . ومات أنسطانيوش بعد إثنتي عشرة من ولايته لثلثمائة وثلاثين من ملك ديقلاديانوس .
ولمّا انتهى أبرويز في حصار القسطنطينية نهايته وضيّق عليها وعدموا الأقوات ، واجتمع البطارقة بعَلوقيا وبعثوا السفن مشحونة بالأقوات مع هِرَقْل أحد بطاركة الروم ، ففرحوا به ، ومالوا إليه وداخلهم في الملك ، وأنّ قوقاص سبب هذه الفتنة ، فثاروا عليه وقتلوه وملّكوا هِرَقْل ، وذلك لتسعمائة وإثنتين وعشرين للإسكندر ، فارتحل أبرويز عن القسطنطينية راجعا إلى بلاده ، وملك هِرَقْل بعد ذلك إحدى وثلاثين سنة ونصف عند المسبحيّ وابن الراهب ، وإثنتين وثلاثين عند ابن بطريق . وكانت ملكته أوّل سنة من الهجرة . وقال هروشيوش : لتسع وسمّاه هِرَقْل بن هِرَقْل بن أنطونيش .
ولما تملّك هِرَقْل بعث أبرويز بالصلح بوسيلة قتلهم موريكش فأجابهم على تقرير الضريبة عليهم فامتنعوا فحاصرهم ست سنين أخرى إلى الثمان التي تقدّمت ، وجهدهم الجوع فخادعهم هِرَقْل بتقرير الضريبة على أن يفرج عنهم حتى يجمعوا له الأموال . وضربوا الموعد معه ستة أشهر ، ونقض هِرَقْل فخالف كِسْرَى إلى بلاده ، واستخلفَ أخاه قُسطنطين على قسطنطينية ، وسار في خمسة آلاف من عساكر الروم إلى بلاد فارس فخرّب وقتل وسبى وأخذا بني أبرويز كسرى من مريم بنت موريكش وهما قبّاد وشيرويه . ومرّ بحُلوان[1] وشهرزود إلى المدائن ودجلة ورجع إلى أرمينية ، ولما قرب من القسطنطينية ، وارتحل أبرويز كسرى إلى بلاده فوجدها خرابا وكان ذلك مما أضعف من مملكة الفرس وأوهنها .
وخرج هرقل لتاسعة من ملكه لجمع الأموال ، وطلب عامل دمشق منصور بن سرْحُون فاعتذر بأنه كان يحمل الأموال إلى كِسْرَى ، فعاقبه واستخلص منه مائة ألف دينار وأبقاه على عمله . ثم سار إلى بيت المقدس وأهدى إليه اليهود فأمّنهم أوّلاً ثم عرّفه الأساقفة والرهبان بما فعلوه في الكنائس ، ورآها خرابا وأخبروه بمن قتلوه من النصارى ، فأمر هِرَقْل بقتلهم فلم ينج منهم إلاّ من اختفى أو أبعد المفرّ إلى الجبال والبراري ، وأمر بالكنائس فبنيت .
وفي العاشرة من ملكه قدم أنْدِرَاسْكُون بطركاً لليعاقبة بإسكندرية فأقام ست سنين

(١) مدينة قديمة في العراق العجمي .

خَرِبَت فيها الديور ، ثم مات فجعل مكانه بنيامين فمكث سبعاً وثلاثين سنة ومات ، والفرس يومئذ قد ملكوا مصرَ والإسكندرية . وأمّا هِرَقْل فسار من بيت المقدس إلى مصر وملكها وقتل الفُرْس ، وولّى على الإسكندرية فوس وكان أمانيًّا وجمع له بين البطركة والولاية . ورأى بنيامين البطرك في نومه شخصاً يقول قم فاختَفِ إلى أن يجوز غضب الرب فاختفى ، وتقبّض هرقل على أخيه مينا وأراده على الأخذ بالأمانة الخلقدونية فامتنع فأحرقه بالنار ورمى بجثته في البحر . ثم عاد هِرَقْل إلى قسطنطينية بعد أن جمع الأموال من دمشق وحمص وحماة وحلب وعمّر البلاد ، إلى أن ملك مصرعمرو بن العاص وفتحها لثلثمائة وسبع وخمسين لديقلاديانوس ، وكتب لبنيامين البطرك بالأمان فرجع إلى إسكندرية بعد أن غاب عن كُرْسِيّه ثلاث عشرة سنة .

قال ابن العميد : وانتقل التاريخ إلى الهجرة لإحدى عشرة من ملك هرقل وذلك لتسعمائة وثلاث وثلاثين للإسكندر وستمائة وأربع عشرة للمسيح . قال المسعودي : وقيل إنّ مولده عليه السلام كان لعهد نيشطيانش الثاني الذي ذكر إنه نوسطيونس الذي بنى كنيسة الرّها وأنّ ملكه كان عشرين سنة . ثم ملك هِرَقْل بن نوسطيونس خمس عشرة سنة وهو الذي ضرب السِكَّة الهِرَقْلِيّة ، وبعده مورقُ بن هِرَقْل ، قال : والمشهور بين الناس أن الهجرة وأيام الشيخين كان ملك الروم لهِرَقل . قال : وفي كتب السير أن الهجرة كانت على عهد قيصر بن مورق ، ثم كان بعهد إبنه قيصر بن قيصر أيام أبي بكر ، ثم هرقل بن قيصر أيام عمرو عليه كان الفتح وهو المخرج من الشام ، قال ومدّة ملكهم إلى الهجرة مائة وخمس وسبعون سنة .

قال الطبري : مدّة ما بين عمارة المقدس بعد تخريب بختنصّر إلى الهجرة على قول النصارى ألف سنة وتزيد ، ومن ملك الإسكندر إليها تسعمائة ونيف وعشرين سنة ، ومنه إلى مولد عيسى ثلثمائة وثلاث سنين ، وعمره إلى رفعه إثنان وثلاثون سنة ، ومن رفعه إلى الهجرة خمسمائة وخمس وثمانون سنة . وقال هروشيوش إنّ ملك هِرَقْل كانت الهجرة في تاسعته وسمّاه هِرَقْل بن هِرَقْل بن أنطونيوس لستمائة وإحدى عشرة من تاريخ المسيح ، ولألف ومائة من بناء رومة والله تعالى أعلم .

الخبر عن ملوك القياصرة من لدن هرقل والدولة الإسلامية الى حين انقراض أمرهم وتلاشي أحوالهم

قال ابن العميد وفي الثانية من الهجرة بعث أبرويز عساكره إلى الشام والجزيرة فملكها ، وأثخن في بلاد الروم ، وهدم كنائس النصارى واحتمل ما فيها من الذهب والفضة والآنية ، حتى نقل الرخام الذي كان بالمباني ، وحمل أهل الرّها على رأي اليعقوبيّة باغراءِ طبيب منهم كان عنده فرجعوا إليه وكانوا مَلَكِيَّة . وفي سابعة الهجرة بعث عساكر الفرس ومقدّمهم مَرْزَبانه شَهْرَ يَار فدوّخ بلاد الروم وحاصر القسطنطينية ، ثم تغير له فكتب إلى المرازبة معه بالقبض عليه ، واتفق وقوع الكتاب بيد هِرَقْل فبعث به إلى شهر يار فانتقض ومن معه ، وطلبوا هرقل في المدد فخرج معهم بنفسه في ثلثمائة ألف من الروم وأربعين ألفاً من الخَزَر الذين هم التُرُكُمان ، وسار إلى بلاد الشام والجزيرة وافتتح مدائنهم التي كان ملكها كسرى من قبل وفيما افتتح أرمينية ، ثم سار إلى الموصل فلقيه جموع الفرس وقائدهم المرزبان فانهزموا وقتل . وأجفل أبرويز عن المدائن واستولى هِرَقل على ذخائر ملكهم ، وكان شيرويه بن كسرى محبوسا فأخرجه شهر يار وأصحابه وملكوه وعقدوا مع هرقل الصلح ، ورجع هرقل إلى آمد بعد أن ولّى أخاه تِدَاوُس على الجزيرة والشام ، ثم سار إلى الرّها ورد النصارى اليعاقبة إلى مذهبهم الذي أكرهوا على تركه وأقام بها سنة كاملة .

وعن غير ابن العميد : وفي آخر سنة ست[1] من الهجرة كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل كتابه من المدينة مع دِحيَة الكَلْبي يدعوه إلى الإسلام ، ونصّه على ما وقع في صحيح البخاري «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أمّا بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسْلِمْ تَسْلَمْ يُؤْتِكَ الله أجرك مرّتين فإنْ تولّيت فإنّ عليك إثم الأريسيّين .«ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلاّ الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا إشهدوا بأنّا مسلمون» .

فلّما بلغه الكتاب جمع من كان بأرضه من قريش وسألهم عن أقربهم نسباً منه فأشاروا

(١) قوله ست أي وكان وصوله إلى هرقل سنة سبع كما صوّبه ابن حجر (قاله نصر) .

إلى أبي سفيان بن حرب ، فقال لهم : إني سائله عن شأن هذا الرجل فاستمعوا ما يقوله . ثم سأل أبا سفيان عن أحوال تجب أن تكون للنبيّ صلى الله عليه وسلم أو ينزه عنها ، وكان هرقل عارفا بذلك ، فأجابه أبو سفيان عن جميع ما سأله من ذلك . فرأى هرقل أنه نبي لا محالة مع أنه كان حَزَّاءً ينظر في علم النجوم ، وكان عنده علم من القرآن الكائن قبل المِلّة بظهور الملة والعرب ، فاستيقن بنبوّته وصحة ما يدعو إليه حسبما ذكره البخاري في صحيحه .

وكتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى الحرث بن أبي شُمّر الغَسَّانيّ ملك غسّان بالبلقاءِ من أرض الشام وعامل قيصر على العرب مع شجاع بن وهب الأسديّ يدعوه إلى الإسلام ، قال شُجَاع : فأتيته وهو بغوطة دمشق يهيىء النزل لقيصر حين جاء من حمص إلى إيليّاء ، فشغل عني إلى أن دعاني ذات يوم وقرأ كتابي وقال : من ينتزع مني ملكي أنا سائر إليه ولو كان باليمن . ثم أمر بالخيول تُنْعَل ، وكتب بالخبر إلى قيصر ، فنهاه عن المسير ثم أمرني بالانصراف وزوّدني بمائة دينار .

ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في الثامنة من الهجرة جيشه الى الشام وهي غزوة مؤتة كان المسلمون فيها ثلاثة آلاف وأمّر عليهم زيد بن حارثة وقال : إن أصيب فجعفر فعبدالله بن رواحة . فانتهوا إلى مَعَان من أرض الشام ، ونزل هرقل صاب من أرض البلقا في مائة ألف من الروم . وانضمت إليه جموع جُذَام والقَيْد وبَهْرام وبلى ، وعلى بِلى مالك بن زافلة ، ثم زحف المسلمون إلى البلقا ولقيتهم جموع هرقل من الروم والعرب على مُؤْتة فكان التمحيص والشهادة ، واستشهد زيد ثم جعفر ثم عبدالله ، وانصرف خالد بن الوليد بالناس فقدموا المدينة . ووجد النبيّ صلى الله عليه وسلم على من قتل من المسلمين ولا كوجده على جعفر بن أبي طالب لأنه كان تِلادَه .

ثم أمر بالناس في السنة التاسعة بعد الفتح وحنين والطائف أن يتهيؤا لغزو الروم فكانت غزوة تبوك ، فبلغ تبوك وأتاه صاحب أَيْلَةَ وجَرْباء وأَذْرِح وأعطوا الجزية وصاحب أَيْلَةَ يومئذ يوحنّا بن رؤبة بن نَفَاثَة أحد بطون جُذَام وأهدى له بغلة بيضاء ، وبعث خالد بن الوليد إلى دَوْمَة الجَنْدَلِ وكان بها أُكَيْدِرُ بن عبد الملك فأصابوه بضواحيها في ليلة مُقْمِرَة فأسروه وقتلوا أخاه وجاؤا به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فحقن دمه وصالحه على الجزية وردّه الى قريته . وأقام بتبوك بعض عشرة ليلة وقفل إلى المدينة وبلغ خبر يوحنّا إلى هرقل فأمر بقتله وصلبه عند قريته اهـ من غير ابن العميد .

ورجعنا إلى كلامه قال : وفي الثالثة عشرة من الهجرة جهّز أبو بكر العساكر من المسلمين العرب لفتح الشام : عمرو بن العاص لفلسطين ، ويزيد بن أبي سفيان لحمص ، وشرحبيل بن حسنة للبلقاء ، وقائدهم أبو عبيدة بن الجرّاح . وبعث خالد بن سعيد بن العاص إلى سَمَاوَة فلقيه ماهاب البطريق في جموع الروم ، فهزمهم خالد إلى دمشق ونزل مرجع [1] الصفراء ، ثم أخذوا عليه الطريق ونازلوه ثانية فتجهز إلى جهة المسلمين وقتل ابنه . وبعث أبو بكر خالد بن الولِيد بالعراق يسير إلى الشام أميراً على المسلمين فسار ونزل معهم دمشق وفتحوها كما نذكر في الفتوحات . وزحف عمرو بن العاص إلى غيره ولقيته الروم هنالك فهزمهم وتحصّنوا ببيت المقدس وقِيسَارِيّة .

ثم زحف عساكر الروم من كل جانب في مائتين وأربعين ألفاً والمسلمون في بضع وثلاثين ألفا ، والتقوا باليرموك فانهزم الروم وقتل منهم من لا يحصى وذلك في خامسة عشر من الهجرة . ثم تتابعت عليهم الهزائم ونازل أبو عبيدة وخالد بن الوليد حمص فصالحوهم على الجزية . ثم سار خالد إلى قِنَّسْرين فلقيه مَنْيَاسُ البطريق في جموع الروم ، فهزمهم ، وقتل منهم خلق كثيرٌ وفتح قِنَّسرين ودوّخ البلاد ، ثم سار عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة فحاصروا مدينة الرَمْلَة وجاء عمر بن الخطاب إلى الشام فعقد لأهل الرَمْلَة الصلح على الجزية ، وبعث عَمْراً وشرحبيل لحصار بيت المقدس فحاصروها ، ولما أجهدهم البلاء طلبوا الصلح على أن يكون أمانهم من عُمَر نفسه ، فحضر عندهم وكتب أمانهم ونصه : «بسم الله الرحمن الرحيم من عمر بن الخطاب لأهل إيليّاء إنهم آمنون على دمائهم وأولادهم ونسائهم وجميع كنائسهم لا تسكن ولا تهدم» اهـ .

ودخل عمر بن الخطاب بيت المقدس وجاء كنيسة القمامة [2] فجلس في صحنها ، وحان وقت الصلاة فقال للبترك أريد الصلاة ، فقال له : صلِّ موضعك ، فامتنع وصلّى على الدرجة التي على باب الكنيسة منفرداً ، فلمّا قضى صلاته قال للبترك لو صليت داخل الكنيسة أخذها المسلمون بعدي وقالوا هنا صلى عمر ، وكتب لهم أن لا يجمع على الدرجة للصلاة ولا يؤذن عليها . ثم قال للبترك أرني موضعاً أبني فيه

(١) وفي نسخة ثانية : موضع الصفراء .
(٢) هي كنيسة القيامة .

مسجداً فقال : على الصخرة التي كلم الله عليها يعقوب ، ووجد عليها دماً كثيراً فشرع في إزالته وتناوله بيده يرفعه في ثوبه ، واقتدى به المسلمون كافة فزال لحينه ، وأمر ببناء المسجد . ثم بعث عمرو بن العاص إلى مصر فحاصرها وأمدّه بالزبير بن العوّام في أربعة آلاف من المسلمين فصالحهم المقوقس[1] على الجزية ، ثم سار إلى الاسكندرية فحاصرها وافتتحها .

وفي السابعة عشر من الهجرة جاء ملك الروم إلى حمص في جموع النصرانية وبها أبو عبيدة فهزمهم واستلحمهم ، ورجع هِرَقْل إلى أنطاكية ، وقد استكمل المسلمون فتح فلسطين وطبرية والساحل كله . واستنفر العرب المتنصرّة من غسّان ولخم وجُذَام وقدم عليهم ماهاب البطريق وبعثه للقاء العرب ، وكتب إلى عامله على دمشق منصور بن سرحون أن يمدّه بالأموال ، وكان يحقد عليه نكبته من قبل ، واستصفى ماله حين أفرج الفرج عن حصاره بالقسطنطينية لأول ولايته ، فاعتذر العامل للبطريق عن المال وهوّن عليه أمر العرب . فسار من دمشق للقائهم ونازلهم بجابية الخَوْلاَن ، ثم اتبعه العامل ببعض مالٍ جهزه للعساكر ، وجاء العسكر ليلاً وأوقد المشاعل وضرب الطبول ونفخ البوقان ، فظنهم الروم عسكر العرب جاؤا من خلفهم وأنهم أحيط بهم ؛ فأجفلوا وتساقطوا في الوادي وذهبوا طوائف إلى دمشق وغيرها من ممالك الروم ، ولحق ماهاب بطور سيناء وترهّب إلى أن هلك . واتبع المسلمون الفل مع منصور إلى دمشق وحاصروها ستة أشهر فرّقوا على أبوابها . ثم طلب منصور العامل الأمان للروم من خالد فأمّنه ، ودخل المدينة من الباب الشرقي ، وتسامع الروم الذين بسائر الأبواب فهربوا وتركوها ، ودخل منها الامراء الآخرون عنوة ومنصور ينادي بأمان خالد ، فاختلف المسلمون قليلا ثم اتفقوا على أمان الروم الذين كانوا بالإسكندرية بعد ان افتتحها عمرو بن العاص ركبوا إليه البحر ووافوه بها .

ثم هلك هرقل لإحدى وعشرين من الهجرة ولاحدى وثلاثين من ملكه ، فملك على الروم بقسطنطينية قسطنطين وقتله بعض نساء أبيه لستة أشهر من ملكه ، وملك أخوه هرقل بن هرقل ، ثم تشاءم به الروم فخلعوه وقتلوه وملّكوا عليهم قسطنيوس بن قسطنطين ، فملك ست عشرة سنة ومات لسابعة وثلاثين من الهجرة . وفي أيامه غزا

---

(١) وهو قيرس وزير هرقل وبطريك الاسكندرية ومتولي شؤون مصر لما فتحها عمرو بن العاص سنة ٦٣٩ م .

معاوية بلاد الروم سنة أربع وعشرين وهو يومئذ أمير على الشام في خلافة عمر بن الخطاب ، فدوّخ البلاد وفتح منها مدناً كثيرة وقفل ، ثم أغزى عساكر المسلمين إلى قبرص في البحر ففتح منها حصونا وضرب الجزية على أهلها سنة سبع وعشرين . وكان عمرو بن العاص لما فتح الاسكندرية كتب لبنيامين بطرك اليعاقبة بالأمان ، فرجع بعد ثلاث عشرة من مغيبه ، وكان ولاّه هرقل في أوّل الهجرة كما قدمنا . وملك الفرس مصر والاسكندرية عشر سنين عند حصار قسطنطينية أيام هرقل ، ثم غاب عن الكرسي عندما ملك الفرس وقدموا الملكيّة ، وبقي غائباً ثلاث عشرة سنة أيام الفرس عشرة وثلاث من مَلَكَةِ المسلمين ، ثم أمّنه عمرو بن العاص فعاد ثم مات في تاسعة وثلاثين من الهجرة ، وخلفه في مكانه أغاثوا فملك سبع عشرة سنة .

ولما هلك قسنطينوس بن قسطنطين في سابعة وثلاثين من الهجرة كما قلناه ملك على الروم في القِسطنطينية ابنه يوطيانوس فمكث إثني عشرة سنة وتوفي سنة خمسين ، فملك بعده طيباريوس ومكث سبع سنين ، وفي أيامه غزا يزيد بن معاوية القسطنطينية في عساكر المسلمين وحاصرها مدّة ثم أفرج عنها ، واستشهد أبو أيوب الأنصاري في حصارها ودفن في ساحتها[(١)] ، ولما قفل عنها توعدهم بتعطيل كنائسهم بالشام إن تعرّضوا لقبره .

ثم قتل طيباريوس قيصر سنة ثمان وخمسين وملك أوغسطس قيصر ، وفي أيام ولايته مات أغاثوا بطرك اليعاقبة القبْط باسكندرية وقدم مكانه يوحنّا . ثم قتل أوغسطس قيصر ذبحه بعض عبيده سنة[(٢)] ، وملك ابنه أصطفانيوس وكان لعهد عبد الملك بن مروان . وفي سنة خمس وستين من الهجرة زاد عبد الملك في المسجد الأقصى وأدخل الصخرة في الحرم . ثم خلع أصطفانيوس ثم ملك بعده لاون ومات

---

(١) وفي الكامل ج ٣ ص ٤٥٩ : «وتوفي أبو ايوب الأنصاري عند القسطنطينية فدفن بالقرب من سورها ، فأهلها يستسقون به ..» .

(٢) لم يحدد ابن الأثير السنة التي ملك فيها أوغسطس ولا السنة التي توفي فيها وهناك تباين في الأسماء يقول : «ثم ملك قسطنطين بن قسط ثلاث عشرة سنة بعض ايام معاوية وأيام يزيد وابنه معاوية ومروان بن الحكم وصدرا من ايام عبد الملك . ثم ملك اسطيناس المعروف بالأخرم تسع سهين ايام عبد الملك ثم خلعه الروم وخرموا أنفه ، ثم ملك بعده لونطيش ثلاث سنين ايام عبد الملك ...» . اما ابن ابي اصيبعة فيقول في كتاب عيون الأنباء في طبقات الاطباء عن اوسابيوس القيسراني الذي كان اسقف قيسارية : «وملك بعد يوليوس قيصر اوغسطس قيصر وكانت مدته ستا وخمسين سنة وستة اشهر وفي سنة ثلاث وأربعين من ملكه ولد المسيح عليه السلام» .

سنة ثمان وسبعين ، وملك طيباريوس سبع سنين ومات سنة ست وثمانين ، فملك سِطْيَانوس وذلك في أيام الوليد بن عبد الملك ، وهو الذي بنى مسجد بني أمية بدمشق ، يقال إنه أنفق فيه أربعمائة صندوق في كل صندوق أربعمائة عشر ألف دينار ، وكان فيه من جملة الفعلة إثنا عشر ألف مُرَخّم ، ويقال كانت فيه ستمائة سلسلة من الذهب لتعليق القناديل فكانت تغشى عيون الناظرين وتفتن المسلمين فأزالها عمر بن عبد العزيز وردّها إلى بيت المال . وكان الوليد لما اعتزم على الزيادة في المسجد أمر بهدم كنيسة النصارى وكانت ملاصقة للمسجد فأدخلها فيه ، وهي معروفة عندهم بكنيسة ماريوحنّا ، ويقال إنّ عبد الملك طلبهم في ذلك فامتنعوا ، وإن الوليد بذل لهم فيها أربعين ألف دينار فلم يقبلوا ، فهدمها ولم يعطهم شيئاً ، وشكوا أمرها إلى عمر بن عبد العزيز وجاؤه بكتاب خالد بن الوليد وعهده أن لا تخرّب كنائسهم ولا تسكن ، فراودهم على أخذ الأربعين ألفاً التي بذل لهم الوليد فأبوا ، فأمر أن تردّ عليهم فعظم ذلك على الناس ، وكان قاضيه أبو داريس[1] الخولاني فقال لهم : تتركون هذه الكنيسة في الكنائس التي في[2] العنوة في المدينة والا هدمناها ، فأذعنوا وكتب لهم عمر الأمان على ما بقي من كنائسهم .

وفي سنة ست وسبعين بعث كاتب الخراج إلى سليمان بن عبد الملك بأنّ مقياس حلوان بطل فأمر ببناء مقياس في الجزيرة بين الفسطاط والجزيرة فهو لهذا العهد .

وفي سنة إحدى ومائة من الهجرة ملك تِدّاوُس على الروم سنة ونصفا ، ثم ملك بعده لاون أربعا وعشرين سنة ، وبعده ابنه قسطنطين. وفي سنة ثلاث عشرة ومائة غزا هشام بن عبد الملك الصائفة اليسرى ، وأخوه سليمان الصائفة اليمنى ، ولقيهم قسطنطين في جموع الروم فانهزموا وأخذ أسيراً ثم أطلقوه بعد . وفي أيام مروان بن محمد وولاية موسى بن نصير لقي النصارى بالإسكندرية ومصر شدّة وأخذوا بغرامة المال واعتقل بطرك الاسكندرية ابي ميخايل ، وطلب بجملة من المال فبذلوا موجودهم وانطلقوا يستسعون ما يحصل لهم من الصدقة ، وبلغ ملك النُوَبةِ ما حل بهم فزحف في مائة ألف من العساكر إلى مصر ، فخرج إليه عامل مصر ، فرجع من غير قتال . وفي أيام

(١) وفي نسخة اخرى : ابو ادريس الخولاني .

(٢) كذا بياض بالأصل ولم يذكر ابن الاثير ولا الطبري ومقتضى سياق الجملة : «في الكنائس التي تركت لكم وكانت من الاماكن التي اخذت عنوة في المدينة» .

هشام ردّت كنائس الملكيّة من أيدي اليعاقبة ، وولي عليهم بطرك قريبا من مائة سنة ، كانت رياسة البطرك فيها لليعاقبة وكانوا يبعثون الأساقفة للنواحي ، ثم صارت النوبة من ورائهم للحبشة يعاقبة .

ثم ملك بالقسطنطينية رجل من غير بيت الملك إسمه جرجس ، فبقي أيام السفّاح والمنصور وأمره مضطرب ، ثم مات وملك بعده قسطنطين بن لاون وبنى المدن وأسكنها أهل أرمينية وغيرها . ثم مات قسطنطين بن لاون وملك ابنه لاون ، ثم هلك لاون وملك بعده نقفور .

وفي سنة سبع وثمانين ومائة غزا الرشيد هِرَقْلَة ودوّخ جهاتها ، وصالحه نقفور ملك الروم على الجزية فرجع إلى الرقة وأقام شاتياً وقد كلب البرد ، وأمن نقفور من رجوعهم فانتقض ، فعاد إليه الرشيد وأناخ عليه حتى قرّر الموادعة والجزية عليه ورجع . ودخلت عساكر الصائفة بعدها من درب الصفصاق فدوّخوا أرض الروم ، وجمع نقفور ولقيهم فكانت عليه هزيمة شنعاء قتل فيها أربعون ألفا ونجا نقفور جريحاً . وفي سنة تسعين ومائة دخل الرشيد بالصائفة إلى بلاد الروم في مائة وخمسة وثلاثين ألفاً سوى المطوّعة ، وبث السرايا في الجهات ، وأناخ على هرقلة ففتحها ، وبلغ سبيها ستة عشر ألفاً . وبعث نقفور بالجزية فقبل وشرط عليهم أن لا يعمر هرقلة .

وهلك نقفور في خلافة الأمين وولي أبنه أسْتَبْرَان قيصر ، وغزا المأمون سنة خمس عشرة ومائتين إلى بلاد الروم ففتح حصونا عدّة ورجع إلى دمشق . ثم بلغه أنّ ملك الروم غزا طرسوس والمَصِيصَة وقتل منها نحواً من ألف وستمائة رجل ، فرجع وأناخ على أنطواغوا حتى فتحها صلحاً ، وبعث المعتصم ففتح ثلاثين من حصون الروم ، وبعث يحيى بن أكثم بالعساكر فدوّخ أرضهم ، ورجع المأمون إلى دمشق . ثم دخل بلاد الروم وأناخ على مدينة لُؤْلُؤَة مائة يوم وجهّز إليها العساكر مع عجيف مولاه ، ورجع ملك الروم فنازل عجيفا ،فأمدّه المأمون بالعسكر فرحل عنه ملك الروم وافتتح لؤلؤة صلحاً . ثم سار المأمون إلى بلاد الروم ففتح سَلْغُوسَ والبَرْوَةَ وبعث ابنه العبّاس بالعساكر فدوّخ أرضهم وبنى مدينة الطُولَيَّةَ ميلا في ميل وجعل لها أربعة أبواب . ثم دخل غازياً بلاد الروم ومات في غزاته سنة ثمان عشرة ومائتين . وفي أيامه غلب قسطنطين على مملكة الروم وطرد ابن نقفور عنها ، وفي سنة ثلاث وعشرين ومائتين فتح المعتصم عمّورِيَة وقصّتها معروفة في أخباره . اهـ كلام ابن العميد . وأغفلنا من

كلامه أخبار البطاركة من لدن فتح الاسكندرية لأنّا رأيناه مستغنى عنه وقد صارت بطركيتهم الكبرى التي كانت بالإسكندرية بمدينة رومة ، وهي هنالك للملكيّة ويسمّونه البابا ومعناه أبوا الآباء ، وبقي ببلاد مصر بطرك اليعاقبة على المعاهدين من النصارى بتلك الجهات وعلى ملوك النوبة والحبشة .

وأمّا المسعودي فذكر ترتيب هؤلاء القياصرة من بعد الهجرة والفتح كما ذكره ابن العميد ، قال : والمشهور بين الناس أنّ الهجرة وأيام الشيخين كان ملك الروم فيها لهرقل ، قال : وفي كتب أهل السير أن الهجرة كانت على عهد قيصر بن مورق ، ثم كان بعده إبنه قيصر بن قيصر أيام أبي بكر ، ثم هرقل بن قيصر أيام عمر ، وعليه كان الفتح وهو المخرج من الشام أيام أبي عبيدة وخالد بن الوليد ويزيد بن أبي سفيان فاستقرّ بالقسطنطينية . وبعده مورق بن هرقل أيام عثمان ، وبعده مورق بن مورق أيام علي ومعاوية ، وبعده قَلْفَطُ بن مورق آخر أيام معاوية وأيام يزيد ومروان بن الحكم وكان معاوية يراسله ويراسل أباه مورق ، وكانت تختلف إليه علامة نياق وبشّره مورق بالملك وأخبره أنّ عثمان يقتل وأنّ الأمر يرجع إلى معاوية ، وهادى إبنه قلفط حين سار إلى حرب عليّ رضي الله عنه ، ثم نزلت جيوش معاوية مع إبنه الزيد قسطنطينية وهلك عليها في حصاره أبو أيوب الأنصاري . ثم ملك من بعد قلفط بن مورق لَاوُنُ بن قلفط أيام عبد الملك بن مروان ، وبعده جيرون بن لاون أيام الوليد وسليمان وعمر بن عبد العزيز . ثم غشيهم المسلمون في ديارهم وغزوهم في البر والبحر ، ونازل مَسْلَمَة القسطنطينية ، واضطرب ملك الروم وملّك عليهم جرْجيس بن مرْعَش وملك تسع عشرة سنة ولم يكن من بيت الملك . ولم يزل أمرهم مضطرباً إلى أن مَلَكَ عليهم قسطنطين بن ألْبون وكانت أمّه مستبدّة عليه لمكان صغره ، ومن بعده نقفور بن استيراق أيام الرشيد وكانت له معه حروب وغزاه الرشيد فأعطاه الانقياد ودفع إليه الجزية ، ثم نقض العهد فتجهّز الرشيد إلى غزوه ونزل هرقلة وافتتحها سنة تسعين ومائة وكانت من أعظم مدائن الروم ، وانقاد نقفور بعد ذلك وحمل الشروط . وملك بعده استيراق بن نقفور أيام الأمين ، وغلب عليه قسطنطين ابن قَلْفَطَ وملك أيام المأمون ، وبعده نوفيل أيام المعتصم واستردّ زِبَطْرَه ونازل عَمُّورِيَّة وافتتحها وقتل من كان بها من أمم النصرانية . ثم ملك ميخايل بن نوفيل أيام الواثق والمتوكل والمنتصر والمستعين ، ثم تنازع الروم وملكوا عليهم نوفيل بن ميخاييل ،

ثم غلب على الملك بَسِيلُ الصِقِلبيّ ولم يكن من بيت الملك وكان ملكه أيام المُعْتز والمهتدي وبعضاً من أيام المعتمد ، ومن بعده إليون بن بسيل بقية أيام المعتمد وصدراً من أيام المعتضد . ومن بعده الاسكندروس ونقموا سيرته فخلعوه وملّكوا أخاه لاوي بن إليون بقية أيام المُعْتضد والمُكتفي وصدرا من أيام المقتدر ، ثم هلك وملك ابنه قسطنطين صغيرا وقام بأمره أرْمَنُوس بطريق البحر وزوّجه ابنته ويسمى الدُمُسْتُقَ وهو الذي كان يحارب سيف الدولة ملك الشام من بني حمدان ، واتصل ذلك أيام المقتدر والقاهر والراضي والمُتَّقِي . وافترق أمر الروم وأقام بعض بطارقتهم ويعرف أستِفَانُس في بعض النواحي وخوطب بالملك أرْمَنُوس بطركاً بكرسي القسطنطينية . إلى هنا انتهى كلام المسعودي . وقال عقبه : فجميع سني الروم المتنصرة من أيام قسطنطين بن هلانة إلى عصرنا وهو حدود الثلثمائة والثلاثين للهجرة خمسمائة سنة وسبع سنين ، وعدد ملوكهم أحد وأربعون ملكاً ، قال : فيكون ملكهم إلى الهجرة مائة وخمساً وسبعين سنة . اهـ كلام المسعودي .

وفي تاريخ ابن الأثير : إنّ أرمانوس لما مات ترك ولدين صغيرين ، وكان الدُمستق على عهده قوقاش وملك مَلَطْيَة من يد المسلمين بالأمان سنة إثنتين وعشرين وثلثمائة وكان أمر الثغور لسيف الدولة بن حمدان ، وملك قوقاش مرعش وعرزرية وحصونها وأوقع بجابية طرسوس مراراً ، وسار سيف الدولة في بلادهم فبلغ خرشنة وصارخة ودوّخ البلاد وفتح حصونا عدّة ثم رجع . ثم ولّى أرمانوس نقفور دُمُسْتقا ، وإسم الدمستق عندهم على من يلي شرقي الخليج حيث ملك ابن عثمان لهذا العهد ، فأقام نقفور دمستقاً ، وهلك أرمانوس وترك ولدين صغيرين ، وكان نقفور غائباً في بلاد المسلمين فلّما رجع اجتمع إليه زعماء الروم وقدّموه لتدبير أمر الولدين وألبسوه التاج ، وسار إلى بلاد المسلمين سنة إحدى وخمسين وثلثمائة إلى حلب فهزم سيف الدولة وملك البلد وحاصر القلعة فامتنعت عليه ، وقتل ابن أخت الملك في حصارها فقتل جميع الأسرى الذين عنده .

ثم بنى سنة ست وخمسين مدينة بقيسارية ليجلب منها على بلاد الإسلام ، فخافه أهل طرسوس واستأمنوا إليه فسار إليهم وملكها بالأمان وملك المُصِيصَة عنوةً . ثم بعث أخاه في العساكر سنة تسع وخمسين إلى حلب فملكها ، وهرب أبو المعالي بن سيف الدولة إلى البرية ، وصالحه مَرْعَوَيْه بعد أن امتنع بالقلعة ورجع . ثم أن أمّ

الملكين إبني أرمانوس اللذين كانا مكفولين له ، استوحشت منه وداخلت في قتله ابن الشميشق فقتله سنة ستين . وقام إبن أرمانوس الاكبر وهو بَسِيلُ بتدبير ملكه ، وجعل ابن الشُمَيْشَق دُمُستقاً وقام على الأورق أخي نقفور ، وعلى ابنه وَرْدِيس بن لاوُن واعتقلها . وسار إلى الرّها وميافارقين ، وعاث في نواحيهما ، وصانعه أبو تَغْلِبَ بن حمدان صاحب الموصل بالمال فرجع . ثم خرج سنة إثنتين وستين ، فبعث أبو تغلب ابن عمه أبا عبدالله بن حمدان فهزمه وأسره وأطلقه . وكان لأمّ بسيل أخ قام بوزارتها فتحيّل في قتل ابن الشميشق بالسُّمّ .

ثم ولّى بسيل بن أرمانوس سِقْلاروس دُمُسْتُقاً ، فعصى عليه سنة خمس وستين وطلب المُلْكَ لنفسه ، وغلبه بسيل . ثم خرج على بسيل وُرْدُ بن منير من عظماءِ البطارقة ، واستجاش بأبي تَغْلِب بن حمدان وملكوا الأطراف ، وهزم عساكر بسيل مرّة بعد مرّة ، فأطلق ورديس لاون وهو ابن أخي نِقْفور من مَعْقِله وبعثه في العساكر لقتاله فهزمه ورديس ، ولحق وردُ بن مُنير بميافارقين صريخاً بعضد الدولة ، وراسله بسيل في شأنه فجنح عضد الدولة إلى بسيل وقبض على ورديس واعتقله ببغداد ، ثم أطلقه ابنه صَمْصَامُ الدولة لخمس بسنين من اعتقاله ، وشرط عليه إطلاق أسرى المسلمين ، والنزول عن حصون عدّة من معاقل الروم ، وأن لا يغير على بلاد الإسلام . وسار فاستولى على مَلَطْيَة ومضى إلى القسطنطينية فحاصرها وقتل ورديس بن لاون ، واستنجد بسيل بملك الروم وزوّجه أخته ثم صالح ورداً على ما بيده . ثم هلك ورد بعد ذلك بقليل واستولى بسيل على أمره وسار إلى قتال البلغار فهزمهم وملك بلادهم وعاث فيها أربعين سنة . واستمدّه صاحب حلب أبو الفضائل بن سيف الدولة ، فلما زحف إليه مِنْجوتكين صاحب دمشق من قِبَلِ الخليفة بمصر سنة إحدى وثمانين ، فجاء بسيلٍ لمدده وهزمه منجوتكين ورجع مهزوماً ورجع منجوتكين الى دمشق ، ثم عاود الحصار فجاء بسيل صريخاً لأبي الفضائل فأجفل مسجوتكين من مكانه على حلب ، وسار إلى حمص وشَيْزَر فملكها وحاصر طرابلس ، وصالحه ابن مروان على ديار بكر . ثم بعث الدوقس الدُمُسْتُق إلى أمامه فبعث إليه صاحب مصر أبا عبدالله بن ناصر الدولة بن حمدان في العساكر فهزمه وقتله .

ثم هلك ببسيل سنة عشر وأربعمائة لِنَيِّفٍ وسبعين من ملكه وملك بعده أخوه قسطنطين وأقام تسعاً ثم هلك عن ثلاث بنات ، فملّك الروم عليهم الكبرى منهنّ وأقام بأمرها

ابن خالها أرْمَانُوس وتزوّجت به فاستولى على مملكة الروم . وكان خاله ميخاييل مُتَحَكِماً في دولته ومُدَاخِلاً لأهله فمالت إليه الملكة وحملته على قتل أرمانوس ، فقتله واستولى على الأمر . ثم أصابه الصرع واذاه فعمد لابن أخته وإسمه ميخاييل أيضاً وكان أرمانوس قد خرج سنة إحدى وعشرين إلى حلب في ثلاثة آلاف مقاتل ، ثم خار عن اللقاء فاضطرب ورجع واتبعه العرب فنهبوا عساكره ، وكان معه ابن الدُوقَس من عظماء البطارقة فارتاب وقبض عليه . وخرج سنة إثنتين وعشرين وأربعمائة في جموع الروم فملك الرَّها وسَرُوجَ وهزم عساكر ابن مَرْوَان .

ولما ملك ميخاييل سار إلى بلاد الإسلام فلقيه الدَزْبَرِيّ صاحب الشام من قبل العَلَوِيَّةِ فهزمه واقتصر الروم بعدها عن الخروج إلى بلاد الإسْلام . وملّك ميخاييل ابنَ أخته كما قلناه وقبض على أخواله وقرابتهم وأحسن السيرة في المملكة ، ثم طلب زوجته في الخلع فأبت ، فنفاها إلى بعض الجزائر واستولى على المملكة سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة . ونكر عليه البترك ما وقع فيه فهمّ بقتله ودخل بعض حاشيته في ذلك ، ونمى الخبر الى البترك فنادى في النصرانية بخلعه وحاصره في قصره واستدعى الملكة التي خلعها ميخاييل من مكانها وأعادوها إلى الملك فنفت ميخاييل كما نفاها أوّلاً .

ثم اتفق البترك والروم على خلع الملكة بنت قسطنطين وملّكوا اختها الأخرى تُودُورَةَ وسلّموا ميخاييل لها ، ثم وقعت الفتنة بين شيعة تودورة وشيعة ميخاييل واتصلت ، وطلب الروم أن يُمَلِكوا عليهم من يمحو هذه الفتنة وأقرعوا على المرشحين فخرجت القرعة على قُسْطَنْطِين منهم فملّكوه أمرهم ، وتزوّج بالملكة الصغيرة تودورة وجعلت أختها الكبرى على ما بذلته لها وذلك سنة أربع وثلاثين وأربعمائة .

ثم توفي قسطنطين سنة ست وأربعين ، ومَلَكَ على الروم أرْمَانُوس وقَارَنَ ذلك بظهور الدولة السَّلْجُوقِيَّة واستيلاء طُغْرُلْبَك على بغداد ، فردّد الغزو إليهم من ناحية أذربيجان ، ثم سار إبنه الملك ألبأرسلان وملك مدناً من بلاد الكرخ[1] منها مدينة آي وأثخن في بلادهم . ثم سار ملك الروم الى مَنْبِجَ وهزم ابن مِرْدَاسَ وابن حَسّان وجموع العرب ، فسار ألبأرسلان إليه سنة ثلاث وستين وخرج أرمانوس في مائتي ألف من الروم والعرب والدُوسِ والكرخ ونزل على نواحي أرمينية ، فزحف إليه ألبأرسلان من أذربيجان فهزمه وحصل في أسره ثم فاداه على مال يعطيه وأجْرَوْه عليه وعقد معه

(١) وفي نسخة اخرى : بلاد الكرج .

صلحاً . وكان أرمانوس لمّا انهزم وثب ميخاييل بعده على مملكة الروم ، فلما انطلق من الأسر ورجع دفعه ميخاييل عن الملك والتزم أحكام الصلح الذي عقده مع ألبأرسلان وترهب أرمانوس إلى هنا انتهى كلام ابن الأثير .

ثم استفحل ملك الافرنج بعد ذلك واستبدّوا بملك رومة وما وراءها ، وكان الروم لما أخذوا بدين النصرانية حملوا عليه الأمم المجاورين لهم طوعاً وكُرْهاً ، فدخل فيه طوائف من الأمم منهم الأرمن وقد تقدّم نسبهم إلى ناحور أخي ابراهيم عليه السلام وبلدهم أرمينيّة وقاعدتها خِلاَطُ ، ومنهم الكُرْجُ وهم من شعوب الروم وبلادهم الخزر ما بين أرمينية والقسطنطينية شمالاً في جبال ممتنعة ، ومنه الجَرْكَسُ في جبال بالعُدْوَةِ الشرقية من بحر نيطش وهم من شعوب الترك ، ومنهم الروس في جزائر ببحر نيطش وفي عدوته الشمالية ومنه البُلْغَار نسبة إلى مدينة لهم في العُدْوَةِ الشمالية أيضاً من بحر نيطش ، ومنهم البَرْجَانُ أمّة كبيرة متوغلون في الشمال لا تعرف أخبارهم لبعدها ، وهؤلاء كلهم من شعوب الترك .

وأعظم من أخذ به من الأمم الافرنج وقاعدة بلادهم فرنجة ، ويقولون فرنسة بالسين وملكهم الفرنسيس ، وهم في بسائط على عدوة البحر الرومي من شماليه وجزيرة الأندلس من ورائهم في المغرب تفصل بينهم وبينها جبال متوعرة ذات مسالك ضيقة يسمونها ألْبُونَ وساكنها الجَلاَلِقَةُ من شعوب الافرنج ، وهؤلاء فرنسة أعظم ملوك الافرنجة بالعُدْوَةِ الشمالية من هذا البحر ، واستولوا من الجزيرة البحرية منه على صقلية وقبرص وأقريطِش وجَنَوَة ، واستولوا أيضاً على قطعة من بلاد الأندلس إلى برشلونه ، واستفحل ملكهم بعد القياصرة الأول .

ومن أمم الافرنجة البنادقة وبلادهم حفافي خليج يخرج من بحر الروم متضايقاً إلى ناحية الشمال ومغرباً بعض الشيء على سبعمائة ميل من البحر وهذا الخليج مقابل لخليج القسطنطينية ، وفي القرب منه وعلى ثمان مراحل من بلاد جَنْوَةَ ، ومن ورائها مدينة رومة حاضرة الافرنجة ومدينة ملكهم وبها كرسي البطرك الأكبر الذي يسمونه البابا . ومن أمم الافرنجة الجَلاَلِقَةُ وبلادهم الأندلس وهؤلاء كلهم دخلوا في دين النصرانية تبعاً للروم إلى من دخل فيه منهم من أمم السودان والحبشة والنُوبَة ، ومن كان على مَلَكَةِ الروم من برابرة العُدْوَةِ بالمغرب مثل نَغْزَاوَة وهَوَارَة بأفريقية والمَصَامِدَةِ بالمغرب الأقصى ، واستفحل ملك الروم ودين النصرانية .

ولما جاء الله بالإسلام وغلب دينه على الأديان وكانت مملكة الروم قد انتشرت في حفافي البحر الرومي من عُدْوَتَيْهِ ، فانتزعوا منهم لأوّل أمرهم عُدْوَتَه الجنوبية كلّها من الشام ومصر وأفريقية والمغرب وأجازوا من خليج طنْجَةَ فملكوا الأندلس كلّها من يد القوط والجلالقة وضعف أمر الروم وملكهم بعد الانتهاء إلى غايته شأن كل أمّة . ثم شغل الافرنجة بما دهمهم من العرب في الأندلس والجزائر بما كانوا يتخيمونهم ويردّدون الصوائف إلى بسائطهم أيام عبد الرحمن الداخل وبنيه الأندلس ، وعبدالله الشيعي وبنيه بأفريقية . وملكوا عليهم جزائر البحر الرومي التي كانت لهم مثل صِقِلّيّة ومَيُورقَة ودَانِيَة وأخواتها ، إلى أن فشل ريح الدولتين وضعف مُلْكُ العرب ، فاستفحل الافرنجة ورجعت لهم واسترجعوا ما ملكه المسلمون إلاّ قليلاً بسيف البحر الرومي مضائق العرض في طول أربع عشرة مرحلة واستولوا على جزائر البحر كلّها ، ثم سموا إلى الشام وبيت المقدس مسجد أنبيائهم ومطلع دينهم فسربوا إليه آخر المائة الخامسة ، وتواثبوا على الأمصار والحصون وسواحله . ويقال : إنّ المُسْتَنْصِر العُبَيْديّ هو الذي دعاهم لذلك وحرّضهم عليه لما رجى فيه من اشتغال ملوك السلجوقيّة بأمرهم ، وإقامتهم سداً بينه وبينهم عندما سموا إلى ملك الشام ومصر. وكان مَلِكُ الافرنجة يومئذ إسمه بَرْدَوِيل[1] وصهره زجار[2] ملك صقلية من أهل طاعته ، فتظاهروا على ذلك وساروا إلى القسطنطينية سنة إحدى وتسعين ليجعلوها طريقاً إلى الشام ، فمنعهم ملك الروم يومئذ ثم أجازهم على أن يعطوه مَلَطْيَة اذا ملكوها فقبلوا شرطه . ثم ساروا إلى بلاد ابن قَلْطَمِشَ ، وقد استولى يومئذ على مِرْيَة وأعمالها وأرْزِنَ الروم وأقْصُر وسيواس ، وافتتح تلك الأعمال كلّها عند هبوب ريح قومه على السُلجوقيَّة ، ثم حدثت الفتنة بينهم وبين الروم بالقسطنطينية ، واستنجد كل منهم بملوك المسلمين في ثغور الشام والجزيرة ، وعظمت الفتن في تلك الآفاق ودامت الحال على ذلك نحواً من مائة سنة ومُلْكُ الروم بالقسطنطينية في تناقص واضمحلال . وكاَن زجار صاحب صِقِلّيّة يغزو القسطنطينية من البحر ويأخذ ما يجد في مرساها من سفن التجار وشواني[3] المدينة ، ولقد دخل جرجي بن ميخاييل صاحب أسطوله الى

(١) وهو بودوان .

(٢) وفي نسخة اخرى : روجيه .

(٣) الشونة : المركب المعد للجهاد .

مينا القسطنطينية سنة أربع وأربعين وخمسمائة ورمى قصر الملك بالسهام ، فكانت تلك أنكى على الروم من كل ناحية .

ثم كان استيلاء الإفرنج على القسطنطينية آخر المائة السادسة وكان من خبرها أنّ ملك الروم بالقسطنطينية أصهر إلى الفرنسيس عظيم ملوك الافرنج في أخته فزوّجها له الفَرَنْسِيس وكان له منها ابن ذكر ، ثم وثب بملك الروم أخوه فَسَمَلَهُ وملك القسطنطينية مكانه . ولحق الإبن بخاله الفرنسيس صريخاً[1] به على عمه فوجده قد جهز الأساطيل لارتجاع بيت المقدس ، واجتمع فيها ثلاثة من ملوك الافرنجة بعساكرهم دُوقُس البنادقة صاحب المراكب البحرية وفي مراكبه كان ركوبهم ، وكان شيخاً أعمى نقّاداً ذا ركب والمَرْكَس[2] مقدّم الفرنسيس وكِيدَفْلِيدُ وهو أكبرهم ، فأمر الفرنسيس بالجواز على القسطنطينية ليصلحوا بين ابن اخته وبين عمّه ملك الروم ، فلّما وصلوا إلى مرسى القسطنطينية ، خرج عمّه وحاربهم فهزموه ودخلوا البلد وهرب الى أطراف البلد وقتل حاضروه وأضرموا النار في البلد ، فاشتغل الناس بها وأدخل الصبي بشيعته ، فدخل الافرنج معه وملكوا البلد وأجلسوا الصبي في ملكه وساء أثرهم في البلد ، وصادروا أهل النِعَم وأخذوا أموال الكنائس ، وثقلت وطأتهم على الروم فعقلوا الصبي وأخرجوهم واستدعوا ملكهم عمّ الصبيّ من مكان مقرّه وملّكوه عليهم .

وحاصرهم الإفرنج فاستنجد بسُلَيْمان بن قَليج أرسلان صاحب قونية وبلاد الروم شرقي الخليج ، وكان في البلد خلق من الإفرنج ، فقبل أن يصل سليمان ثاروا فيها وأضرموا النيران حتى شغل بها الناس ، وفتحوا الأبواب فدخل الإفرنج واستباحوها ثمانية أيام حتى أقفرت ، واعتصم الروم بالكنيسة العظمى منها وهي مموقيا[3] . ثم خرجت جماعة القسيسين والأساقفة والرهبان ، وفي أيديهم الإنجيل والصلبان فقتلوهم أجمعين ، ولم يراعوا لهم ذِمَّةً ولا عهداً ، ثم خلعوا الصبي واقترعوا ثلاثتهم على الملك فخرجت القرعة على كِيدَفليد كبيرهم فملّكوه على القسطنطينية وما يجاورها ، وجعلوا لِدُوقُس البنادقة الجزائر البحرية مثل أقريطش ورودس وغيرهما ، وللمركيس مقدم

(١) أي مستغيثاً .
(٢) الدوقس وهو الدوق والمركس هو المركيز .
(٣) هي كنيسة آيا صوفيا اهـ .

الفرنسيس البلاد التي في شرقي الخليج . ثم تغلّب عليها بطريق من بطارقة الروم إسمه لَشْكَرِي ودفع عنها الإفرنج وبقيت بيده واستولى بعدها على القسطنطينية ، وكان إسمه ميخاييل ، وفي كتاب المؤيد صاحب حماة أنه أقام ببعض الحصون . ثم بنيت القسطنطينية وملكها وفرّ الافرنج في مراكبهم وملك الروم وقتل الذي كان ملكاً قبله ، وتوفي سنة إحدى وثمانين وستمائة وعقد معه الصلح المنصور قلاون صاحب مصر والشام لذلك العهد .

قال : وملك بعده ابنه مَانِدُ ويلقّب الدُوقُس وشهرتهم جميعاً اللَشْكَرِي[1] ثم انقرضت دولة بني قَلِيج أرسلان ، وملك أعمالهم التَتَرُ كما نذكر في أخبارهم ، وبقي بني اللشكري ملوكاً على القسطنطينية إلى هذا العهد ، وملك شرقي الخليج بعد انقضاء دولة التتر من بلاد الروم ابن عثمان جُقّ أمير التُركُمان ، وهو الآن مُتحَكِّم على صاحب القسطنطينية ومتغلب على نواحيه من سائر جهاته .هذا مابلغنا من أخبار الروم من أوّل دولتهم منذ يونان والقياصرة لهذا العهد . والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين .

الخبر عن القوط وما كان لهم من الملك بالأندلس الى حين الفتح الإسلامي وأوّلية ذلك ومصايره

هذه الأمة من أمم أهل الدولة العظيمة المعاصرة لدول الطبقة الثانية من العرب وقد ذكرناهم عقب اللطينيين لأنّ الملك صار إليهم من بينهم كما ذكرناه ، وسياقة الخبر عنهم أنهم كانوا يعرفون في الزمن القديم بالسِيسِيّين[2] نسبة إلى الأرض التي كانوا يعمّرونها بالمشرق فيما بين الفُرْس واليونان ؛ وهم في نسبهم إخوة الصين من ولد ماغوغ بن يافث ، وكانت لهم مع الملوك السِرْيَانِيّين حروب موصوفة زحف إليهم فيها مُومَنُ مالي ملك سريان فدافعوه لعهد إبراهيم الخليل عليه السلام ، ثم كانت لهم حروب مع الفرس عند تخريب بيت المقدس وبناء رومة ، ثم غلبهم الاسكندر وصاروا في مَلَكَتِهِ واندرجوا في قبائل الروم ويونان . ثم لما ضعف أمر الروم بعد الاسكندر وتغلبوا على بلاد الغريقيّين ومقدونية ونَبْطَة أيام غَلِينُوش بن بارايان من ملوك القياصرة وكانت

(١) وفي نسخة ثانية : السلكري .
(٢) وهم السكيثيون .

بينه[1] وبينه حروب سِجال ، ثم غلبهم القياصرة من بعده وظفروا بهم ، حتى اذا انتقل القياصرة إلى القسطنطينية وفشل أمرهم برومة زحف إليها هؤلاء القوط واقتحموها عنوة فاستباحوها . ثم خرجوا عنها أيام طُودُوشيش بن أركادش[2] بعد حروب كثيرة ، وكان أميرهم لذلك العهد أنْطَرْكَ كما ذكرناه ، ومات لعهد طودوشيش وأراد أن يجعل إسمه سِمَةَ الملوك برومة منهم مكان سِمَة قيصر ، فاختلف عليه أصحابه في ذلك فرجع عنه ، ثم صالح الرومانيين على أن يكون له ما يفتح من بلاد الأندلس لما كان أمر الرومانيين قد ضعف عن الأندلس ولحق بها ثلاث طوائف من الغريقيّين فاقتسموا ملكها وهم الأبْيُون والشُوانِيُّون والقَنْدَلُش وباسم قَنْدَشُس سميت الأندلس .

وكان بالأندلس من قبلهم الأرْبَارِيّون من ولد طِوَال بن يافث وهم إخوة الأنطاليس ، سكنوها من بعد الطوفان وصاروا إلى طاعة أهل رومة ، حتى دخل إليهم هؤلاء الطوالع من الغريقيين عندما اقتحم القوط مدينة رومة وغلبوا الأمم الذين كانوا بها من ولد طوال . وقد يقال : إنّ هؤلاء الطوالع كلهم من ولد طوال بن يافث وليسوا من الغريقيّين ، واقتسم هؤلاء الطوالع ملكها وكانت جليقية لقندلش ولِشْبونة ومارِدة وطُليطلة ومرسية لشوانش وكانوا أشرافهم . وكانت أشبيلية وقرطبة وجيان وطالعة للأبْيَق وأميرهم عند ريقش أخو لشيقش أربعين سنة حين زحف إليهم القوط من رومة ، وكان قد ولي عليهم بعد أطفانش ملك آخر منهم إسمه طشريك وقتله الرومانيون ، ووليَ مكانه منهم ماسِتَةَ ثلاث سنين وزوّج أخته من طودوشيش ملك الرومانيين وصالحه على أن يكون له ما يفتحه من الأندلس . ثم مات وولي مكانه لَزْرِيق ثلاث عشرة سنة وهو الذي زحف إلى الأندلس وقتل ملوكها وطرد الطوائف الذين كانوا بها فأجازوا إلى طَنْجَة وتغلبوا على بلاد البربر وصرفوا البربر الذين كانوا بالعُدْوَةِ عن طاعة القُسْطَنطين إلى طاعتهم ، فلم يزالوا على ذلك إلى دولة يشتيانش[3] نحواً من ثمانين سنة ، ثم هلك طُورديق[4] ملك القوط بالأندلس وولي مكانه[5]

---

(١) مقتضى السياق : كانت بينهم وبينه .

(٢) وفي نسخة اخرى : طودوسيوس بن أركاديوس .

(٣) وهو يوستنيانوس .

(٤) وفي نسخة اخرى : طوريق .

(٥) بياض بالأصل وهو أدولف .

سبع عشرة سنة ، وانتقض عليه البسكْتِسُ إحدى طوائف القوط فزحف إليهم وردّهم إلى طاعته ثم هلك .

ووليَ بعده الديك ثلاثاً وعشرين سنة ، وكانت الافرنج لعهده قد طمعوا في ملك الأندلس وأن يغلبوا عليها القوط ، فجمعوا لهم وملكوا على أنفسهم منهم ، فزحف إليهم اللدِيك في أمم القوط إلى أن توغل في بلاد الافرنج فغلبوه وقتلوه وعامة أصحابه .

وكانت القوط قبل دخولهم إلى الأندلس فرقتين كما ذكرنا في دولة بَلَنْسَيَان بن قسطنطين من القياصرة المتنصّرة ، وكانت إحدى الفرقتين قد أقامت بمكانها من نواحي رومة فلما بلغهم خبر الديك صاحب الأندلس منهم امتعضوا لذلك ، وكان أميرهم طورديك منهم ، فزحف إلى الافرنج وغلبهم على ما كانوا يملكونه من الأندلس ، ودخل القوط الذين كانوا بالأندلس في طاعته فولّى عليهم ابنه أشتريك ورجع إلى مكانه من نواحي رومة ، فزحف الافرنج إلى محاربة أشتريك حتى غلبوه على طَلُوسَةَ من ناحيتهم .

وهلك أشتريك بعد خمس سنين من ملكه ووليَ عليهم بعده بَشْلِيقش أربع سنين ، ثم بعده طودريق إحدى وستين سنة وقتله بعض أصحابه بأشبيلية ، ووليَ بعده أبَرْلِيق خمس سنين ، وبعده طُودِس ثلاث عشرة سنة ، وبعده طُودْشَكْلُ سنتين ، وبعده أيْلَة خمس سنين وانتقض عليه أهل قُرْطُبَة فحاربهم وتغلب عليهم . وبعده طَنْجَادُ خمس عشرة سنة ، وبعده لَيُولَةُ سنة واحدة ، وبعده لَوَيْلِيدة ثماني عشرة سنة وانتقضت عليه الأطراف فحاربهم وسكنهم ونكر عليه النصارى تثليث أريش وراودوه على الأخذ بتوحيدهم الذين[1] يزعمونه فأبى وحاربهم فقتل . وولي ابنه زَدْرِيق ستَ عشرة سنة ورجع إلى توحيد النصارى بزعمهم وهو الذي بنى البلاد المنسوبة إليه بِقُرْطُبَة . ولما هلك ولي بعده على القوط لِيُوبَةَ سنتين ، وبعده تَبْدِيقا عَنْدَمَار سنتين ، وبعده شيشوط ثماني سنين وعلى عهده كان هِرَقْل ملك قسطنطينية والشام ، ولعهده كانت الهجرة .

وهلك شيشوط ملك القوط وولي بعده زَدْرِيقُ آخر منهم ثلاثة أشهر ، وبعده شَنْتَله ثلاث سنين ، وبعده سنشادِش خمس سنين ، وبعده خنشوندُ سبع سنين ، وبعده وجنشوند ثلاثا وعشرين سنة ، ولهذه العصور إبتدأ ضعف الاحكام للقوط . وبعده

(١) مقتضى السياق : الذي .

مانيه ثمان سنين ، وبعده لوري ثمان سنين ، وبعده ايقه ست عشرة سنة ، وبعده غطسة أربع عشرة سنة وهو الذي وقع من قصته مع ابنه يليان عامل طنجة ما وقع . ثم بعده زَذْريق سنتين وهو الذي دخل عليه المسلمون وغلبوه على ملك القوط وملكوا الأندلس ، ولذلك العهد كان الوليد بن عبد الملك حسبما نذكره عند فتح الأندلس إن شاء الله تعالى .

هذه سياقة الخبر عن هؤلاء القوط نقلته من كلام هروشيوش وهو أصح ما رأيناه في ذلك والله سبحانه وتعالى الموفق المعين بفضله وكرمه لا ربّ غيره ولا مأمول إلاّ خيره .

الطبقة الثالثة من العرب وهم العرب التابعة للعرب وذكر افاريقهم وأنسابهم وممالكهم وما كان لهم من الدول على اختلافها والبادية والرحالة منهم وملكها

هذه الأمّة من العرب البادية أهل الخيام الذين لا اغلاق لهم لم يزالوا من أعظم أمم العالم وأكثر أجيال الخليقة ، يكثرون الأمم تارة وينتهي إليهم العزّ والغلبة بالكثرة فيظفرون بالملك ويغلبون على الأقاليم والمدن والأمصار ، ثم يهلكهم الترفه والتنعّم ويغلبون عليهم ويقتلون ويرجعون إلى باديتهم ، وقد هلك المتصدّرون منهم للرياسة بما باشروه من الترف ونضارة العيش وتصيير الأمر لغيرهم من أولئك المبعدين عنهم بعد عصور أخرى . هكذا سُنَّةُ الله في خلقه وللبادية منهم مع من يجاورهم من الأمم حروب ووقائع في كل عصر وجيل بما تركوا من طلب المعاش ، وجعلوا طلب المعاش رزقهم في معاشهم بترصد السبيلِ وانتهاب متاع الناس .

ولما استفحل الملك للعرب في الطبقة الأولى للعمالقة ، وفي الثانية للتبابعة ، وكان ذلك عن كثرتهم فكانوا منتشرين لذلك العهد باليمن والحجاز ثم بالعراق والشام ، فلما تقلّص ملكهم وكانوا[1] بالعراق منهم بقيّة أقاموا ضاحين[2] من ظل الملك . يقال في مبدإ كونهم هنالك أنّ بختنصّر لمّا سلطه الله على العرب وعلى بني اسرائيل بما كانوا من بغيهم وقتلهم الأنبياء ، قتل أهل الوَبَر بناحية عدن اليمن نَبيّهم شعيب بن ذي

(١) الأصح ان يقول : وكان بالعراق منهم بقية .
(٢) بمعنى بعيدين .

مَهْدَمَ على ما وقع في تفسير قوله تعالى : «فلمّا أحسّوا بأسنا إذا هم منها يركضون» . فأوْحى الله إلى إرْمِياء بن حِزْقِيّا وبَرْخِيّا أن يُسَيِّرا بختنصّر إلى العرب الذين لا أغلاق لبيوتهم أن يقتل ولا يستحيي ويستلحمهم أجمعين ولا يبقي منهم أثراً ، وقال بختنصر : وأنا رأيت مثل ذلك . وسار إلى العرب ، وقد نظم ما بين أيلة والأُبُلّة خيلا ورِجْلاً ، وتسامع العرب بأقطار جزيرتهم واجتمعوا للقائه ، فهزم عدنان أولاً ثم استلحم الباقين ورجع إلى بابل ، وجمع السبايا فأنزلهم بالأنبار ثم خالطهم بعد ذلك النَبطَة .

وقال ابن الكلبي : إنّ بختنصّر لما نادى بغزو العرب افتتح أمره بالقبض على من كان في بلاده من تجّارهم للميرة وأنزلهم الحيرة ، ثم خرج إليهم في العساكر فرجعت قبائل منهم إليه آثروا الاذعان والمسالمة ، وأنزلهم بالسواد على شاطىء الفرات ، وابتنوا موضع عسكرهم وسموه الأنبار ، ثم أنزلهم الحيرة فسكنوها سائر أيامه ورجعوا إلى الأنبار بعد مهلكه .

قال الطبري : إن تُبّعاً أبا كَرِبَ لما غزا العراق أيام أردشير بهمن كانت طريقه على جبل طيء ومنه إلى الأنبار ، وانتهى إلى موضع الحيرة ليلا ، فتحير وأقام فسّمي المكان الحيرة . ثم سار لوجهه وخلّف هنالك قوما من الأزد ولخم وجُذام وعاملة وقضاعة ، وطنوا وبنوا ولحق بهم ناس من طيء وكَلْب والسكون وإياد والحرث بن كعب فكانوا معهم .

وقيل وهو قريب من الأوّل : خرج تُبّع في العرب حتى تحيروا بظاهر الكوفة فنزل بها ضعفاء الناس فسميت الحيرة ، ولما رجع ووجدهم قد استوطنوا ، تركهم هنالك وفيهم من كل قبائل العرب من هُذيل ولخم وجُعفِى وطيء وكَلَب وبني لحْيان من جُرْهُم .

قال هشام بن محمد : لما مات بختنصر انتقل الذين أسكنهم بالحيرة إلى الأنبار ومعهم من انضم إليهم من بني إسمعيل وبني معدّ وانقطعت طوالع العرب من اليمن عنهم ، ثم كثر أولاد معدّ وفرقتهم العرب ، وخرجوا يطلبون المَنْسَعَ والريف فيما يليهم من بلاد اليمن ومشارف الشام ، ونزلت قبائل منهم البحرين وبها يومئذٍ قومٌ من الازد نزلوها أيام خروج مَزيقياء من اليمن ، وكان الذين أقبلوا من تهامة من العرب مالك وعمرو إبنا فَهْمِ بن تَيْمِ بن أسد بن وبرة بن قُضاعة وابن أخيهما مالك بن زهير وابن عمرو

بن فهم في جماعة من قومهم والخنفارْ بن الحيق بن عمرو بن معَدّ بن عدنان في قفص كلها ولحق بهم غَطْفَان بن عمرو بن لطهان بن عبد مناف بن بعدم بن دعمى بن أياد بن أرْقَصَ بن صَبيحَ بن الحارث بن أفصى بن دعمى وزهير بن الحرث بن أليل بن زهير بن أياد ، واجتمعوا بالبحرين وتحالفوا على المقام والتناصر وأنهم يد واحدة ، وكان هذا الاجتماع والحلف أزمان الطوائف ، وكان ملكهم قليلا ومفترقا وكان كل واحد منهم يغير على صاحبه ويرجع على أكثر من ذلك . فتطلعت نفوس العرب بالبحرين إلى ريف العراق ، وطمعوا في غلب الأعاجم عليه أو مشاركتهم فيه ، واهتبلوا الخلاف الذي كان بين الطوائف وأجمع رؤساؤهم المسير إلى العراق .
فسار منهم الأوّل الخنفار بن الحبق في أشلاء قفص بن معدّ ومن معهم من أخلاط الناس ، فوجدوا بأرض بابل الى الموصل بني إرم بن سام الذين كانوا ملوكاً بدمشق ، وقيل لها من أجلهم دِمَشْق إرم وهم من بقايا العرب الأولى ، فوجدوهم يقاتلون ملوك الطوائف ، فدفعوهم عن سواد العراق ، فارتفعوا عنه إلى أشلاء قَفْصَ ، هؤلاء ينسبون إلى عمرو بن عدِيّ بن ربيعة جدّ بني المنذر عند نسابة مضر ، وفي قول حمّاد الراوية كما يأتي ذكره . ثم طلع مالك وعمرو إبنا فَهْمٍ وابن مالك بن زُهَيْر من قُضَاعة وغطفان بن عمرو وصبح بن صبيح وزهير بن الحرث من أياد فيمن معهم من غسّان وحلفائهم بالأنبار ، وكلهم تنوخ كما قدمنا ، فغلبوا بني إرم ودفعوهم عن جهات السواد . وجاء على أثرهم نَمَارَة بن قيس ونِمارة بن لخم نجدة من قبائل كِنْدَة ، فنزلوا الحيرة وأوطنوها ، وأقامت طالعة الأنبار وطالعة الحيرة لا يدينون للأعاجم ولا تدين لهم حتى مرّ بهم تُبّع وترك فيهم ضَعَفَة عساكره كما تقدّم ، وأوطنوا فيهم من كل القبائل كما ذكرنا جَعْفٌ وطيءٌ وتميمٌ وبني لحيان من جُرْهُم . ونزل كثير من تنُّوخ ما بين الحيرة والأنبار بادين في الخيام لا يأوون إلى المدن ولا يخالطون أهلها ، وكانوا يُسَمّون عرب الضاحية ، وأوّل من ملك منهم أزمان الطوائف مالِكُ بن فهم ، وبعده أخوه عمرو ، وبعده ابن أخيه جُذَيمةُ الأبرش كما يأتي ذكر ذلك كله .
وكان أيضا ولد عَمرو مزيقياء بعد خروجه من اليمن بالأزد قومه عند خروجه أنذرهم بسيل العرم في القصة المشهورة ، وقد انتشروا بالشام والعراق وتخلّف من تخلّف منهم بالحجاز وهم خزاعة ، فنزلوا مرّ الظهران وقاتلوا جُرْهُماً بمكّة فغلبوهم عليها ، ونزل نَصْرُ بن الأزدِ عُمَان ، ونزلت غسّان جبال الشراةِ ، وكانت لهم حروب مع بني معدّ

إلى أن استقروا هنالك في التخوم بين الحجاز والشام ، هذا شأن من أوطن العراق والشام من قبائل سبا ، تشاءم منهم أربعة وبقي باليمن ستة وهم مذحج وكندة والأشعريون وحمير وأنمارُ وهو أبو خثعم وبجيلة ، فكان الملك لهؤلاء باليمن في حمير ثم التبابعة منهم ، ويظهر من هذا أنّ خروج مزيقياء والأزد كان لأوّل ملك التبابعة أو قبله بيسير.

وأمّا بنو معدّ بن عدنان فكان إرْميا وبرْخِيّا لما أوحي إليهما بغزو بختنصّر العرب ، وأمرهما الله أن يستخرجا مَعَدّ بن عدنان لأنّ من ولده محمداً صلى الله عليه وسلم ، أخرجه آخر الزمان أختم به النبيّين وأرفع به من الضعة ، فأخرجاه على البراق وهو ابن إثنتي عشرة سنة ، وذهبا به إلى حرّان فربي عندهما . وغزا بختنصّر العرب واستلحمهم وهلك عدنان وبقيت بلاد العرب خراباً ، ثم هلك بختنصّر فخرج مَعَدّ بن عدنان مع أنبياء بني اسرائيل ، فحجّوا جميعاً وطفق يسأل عمن بقي من ولد الحرث بن مضاض الجُرهمي . وكانت قبائل دوس [1] أكثر جرهم على يده فقيل له بقي جرهم بن جلهة [2] ، فتزوّج ابنته معانة وولدت له نزار بن مَعَدّ .

قال السهيلي : وكان رجوع مَعَدّ إلى الحجاز بعدما رفع الله بأسه عن العرب ، ورجعت بقاياهم التي كانت بالشواهق إلى مجالاتهم بعد أن دوّخ بختنصر بلادهم وخرّب معمورهم واستأصل خضورا وأهل الرسّ التي كانت سطوة الله بالعرب من أجلهم . اهـ . كلام السهيلي.

ثم كثر نسل معدّ في ربيعة ومضر وأياد ، وتدافعوا إلى العراق والشام ، وتقدّم منهم أشلاء قَفْص — كما ذكرنا — وجاؤا على أثرهم ، فنزلوا مع أحياء اليَمنيّة الذين ذكرناهم قبل ، وكانت لهم مع تُبّع حروب وهو الذي يقول :

لستُ بالتبَّع اليماني إن لم تَرْكُضِ الخيلُ في سوادِ العِراق
أو تؤدّي ربيعة الخرْج قسراً لم تعقها موانعُ العَوّاقِ

ثم كان بالعراق والشام والحجاز أيام الطوائف ومن بعدهم في أعقاب ملك التبابعة اليمنية والعدنانية مُلْكٌ ودُوَلٌ بعد أن درست الأجيال قبلهم وتبدّلت الأحوال السابقة

---

(١) كذا بياض بالأصل : وفي تاريخ الطبري ج ٢ ص ١٩١ : وسأل عمن بقي من ولد الحارث بن مضاض الجرهمي وهو الذي قاتل دوس العتق فافنى اكثر جرهم على يديه فقيل له : بقي جرشم بن جلهمة .
(٢) وفي الكامل اسمه : جوشم بن جلهمة .

لعصرهم ، فاستحق بذلك أن يكون جيلاً منفردا عن الأوّل ، وطبقة مباينة للطباق السالفة . ولما لم يكن لهم أثر في إنشاء العُروبيَّةِ كما للعرب العارِبَة ، ولا في لغتها عنهم كما في المستعربة ، وكانوا تبعاً لمن تبعهم في سائر أحوالهم استحقوا التسمية بالعرب التابعة للعرب . واستمرت الرياسة والملك في هذه الطبقة اليمانية أزمنةً وآماداً بما كانت صبغتها لهم من قبل وأحياء مضر وربيعة تبعا لهم ، فكان الملك بالحيرة للخم في بني المنذر ، وبالشام لغسّان في بني جَفْنة ، وبيثرب كذلك في الأوس والخزرج ابني قيلة . وما سوى هؤلاء من العرب فكانوا ظواعن بادية وأحياء ناجعة ، وكانت في بعضهم رياسة بدوية وراجعة في الغالب إلى أحد هؤلاء ، ثم نبضت عروقَ الملكَ في مضر وظهرت قريش على مكة ونواحي الحجاز أزمنة عرف فيها منهم ودانت الدول بتعظيمهم . ثم صَبِحَ الإسلام أهل هذا الجيل وأمرهم على ما ذكرناه فاستحالت صبغة الملك إليهم ، وعادت الدول لمضر من بينهم ، واختصت كرامة الله بالنبوّة بهم ، فكانت فيهم الدول الإسلامية كلّها ، إلاّ بعضاً من دولها قام بها العجم اقتداء بالملّة وتمهيداً للدّعوة حسبما نذكر ذلك كله .

فلنأت الآن بذكر قبائل هذه الطبقة من قحطان وعدنان وقُضاعة ، وما كان لكل واحدة منها من الملك قبل الإسلام وبعده : ومن كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني في أخبار خُزيمة بن نهد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة قال : كان بدء تفرّق بني إسمعيل من تهامة ونزوعهم عنها إلى الآفاق وخروج من خرج منهم عن نسبه ، أنّ قضاعة كانوا مجاورين لنزار وكان خُزيمة بن نهد فاسقاً متعرّضا للنساء ، فشبب بفاطمة بنت يذكر وهو عامر بن عنزة ، وذكرها في شعره حيث يقول :

إذا الجوزاء أردفت الثُريـــــا ... ظننت بـــآل فــاطمـــة الظنونـــا
وحـــــالت دون ذلك من هموم ... همومُ تخرجُ الشجرَ الربينـــــا
أرى إبنـــة يـــذكر ظعنت فحلّت ... جنوبَ الحزن يـــا شحطـــاً مُبينـــا

وسخط ذلك يذكر خشية خزيمة على نفسه فاغتاله وقتله ، وانطفت نار يذكر ولم يصح على خزيمة شيء تتوجه به المطالبة على قُضاعة حتى قال في شعره :

فـــاهُ كـــان عنـــد رضاب العصير ... ففيهـــا يُعَـــلّ بـــه الزنجبيـــلُ
قتلتُ أبـــاهـــا على حُبّهـــا ... فتبخـــلُ إن بخلت أو تُقيـــلُ

فلما سمعت نزار شعر خزيمة بن نهد وقتله يذكر بن عنزة ، ثاروا مع قضاعة وتساندوا مع أحياء العرب الذين كانوا معهم ، وكانت هذه مع نزار ونسبها يومئذ كندة بن جنادة بن معدّ ، وجيرانهم يومئذ أجأ بن عمرو بن أدّ بن أدد ابن أخي عدنان بن أدد . وكانت قضاعة تنتسب إلى معدّ ومعدّ إلى عدنان ، والأشعريون إلى الأشعر بن أدد أخي عدنان ، وكانوا يظعنون من تهامة إلى الشام ومنازلهم بالصفاع . وكانت عسقلان من ولد ربيعة ، وكانت قضاعة ما بين مكة والطائف ، وكندة من العمد إلى ذات عرق ، ومنازل أجأ والأشعر ومعدّ ما بين جدّة والبحر . فلما اقتتلوا هزمت نزار قضاعة وقتل خزيمة وخرجوا مفترقين ، فسارت تيم اللات من قضاعة وبعض بني رفيدة منهم وفرقة من الأشعريين نحو البحرين ، ونزلوا هجر وأجلوا من كان بها من النبط وملكوها . وكانت الزرقاء بنت زهير كاهنة منهم فتكهنت لهم بنزول ذلك المكان والخروج عن تهامة وقالت في شعرها :

ودّعْ تهامة لا وداع مخالف ... بِذمامه لكن قليّ وملامِ
لا تنكري هجراً مُقام غريبةٍ ... لن تعدمي من ظاعنين تهامِ

ثم تكهنت لهم في سجع بأنهم يقيمون بهجر حتى ينعق غراب أبقع عليه خلخال ذهباً ويقع على نخلة وصفتها فيسيرون إلى الحيرة ، وكان في سجعها مقام وتنوخ فسُمّيت تلك القبائل تنوخ من أجل هذه اللفظة . ولحق بهم قوم من الأزد فدخلوا في تنوخ وأصاب بقية قُضاعة الموتان ، وسارت فرقة من بني حلوان فنزلوا عبقرة من أرض الجزيرة ونسج نساؤهم البرود العبقرية من الصوف والبرود التزيدية إليهم لأنهم بنو تزيد ، وأغارت عليهم الترك فأصابوا منهم ، وأقبل الحرث بن قراد البهراني ليستجيش بني حلوان فعرض له أبان بن سليح صاحب العين فقتله الحرث ولحقت بهرا بالترك ، فاستنقذوا ما أخذوه من بني تزيد وهزموهم وقال الحرث :

كأنَّ الدهر جمّع في ليالٍ ... ثلاث بينهنّ بشهرزور
صففنا للأعاجم من معدٍّ ... صُفوفاً بالجزيرة كالسعير

وسارت سُليح بن عمرو[1] بن الحاف وعليهم الهدرجانُ بن مسلمة ، حتى نزلوا فلسطين على بني أُدينة بن السميدع بن عاملة ، وسارت أسلم بن الحاف وهي عُذرةُ ونهدٌ وحويكةٌ وجُهينةٌ حتى نزلوا بين الحجر ووادي القُرى ، وأقامت تنوخ بالبحرين

(١) قوله سليح بن عمرو يأتي في مكان آخر سليح بن عمران قاله نصر .

سنين . ثم أقبل الغُراب بحلقتي الذهب ووقع على النخلة ونعق كما قالت الزرقاء فذكروا قولها وارتحلوا إلى الحيرة فنزلوها وهم أوّل من اختطها ، وكان رئيسهم مالك بن زهير واجتمع إليه ناس كثيرة من بسائط القُرى ، وبنوا بها المنازل وأقاموا زماناً ثم أغار عليهم سابور الأكبر وقاتلوه ، وكان شعارهم يا لعباد الله فسموا العُبّاد . وهزمهم سابور فافترقوا ، وسار أهل المهبط منهم مع الضيزن بن معاوية التنوخي فنزل بالحضر الذي بناه الساطرون الجرمقاني ، فأقاموا عليه . وأغارت حِمْير على قُضاعة فأجلوهم وهم كَلْبٌ . وخرج بنو زبّان بن تغلب بن حلوان فلحقوا بالشام ، ثم أغارت عليهم كنانة بعد ذلك بحين واستباحوهم فلحقوا بالسماوة وهي إلى اليوم منازلهم . اهـ كلام صاحب الأغاني (قلت) : وأحياء جدّهم لهذا العهد ما بين عَنْزة وقلتة وفلسطين إلى معان من أرض الحجاز.

الخبر عن أنساب العرب من هذه الطبقة الثالثة واحدة واحدة وذكر مواطنهم ومن كان له الملك منهم

إعلم أنّ جميع العرب يرجعون إلى ثلاثة أنساب وهي عدنان وقحطان وقضاعة :
فأمّا عدنان : فهو من وُلْد إسمعيل بالاتفاق ، إلاّ ذكر الآباء الذين بينه وبين إسمعيل فليس فيه شيء يرجع إلى يقينه ، وغير عدنان من وُلْد إسمعيل قد انقرضوا فليس على وجه الأرض منهم أحد .
وأمّا قحطان : فقيل من وُلْد إسمعيل وهو ظاهر كلام البخاري في قوله ، باب نسبة اليمن إلى إسمعيل ، وساق في الباب قوله صلى الله عليه وسلم لقوم من أسلم يناضلون : «ارموا يا بني إسمعيل فإنّ أباكم كان راميا» . ثم قال : وأسْلم بن أفصى بن حارثة بن عمرو بن عامر من خزاعة يعني وخزاعة من سبأ والأوس والخزرج منهم ، وأصحاب هذا المذهب على أنّ قحطان ابن الهُميسع بن أبين بن قيذار بن نبت بن إسمعيل . والجمهور على أنّ قحطان هو يقطن [1] المذكور في التوراة في ولد عابر وأن حضرموت من شعوب قحطان .

(١) ورد في التوراة : «وولد لعابر ابنان اسم احدهما فالج لانه في ايامه انقسمت الارض واسم اخيه يقطان» الفصل العاشر من سفر التكوين .

وأمّا قُضاعة : فقيل إنّها حِمْيَر قاله ابن اسحق والكلبي وطائفة . وقد يحتج لذلك بما رواه ابن لُهيعة عن عُقبة بن عامر الجهني قال : يا رسول الله ممن نحن ؟ قال : أنتم من قُضاعة بن مالك . وقال عمرو بن مرّة وهو من الصحابة :

نحن بنو الشيخ العِجَاز الأزهري * قُضاعة بن مالك بن حِمْيَر

النَسَبُ المعروف غير المنكر * وقال زهير : قُضاعية وأختها مُضريَّة ، فجعلهما أخوين . وقال : إنهما من حِمْيَر بن معدّ بن عدنان . وقال ابن عبد البر : وعليه الأكثرون ، ويروي عن ابن عبّاس وابن عمرو وجبير بن مطعم وهو اختيار الزبير بن بكّار وابن مُصعَبَ الزُبيريّ وابن هشام . قال السُهيلي : والصحيح أنّ أمّ قُضاعة وهي عبكرة مات عنها مالك بن حِمْيَر وهي حامل بقُضاعة فتزوّجها معدّ وولدت قُضاعة فتكنى به ونسب إليه وهو قول الزبير . اهـ كلام السهيلي . وفي كتب الحكماء الأقدمين من يونان مثل بطليموس وهروشيوش ذكر القُضاعيّين والخبر عن حروبهم ، فلا يعلم أهم أوائل قُضاعة هؤلاء وأسلافهم أو غيرهم ، وربّما يشهد للقول بأنهم من عدنان وأنّ بلادهم لا تتصل ببلاد اليمن وإنما هي ببلاد الشام وبلاد بني عدنان . والنسب البعيد يحيل الظنون ولا يرجع فيه إلى يقين .

ولنبدأ بقحطان وبطونها : لما أنّ الملك الأقدم للعرب كان في نسب سَبَأ بن يشجب ابن يعرب بن قحطان ومنه تشعب بطون حمْيَر بن سبأ وكهلان بن سبأ وينفرد بنو حِمْيَر بالمُلْك وكان منهم التبابعة أهل الدولة المشهورة وغيرهم كما نذكر . فلنبدأ بذكر حِمْيَر أولا من القحطانية ، ونذكر بعدهم قُضاعة لانتسابهم في المشهور إلى حِمْيَر ، ثم نتبعهم بذكر كهلان إخوان حِمْيَر من القُضاعيّة ، ثم نرجع إلى ذكر عدنان .

الخبر عن حمير من القحطانية وبطونها وتفرع شعوبها

قد تقدّم لنا ذكر الشعوب من حِمْيَر الذين كان لهم الملك قبل التبابعة فلا حاجة لنا إلى إعادة ذكرهم . وتقدّم لنا أنّ حِمْيَر بن سبأ كان له من الوِلْد تسعة وهم : الهُمَيْسع ومالك وزيد وعريبٌ ووائل ومشروح ومعد يكرب وأوسٌ ومرَّة ، فبنو مرّة دخلوا إلى حضرموت ، وكان من حِمْيَر أبينُ بن زُهير بن الغوثِ بن أبين بن الهُميسع ابن حِمْيَر وإليهم تنسب عدن أبين ، ومنهم بنو الأملوك وبنو عبد شمس وهما إبنا وائل ابن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير ، وعريب وأبْيَن أخوان . ومن بني عبد

شمس بنو شَرْعَب بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس ، وقد تقدّم قول من ذهب إلى أنّ جشم وعبد شمس أخوان وهما إبنا وائل ، والصحيح ما ذكرناه هنا فلنرجع وبنو خيران وشعبان وهما إبنا عمرو أخي شَرْعب بن قيس وزيدُ الجمهور بن سهل أخي خيران وشعبان ، ورابعهم حسّان القيْل بن عمرو وقد مرّ ذكره ، ومن زيد الجمهور ذو رعين وإسمه يريم بن زيد بن سهل وإليه ينسب عبد كَلاَل الذي تقدّم ذكره في ملوك التبابعة . والحارث وعريب إبنا عبد كَلاَل بن عريب بن يشرح بن مُدان بن ذي رعين وهما اللذان كتب لهما النبيّ صلى الله عليه وسلم ، ومنهم كعب بن زيد الجمهور ويلقّب كَعْبُ الظُّلم وأبناء سبأ الأصغر بن كعب وإليه ينتهي نسب ملوك التبابعة . ومن زيد الجمهور بنو حضور بن عديّ بن مالك بن زيد وقد مرّ ذكرهم . وتقول اليمن إن منهم كان شعيب بن ذي مهدم النبي الذي قتله قومه ، فغزاهم بختنصّر فقتلهم . وقيل بل هو من حضور بن قحطان الذي إسمه في التوراة يقطن . ومنهم أيضا بنو مَيْتم وبنو حالة إبني سعد بن عوف بن عدي بن مالك أخي ذي رعين ، وعوف هذا أخو حضور وأخوه أحاظة وميتم بنو حراز بن سعد ، فمن ميتم كعب الأحبار وقد مرّ ذكره ، وهو كعبُ بن ماتع بن هلسوع لمن ذي هجري بن ميتم . ومن أحاظة رهط ذي الكلاع وهو السميقع بن ناكور بن عمرو بن يعفر بن يزيد وهو ذو الكلاع الأكبر بن النعمان بن أحاظة ، ومن عمرو بن سعد الخبائر والسحول بنو سوادة بن عمرو بن الغوث بن سعد يحصب ، وذو أصبح أبرهة بن الصبّاح ، وكان من ملوك اليمن لعهد الإسلام وقد مرّ ذكره ونسبه ، ومنهم مالك بن أنس إمام دار الهجرة وكبير فقهاء السلف وهو مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر وهو نافع بن عمرو بن الحرث بن عثمان بن خثيل بن عمرو بن الحارث وهو ذو أصبح وإبناه يحيى ومحمد وأعمامه أويس ، وأبو سهل والربيع ، وكانوا حلفاء لبني تيم من قريش . ومن زيد الجمهور مرثدُ بن علَس بن ذي جدن بن الحرث ابن زيد وهو الذي استجاشه امرؤ القيس على بني أسد قاتلي أبيه .

ومن بني سبأ الأصغر الأوزاع وهم بنو مَرْثَد بن زيد بن شدد بن زرعة بن سبأ الأصغر ، ومن إخوان هؤلاء الأوزاع بنو يعفر الذين استبدوا بملك اليمن كما يأتي عند ذكر ملوك اليمن في الدولة العبّاسيّة ، وهو يعفر بن عبد الرحمن بن كريب بن عثمان بن الوضّاح بن ابراهيم بن مانع بن عون بن تدرص بن عامر بن ذي مغار البطين بن

ذي مرايش بن مالك بن زيد بن غوث بن سعد بن عوف بن عديّ بن مالك بن شدد بن زرعة . وكان آخر ملوك بني يعفر هؤلاء باليمن أبو حسّان أسعد بن أبي يَعْفُر إبراهيم بن محمد بن يعفر ملك أبو ابراهيم صنعاء وبنى قلعة كحلان باليمن ، وورث ملكه بنوه من بعده إلى أن غلب عليهم الصليحيّون من همدان بعدوة العُبيديّين من الشيعة كما نذكر في أخبارهم . ومن زيد الجمهور ملوك التبابعة وملوك حِميَر من وُلْد صيفي بن سبأ الأصغر بن كعب بن زيد .

قال ابن حزم : فمن وُلْد صيفي هذا تُبّع وهو تبَانُ وهو أيضا أسعد أبو كرب بن كليكرب وهو تبّع بن زيد وهو تُبّع بن عمرو وهو تُبّع ذو الأذعار بن أبرَهَة وهو تُبّع ذو المنار بن الرايش بن قيس بن صيفى ، قال : فولد تُبّع أسعد أبو كرب حسَّان ذو معاهر وتُبّع زرعة وهو ذو نواس الذي تهوّد وهوّد أهل اليمن ، ويسمى يوسف ، وقتل أهلِ نجران من النصارى . وعمرو بن سعد وهو موثبان ، قال : ومن هؤلاء التبابعة شُمَّر يرعش بن ياسر ينعم بن عمرو ذي الأذعار ، وأفريقش بن قيس بن صيفي ، وبلقيس بنت إيلي أشرح بن ذي جدن بن إيلي أشرح بن الحرث بن قيس بن صيفي . قال : وفي أنساب التبابعة تخليط واختلاف ولا يصحّ منها ومن أخبارهم إلا القليل . اهـ .

ومن زيد الجمهور ذو يَزَن بن عامر بن أسلم بن زيد . وقال ابن حزم : إنّ عامر هو ذو يزن ، قال ومن وُلْده : سيف بن النُعمان بن عفير بن زرعة بن عفير بن الحرث بن النُعمان بن قيس بن عُبيد بن سيف بن ذي يزن ، الذي استجاش كسرى على الحبشة وأدخل الفرس إلى اليمن . هذه بطون حِميَر وأنسابها وديارهم باليمن من صنعاء إلى ظُفار إلى عدن ، وأخبار دولهم قد تقدّمت والله وارث الأرض ومن عليها وهو غير الوارثين .

ونلحق بالكلام في أنساب حِمْيَر بن سبأ أنساب حضرموت وجُرهُم وما ذكره النسّابون من شعوبهما : فإنهم يذكرونهما مع حِميَر لأن حضرموت وجُرْهُم إخوة سبأ كما وقع في التوراة وقد ذكرناه ولم يبق من وُلْدِ قحطان بعد سبأ معروف العَقِب غير هذين . فأمّا حضرموت فقد تقدّم ذكرهم في العرب البائدة ومن كان منهم من الملوك يومئذ ، ونبّهنا هنالك أنّ منهم بقية في الأجيال المتأخرة اندرجوا في غيرهم فلذلك ذكرناهم في هذه الطبقة الثالثة . قال ابن حزم : ويقال إن حضرموت هو ابن يقطن أخي قحطان والله أعلم . وكان فيهم رياسة إلى الإسلام ، منهم وائل بن حُجْر له

صُحبةٌ وهو وائل بن حُجْر بن سعيد بن مسروق بن وائل بن النُعْمان بن ربيعة بن الحارث بن عوف بن سعد بن عوف بن عديّ بن شرحبيل بن الحرث بن مالك بن مُرّة بن حِمْيَر بن زيد بن لابي بن مالك بن قُدامة بن أعْجب بن مالـك بن لابي بن قحطان ، وابنه علقمة بن وائل . وسقط عنده بين حُجْر أبي وائل وسعيد ابن مسروق أب إسمه سعد وهو ابن سعيد . ثم قال ابن حزم : ويذكر بنو خلدون الأشبيليّون فيقال إنّهم من وُلْدِ الجبّار بن علقمة بن وائل ومنهم علي المنذر بن محمد وابنه بقرمونة وأشبيلية ، اللذين قتلها إبراهيم بن حجّاج اللخميّ غيلة ، وهما إبنا عثمان أبي بكر بن خالد بن عثمان أبي بكر بن مخلوف المعروف بخلدون الداخل المشرق . وقال غيره في خلدون الأوّل : إنه إبن عمرو بن خلدون . وقال إبن حزم في خلدون : إنه إبن عثمان بن هانيء بن الخطّاب بن كريب بن معديكرب بن الحرث بن وائل بن حُجْر . وقال غيره : خلدون بن مُسلم بن عمر بن الخطّاب بن هانيء بن كريب بن معديكرب بن الحرث بن وائل . قال ابن حزم : والصدفُ من بني حضرموت وهو الصدفُ[1] بن أسلم بن زيد بن مالك بن زيد بن حضرموت الأكبر ، قال : ومن حضرموت العلاء بن الحضرميّ الذي ولاّه رسول الله صلى الله عليه وسلم البحرين وأبو بكر وعمر من بعده إلى أن توفي سنة إحدى وعشرين ، وهو العلاء بن عبدالله بن عبدة بن حمّاد بن مالك حليف بني أميّة بن عبد شمس وأخوه ميمون بن الحضرمي ابن الصدّف . فيقال عبدالله بن حمّاد بن أكبر بن ربيعة بن مالك بن أكبر بن عريب بن مالك بن الخزرج بن الصدف ، قال وأخت العلاء الصعبة بنت الحضرميّ أمّ طلحة بن عبدالله اهـ .

وأمّا جُرْهُم فقال ابن سعيد : إنهم أمّتان أمة على عهد عاد وأمة من ولد جُرْهُم بن قحطان ، ولّما ملك يَعْرُبُ بن قحطان اليمن ملك أخوه جُرْهُم الحجاز ، ثم ملك من بعده إبنه عبد ياليل بن جرهم ، ثم إبنه جرشم بن عَبْدياليل ، ثم ملك من بعده ابنه عبد المدان بن جرشم ، ثم ابنه نفيلة بن عبد المدان ، ثم ابنه عبد المسيح بن نفيلة ، ثم إبنه مضاض بن عبد المسيح ، ثم ابنه عمرو بن مضاض ، ثم أخوه الحرث بن مضاض ، ثم ابنه عمرو بن الحرث ، ثم أخوه بشر بن الحرث ، ثم مضاض بن عمرو بن مضاض . قال وهذه الأمة الثانية هم الذين بعث إليهم إسمعيل وتزوّج فيهم اهـ .

(١) وولد الصدف حريما بالضم ويدعى بالاحروم وجذاما ويدعى بالاجزوم كما في القاموس (قاله نصر) .

بن ، أبين بن الهميسع بن حمير بن سبأ بن قرطان

الغوث بن

بن يهب بن زيد بن

أبين

يقطن

بن الغوث بن وائل بن شمس بن عبد شمس بن جشم بن معاوية بن قيس بن عمرو بن عمرو بن سهل بن جمهور

جشم

جسان القيل

شرعب

ذو ...

... أسد

... الكبير

[illegible] بن حمير الاصغر

ذو اصبح

بنو الحرث

يحصب بن مالك بن زيد بن الغوث بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك

حوالة

احاظة

ميتم بن حراز

الخبائر بن سوادة بن عمرو

الصيم

[illegible]

ذو رعين

مرثد بن العلس بن ذي جدن بن الحرث

بنو يعفر بن غوث بن سعد بن عوف بن عدى بن مالك بن زيد بن شدد بن زرعة بن سبأ الاصغرا بن كعب بن زيد

الاوزاع بن مرثد

ملوك اليمن التبابعة منهم افريقش بن قيس بن صيفي

بنو ذي يزن بن عامر بن اسلم

استرجعوا ملك اليمن من الحبشة

الخبر عن قضاعة وبطونها والالمام ببعض الملك الذي كان فيها

قد تقدّم آنفاً ذكر الخلاف الذي في قضاعة هل هم لحمير أو لعدنان ونقلنا الحِجَاج لِكِلا المذهبين وأتينا بذكر أنسابهم تالية حمير ترجيحاً للقول بأنهم منهم ، وعلى هذا فقيل هو قُضاعة بن مالك بن حِمْيَر . وقال ابن الكلبي : قُضاعة بن مالك بن عمرو بن مرّة بن زيد بن مالك بن حمير . وكان قُضاعة فيما قال ابن سعيد مَلِكاً على بلاد الشَحْرِ ، وصارت بعده لابنه الحافِ ثم لابنه مالك . ولم يذكر ابن حزم في ولد الحاف مالكاً . قال ابن سعيد وكانت بين قُضاعة وبين وائل بن حِمْير حروب ، ثم استقل ببلاد الشَحْر مَهْرَةُ بن حَيْدَان بن الحاف بن قُضاعة وعُرِفَت به ، قال وملك بنو قضاعة أيضا نَجْرَان ثم غلبهم عليها بنو الحرث بن كعب بن الأزْد وساروا إلى الحجاز فدخلوا في قبائل معدّ ، ومن هنا غلط من نسبهم إلى معدّ اهـ .

ولنذكر الآن تشعّب البطون من قُضاعة : اتفق النسّابون على أنّ قضاعة لم يكن له من الوُلْد إلاّ الحافي ومنه سائر بطونهم ، وللحافي ثلاثة من الوُلْد : عمرو وعمران وأسلم بضم اللام قاله ابن حزم .

فمن عمرو بن الحافي حيدان وبَلِى وبَهْرا ، فمن حيدان مَهْرَة ، ومن بَلى جماعة من مشاهير الصحابة : منهم كَعْبُ بن عُجْرَة وخديج بن سلامة وسهل بن رافع وأبو بُرْدَة ابن نيار ، ومن بَهْرا جماعة من الصحابة أيضاً منهم : المقداد بن عمرو وينسب إلى الأسود بن عبد يغوث بن وهب خال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخي أمّه وتبنّاه فنسب إليه . ويقال إنّ خالد بن برمك مولى بني بَهْرا .

ومن أسلم سَعْد هُذَيم وجهينة ونهد بنو زيد بن ليث بن سَوْد بن أسلم ، فجهينة ما بين اليُنْبع ويثرب إلى الآن في متّسع من برية الحجاز وفي شماليهم الى عقبة ايلة مواطن بلى وكلاهما على العدوة الشرقية من بحر القلزم وأجاز منهم أمم إلى العُدْوَة الغربية وانتشروا ما بين صعيد مصر وبلاد الحبشة وكثروا هنالك سائر الأمم وغلبوا على بلاد النُوبَة وفرّقوا كلمتهم وأزالوا ملكهم وحاربوا الحبشة فأرهقوهم إلى هذا العهد . ومن سعد هذيم بنو عُذْرة المشهورون بين العرب في المحبة ، كان منهم جميل بن عبدالله بن

معمر وصاحبته بُثينةُ بنت حبابا . قال ابن حزم : كان لأبيها صحبة ومنهم عُروة بن حزام وصاحبته عفرا . ومن بني عذرة كان رزاح بن ربيعة أخو قَصِيّ بن كِلابَ لأمّه وهو الذي استظهر قصي به وبقومه على بني سعد بن زيد بن مَنَاة بن تميم فغلبهم على الاجازة بالناس من عرفة ، وكانت مفتاح رياسته في قريش .

ومن عمران بن الحافي بنو سُلَيْح وهو عمرو بن حُلوان بن عمران ، ومن بني سُلَيْح الضجاعِم بنو ضَجْعَم بن سعد بن سَلَيْح كانوا ملوكاً بالشام للروم قبل غسّان . ومن بني عمران بن الحافي بنو جرم بن زبّان بن حُلوان بن عمران بطن كبير وفيهم كثير من الصحابة ومواطنهم ما بين غزة وجبال الشراة من الشام ، وجبال الشراة من جبال الكرك . ومن تغلب بن حُلوان بنو أسد وبنو النمر وبنو كلب قبائل ضخمةٌ كلهم بنو وَبْرة بن تغلب ، فمن النمر بنو خُشَيْن بن النمر ومن بني أسد بن وَبْرة تنوخٌ وهم فَهْمُ بن تَيْم اللات بن أسد منهم مالك بن زهير بن عمرو بن عمرو بن فهم وعليه تنخت تنوخ ، وعلى عهد أبيه مالك بن فهم كما مرّ وكانوا حلفاء لبني حزم . فتنوخ على ثلاثة أبطن : بطن إسمه فَهْمٌ وهم هؤلاء ، وبطن إسمه نِزارٌ وهم ليس نزارُ لهم بوالد لكنهم من بطون قُضاعة كلها ومن بني تيم اللات ومن غيرهم بطون ثلاث يقال لهم الأحلاف من جميع قبائل العرب من كندَة ولَخْم وجُذام وعبد القيس اهـ كلام ابن حزم . ومن بني أسد بن وبرة بنو القَيْن وإسمه النُعمان بن جسر بن شيع اللات بن أسد ومن بني كلب بن وبرة بن تغلب بن حُلوان بنو كِنانة بن بَكْر بن عوْف بن عُذْرة بن زيْدِ اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب ، قبيلة ضخمة فيها ثلاثة بطون بنو عديّ وبنو زهير وبنو عليم ، وبنو جناب بن هبَل ابن عبدالله بن كنانة بطون ضخمة ومنهم عُبيدة بن هُبَيْل شاعر قديم ويقول فيه بعض الناس ابن حرام ، وهو الذي عنى امرؤ القيس بقوله * نبكي الديار كما بكى ابن حرام * وقد قيل إنه من بكر بن وائل ، وقال هشام بن السائب الكلبي : إذا سئلوا بمَ بكى ابن حرام الديار أنشدوا خمسة أبيات من كلمات امريء القيس المشهورة * قِفَا نَبكِ مِنْ ذِكرى حبيبٍ ومنزلِ *

ويقولون إن بقيتها لامريء القيس بن حجر ، وهذا امرؤ القيس بن حرام شاعر قديم دثر شعره لأنه لم يكن للعرب كتاب لبدأتها ، وإنما بقي من أشعارهم ما ذكره رواة الإسلام وقيدوه من رواية الكتاب من محفوظ الرجال .

ومن بني عديّ بنو حُصين بن ضمضم بن عديّ ، كانت منهم نائلة بنت الفرافصة بن

الأحوص بن عمرو بن ثعلبة بن الحرث بن حُصن امرأة عثمان بن عفّان ، ومنهم أبو الخطّار الحُسامُ بن ضِرار بن سلامان بن جشم بن ربيعة بن حُصن أمير الأندلس ، ومَنسبة بن شُحيم بن مِنْجاش بن مزغور بن منجاش بن هزيم بن عديّ بن زهير ، وابن ابنه حسّان بن مالك بن بَحْدَل الذي قام بمروان يوم مَرْج راهط وكانت رياسة الإسلام في كلب لبني بحدل هؤلاء ومن عقبهم بنو مُنقذٍ ملوك شَيْزَر .

ومن بني زهير بن جناب حنظلة بن صفوان بن توبل بن بشر بن حنظلة بن علقمة بن شراحيل بن هرير بن أبي جابر بن زهير ولي أفريقية لهشام . ومن عليم بن جناب بنو مَعْقل وربما يقال إنّ عرب المَعقل الذين بالمغرب الأقصى لهذا العهد وفي زمانه ينتسبون فيهم .

ومن بطون كَلْبٍ بن عوف بن بكر بن عوف بن كعب بن عوف بن عامر بن عوف دَحْيَةُ بن خليفة بن فروة بن فُضالة بن زيد بن امريء القيس بن الخَزْرَج بن عامر بن بكر بن عامر بن عوف صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أتاه جبريل عليه السلام في صورته . ومنصور بن جهور بن حفر بن عمرو بن خالد بن حارثة بن العُبيد بن عامر بن عوف القائم مع يزيد بن الوليد وولاه الكوفة ، وحِبُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامةُ بن زيد بن حارثة بن شراحيل بن عبد العُزّى بن عامر بن النعمان بن عامر بن عبدِودّ بن عوف سُبيَ أبوه زيد في الجاهلية وصار إلى خديجة فوهبته إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وجاءه أبوه وخيّره النبيّ صلى الله عليه وسلم فاختاره على أبيه وأهله وأقام في كفالة النبيّ صلى الله عليه وسلم ثم أعتقه ، وربي ابنه أُسامة في بيته ومع مواليه وأخباره مشهورة .

ومن بني كلب ثم من بني كنانة بن بكر بن عوف النسَّابة ابن الكلبي وهو أبو المنذر هشام بن محمّد بن السائب بن بشر بن عمرو بن الحرث بن عبد العُزّى بن امرىء القيس . قال ابن حزم : هكذا ذكره ابن الكلبيّ في نسبه وأرى أمرأ القيس هذا هو عامر بن النعمان بن عامر بن عبدودّ بن عوف بن كنانة بن عُذرة وقد مرّ بقية نسبه ، وكان لقُضاعة هؤلاء ملك ما بين الشام والحجاز إلى العراق في أيلة وجبال الكركِ إلى مشارف الشام واستعملهم الروم على بادية العرب هنالك ، وكان أوّل الملك فيهم في تنوخ وتتابعت فيهم فيما ذكر المسعودي ثلاثة ملوك : النُعمان بن عمر ، وثم ابنه عمرو بن النعمان ، ثم ابنه الحَوَارِيّ بن عمرو ، ثم غلبهم على أمرهم سُلَيْح من بطون قُضاعة

وكانت رياستهم في ضَجْعَم بن مَعَدّ منهم. وقارن ذلك استيلاء طِيطِشَ من القياصرة على الشام فولاهم ملوكاً على العرب من قبله يجبون له من ساحتهم إلى أن وليَ منهم زيادة بن هَبُولَة بن عمرو بن عوف بن ضجعم. وخرجت غسان من اليمن فغلبوهم على أمرهم وصار ملك العرب بالشام لبني جفنة وانقرض ملك الضجاعِم حسبما نذكر.

وقال ابن سعيد: سار زيادة بن هَبُولة بمن أبقى السيف منهم بعد غسّان إلى الحجاز فقتله حَجْر آكل المِرار الكِنْديّ، كان على الحجاز من قبل التبابعة، وأفنى بقيتهم فلم ينج منهم إلاّ القليل، قال: ومن الناس من يطلق تنوخ على الضُجاعمة ودَوْس الذين تنخُوا بالبحرين أي أقاموا، قال وكان لبني العبيد بن الأبرص بن عمر بن أشجع بن سليح مُلْكٌ يتوارثونه بالحَضَر آثاره باقية في برية سنجار وكان آخرهم الضيزن بن معاوية بن العُبيد المعروف عند الجرامقة بالساطرون وقصته مع سابور ذي الجنود من الأكاسرة معروفة، قال وكان لقُضاعة ملك آخر في كلب بن وبرة يتداولونه مع السكون من كِنْدَة، فكانت لكلب دومة الجَنْدَل وتبوك ودخلوا في دين النصرانية وجاء الإسلام والدولة في دومة الجندل لأكيدر بن عبد الملك بن السكون، ويقال إنه كِنْديٌّ من ذرية الملوك الذين ولاّهم التبابعة على كلب، فأسره خالد بن الوليد وجاء به الى النبيّ صلى الله عليه وسلم فصالح على دَوْمة، وكان في أوّل من ملكها دَجَانَةُ بن قَنَافَة بن عديّ بن زهير بن جناب، قال: وبقيت بنو كلب الآن في خلق عظيم على خليج القسطنطينية منهم مسلمون ومنهم متنصّرون. اهـ الكلام في أنساب قُضاعة.

قال ابن حزم: وجميع قبائل العرب فهي راجعة إلى أب واحد حاشَ ثلاث قبائل: وهي تنوخ والعتقي وغسّان، فأما تنوخ فقد ذكرناهم، وأمّا العِتْقي فهم من حَجْر حِمْيَر ومن حجر من ذي رعين ومن سعدِ العشيرة ومن كِنانة بن خزيمة ومنهم زُبيد بن الحرث العتقي من حجر حمير وهو مولى عبد الرحمن بن القاسم وخالد بن جنادة المصريّ صاحب مالك بن أنس، وهو مولى زُبَيْد المذكور من أسفل، وأما غسّان فإنهم من بني أب لا يدخل بعضهم في هذا النسب ويدخل فيهم من غيرهم. وسموا العُتقا لأنهم اجتمعوا ليفتكوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فظفر بهم فأعتقهم، وكانوا جماعة من بطون شتّى. وسموا تنوخ لأنّ التُنوخّ الإقامة فتحالفوا على الإقامة بموضعهم

زيد اللات بن رفيدة بن كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير

بنو عذرة بن سعد بن هذيم بن زيد بن ليث بن سود بن اسلم

جهينة

بلى

جرم بن زبان

النعمان بن جسر بن شيع اللات بن اسد

الملوك من تنوخ العتقي

فهم بن تيم اللات

ج ب

الحوارى بن عمرو بن النعمان بن عمرو

خشين بن النمر

ضجعم بن سعد بن عمرو

ملك الشام قبل عامر

الضيزن بن معاوية بن العبيد بن الابرص بن عمرو بن الشيح بن سليح

ملوك الحضر من بنى العبيد

مهر بن حيدان بن عمرو

بلى

آخر

عامر بن عوف بن كعب بن عوف بن عوف بن [illegible] بن عوف بن كل

حصين بن ضمضم بن عدي

معقل بن عاصم

من بنى عدي نائلة بنت الفرافصة

بن عدي بن عوف بن بكر بن كنانة بن عبدالله بن هبل بن جناب بن زهير بن عدي بن قنافة بن دحانة بن النيف بن عجل

الحكم بن حنانة بن [illegible]

من عقبة بنو منقذ ملوك شيزر

مالك دومة الجندل هو وبنوه

بالشام وهم من بطون شتّى . وأمّا غسّان فإنهم أيضاً طوائف نزلوا بماء يقال له غسّان فنسبوا اليه اهـ كلام ابن حزم .

الخبر عن بطون كهلان من القحطانية وشعوبهم واتصال بعضها مع بعض وانقضائها

هؤلاء بنو كهلان بن سبا بن يشجب بن يَعْرُب بن قحطان اخوة بني حِمْيَر بن سبا ، وتداولوا معهم الملك أوّل أمرهم ، ثم انفرد بنو حمير به وبقيت بطون بني كهلان تحت مَلَكتِهِم باليمن . ثم لما تقلص مُلْكُ حمير بقيت الرياسة على العرب البادية لبني كهلان لما كانوا بادين لم يأخذ تَرَفُ الحضارة منهم ولا أدركهم الهَرَمُ الذي أودى بحمير ، إنّما كانوا أحياء ناجعة في البادية والرؤساء والأمراء في العرب إنّما كانوا منهم . وكان لكندة من بطونهم مُلْكٌ باليمن والحجاز ، ثم خرجت الأزد من شعوبهم أيضاً من اليمن مع مزيقيا وافترقوا بالشام ، وكان لهم ملك بالشام في بني جفنة ، وملك بيثرب في الأوس والخزرج ، وملك بالعراق في بني فَهْم . ثم خرجت لَخْمُ وطيء من شعوبهم أيضاً من اليمن ، وكان لهم مُلكٌ بالحيرة في آل المنذر حسبما نذكر ذلك كله .

وأمّا شعوبهم فهي كلها تسعة من زيد بن كهلان في مالك بن زيد وعريب بن زيد ، فمن مالك بطون هَمْدان وديارهم لم تزل باليمن في شرقيه ، وهم بنو أوْسَلَة ، وهو هَمْدان بن مالك بن زيد بنِ أوسلة بن ربيعة بن الجبّار بن مالك بن زيد بن نوف بن همدان . ومن شعوب حاشِد بنو يام بن أصغى بن مانع بن مالك بن جشم بن حاشد ومنهم طلحة بن مَصْرَف . ولما جاء الله بالإسلام إفترق كثير من هَمْدَان في ممالكه ، وبقي منهم من بقي باليمن ، وكانوا شيعة لعليّ كرم الله وجهه ورضي عنه عندما شجر بين الصحابة وهو المنشد فيهم متمثلاً :

فلو كنت بوّابا على بابِ جنةٍ * لقلتُ لهمدان ادخلوا بسلامِ

ولم يزلِ التشيّع دينهم أيام الإسلام كلها ، ومنهم كان علي بن محمد الصُليحي من بني يام القائم بدعوة العُبيديّين باليمن في حصن حرار من بني يام وهو من بطونهم وهو من بني يام من بطون حاشد ، فاستولى عليه وورث ملكه لبنيه حسبما نذكره في أخبارهم .

وكانت بعد ذلك وقبله دولة بني الرسى أيام الزيدية بصعدة فكانت على يدهم

وبمُظاهَرتهم ، ولم يزل التشيُّع دينهم لهذا العهد .

وقال البيهقي : وتفرّقوا في الإسلام فلم تبق لهم قبيلة وبرية إلا باليمن وهم أعظم قبائله وهم عصبة المعطي من الزيدية القائمين بدعوته باليمن ، وملكوا جملة من حصون اليمن باليمن ، ولهم بها إقليم بَكِيل وإقليم حاشِد من بطونهم .

قال ابن سعيد : ومن هَمْدان بنو الزريع وهم أصحاب الدعوة والملك في عدن والحيرة وهم زيديّة وإخوة همدان الهان بن مالك بن زيد بن أوسلة ومن مالك بن زيد أيضاً الأزد وهو أزد بن الغوث بن نَبْت بن مالك وخَثْعم وبجيلة إبنا أنمار بن أراش أخي الأزد بن الغوث . وقد يقال أنمار هو ابن نزار بن معدّ وليس بصحيح ، فأمّا الأزد فبطن عظيم مُتَّسِعٌ وشعوب كثيرة ، فمنهم بنو دَوْس من بني نصر بن الأزد وهو دَوْس بن عَدْثان بالثاء المثلثة ابن عبدالله بن زهران بن كعب بن الحرث بن كعب بن مالك بن نصر بن الأزد بطن كبير ، ومنهم كان جُذيمة بن مالك بن فهم بن غنم بن دَوْس وديارهم بنوا حي عمان ، وكان بعد دوس وجُذيمة مُلْكٌ بعُمّان في إخوانهم بني نصر بن زهران بن كعب ، كان منهم قبيل الإسلام المستكبر بن مسعود بن الجرّار بن عبدالله بن مُغولة بن شمس بن عمرو بن غنم بن غالب بن عثمان بن نصر بن زهران ، والذي أدرك الإسلام منهم جيفر بن الجلندي بن كركَر بن المستكبر وأخوه عبدالله ملك عُمان ، كتب إليهما النبيّ صلى الله عليه وسلم فأسلموا ، واستعمل على نواحيهما عمرو بن العاص .

ومن الأزد ثم من بني مازن بن الأزد بنو عمرو مزيقيا بن عامر ويلقب ماء السماء ابن حارثة الغِطْريفُ ابن امرىء القيس البهلُولُ ابن ثَعْلبة بن مازن بن الأزد ، وعمرو هذا وآباؤه كانوا ملوكا على بادية كهلان باليمن مع حِمْيَر واستفحل لهم الملك من بعدهم . وكانت أرض سبأ باليمن لذلك العهد من أرفهِ البلاد وأخصبها وكانت مدافع للسيول المنحدرة بين جبلين هنالك فضرب بينهما سدّ بالصخر والقار يحبس سيول العيون والأمطار حتى يصرفوه من خروق في ذلك السدّ على مقدار ما يحتاجون إليه في سقيهم ، ومكث كذلك ما شاء الله أيام حمير ، فلما تقلّص ملكهم وانحلّ نظام دولتهم وتغلّب بادية كهلان على أرض سبأ وانطلقت عليها الأيدي بالعبث والفساد وذهب الحفظةُ القائمون بأمر السدّ نذروا بخرابه ، وكان الذي نَذِرَ به عمرو مزيقيا مَلِكُهُم لمّا رأى من اختلال أحواله . ويقال : إنّ أخاه عمران الكاهن أخبره ، ويقال طريفة

الكاهنة . وقال السهيلي : طريفة الكاهنة امرأة عمرو بن عامر وهي طريفة بنت الخير الحِمْيَرِيّة لعهده .

وقال ابن هشام : عن أبي زيد الأنصاري أنه رأى جرذاً تحفر السدّ فعلم أنه لا بقاء للسدّ مع ذلك فأجمع النقلة من اليمن وكاد قومه بأن أمر أصغر بنيه أن يلطمه إذا أغلظ له ففعل فقال لا أقيم في بلد يلطمني فيها أصغر ولدي وعرض أمواله فقال أشراف اليمن اغتنموا غضبة عمرو فاشتروا أمواله وانتقل في ولده وولد ولده فقال الازد لا نتخلف عن عمرو فتجشموا للرحلة وباعوا أموالهم وخرجوا معه وكان رؤساءهم في رحلتهم بنو عمرو مزيقيا ومن إليهم من بني مازن ففصل الأزد من بلادهم باليمن إلى الحجاز .

قال السهيلي : كان فصولهم على عهد حسّان بن تَبَان أسعد من ملوك التبابعة ولعهده كان خراب السدّ . ولما فصل الأزد من اليمن كان أوّل نزولهم ببلاد عَكٍّ ما بين زَبيد وزمع ، وقتلوا ملك عكّ من الأزد ثم افترقوا إلى البلاد ، ونزل بنو نصر بن الأزد بالشَرَاةِ وعُمان ، ونزل بنو ثعلبة بن عمرو مزيقيا بيثرب ، وأقام بنو حارثة بن عمرو بمرّ الظهران بمكة وهم فيما يقال خُزاعة ، ومرّوا على ماء يقال له غسّان بين زبيد وزمع فكل من شبه منه من بني مزيقيا سُمّيَ به ، والذين شربوا منه بنو مالك وبنو الحرث وبنو جَفنة وبنو كعب فكلهم يسمون غسّان ، وبنو ثَعْلبة العُتقاء لم يشربوا منه فلم يسمّوا به ، فمن ولد جفنة ملوك الشام الذين يأتي ذكرهم ودولتهم بالشام . ومن ولد ثعلبة العتقاء الأوس والخزْرج ملوك يثرب في الجاهلية وسنذكرهم ، ومن بطن عمرو مزيقيا بنو أفصى بن جارثة بن عمرو ويقال إنه أفصى بن عامر بن قَمْعَة بلا شك ابن إلياس بن مضر . قال ابن حزم : فإن كان أسلم بن أفصى منهم فمن بني أسلم بلا شك وبنو أبان وهو سعد بن عديّ بن حارثة بن عمرو ، وبنو العَتِيك من الأزد عُمران بن عمرو .

وأمّا بُجيلة فبلادهم في سَرَوَاتِ البحرين والحجاز إلى تِبَالَة وقد افترقوا على الآفاق أيام الفتح فلم يبق منهم بمواطنهم إلا القليل ، ويقدم الحاج منهم على مكّة في كل عام عليهم أثر الشُظَفِ ويعرفون من أهل الموسم بالسَرْو(١) ، وأمّا حالهم لأوّل الفتح الإسلامي فمعروف ورجالاتهم مذكورة ، فمن بطون بجيلة قَسْرٌ وهو مالك بن عبقر بن

(١) السرو من : سرا يسرو وسرواً ، كان سريّا أي صاحب مروءة وسخاء (القاموس) .

أنمار وبنو أحْمَسُ بن الغوث بن أنمار .
وأمّا بنو عريب بن زيد بن كهلانَ فمنهم طيء والأشعريون ومذحج وبنو مُرَّة وأربعتهم بنو أددِ بن زيد بن يشجب بن عريب ، فأمّا الأشعريون فهم بنو أشعر وهو نَبْت بن أدد وبلادهم في ناحية الشمال من زبيد وكان لهم ظهور أوّل الإسلام ثم افترقوا في الفتوحات وكان لمن بقي منهم باليمن حروب مع ابن زياد لأول إمارته عليها أيام المأمون ثم ضَعُفوا عن ذلك وصاروا في عدد الرعايا .
وأمّا بنو طيء بن أدد فكانوا باليمن وخرجوا منه على أثر الأزد إلى الحجاز ونزلوا سُمَيْرا وفَيْد في جوار بني أسد ، ثم غلبوهم على أجا وسُلْمى[1] وهما جبلان من بلادهم فاستقرّوا بهما وافترقوا لأوّل الإسلام في الفتوحات . قال ابن سعيد : ومنهم في بلادهم الآن أمم كثيرة ملأوا السهل والجبل حجازاً وشاماً وعِرَاقاً يعني قبائل طيء هؤلاء وهم أصحاب الدولة في العرب لهذا العهد في العراق والشام وبمصر منهم سَنْبَسُ والثَعَالِبُ بطنان مشهوران ، فسنبس بن معاوية بن شِبْل بن عمرو بن الغوث بن طيء ومعهم بَحْتُر بن ثُعل ، قال ابن سعيد ومنهم زبيد بن مَعْن بن عمرو بن عَسّ بن سلامان بن ثُعَل وهم في بَرّيَّة سنجار ، والثعالب بنو ثَعْلبة بن رُومان بن جُنْدُب بن خارِجَة بن سعد بن قِطْرَة بن طيء ؛ وثعلبة بن جَدْعا بن ذَهْل بن رومان . قال ابن سعيد : ومنهم بنو لام بن ثعلبة منازلهم من المدينة الى الجبلين ويتزلون في أكثر أوقاتهم مدينة يثرب ، والثعالب الذين بصعيد مصر من ثَعْلَبِ بن عمرو بن الغوث بن طيء . قال ابن حزم : لامُ بن طَرِيف بن عمرو بن ثُمَامَة بن مالك بن جَدْعا ومن الثعالب بنو ثعلبة بن ذهل بن رومان ، وبجهة بنيامين والشام بنو صخر ومن بطونهم غَزِيّة المرهوب صولتهم بالشام والعراق . وهم بنو غزية بن أفْلَت بن معبد بن عمرو بن عسّ بن سلامان بن ثُعَل وبنو غزية كثيرون وهم في طريق الحاج بين العراق ونجد ، وكانت الرياسة على طيء في الجاهلية لبني هَنْي بن عمرو بن الغوث بن طَيّ وهم رَمَلِيّون وإخوتهم جَبَلِيّون ، ومن ولده إياس بن قَبيصَة الذي أدال به كِسْرَى أبرويز النُعمَان المُنْذر حين قتله وأنزل طيًّا بالحيرة مكان لَخْم قوم النُعمان وولّى على العرب من إياساً هذا ، وهو إياس بن قَبيصة بن أبي يَعْفُر بن النُعمان بن خبيب بن الحرث بن الحُوَيْرِث بن رَبيعة بن مالك بن سعد بن هَنْي ، فكانت

(١) (في فجر الإسلام ص ٨) أجا وسلمى وهما المعروفان الآن بجبل شمّر ، وقد سكنتها طيء قبل الإسلام .

لهم الرياسة إلى حين انقراض ملك الفرس . ومن عقب إياس هذا بنو ربيعة بن عليّ بن مُفرح بن بَدْر بن سالم بن قِصَّة بن بدر بن سميع ، ومن ربيعة شعب آلِ مُرَاد وشعب آل فَضْل ، وآل فضل شِعْبان آل عليّ وآل مُهنا فعلي ومُهَنّا إبنا فضل ، وفضل ومراد إبنا ربيعة وسميع الذين ينسبون إليه من عَقُب قبيصة بن أبي يعفر ، ويزعم كثير من جهلة البادية إنه الذي جاءت به العبّاسة أخت الرشيد من جعفر بن يحيى زعماً كاذباً لا أصل له . وكانت الرياسة على طيء أيام العبيديّين لبني المُفَرّح ، ثم صارت لبني مراد بن ربيعة وكلهم ورثوا أرض غسّان بالشام وملكهم على العرب ، ثم صارت الرياسة لبني عليّ وبني مهنّا إبني فضل بن ربيعة اقتسموها مدّة ، ثم انفرد بها لهذا العهد بنو مهنّا الملوك على العرب إلى هذا العهد بمشارف الشام والعراق وبرّية نجد ، وكان ظهورهم لأمر الدولة الأيوبية ومن بعدهم من ملوك الترك بمصر والشام ويأتي ذكرهم ، والله وارث الأرض ومن عليها .

وأمّا مَذْحِجُ وإسمه مالك بن زيد بن أدَدِ بن زيد بن كهلان ، ومنهم مُراد وإسمه يَحَابِرُ بن مَذْحِجَ ، ومنهم سعد العشيرة بن مذحج بطن عظيم لهم شعوب كثيرة ، منهم جعفر بن سعد العشيرة وزُبَيْد بن صعب بن سعد العشيرة . ومن بطون مذحج النَخْعُ ورَها ومَسيلَة وبنو الحرث بن كعب ، فأمّا النخع فهو جسْر بن عمرو بن عِلة بن جلد بن مذحج ومسيلة إبن عامر بن عمرو بن علة ، وأمّا رَهَا فهو ابن مَنَبِّه بن حرب بن علة . وبقي من مذحج وبرية ينجعون مع أحياء طيء في جملة أيام بني مهنّا مع العرب بالشام زمن أحلافهم وأكثرهم من زبيد . وأما بنو الحرث فالحرث أبوهم ابن كعب بن علة وديارهم بنواحي نَجْران يجاورون بها بني ذُهْل بن مزيقيا من الأزد وبني حارث بن كعب بن عبدالله بن مالك بن نصر بن الأزد وكان نَجْران قبلهم لجُرْهُم ، ومنهم كان ملكها الأفعى الكَاهِن الذي حكم بين ولد نزار بن معدّ لما تنافروا إليه بعد موت نزار وإسمه الغَلْسُ بن غمرِ ماء بن هَمْدان بن مالك بن مُنْتاب بن زيد بن واثل بن حمير وكان داعيةُ لسليمان عليه السلام بعد أن كان والياً لبلقيس على نَجْرَان ، وبعثته إلى سليمان فصدّق وآمن وأقام على دينه بعد موته . ثم نزل نَجْرَان بنو الحرث بن كعب بن علة بن جلد بن مذحج فغلبوا عليها بني الأفعى . ثم خرجت الأزد من اليمن فمروا بهم وكانت بينهم حروب ، وأقام من أقام في جوارهم من بني نصر بن الأزد وبني ذهل بن مزيقيا واقتسموا الرياسة فنجران معهم . وكان من بني الحرث

كعب هؤلاء المذحجيين بنو الزياد وإسمه يزيد بن قطن بن زياد بن الحرث بن مالك بن كعب بن الحرث وهم بيت مذحج وملوك نجران وكانت رياستهم في عبد المُدَان بن الديّان ، وانتهت قبيل البعثة إلى يزيد بن عبد المدان ، ووفد أخوه عبد الحجر بن عبد المدان على النبي صلى الله عليه وسلم على يد خالد بن الوليد وكان ابن أخيهم زياد بن عبدالله بن عبد المدان خال السفّاح ، وولّاه نجران واليمامة .

وقال ابن سعيد : ولم يزل الملك بنجران في بني عبد المدان ، ثم في بني أبي الجواد منهم ، وكان منهم في المائة السادسة عبد القيس بن أبي الجواد ، ثم صار الأمر لهذا العهد إلى الأعاجم شأن النواحي كلها بالمشرق ، ثم من بطون الحرث بن كعب بنو معقل وهو ربيعة بن الحرث بن كعب ، وقد يقال إنّ المعقل الذين هم بالمغرب الأقصى لهذا العهد إنما هم من هذا البطن وليسوا من مَعْقل بن كعب القُضاعيّين ويؤيد هذا أنّ هؤلاء المعقل جميعاً ينتسبون إلى ربيعة ، وربيعة إسم معقل هذا كما رأيت والله تعالى أعلم .

وأمّا بنو مرّة بن أدد إخوة طيء ومذحج والأشعريّين فهم أبطن كثيرة وتنتهي كلها إلى الحرث بن مرّة ، مثل خولان ومعافِر ولخم وجُذام وعامِلة وكندة . فأمّا معافر فهم بنو يَعْفُر بن مالك بن الحرث بن مرّة وافترقوا في الفتوحات وكان منهم المنصور بن أبي عامر صاحب هشام بالأندلس . وأمّا خولان وإسمه أفكِل بن عمرو بن مالك وعمرو أخو يعفر وبلادهم في جبال اليمن من شرقيّه ، وافترقوا في الفتوحات وليس منهم اليوم وَبْرِيّة إلاّ باليمن وهم لهذا العهد ، وهَمْدان أعظم قبائل العرب باليمن ولهم الغَلْب على أهله والكثير من حصونه . وأمّا لَخْم وإسمه مالك بن عَدِيّ بن الحرث بن مرّة فبطن كبير مُتّسع ذو شعوب وقبائل منهم الدار بن هانيء بن حبيب بن نمارة بن لخم ، ومن أكبرهم بنو نصر بن ربيعة بن عمرو بن الحرث بن مسعود بن مالك بن عُمَم بن أنمارة بن لَخْم ، ويقال نمارة وهم رهط آل المنذر وحافده عمرو بن عدي بن نصر هو ابن أخت جُذيمة الوضّاح الذي أخذ بثأره من الزبا قاتلته . ووَليَ الملك على العرب للأكاسرة بعد خاله جُذيمة وأنزلوه بالحيرة حسبما يأتي الخبر عن ملكه وملك بنيه ومن شعوب بني لخم هؤلاء كان بنو عبّاد ملوك أشبيلية ويأتي ذكرهم . وأمّا جُذَام وإسمه عمرو بن عديّ أخو لخم بن عدي فبطن متّسع له شعوب كثيرة مثل غطفان وأمصى وبنو حرام بن جذام وبنو ضَبيب وبنو مخرمة وبنو بعجة بنو نفاثة وديارهم حوالي أيْلة

من أوّل أعمال الحجاز إلى اليُنبُع بن أطراف يثرب ، وكانت لهم رياسة في معان وما حولها من أرض الشام لبني النافرة من نفاثة ثم لِفَروة بن عمرو بن النافرة منهم ، وكان عاملا للرّوم على قومه وعلى من كان حوالي معان من العرب ، وهو الذي بعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسلامه وأهدى له بغلة بيضاء. وسمع بذلك قيصر فأغرى به الحارث بن أبي شمر الغسّاني ملك غسّان فأخذه وصلبه بفلسطين ، وبقيتهم اليوم في مواطنهم الأولى في شَعْبين من شعوبهم يعرف أحدهما بنو عائد وهم ما بين بَلْبيس من أعمال مصر إلى عقبة أَيْلَة إلى الكرك من ناحية فلسطين ، وتعرف الثانية بنو عَقَبة وهم من الكرك إلى الأَزْلَم من برية الحجاز. وضمان السابلة ما بين مصر والمدينة النبويّة إلى حدود غزّة من الشام عليهم ، وغزّة من مواطن جُرْم إحدى بطون قُضاعة كما مرّ ، وبأفريقية لهذا العهد منهم وَبْرِيّة كبيرة ينتجعون مع ذياب بن سليم بنواحي طرابلس.

وأمّا عاملةُ وإسمه الحرث بن عدي وهم إخوة لَخْم وجُذام وإنّما سمّي الحرث عاملة بأمّه القُضاعية وهم بطن مُتّسع ومواطنهم ببرية الشام. وأمّا كِنْدَة وإسمه ثور بن عَفِير بن عديّ وعفير أخو لخم وجذام ، وتعرف كندة الملوك لأنّ الملك كان لهم على بادية الحجاز من بني عدنان كما نذكر ، وبلادهم بجبال اليمن مما يلي حضرموت ومنها دَمّونُ التي ذكرها امرؤ القيس في شعره ، وبطونهم العظيمة ثلاثة : معاوية بن كندة ومنه الملوك بنو الحرث بن معاوية الأصغر ابن ثور بن مُرْتَع بن معاوية والسكون وسَكْسَك وابنهما أَشْرَسُ بن كِنْدَة ، ومن السكون بطن تَجيب وهم بنو عدي وبنو سعد بن أشرس بن شبيب بن السكون وتجيب إسم أمّهما. وكان للسكون ملك بِدَوْمَة الجَنْدَل وكان عليها عبد المغيث بن أُكَيْدِر بن عبد الملك بن عبد الحق بن أعمى بن معاوية ابن حلاوة بن أمامة بن شِكَامة بن شبيب بن السكون بعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك خالد بن الوليد فجاء به أسيراً ، وحقن صلى الله عليه وسلم دمه وصالحه على الجزية وردّه إلى موضعه. ومن معاوية بن كندة بنو حِجر ابن الحرث الأصغر ابن معاوية بن كِنْدة منهم حِجْرٌ آكَلُ المِرار ابن عمرو بن معاوية وهو حجر أبو الملوك ابن كِنْدَةِ الذين يأتي ذكرهم ، والحرث الولادة أخو حجر وكان من عقبه الخارجين باليمن المسلمين طالب الحق وكان أباضيًّا وسيأتي ذكره ، ومنهم الأشعث بن قيس بن معدي كرب بن معاوية وجبلّة بن عَدِيّ بن ربيعة بن معاوية

نجيب بنت السكون بن اشرس بن كندة بن عفير بن عدي بن الحرث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ

جذام
لخم

زيد بن سعد العشيرة بن مذحج

جعفي

عنس
مراد
النخع

زبيد
طيء
عريب
ثعل

الاوس بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الازد بن الغوث بن نبت بن مالك

مالك
كعب

الغطريف

بجيلة

بن الحرث الأكبر جاهليّ إسلامي ، وابنه محمد بن الأشعث وابنه عبد الرحمن بن الأشعث القائم على عبد الملك والحجاج وهو مشهور ، وابن عمهم أيضاً ابن عديّ وهو الأدْمَرُ بن عديّ بن جبلّة له صحبة فيما يقال ، وهو الذي قتله معاوية على الثورة بأخيه زياد وخبره معروف .

هذه قبائل اليمن من قحطان استوفينا ذكر بطونهم وأنسابهم ونرجع الآن إلى ذكر من كان الملك منهم بالشام والحجاز والعراق حسبما نقصه ، والله تعالى المعين بكرمه ومنه لا ربّ غيره ولا خير إلاّ خيره .

الخبر عن ملوك الحيرة من آل المنذر من هذه الطبقة وكيف انساق الملك اليهم ممن قبلهم وكيف صار الى طيء من بعدهم

أمّا أخبار العرب بالعراق في الجيل الأول وهم العرب العاربة فلم يصل إلينا تفاصيلها وشرح حالها ، إلا أنّ قوم عاد والعَمَالِقَة ملكوا العراق ، والمسند في بعض الأقوال أنّ الضحّاك بن سِنان منهم كما مرّ . وأمّا في الجيل الثاني وهم العرب المستعربة فلم يكن لهم به مستبدّ وإنما كان ملكهم به بدوياً ورياستهم في أهل الظواعن . وكان ملك العرب كما مرّ في التبابعة من أهل اليمن ، وكانت بينهم وبين فارس حروب وربّما غلبوهم على العراق وملكوه أو بعضه كما مرّ ، لكن اليمن لم يغلبوا ثانياً على ما ملكوا منه ، وقد مرّ إيقاع بختنصّر وإثخانه فيهم ما تقدّم . وكان في سواد العراق وأطراف الشام والجزيرة الأرمانيون من بني إرَم بن سام ، ومن كان من بقية عساكر ابن تُبّع من جعفر طيء وكلب وتميم وغيرهم من جُرْهُم ، ومن نزل معهم بعد ذلك من تنوخ ونمارة بن لخم وقَنَص بن معدّ ومن إليهم كما قدّمنا ذكر ذلك . وكان ما بين الحيرة والفرات إلى ناحية الأنبار موطن لهم وكانوا يسمّون عرب الضاحية ، وكان أوّل من ملك منهم في زمن الطوائف مالك بن فهم بن تيْم الله بن أسد بن وبرة بن ثعلبة بن حُلوان بن قُضاعة ، وكان منزله مما يلي الأنبار . وملك من بعده أخوه عمرو بن فهم . ثم ملك من بعدهما جُذيمة الأبرش إثنتي عشرة سنة ، وقد تقدّم أنه صهرهما وأنّ مالك بن زهير بن عمرو بن فَهْم زوّجه أخته وصاروا حلفاء مع الأزد من قوم جُذيمة

ونسب جذيمة في الأزد إلى بني زَهْرَان ، ثم إلى دوس بن عدنان بن عبدالله بن زهران ، وهو جُذَيمة بن ملك بن فهم بن غنم بن دوس هكذا قال ابن الكلبي . ويقال : إنه من وَبَار بن أُمَيْم بن لاوذ بن سام ، وكان بنو زهران من الأزد خرجوا قبل خروج مزيقيا من اليمن ونزلوا بالعراق وقيل ساروا من اليمن مع أولاد جفنة بن مزيقيا ، فلما تفرّق الأزد على المواطن نزل بنو زُهران هؤلاء بالشراة وعُمَان وصار لهم مع الطوائف ملك ، وكان مالك بن فهم هذا من ملوكهم . وكان بشاطىء الفرات من الجانب الشرقي عمرو بن الظرب بن حسّان بن أُذَيْنَة من ولد السُمَيْدع بن هوثر من بقايا العمالقة ، فكان عمرو بن الظرب على مشارف الشام والجزيرة ، وكان منزله بالمضيق بين الخابور وقرْقيسا فكانت بينه وبين مالك بن فهم حروب هلك عمرو في بعضها ، وقامت بملكه من بعده إبنته الزبّاء بنت عمرو وإسمها نائلة عند الطبري ومَيْسون عند ابن دريد .

قال السُهَيليّ : ويقال إنّا الزباء الملكة كانت من ذرية السُميدع بن هوثر من بني قطورا أهل مكّة ، وهو السميدع بن مُرْثِد بالثاء المثلثة ابن لاي بن قطور بن كركي بن عملاق ، وهي بنت عمرو بن أذيْنَة بن الظرب بن حسّان . وبين حسّان هذا والسميدع آباء كثيرة ليست بصحيحة لبعد زمن الزباء من زمن السُميدع انتهى كلام السُهيليّ .

ولم تزل الحرب بين مالك بن فهم وبين الزباء بنت عمرو إلى أن ألجأها إلى أطراف مملكتها ، وكان يغير على ملوك الطوائف حتى غلبهم على كثير مما في أيديهم . قال أبو عبيدة : وهو أوّل ملك كان بالعراق من العرب وأوّل من نصب المجانيق وأوقد الشموع وملك ستين سنة . ولما هلك قام بأمره من بعده جُذيمة الوضّاح ويقال له الأبرش ، وكان يكنّى بأبي مالك وهو منادم الفرْقَدين . قال أبو عبيدة : كان جُذيمة بعد عيسى بثلاثين سنة فملك أزمان الطوائف خمسا وسبعين سنة وأيام أردشير كلها خمسة عشر سنة وثماني سنين من أيام سابور ، وكان بينه وبين الزّباء سلم وحرب ، ولم تزل تحاول الثأر منه بأبيها حتى تحيلت عليه وأطمعته في نفسها فخطبها وأجابته ، وأجمع المسير إليها وأبى عليه وزيره قصير بن سعد ، فعصاه ودخل إليها ولقيته بالجنود وأحس بالشر ، فنجا قصير ودخل جُذيمة إلى قصرها فقطعت رواهشه[1] وأجرت دمه إلى أن

(١) الرواهش : العروق الكبيرة في باطن الذراعين .

هلك في حكاية منقولة في كتب الأخباريين.

قال الطبري: وكان جذيمة من أفضل ملوك العرب رأياً وأبعدهم مغاراً وأشدّهم حزماً وأوّل من استجمع له الملك بأرض العراق وسرى بالجيوش، وكان به برص فكنوا عنه بالوضّاح إجلالا له، وكانت منازله بين الحيرة والأنبار وهيت ونواحيها وعين التمر[1] وأطراف البر إلى العمق والقطقطانيّة وجفنة، وكانت تجبى إليه الأموال وتفد إليه الوفود، وغزا في بعض الأيام طسما وجديساً في منازلهم باليمامة، ووجد حسّان بن تُبَّع قد أغار عليهم فانفكأ هو راجعاً بمن معه، وأتت خيول حسّان على سرايا فأجاحوها. وكان أكثر غزو جذيمة للعرب العاربة، وكان قد تكهن وادعى النبوّة، وكانت منازل إياد بعين أباغ سميت باسم رجل من العمالقة نزل بها وكان جذيمة كثيرا ما يغزوهم حتى طلبوا مسالمته، وكان بينهم غلام من لخَمْ من بني أُختهم وكانوا أخوالاً له وهو عديّ بن نصر بن ربيعة بن عمرو بن الحرث بن مسعود بن مالك بن عمرو بن نمارة بن لخم، وكان له جمال وضرب وطلبه منهم جذيمة فامتنعوا من تسليمه إليه، فألح عليهم بالغزو وبعثت إياد من سرق لهم صنمين كانا عند جُذيمة يدعو بهما و يستسقى بهما وعرّفوه أنّ الصنمين عندهم وأنهم يردّونهما بشريطة رفع الغزو عنهم، فأجابهم إلى ذلك بشريطة أن يبعثوا مع الصنمين عديّ بن نصر فكان ذلك. ولما جاءه عديّ بن نصر استخلصه لنفسه وولاّه شرابه، وهَوِيَتْه رقّاشُ أخته فراسلته فدافعها بالخشية من جذيمة، فقالت له اخطبني منه إذا أخذت الخمر منه وأشهد عليه القوم ففعل، وأعرس بها من ليلته، وأصبح مضرجاً بالخلوق. وراب جذيمة شأنه ثم أعلم بما كان منه فعض على يديه أسفاً، وهرب عديّ فلم يظهر له أثر، ثم سألها في أبيات شعر معروفة فأخبرته بما كان منه فعرف عذرها وكف، وأقام عديّ في أخواله إياد إلى أن هلك، وولدت رقاش منه غلاماً وسمته عمراً وربي عند خاله جُذيمة وكان يستظرفه ثم استهوته الجن فغاب وضرب له جذيمة في الآفاق إلى أن ردّه عليه وافِدَان من العُتَقا، ثم من قضاعة وهما مالك وعقيل إبنا فارج بن مالك بن العَنْس أهديا له طُرَفاً ومتاعاً، ولقيا عمرا بطريقها وقد ساءت حاله وسألاه فأخبرهما باسمه ونسبه فأصلحا من شأنه وجاآ به إلى جذيمة بالحيرة فسّر به وسرّت أمّه. وحكم الرجلين فطلبا منادمته فأسعفها وكانا ينادمانه حتى ضرب المثل بهما وقيل ندماني

(١) تقع في الجنوب الغربي من كربلاء.

جذيمة ، والقصة مبسوطة في كتب الاخباريّين بأكثر من هذا .
قال الطبري : وكان ملك العرب بأرض الحيرة ومشارف الشام عمرو بن ظرب بن حسّان بن أُذَيْنة بن السُميدع بن هوثر العِمْلاقي ، فكانت بينه وبين جذيمة حرب قتل فيها عمرو بن الظرب وفضت جموعه . وملكت بعده ابنته الزبّاء واسمها نائلة وجنودها بقايا العمالقة من عاد الأولى ومن نَهْد وسُلَيْح إبني حُلوان ومن كان معهم من قبائل قُضاعة ، وكانت تسكن على شاطىء الفرات وقد بنت هنالك قصراً وتُربّعُ عند بطن المجاز وتُصَيّفُ بتدمر . ولما استحكم لها الملك أجمعت أخذ الثأر من جذيمة بأبيها فبعثت إليه توهمه الخطبة وأنها إمرأة لا يليق بها الملك فيجمع ملكها إلى ملكه ، فطمع في ذلك ووافقه قومه ، وأبى عليه منهم قصير بن سعد بن عمرو بن جذيمة بن قيس بن أربى بن نمارة بن لخم وكان حازماً ناصحاً ، وحذره عاقبة ذلك ، فعصاه واستشار ابن اخته عمرو بن عديّ فوافقه فاستخلفه على قومه ، وجعل على خيوله عمرو بن عبد الجن ، وسار هو على غربي الفرات إلى أن نزل رحبة مالك بن طوق وأتته الرسل منها بالألطاف والهدايا ، ثم استقبلته الخيول فقال له قصير : إن أحاطت بك الخيول فهو الغدر فاركب فرسك العصا وكانت لا تجارى . فأحاطت به الخيول ودخل جذيمة على الزبّاء فقطعت رواهشه فسال دمه حتى نزف ومات ، وقدم قصير على عمرو بن عديّ وقد اختلف عليه قومه ومال جماعة منهم إلى عمرو بن عبد الجنّ فأصلح أمرهم حتى انقادوا جميعاً لعمرو بن عديّ ، وأشار عليه بطلب الثأر من الزبّاء بخاله جذيمة . وكانت الكاهنة قد عرفتها بملكها وأعطتها علامات عمرو فحذرته وبعثت رجلا مصوّرا يصور لها عمراً في جميع حالاته ، فسار إليه متنكراً واختلط بحشمه وجاء إليها بصورته فاستثبتته وتيقنت أنّ مهلكها منه ، واتخذت نفقاً في الأرض من مجلسها إلى حصن داخل مدينتها . وعمد عمرو إلى قصير فجدع أنفه بمواطأة منه على ذلك فلحق بالزباء يشكو ما أصابه من عمرو وأنه اتهمه بمداخلة الزبّاء في أمر خاله جذيمة ، وما رأيت بعد ما فعل بي أنكى له من أن أكون معك . فأكرمته وقرّبته حتى إذا رضي منها من الوثوق به أشار عليها بالتجارة في طرف العراق وأمتعته فأعطته مالاً وعيراً ، وذهب إلى العراق ولقي عمرو بن عديّ بالحيرة فجهزه بالطُرَفِ والأمتعة كما يرضيها ، وأتاها بذلك فازدادت به وثوقاً وجهّزته بأكثر من الأولى ، ثم عاد الثالثة وحمل بُغَاة الجند من أصحاب عمرو في الغرائر على الجمال

وعمرو فيهم ، وتقدّم فبشّرها بالعير وبكثرة ما حمل إليها من الطرف ، فخرجت تنظر فأنكرت ما رأته في الجمال من التكارد[1] ، ثم دخلت العير المدينة فلما توسطت أنيخت وخرج الرجال ، وبادر عمرو إلى النفق فوقف عنده ، ووضع الرجال سيوفهم في أهل البلد . وبادرت الزبّاء إلى النفق فوجدت عمراً قائماً عنده فلحمها بالسيف وماتت ، وأصاب ما أصاب من المدينة وانكفأ راجعاً .

قال الطبري : وعمرو بن عديّ أوّل من اتخذ الحيرة منزلا من ملوك العرب ، وأولّ من تجده أهل الحيرة في كتبهم من ملوك العرب بالعراق ، وإليه ينسبون وهم ملوك آل نصر . ولم يزل عمرو بن عدي ملكاً حتى مات وهو ابن مائة وعشرين سنة مستبداً منفرداً يغزوهم ويغنم ، وتفد عليه الوفود ولا يدين لملوك الطوائف ولا يدينون له حتى قدم أردشير بن بابك في أهل فارس .

قال الطبري : وإنما ذكرنا في هذا الموضع أمر جذيمة وابن أخته عمرو بن عدي لما قدّمناه عند ذكر ملوك اليمن ، وأنهم لم يكن لهم ملك مستفحل وإنما كانوا طوائف على المخاليف يغير كل واحد على صاحبه إذا استغفله ، ويرجع خوف الطلب حتى كان عمرو بن عديّ فاتصل له ولعقبه الملك على من كان بنواحي العراق وبادية الحجاز بالعرب ، فاستعمله ملوك فارس على ذلك إلى آخر أمرهم . وكان أمر آل نصر هؤلاء ومن كان من ولاة الفرس وعمالهم على العرب معروفاً مثبتاً عندهم في كنائسهم وأشعارهم .

وقال هشام بن الكلبي : كنت أستخرج أخبار العرب وأنسابهم وأنساب آل نصر بن ربيعة ومبالغ أعمار من ولي منهم لآل كسرى وتاريخ نسبهم من كتبهم بالحيرة . وأمّا ابن اسحق فذكر في آل نصر ومصيرهم إلى العراق أنّ ذلك كان بسبب الرؤيا التي رآها ربيعة بن نصر وعبرها الكاهنان شِقٌّ وسطِيحٌ ، وفيها أن الحبشة يغلبون على ملكهم باليمن ، قال : فجهّز بنيه وأهل بيته إلى العراق بما يصلحهم وكتب لهم إلى ملك من ملوك فارس يقال له سابور بن خرّزاذ فأسكنهم الحيرة ، ومن بقية ربيعة بن نصر كان النُعمان بن المنذر بن عمرو بن عدي بن ربيعة بن نصر . وقد يقال إنّ المنذر من أعقاب ساطرون ملك الحضر من تنوخ قُضاعة ، رواه ابن اسحق من علماء الكوفة ورواه عن جُبير بن مُطعِم قال : لما أتى عمر رضي الله عنه بسيف النُعمان دعا بجُبير بن مُطعم ،

---

(١) الطرد والمدافعة (قاموس) .

وكان أنسب قريش لقريش والعرب ، تعلمه من أبي بكر رضي الله عنه فسلّمه إياه ، ثم قال : ممن كان النعمان يا جبير؟ قال : كان من أسلاف قَنْص بن معدّ . قال السهيلي : كان ولد قنص بن معد انتشروا بالحجاز فوقعت بينهم وبين بني أبيهم حرب وتضايق بالبلاد وأجدبت الأرض ، فساروا نحو سواد العراق وذلك في أيام ملوك الطوائف قاتلهم الأردوانيّون وبعض ملوك الطوائف وأجلوهم عن السواد وقتلوهم ، إلا أشلاء لحقت بقبائل العرب ودخلوا فيهم فانتسبوا إليهم . قال الطبري : حين سأله عمر عن النُعمان قال : كانت العرب تقول من أشلاء قنص بن معد وهم من ولدُ عَجَم بن قَنْص إلا أنّ الناس صحّفوا عجم وجعلوا مكانه لخم . قال ابن اسحق : وأما سائر العرب فيقولون النُعمان بن المنذر رجل من لخم ربي بين ولد ربيعة بن نصر أهـ .

ولما هلك عمرو بن عديّ ولِيَ بعده على العرب وسائر مَنْ ببادية العراق والحجاز والجزيرة امرؤ القيس بن عمرو بن عدي ، ويقال له البدء ، وهو أوّل من تنصّر من ملوك آل نصر وعمّال الفرس ، وعاش فيما ذكر هشام بن الكلبي مائة وأربعة عشر سنة ، منها أيام سابور ثلاثاً وعشرين سنة ، وأيام هُرمز بن سابور سنة واحدة ، وأيام بَـهْرَام بن هرمز ثلاث سنين ، وأيام بهرام بن بهرام ثماني عشرة سنة ، ومن أيام سابور سبعون سنة . وهلك لعهده فوليَ مكانه ابنه عمرو بن امرىء القيس البدء ، فأقام في ملكه ثلاثين سنة بقية أيام سابور بن سابور ، ثم ولي مكانه أوس بن قلام العِمليقي فيما قال هشام بن محمد ، وهو من بني عمرو بن عِمْلاق ، فأقام في ولايته خمس سنين ثم سار به جحجبا بن عتيك بن لخم فقتله ووليَ مكانه . ثم هلك في عهد بَـهْرَام بن سابور ، وولي من بعده امرؤ القيس بن عمرو خمساً وعشرين سنة وهلك أيام يزدجرد الأثيم ، فوليَ مكانه ابنه النُعمان بن امرىء القيس وأمّه شقيقة بنت ربيعة بن ذهب بن شيبان وهو صاحب الخورنق ، ويقال إنّ سبب بنائه إياه أنّ يزدجرد الأثيم دفع إليه إبنه بهرام جور ليُرَبّيه وأمره ببناء هذا الخورنق مسكناً له وأسكنه إياه ، ويقال : إنّ الصانع الذي بناه كان اسمه سِنِمّار وإنه لما فرغ من بنائه ألقاه من أعلاه فمات من أجل محاورة وقعت اختلف الناس في نقلها والله أعلم بصحتها ، وذهب ذلك مثلا بين العرب في قبح الجزاء ووقع في أشعارهم منه كثير . وكان النعمان هذا من أفحل ملوك آل نصر وكانت له سنانان إحداهما للعرب والأخرى للفرس ، وكان يغزو بـ ا

العرب بالشام و يدوّخها ، وأقام في ملكه ثلاثين سنة ثم زهد وترك الملك ولبس المسوح وذهب فلم يوجد له أثر .

قال الطبري : وأمّا العلماء بأخبار الفرس فيقولون إنّ الذي تولّى تربية بهرام هو المنذر بن النُعمان بن امرىء القيس ، دفعه إليه يزدجرد الأثيم لإشارة كانت عنده فيه من المنجمين ، فأحسن تربيته وتأديبه وجاءه بمن يلقنه الخِلال من العلوم والآداب والفروسية والنقابة[1] حتى اشتمل على ذلك كله بما رضيه ، ثم ردّه إلى أبيه فأقام عنده قليلاً ولم يرض بحاله ، ووفد على أبيه وافد قيصر وهو أخوه قياودس ، فقصده بهرام أن يسأل له من أبيه الرجوع إلى بلاد العرب فرجع ، ونزل على المنذر . ثم هلك يزدجرد فاجتمع أهل فارس وولوا عليهم شخصاً من ولد أردشير وعدلوا عن بهرام لمرباه بين العرب وخلوّه عن آداب العجم ، وجهّز المنذر العساكر لبهرام لطلب ملكه ، وقدّم إبنه النُعمان فحاصر مدينة الملك ثم جاء على أثره بعساكر العرب وبهرام معه فأذعن له فارس وأطاعوه ، واستوهب المنذر ذنوبهم من بهرام فعفا عنهم واجتمع أمره . ورجع المنذر إلى بلاده وشغل باللهو وطمع فيه الملوك حوله ، وغزاه خاقان ملك الترك في خمسين ألفاً من العساكر ، وسار إليه بهرام فانتهى إلى أذربيجان ثم إلى أرمينية . ثم ذهب يتصيّد وخلف أخوه نرسي على العساكر فرماه أهل فارس بالجبن وأنه خار عن لقاء الترك ، فراسلوا خاقان في الصلح على ما يرضاه فرجع عنهم . وانتهى الخبر بذلك إلى بهرام فسار في اتباعه وبيته فانفض بعسكره وقتله بيده ، واستولى بهرام على ما في العساكر من الأثقال والذراري وظفر بتاج خاقان واكليله وسيفه بما كان فيه من الجواهر واليواقيت ، وأسر زوجته ، وغلب على ناحية من بلاده فولّى عليها بعض مرازبته وأذن له في الجلوس على سرير الفضة وأغزى ما وراء النهر فدانوا بالجزية ، وانصرف إلى أذربيجان فجعل سيف خاقان واكليله معلقاً ببيت النار وأخدمه خاتون إمرأة خاقان ، ورفع الخراج عن الناس ثلاث سنين شكراً لله تعالى على النصر ، وتصدّق بعشرين ألف ألف درهم مكرّرة مرّتين ، وكتب بالخبر إلى النواحي وولّى أخاه نرسي على خراسان واستوزر له بهر نرسي بن بدارة بن فرّخزاد ، ووصل الطبريّ نسبه من هنا بعد أربعة فكان رابعهم أشَك بن دارا وأغزى بهرام أرض الروم في أربعين ألفاً فانتهى إلى القسطنطينية ورجع .

---

(١) سلوك طرق الجبال (قاموس) .

قال هشام بن الكلبي : ثم جاء الحرث بن عمرو بن حِجْر الكِنْدي في جيش إلى بلاد معدّ والحيرة وقد ولاه تُبّع بن حسّان بن تبع ، فسار إليه النعمان بن امرىء القيس بن الشقيقة وقاتله فقتل النعمان وعدة من أهل بيته وأنهزم أصحابه ، وأفلت المنذر بن النعمان الأكبر وأمه ماء السماء امرأة من اليمن ، وتشتت ملك آل النعمان ، وملك الحرث بن عمرو ما كانوا يملكونه . وقال غير هشام بن الكلبي : إنّ النعمان الذي قتله الحرث هو ابن المنذر بن النعمان وأمه هند بنت زيد مناة بن زيدالله بن عمرو بن ربيعة بن ذهل بن شيبان ، وهو الذي أسرته فارس ، ملك عشرين سنة منها في أيام فيروز بن يزدجرد عشر سنين وأيام يلاوش بن يزدجرد أربع سنين وفي أيام قباذ بن فيروز ست سنين .

قال هشام بن محمد الكلبي : ولما ملك الحرث بن عمرو ملك آل النعمان بعث إليه قُبّاذ يطلب لقاءه وكان مضعفاً فجاءه الحرث وصالحه على أن لا يتجاوز بالعرب الفرات ، ثم استضعفه فأطلق العرب للغارة في نواحي السواد وراء الفرات فسأله اللقاء بابنه ، واعتذر إليه أشظاظ العرب وأنه لا يضبطهم إلاّ المال فأقطعه جانباً من السواد ، فبعث الحرث إلى ملك اليمن تُبّع يستنهضه بغزو فارس في بلادهم ويخبره بضعف ملكهم ، فجمع وسار حتى نزل الحيرة وبعث ابن أخيه شمرا ذا الجناح إلى قبّاذ فقاتله واتبع إلى الري فقتله ، ثم سار شِمْر إلى خراسان وبعث تبّع ابنه حسّان إلى الصغد وأمرهما معا أن يدوّخا أرض الصين ، وبعث ابن أخيه يعفُر إلى الروم فحاصر القسطنطينية حتى اعطوا الطاعة والأتاوة ، وتقدّم إلى رومة فحاصرها . ثم أصابهم الطاعون ووهنوا له فوثب عليهم فقتلوهم جميعاً . وتقدّم شِمّر إلى سمرقند فحاصرها واستعمل الحيلة فيها فملكها ، ثم سار إلى الصين وهزم الترك ووجد أخاه حسّان قد سبقه إلى الصين منذ ثلاث سنين فأقاما هنالك إحدى وعشرين سنة إلى أن هلك ، قال : والصحيح المتفق عليه أنهما رجعا إلى بلادهما بما غنماه من الأموال والذخائر وصنوف الجواهر والطيوب . وسار تُبّع حتى قدم مكّة ونزل شعب حجاز وكانت وفاته باليمن بعد أن ملك مائة وعشرين سنة ، ولم يخرج أحد بعده من ملوك اليمن غازياً . ويقال : إنه دخل في دين اليهود للأحبار الذين خرجوا معه من يثرب . وأمّا ابن اسحق فعنده أنّ الذي سار إلى المشرق من التبابعة تُبّعُ الأخير وهو تبَانُ أسعد أبو كرب .

قال هشام بن محمد : وولّى أنوشروان بعد الحرث بن عمرو المنذر بن النعمان الذي أفلت يوم قتل أبوه ونزل الحيرة وأبوه النعمان الأكبر ، فلما قوي سلطان أنوشروان واشتدّ أمره بعث إلى المنذر فملكه الحيرة وما كان يليه الحرث بن عمرو آكل المرار فلم يزل كذلك حتى هلك . قال : وملك العرب من قبل الفرس بعد الأسود بن المنذر أخوه المنذر بن المنذر وأمه ماويَة بنت النعمان سبع سنين ، ثم ملك بعده النعمان بن الأسود ابن المنذر وأمه أم الملك أخت الحرث بن عمرو أربع سنين ، ثم استخلف أبو يَعْفُر بن علقمة بن مالك بن عديّ بن الذميل بن ثور بن أسد بن أربى بن نمارة بن لخم ثلاث سنين ، ثم ملك المنذر بن امرىء القيس وهو ذو القرنين لضفيرتين كانتا له من شَعْرِه وأمه ماء السماء بنت عوف بن جَشْم بن هلال بن ربيعة بن زيد مناة بن عامر بن الضبيب بن سعد بن الخَزْرَج بن تيم الله بن النمر بن قَاسِط فملك تسعاً وأربعين سنة ، ثم ملك ابنه عمرو بن المنذر وأمه هند بنت الحرث بن عمرو بن حِجْر آكل المرار ست عشرة سنة ولثمان سنين من ملكه كان عام الفيل الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ولّى عمرو بن هند شقيقه قابوس أربع سنين : سنة منها أيام أنوشروان وثلاثة أيام ابنه هرمز[1] .

ثم ولّى بعده أخوهما المنذر أربع سنين ، ثم ولّى بعده النعمان بن المنذر وهو أبو قابوس إثنين وعشرين سنة منها ثمان سنين أيام هرمز وأربع عشرة أيام[2] أبرويز ، وفي أيام النُعمان هذا اضمحل ملك آل نصر بالجزيرة وعليه انقرض ، وهو الذي قتله كسرى أبرويز وأبدل منه في الولاية على الحيرة والعرب باياس بن قبيصة الطائي ، ثم ردّ رياسة الحيرة لمرازبة فارس إلى أن جاء الإسلام وذهب ملك فارس . وكان الذي دعا أبرويز إلى قتله سعاية زيد بن عدي العبادي فيه عند أبرويز بسبب أنّ النعمان قتل أباه عديّ بن زيد ، وسياقة الخبر عن ذلك أن عديّ بن زيد كان من تراجمة أبرويز وكان سبب قتل النعمان أنّ أباه وهو زيد بن حمّاد بن أيوب بن محروب بن عامر بن

(١) هنا عبارة ساقطة من الناسخ . أما الطبري فيقول :
«ولي قابوس بن المنذر اربع سنين من ذلك في زمن انوشروان ثمانية اشهر وفي زمن هرمز بن انوشروان ثلاث سنين واربعة أشهر» ج ٢ ص ١٥٦ .

(٢) هنا ايضا سقطت عبارة من الناسخ وعند الطبري «ثم ولي بعد النعمان بن المنذر ابو قابوس إثنين وعشرين سنة من ذلك في زمن هرمز بن انوشروان سبع سنين وثمانية اشهر وفي زمن كسرى ابرويز بن هرمز اربع عشرة سنة واربعة اشهر» . ج ٢ ص ١٥٦ .

قبيصة بن امرىء القيس بن زيد مناة والد عديّ هذا كان جميلاً شاعراً خطيباً وقارئاً كتاب العرب والفرس ، وكانوا أهل بيت يكونون مع الأكاسرة ويقطعونهم القطائع على أن يترجموا عندهم عن العرب ، وكان المنذر بن المنذر لمّا ملك جعل إبنه النُعمان في حِجْر عديّ فأرضعه أهل بيته وربّاه قوم من أشراف الحيرة ينسبون إلى لخم ويقال لهم بنو مُرسي ، وكان للمنذر بن المنذر عشرة سوى النعمان يقال لهم الأشاهب لجمالهم ، وكان النعمان من بينهم أحمر أبرش قصيراً أمّه سلمى بنت وائل بن عطية من أهل فَدَك كانت أمة للحرث بن حِصْن بن ضَمْضم بن عديّ بن جناب بن كلب ، وكان قابوس بن المنذر الأكبر عمّ النعمان بعث إلى أنوشروان بعديّ بن زيد وإخوته فكانوا في كتابه يترجمون له ، فلما مات المنذر أوصى على ولده إياس بن قبيصة الطائي وجعل أمره كله بيده فأقام على ذلك شهراً ، ونظر أنوشروان فيمن يملكه على العرب وشاور عديّ بن زيد واستنصحه في بني المنذر فقال بقيتهم في بني المنذر بن المنذر ، فاستقدمهم كسرى وأنزلهم على عديّ ، وكان هواه مع النعمان ، فجعل يرعى إخوته تفضيلهم عليه ، ويقول لهم : إن أشار عليكم كسرى بالملك ومن يكفوه أمر العرب تكفلوا بشأن ابن أخيكم النُعمان ، ويسر للنعمان أن سأله كسرى عن شأن إخوته أن يتكفله ويقول : إن عجزت عنهم فأنا عن سواهم أعجز . وكان مع أخيه الأسود بن المنذر رجل من بني مُرْسي الذين ربُّوهم إسمه عديّ بن أوس بن مُرْسي فنصحه في عديّ وأعلمه أنه يغشّه فلم يقبل . ووقف كسرى على مقالاتهم ، فمال إلى النعمان وملّكه وتوّجه بقيمة ستين ألف دينار ورجع إلى الحيرة مَلِكاً على العرب ، وعديّ بن أوس في خدمته ، وقد أضمر السعاية بعديّ بن زيد فكان يظهر الثناء عليه ويتواصى به مع أصحابه وأن يقولوا مثل قوله ، إلاّ أنه يستصغر النُعمان ويزعم أنه ملكه وانه عامِله حتى آسفوه بذلك ، وبعث إليه في الزيارة فأتاه وحبسه ثم ندم وخشي عاقبة إطلاقه فجعل يمنّيه . ثم خرج النعمان إلى البحرين وخالفه جَفْنَةُ ملك غسّان إلى الحيرة وغار عليها ونال منها ، وكان عديّ بن زيد كتب إلى أخيه عند كسرى يشعره بطلب الشفاعة من كسرى إلى النُعمان ، فجاء الشفيع إلى الحيرة وبها خليفة النعمان ، وجاء إلى عديّ فقال له : أعطني الكتاب أبعثه أنا ولازمني أنت هنا لئلا أقتل . وبعث أعداؤه من بني بقيلة إلى النعمان بأن رسول كسرى دخل عنده فبعث من قتله . فلمّا وفد وافد كسرى في الشفاعة أظهر له الإجابة وأحسن له بأربعة آلاف دينار

وجارية وأذن له أن يخرجه من محبسه فوجده قد مات منذ ليال ، فجاء الى النُعمان مثربا[1] فقال : والله لقد تركته حيًّا . فقال : وكيف تدخل إليه وأنت رسول إليّ ؟ فطرده فرجع إلى كسرى وأخبره بموته وطوى عنه ما كان من دخوله إليه .

ثم ندم النُعمان على قتله ، ولقي يوماً وهو يتصيد إبنه زيداً فاعتذر إليه من أمر أبيه ، وجهّزه إلى كسرى ليكون خليفة أبيه على ترجمة العرب . فأعجب به كسرى وقرّبه وكان أثيراً عنده ، ثم إنّ كسرى أراد خطبة بنات العرب فأشار عليه عديّ بالخطبة في بني منذر فقال له كسرى : إذهب إليهم في ذلك ، فقال : إنّهم لا ينكحون العجم و يسترببون في ذلك فابعث معي من يفقه العربية فلعلي آتيك بغرضك . فلما جاء إلى النعمان قال لزيد : أمَا في عير السواد وفارس ما يغنيكم عن بناتنا ؟ وسأل الرسول عن العير فقال له زيد : هي البقر . ثم رجعا إلى كسرى بالخيبة ، وأغراه زيد فغضب كسرى وحقد على النعمان . ثم استقدمه بعد حين لبعض حاجاته وقال له : لا بدّ من المشافهة لأنّ الكتاب لا يسعها . ففطن فذهب إلى طيء وغيرهم من قبائل العرب ليمنعوه ، فأبوا وفَرِقوا من معاداة كسرى ، إلاّ بني رَواحة بن سعد من بني عبس ، فإنهم أجابوه لو كانوا يغنون عنه فعذرهم ، وانصرف عنهم إلى بني شيبان بذي قار والرياسة فيهم لهانىء بن مسعود بن عامر بن الخطيب بن عمرو المُزْدَلِف ابن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان ، ولقيس بن خالد بن ذي الخدَّيْن . وعلم أن هانئاً يمنعه وكان كسرى قد أقطعه ، فَرَجَّع إليه النُعمان ماله ونَعَمَه وحَلْقَتَه وهي سلاح ألف فارس شاكة ، وسار إلى كسرى ، فلقيه زيد بن حدي بساباط وتبين الغدر ، فلمّا بلغ إلى كسرى قيّده وأودعه السجن إلى أن هلك فيه بالطاعون ودعا ذلك إلى واقعة ذي قار بين العرب وفارس .

وذلك أنّ كسرى لما قتل النُعمان استعمل إياس بن قبيصة الطائي على الحيرة مكان النعمان ليده التي أسلفها طيء عند كسرى يوم واقعة بهرام على أبرويز ، وطلب من النعمان فرسه ينجو عليها فأبى واعترضه حسّان بن حنظلة بن جنّة الطائي وهو ابن عم إياس بن قبيصة فأركبه فرسه ونجا عليه ، ومرّ في طريقه بإياس فأهدى له فرساً وجزوراً ، فرعى له أبرويز هذه الوسائل وقدّم إياساً مكان النعمان . وهو إياس بن قبيصة بن أبي عفر بن النعمان بن جنّة . فلمّا هلك النعمان بعث إياس إلى هانيء بن

(١) ثربه ثرباً : لامه ، قبح عليه فعله (قاموس) .

مسعود في حَلْقة النُعمان ، ويقال كانت أربعمائة درع وقيل ثمانمائة ، فمنعها هانيء وغضب كسرى وأراد استئصال بكر بن وائل ، وأشار عليه النُعمان بن زرعة من بني تغلب أن يمهل إلى فصل القيظ عند ورودهم مياه ذي قار . فلما قاظوا ونزلوا تلك المياه جاءهم النعمان بن زرعة يخيّرهم في الحرب واعطاء اليد فاختاروا الحرب ، اختاره حنظلة بن سِنان العِجْلِيّ وكانوا قد ولّوه أمرهم وقال لهم إنما هو الموت قتلا إن أعطيتم باليد أو عطشاً إن هربتم وربما لقيكم بنو تميم فقتلوكم . ثم بعث كسرى إلى إيّاس بن قبيصة أن يسير إلى حربهم ويأخذه معه مسالح فارس وهم الجند الذين كانوا معه بالقطقطانية وبارق وتغلب ، وبعث إلى قيس بن مسعود بن قيس بن خالد بن ذي الخدّين وكان على طف شقران أن يوافي إياساً ، فجاءت الفرس معها الجنود والأفيال عليها الأساورة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ بالمدينة فقال : اليوم انتصف العرب من العجم ونُصروا ، وحفظ ذلك اليوم فإذا هو يوم الوقعة .

ولما تواقف الفريقان جاء قيس بن مسعود إلى هانيء وأشار عليه أن يفرّق سلاح النعمان على أصحابه ففعل ، واختلف هانيء بن مسعود وحنظلة بن ثعلبة بن سنان ، فأشار هانيء بركوب الفلاة وقطع حنظلة حزم الرجال وضرب على نفسه وآلى أن لا يفرّ . ثم استقوا الماء لنصف شهر ، واقتتلوا وهرب العجم من العطش واتبعهم بكر وعجل ، فاصطف العجم وقاتلوا وصبروا وراسلت إياد بكر بن وائل إنّا نفرّ عند اللقاء فصحبوهم ، واشتدّ القتال وقطعوا الآمال حتى سقطت الرجال إلى الأرض ثم حملوا عليهم ، واعترضهم يزيد بن حمّاد السكوني في قومه كان كميناً أمامهم فشدّوا على إياس بن قبيصة ومن معه من العرب فولّت إياد منهزمة ، وانهزمت الفرس وجاوزوا الماء في حرّ الظهيرة في يوم قائظ فهلكوا أجمعين قتلاً وعطشاً . وأقام إياس في ولاية الحيرة مكان النعمان ومعه الهَمْرَجَان من مرازبة فارس تسع سنين ، وفي الثامنة منها كانت البعثة وولي بعده على الحيرة آخر من المرازبة إسمه زَاذَوَيْه بن ماهان الهمذاني سبع عشرة سنة إلى أيام بوران بنت كسرى . ثم ولي المنذر بن النعمان بن المنذر وتسميه العرب الغرور الذي قتل بالبحرين يوم أجْداث .

ولما زحف المسلمون إلى العراق ونزل خالد بن الوليد الحيرة حاصرهم بقصورها فلما أشرفوا على الهَلَكَة خرج إليهم إياس بن قبيصة في أشراف أهل الحيرة وأتقى من خالد والمسلمين بالجزية ، فقبلوا منه وصالحهم على مائة وستين ألف درهم ، وكتب لهم

خالد بالعهد والأمان وكانت أوّل جزية بالعراق . وكان فيهم هانيء بن قبيصة أخو إياس بن قبيصة بالقصر الأبيض ، وعديّ بن عديّ العبادي ابن عبد القيس ، وزيد بن عديّ بقصر العدسيّين ، وأهل نصر بن عَدَسٍ من قصور الحيرة وهو بنو عَوان بن عبد المسيح بن كلب بن وَبْرَة وأهل قصر بني بُقَيلة لأنه خرج على قومه في بُرْدين أخضرين فقالوا : يا حارث ما أنت إلا بُقيلةٌ خضراء وعبد المسيح هذا هو المُعمَّر وهو الذي بعثه كسرى أبرويز إلى سطيح في شأن رؤيا المرزبان .

ولما صالح إياس بن قبيصة المسلمين وعقد لهم الجزية سخطت عليه الأكاسرة وعزلوه ، فكان ملكه تسع سنين ولسنة منها وثمانية أشهر كانت البعوث ، ووليَ حينئذ الخلافة عمر بن الخطّاب وعقد لسعد بن أبي وقّاص على حرب فارس ، فكان من أوّل عمل يزدجرد أن أمر مرزبان الحيرة أن يبعث قابوس بن قابوس بن المنذر وأغراه بالعرب ووعده بملك آبائه ، وقال له : ادع العرب وأنت على من أجابك منهم كما كان آباؤك ، فنهض قابوس إلى القادسية ونزلها وكاتب بكر بن وائل بمثل ما كان للنعمان فكاتبهم مقاربة ووعداً ، وانتهى الخبر الى المُثنّى بن حارثة الشيباني عقب مهلك أخيه المثنى وقبل وصول سعد ، فأسرى من ذي قار وبيت قابوس بالقادسية ففض جمعه وقتله ، وكان آخر من بقي من ملوك آل نصر بن ربيعة وانقرض أمرهم مع زوال ملك فارس . أهـ كلام الطبري وما نقله عن هشام بن الكلبي .

وقد كان المغيرة بن شعبة تزوج هنداً بنت النعمان ، وسعد بن أبي وقاص تزوّج صَدَقَة بنت النُعمان ، وخبرهما معروف ذكره المسعودي وغيره . وعدّة ملوك آل نصر عند هشام بن الكلبي عشرون ملكاً ومدّتهم خمسمائة وعشرون سنة ، وعند المسعودي ثلاث وعشرون ملكاً ومدّتهم ستمائة وعشرون سنة . قال : وقد قيل إنّ مدّة عمران الحيرة إلى أن خربت عند بناء الكوفة خمسمائة سنة ، قال : ولم يزل عمرانها يتناقص إلى أيام المعتضد ثم أقفرت . وفيما نقله بعض الإخباريّين أنّ خالد بن الوليد قال لعبد المسيح : أخبرني بما رأيت من الأيام ؟ قال : نعم . قال : رأيت المرأة من الحيرة تضع مكتلها على رأسها ثم تخرج حتى تأتي الشام في قرى متصلة وبساتين ملتفة وقد أصبحت اليوم خراباً والله يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين .

هذا ترتيب الملوك من ولد نصر بن ربيعة بن كعب بن عمرو بن عديّ الأوّل منهم وهو الترتيب الذي ذكره الطبري عن ابن الكلبي وغيره ، وبين الناس فيه خلاف في

ترتيب ملوكهم ، بعد اتفاقهم على أنّ الذي ملك بعد عمرو بن عديّ ابنه امرؤ القيس ثم ابنه عمرو بن امرىء القيس وهو الثالث منهم . قال علي بن عبد العزيز الجرجاني في أنسابه بعد ذكر عمرو هذا : ثم ثار أوْس بن قلام العِمْلَقي وملك فثار به جحجبُ بن عتيك اللَخْميّ فقتله وملك ، ثم ملك من بعده امرؤ القيس البدء بن عمرو الثالث ، ثم ملك من بعده ابنه النعمان الأكبر ابن امرىء القيس بن الشقيقة وهو الذي ترك الملك وساح ، ثم ملك من بعده ابنه المنذر ، ثم ابنه الأسود بن المنذر ، ثم أخوه المنذر بن المنذر ، ثم النُعمان بن الأسود بن المنذر ، ثم أبو يعفر بن علقمة بن مالك بن عديّ بن الذميل بن ثور بن أسنش بن زبى بن نمارة بن لخم ، ثم ملك من بعده امرؤ القيس بن النعمان الاكبر ، ثم ابنه امرؤ القيس ، ثم كان أمر الحرث بن عديّ الكنديّ حتى تصالحها وتزوّج المنذر بنته هنداً فولدت له عمراً ، ثم ملك بعد المنذر عمرو بن هند ، ثم قابوس بن المنذر أخوه ، ثم المنذر بن المنذر أخوه الآخر ، ثم ابنه النُعمان بن المنذر . هكذا نسبه الجرجاني وهو موافق لترتيب الطبريّ إلاّ في الحرث بن عمرو الكندي فانّ الطبري جعله بعد النعمان الاكبر بن امرىء القيس وابنه المنذر ، والجرجاني جعله بعد المنذر بن امرىء القيس بن النعمان وبين هذا المنذر والمنذر بن النعمان الأكبر خمسة من ملوكهم فيهم أبو يعفر بن الذميل ، فالله أعلم بالصحيح من ذلك .

وأمّا المسعودي فخالف ترتيبهم فقال : بعد النعمان الأكبر ابن امرىء القيس وسمّاه قائد الفرس ملك خمسا وستين سنة ، ثم ملك إبنه المنذر خمساً وعشرين سنة وهذا مثل ترتيب الطبريّ والجرجاني . ثم خالفها وقال : وملك النعمان بن المنذر الحيرة وهو الذي بنى الخورنق خمسا وثلاثين سنة ، وملك الأسود بن النعمان عشرين سنة ، وملك إبنه المنذر أربعين سنة وأمّه ماء السماء من النَمِر بن قاسط من ربيعة وبها عرف ، وملك ابنه عمرو بن المنذر أربعاً وعشرين سنة ، ثم ملك بعده أخوه النعمان وأمه مامة وقتله كسرى وهو آخرهم . هكذا ساق المسعودي نسق ملوكهم ونسبهم وهو مخالف لما ذكره الطبريّ والجرجاني .

وقال السُهيلي : كان للمنذر بن ماء السماء من الولد المُمَلّكين عمرو والنعمان وكان عمرو لهند بنت الحرث آكل المِرار قال : وكان عمرو هذا من أعاظم ملوك الحيرة ويعرف بمُحْرِق لأنه حرق مدينة المُلْهِم عند اليمامة ، وكان يملك من قبل كِسْرَى

أنوشروان ، ومن بعده ملك أخوه النعمان بن المنذر وأمه مامة وقتله كسرى ابرويز بن هرمز بن أنوشروان لموجدة وجدها بسعاية زيد بن عديّ بن زيد العباديّ ، وساق قصة مقتله وولاية إياس بن قبيصة الطائي من بعده وما وقع بعد ذلك من حرب ذي قار وغلب العرب فيها على العجم إلى آخرها . فالله أعلم بالصحيح في ترتيب ملوكهم.

وقال ابن سعيد : أوّل حديثهم في الملك أنّ بني نمارة كانوا جنداً للعمالقة بأطراف الشام والجزيرة وكانوا مع الزبّاء ، ولما قتلت جذيمة قام عمرو بن عديّ منهم بثاره ، وكان ابن أخته حتى أدركه وقتلها وبنى الحيرة على فرع من الفرات في أرض العراق .

وقال صاحب تواريخ الأمم : ملك مائة وثمانية وعشرين سنة أيام ملوك الطوائف ، وبعده امرؤ القيس بن عمرو ، ولما مات ولّى أردشير بن سابور على الحيرة أوس بن قلام من العمالقة ، ثم كان ملك الحيرة فوليها امرؤ القيس بن عمرو بن امرىء القيس المعروف بمُحرِق قال وهو المذكور في قصيدة الأسود بن يعفر التي على رَويّ الدال .

وبعده ابنه النعمان بن شقيقة وهي من بني شيبان وجعل معه كسرى والياً للفرس وهو باني الخورنق والسرير على مياه الفرات ، وملك إلى أن ساح وتزهّد ثلاثين سنة ، وذكره عديّ بن زيد في شعره . وملك بعده إبنه المنذر وهو الذي سعى لبهرام جور في الملك حتى تم له وملك أربعا وأربعين سنة ، وملك بعده إبنه الأسود ، ثم أخوه المنذر بن المنذر ثم النعمان بن الأسود وغضب عليه كِسرَى وولىً مكانه الذميل بن لخم من غير بيت الملك ، ثم عاد الملك إليهم فَوليَ امرؤ القيس بن النعمان الأكبر وهو ابن الشقيقة وهو الذي غزا بكر بن وائل ، وملك بعده إبنه المنذر بن ماء السماء وهي أمّه أخت كليب سيد وائل وطالبه قبّاذ باتباع مَزْدَك على الزندقة فأبى ، وولّى مكانه الحرث بن عمرو ابن حِجْر الكندي ، ثم ردّه أنوشروان إلى ملك الحيرة وقتله الحرث الأعرج الغسّاني يوم حليمة كما يأتي . وملك بعده ابنه عمرو بن هند وهي [1] مامة عمة امرىء القيس بن حجر المعروف بِمُضْرِط الحجارة لشدّة بأسه ، وهو مُحرِقٌ الثاني حرق بني دَارِم من تميم لأنهم قتلوا أخاه وحلف لِيَحْرِقَنّ منهم مائة فحرقهم وملك ستة عشرة سنة أيام أنوشروان ، فتك به في رواق بين الحيرة والفرات عمرو بن كلثوم سيد تغلب ونهبوا حياءه [2] . وملك بعده أخوه قابوس بن هند وكان أعرج وقتله بعض بني يشكر فولّى

---

(١) يعني أن أمه مامة وقد مرّ ذكره من قبل .

(٢) بمعنى النبات .

أنوشروان على الحيرة بعض مرازبة الفرس فلم تستقم له طاعة العرب ، فولّى عليهم المنذر بن المنذر بن ماء السماء فخرج إلى جهة الشام طالباً ثأر أبيه من الحرث الأعرج الغسَّاني فقتله الحرث أيضاً يوم أباغ . وملك بعده إبنه النعمان بن المنذر وكان ذميماً أشقر أبرش ، وهو أشهر ملوك الحيرة وعليه كثرت وفود العرب وطلبه بثأر أبيه ، وحرد من بني جَفْنة حتى أسر خلقاً كثيراً من أشرافهم ، وحمله عديّ بن زيد على أن تنصّر وترك دين آبائه ، وحبس عديًّا فشفع كسرى فيه بسعاية أخ له كان عنده فقتله النُعمان في محبسه ، ثم نشأ ابنه زيد بن عدي وصار ترجماناً لكسرى ، فأغراه بالنعمان وحضر مع كسرى أبرويز في وقعة بين الفرس والروم وانهزمت الفرس ونجا النُعمان على فرسه التخوم بعد أن طلبه منه كسرى ينجو عليه فأعرض عنه ، ونزل له إياس بن قبيصة الطائي عن فرسه فنجا عليه ، ووفد عليه النعمان بعد ذلك فقتله وولّى على الحيرة إياس بن قبيصة ، فلم تستقم له طاعة العرب وغضبوا لقتل النعمان ، وكان لهم على الفرس يوم ذي قار سنة ثلاث من البعثة ، ومات إياس وصارت الفرس يولّون على الحيرة منهم إلى أن ملكها المسلمون .

وذكر البيهقي : أنّ دين بني نصر كان عبادة الأوثان ، وأوّل من تنصر منهم النعمان بن الشقيقة وقيل بل النعمان الأخير . وملّكت العرب بتلك الجهات ابنه المنذر فقتله جيش أبي بكر رضي الله عنه . وفي تواريخ الأمم أنّ جميع ملوك الحيرة من بني نصر وغيرهم خمسة وعشرون ملكاً في نحو ستمائة سنة والله أعلم ، وهذا الترتيب مساو لترتيب الطبري والجرجاني والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين .

المنذر بن النعمان بن المنذر بن المنذر بن امرىء القيس بن النعمان بن امرىء القيس بن عمرو بن امرىء القيس بن عمرو بن عدي ابن نصر بن ربيعة

النعمان الاسود — الحرث بن عمرو بن حجر الكندي — اياس بن قبيصة الطائي

المنذر بن المنذر — أبو يعفر بن علقمة الذميل

الأكبر

ج

ب

أوس بن قلام العمليقي

جحجب بن عتيك اللخمي

(هذه الشجرة على ما عند الطبري والجرجاني وابن سعيد

ملوك كندة

الخبر عن ملوك كندة من هذه الطبقة ومبدأ أمرهم وتصاريف أحوالهم

قال الطبري عن هشام بن محمد الكلبي : كان يخدم ملوك حِمْيَر أبناء الأشراف من حِمْيَر وغيرهم وكان ممن يخدم حسّان بن تبّع عمرو بن حجر سيد كِندة لوقته وأبوه حجر هو الذي تسمّيه العرب آكل المِرار وهو حجر بن عمرو بن معاوية بن الحرث الأصغر ابن معاوية بن الحرث الأكبر ابن معاوية بن كِندة ، وكان أخا حسّان بن تُبّع لأمّه ، فلما دوّخ حسّان بلاد العرب وسار في الحجاز وهمّ بالإنصراف ولّى على مَعَدّ بن عدنان كلّها أخا حجر بن عمرو هذا وهو آكل المِرار ، فدانوا له وسار فيهم أحسن سيرة ، ثم هلك وملك من بعده ابنه عمرو المقصور.

قال الطبريّ عن هشام : ولما سار حسّان إلى جَدِيس َ خلفه على بعض أمور ملكه في حِمْيَر ، فلما قتل حسّان ووليَ بعده أخوه عمرو بن تُبّع وكان ذا رأيٍ ونبلٍ ، فأراد أن يكرم عمرو بن حجر بما نقصه من ابن أخيه حسّان ، فزوّجه بنت أخيه حسّان بن تبع ، وتكلمت حِمْيَر في ذلك وكان عندهم من الأحداث التي ابتلوا بها أن يتزوّج في ذلك البيت أحد من العرب سواهم ، فولدت بنت حسّان لعمرو بن حجر الحرث بن عمرو. وملك بعد عمرو بن تبّع عبد كلال بن مثُوب أصغر أولاد حسّان ، واستهوت الجنّ منهم تُبّع بن حسّان فولوا عبد كلال مخافة أن يطمع في ملكهم أحد من بيت الملك ، فولي عبد كلال لِسُرُّوَرَحمة ، وكان على دين النصرانية الأولى وكان ذلك يسوء قومه ، ودعا إليه رجل من غسّان قدم عليه من الشام ، ووثب حمير بالغسّاني فقتلوه . ثم رجع تُبّع بن حسّان من استهواء الجنّ وهو أعلم الناس بنجم وأعقل من يعلم في زمانه وأكثرهم حديثاً عما كان ويكون ، فملك على حِمْيَر وهابته حِمْيَر والعرب ، وبعث بابن أخته الحرث بن عمرو بن حجر الكِندي في جيش عظيم إلى بلاد معدّ والحيرة وما والاها ، فسار إلى النعمان بن امرىء القيس بن الشقيقة فقاتله فقتل النعمان وعدّة من أهل بيته وهزم أصحابه ، وأفلت المنذر بن النعمان الأكبر وأمّه ماء السماء امرأة من النمر بن قاسط وذهب ملك آل النعمان وملك الحرث بن عمرو وما

وفي كتاب الأغاني قال : لما ملك قبّاذ ، وكان ضعيف الملك ، توثبت العرب على المنذر الأكبر ابن ماء السماء وهو ذو القرنين ابن النعمان بن الشقيقة فأخرجوه ، وإنّما سمّي ذا القرنين لذؤابتين كانتا له ، فخرج هاربا منهم حتى مات في إياد ، وترك إبنه المنذر الأصغر فيهم وكان أنكى ولده ، وجاؤا بالحرث بن عمرو بن حجر آكل المِرار فملّكوه على بكر وحشدوا له وقاتلوا معه ، وظهر على من قاتله من العرب . وأبى قبّاذ أن يمدّ المنذر بجيش فلّما رأى ذلك كتب إلى الحرث بن عمرو : إني في غير قومي وأنت أحق من ضمني وأنا متحوّل إليك فحوّله وزوّجه بنته هنداً .
وقال غير هشام بن محمد : ان الحرث بن عمرو لمّا وليَ على العرب بعد أبيه اشتدّت وطأته وعظم بأسه ونازع ملوك الحيرة وعليهم يومئذ المنذر بن امرىء القيس وبين لهم إذ وليَ كسرى قبّاذ بعد أبيه فيروز بن يزدجرد وكان زنديقاً على رأي ماني ، فدعا المنذر إلى رأيه فأبى عليه وأجابه الحرث بن عمرو فملّكه على العرب وأنزله بالحيرة ، ثم هلك قبّاذ ووليَ ابنه أنوشروان فردّ مُلْكَ الحيرة إلى المنذر ، وصالحه الحرث على أنّ له ما وراء نهر السواد فاقتسما مُلْكَ العرب . وفرّق الحرث ولده في معدّ فملك حجراً على بني أسد ، وشرحبيل على بني سعد والرباب ، وسلمة على بكر وتغلب ، ومعديكرب على قيس وكِنانة . ويقال : بل كان سَلَمة على حنظلة وتغلب ، وشرحبيل على سعد والرباب وبكر ، وكان قيس بن الحرث سيارة أي قوم نزل بهم فهو ملكهم . وفي كتاب الأغاني إنه ملّك ابنه شرحبيل على بكر بن وائل ، وحنظلة على بني أسد وطوائف من بني عمرو بن تميم والرباب وغلفا وهو معديكرب على قيس ، وسلمة بن الحرث على بني تغلب والنمر بن قاسط والنمر بن زيد مناة . أهـ كلام الأغاني .
فأمّا شرحبيل : فإنه فسد ما بينه وبين أخيه سلمة واقتتلوا بالكلاب ما بين البصرة والكوفة ، على سبع من اليمامة وعلى تغلب السفّاح وهو سلمة بن خالد بن كعب بن زهير بن تميم بن أسامة بن مالك بن بكر بن حبيب ، وسبق إلى الكلاب سفيان بن مجاشع بن دارم من أصحاب سلمة في تغلب مع إخوته لأمه . ثم ورد سلمة وأصحابه فاقتتلوا عامة يومهم ، وخذلت بنو حنظلة وعمرو بن تميم والرباب بكر بن وائل ، وانصرفت بنو سعد وأتباعها عن تغلب ، وصبر بنو بكر وتغلب ليس معهم غيرهم إلى الليل ، ونادى منادي سلمة في ذلك اليوم من يقتل شرحبيل ولقاتله مائة من الإبل ،

فقتل شرحبيل في ذلك اليوم قتله عصيم بن النعمان بن مالك بن غيّاث بن سعد بن زهير بن بكر بن حبيب التغلبي . وبلغ الخبر إلى أخيه معديكرب فاشتدّ جزعه وحزنه على أخيه وزاد ذلك حتى اعتراه منه وسواس هلك به ، وكان معتزلاً عن الحرث ومنع بنو سعد بن زيد مناة عيال شرحبيل وبعثوا بهم إلى قومهم ، فعل ذلك عوف بن شحنة بن الحرث بن عطارد بن عوف بن معد بن كعب . وأمّا سلمة ، فإنه فلج فمات .

وأمّا حجر بن الحرث : فلم يزل أميراً على بني أسد إلى أن بعث رسله في بعض الأيام لطلب الأتاوة من بني أسد فمنعوها وضربوا الرسل ، وكان حجر بتهامة فبلغهِ الخبر ، فسار إليهم في ربيعة وقيس وكِنانة فاستباحهم وقتل أشرافهم وسرواتهم وحبس عبيد ابنِ الأبرص في جمع منهم فاستعطفه بشعر بعث به إليه فسرّحه وأصحابه وأوفدهم ، فلما بلغوا إليه هجموا عليه ببيته فقتلوه وتولّى قتله علباء بن الحرث الكاهلي كان حِجْر قتل أباه ، وبلغ الخبر امرىء القيس فحلف أن لا يقرب لذة حتى يدرك بثأره من بني أسد ، وسار صريخاً إلى بني بكر وتغلب فنصروه وأقبل بهم فأجفل بنو أسد ، وسار إلى المنذر بن امرىء القيس ملك الحيرة وأوقع امرؤ القيس في كنانة فأثخن فيهم ، ثم سار في اتباع بني أسد إلى أن أعيا ولم يظفر منهم بشيء ورجعت عنه بكر وتغلب ، فسار إلى مؤثر الخير بن ذي جدَن من ملوك حِمْيَر صريخاً بنصره بخمسمائة رجل من حمير ويجمع من العرب سواهم ، وجمع المنذر لامرىء القيس ومن معه ، وأمدّه كسرى أنوشروان بجيش من الأساورة والتقوا فانهزم امرؤ القيس ، وفرّت حِمْيَر ومن كان معه ونجا بدمه وما زال يتنقل في القبائل والمنذر في طلبه وسار إلى قيصر صريخاً فأمدّه ، ثم سعى به الطَمّاح عند قيصر أنه يشبب ببنته ، فبعث إليه بِحُلّة مسمومة كان فيها هلاكه ودفن بأنقرة .

قال الجرجاني ولا يعلم لِكندة بعد هؤلاء ملوك اجتمع لهم أمرها وأطيع فيها سوى أنهم قد كان لهم رياسة ونباهة وفيهم سؤدد حتى كانت العرب تسميهم كِندة الملوك ، وكانت الرياسة يوم جَبْلَة على العساكر لهم ، فكان حسّان بن عمرو بن الجور على تميم ومعاوية بن شرحبيل بن حصن على بني عامر والجور هو معاوية بن حجر آكل المرار أخو الملك المقصور عمرو بن حجر . والله وارث الارض ومن عليها .

وفي كتاب الأغاني : أن امرىء القيس لما سار إلى الشام نزل على السموأل بن عاديا

بالأبْلَق بعد إيقاعه ببني كِنانة على أنهم بنو أسد وتفرّق عنه أصحابه كراهيةً لفعله ، واحتاج إلى الهرب فطلبه المنذر بن ماء السماء وبعث في طلبه جموعاً من إياد وبهرا وتنوخ وجيوشاً من الأساورة أمده بهم أنوشروان ، وخذلته حِمْيَر وتفرّقوا عنه فالتجأ إلى السموأل ومعه أدراع خمسة مسمّاة كانت لبني آكل المِرار يتوارثونها ، ومعه بنته هند وابن عمه يزيد بن الحرث بن معاوية بن الحرث ومال وسلاح كان بقي معه والربيع بن ضَبُع بن نِزارة ، وأشار عليه الربيع بمدح السموأل فمدحه ونزل به ، فضرب لابنته قبة وأنزل القوم في مجلس له براح ، فمكثوا ما شاء الله . وسأله امرؤ القيس أن يكتب له إن الحرث بن أبي شِمْر يوصله إلى قيصر ففعل واستصحب رجلا يدله على الطريق وأودع ابنته وماله وأدراعه السموأل ، وخلف إبن عمه يزيد بن الحرث مع ابنته هند ونزل الحرث بن ظالم غازياً على الأبْلقِ ، ويقال الحرث بن أبي شِمْر ويقال ابن المنذر ، وبعث الحرث بن ظالم إبنه يتصيّد ويهدّده بقتله فأبى من اخفار ذمته وقتل ابنه فضرب به المثل في الوفاء بذلك(١) .

وأمّا نسب السموأل فقال ابن خليفة عن محمد بن سالم البَيْكَنْدِيّ عن الطوسي عن ابن حبيب : إنه السَمَوْأَل بن عريض بن عاديا بن حيا ، ويقال إنّ الناس يدرجون عريضاً في النسب ونسبه عمرو بن شبَّة ولم يذكر عريضا ، وقال عبدالله بن سعد عن دارم بن عِقَال : من ولد السموأل بن عاديا بن رفاعة بن ثعلبة بن كعب بن عمرو ابن عامر مزيقيا وهذا عندي محال لأن الأعشى أدرك سريج بن السموأل وأدرك الإسلام ، وعمرو مزيقيا قديم لا يجوز أن يكون بينه وبين السموأل ثلاثة آباء ولا عشرة ، وقد قيل إنّ أمه من غسّان وكلهم قالوا هو صاحب الحصن المعروف بالأبلقِ بتيما المشهور بالزبّاء ، وقيل من ولد الكُوهن بن هارون ، وكان هذا الحصن لجدّه

---

(١) الواقع ان ابن السموأل هو الذي كان في رحلة صيد ، وعند عودته الى الحصن وجده محاصراً ، فالقى قائد الحملة القبض عليه ونادى والده السموأل ليرى ابنه ، واطلّ السموأل فرأى ابنه اسيرا والسيف فوق عنقه ، فهدد القائد السموأل بقتل ابنه اذا لم يسلم الأمانة ولكن السموأل ابى تسليم الأمانة وبذلك يقول الأعشى :

كن كالسموأل اذا طاف الهمام به ... في جحفل كهزيع الليل جرار
اذ سامه خطتي خسف فقال له : ... قل ما تشاء فإني سامع حار
فقال : غدر وثكل انت بينهما ... فاختر وما فيها حظ لمختار
فشك غير طويل ثم قال له : ... اقتل أسيرك اني مانع جاري

عاديا ، واحتفر فيه أروية عذبةً وتنزل به العرب فتصيبها وتمتار من حصنه وتقيم هنالك سوقاً اهـ كلام الأغاني .

وقال ابن سعيد : كِندة لَقَبٌ لثور بن عفير بن الحرث بن مُرّة بن أددَ بن يشجب بن عبيدالله بن زيد بن كهلان ، وبلادهم في شرقي اليمن ، ومدينة ملكهم دَمون ، وتوالى الملك منهم في بني معاوية بن عترة ، وكان التبابعة يصاهرونهم ويولونهم على بني معدّ ابن عدنان بالحجاز ، فأوّل من وليَ منهم حجر آكل المرار ابن عمرو بن معاوية الأكبر وولاهُ تُبّع بن كرِب الذي كسا الكعبة ، ووليَ بعده إبنه عمرو بن حجر ، ثم ابنه الحرث المقصور وهو الذي أبى أن يتزندق مع قبَّاذ ملك الفرس فقتل في بني كلب ونهب ماله ، وكان قد ولّى أولاده على بني معدّ فقتل أكثرهم ، وكان على بني أسد منهم حجر بن الحرث فجار عليهم فقتلوه ، وتجرّد للطلب بثأره ابنه امرؤ القيس ، وسار إلى قيصر فأغراه به الطماح الأسديّ . وقال : إنه يتغزّل ببنات الملوك فألبسه حُلَّة مسمومةً تقطع بها . وقال صاحب التواريخ ، إنّ الملك انتقل بعدهم إلى بني جبلة بن عديّ بن ربيعة بن معاوية الأكرمين ، واشتهر منهم قيس بن معديكرب بن جبلة ومنه الأعشى وابنته العمرّدة من مردة الإنس ولها في قتال المسلمين أخبار في الردة ، وأسلم أخوها الأشعث ثم ارتد بعد الوفاة واعتصم بالحبر ، ففتحه جيش أبي بكر رضي الله عنه وجيء به إليه أسيراً فمنّ عليه وزوّجه أخته وخرج من نسله بنو الأشعث المذكورون في الدولة الأموية .

ومن بطون كِندة السكون والسَكَاسِك ، وللسكاسك مجالات شرقي اليمن متميزة وهم معروفون بالسِحْر والكهانة ، ومنهم تَجِيبُ بطن كبير كان منهم بالأندلس بنو صُمَادِح وبنو ذي النون وبنو الأفطس من ملوك الطوائف . والله تعالى وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين لا ربّ غيره .

امرؤ القيس بن حجر — بن الحارث بن عمرو بن حجر بن عمرو بن معاوية بن الحارث الاصغر ابن معاوية بن الحارث الاكبر ابن معاوية بن كندة

قيس
سلمة
معد يكرب
شرحبيل

الخبر عن أبناء جفنة ملوك غسان بالشام من هذه الطبقة وأوليتهم ودولهم وكيف انساق الملك اليهم ممن قبلهم

أوّل مُلْك كان للعرب بالشام فيما علمناه للعمالقة ، ثم لبني إرَم بن سام ويعرفون بالأرمانيين . وقد ذكرنا خلاف الناس في العمالقة الذين كانوا بالشام هل هم من ولد عِمْليق بن لاوَذَ بن سام أو من ولد عماليق بن أليفاز بن عيصو ، وأنّ المشهور والمتعارف أنهم من عمليق بن لاوَذ . كان بنو إرَم يومئذ باديةً في نواحي الشام والعراق ، وقد ذكروا في التوراة ، وكان لهم مع ملوك الطوائف حروب كما تقدّمت الإشارة إلى ذلك كله من قبل ، وكان آخر هؤلاء العمالقة ملك السُمَيْدع بن هوثر وهو الذي قتله يوشع بن نون حين تغلب بنو إسرائيل على الشام ، وبقي في عَقبه ملك في بني الظرب بن حسّان من بني عامِلَة العماليق ، وكان آخرهم ملكا الزبّا بنت عمرو بن السُمَيْدع . وكانت قُضاعة مجاورين لهم في ديارهم بالجزيرة وغلبوا العمالقة لما فشل ريحهم . فلما هلكت الزبّا وانقرض أمر بني الظرب بن حسّان ، مَلَكَ أمْرَ العرب تنوخ من بطون قُضاعة ، وهم تنوخ بن مالك بن فَهْم بن تَيْم الله بن الأسود بن وَبْرَة بن تَغْلِب بن حُلوان بن عِمْران بن الحافِ بن قُضاعة ، وقد تقدّم ذكر نزولهم بالحيرة والأنبار ومحاورتهم للأرمانيين . فملك من تنوخ ثلاثة ملوك فيما ذكر المسعودي : النعمان بن عمرو ، ثم ابنه عمرو بن النعمان ، ثم أخوه الحوار بن عمرو ، وكانوا مملكين من قبل الروم . ثم تلاشى أمر تنوخ واضمحلّ وغلبت عليهم سُلَيْح من بطون قُضاعة ، ثم الضجاعِم منهم من ولد ضَجْعَم بن سعد بن سليح واسمه عمرو بن حُولان بن عِمْران بن الحافِ فتنصّروا وملّكتهم الروم على العرب وأقاموا على ذلك مدّة ، وكان نزولهم ببلاد مؤاب من أرض البلقاء . ويقال : إنّ الذي ولّى سليح على نواحي الشام هو قيصر طيطش بن قيصر ماهان .

قال ابن سعيد : كان لبني سليح دولتان في بني ضجعم وبني العبيد ، فأمّا بنو ضجعم فملكوا إلى أن جاءهم غسّان فسلبوهم ملكهم ، وكان آخرهم زياد بن الهَبُولة سار بمن أبقى السيف منهم إلى الحجاز فقتله والي الحجاز للتبابعة حجر آكل المرار . قال : ومن النسّابين من يطلق تنوخ على بني ضجعم ودوس الذين تنخوا بالبحرين أي أقاموا ، ثم

سار الضجاعم إلى بريّة الشام ودوس إلى بريّة العراق . قال : وأمّا بنو العبيد بن الأبرص بن عمرو بن أشجع بن سليح فتوارثوا الملك بالحضر الذي آثاره باقية في برية سنجار ، والمشهور منهم الضيزن بن معاوية بن العبيد المعروف عند الجرامقة بالساطِرون وقصّته مع سابور معروفة اهـ كلام ابن سعيد . ثم استحالت صبغة الرياسة عن العرب لحِمْيَر وصارت إلى كَهْلاَن إلى بلاد الحجاز ، ولما فصلت الأزد من اليمن كان نزولهم ببلاد عكّ ما بين زبيد وزُمَع فحاربوهم وقتلوا ملك عكّ قتله ثعلبة بن عمرو مزيقيا . قال بعض أهل اليمن ، عكّ بن عدنان بن عبدالله بن أدد . قال الدارقُطني : عكّ بن عبدالله بن عُدْثان بالثاء المثلثة وضم العين ولا خلاف أنه بنونين كما لم يختلف في دوس بن عدثان قبيلة من الأزد أنه بالثاء المثلثة . ثم نزلوا بالظَهران وقاتلوا جُرهُم بمكّة ، ثم افترقوا في البلاد فنزل بنو نصر بن الأزد الشراة وعُمان ونزل بنو ثعلبة بن عمرو مزيقيا بيثرب وأقام بنو حارثة بن عمر وبمرّ الظهران بمكّة وهم يقال لهم خزاعة .

وقال المسعودي : سار عمرو مزيقيا حتى اذا كان الشراة بمكّة أقام هنالك بنو نصر بن الأزد وعمران الكاهن ، وعديّ بن حارثة بن عمرو بالأزد حتى نزلوا بين بلاد الأشعريّين وعكّ على ماء يقال له غسّان بين واديين يقال لهما زَبيدٌ وزُمَعٌ فشربوا من ذلك الماء فسمّوا غسان ، وكانت بينهم وبين معدّ حروبٌ إلى أن ظفرت بهم معدّ فأخرجوهم إلى الشراة وهو جبل الأزد الذين هم به وهم على تخوم الشام ما بينه وبين الجبال مما يلي أعمال دمشق والأردن .

قال ابن الكلبي : ولد عمرو بن عامر مزيقيا جَفْنَةَ ومنه الملوك والحرث وهو مُحرِّق أوّل من عاقب بالنار ، وثعلبة وهو العنقا ، وحارثة وأبا حارثة ومالكاً وكعباً ووداعة وهو في همدان وعوفا ودهل وائل ودفع ذهل إلى نجران ومنه أسقفِ عبيدة وذهلاً وقيسا درج هؤلاء الثالثة وعمران بن عمرو فلم يشرب ابو حارثة ولا عمران ولا وائل ماء غسّان فليس يقال لهم غسّان . وبقي من أولاد مزيقيا ستة شربوا منه فهم غسّان وهم : جفنة وحارثة وثعلبة ومالك وكعب وعوف ، ويقال إنّ ثعلبة وعوفاً لم يشربا منه ، ولمّا نزلت غسّان الشام جاوروا الضجاعم وقومهم من سليح ورئيس غسّان يومئذ ثعلبة بن عمرو بن المجالد بن الحرث بن عمرو بن عديّ بن عمرو بن مازن بن الأزد ، ورئيس الضجاعم يومئذ داود اللثقُ بن هبولة بن عمرو بن عوف بن

ضجعم . وكانت الضجاعم هؤلاء ملوكاً على العرب عمالاً للروم كما قلناه ، يجمعون ممن نزل بساحتهم لقيصر ، فغلبتهم غسّان على ما بأيديهم من رياسة العرب لما كانت صِبْغَة رياستهم الحميرية قد استحالت وعادت إلى كهلان وبطونها وعرفت الرياسة منها باليمن قبل فصولهم ، وربّما كانوا أولى عدّة وقوّة ، وإنّما العزة للكاثر *

وكانت غسّان لأوّل نزولها بالشام طالبها ملوك الضجاعم بالاتاوة فمانعتهم غسّان فاقتتلوا فكانت الدائرة على غسّان ، وأقرّت بالصغار وأدت الأتاوة حتى نشأ جذع بن عمرو[1] بن المجالد بن الحرث بن عمرو بن المجالد بن الحرث بن عمرو بن عدي بن عمرو بن مازن بن الأزد ، ورجال سليح من ولد رئيسهم داود اللثق وهو سبطة بن المنذر بن داود ويقال بل قتلة . فالتقوا فغلبتهم غسّان وأقادتهم وتفرّدوا بملك الشام وذلك عند فساد كان بين الروم وفارس ، فخاف ملك الروم أن يعينوا عليه فارساً ، فكتب إليهم واستدناهم ورئيسهم يومئذ ثعلبة بن عمرو أخو جذع بن عمرو ، وكتبوا بينهم الكتاب على أنه إن دهمهم أمر من العرب أمدّهم بأربعين ألفاً من الروم وإن دهمه أمر أمدته غسّان بعشرين ألفاً ، وثبت ملكهم على ذلك وتوارثوه . أوّل من ملك منهم ثعلبة بن عمرو فلم يزل ملكها إلى أن هلك ووليَ مكانه منهم ثعلبة بن عمرو مزيقيا .

قال الجرجاني : وبعد ثعلبة ين عمرو إبنه الحرث بن ثعلبة يقال إنّه ابن مارية ، ثم بعده إبنه المنذر بن الحرث ، ثم إبنه النعمان بن المنذر بن الحرث ، ثم أبو بشر بن الحرث بن جَبْلَة بن الحرث بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة ، هكذا نسبه بعض النسّاب ، والصحيح أنه إبن عوف بن الحرث بن عوف بن عمرو بن عديّ بن عمرو بن مازن ، ثم الحرث الاعرج ابن أبي شمر ، ثم عمرو بن الحرث الاعرج ، ثم المنذر بن الحرث الأعرج ، ثم الأيهم بن جبلة بن الحرث بن جبلة بن الحرث بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة ، ثم ابنه جبله .

وقال المسعودي : أوّل من ملك منهم الحرث بن عمرو مزيقيا ، ثم بعده الحرث بن ثعلبة بن جفنة وهو ابن مارية ذات القِرْطين ، وبعده النعمان بن الحرث بن جفنة بن الحرث ، ثم أبو شمر بن الحارث بن ثعلبة بن جفنة بن الحارث ، ثم ملك بعده أخوه المنذر بن الحارث ، ثم أخوه جبلة بن الحارث ، ثم بعده عوف بن أبي شمر ، ثم

(١) انظر مجمع الامثال في قوله خذ من جذع ما أعطاك اهـ .

بعده الحارث بن أبي شمر وعلى عهده كانت البعثة وكتب له النبي صلى الله عليه وسلم فيمن كتب إليه من ملوك تهامة والحجاز واليمن وبعث إليه شجاع بن وهب الأسدي يدعوه إلى الإسلام ويرغبه في الدين كذا عند ابن اسحق . وكان النعمان بن المنذر على عهد الحارث بن أبي شمر هذا وكانا يتنازعان في الرياسة ومذاهب المدح ، وكانت شعراء العرب تفد عليهما مثل الأعشى وحسّان بن ثابت وغيرهما .

(ومن شعر حسّان) رضي الله تعالى عنه في مدح أبناء جفنة :

لله دَرُّ عِصابــــــة نــــــا دَمْتُهم يومـــــاً بجلَّقَ في الزمـــانِ الأوَّلِ
أولادُ جفنــــــة حول قبر أبيهم قَبر ابن مــاريــة الكريمِ المُفضلِ
يغشون حتى مــــــا تَهِرّ كِلابُهُم لا يسألون عن السوادِ المُقبـــــلِ

ثم ملك بعد الحارث بن أبي شمرا إبنه النعمان ، ثم ملك بعده جبلة بن الأيهم بن جبلة ، وجبلة جدّه هو الذي ملك بعد أخويه شمر والمنذر .

وقال ابن سعيد : أوّل من ملك من غسّان بالشام وأذهب ملك الضجاعم جفنةُ بن مزيقيا . ونقل عن صاحب تواريخ الأمم : لما ملك جفنة بنى جلّق وهي دمشق وملك خمساً وأربعين سنة ، واتصل الملك في بنيه إلى أن كان منهم الحارث الأعرج ابن أبي شمر وأمه مارية ذات القِرطين من بني جفنة بنت الهانيء المذكورة في شعر حسّان بأرض البلقاء ومعان . قال ابن قتيبة : وهو الذي سار إليه المنذر بن ماء السماء من ملوك الحيرة في مائة ألف ، فبعث إليه الحارث مائة من قبائل العرب فيهم لبيد الشاعر وهو غلام ، فأظهروا أنهم رسل في الصلح حتى اذا أحاطوا برواق المنذر فتكوا به وقتلوا جميع من كان معه في الرواق وركبوا خيولهم ، فمنهم من نجا ومنهم من قتل . وحملت غسّان على عسكر المنذر وقد اختطوا فهزموهم ، وكانت حليمة بنت الحارث تحرّض الناس وهم منهزمون على القتال فسمي يوم حليمة[1] ، ويقال إنّ النجوم ظهرت فيه بالنهار من كثرة العجاج . ثم توالى الملك في ولد الحارث الأعرج إلى أن ملك منهم جفنة بن المنذر بن الحارث الأعرج وهو مُحرِق لأنه حرق الحيرة دار ملك آل النعمان ، وكان جوّالاً في الآفاق وملك ثلاثين سنة . ثم كان ثالثه في الملك النعمان

(١) جاء في «أيام العرب» ان غسان أوشكت على الهزيمة فخرجت حليمة بالعطر على الجنود واخذت ترشهم به وتحرضهم على قتل المنذر ، وتعد القاتل بانها ستتزوجه فبعث ذلك الحماسة في القلوب ، واندفعت غسان في القتال حتى تغلبت على المناذرة .

بن عمرو بن المنذر الذي بنى قصر السويدا وقصر حارث عند صيدا وهو مذكور في شعر النابغة[١] ولم يكن أبوه ملكا وإنما كان يغزو بالجيوش[٢]، ثم ملك جبلة بن النعمان وكان منزله بصفّين وهو صاحب عين أباغ يوم كانت له الهزيمة فيه على المنذر بن المنذر ابن ماء السماء وقتل المنذر في ذلك اليوم ، ثم اتصل الملك في تسعة منهم بعده وكان العاشر أبو كَرِب النعمان بن الحارث الذي رثاه النابغة وكان منزله بالجولان من جهة دمشق ، ثم ملك الأيهم بن جبلة بن الحارث وكان له رأي في الإفساد بين القبائل حتى أفنى بعضهم بعضا فعل ذلك ببني جِسرٍ وعاملة وغيرهم وكان منزله بتدمر وملك بعده منهم خمسة ، فكان السادس منهم إبنه جبلة بن الأيْهم وهو آخر ملوكهم أهـ . كلام ابن سعيد .

واستفحل ملك جَبَلة هذا وجاء الله بالإسلام وهو على ملكه ، ولما افتتح المسلمون الشام أسلم جبلة وهاجر إلى المدينة ، واستشرف أهل المدينة لمقدمه حتى تطاول النساء من خدورهنّ لرؤيته لكرم وفادته ، وأحسن عمر رضي الله عنه نزله وأكرم وفادته وأجلّه بأرفع رتب المهاجرين ، ثم غلب عليه الشقاء ولطم رجلاً من المسلمين من فزارة وطيء فضل إزاره وهو يسحبه في الأرض ، ونابذه إلى عمر رضي الله عنه في القصاص فأخذته العزّة بالإثم ، فقال له عُمَر رضي الله عنه : لا بدّ أن أقيده منك ، فقال له : اذن أرجع عن دينكم هذا الذي يقاد فيه للسوقة من الملوك ، فقال له عمر رضي الله عنه : اذن أضرب عنقك ، فقال أمهلني الليلة حتى أرى رأيي ، واحتمل رواحله وأسرى فتجاوز الدروب الى قيصر ولم يزل بالقسطنطينية حتى مات سنة عشرين من الهجرة . وفيما تذكره الثقات أنه ندم ولم يزل باكيا على فعلته تلك وكان فيما يقال يبعث بالجوائز الى حسان بن ثابت لما كان منه في مدح قومه ومدحه في الجاهلية . وعند ابن هشام أنّ شُجّاع بن وهب إنما بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جبلة .

قال المسعودي : جميع ملوك غسّان بالشام أحد عشر ملكاً وقال : إنّ النعمان والمنذر إخوة جبلة وأبي شمر وكلهم بنو الحارث بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة ملكوا كلهم .

---

(١) وفي أبيات النابغة وردت حارب لا حارث حيث يقول :

لئن كـــــان للقصرين : قصر بجلق　　وقصر بصيـداء الــذي عنـد حـارب

(٢) وفي نسخة ثانية : الجيش .

قال : وقد ملك الروم على الشام من غير آل جفنة مثل : الحارث الأعرج وهو أبو شمر بن عمرو بن الحارث بن عوف وعوف هذا جدّ ثعلبة بن عامر قاتل داود اللثق ، وملكوا عليهم أيضا أبا جبيلة بن عبدالله بن حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج بن ثعلبة بن مزيقيا وهو أبو جبيلة الذي استصرخه مالك بن العجلان على يهود يثرب حسبما نذكر بعد .

وقال ابن سعيد عن صاحب تواريخ الأمم : إنّ جميع ملوك بني جفنة إثنان وثلاثون ومدّتهم ستمائة سنة ، ولم يبق لغسّان بالشام قائمة ، وورث أرضهم بها قبيلة طيء .

قال ابن سعيد : وأمراؤهم بنو مِرا وأمّا الآن فأمراؤهم بنو مَهَنّا وهما معاً لربيعة بن عليّ ابن مفرّج بن بدر بن سالم بن عليّ بن سالم بن قصة بن بدر بن سميع . وقامت غسان بعد منصرفها من الشام بأرض القسطنطينية حتى انقرض ملك القياصرة ، فتجهزوا إلى جبل شَرْكَس ، وهو ما بين بحر طَبَرسْتَان وبحر نِيطِش الذي يمدّه خليج القسطنطينية ، وفي هذا الجبل باب الأبواب وفيه من شعوب الترك المتنصّرة الشركس وأركس واللاص وكسا ومعهم أخلاط من الفرس ويونان ، والشركس غالبون على جميعهم ، فانحازت قبائل غسّان إلى هذا الجبل عند انقراض القياصرة والروم وتحالفوا معهم واختلطوا بهم ودخلت أنساب بعضهم في بعض ، حتى ليزعم كثير من الشركس أنّهم من نسب غسّان . ولله حكمة بالغة في خلقه والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين لا انقضاء لملكه ولا ربّ غيره .

جبلة بن الأيهم بن جبلة —— بن الحرث بن جبلة —— بن الحرث بن ثعلبة —— بن عمرو بن جفنة بن عمرو بن مزيقيا

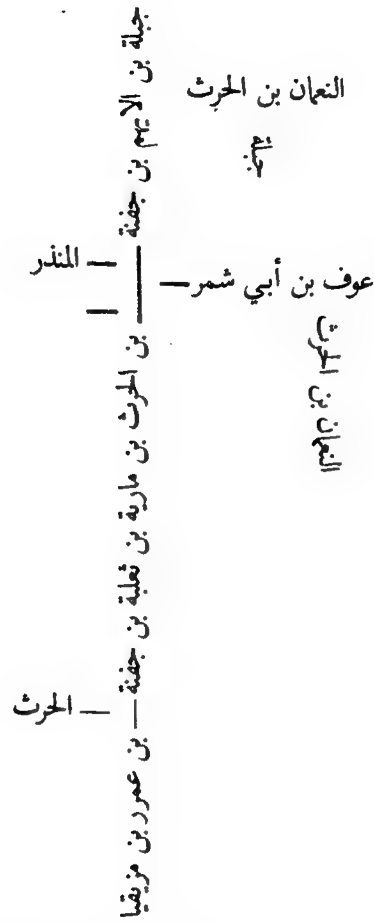
النعمان

المنذر بن الحرث بن أبـي شمر

بن مارية

أول من ولي منهم ثعلبة بن عمرو بن جفنة وهو أخو جذع بن عمرو ثعلبة بن عمرو بن المجالد بن الحرث بن عمرو بن عدي بن عمرو بن مازن بن الأزد

(هكذا ترتيب أنسابهم وترتيب ملوكهم عند الجرجاني)



هكذا أنسابهم وترتيبهم عند المسعودي رحمه الله

هكذا انسابهم وترتيبهم عند ابن سعد رحمه الله

جبلة بن الايهم بن جبلة بن الحارث بن النعمان بن عمرو بن المنذر بن الحارث بن أبي شمر بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة عمرو بن بن جفنة بن مزيقيا

سادس بعد الايهم

أبو كرب النعمان — ......

— قتل المنذر بن المنذر
يوم عين أباغ

جبلة —

جفنة —

جفنة الثالث —

الاعرج أمّه مارية ذات القرطين منهم وسار اليه المنذر بن
ماء السماء ولم يكن ملكا وانما كان قائدا فقتل يوم حليمة

الخبر عن الاوس والخزرج أبناء قيلة من هذه الطبقة ملوك يثرب دار الهجرة وذكر أوليتهم والالمام بشأن نصرتهم وكيف انقراض أمرهم

قد ذكرنا فيما تقدّم شأن يَثْرِب وأنها من بناء يثرب بن فانية بن مهلهل بن إرَم بن عُبَيْل ابن عوص وعبيل أخو عاد. وفيما ذكر السهيليّ: أن يثرب بن قائد بن عبيل بن مَهْلاييل بن عوص بن عمليق بن لاوذ بن إرَم، وهذا أصح وأوجه. وقد ذكرنا كيف صار أمر هؤلاء لاخوانهم جاسم من الأمم العمالقة وأن ملكهم كان يسمّى الأرْقَم وكيف تغلب بنو إسرائيل عليه وقتلوه وملكوا الحجاز دونه كله من أيدي العمالقة، ويظهر من ذلكَ أنّ الحجاز لعهدهم كان آهلاً بالعمران وجميع مياهه، يشهد بذلك أنّ داود عليه السلام لمّا خلع بنو إسرائيل طاعته وخرجوا عليه بابنه أشْبُوشِت فرّ مع سِبْط يهوذا إلى خَيْبَر وملك إبنه الشام وأقام هو وسبط يهوذا بخيبر سبع سنين في ملكه، حتى قتل إبنه وعاد إلى الشام. فيظهر من هذا أنّ عمرانه كان متصلاً بيثرب ويجاوزها إلى خيبر. وقد ذكرنا هنالك كيف أقام من بني إسرائيل من أقام بالحجاز وكيف تبعتهم يهود خيبر وبنو قُرَيْظَة.

قال المسعودي: وكانت الحجاز إذ ذاك أشْجَر بلاد الله وأكثرها ماءً فنزلوا بلاد يثرب واتخذوا بها الأموال وبنوا الآطام[1] والمنازل في كل موطن، وملّكوا أمر أنفسهم، وانضافت إليهم قبائل من العرب نزلوا معهم واتخذوا الأُطُمَ والبيوت وأمرهم راجع إلى ملوك المقدس من عَقِب سليمان عليه السلام. قال شاعر بني نعيف:

ولوْ نطقت يوماً قِباءُ لخَبَّرتْ بأنّا نزلنا قبل عادٍ وتُبَّعِ
وآطامُنَا عاديةٌ مشمخرّةٌ تَلوحُ فتنعى من يُعادي ويمنعِ

فلمّا خرج مزيقيا من اليمن وملك غسّان بالشام ثم هلك، وملك ابنه ثعلبة العَنْقَاء ثم هلك ثعلبة العنقاء، ووليَ أمرهم بعد ثعلبة عمرو ابن أخيه جفنة سخط مكانه ابنه حارثة فأجمع الرحلة إلى يثرب، وأقام بنو جفنة بن عمرو ومن انضاف إليهم بالشام، ونزل حارثة يثرب على يهود خيبر وسألهم الحلف والجوار على الأمان والمنعة فأعطوه من

(١) الآطام: ج أطم وهي القلعة.

ذلك ما سأل . قال ابن سعيد : وملك اليمن يومئذ شَرِيبُ بن كعب فكانوا باديةً لهم إلى أن انعكس الأمر بالكثرة والغلبة .

ومن كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني قال : بنو قُريظة وبنو النُضَير الكاهنان من وُلدِ الكوهن بن هرون عليه السلام ، كانوا بنواحي يثرب بعد موسى عليه السلام وقبل تفرّق الأزد من اليمن بسيلِ العَرِم ونزول الأوْسِ والخزرج يثرب وذلك بعد الفجّار .

ونقل ذلك عن عليّ بن سليمان الأخفش بسنده إلى العماري قال : ساكنوا المدينة العماليق وكانوا أهل عدوان وبغي ، وتفرّقوا في البلاد ، وكان بالمدينة منهم بنو نعيف وبنو سعد وبنو الأزرق وبنو نَظْرون ، وملك الحجاز منهم الأرقم ما بين تيما إلى فَدَك وكانوا ملوك المدينة ولهم بها نخل وزرع ، وكان موسى عليه السلام قد بعث الجنود إلى الجبابرة يغزونهم ، وبعث إلى العمالقة جيشاً من بني إسرائيل وأمرهم أن لا يستبقوا أحداً فأبقوا إبناً للأرقم ضنّوا به على القتل ، فلمّا رجعوا بعد وفاة موسى عليه السلام وأخبروا بني إسرائيل بشأنه فقالوا هذه معصية لا تدخلوا علينا الشام ، فرجعوا إلى بلاد العمالقة ونزلوا المدينة وكان هذا أوّلية سكنى اليهود بيثرب . وانتشروا في نواحيها واتخذوا بها الآطام والأموال والمزارع ولبثوا زماناً ، وظهر الروم على بني اسرائيل بالشام وقتلوهم وسبوا ، فخرج بنو النُضير وبنو قُريظة وبنو يهدل هاربين إلى الحجاز وتبعهم الروم فهلكوا عطشاً في المفازة بين الشام والحجاز . وسُمّي الموضع تمر الروم . ولما قدم هؤلاء الثلاثة المدينة نزلوا العالية فوجدوها وبِيَة(1) وارتادوا . ونزل بنو النضير مما يلي البَـهْـجَان ، وبنو قريظة وبنو يهْدَل على نهروَزّ . وكان ممن سكن المدينة من اليهود حين نزلها الأوس والخزرجُ بنو الشَقْمَةِ . وبنو ثعلبة وبنو زُرعة وبنو قينقاع وبنو يزيد وبنو النُضير وبنو قريظة وبنو يهدل وبنو عوف وبنو عَصَص ، وكان بنو يزيد من بَليّ وبنو نُعيف من بَليّ وبنو الشقمة من غسّان . وكان يقال لبني قريظة وبني النُضير الكاهنان كما مرّ . فلما كان سيل العرم وخرجت الأزد نزلت أزدشنوءة الشام بالسراة وخزاعة بِطُوِي ، ونزلت غسّان بُصْرى(2) وأرض الشام ، ونزلت أزد عُمان الطائف ، ونزلت الأوس والخزرج يثرب نزلوا في ضرار بعضهم بالضاحية وبعضهم بالقرى مع أهلها ، ولم يكونوا أهل نَعَمٍ وشاءٍ لأنّ المدينة كانت ليست بلاد مرعى ، ولا نخل

---

(1) اي وجدوها موبؤة ، نزل بها الوباء .
(2) وتعرف ببصرى الشام .

لهم ولا زرع إلا الأعذاق اليسيرة والمزرعة يستخرجها من الموات والأموال لليهود فلبثوا حيناً . ثم وفد مالك بن عجلان إلى أبي جُبيلة الغسّاني وهو يومئذ ملك غسّان فسأله فأخبره عن ضيق معاشهم ، فقال : ما بالكم لم تغلبوهم حين غلبنا أهل بلدنا ؟ ووعده أنه يسير إليهم فينصرهم ، فرجع مالك وأخبرهم أنّ الملك آبا جبيلة يزورهم فأعدوا له نُزُلاً فأقبل ونزل بذي حرض ، وبعث إلى الأوس والخزرج بقدومه ، وخشي أن يَتَحَصَّن منه اليهود في الآطام فاتخذ حائراً وبعث إليهم فجاؤه في خواصهم وحشمهم ، وأذن لهم في دخول الحائر وأمر جنوده فقتلوهم رجلا رجلا إلى أن أتوا عليهم ، وقال للأوس والخزرج : إن لم تغلبوا على البلاد بعد قتل هؤلاء فلأحرقنكّم ورجع الى الشام فأقاموا في عداوة مع اليهود . ثم أجمع مالك بن العجلان وصنع لهم طعاماً ودعاهم فامتنعوا لغدرة أبي جُبيلة ، فاعتذر لهم مالك عنها وأنه لا يقصد نحو ذلك فأجابوه وجاؤا إليه فغدرهم وقتل منهم سبعة وثمانين من رؤسائهم ، وفطن الباقون فرجعوا وصوّرت اليهود بالحجاز مالك بن العجلان في كنائسهم وبيعهم وكانوا يلعنونه كلما دخلوا . ولما قتلهم مالك ذلّوا وخافوا وتركوا مشي بعضهم إلى بعض في الفتنة كما كانوا يفعلون من قبل ، وكان كل قوم من اليهود قد لجأوا إلى بطن من الأوس والخزرج يستنصرون بهم ويكونون لهم أحلافاً اهـ كلام الأغاني .

وكان لحارثة بن ثعلبة ولدان أحدهما أوس والآخر خزرج ، وأمّهما قيلة بنت الأرقم بن عمرو بن جفنة وقيل بنت كاهن بن عذرة من قُضاعة ، فأقاموا كذلك زماناً حتى أثروا وامتنعوا في جانبهم وكثر نسلهم وشعوبهم ، فكان بنو الأوس كلهم لمالك بن الأوس منهم خطمة بن جشم بن مالك وثعلبة ولوذان وعوف كلهم بنو عمرو بن عوف بن مالك ، ومن بني عوف بن عمرو حنشٌ ومالك وكلفةُ كلهم بنو عوف ، ومن مالك بن عوف معاوية وزيد . فمن زيد عُبيد وضُبيعة وأُميَّةُ ومن كلفةُ بن عوف جحجباً بن كلفة ومن مالك بن الأوس أيضاً الحارث وكعب إبنا الخزرج بن عمرو ابن مالك ، فمن كعب بنو ظفر ومن الحارث بن الخزرج حارثة وجشم ، ومن جشم بنو عبد الأشهل ، ومن مالك بن الأوس أيضاً بنو سعد وبنو عامر ابنا مُرّة بن مالك فبنوا سعد الجعادرة ، ومن بني عامر عطيّة وأميّة ووائل كلهم بنو زيد بن قيس بن عامر ، ومن مالك بن الأوس أيضاً أسلمُ وواقف بنو امرىء القيس بن مالك فهذه بطون الأوس .

وأمّا الخزرج فخمسة بطون من كعب وعمرو وعوف وجشم والحارث ، فمن كعب بن الخزرج بنو ساعدة بن كعب ، ومن عمرو بن الخزرج بنو النجّار وهم تَيْم الله بن ثعلبة بن عمرو وهم شعوب كثيرة : بنو مالك وبنو عديّ وبنو مازن وبنو دينار كلهم بنو النجّار ، ومن مالك بن النجّار مَبْذُول وإسمه عامر وغانم وعمرو ، ومن عمرو عديّ ماوية ، ومن عوف بن الخزرج بنو سالم والقواقِل وهما عوف بن عمرو بن عوف . والقواقل ثعلبة ومُرضخة بنو قوقل بن عوف ، ومن سالم بن عوف بنو العجلان بن زيد بن عصم بن سالم وبنو سالم بن عوف ، ومن جشم بن الخزرج بنو غضب بن جشم وتزيد بن جشم ، فمن غضب بن جشم بنو بياضة وبنو زريق إبنا عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب ، ومن تزيد بن جشم بنو سلمة بن سعد بن علي بن راشد بن ساردة بن تزيد ، ومن الحارث بن الخزرج بنو خدرة وبنو حرام إبنا عوف بن الحارث بن الخزرج . فهذه بطون الخزرج .

فلما انتشر بيثرب هذان الحيّان من الأوس والخزرج وكثروا يهود ، خافوهم على أنفسهم ، فنقضوا الحلف الذي عقدوه لهم وكان العزّة يومئذ بيثرب لليهود ، قال قيس بن الحطيم :

كنّــــا إذا رابنـــا قومٌ بمظلمـــةٍ　　شدَّت لنا الكاهنان الخيل واعتزموا
بنو الرهون وواسونـــا بـــأنفسهم　　بنو الصريخ فقد عفّوا وقد كرموا

ثم نتج فيهم بعد حين مالك بن العجلان وقد ذكر نسب العجلان ، فعظم شأن مالك وسوّده الحيّان ، فلما نقض يهود الحلف واقعهم وأصاب منهم ولحق بأبي جُبيلة ملك غسّان بالشام وقيل بعث إليه الرنقُ بن زيد بن امرىء القيس فقدم عليه فأنشده :

أقسمتُ أُطعِمُ منَ رِزْقٍ قطرةً　　حتى تكثّر للنجـــاة رحيـــلُ
حتى ألاقي معشراً أنّى لهم　　خِـــلٌ ومـــالهم لنـــا مبـــذولُ
أرضٌ لنـــا تُـــدعى قبـــائل سالمٍ　　ويجيبُ فيهـــا مـــالكُ وسلولُ
قومٌ أولو عِزٍ وعزّةُ غيرهم　　إنّ الغريبَ ولو يَعَزُّ ذليـــــلُ

فأعجبه وخرج في نصرتهم . وأبو جبيلة هو ابن عبدالله بن حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج ، كان حبيب بن عبد حارثة وأخوه غانم إبنا الجشمي ساروا مع غسّان إلى الشام وفارقوا الخزرج . ولما خرج أبو جُبيلة إلى يثرب

لنصرة الأوس والخزرج لقيه أبناء قيلة وأخبروه أنّ يهود علموا بقصده فتحصّنوا في آطامهم فورى[1] عن قصده باليمن ، وخرجوا إليه فدعاهم إلى صنيع أعده لرؤسائهم ثم استلحمهم ، فعزت الأوس والخزرج من يومئذ وتفرّقوا في عالية يثرب وسافلتها يتبوّءون منها حيث شاؤا ، وملكت أمرها على يهود ، فذلت اليهود وقلّ عددهم وعلت قدم أبناء قيلة عليهم ، فلم يكن لهم امتناع إلاّ بحصونهم وتفرّقهم أحزاباً على الحيّين إذا اشتجرا .

وفي كتاب ابن اسحق : إنّ تبعا أباكَرِب غزا المشرق فمرّ بالمدينة وخلف بين أظهرهم إبناً له فقتل غيلة ، فلما رجع أجمع على تخريبها واستئصال أهلها ، فجمع له هذا الحي من الأنصار ورئيسهم عمرو بن ظلّة ،وظلة أمّه وأبوه معاوية بن عمرو . قال ابن اسحق : وقد كان رجل من بني عديّ بن النجّار ويقال له أحمر نزل بهم تُبّع ، وقال : إنّما التمر لمن أبره . فزاد ذلك تُبّعاً حنقا عليهم فاقتتلوا . وقال ابن قتيبة في هذه الحكاية إنّ الذي عدا على التُبّعي هو مالك بن العجلان ، وأنكره السهيليّ ، وفرّق بين القصتين بأنّ عمرو بن ظلة كان لعهد تُبّع ومالك بن العجلان لعهد أبي جُبيلة واستبعد ما بين الزمانين . ولم يزل هذان الحيّان قد غلبوا اليهود على يثرب . وكان الاعتزاز والمنعة تعرف لهم في ذلك ، ويدخل في حلفهم من جاورهم من قبائل مُضَر وكانت قد تكون بينهم في الحيّين فِتَنٌ وحروبٌ ويستصرخ كل بمن دخل في حلفه من العرب ويهود .

قال ابن سعيد : ورحل عمرو بن الإطنابةِ من الخزرج إلى النعمان بن المنذر ملك الحيرة فملكه على الحيرة ، واتصلت الرياسة في الخزرج والحرب بينهم وبين الأوس ، ومن أشهر الوقائع التي كانت بينهم يوم بُعاث قبل المبعثِ ، كان على الخزرج فيه عمرو بن النعمان بن صلاة بن عمرو بن أمية بن عامر بن بياضة ، وكان على الأوس يومئذ حضيرُ الكتائب ابن سماك بن عتيك بن امرىء القيس بن زيد بن عبد الأشهل . وكان حلفاء الخزرج يومئذ أشجّ من غطفان وجهينة من قضاعة ، وحلفاء الأوس مزينة من أحياء طلحة بن إياس وقريظة والنُضير من يهود ، وكان الغلب صدر النهار للخزرج ثم نزل حضيرُ وحلف لا أركب أو أقتل ، فتراجعت الأوس وحلفاؤها وانهزم الخزرج ، وقتل عمرو بن النعمان رئيسهم . وكان آخر الأيام بينهم ،

(١) أي أخفى قصده .

وصبحهم الإسلام وقد سئموا الحرب وكرهوا الفتنة ، فأجمعوا على أن يتوّجوا عبدالله ابن أبي بن سلول . ثم اجتمع أهل العقبة منهم بالنبي صلى الله عليه وسلم بمكة ودعاهم إلى نصرة الإسلام ، فجاؤا إلى قومهم بالخبر كما نذكر وأجابوا واجتمعوا على نصرته ، ورئيس الخزرج سعد بن عبادة والأوس سعد بن معاذ . قالت عائشة : كان يوم بُعاث يوما قدّمه الله لرسوله ، ولما بلغهم خبر مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بمكّة وما جاء به من الدين وكيف أعرض قومه عنه وكذّبوه وآذوه وكان بينهم وبين قريش إخاء قديم وصِهْر ، فبعث أبو قيس بن الأسلت من بني مُرّة بن مالك بن الأوس ثم من بني وائل منهم وإسمه صيفي بن عامر بن شحم بن وائل وكان يحبهم لمكان صهره فيهم ، فكتب إليهم قصيدة يعظّم لهم فيها الحرمة ويذكر فضلهم وحلمهم وينهاهم عن الحرب ، ويأمرهم بالكفّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويذكّرهم بما رفع الله عنهم من أمر الفيل وأوّلها :

أيـــا راكبـاً إمّـــا عرضت فبلغن مقـــالـــة أوسيّ لؤيّ بـن غـــالـب

تناهز خمساً وثلاثين بيتاً ذكرها ابن اسحق في كتاب السير ، فكان ذلك أوّل ما ألقح بينهم من الخير والإيمان .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما يئس من إسلام قومه يعرض نفسه على وفود العرب وحجاجهم أيّام الموسم أن يقوموا بدين الإسلام وبنصره حتى يبلغ ما جاء به من عند الله وقريش يصدّونهم عنه ويرمونه بالجنون والشِعْر والسِحْر كما نطق به القرآن ، وبينما هو في بعض المواسم عند العقبة لقي رهطاً من الخزرج ست نفر إثنان من بني غانم بن مالك وهما : أسعد بن زرارة بن عديّ بن عبيدالله بن ثعلبة بن غانم ابن عوف بن الحرث بن رفاعة بن سواد بن مالك بن غانم وهو ابن عفراء ، ومن بني زريق بن عامر : رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق ، ومن بني غانم بن كعب بن سلمة بن سعد بن عبدالله بن عمرو بن الحرث بن ثعلبة بن الحرث ابن حرام بن كعب بن غانم كعب بن رئاب بن غانم وقطبة بن عامر بن حديدة بن عمرو بن غانم بن سواد بن غانم وعقبة بن عامر بن نابي بن زيد بن حرام بن كعب ابن غانم . فلما لقيهم قال لهم : من أنتم ؟ قالوا : نفر من الخزرج ! قال : أمِن مَوَالي يهود ؟ قالوا : نعم ! فقال : ألا تجلسون أكلمكم ؟ فجلسوا معه فدعاهم إلى الله وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن ، فقال بعضهم لبعض : تعلموا والله إنه

النبي الذي تعدكم يهوديه فلا يَسبُقَنَّكُم إليه ، فأجابوه فيما دعاهم وصدّقوه وآمنوا به وأرجأوا الأمر في نصرته إلى لقاء قومهم ، وقدموا المدينة فذكروا لقومهم شأن النبيّ صلى الله عليه وسلم ودعوهم إلى الإسلام ففشا فيهم فلم تبقِ دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم وافى الموسم في العام المقبل إثنا عشر منهم فوافوه بالعقبة وهي العقبة الأولى ، وهم : أسعد بن زرارة ، وعوف بن الحرث وأخوه معاذ إبنا عَفْرَاء ، ورافع بن مالك ابن العجلان ، وعُقبة بن عامر من الستة الأولى ، وستة آخرون منهم من بني غانم بن عوف من القواقل : منهم عبادةُ بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فِهْر بن ثعلبة بن غانم ، ومن بني زريق ذكوان بن عبد القيس بن خلدة بن مُخلد بن عامر بن زريق والعبّاس بن عبادة بن نضلة بن مالك بن العجلان ، هؤلاء التسعة من الخزرج وأبو عبد الرحمن بن زيد بن ثعلبة بن خزيمة بن أصرم بن عمرو بن عمارة من بني عصيَّة من بَليّ إحدى بطون قُضاعة حليف لهم ، ومن الأوس رجلان الهيثم بن التيهان وإسمه مالك بن التيهان بن مالك بن عتيك بن امرىء القيس بن زيد بن عبد الأشهر وعويم بن ساعدة من بني عمرو بن عوف . فبايعوه على الإسلام بيعة النساء وذلك قبل أن يفترض الحرب ، ومعناه أنه حينئذ لم يؤمر بالجهاد وكانت البيعة على الإسلام فقط ، كما وقع في بيعة النساء على أن لا يُشرِكن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهنّ الآية ، وقال لهم : فإن وفيتم فلكم الجنة وإن غشيتم من ذلك شيئاً فأخذتم بحدّه في الدنيا فهو كفّارة له ، وإن سترتم عليه في الدنيا إلى يوم القيامة فأمركم إلى الله إن شاء عذّب وإن شاء غفر . وبعث معهم مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي يقريهم القرآن ويعلّمهم الإسلام ويُفقّههم في الدين ، فكان يصلّي بهم ، وكان منزله على أسعد بن زرارة .

وغلب الإسلام في الخزرج وفشا فيهم وبلغ المسلمون من أهل يثرب أربعين رجلا فجمعوا ، ثم أسلم من الأوس سعد بن معاذ بن النعمان بن امرىء القيس بن زيد بن عبد الأشهل وابن عمه أُسَيْد بن حضير الكتائب وهما سيدا بني عبد الأشهل ، وأوعب الإسلام بني عبد الأشهل وأخذ من كل بطن من الأوس ما عدا بني أمية بن زيد وخطمة ووائل وواقف وهي أوس أمّه من الأوس من بني حارثة ، ووقف بهم عن الإسلام أبو قيس بن الأسلت يرى رأيه حتى مضى صدر من الإسلام ولم يبق دار من

دور أبناء قيلة إلاّ وفيها رجال ونساء مسلمون .

ثم رجع مصعب إلى مكّة ، وقدم المسلمون من أهل المدينة معه فواعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من أوسط أيام التشريق فبايعوه ، وكانوا ثلثمائة وسبعين رجلا وامرأتين ، بايعوه على الإسلام وأن يمنعوه ممن أراده بسوء ولو كان دون ذلك القتل ، وأخذ عليهم النقباء إثني عشر تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس . وأسلم ليلتئذ عبدالله بن عمرو بن حرام وأبو جابر بن عبدالله ، وكان أوّل من بايع البراء بن معرور من بني تزيد بن جشم من الخزرج . وصرخ الشيطان بمكانهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وتنطست[1] قريش الخبر فوجدوه قد كان فخرجوا في طلب القوم ، وأدركوا سعد بن عُبادة وأخذوه وربطوه حتى أطلقه جُبير بن مُطعم بن عديّ ابن نوفل والحرث بن حرب بن أمية بن عبد شمس لجوار كان له عليهما ببلده . فلمّا قدم المسلمون المدينة أظهروا الإسلام ثم كانت بيعة الحرب حتى أذن الله لرسوله صلى الله عليه وسلم في القتال ، فبايعوه على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وأثرته عليهم ، وأن لا ينازعوا الأمر أهله وأن يقوموا بالحق أينما كانوا ولا يخافوا في الله لومة لائم . ولما تمت بيعة العقبة وأذن الله لنبيّه في الحرب أمر المهاجرين الذين كانوا يُؤْذَوْنَ بمكّة أن يلحقوا بإخوانهم من الأنصار بالمدينة ، فخرجوا أرسالاً وأقام هو بمكّة ينتظِر الإذن في الهجرة فهاجر من المسلمين كثيرٌ سمّاهم ابن اسحق وغيره .

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيمن هاجر هو وأخوه زيد وطلحة بن عبيدالله وحمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة وأنيسة وأبو كبشة موالي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعبد الرحمن بن عوف والزُبير بن العوّام وعثمان بن عفّان رضي الله عنهم . ثم أذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة فهاجر وصحبه أبو بكر رضي الله عنه ، فقدم المدينة ونزل في الأوس على كلثوم بن مُطْعِم بن امرىء القيس بن الحرث بن زيد بن عبيد بن مالك بن عوف . وسيد الخزرج يومئذ عبدالله بن أبي ابن سلول وأبيّ هو ابن مالك بن الحرث بن عبيد وإسم أم عبيد سلول وعبيد هو ابن مالك بن سالم بن غانم بن عوف بن غانم بن مالك بن النجّار ، وقد نظموا له الخرز ليملّكوه على الحيين ، فغلب على أمره واجتمعت أبناء قيلة كلهم على الإسلام ، فضغن لذلك لكنه أظهر أن يكون له إسم منه ، فأعطى الصفقة وطوى على النفاق

(١) تنطست : اي تجسّست عن الاخبار وبحثت عنها . (قاموس) .

كما يذكر بعد . وسيد الأوس يومئذ أبو عامر بن عبد عمرو بن صيفي بن النعمان أحد بني ضبيعة بن زيد ، فخرج إلى مكة هارباً من الإسلام حين رأى اجتماع قومه إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم بغضاً في الدين ، ولما فتحت مكة فرّ إلى الطائف ، ولما فتح الطائف فرّ الى الشام فمات هنالك ..

ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي أيوب الأنصاري حتى ابتنى مساكنه ومسجده ثم انتقل إلى بيته . وتلاحق به المهاجرون واستوعب الإسلام سائر الأوس والخزرج وسمّوا الأنصار يومئذ بما نصروا من دينه ، وخطبهم النبي صلى الله عليه وسلم وذكرهم وكتب بين المهاجرين والانصار كتابا وادع فيه يهود وعاهدهم وأقرّهم على دينهم وأموالهم ،واشترط عليهم شرط لهم كما يفيده كتاب ابن اسحق فلينظر هنالك.

ثم كانت الحرب بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قومه فغزاهم وغزوه وكانت حروبهم سجالاً ، ثم كان الظهور والظفر لرسول الله صلى الله عليه وسلم آخراً كما نذكر في سيرته صلى الله عليه وسلم ، وصبر الأنصار في المواطن كلها واستشهد من أشرافهم ورجالاتهم كثير هلكوا في سبيل الله وجهاد عدوّه . ونقض أثناء ذلك اليهود الذين بيثرب على المهاجرين والأنصار ما كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهروا عليه ، فأذن الله لنبيه صلى الله عليه وسلم فيهم وحاصرهم طائفة بعد أخرى ، وأمّا بنو قينقاع فإنهم تثاوروا مع المسلمين بسيوفهم وقتلوا مسلماً ، وأمّا بنو النُضير وقُريظة فمنهم من قتله الله وأجلاه ، فأمّا بنو النضير فكان من شأنهم بعد أُحُدو بعد بئر معونة جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعينهم في ديّة العامِريّين اللذين قتلها عمرو بن أمية من القرى ، ولم يكن علم بعقدهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبما نذكره ، فهمّوا بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جاءهم لذلك خديعة منهم ومكراً ، فحاصرهم حتى نزلوا على الجلاء وأن يحملوا ما استقلت به الإبل من أموالهم إلا الحلقة[1] وافترقوا في خيبر وبني قريظة .

وأمّا بنو قريظة فظاهروا قريشاً في غزوة الخندق فلما فرج الله كما نذكره حاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمساً وعشرين ليلة حتى نزلوا على حكمه وكلمته وشفع الأوس فيهم ، وقالوا تهبهم لنا كما وهبت بني قينقاع للخزرج ، فردّ حكمهم إلى سعد بن معاذ وكان جريحاً في المسجد أثبت في غزوة الخندق ، فجاء

(١) الدرع .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بِمَ تحكم في هؤلاء بعد ان استحلف الأوس أنهم راضون بحكمه ، فقال : يا رسول الله تضرب الأعناق وتسبي الأموال والذرية ، فقال حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة . فقتلوا عن آخرهم وهم ما بين الستمائة والتسعمائة .

ثم خرج إلى خيبر بعد الحُدَيبيّة سنة ست فحاصرهم وافتتحها عنوة وضرب رقاب اليهود وسبى نساءهم ، وكان في السبي صفية بنت حيّي بن أخطب ، وكان أبوها قتل مع بني قريظة وكانت تحت كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق وقتله محمد بن مسلمة غزاه من المدينة بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في ستة نفر فبيته . فلما افتتحت خيبر اصطفاها رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه وقسم الغنائم في الناس من القمح والتمر ، وكان عدد السهام التي قُسّمت عليها أموال خيبر ألف سهم وثمانمائة سهم برجالهم وخيلهم الرجال ألف وأربعمائة والخيل مائتان . وكانت أرضهم الشقّ ونَطَاةُ والكتيبة ، فحصلت الكتيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والخمس ففرّقها على قرابته ونسائه ومن وصلهم من المسلمين ، وأعمل أهل خيبر على المسافاة ولم يزالوا كذلك حتى أجلاهم عمر رضي الله عنه .

ولما كان فتح مكة سنة ثمان وغزوة حُنين على أثرها وقسّم رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنائم فيمن كان يستألفه على الإسلام من قريش وسواهم ، وجد الأنصار في أنفسهم وقالوا : سيوفنا تقطر من دمائهم وغنائمنا تقسّم فيهم مع أنّهم كانوا ظنوا أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا فتح بلاده وجمع على الدين قومه إنه سيقيم بأرضه وله غنيّة عنهم . وسمعوا ذلك من بعض المنافقين . وبلغ ذلك كله رسول الله صلى الله عليه وسلم فجمعهم وقال : يا معشر الأنصار ما الذي بلغكم عني ؟ فصدقوه الحديث ، فقال : ألم تكونوا ضلالاً فهداكم الله بي ، وعالة فأغناكم الله ومتفرّقين فجمعكم الله ؟ فقالوا الله ورسوله آمنّ . فقال : «لو شئتم لقلتم جئتنا طريداً فآويناك ومكذّباً فصدّقناك ولكن والله إني لأعطي رجالا استألفهم على الدين وغيرهم أحب اليّ ، ألا ترضون أن ينقلب الناس بالشاء والبعير وتنقلبون برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رحالكم ؟ أمّا والذي نفسي بيده لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار ، الناس دِثَارٌ وأنتم شعار ، ولو سلك الناس شعباً وسلكت الأنصار شعبا لسلكت شعب الأنصار» .

ففرحوا بذلك ورجعوا برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يثرب فلم يزل بين أظهرهم

إلى أن قبضه الله إليه .

ولما كان يوم وفاته صلى الله عليه وسلم اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة بن كعب ودعت الخزرج إلى بيعة سعد بن عبادة ، وقالوا لقريش : منا أمير ومنكم أمير ضنّا بالأمر أو بعضه فيهم لما كان من قيامهم بنصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وامتنع المهاجرون ، واحتجوا عليهم بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم إياهم بالأنصار في الخطبة ولم يخطب بعدها . قال : أوصيكم بالأنصار إنهم كرشي[1] وعيبتي[2] وقد قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم فأوصيكم بأن تحسنوا إلى محسنهم وتتجاوزوا عن مسيئهم فلو كانت الأمارة لكم لكانت ولم تكن الوصية بكم فحجوهم . فقام بشير بن سعد بن ثعلبة بن خلاس بن زيد بن مالك بن الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحرث بن الخزرج فبايع لابي بكر واتبعه الناس ، فقال حباب بن المنذر بن الجموح بن حرام بن كعب بن غانم بن سلمة بن سعد يا بشير أنفست بها ابن عمك يعني الأمارة ، قال لا والله ولكني كرهت أن أنازع الحق قوماً جعله الله لهم . فلما رأى الأوس ما صنع بشير بن سعد وكانوا لا يريدون الأمر للخزرج قاموا فبايعوا أبا بكر ، ووجد سعد فتخلف عن البيعة ولحق بالشام إلى أن هلك وقتله الجنّ فيما يزعمون وينشدون من شعر الجنّ .

نحنُ قتلنا سيّدُ الخزرج سعد بن عبادة ضربنــــاه بسهم فلم تُخطِ فؤاده

وكان لابنه قيس من بعده غناءٌ في الأيام * وأثراً في فتوحات الإسلام *

وكان له إنحياش إلى عليّ في حروبه مع معاوية ، وهو القائل لمعاوية بعد مهلك عليّ رضي الله عنه وقد عرض به معاوية في تشيعه فقال : والآن ماذا يا معاوية ؟ والله إنّ القلوب التي أبغضناك بها لفي صدورنا ، وإنّ السيوف التي قاتلناك بها لعلى عواتقنا . وكان أجود العرب وأعظمهم جثماناً ، يقال : إنه كان إذا ركب تخط رجلاه الأرض .

ولما ولي يزيد بن معاوية وظهر من عسفه وجوره وإدالته الباطل من الحق ما هو معروف ، امتعضوا للدين وبايعوا لعبدالله بن الزبير حين خرجوا بمكة ، واجتمعوا على حنظلة بن عبدالله الغسيل إبن أبي عامر بن عبد عمر وبن صيفي بن النعمان بن مالك

---

(١) كرش الرجل : صار له جيش بعد انفراده .

(٢) العيبة من الرجل موضع سره .

ابن صيفي بن أمية بن ضبيعة بن زيد ، وعقد ابن الزبير لعبدالله بن مطيع بن إياس على المهاجرين معهم ، وسرح يزيد إليهم مسلم بن عقبة المُريّ ، وهو عقبة بن رباح ابن أسعد بن ربيعة بن عامر بن مرّة بن عوف ابن سعد بن دينار بن بغيض بن ريث ابن غطفان ، فيمن فرض عليه من بعوث الشام والمهاجرين . فالتقوا بالحرة ، حرة بني زهرة ، وكانت الدبرة على الأنصار واستلحمهم جنود يزيد ، ويقال إنه قتل في ذلك اليوم من المهاجرين والأنصار سبعون بدريًّا وهلك عبدالله بن حنظلة يومئذ فيمن هلك ، وكانت إحدى الكبر التي أتاها يزيد .

واستفحل ملك الإسلام من بعد ذلك واتسعت دولة العرب ، وافترقت قبائل المهاجرين والأنصار في قاصية الثغور بالعراق والشام والأندلس وأفريقية والمغرب حامية ومرابطين ، فافترق الحيّ أجمع من أبناء قيلة وافترقت وأقفرت منهم يثرب ، ودرسوا فيمن درس من الأمم . وتلك أمّة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين . لا خالق سواه ولا معبود إلاّ إياه ولا خير إلاّ خيره ولا ربّ غيره ، وهو نعم المولى ونعم النصير . ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العلي العظيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين .

معاوية بن عمرو بن مالك بن تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن مزيقياء

عدي

غانم

عامر

مازن

دينار

عدي

النجار

العجلان بن زيد بن غانم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف

سالم

عنبس

عوف بن عمرو بن عوف

عروة بن عوف بن الحرث

ثعلبة بن قيس

ضخمة

الغواتل

ساعدة بن كعب

بياضة بن عامر بن زيد بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم

سلمة بن سعد بن علي بن راشد بن ساردة بن يزيد

ب

ضبيعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الاوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن مزيقياء

أمية

جحجبا بن علقمة

لوذان

حنظلة بن جشم

أمية بن عطية بن قيس بن عامر بن مرة

عبيد

معاوية

حنش

ثعلبة

قيس بن زعبة بن زعور بن عبد الاشهل بن جشم بن الحرث بن الخزرج بن عمرو

زعور

حارثة

كعب

واقف بن امرىء القيس

اسلم

الخبر عن بني عدنان وأنسابهم وشعوبهم وما كان لهم من الدول والملك في الاسلام وأوّلية ذلك ومصايره

قد تقدّم لنا أن نسب عدنان إلى إسمعيل عليه السلام باتفاق من النسّابين ، وأنّ الآباء بينه وبين إسمعيل غير معروفة ، وتنقلب في غالب الأمر مخلطة مختلفة بالقلّة والكثرة في العدد حسبما ذكرناه ، فأمّا نسبته إليه فصحيحة في الغالب ونسب النبيّ صلى الله عليه وسلم منها إلى عدنان صحيح بإتفاق من النسّابين . وأمّا بين عدنان وإسمعيل فبين الناس فيه إختلاف كثير ، فقيل من وُلْد نابت بن إسمعيل وهو عدنان بن أُدَدِ المقدّم ابن ناحور بن تنوخ بن يعرب بن يشجب بن نابت قاله البيهقي ، وقيل من ولد قيذار ابن إسمعيل وهو عدنان بن أدد بن اليسع بن الهُميسع بن سلامان بن نبت بن حمل ابن قيذار قاله الجرجاني علي بن عبد العزيز النسّابة ، وقيل عدنان بن أدد بن يشجب ابن أيوب بن قيذار ، ويقال إنّ قُصَيّ بن كلاب كان يومي شعره بالانتساب إلى قيذار .

ونقل القرطبيّ عن هشام بن محمد فيما بين عدنان وقيذار نحواً من أربعين أباً ، وقال سمعت رجلاً من أهل تدمر من مسلمة يهود وممن قرأ كتبهم يذكر نسب معدّ بن عدنان إلى إسمعيل من كتاب إرمياء النبي عليه السلام وهو يقرب من هذا النسب في العدد والأسماء إلاّ قليلا ، ولعل الخلاف إنما جاء من قبل اللغة لأنّ الأسماء ترجمت من العبرانية . ونقل القُرطبي عن الزُبير بن بكار بسنده إلى ابن شهاب فيما بين عدنان وقيذار قريباً من ذلك العدد ، ونقل عن بعض النسّابين أنه حفظ لمعدّ بن عدنان أربعين أباً إلى إسمعيل ، وأنه قابل ذلك بما عند أهل الكتاب في نفسه فوجده موافقا وإنما خالف في بعض الأسماء ، قال : واستمليته فأملاه عليّ ونقله الطبريّ الى آخره .

ومن النسّابين من يعدّ بين عدنان وإسمعيل عشرين أو خمسة عشر ونحو ذلك . وفي الصحيح عن أم سلمة عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : معدّ بن عدنان بن أدد بن زيد بن بَرَا بن أعراق الثراء . قالت أم سلمة : وزيد هو الهميسع وبَرَا هو نَبْتٌ أو نابت وأعراق الثرى هو إسمعيل ، وقد تقدّم هذا أوّل الكتاب ، وأنّ السُهيلي ردّ تفسير أم سلمة وقال : ليس المراد بالحديث عدّ الآباء بين معدّ وإسمعيل وإنما معناه معنى

قوله في الحديث الآخر : أنتم بنو آدم وآدم من التراب ، وعضد ذلك باتفاق النسّابين على بعد المدّة بين عدنان وإسمعيل بحيث يستحيل في العادة أن يكون بينهما أربعة آباء أو خمسة أو عشرة إذ المدة أطول من هذا كله بكثير . وكان لعدنان من الولد على ما قال الطبري ستة : الربُ وهو عكّ وعرق وبه سميت عرق اليمن وأدّو أُبيّ والضحّاك وعبق وأمهم مَهْدَد ، قال هشام بن محمد هي من جَدِيس وقيل من طَسْم وقيل من الطواسيم من نسل لَقْشان بن ابراهيم .

قال الطبري : ولما قتل أهل حَضُورا شعيب بن مهدم نبيهم أوحى الله إلى إرميا وأبرخيا من أنبياء بني إسرائيل بأن يأمر بختنصّر يغزو العرب ويعلماه أنّ الله سلّطه عليهم ، وأن يحتملا معدّ بن عدنان إلى أرضهم ويستنقذاه من الهلكة لِمَا أراده من شأن النبوّة المحمديّة في عقبه ، كما مرّ ذلك من قبل ، فحملاه على البُراق ابن إثنتي عشرة سنة وخلصا به إلى حرّان فأقام عندهما وعلّماه علم كتابهما ، وسار بختنصّر إلى العرب فلقيه عدنان فيمن اجتمع إليه من حَضُورا وغيرهم بذات عرق فهزمهم بختنصر وقتلهم أجمعين ، ورجع إلى بابل بالغنائم والسبي وألقاها بالأنبار . ومات عدنان عقب ذلك وبقيت بلاد العرب خرابا حقباً من الدهر حتى إذا هلك بختنصّر خرج معدّ في أنبياء بني إسرائيل إلى مكّة ، فحجوا وحج معهم ووجد أخويه وعمومته من بني عدنان قد لحقوا بطوائف اليمن وتزوّجوا فيهم ، وتعطّف عليهم أهل اليمن بولادة جُرْهُم فرّجعهم إلى بلادهم ، وسأل عمن بقي من أولاد الحرث بن مضاض الجرهمي فقيل له بقي جُرْهُم بن جلهة فتزوّج إبنته معانة وولدت له نزار بن معدّ .

وأمّا مواطن بني عدنان هؤلاء فهي مختصة بنجد ، وكلها بادية رحّالة إلا قريشاً بمكّة ، ونجد هو المرتفع من جانبي الحجاز وطوله مسيرة شهر من أوّل السَرَوَات التي تلي اليمن إلى آخرها المطلة على أرض الشام مع طول تِهَامة ، وأوّله في أرض الحجاز من جهة العراق العُذيب مما يلي الكوفة وهو ماء لبني تميم ، وإذا دخلت في أرض الحجاز فقد أنْجَدْتَ ، وأوّله من جهة تهامة الحجاز حضن ولذلك يقال أنْجَد من رأى حِضْناً . قال السُهيليّ : وهو جبل متصل بجبل الطائف الذي هو أعلى نجد تبيض فيه النسور ، قال : وسكانه بنو جشم بن بكر وهو أوّل حدود نجد ، وأرض تهامة من الحجاز في قرب نجدٍ مما يلي بحر القلزم في سَمْتِ مكّة والمدينة وتَيْماً وأيْلَة وفي شرقها بينها وبين جبل نجد غير بعيد ، منها العوالي وهي ما ارتفع عن هذه الأرض ، ثم تعلو

عن السروات ثم ترتفع إلى نجد وهي أعلاها . والعوالي والسروات بلاد تفصل بين تهامة ونجد متصلة من اليمن إلى شام كسروات الخيل تخرج من نجد منفصلة من تِهامة داخلة في بلاد أهل الوَبْرِ . وفي شرقي هذا الجبل بَرِّيَّة نجد ما بينه وبين العراق متصلة باليمامة وعُمَان والبحرين إلى البصرة ، وفي هذه البريّة مشاتي للعرب تشتو بها منهم خلق أحياء لا يحصيهم إلاّ خالقهم .

قال السهيليّ : واختص بنجد من العرب بنو عدنان لم تزاحمهم فيه قحطان إلاّ طيء من كهلان فيما بين الجبلين سلمى وأجأ ، وافترق أيضاً من عدنان في تِهامة والحجاز ، ثم في العراق والجزيرة ، ثم افترقوا بعد الإسلام على الأوطان . وأمّا شعوبهم فمن عدنان علكّ ومعدّ فمواطن علكّ في نواحي زُبيد ، ويقال علكّ بن الدّيْث بالدال غير منقوطة والثاء مثلثة ابن عدنان ، ويقال أن عكًّا هذا هو ابن عدثان بالثاء المثلثة ابن عبدالله من بطون الأزد ومن علكّ بن عدثان بنو عايق بن الشاهد بن علقمة بن علكّ بطن متسع كان منهم في الإسلام رؤساء وأمراء .

وأمّا معدّ فهو البطن العظيم ومنه تناسل عقب عدنان كلهم ، وهو الذي تقدّم الخبر عنه بأنّ إرمياء النبي من بني إسرائيل أوحى الله إليه أن يأمر بختنصّر بالانتقام من العرب وأن يحمل معدًّا على البُرَاق أن تصيبه النقمة لأنه مستخرج من صلبه نبياً كريماً خاتماً للرسل فكان كذلك ، ومن ولده إياد ونزار ويقال وقَنْصُ وأَنْمار ، فأمّا قَنْص فكانت له الأمارة بعد أبيه على العرب وأراد إخراج أخيه نِزَار من الحرم ، فأخرجوه[1] أهل مكّة وقدموا عليه نِزَاراً . ولما احتضر قسّم ماله بين ولديه فجعل لربيعة الفرَس ، ولمُضَر القُبَّة الحمراء ، ولأنمار الحمار ، ولاياد عند من جعله من ولده الحلمة والعصا . ثم تحاكموا في هذا الميراث إلى أفعى نجران في قصة معروفة ليست من غرض الكتاب .

وأمّا إياد فتشعّبوا بطوناً كثيرة وتكاثر بنو إسمعيل وانفرد بنو مضر بن نزار برياسة الحرم وخرج بنو إياد إلى العراق ، ومضى أنمار إلى السروات بعدّ بنيه في اليمانية وهم : خثعم وبجيلة ، ونزلوا بأريافه وكان لهم في بلاد الأكاسرة آثار مشهورة إلى أن تابع لهم الأكاسرة الغزو وأبادوهم ، وأعظم ما باد[2] منهم سابور ذو الأكتاف هو الذي

(١) الصحيح ان يقول : أخرجه .
(٢) الصحيح اعظم ما أباد منهم حسب مقتضى السياق .

استلحمهم وأفناهم .

وأمّا نزار فمنه البطنان : العظمان ربيعة ومُضر ، ويقال : إنّ إياداً يرجعون إلى نِزار وكذلك أنمار ، فأمّا ربيعة فديارهم ما بين الجزيرة والعراق وهم ضُبيعة وأسد إبنا ربيعة ، ومن أسد عنزة وجديلة إبنا أسد فعنزة بلادهم في عين التمر في برية العراق على ثلاثة مراحل من الأنبار ثم انتقلوا عنها إلى جهات خيبر فهم هنالك ، وورثت بلادهم غزيّة من طيء الذين لهم الكثرة والأمارة بالعراق لهذا العهد ، ومن عنزة هؤلاء بأفريقية حي قليل مع رياح من بني هلال بن عامر ، ومنهم أحياء مع طيء ينتجعون ويشتون في برية نجد .

وأمّا جدِيلة فمنهم عبد القيس وهَنْبٌ إبنا أفصى بن دَعْمي بن جديلة ، فأمّا عبد القيس وكانت مواطنهم بتهامة ثم خرجوا إلى البحرين وهي بلاد واسعة على بحر فارس من غربيه ، وتتصل باليمامة من شرقيها ، وبالبصرة من شماليها ، وبعُمان من جنوبها ، وتعرف ببلاد هجر ومنها القطيف وهجرٌ والعسيرُ وجزيرة أوال والأحسا ، وهجر هي باب اليمن من العراق وكانت أيام الأكاسرة من أعمال الفرس وممالكهم وكان بها بشر كثير من بكر بن وائل وتميم في باديتها ، فلما نزل معهم بنو عبد القيس زاحموهم في ديارهم تلك وقاسموهم في الموطن ووفدوا على النبيّ صلى الله عليه وسلم بالمدينة وأسلموا ، ووفد منهم المنذر بن عائذ بن المنذر بن الحارث بن النعمان بن زياد بن نصر ابن عمرو بن عوف بن جُذيمة بن عوف بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن بكر ، وذكروا أنه سيدهم وقائدهم إلى الإسلام فكانت له صحبة ومكانة من النبي صلى الله عليه وسلم . ووفد أيضاً الجارود بن عمرو بن حنش بن المُعلّى بن زيد بن حارثة بن معاوية بن ثعلبة بن جُذيمة ، وثعلبة أخو عوف بن جُذيمة وفد في عبد القيس سنة تسع مع المنذر بن ساوي من بني تميم وسيأتي ذكره ، وكان نصرانيًّا فأسلم وكانت له أيضاً صحبة ومكانة . وكان عبد القيس هؤلاء من أهل الردّة بعد الوفاة ، وأمّروا عليهم المنذر بن النعمان الذي قتل كسرى أباه ، فبعث إليهم أبو بكر بن العلا بن الحضرميّ في فتح البحرين وقتل المنذر . ولم تزل رياسة عبد القيس في بني الجارود أولاً ثم في إبنه المنذر وولاّه عمر على البحرين ثم ولاّه على إصطخر ، ثم عبدالله بن زياد ولاّه على الهند ثم ابنه حكيم بن المنذر وتردد على ولاية البحرين قبل ولاية العراق .

وأمّا هَنْبُ بن أفصى فمنهم النِمْر ووائل إبنا قاسط بن هنب. فأمّا بنو النمر بن قاسط فبلادهم رأس العين ، ومنه صُهَيْب بنِ سنان بن مالك بن عبد عمرو بن عقيل بن عامر بن جندلة بن جُذَيمة بن كعب بن سعد بن أسلم بن أوس مناة بن النمر بن قاسط صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم المشهور ، وينسب إلى الروم ، وكان سنان أبوه استعمله كسرى على الأبلّةِ ، وكان لبني النمر بن قاسط شأن في الردّة مذكور ، ومنهم ابنُ القرية المشهور بالفصاحة أيام الحجّاج ، ومنصور بن النمر الشاعر مادح الرشيد.

وأمّا بنو وائل فبطن عظيم متسع أشهرهم بنو تَغْلب وبنو بكر بن وائل وهما اللذان كانت بينهما الحروب المشهورة التي طالت فيما يقال أربعين سنة ، فلبني تغلب شهرة وكثرة وكانت بلادهم بالجزيرة الفُراتيّة بجهات سِنْجَار ونصيبين وتعرف بديار ربيعة ، وكانت النصرانية غالبة عليهم لمجاورة الروم. ومن بني تغلب عمرو بن كلثوم الشاعر ، وهو عمرو بن كلثوم بن مالك بن عِتَاب بن سعد بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غانم بن تغلب وأمّه هند بنت مهلهل ، ومن وَلده مالك بن طوق بن مالك بن عتاب بن زافر بن شريح بن عبدالله بن عمرو بن كلثوم وإليه تنسب رحبة مالك بن طوق على الفرات ، وعاصم بن النعمان عم عمرو بن كلثوم هو الذي قتل شرحبيل بن الحرث المَلِك آكل المِرار يوم الكلاب. ومن بني تغلب كُليب ومُهلهل إبنا ربيعة بن الحرث بن زهير بن جشم ، وكان كُليب سيد بني تغلب وهو الذي قتله جسَّاس بن مُرّة بن ذُهْل بن شيبان وكان متزوّجا بأخته فرعت ناقة البسوس في حمى كُليب فرماها بسهم فأثبتها ، وقتله جسَّاس لأنّ البسوس كانت جارته ، فقام أخو كُليب وهو مُهلهل بن الحرث كمن برياسة تغلب وطلب بكر بن وائل بثأر كليب فاتصلت الحرب بينهم أربعين سنة ، وأخبارها معروفة ، وطال عمر مهلهل وتغرّب إلى اليمن فقتله عبدان له في طريقه ، وبنو شُعبة الذين بالطائف لهذا العهد من ولد شُعبة بن مُهلهل. ومن تغلب الوليد بن طريف بن عامر الخارجيّ وهو من بني صيفي بن حيّ بن عمرو بن بكر بن حبيب وهو الذي رثته أخته ليلى بقولها :

أيــا شجرَ الخـابور مـالكَ مُورِقـاً ... كـــأنك لم تجزعْ على ابنِ طريفِ
فتى لا يُريــدُ العِزَّ إلاّ مِنَ التُقَى ... ولا المالِ إلاّ مِنْ قَنَـــا وسيوفِ
خفيفٌ على ظهرِ الجوادِ إلى الوَغى ... وليسَ على أعـــدائـــهِ بخفيفِ
فلو كـان هـذا الموتُ يقبلُ فِدْيةً ... فـــديـنـاهُ من ساداتنـا بـألوفِ

ومنهم بنو حمدان ملوك الموصل والجزيرة أيام المتّقي ، ومن بعده من خلفاء العباسيّين وسيأتي ذكرهم في أخبار بني العبّاس وهم بنو حمدان من بني عديّ بن أسامة بن غانم بن تَغْلِب ، كان منهم سيف الدولة الملك المشهور.

وأمّا بكر بن وائل ففيهم الشهرة والعدد فمنهم يشكر بن بكر بن وائل وبنو عُكَابَة بن صَعْب بن عليّ بن بكر بن وائل ومنهم بنو حنيفة وبنو عجل إبني لُجيم بن صعب.

في بني حنيفة بطون متعدّدة أكثرهم بنو الدوْلِ بن حنيفة ، فيهم البيت والعدد ومواطنهم باليمامة وهي من أوطان الحِجَاز كما هي نَجْرَان من اليمن ، والشرقي منها يوالي البحرين وبني تميم والغرب يوالي أطراف اليمن والحجاز ، والجنوب نجران والشمالي أرض نجْد وطول اليمامة عشرون مرحلة ، وهي على أربعة أيام من مكّة بلاد نخل وزلع وقاعدتها حِجْر بالفتح ، وبها بلد إسمه اليمامة ، ويسمّى أيضاً جوّ باسم الزرقا ، وكانت مقراً للملوك قبل بني حنيفة ، واتخذ بنو حنيفة بعدها بلد حِجْر وبقي كذلك في الإسلام . وكانت مواطن اليمامة لبني همدان بن يَعْفُر بن السُكسُك بن وائل بن حِمْيَر غلبوا على من كان بها من طَسْم وجديس كان آخر ملوكهم بها فيما ذكره الطبريّ قِرْطُ ابن يَعْفُر ، ثم هلك فغلب عليها بعده طسم وجديس وكانت منهم الزرقا أخت رياح بن مُرّة ابن طسم كما تقدّم في أخبارهم . ثم استولى على اليمامة آخراً بنو حنيفة وغلبوا عليها طسماً وجديساً وكان ملكها منهم هوذة بن علي بن ثمامة بن عمرو بن عبد العُزّى بن شحيم بن مُرّة بن الدوْلِ بن حنيفة ، وتوّجه كسرى وابن عمه عمرو بن عمرو بن عبدالله بن عمرو بن عبد العُزّى ، قاتل المنذر بن ماء السماء يوم عين أباغ .

وكان منهم ثُمامة بن أثال بن النُعمان بن مسلمة بن عُبيد بن ثعلبة بن الدوْلِ بن حنيفة مَلك اليمامة عند المبعث وثبت عند الردّة . ومنهم الخارجي نافع بن الأزرق بن قيس بن صبرة بن ذُهْل بن الدوْل بن حنيفة وإليه تُنسبُ الأزارقة ، ومنهم محلم بن سُبيع بن مسلمة بن عُبيد بن ثعلبة بن الدوْل بن حنيفة صاحب مُسيلمة الكذّاب ، وهو من بني عديّ بن حنيفة ، وهو مسيلمة بن ثمامة بن كُثَيّر بن حبيب بن الحرث بن عبد الحرث بن عدي ، وأخبار مسيلمة في الردّة معروفة وسيأتي الخبر عنها .

وأمّا بنو عجل بن لُجيم بن صعب وهم الذين هزموا الفرس بمُؤْتَةَ يوم ذي قار كما مرّ ، فمنازلهم من اليمامة إلى البصرة وقد دثروا ، وخلفهم في اليوم في تلك البلاد بنو عامر المُنتفِق بن عقيل بن عامر ، وكان منهم بنو أبي دُلَف العجليّ ، كانت لهم دولة

بعراق العجم يأتي ذكرها .

وأمّا عُكَابَةُ بن صعب بن علي بن بكر بن وائل فمنه تَيْمُ الله وقيس ابنا ثعلبة بن عُكَابة وشيبان بن ذُهْل بن ثعلبة ، بطون ثلاثة عظيمة ، وأوسعها وأكثرها شعوباً بنو شيبان ، وكانت لهم كثرة في صدر الإسلام شرقي دجلة في جهات الموصل ، وأكثر أئمة الخوارج في ربيعة منهم ، وسيّدهم في الجاهلية مُرّة بن ذُهْل بن شيبان كان له أولاد عشرة نسلوا عشرة قبائل أشهرهم : هَمّام وجَسّاس ، وسادهما بعد أبيه . وقال ابن حزم : تفرّع من هَمّام ثمانية وعشرون بطناً . وأمّا جَسّاس فقتل كُليبا زوج أخته وهو سيّد تغلب حين قتل ناقة البسوس جارته ، وأقام ابن كليب عند بني شيبان إلى أن كبر وعقل أن جساساً خاله هو الذي قتل أباه فقتله ورجع إلى تغلب ، فمن ولد جسّاس بنو الشيخ كانت لهم رياسة بآمد وانقطعت على يد المعتضد . ومن بني شيبان هانيء بن مسعود الذي منع حَلْقة النُعمان من أبرويز لما كانت وديعةً عنده ، وكان سبب ذلك يوم ذي قار وهو هانيء بن مسعود بن عامر بن أبي ربيعة بن ذُهْل بن شيبان ، ومنهم الضحّاك بن قيس الخارجيّ الذي بويع أيام مروان بن محمد على مذهب الصُفْرِيَّةِ وملك الكوفة وغيرها ، وبايعه بالخلافة جماعة من بني أمية منهم سليمان بن هشام بن عبد الملك ، وعبدالله بن عمر بن عبد العزيز ، وقتله آخراً مروان بن محمد . وهو الضحّاك بن قيس بن الحصين بن عبدالله بن ثعلبة بن زيد مناة بن أبي عمرو بن عوف بن ربيعة بن محلم بن ذُهْل بن شيبان ، وسيأتي الإلمام بخبره . ومنهم المُثّنى بن حارثة الذي فتح سواد العراق أيام أبي بكر وعمر وأخوه المُعَنّى بن حارثة . ومنهم عُمران بن حَطّان من أعلام الخوارج . وهذا انقضاء الكلام في ربيعة بن نزار والله المعين .

محلم بن ذهل بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن افصى بن دعمي بن جديلة بن اسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان

همام بن مرة بن ذهل بن شيبان

قيس

تيم الله

الضحاك من بني ذهل

الدول بن حنيفة بن لجيم

عدي بن حنيفة

عجل بن لجيم

يشكر

عبد القيس بن بكر بن ربيعة بن عمرو بن [illegible]

عجل

النميل

النمر

غانم بن تغلب

عدي بن اسامة

كليب بن ربيعة بن الحرث بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غانم بن تغلب

مهلهل

مالك

عوف

عمر

سعد بن عتاب بن مالك بن كلثوم بن عمرو من ولده مالك بن طوق

ومن بني النمر صهيب الرومي

عنزة

ضبيعة

* وأمّا مُضَر بن نِزار * وكانوا أهل الكثرة والغلب بالحجاز من سائر بني عدنان وكانت لهم رياسة بمكّة فيجمعهم فخذان عظيمان وهما خندف وقيس ، لأنه كان له من الولد إثنان : إلياس وقَيْس عيـلان عبد حضنه قيس فنسب إليه ، وقيل هوفرس ، وقد قيل إنّ عيلان هو ابن مُضَر وإسمه إلياس وإنّ له إبنين قيس ودهمٌ ، وليس ذلك بصحيح ، وكان لإلياس ثلاثة من الولد مُدركةٌ وطابخةٌ وقمعةٌ لامرأة من قُضاعة تُسمّى خَنْدَف فانتسب بنو إلياس كلهم إليها ، وانقسمت مُضَر إلى خندف وقيس عيلان . فأمّا قيس فتشعّبت إلى ثلاث بطون من كَعْب وعمرو وسعد بنيه الثلاثة ، فمن عمرو بنو فهم وبنو عدوان ابني عمرو بن قيس ، وعدوان بطن متّسع وكانت منازلهم الطائف من أرض نجد نزلها بعد إياد العمالقةُ ثم غلبتهم عليها ثقيفٌ فخرجوا إلى تهامة ، وكان منهم عامرُ بن الظرب بن عمرو بن عبّاد بن يشكُر بن عدوان حكمُ العرب في الجاهلية ، وكان منهم أيضاً أبو سيارة الذي يدفع بالناس في الموسم ، وعُميلةُ بن الأعزلِ بن خالد بن سعد بن الحرث بن رايش بن زيد بن عدوان ، وبأفريقية لهذا العهد منهم أحياء بادية بالقفر يظعنون مع بني سُليم تارة ومع رِيَاح بن هِلال بن عامر أخرى .

ومن بني فهم بن عمرو فيما ذكر البيهقي بنو طرود بن فهم بطن متسع كانوا بأرض نجد ، وكان منهم الأعشى ، وليس منهم الآن بها أحد ، وبأفريقية لهذا العهد حي يظعنون مع سُليم ورياح ، وانقضى الكلام في بني عمرو بن قيس .

وأمّا سعد بن قيس فمنهم غَنِيٌّ وباهلةُ وغطفانُ ومُرّة ، فأمّا غَنيٌّ فهم بنو عمرو بن أعصر بن سعد ، وأما باهلة فمنهم بنو مالك بن أعصر بن سعد صاحب خُراسان المشهور ، ومنهم أيضا الأصمعيّ راوية العرب المشهور وهو عبد الملك بن علي بن قَرِيب بن عبد الملك بن علي بن أصمع بن مطر بن رياح بن عمرو بن عبد شمس بن أعْيَا بن سعد بن عبد غانم بن قُتيبة بن معن بن مالك .

وأمّا بنو غطفان بن سعد : فبطن عظيم متسع كثير الشعوب والبطون ومنازلهم بنجد ما يلي وادي القرى وجبلي طيء ، ثم افترقوا في الفتوحات الإسلامية واستولت عليها قبائل طيء وليس منهم اليوم عمودة رجالة في قطر من الأقطار إلاّ ما كان لِفزارة ورواحة في جوار هيب ببلاد برقة . وبنو غطفان بطون ثلاثة : منهم أشجع بن ريث ابن غطفان ، وعبس بن بغيض بن ريث بن غطفان ، وذُبيان . فأمّا أشجع فكانوا

عرب المدينة يثرب وكان سيّدهم معقل بن سنان من الصحابة ، وكان منهم نعيم بن مسعود بن أنيف بن ثعلبة بن قنذِ بن خلاوة بن سُبيع بن أشجع الذي شتت جموع الأحزاب عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، إلى آخرين مذكورين منهم ، وليس لهذا العهد منهم بنجد أحد إلاّ بقايا حوالي المدينة النبوية ، وبالمغرب الأقصى منهم حي عظيم الآن يظعنون مع عرب المعقل بجهات سِجلماسة ووادي ملويّة ولهم عدد وذكر.

وأمّا بنو عبس فبيتهم في بني عدَّة بن قطيعة كان منهم الربيع بن زياد وزير النُعمان ، ثم إخوتهم بنو الحرث بن قطيعة كان منهم زُهير بن جُذيمة بن رواحة بن ربيعة بن آزر بن الحرث سيّدهم ، وكانت له السيادة على غطفان أجمع ، وله بنون أربعة منهم : قَيْس ساد بعده على عَبْس ، وابنه زُهَيْر هو صاحب حرب داحِس والغَبْرا فرسين كانت إحداهما وهي دَاحِس لقَيْس والأخرى وهي الغبرا لحُذيفة بن بدر سيد فزارة فأجرياهما وتشامّا في الحكم بالسبق فتشاجرا وتحاربا وقتل قيس حُذيفة ودامت الحرب بين عبس وفزارة وأخوة قيس بن زهير الحرث وشاس ومالك وقتل مالك في تلك الحرب ، وكان منهم الصحابيّ المشهور حذيفة بن اليماني بن حسل بن جابر بن ربيعة بن جروة بن الحرث بن قطيعة ومن عبس بن جابر بنو غالب بن قطيعة ، ثم عنترة بن معاوية بن شدّاد بن مراد بن مخزوم بن مالك بن غالب الفارس المشهور وأحد الشعراء الستة في الجاهلية ، وكان بعده من أهل نسبه وقرابته الحطيئة الشاعر المشهور وإسمه جرْوَل بن أوس بن جؤية بن مخزوم ، وليس بنجد لهذا العهد أحد من بني عبس ، وفي أحياء زُغْبَة من بني هِلال لهذا العهد أحياء ينتسبون إلى عبس ، فما أدري من عبس هؤلاء أم هو عبس آخر من زُغْبَة نُسِبُوا إليه.

وأما ذُبيان بن بغيض : فلهم بطون ثلاثة : مُرَّة وثعلبة وفزارة ، فأمّا فزارة فهم خمسة شعوب : عَدِيّ وسعد وشمخ ومازن وظالم . وفي بدر بن عديّ كانت رياستهم في الجاهلية ، وكانوا يرأسون جميع غطفان ، ومن قيس وإخوتهم بنو ثعلبة بن عَدِيّ كان منهم حُذيفة بن بدر بن جؤية بن لوذان بن ثعلبة بن عديّ بن فزارة الذي راهن قيس بن زهير العبسي على جري داحس والغبرا وكانت بسبب ذلك الحرب المعروفة ، ومن ولده عُيينة بن حصن بن حذيفة الذي قاد الأحزاب إلى المدينة وأغار على المدينة لأوّل بيعة أبي بكر وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمّيه الأحمق المطاع ، ومنهم أيضا الصحابيّ المشهور سُمرة بن جندب بن هلال بن خديج بن

مُرَّة بن خرق بن عمرو بن جابر بن خُشين ذي الرأسين بن لاي بن عصيم بن شمخ بن فزارة ، ومن بني سعد بن فزارة يزيد بن عمرو بن هُبيرة بن معية بن سُكين بن خديج بن بغيض بن مالك بن سعد بن عديّ بن فزارة وليَ العراقين هو وأبوه أيام يزيد بن عبد الملك ومروان بن محمد ، وهو الذي قتله المنصور بعد أن عاهده ، ومن بني مازن بن فزارة هرم بن قطبة أدرك الإسلام وأسلم ، إلى آخرين يطول ذكرهم ولم يبق بنجد منهم أحد . وقال ابن سعيد : إنّ أبرق الحنَّانِ وأبانا من وادي القُرى من معالم بلادهم ، وانّ جيرانهم من طيء مولدها لهذا العهد ، وإنّ بأرض بَرْقة منهم إلى طرابلس قبائل رواحة وهيب وفزّان . قلت : وبأفريقية والمغرب لهذا العهد أحياء كثيرة اختلطوا مع أهله ، فمنهم مع المعقل بالمغرب الأقصى أحياء كثيرة لهم عدد وذكر بالمعقل إلى الإستظهار بهم حاجة ، ومنهم مع بني سُليم بن منصور بأفريقية طائفة أخرى أحلاف لأولاد أبي الليل من شعوب بني سُليم يستظهرون بهم في مواقف حروبهم ويولّونهم على ما يتولونه للسلطان من أمور باديتهم نيابةً عنهم شأن الوزراء في الدول ، وكان من أشهرهم معنُ بن معاطن وزير حمزة بن عمر بن أبي الليل أمير الكعوب بعده حسبما نذكره في أخبارهم ، وربما يزعم بنو مُرين أمراء الزاب لهذا العهد أنّهم منهم ، وينتسبون إلى مازن بن فزارة ، وليس ذلك بصحيح ، وهو نسب مصون يتقرّب به إليهم بعض البدو من فزارة هؤلاء طمعاً فيما بأيديهم لمكانهم من ولاية الزاب والانفراد بجبايته ومصانعة الناس بوفرها ، فيلهجونهم بذلك ترفعاً على أهل نسبهم بالحقيقة من الأثابج ، كما يذكر لكونه تحت أيديهم ومن رعاياهم .

وأمّا بنو مُرَّة بن عوف بن سعد بن ذُبيان فمنهم هرم بن سنان بن غيظ بن مُرّة وهو سيدهم في الجاهلية الذي مدحه زهير بن أبي سلمى ، ومنهم أيضا الفاتك وهو الحرث بن ظالم بن جُذيمة بن يربوع بن غيظ فتك بخالد بن جعفر بن كلاب وشرحبيل بن الأسود بن المنذر ، وحصل ابن الحرث في يد النعمان بن المنذر فقتله ، وشاعره في الجاهلية النابغة زياد بن عمرو الذبياني أحد الشعراء الستة . ومنهم أيضاً مُسلم بن عقبة بن رياح بن أسعد بن ربيعة بن عامر بن مالك بن يربوع قائد يزيد بن معاوية صاحب يوم الحرَّة على أهل المدينة إلى آخرين يطول ذكرهم . وهذا آخر الكلام في بني غطفان وبلادهم بنجد مما يلي وادي القرى ، وبها من المعالم أبنى والحاجر والهباءة وأبرق الحنّان ، وتفرّقوا على بلاد الإسلام في الفتوحات ولم يبق لهم

في تلك البلاد ذكر ، ونزلت بها قبائل طيء وبانقضاء ذكرهم انقضى بنو سعد بن قيس .

وأمّا خصفةُ بن قيس : فتفرّع منهم بطنان عظيمان وهما بنو سُليم بن منصور وهوازن بن منصور ، ولهوازن بطون كثيرة يأتي ذكرها ، ويلحق بهذين البطنين بنو مازن بن منصور وعددهم قليل ، وكان منهم عُتبة بن غزوان بن جابر بن وهب بن نشيب بن وهب بن زيد بن مالك بن عبد عوف بن الحرث بن مازن الصحابي المشهور الذي بنى البصرة لعمر بن الخطّاب ، وإليه ينسب العُتبيّون الذين سادوا بخراسان ، ويلحق أيضا بنو محارب بن خصفة . فأمّا بنو سُليم فشعوبهم كثيرة منهم بنو ذكوان بن رفاعة بن الحرث بن رجا بن الحارث بن بهثة بن سُليم ، وإخوتهم بنو عبس بن رفاعة الذين منهم عبّاس بن مرداس بن أبي عامر بن حارثة بن عبد عبس الصحابي المشهور الذي أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حُنين في المؤلّفة قلوبهم ، ثم زاده حين غضب استقلالاً لعطائه وأنشد الأبيات المعروفة في السير ، وكان أبوه مرداس تزوّج الخنساء وولدت منه .

ومن بني سُليم أيضا بنو ثعلبة بن بهثة بن سليم ، كان منهم عُبيد بن عبد الرحمن بن عبدالله بن أبي الأعور والي أفريقية ، وجده أبو الأعور من قوّاد معاوية وإسمه عمرو بن سُفيان بن عبد شمس بن سعد بن قائف بن الأوقص بن مُرّة بن هلال بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة ، والرود بن خالد بن حُذيفة بن عمرو بن خلف بن مازن بن مالك بن ثعلبة وكان على بني سُليم يوم الفتح ، وعمرو بن عتبة بن منقذ بن عامر بن خالد كان صديقاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية وأسلم ثلاث أبو بكر وبلال فكان يقول كنت يومئذ ربع الإسلام(١) . ومن بني سُليم أيضاً بنو علي بن مالك بن امرىء القيس بن بهثة وبنو عُصيَّة بن خفاف بن امرىء القيس ، وهما اللذان لعنهما رسول الله صلى الله عليه وسلم(٢) أهل بئر معونة وقتلهم إيّاهم . ومن

(١) اما الطبري فيقول في ج ٢ ص ٢١٤ : «قال حدثني عمرو بن عَبسة ، قال : أتيت رسول الله (صلعم) وهو نازل بعُكاظ ، قلت : يا رسول الله من تبعك على هذا الأمر؟ قال : اتبعني عليه رجلان حرّ وعبدٌ ، ابو بكر وبلال ، قال فاسلمت عند ذلك قال فلقد رأيتني اذ ذاك ربع الإسلام .
وكذلك أورد ابن الاثير القصة عن عمرو بن عَبَسة . إلى أن قال : .... فلقد رأيتني رابع الإسلام ، وهكذا يستدل لنا أن اسم هذا الرجل هو عمرو بن عبسه وليس عمرو بن عتبة .

(٢) المعنى غير منسجم وربما تكون سقطت بعض الكلمات اثناء النسخ وهذه القصة مذكورة عند الطبري في ج ٣ ص ٣٣ وفي غيره من كتب التاريخ والسير ومقتضى السياق : «لعنهما رسول الله (صلعم) يوم وافاه الخبر عن أهل بئر معونة وقتلهم إياهم .

شعوب عُصيّة الشريد وإسمه عمرو بن يقظة بن عُصيّة . وقال ابن سعيد : الشريد بن رياح بن ثعلبة بن عُصية الذين كانت منهم الخنساء وأخواها صخر ومعاوية ابنا عمرو بن الحرث بن الشريد والشريد بيت سُليم في الجاهلية ، قال ابن سعيد كان عمرو بن الشريد يمسك بيده إبنيه صخراً ومعاويّة في الموسم فيقول : أنا أبو خيري مُضَر ومن أنكر فليعتبر فلا ينكر أحد وابنته الخنساء الشاعرة وقد تقدّم ذكرها ، وحضرت بأولادها حروب القادسيّة . وبنو الشريد لهذا العصر في جملة بني سُليم في أفريقية ولهم شوكة وصولة ، ومنهم إخوة عُصيّة بن خفّاف الذين كان منهم الخفّاف كبير أهل الردَّة الذي أحرقه أبو بكر بالنار واسمه إياس بن عبدالله بن أليل بن سلمة بن عميرة .

ومن بني سليم أيضاً بنو بهز بن امرىء القيس بن بهثة كان منهم الحجّاج بن عِلاطٍ بن خالد بن نديرة[1] بن حبتر بن هلال بن عبد ظفر بن سعد بن عمرو بن تميم بن بهز الصحابي المشهور ، وابنه نصر بن حجّاج الذي نفاه عمر عن المدينة ، إلى آخرين من سليم يطول ذكرهم . قال ابن سعيد : ومن بني سليم بنو زغبة بن مالك بن بهثة كانوا بين الحرمين ثم انتقلوا الى المغرب فسكنوا بأفريقية في جوار إخوتهم بني ذياب بن مالك ثم صاروا في جوار بني كعب . ومن بني سليم بنو ذياب بن مالك ومنازلهم ما بين قابس وبرقة ، يجاورون مواطن يعهُب ، وبجهة المدينة خلق منهم يؤذون الحاج ويقطعون الطريق . وبنو سليمان بن ذياب في جهة فزّان وودّان ورؤساء ذياب لهذا العهد الجواري ما بين طرابلس وقابس ، وبيتهم بنو صابر والمحامد بنواحي فاس وبيتهم في بني رصاب بن محمود وسيأتي ذكرهم .

ومن بني سليم بنو عوف بن بهثة : ما بين قابس وبلد العِنّاب من أفريقية وجرما ، هم مِرداس وعلاق فأمّا مِرْدَاس فرياستهم في بني جامع لهذا العهد ، وأمّا عِلاق فكان رئيسهم الأوّل في دخولهم أفريقية رافع بن حمّاد ، ومن أعقابه بنو كعب رؤساء سليم لهذا العهد بأفريقية ، ومن بني سليم بنو يعهب بن بهثة إخوة بني عوف بن بهثة وهم ما بين السدرة من برقة إلى العدوة الكبيرة ثم الصغيرة من حدود الإسكندرية ، فأوّل ما يلي الغرب منهم بنو أحمد لهم أجدابية وجهاتها وهم عدد يرهبهم الحاج ويرجعون إلى شماخ ، وقبائل شماخ لها عدد واسماء متمايزة ولها العز في بيت لكونها جازت المَحْصب من بلاد بُرقة مثل المرْج وطلميثا ودرنا ، وفي المشرق عن بني أحمد إلى

---

(١) وهو الحجاج بن علاط بن خالد بن نويرة .

العقبة الكبيرة ، وأمّا الصغيرة فسال ومُحَارِب والرياسة في هذين القبيلتين لبني عِزاز وهُبيب بخلاف سائر سليم لأنها استولت على إقليم طويل خربت مدنه ولم يبق فيه مملكة ولا ولاية إلاّ لأشياخها وتحت أيديهم خلق من البرابرة واليهود زراعاً وتجاراً .

وأمّا رواحة وفزارة اللذين في بلاد هُبيب فهم من غطفان وهذا آخر الكلام في بني سليم بن منصور وكانت بلادهم في عالية نجد بالغرب وخَيبر ومنها حَرَّة بني سليم ، وحرّة النار بين وادي القرى وتيماً ، وليس لهم الآن عدد ولا بقيّة في بلادهم ، وبأفريقية منهم خلق عظيم كما يأتي ذكره في أخبارهم عند ذكر الطبقة الرابعة من العرب .

وأمّا هوازن بن منصور ففيهم بطون كثيرة يجمعهم ثلاثة أجرام كلهم لبكر بن هوازن وهم بنو سعد بن بكر وبنو معاوية بن بكر وبنو مَنَبِّه بن بكر :

فأمّا بنو سعد بن بكر ، وهم إظآر النبيّ صلى الله عليه وسلم أرضعته منهم حليمة بنت أبي ذؤيب بن عبدالله بن سحنة بن ناصرة بن عُصيّة بن نصر بن أسعد ، وبنوها عبدالله وأنيسة والشيا بنو الحرث بن عبد العُزّى بن رفاعة بن ملاذ بن ناصرة ، وحصلت الشيا في سبي هوازن فأكرمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وردّها إلى قومها وكان فيها أثر عضّة عضّها إياها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي تحمله .

فأمّا بنو مُنبّه بن بكر فمنهم ثقيف ، وهم بنو قسيّ بن مُنَبّه بطن عظيم متسع ، منهم بنو جهم بن ثقيف كان منهم عثمان بن عبدالله بن ربيعة بن حبيب بن الحرث بن مالك بن حُطيط صاحب لوائهم يوم حنين وقتل يومئذ كافرا وكان من ولده أمير الأندلس لسليمان بن عبد الملك وهو الحرّ بن عبد الرحمن بن عبدالله بن عثمان ، ومنهم بنو عوف بن ثقيف ويعرفون بالأحلاف ، فمنهم بنو سعد بن عوف كان منهم عتبان بن مالك بن كعب بن عمرون بن سعد بن عوف الذي وضعته ثقيف رهينة عند أبي مكسورة وأخوه معتب ، كان من بنيه عروة بن مسعود بن معتب الذي بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قومه داعياً إلى الإسلام فقتلوه ، وهو أحد عظيمي القريتين ، ومن بنيه أيضاً الحجّاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود بن عامر بن معتب صاحب العراقين لعبد الملك وابنه الوليد ، ومنهم يوسف بن عُمَر بن محمد بن عبد الحكم والي العراقين لهشام بن عبد الملك والوليد بن يزيد وكثير من قومه كانوا ولاة بالعراق والشام واليمن ومكّة . ومن بني معتب أيضا غيلان بن مسلمة بن معتب

كانت له وفادة على كسرى ، ومنهم بنو غبرة بن عوف الذين منهم الأخنس بن شريق ابن عمرو بن وهب بن علاج بن أبي سلمة بنْ عبد العُزّي بن غيرة بن عوف بن ثقيف ، والحرث بن كلدة بن عمرو بن علاج طبيب العرب ، وأبو عبيد بن مسعود بن عمرو بن عُمَيْر بن عوف بن غَيْرة الصحابي المقتول يوم الجسر من أيام القادسيّة ، وبانه المختار بن أبي عبيد الذي ادعى النبوّة بالكوفة وكان عاملا عليها لعبدالله بن الزُبير فانتقض عليه ودعا لمحمد بن الحنفيّة ثم ادعى النبوة ، ومنهم أبو محجن بن حبيب بن عمرو بن عُمير في آخرين يطول ذكرهم . ومواطن ثقيف كانت بالطائف وهي مدينة من أرض نجد قريباً من مكّة ثم جلس في شرقهيا وشمالها وهي على قبّة الجبل كانت تسمى واج وبوج ، وكانت في الجاهلية للعمالقة ثم نزلتها ثمود قبل وادي القُرى ، ومن ثم يقال : إنّ ثقيفاً كانت من بقايا ثمود ، يقال : إنّ الذي سكنها بعد العمالقة عدوان وغلبهم عليها ثقيف وهي الآن دارهم كذا ذكره السهيليّ . ويقال : إنهم موال لهوازن ويقال إنهم من إياد . ومن أعمال الطائف سوق عُكاظ والعرج ، وعكاظ حجر بين اليمن والحجاز ، وكانت سوقها في الجاهلية يوما في السنة يقصدها العرب من الأقطار فكانت لهم موسماً[1] .

وأمّا بنو معاوية بن بكر بن هوازن ففيهم بطون كثيرة منهم بنو نصر بن معاوية الذين منهم مالك بن سعد بن عوف بن سعد بن ربيعة بن يربوع بن واثلة بن دهمان بن نصر قائد المشركين يوم حُنين وأسلم وحسن إسلامه . ومنهم بنو جشم بن معاوية ، ومن جشم غزيَّة رهط دريد بن الصمّة[2] ومواطنهم بالسروات وهي بلاد تفصل بين تهامة ونجد متصلة من اليمن إلى الشام كسروات الجبل وسروات جشم متصلة بسروات هُذيل ، وانتقل معظمهم إلى الغرب وهم الآن به كما يأتي ذكره في الطبقة الرابعة من العرب ، ولم يبق بالسَروات منهم إلاّ من ليس له صولة ، ومنهم بنو سلول ومنهم بنو مُرّة بن صعصعة بن معاوية وإنّما عرفوا بأمهم سلول ، وكانوا في الغرب كثيرا وفي

(١) سوق للعرب بين نخلة والطائف ، كانت تقوم هلال ذي القعدة ، وتستمر عشرين يوماً او شهراً ، تجتمع فيها قبائل العرب فيتناشدون ويتفاخرون . يؤنث ، يذكر فالتأنيث لغة الحجاز والتذكير لغة تميم . قد تابع المؤلف لغة الحجاز.

(٢) وفي نسخة ثانية : غزيّة رهط بن دريد الصِمّة . وهو القائل :

وهــــل انــــا الا من غَزِيّــــة ان غوت ... غويت وان ترشد غَزِيّــــة أرشد

الغرب منهم كثير لهذا العهد . ومنهم فيما يزعم العرب بنو يزيد أهل وطن حمزة غربي بجاية وبعض أحياء بُجيل عياض . كما نذكر منهم بنو عامر بن صعصعة بن معاوية جرم كبير من أجرام العرب لهم بطون أربعة . نمير وربيعة وهلال وسَوْأة ، فأمّا نُمير بن عامر فهم إحدى جمرات العرب وكانت لهم كثرة وعزّة في الجاهلية والإسلام ودخلوا إلى الجزيرة الفراتية وملكوا حِرَار وغيرها ، واستلحمهم بنو العبّاس أيام المعتز فهلكوا ودثروا . وأمّا سَوْأة بن عامر فشعوبهم في رباب من سَمُرَة بن سَوْأة ، فمنهم جابر بن سمرة بن جنادة بن جندب بن رباب الصحابي المشهور ، ومن بطن رباب هؤلاء حيّ بأفريقية ينجعون مع رياح بن هلال ويعرفون بهذا النسب كما يأتي في أخبار هلال من الطبقة الرابعة . وأمّا هلال بن عامر فبطون كثيرة كانوا في الجاهلية بنجد ثم ساروا إلى الديار المصرية في حروب القرامطة ، ثم ساروا إلى أفريقية أجازهم الوزير البارزيّ في خلافة المستنصر العُبيديّ لحرب المُعزّ بن باديس ، فملك عليه ضواحي أفريقية ، ثم زاحمهم بنو سليم فساروا إلى الغرب ما بين بونة وقسنطينة ، إلى البحر المحيط ، وكان لهلال خمسة من الوَلد : شُعبة وناشرة ونهيك وعبد مُناف وعبدالله ، وبطونهم كلها ترجع إلى هؤلاء الخمسة ، فكان من بني عبد مناف زينب أمّ المؤمنين بنت خزيمة بن الحرث بن عبدالله بن عمرو بن عبدالله بن عبد مناف ، وكان من بني عبدالله ميمونة أمّ المؤمنين بنت الحرث بن حزن بن بجير بن هَرِم بن رويبة بن عبدالله . قال ابن حزم : ومن بطون بني هلال بنو قُرّة وبنو نعجة الذين بين مصر وافريقية ، وبنو حرْب الذين بالحجاز ، وبنو رياح الذين أفسدوا أفريقية .

وقال ابن سعيد : وجيل بني هلال مشهور بالشام وقد صار عربه حرائر وفيه قلعة صرخد مشهورة * قال : وقبائلهم في العرب ترجع لهذا العهد إلى أثبج ورياح وزغبة وقارع . فأمّا الأثبج فمنهم سراح بجهة برْقَة ، وعياض بجبل القَلعة المسمّى لهم ولغيرهم . وأمّا رياح فبلادهم بنواحي قُسنطينة والسلم والزابِ ، ومنهم عُتبةُ بنواحي بجاية ، ومنهم بالمغرب الأقصى خلق كثير كما يأتي في أخبارهم . وأمّا زغبة فإنهم في بلاد زناتة خلق كثير . وأمّا قارع فإنّهم في المغرب الأقصى مع المعقل وقرّة وجشم . وبنو قُرّة كانت منازلهم ببرقة وكانت رياستهم أيام الحاكم العُبيديّ لما مضى ابن مقرب ، ولما بايعوا لأبي ركوة من بني أميّة بالأندلس وقتله الحاكم سلّط عليهم العرب والجيوش فأفنوهم ، وانتقل جلّهم إلى المغرب الأقصى ، فهم مع جَشْم

هنالك كما يأتي ذكره ويأتي الكلام في نسب هلال وشعوبهم ومواطنهم بالمغرب الأوسط وأفريقية عند الكلام عليهم في الطبقة الرابعة.

وأمّا بنو ربيعة بن عامر فبطونٌ كثيرةٌ وعامّتُها ترجع إلى ثلاثة من بنيه وهم عامر وكلاب وكعب، وبلادهم بأرض نجد الموالية لتهامة بالمدينة وأرض الشام، ثم دخلوا إلى الشام وافترق منهم على ممالك الإسلام فلم يبق منهم بنجد أحد. فمن عامر بن ربيعة بنو التكْما وهو ربيعة بن عامر بن ربيعة الذي اشترك إبنه حندج مع خالد بن جعفر بن كلاب في قتل زهير بن جذيمة العبسيّ، وبنو ذي السهمين معاوية بن عامر بن ربيعة وهو ذو الحجر عوف بن عامر بن ربيعة، وبنو فارس الضحيا عمرو بن عامر بن ربيعة منهم خدّاش بن زُهيرة بن عمرو من فرسان الجاهلية وشعرائها.

وأمّا بنو كلاب بن ربيعة فمنهم بنو الوحيد بن كعب بن عامر بن كلاب وبنو ربيعة المجنون ابن عبدالله بن أبي بكر بن كلاب وبنو عمرو بن كلاب. قال ابن خزم: يقال: إنّ منهم بني صالح بن مِرْدَاس أمراء حلب، ومن بني كلاب بنو رواس واسمه الحرب بن كلاب، وبنو الضباب واسمه معاوية بن كلاب الذين منهم شهر بن ذي الجوش[1] بن الأعور بن معاوية قاتل الحسين بن عليّ، ومن عقبه كان الصُهيل ابن حاتم بن شِمْر وزير عبد الرحمن بن يوسف الفهري بالأندلس، وبنو جعفر بن كلاب الذين منهم عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر وعمّه أبو عامر بن مالك ملاعب الأسنة وربيعة بن مالك وتبّع المعتبرين وأبوه لبيد بن ربيعة شاعر معروف مشهور. وكانت بلاد بني كلاب حمى ضرية والرَبْذَة في جهات المدينة وفدك والعوالي، وحمى ضرية هي حمى كُليب وائل نباته النضر تسمن عليه الخيل والإبل، وحمى الرَبْذَة هو الذي أخرج عليه عثمان أبا ذر رضي الله عنهما. ثم انتقل بنو كلاب إلى الشام فكان لهم في الجزيرة الفراتية صيت وملك وملكوا حلب وكثيراً من مدن الشام، تولّى ذلك منهم بنو صالح بن مِرْدَاس، ثم ضعفوا فهم الآن تحت خفارة العرب المشهورين بالشام وهنالك بالأمارة من طيء. قال ابن سعيد وكان لهم في الإسلام دولة باليمامة.

ومن بني كعب بن ربيعة بطون كثيرة منهم: الحُرَيشُ بن كعب بطن كان منهم مُطرفُ بن عبدالله بن الشخّير بن عوف بن وقدان بن الحريش الصحابي المشهور،

(١) وهو: شِمْر بن ذي الجوشن.

ويقال : إنّ منهم ليلى التي شبَّبَ بها قيس بن عبدالله بن عمرو بن عدس بن ربيعة بن جعدة الشاعر ، مادِح النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وعبدالله بن الحشرج بن الأشهب بن ورد بن عمرو بن ربيعة بن جعدة الذي غلب على ناب فارس أيام الزبير وعم أمه زياد بن الأشهب الذي وفد على عليّ ليصلح بينه وبين معاوية ، ومالك بن عبدالله بن جعدة الذي أجار قيس بن زهير العبسيّ . وبنو قُشَيْر بن كعب منهم مُرّة بن هُبيرة بن عامر بن مسلمة الخير بن قشير وفد على النبي صلى الله عليه وسلّم فولاّه صدقات قومه ، وكلثوم بن عياض بن رصُوح بن الأعور بن قُشَير الذي ولي أفريقية ، وابن أخيه بلخ بن بشر . ومن بني قشير بخراسان أعيان منهم أبو القاسم القشيريّ صاحب الرسالة ، ومنهم عريسة الأندلس بنو رشيق ملكها منهم عبد الرحمن بن رشيق وأخرج منها ابن عمارة ، ومنهم الصِمَّة بن عبدالله من شعراء الحماسة . وبنو العجلان بن عبدالله بن كعب وشاعرهم تميم بن مُقبل . وبنو عقيل بن كعب وهم بطون كثيرة منهم : بنو المُنتفق بن عامر بن عقيل . ومن أعقاب بني المنتفق هؤلاء العرب المعروفون في المغرب بالخلط . قال عليّ بن عبد العزيز الجرجاني : الخلط بنو عوف وبنو معاوية إبنا المنتفق بن عامر بن عقيل انتهى .

قال ابن سعيد : ومنازل المنتفق[1] الآجام التي بين البصرة والكوفة والأمارة منهم في بني معروف . قلت والخلط لهذا العهد في أعداد جشم بالمغرب ، ومن بني عقيل بن كعب بنو عبادة بن عقيل ، منهم الأخيل وإسمه كعب بن الرحّال بن معاوية بن عبادة ، ومن عقبه ليل الأخيلية[2] بنت حذيفة بن سداد بن الأخيل .

وذكر ابن قتيبة : أن قيس بن المُلَوح المجنون منهم . وبنو عبادة هؤلاء لهذا العهد فيما قال ابن سعيد بالجزيرة الفراتيّة فيما يلي العراق ، ولهم عدد وذكر ، وغلب منهم على الموصل وحلب في أواسط الخامسة قريش بن بدران بن مُقلد فملكها هو وابنه مُسْلِم بن قريش من بعده ، ويسمى شرف الدولة ، وتوالى الملك في عقب مسلم بن قريش منهم إلى أن انقرضوا . قال ابن سعيد : ومنهم لهذا العهد بقية بين الحازر والزاب يقال لهم عرب شرف الدولة ، ولهم إحسان من صاحب الموصل وهم في تجمل وعزّ إلا أنّ عددهم قليل نحو مائة فارس . ومن بني عقيل بن كعب خفاجة بن عمرو بن عقيل

---

(١) تسمى الآن في العراق (المِنتفِك) ويطلقونها خاصة على لواء الناصرية .
(٢) وفي نسخة ثانية : ليلى الأخيَلة .

وانتقلوا في قرب من هذه العصور إلى العراق والجزيرة ولهم ببادية العراق دولة ، ومن بني عامر بن عقيل بنو عامر بن عوف بن مالك بن عوف ، وهم إخوة بني المُنتفق وهم ساكنون بجهات البصرة وقد ملكوا البحرين بعد بني أبي الحسن ملكوها من تغلب . قال ابن سعيد : وملكوا أرض اليمامة من بني كلاب ، وكان ملكهم لعهد الخمسين من المائة السابعة عصفور وبنوه وقد انقضى الكلام في بطون قيس عيلان . والله المعين لا ربّ غيره ولا خيرٌ إلاّ خيره وهو نِعمُ المولى ، ونِعْمِ النصير ، وهو حسبي ونِعْمَ الوكيل . وأسأله الستر الجميل آمين .

خفاجة بن عمرو بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر

عبادة

عقيل

الحريش

جعدة

ربيعة بن عامر

سواءة

عبد مناف

عبدالله بن هلال

نهيك

شعبة

ناشرة

بنو الوحيد بن كعب بن عامر بن كلاب

الطفيل بن مالك بن جعفر

بنو رواس

عمرو

قشير

العجلان بن عبدالله

معاوية بن المنتفق بن عامر

ذكوان بن رفاعة بن الحارث بن رجا بن الحرث بن بهثة بن سليم

علي بن مالك بن امرىء القيس بن بهثة بن سليم

بنو

يقظة

الشريد بن عصية بن خفاف

عبيدة

محارب

طرود بن فهم

عدوان بن عمرو

مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد

ظالم

بدر بن عدي بن فزارة

مازن

شمخ

سعد

عبس

اشجع

غني

باهلة

مرة

جهم

معتب بن عوف بن ثقيف بن قسي بن منبه

سعد

غيلان

وأمّا بطون خندف بن الياس بن مضر ولد إلياس مُدركة وطابخة وقمعة وأمّهم امرأة من قُضاعة اسمها خندف فانتسب وُلْدُ إلياس كلّهم إليها ، فمن بطون قُمعة أسلم وخزاعة ، فأسلم بنو أفصى بن عامر بن قُمعة ، وخُزاعة بن عمرو بن عامر بن لَحيّ وهو ربيعة ابن عامر بن قمعة واسمه حارثة . وعمرو بن لَحيّ هو أوّل من غيّر دين إسمعيل وعبد الأوثان وأمر العرب بعبادتها ، وفيه قال صلى الله عليه وسلم : «رأيت عمرو بن لَحيّ يجر قصبه في النار» يعني أحشاءه . ومواطنهم بأنحاء مكة في مرّ الظهران وما يليه وكانوا حلفاء لقريش. ودخلوا عام الحديبية في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانوا مما[1] صالح قريشاً عليه ثم نقضوا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ، فغزا قريشاً وغلبهم على أمرهم وافتتح مكّة وكان عام الفتح . وقد يقال : إنّ خزاعة هؤلاء من غسّان وأنهم بنو حارثة بن عمرو مزيقيا ، وأنهم أقاموا بمرّ الظهران حين سارت غسّان إلى الشام وتخزعوا عنهم فسموا خزاعة ، وليس ذلك بصحيح كما ذكر . وكان لخزاعة ولاية البيت قبل قريش في بني كعب بن عمرو بن لحيّ ، وانتهت إلى حليل بن حبشيّة بن سلول وهو الذي أوصى بها لقصي بن كلاب حين زوّجه ابنته حبى بنت حليل . ويقال : إنّ أبا غبشان بن حليل واسمه المُحْترِش باع الكعبة من قُصيٍّ بزق وخمر وفيه جرى المثل المعروف . يقال : أخسر صفقة من أبي غبشان . ومن وُلْدِ حليل بن حبشيّة كان كرز بن علقمة بن علال بن حُريبة بن عبد فهم بن حليل ، الذي قفا أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى إلى الغـار ، ورأى عليه نسج العنكبوت وعِش اليمامة ببيضها فرجوا عنه .

ولخُزاعة هؤلاء بطون كثيرة منهم بنو المُصطَلِق بن سعد بن عمرو بن لحيّ ، وبنو كعب بن عمرو . ومنهم عمران بن الحُصين صحابي ، وسليمان بن صُرُد أمير التوّابين القائمين بثأر الحسين ، ومالِك بن الهيثم من نقباء بني العبّاس وبنو عديّ بن عمرو ، ومنهم جويريةُ بنت الحارث أم المؤمنيْن ، وبنو مليح بن عمرو ، ومنهم طلحة الطلحات ، وكُثيّر الشاعر صاحب عزّة وهو ابن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر بن عويمر بن مخلد بن سبيع بن خثعمة بن سعد بن مليح . وبنو عوف بن عمرو ومنهم العُبّاد أهل الحيرة وهم بنو جُهينة بن عوف . ومن إخوة خزاعة بنو أسلم بن أفصى بن عامر بن قُمعة وبنو مالك بن أفصى ، وماثان بن أفصى . فمن أسلم سلمة بن الأكوع

---

(١) الأصح ان يقول : ممن .

الصحابي ودِعْبل وبنو الشيص الشاعران ومحمد بن الأشعث قائد بني العباس ، ومن ذلك مالك بن سليمان بن كُثيّر من دعاة بني العبّاس قتله أبو مسلم .

وأمّا طابخة فلهم بطون كثيرة أشهرها ضبَّةُ والرُّبابُ ومُزينةُ وتميم ، وبطون صغار إخوة لتميم ، منهم صوفة ومحارب .

فأما بنو تميم بن مُرّ فهم : بنو تميم بن مُرّ بن أدّ بن طابخة ، وكانت منازلهم بأرض نجد دائرة من هنالك على البصرة واليمامة وانتشرت إلى العُذيب من أرض الكوفة ، وقد تفرّقوا لهذا العهد في الحواضر ولم تبق منهم باقية ، وورث منازلهم الحيّان العظمان بالمشرق لهذا العهد غزِيّةُ من طيء وخفاجةُ من بني عقيل بن كعب . ولتميم بطون كثيرة منهم الحارث بن تميم وفيهم ينسب المُسيَّبُ بن شريك الفقيه وهم قليل ، وبنو العنبر الذي بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصدقات ، وزُفر الفقيه ابن ذُهيل ابن قيس بن مسلم بن قيس بن مُكمل بن ذُهل بن ذُوَيْب بن جُذَيمة بن عمرو بن جيجور بن جُندب بن العنبر صاحب أبي حنيفة ، والناسك الفاضل عامر بن عبد قيس بن ثابت بن بشامة بن حُذيفة بن معاوية بن الجون بن كعب بن جندب وربيعة ابن رفيع بن سلمة بن محلم بن صلاة بن عبدة بن عديّ بن جندب ، وبنو الهجيج بن عمرو بن تميم وبنو أسيد بن عمير . وكان منهم أبو هالة هند بن زرارة بن النبَّاش بن عديّ بن نمير بن أسيد الصحابي المشهور ، وحنظلة بن الربيع بن صيفي بن رياح ابن الحرث بن مخاشن بن معاوية بن شريف بن جروة بن أسيد كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والحليم[1] المشهور أكثم بن صيفي بن رياح ، ويحيى بن أكثم قاضي المأمون من وُلد صيفي بن رياح . وبنو مالك بن عمرو بن تميم منهم النضر بن شُميل ابن خرشة بن يزيد بن كلثوم بن عبدة بن زهير بن عروة بن جميل بن حجر بن خزاعي بن مازن بن مالك النحوي المحدّث ، وسلم بن أخوز بن أربد بن محزر بن لاي بن مهل بن ضباب بن حجبة بن كابية بن حرقوص بن مازن بن مالك صاحب الشرطة لنصر بن سيّار وقاتل يحيى بن زيد بن زين العابدين ، وأخوه هلال بن أخوز قاتل آل المهلّب ، وقطريٌّ بن الفُجاءة ، واسم الفُجاءة جعونة بن يزيد بن زياد بن جنتر بن كابية بن حرقوص الخارجي الأزرقيّ سلم عليه بالخلافة عشرين سنة ، ومالك بن الريب بن جوط بن قرط بن حُسيل بن ربيعة بن كنانة بن حرقوص

(١) الصحيح : الحكيم لا الحليم حسب شهرة أكثم بن صيفي .

صاحب القصيدة المشهورة نعى بها نفسه وبعث بها إلى قومه وهو في خراسان في بعث عثمان بن عفّان وأوّلها :

دعاني الهوى من أهل ودّي ورفقتي بذي الشيّطين[1] فالتفتُّ ورائيا
يقولون لا تبعد[2] وهم يدفنونني وأين مكانُ البعد إلاّ مكانيا

وبنو عمرو بن العلاء بن عمّار بن عدنان بن عبيدالله بن الحصي بن الحرث بن جلهّم ابن خُزاعي بن مازن بن مالك ، وبنو الحرث بن عمرو بن تميم وهم الحبطات منهم عبّاد بن الحُصين بن يزيد بن أوس بن سيف بن عدم بن جبلذة بن قيار بن سعد بن الحرث وهو الملقّب بالحبط لعظم بطنه ، وبنو امرىء القيس بن زيد مناة بن تميم وكان منهم زيد بن عديّ بن زيد بن أيوب بن مُخوّف بن عامر بن عطيّة بن امرىء القيس صاحب النعمان بن المنذر بالحيرة الذي سعى به إلى كسرى حتى قتله ومُقاتلُ بن حسّان بن ثعلبة بن أوس بن إبراهيم بن أيوب بن مخوف صاحب قصر بني مقاتل بن منصور بالحيرة ولاهز بن قُريط بن سريّ بن الكاهن بن زيد بن عُصيَّة من دعاة بني العباس الذي قتله أبو مسلم لنذارته لنصر بن سيّار . وبنو سعد بن زيد مناة بن تميم منهم الأبناء كان منهم رُؤبة بن العجّاج بن رؤبة بن لبيد بن صخر بن كنيف بن عُمير ابن حيّ بن ربيعة بن سعد بن مالك بن سعد ، وعبدة بن الطيب الشاعر . وبنو منقر ابن عبيد بن مُقاعس بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة ، كان منهم قيس بن عاصم بن سنان بن خالد بن منقر ولاّه رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقات قومه ، وكان من ولده ميّة صاحبة ذي الرُمَّة بنت مقاتل بن طلبة بن قيس بن عاصم . ومن بني منقر عمرو بن الأهتم صحابي وبنو مُرّة بن عُبيد بن مقاعس ، منهم الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين بن حفص بن عبَّادة بن النزّال بن مُرّة وأبو بكر الأبهريّ المالكيّ ، وهو محمد بن عبدالله بن محمد بن صالح بن عمرو بن حفص بن عمرو بن مُصعب بن الزبير بن سعد بن كعب بن عبادة بن النزّال . وبنو صُريم بن مقاعس ، منهم عبدالله بن أباض رئيس الأباضيَّة من الخوارج ، وعبدالله بن صفّار رئيس الصفريّة ، والبركُ بن عبدالله الذي اشترط بقتل معاوية وضربه فجرحه . وبنو عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة منهم ، ثم من بني بهدلة

(١) الشيطين : مثنى شيّط بتشديد الياء اهـ .
(٢) تبعد : من بعد بمعنى هلك ومات .

ابن عوف الزبرقان واسمه الحُصين بن بدر بن امرىء القيس بن خلف بن بهدلة وأويس ابن اخيه حنظلة الذي أسر هوذة بن علي الحنفي . ومن بني عطارد بن عوف كرب بن صفوان بن شخمة بن عطارد الذي كان يجيز بأهل الموسم في الجاهلية . ومن بني قُرَيْع بن عوف بن كعب جعفر الملقب أنف الناقة وكان ولده يغضبون منها إلى أن مدحهم الحُطيئة بقوله :

قومٌ هُمُ الأنفُ والأذنابُ غيرهُمُ ومن يُسَوّي بأنف الناقة الذنبا[1]

وبنو الحرث الأعرج بن كعب بن سعد بن زيد مناة ، كان منهم زهرة بن جؤيَّة بن عبدالله بن قتادة بن مُرثد بن معاوية بن قطن بن مالك بن أرتم بن جشم بن الحرث الذي أبلى في القادسيّة وقتل الجالِنُوس أمير الفرس ، وقتله هو بعد ذلك أصحاب شبيب الخارجي مع عتاب بن ورقا وبنو مالك بن سعد بن زيد مناة ، كان منهم الأغلب بن سالم بن عقال بن خفافة بن عبَّاد بن عبدالله بن مُحرث بن سعد بن حرام بن سعد بن مالك أبو الولاة بأفريقية لبني العبّاس ، وبنو ربيعة بن مالك بن زيد مناة كان منهم عروة بن جرير بن عامر بن عبد بن كعب بن ربيعة أول خارجي قال : لا حكم إلاّ لله يوم صفّين . ويعرف بأنّ أباه نسبه إلى أمّه . ومن بني حنظلة بن مالك البراجم وهم بنو عمرو . والظلم وغالب وكلبة وقيس كلهم بنو حنظلة كان منهم ضابىء بن الحرث بن أرطأة بن شهاب بن عُبيد بن جنادل[2] بن قيس وابن عُمير بن ضابىء الذي قتله الحجاج . وبنو ثعلبة بن يربوع بن حنظلة كان منهم بمراثيه المشهورة ، وبنو الحرث بن يربوع منهم الزبير بن الماحور أمير الخوارج وأخوه عثمان وعلي وهم بنو بشير بن يزيد الملقّب بالماحور بن الحارث بن ساحق بن الحرث بن سليط بن يربوع وكلهم أمراء الأزارقة ، وبنو كُليب بن يربوع كان منهم جرير الشاعر ابن عطية بن الخطفي وهو حذيفة بن بدر بن سلم بن عوف بن كليب . وبنو العنبر بن يربوع منهم كانت سجاح المتنبئة بنت أويس بن جوين بن سامة بن عنبر . وبنو رياح كان منهم شبثُ بن ربعي بن حصين بن عُميم بن ربيعة بن زيد بن رياح كان منهم رياح أسلم ثم سار مع الخوارج ثم رجع عنهم تائباً ، ومعقل بن قيس أوفده عمّار بن ياسر على عمر بتفتح تستر ، وعتاب بن ورقاء بن الحارث بن عمرو بن همام بن رياح

---

(١) فأصبحوا بعد مدحه يفتخرون به .

(٢) وفي نسخة اخرى : جندال .

أمير أصبهان وقتله شبيب الخارجي . وبنو طهيّة بن مالك وهم بنو أبي سود وعوف ابني مالك . وبنو دارم بن مالك بن حنظلة كان منهم ثم من بني نهشل بن دارم بن حازم بن خزيمة بن عبدالله بن حنظلة نضلة بن حدثان بن مطلق بن أصحر بن نهشل صاحب الشرطة لبني العبّاس . ومن بني مُجاشع بن دارم الأقرع بن حابس بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع ، والفرزدق بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال والحتات بن يزيد بن علقمة الذي آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين معاوية بن أبي سفيان . ومن بني عبدالله بن دارم المنذر بن ساوى بن عبدالله بن زيد بن عبد مناة بن دارم صاحب هجر ومن بني غَرْس بن زيد بن عبدالله بن دارم حاجب بن زرارة بن غرس وابنه عطارد وبنوهم ، كان فيهم رؤساء وأمراء وانقضى الكلام في تميم .

وأمّا بنو مُزينة : وهم بنو مرّ بن أدّ بن طابخة بن إلياس واسم وُلْدِهِ عثمان وأوس وأمّهما مُزينة فسُمِّيّ جمع وُلْديهما بها ، فكان منهم زهير بن أبي سلمى وهو ربيعة بن أبي رباح بن قُرة بن الحرث بن مازن بن خلاوة بن ثعلبة بن ثور بن هرمة بن لاظم بن عثمان أحد الشعراء الستة ، وابناه بُجيرٌ وكعبٌ الذي مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والنعمان بن مُقرّن بن عامر بن صبح بن هجيم بن نصر بن حبشيّة بن كعب بن عفراء بن ثور بن هرمة ، وأخوه سويد الذي قتل يوم نهاوند ، ومعقل بن يسّار بن عبدالله بن معير بن حراق بن لابي بن كعب بن عيد ثور الصحابي المشهور.
وأمّا الرباب : وهم بنو عبد مناة بن أدّ بن طابخة فمن بنيه تيم وعديّ وعوف وثور ، وسُمُّوا الرباب لأنهم غمسوا في الرُبّ أيديهم في حلف على بني ضُبَّة ، وبلادهم جوار بني تميم بالدهنا ، وفي أشعارهم ذكر حزوى وعالج من معالمها . وتفرّقوا لهذا العهد ولم يبق منهم أحد هنالك . وكان من بني تيم بن عبد مناة المستورد بن علقمة بن الفريس بن صباري بن نشبة بن ربيع بن عمرو بن عبدالله بن لؤيّ بن عمرو بن الحرث بن تيم الخارجي قتله معقل بن قيس الرياحيّ في إمارة المغيرة بن شعبة ، وابن باخمة ورد بن مجالد بن علقمة حضر مع عبد الرحمن بن ملجم في قتل عليّ وقتل ، وقطام بنت بجنة بن عديّ بن عامر بن عوف بن ثعلبة بن سعد بن ذُهْل بن تيم التي تزوّجها عبد الرحمن بن ملجم ومهرها قتل عليّ فيما قيل حيث يقول :

ثلاثـــــة آلاف وعبـــدٌ وقينـــــةٌ وضربُ عليّ بالحُسام المُصمَّمِ (١)

وكانت خارجية وقتل أبوها شحمة وعمها الأخضر يوم النهروان . ومن بني عديّ بن عبد مناة ذي الرُمّة الشاعر ، وهو غيلان بن عقبة بن بهس بن مسعود بن حارثة بن عمرو بن ربيعة بن ساعدة بن كعب بن عوف بن ثعلبة بن ربيعة بن ملكان بن عديّ . ومن بني ثور بن عبد مناة ويسمى أطمل سُفيان الثُوريّ ، وهو سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع بن عبدالله بن منقر بن نصر بن الحارث بن ثعلبة بن عامر بن ملكان بن ثور وأخواه عمرو والمُبارك والربيع بن خُثيم الفقيه .

وأمّا ضُبَّة : فهم بنو ضُبَّة بن أدّ وكانت ديارهم جوار بني تميم إخوتهم بالناحية الشمالية التهاميّة من نجد ، ثم انتقلوا في الإسلام إلى العراق بجهة النعمانيّة وبها قتلوا المُثنّى الشاعر . فمنهم ضرار بن عمرو بن مالك بن زيد بن كعب بن بجالة بن ذُهل بن مالك بن بكر بن أسعد بن ضُبّة سيد بني ضُبّة في الجاهلية ، وبقيت سيادتهم في بنيه ، وكان له ثمانية عشر ولداً ذكراً شهدوا معه يوم القريتين ، وابنه حصين كان مع عائشة يوم الجمل ، ومن ولده القاضي أبو شبرمة عبدالله بن شبرمة بن الطُفيل بن حسّان بن المنذر بن ضرار بن عنبسة بن اسحق بن شمر بن عبس بن عنبسة بن شعبة ابن المختبر بن عامر بن العباب بن حسل بن بجالة المذكور في قوّاد بني العبّاس ولي مصر أيام المتوكل . ويقال : إنّ الديلم من بني باسل بن ضبّة بن أدّ والله أعلم .

وأمّا صوفة : فهم بنو الغوث بن مرّ بن أدّ كانوا يجيزون بالحاج في الموسم لا يجوز أحد حتى يجوزوا ثم انقرضوا عن آخرهم في الجاهلية ، وورث ذلك آل صفوان بن شحمة من بني سعد بن زيد مناة بن تميم ، وقد مرّ ذكر ذلك وانقضى بنو طابخة بن إلياس .

وأمّا مُدركةُ بن إلياس فهم بطون كثيرة أعظمها هُذيل والقارة وأسد وكنانة وقريش .

فأمّا هذيل : فهم بنو هذيل بن مدركة ، وديارهم بالسروات ، وسراتهم متصلة بجبل غزوان المتصل بالطائف ، ولهم أماكن ومياه في أسفلها من جهات نجد وتهامة وبين

---

(١) وفي كتاب : The Religion of the Shiah لمؤلفه دوايت . م دونالدسن

ثلاثـــــة الآف وعبـــــد وقينـــــه وضرب علي بـــــــالحسام المسمم

فلا مهر أعلى من عليّ وإن علا ولا فتك إلا دون فتك ابن ملجم

وربما تكون هذه الرواية أصح لان الحسام الذي قتل به الامام كان مسموماً .

مكّة والمدينة ، ومنها الرجيعُ وبئر معونة . وهم بطنان سعد بن هُذيل ولحيان بن هُذيل : فمن بني سعد بن هُذيل أبو بكر الشاعر ، والحُطيئة فيما يقال ، وعبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمخ بن فار بن مخزوم بن صاهلة بن الحارث بن تميم بن سعد الصحابي المشهور. وأخْواه عُتبة وعُميس ، وبنوه عبد الرحمن وعُتبة ، والمسعودي المؤرخ ابن عُتبة وهو عليّ بن الحسين بن عليّ بن عبدالله بن زيد بن عُتبة بن عبدالله بن عبد الرحمن بن عبدالله بن مسعود ، ومن عتبة أخيه عتبة بن عبيدالله بن زيد بن عتبة فقيه المدينة . وقد افترقوا في الإسلام على الممالك ولم يبق لهم حي يطرف . وبأفريقية منهم قبيلة بنواحي باجة يعسكرون مع جند السلطان ويؤدّون المغرم .

وأمّا بنو أسد : فمنهم بنو أسد بن خزيمة بن مُدركة ، بطن كبير متسع ذو بطون ، وبلادهم فيما يلي الكرخ من أرض نجد وفي مجاورة طيء ، ويقال : إنّ بلاد طيء كانت لبني أسد ، فلما خرجوا من اليمن غلبوهم على أجا وسلمى وجاؤا واصطلحوا وتجاوروا لبني أسد والتغلبيّة وواقصة وغاضرة . ولهم من المنازل المسمّاة في الأشعار غاضرة والنعف ، وقد تفرّقوا من بلاد الحجاز على الأقطار ولم يبق لهم حيّ وبلادهم الآن فيما ذكر ابن سعيد لطيء وبني عقيل الأمراء ، كانوا بأرض العراق والجزيرة وكانوا في الدولة السلجوقيّة قد عظم أمرهم وملكوا الحلّة وجهاتها ، وكان بها منهم الملوك بنو مرين الذين ألّف الهباريّ أرجوزته المعروفة به في السياسة . ثم اضمحلّ ملكهم بعد ذلك وورث بلادهم بالعراق خفاجة . وكانت بنو أسد بطوناً كثيرة ، كان منها بنو كاهل قاتل حجر بن عمر والملك والد امرىء القيس ، وبنو غنم بن دُودان بن أسد منهم : عبيدالله بن جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرّة بن كُثيّر بن غنم الذي أسلم ثم تنصّر ومات نصرانياً ، وأخته زينب أمّ المؤمنين رضي الله عنها ، وعكاشة بن محصن بن حدثان بن قيس بن مرّة بن كثيّر الصحابي المشهور. وبنو ثعلبة بن دودان بن أسد منهم : الكُميتُ الشاعر ابن زيد بن الأخنس بن ربيعة بن امرىء القيس بن الحرث بن عمرو بن مالك بن سعد بن ثعلبة ، وضرار بن الأزور وهو مالك بن أويس بن خُزيمة بن ربيعة بن مالك بن ثعلبة الصحابي ، قاتل مالك بن نويرة ، والحضرميّ بن عامر بن مجمع بن موالة بن همّام بن صحب بن القيس بن مالك وافدهم على النبيّ صلى الله عليه وسلم . وبنو عمرو بن قعيد بن

الحارث بن ثعلبة بن دودان منهم : الطمّاح بن قيس بن طريف بن عمرو بن قعيد الذي سعى عند قيصر في هلاك امرىء القيس ، وطُليحة بن خويلد بن نوفل بن نضلة بن الأشتر بن حجوان بن فقعس بن طريف بن عمر والذي كان كاهناً وادعى النبوّة ثم أسلم .

وفي بني أسد بطون يطول ذكرها .

وأمّا القارةُ وعكلٌ : فهم بنو الهون بن خُزيمة بن مُدركة بن إلياس إخوة بني أسدٍ وكانوا حلفاء لبني زهرة بن قُريش .

وأمّا كنانة فهم كنانة بن خُزيمة بن مُدركة إخوة بني أسد ، وديارهم بجهات مكّة ، وفيهم بطون كثيرة وأشرفها قُريش ، وهم بنو النضر بن كنانة وسيأتي ذكرهم . ثم بنو عبد مناة بن كنانة وبنو مالك بن كنانة . فمن بني عبد مناة : بنو بكر وبنو مرّة وبنو الحرث وبنو عامر ، فمن بني بكر بنو لَيْث بن بكر منهم بنو المُلوَّح بن يعمُر وهو الشدّاخ بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث . ومنهم الصعب بن جُثامة بن قيس بن الشدّاخ الصحابي المشهور ، والشاعر عُروةُ بن أُدينة بن يحيى بن مالك بن الحرث بن عبدالله ابن الشدّاخ ، ومنهم بنو شجع بن عامر بن ليث بن بكر ومنهم أبو واقد الليثي الصحابي وهو الحرث بن عوف بن أسيد بن جابر بن عديدة بن عبد مناة بن شجع ، وبنو سعد بن ليث بن بكر منهم أبو الطفيل عامر بن واثلة بن عبدالله بن عمرو بن جابر بن خميس بن عديّ بن سعد آخر من بقي ممن رأى النبي صلى الله عليه وسلم مات سنة سبع ومائة وواثلةُ بن الأسقع بن عبد العُزّى بن عبد ياليل بن ناشب بن عِبدة بن سعد الصحابي المشهور ، وبنو جذع بن بكر بن ليث بن بكر : منهم أمير خُراسان نصرُ بن سيّار بن رافع بن عديّ بن ربيعة بن عامر بن عوف بن جُندع ورافع بن الليث بن نصر القائم بسمرقند أيام الرشيد بدعوة بني أميّة ثم استأمن إلى المأمون . ومن بني عبد مناف بنو عريج بن بكر بن عبد مناف وبنو الدَيل بن بكر : منهم الأسود بن رزق بن يعمر بن نافثة بن عديّ بن الديّل الذي كان بسببه فتح مكة . وسارية بن زنيم بن عمرو بن عبدالله بن جابر بن محيّة بن عبد بن عديّ بن الديل الذي ناداه عُمَر فيما اشتهر من المدينة وهو بالعراق يقاتل وأبو الأسود واضع النحو وهو ظالم بن عمرو بن سفيان بن عمرو بن جندُب بن يعمر بن حليس بن نافثة بن عديّ . وبنو ضُمرة بن بكْر : منهم عامِرَة بن مخشى بن خُوَيْلد عبد بن نَهْمِ بن يعمر

بن عوف بن جري بن ضمرة الذي وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه وعمرو بن أميّة بن خويلد بن عبدالله بن إياس بن عُبيد بن ناشرة بن كعب بن جري الصحابي ، والبرّاضُ بن قيس بن رافع بن قيس بن جري الفاتك قاتل عُروة الرّحّال ابن عُتبة بن جعفر بن كلاب وكان بسببها حرب الفُجّار . ومن ضُمرة غفّار بن مليل بن ضُمرة بطن كان منهم أبو ذرّ الغفاريّ الصحابي وهو جُندُب بن جنادة بن سفيان بن عبيد بن حرام بن غفّار ، وصاحبه كُثيّر الشاعر الذي تشبّب بعزّةَ بنت جميل بن حفص بن إياس بن عبد العُزّى بن حاجب غافرُ بن غفّار ومنهم كُلثوم بن الحُصين بن خالد بن مُعيسير بن بدر بن خميس بن غفّار واستخلفه النبيّ صلى الله عليه وسلم على المدينة في غزوة الفتح . وبنو مدلج بن مُرّة بن عبدمناة : منهم سُراقة بن مالك بن جعشم بن مالك بن عمرو بن مالك بن تيم بن مدلج الذي اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم بجُعالة قريش ليردّه فظهرت فيه الآية وصرفه الله تعالى عنه ومُجزِزُ المدْلِجيّ الذي سرّ النبي صلى الله عليه وسلم بقيافته في أسامة وزيد وهو مُجزِزُ بن الأعور بن جعد بن مُعاذ بن عتوارة بن عمرو بن مدلج . وبنو عامر بن عبد مناة منهم بنو مُساحق بن الأفرم بن جُذيمة بن عامر الذين قتلهم خالد بن الوليد بالغُميصَا ووداهمُ النبي صلى الله عليه وسلم وأنكر فعل خالد . وبنو الحارث بن عبد مناة منهم الحليس بن علقمة بن عمرو بن الأوقح بن عامر بن جذيمة بن عوف بن الحارث الذي عقد حلف الأحابيش مع قُريش وأخوه تيم الذي عقد حلف القارة معهم . وبنو فراس بن مالك بن كنانة : منهم فارس العرب ربيعة بن المكدَّم بن عامر بن خُويلد بن جُذيمة بن علقمة بن جذل الطعّان بن فارس . وبنو عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة : منهم نَسأةُ الشهور في الجاهلية قام الإسلام فيهم على جنادة بن أميّة بن عوف بن قلع بن جُذيمة بن فُقيم بن علي بن عامر وكل من صارت إليه هذه المرتبة كان يسمى القَلَمّس وأوّلُ من نسأ الشهور : سمير بن ثعلبة بن الحارث وكان منهم الرماحسُ بن عبد العزيز بن الرماحس بن الرسارس بن واقد بن وهب بن هاجر بن عزّ بن وائلة بن الفاكه بن عمرو بن الحرث ولاّه عبد الرحمن الداخل حين جاء إلى الأندلس على الجزيرة وشذُونة وامتنع بها ثم زحف إليه ففرّ إلى العُدْوَة وبها مات . وكان له بالأندلس عَقِبٌ ولهم في الدولة الأمويَّة ذكر وولايات كان منها على الأساطيل فكان لهم فيها غَناءٌ وكانوا يغزون سواحل العُبَيْديّين بأفريقية فتعظم نكايتهم

فيها . وهو وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين لا ربّ غيره ولا خير إلاّ خيره ، ولا يرجى إلا أيّاه ولا معبود سواه ، وهو نعم المولى ، ونعم النصير ، وأسأله الستر الجميل ، ولا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين . والحمد لله رب العالمين ، حمداً دائماً كثيراً ، والله ولي التوفيق .

الملوح بن يعمر بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناف بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان

منقر بن عبيد بن مقاعس بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم بن مر بن اد بن طابخة

الحرث بن العنبر بن يربوع بن حنظلة بن مالك

مساحق بن الاقرم بن جذيمة

بنو سعد

الرباب بن عبد مناة

ثعلبة بن سعيد بن ضبة

بنو النضر

الهجيج

الحرث

عمرو

عوف

شجع

جذع

غفار بن مليل بن ضمرة

عامر بن ثعلبة بن الحرث

فراس بن مالك

القارة بن الهون

بنو عمرو بن عقيد بن الحرث بن ثعلبة بن دودان بن اسد

غنم

لحيان بن هذيل

وأمّا قريش وهم وُلْد النضر بن كنانة بن فَهْر بن مالك بن النضر ، والنضر هو الذي يسمّى قريشاً ، قيل للتَقَرّش وهو التجارة ، وقيل تصغير قِرْش وهو الحوت الكبير المفترس دواب البحر . وإنما انتسبوا إلى فهر لأنّ عقب النضر منحصر فيه لم يعقب من بني النضر غيره ، فهذا وجه القول بأنّ قريشاً من بني فِهْر بن مالك أعني انحصار نسبهم فيه ، وأمّا الذي إسمه قَرَيْش فهو النضر. فولد فِهْر غالب والحارث ومحارب فبنو محارب بن فِهْر من قريش الظواهر منهم الضحاك بن قيس بن خالد بن وهب بن ثعلبة بن واثلة بن عمرو بن شيبان بن مُحارب صاحب مرج راهط ، قاتل فيه مروان بن الحكم حين بويع له بالخلافة وقتل . وضِرَار بن الخطّاب بن مِرْدَاس بن كُثيّر بن عمرو آكل السُقُف(1) ابن حبيب بن عمرو بن شيبان الفارس المشهور في الصحابة ، وأبوه الخطّاب بن مِرْدَاس سيد الظواهر في الجاهلية ، وكان يأخذ المرباع منهم وحضر حروب الفجّار ، وابنه من فرسان الإسلام وشعرائه . وعبد الملك بن قطيّ بن نهشل بن عمرو بن عبدالله بن وهب بن سعد بن عمرو آكل السُقُف شهد يوم الحرّة وعاش حتى وليَ الأندلس وصلبه أصحاب بلخ بن بشر القُشيري ، وكرز بن جابر بن حسْل ابن لاحب بن حبيب بن عمرو بن شيبان قتل يوم الفتح وهو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . وسار بنو الحرث بن فهر من الظواهر ، منهم أبو عُبيدة عامر بن عبدالله بن الجرّاح بن هلال بن وهب بن ضبَّة بن الحرث من العشيرة وأمير المسلمين بالشام عند الفتح ، وعُقبة بن نافع بن عبد قيس بن لقيط بن عامر بن أمية بن ضرب بن الحرث فاتح أفريقية ومؤسس القيروان بها ، ومن عقبه عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيْدَة بن عُقبَة والي أفريقية أبوه حبيب بن عُقبة هو قاتل عبد العزيز بن موسى بن نُصير ، ويوسف بن عبد الرحمن بن أبي عبيدة صاحب الأندلس وعليه دخل عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك فقتله ووليها هو وبنوه من بعده .

وأمّا غالب بن فِهْر وهو في عمود النسب الكريم فولد تَيْم الأدْرَم وولدين فبنو تيم الأدرم من الظواهر وهم بادية ، كان منهم ابن خَطَل الذي أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله يوم الفتح فقتل وهو متعلّق بأستار الكعبة ، وهو هِلال بن عبدالله بن عبد مناة بن أسعد بن جابر بن كبير بن تيم الأدرم .

وأمّا لؤي بن غالب في عمود النسب الكريم فولد كعباً وعامراً وبطوناً أخرى يختلف

(1) ج سقيفة : بمعنى البعير.

في نسبها إلى لؤي خُزيمة وسامة وسعد وجشم ، وهو الحارث وعوف وهم من قريش الظواهر على أقل ، فمنهم خُزيمة بن لؤي وبنو سامة بن لؤي ، ويقال ليس بنو سامة من قريش وهم بعُمان . ويقال : إنّ منهم بني سامان ملوك ما وراء النهر . فأمّا بنو عامر بن لؤي فهم شُقير حِسْل بن عامر ومعيص بن عامر فمن بني معيص بِشْر بن أرطأة وهو عويمر عمران بن الحليس بن يسار بن نزار بن معيص بن عامر وهو أحد قوّاد معاوية ، ومُكْرز بن حفص بن الأحنف بن علقمة بن عبد الحارث بن مُنقذ بن عمرو بن مَعِيص من سادات قريش الذي أجار أبا جندل بن سهيل فردّه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو عمرو بن قيس بن زايدة بن جندب الأصم ابن هرم بن رواحة بن حجر بن عبد معيص ، وهو ابن خال خديجة وأمّه أمّ كلثوم عاتكة بنت عبدالله بن عنكثة بن عامر بن مخزوم .

ومن بني حِسْل عامر بن عبدالله بن سعد بن أبي سرح بن الحارث بن جبيب بن خزيمة بن مالك بن حِسْل بن عامر أمير المسلمين في فتح أفريقية أيام عثمان ووليَ مصر وكان كتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رجع إلى مكة ثم جاء تائباً وحسنت حاله وقصته معروفة ، وحُويطب بن عبد العزّى بن أبي قيس بن عبدودّ بن نصر بن مالك بن حِسْل له صُحبَةٌ ، وعبد عمرو بن عبد شمس بن عبدودّ بن نصر بن مالك صاحب الحُديبيّة وأخوه السكران ، وابنه أبو جندل سُهيل وإسمه العاصي وهو الذي جاء في قيوده يوم صلح الحُديبيّة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فردّه وقصته معروفة . وزُمعة بن قيس بن عبد شمس ، وابنه عبد بن زُمعة ، وبنته سودَه بنت زُمعة أم المؤمنيَن وكانت زوجة السكران ابن عمها ، ثم تزوّجها بعده رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأمّا كعب بن لُؤي وهو في عمود النسب الكريم فولده مُرَّةُ وهُصيص وعديّ وهم قريش البطاح أي بطائح مكّة ، فمن ابن كعب هُصيص بن كعب بن لؤيّ بن سهم بن عمرو بن هُصيص بن كعب منهم العاصي بن وائل بن هشام بن سعيد بن سَهْم ، وابناه عمرو وهشام إبنا العاصي ، وعبد الرحمن بن معيص بن أبي وداعة وهو الحارث بن سعيد بن سعد بن سهم قارىء أهل مكّة ، وإسمعيل بن جامع بن عبد المطّلب بن أبي وادعة مفتي مكّة ونبيه ومنبه إبنا الحجاج بن عامر بن حُذيفة بن سعد بن سَهْم قتلا يوم بدر كافرين وألقيا في القليب ، وقتل يومئذ العاصي بن مُنَبّه ، وكان له ذو

الفقار سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعبدالله بن الزبعري بن قيس بن عديّ بن سعد بن سهم كان يؤذي بشعره ثم أسلم وحَسُنَ إسلامه ، وحُذافة بن قيس أبو الأخنس وخنيس ، وكان خُنيس على حفصة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعبدالله بن حُذافة من مُهاجرة الحبشة وهو الذي مضى بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى كسرى . وبنو جُمح بن عمرو بن هُصيص بن كعب ، كان منهم أميّة بن خلف بن وهب بن حُذافة قتل يوم بدر وأخوه أبيّ قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد بيده وابنه صفوان بن أميّة أسلم يوم الفتح وابنه عبدالله بن صفوان قتل مع الزُبير وعثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حُذافة وإخوته قُدامة والسائب وعبدالله مهاجرون بَدْرِيّون وإخوتهم زينب بنت مظعون أم حفصة .

وبنو عديّ بن كعب : منهم زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العُزّى بن رياح بن عبدالله بن قِرْط بن زراح بن عديّ[1] . رفض الأوثان في الجاهلية والترم الحنيفيّة ملّة إبراهيم إلى أن قتل بقرية من قرى البَلْقَاء قتله لَخْم أو جُذَامُ ، وابنه سعيد بن زيد أحد العشرة المشهود لهم بالجنّة . وعمر بن الخطّاب أمير المؤمنين ، وابنه عبدالله وعاصم وعُبيدالله وغيرهم ، وخارجة بن حذافة بن غانم بن عامر بن عُبيدالله بن عُويج بن عديّ بن كعب الذي قتله الحروري بمصر يظنّه عمرو بن العاص[2] وقال : أردت عمراً وأراد الله خارجة فصارت مثلاً . وأبو الجهم بن حذيفة بن غانم صاحب النفل يوم حُنين ومُطيع بن الأسود بن حارثة بن نضلة بن عوف بن عُبيد بن عُويج صحابي ، وابنه عبدالله بن مُطيع كان على المهاجرين يوم الحرَّة قتل مع ابن الزبير بمكة .

وأمّا مُرّة بن كعب وهو من عمود النَسَبِ الكريم فكان له من الوُلد كِلاَب وتَيْم ويقظة .

فأمّا تيم بن مُرّة فمنهم : عبدالله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم سيد قريش في الجاهلية وتنسب إليه الدار المشهورة يومئذ بمكّة . ومنهم أبو بكر الصدّيق وإسمه عبدالله بن أبي قحافة وهو عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب وابناه عبد

---

(١) وفي نسخة أخرى : رزاح بن عديّ .

(٢) وبهذه المناسبة قال الشاعر :

وليتهـا اذ فـدت عمر الخـارجـة ... فـدت عليًّـا بمن شاءت من البشر

الرحمن ومحمد * وطلحة بن عبيدالله بن عبيدالله بن عثمان بن عمرو بن كعب قتل يوم الجمل وابنه محمد السجّاد وأعقابهم كثيرة .

وبنو يقظة بن مرّة منهم : بنو مخزوم بن يقظة بن مرّة فمنهم صيفي بن أبي رُفاعة وهو أمية بن عائذ بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم ، قتل هو أخوه ببدر كافراً ، والأرقم بن أبي الأرقم وإسمه عبد مُناف بن أبي جُندُب ، وإسمه أسدُ بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم صاحبي بدريّ كان يجتمع بداره النبيّ صلى الله عليه وسلم والمسلمون سرًّا قبل أن يفشوا الإسلام ، وأبو سلمة عبدالله بن عبد الأسد بن هلال بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم من قدماء المهاجرين كان زوج أمّ سلمة قبل النبيّ صلى الله عليه وسلم ، والفاكِهُ بن المغيرة بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم وإسمه أبو قيس قتل يوم بدر كافراً ، وأبو جهل بن هشام بن المغيرة وإسمه عمر وقتل يومئذ كافراً وابنه عِكْرِمة صحابي ، والحارث بن هشام بن المغيرة أسلم وحسن إسلامه وله عقب كثير مشهورون ، وأبو أمية بن أبي حُذيفة بن المغيرة قتل يوم بدر كافراً وبنته أمّ سلمة أمّ المؤمنين وهشام بن أبي حُذيفة من مُهاجرة الحبشة ، وعبدالله بن أبي ربيعة وهو عمرو بن المغيرة من الصحابة من ولده الحارث بن عبدالله بن أبي ربيعة المعروف بالقبّاع ، والوليد بن المغيرة مات بمكّة كافراً وابنه خالد بن الوليد سيف الله صاحب الفتوحات الإسلامية ، وسعيد بن المُسيَّب بن حَزْن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم تابعي ، وأبوه المسيّب من أهل بيعة الرضوان .

وأمّا كلاب بن مرّة من عمود النسب الكريم فولد له قُصَيّ وزُهرة فبنو زُهرة بن كِلاَب منهم آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة أم النبي صلى الله عليه وسلم وابن أخيها عبدالله بن الأرقم بن عبديغوث بن وهب ، وسعد بن أبي وقّاص وإسمه مالك بن وهب بن عبد مُناف أمير المسلمين في فتح العراق ، وهاشم ابن أخيه عُتبة من الأمراء يومئذ ، وابنه عمرو بن سعيد الذي بعثه عبدالله بن زياد لقتال الحُسين وقتله المختار بن أبي عُبيد ، وأخوه محمد بن سعد قتله الحجّاج بن أبي الأشعث ، والمسوَّر ابن مخرمة بن نوفل بن وهب صحابي وأبوه من المؤلّفة قلوبهم ، وعبدالله بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحرث بن زُهرة وابنه سلمة وله عقب كثير .

وأمّا قُصَيّ بن كلاب من عمود النسب الكريم ، وهو الذي جمع أمر قريش وأثل مجدهم ، فولد له عبد مناف وعبد الدار وعبد العُزّى .

فبنو عبد الدار كان منهم النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار ، أسِرَ يوم بَدْر مع المشركين ، ولما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ومرَّ بالصفراء أمر به فضرب عنقه هنالك . ومُصعب بن عمرو بن هاشم بن عبد مناف صحابي بَدْرِي استشهد يوم أحد وكان صاحب اللواء ، ومن عقبه كان عامر بن وهَبْ القائم بسرقسطة من الأندلس بدعوة أبي جعفر المنصور ، وقتله يوسف بن عبد الرحمن الفِهْرِيّ أمير الأندلس قبل عبد الرحمن الداخل . ومنهم أبو السنابل بن بعكك بن السبَّاق بن عبد الدار صحابي مشهور ، ومنهم عثمان بن طلحة بن عبد العُزّى بن عثمان بن عبد الدار الذي دفع إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح مفتاح الكعبة ، وقيل إنّما دفعه إلى أخيه شيبة وصارت حجابة البيت إلى بني شيبة بن طلحة من يومئذ .

وبنو عبد العُزىّ بن قُصيّ منهم أبو البختري العاصي بن هاشم بن الحارث بن أسد بن عبد العُزّى ، أراد التملّك على قريش من قبل قيصر فمنعوه فرجع عنهم الى الشام ، وسجن من وجد بها من قريش ، وكان في جملتهم أبو أحيحة سعيد بن العاص فدست قريش إلى عمرو بن جفنة الغسّانيّ ، فسمّ عثمان بن الحويرث ومات بالشام . وهبَّار بن الأسود بن المطّلب بن أسد بن عبد العُزّى ، كان من عقبه عمر بن عبد العزيز بن المنذر بن الزُبير بن عبد الرحمن بن هبَّار صاحب السند وليها في ابتداء الفتنة إثر قتل المتوكّل ، وتداول أولاده ملكها إلى أن انقطع أمرهم على يد محمود بن سبكتكين صاحب غزنة وما دون النهر من خُراسان ، وكانت قاعدتهم المنصورة ، وكان جدّه المنذر بن الربيع قد قام بقرقيسيا أيام السفّاح فأُسِر وصُلِب . وإسماعيل بن هبّار قتله مُصْعَب بن عبد الرحمن غِيلة ، وهبّار كان يهجو النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم ابنه عوف أسلم فمدحه وحسن إسلامه . وعبدالله بن زُمعة بن الأسود له صحبة وتزوّج زينب بنت أبي سلمة من أم سلمة أم المؤمنين . وخديجة أمّ المؤمنين بنت خُويلد بن اسد بن عبد العُزّى ، والزُبير بن العوّام بن خُويلد احد العشرة ، وابناه عبدالله ومُصعب . وحَكِيم بنْ حزام بن خويلد عاش ستين سنة في الإسلام وباع داره والندوة من معاوية بمائة ألف ، وابنه هشام بن حكيم .

وأمّا عبد مُناف وهو صاحب الشوكة في قريش وسنام الشرف وهو في عمود النسب الكريم ، فولد له عبد شمس وهاشم والمطّلب ونوفل . وكان بنو هاشم وبنو عبد

شمس متقاسمين رياسة بني عبد مُناف والبقية أحلاف لهم فبنو المطّلب أحلاف لبني هاشم وبنو نوفل أحلاف لبني عبد شمس .

فأمّا بنو عبد شمس فمنهم العبلات وهم بنو أميّة الأصغر وبنته الثُريا صاحبة عمرو بن أبي ربيعة وهي سيدة القريض المُغنّي وبنو ربيعة بن عبد شمس : منهم عُتبة وشيبة إبنا ربيعة ، ومن عُتبة إبنه الوليد وقتل يوم بدر كافرا ، وأبو حذيفة صحابي وهو مولى سالم قتل يوم اليمامة ، وهند بنت عُتبة أمّ معاوية رضي الله عنها . وبنو عبد العُزى بن عبد شمس : منهم أبو العاصي بن الربيع بن عبد العُزّى صهر النبيّ وكانت له منها أمامة تزوّجها علي بعد فاطمة رضي الله عنهما . وبنو أميّة الأكبر بن عبد شمس منهم سعيد بن أبي أحيحة العاصي بن أميّة مات كافراً ، وابنه خالد بن سعيد قتل يوم اليرموك ، وسعيد بن العاص بن سعيد قديم الإسلام وليَ صنعاء واستشهد في فتح الشام ، وابنه سعيد قتل يوم اليرموك ، وسعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية وليَ الكوفة لعثمان ، وابنه عمر والأشدق القائم على عبد الملك وقتله ، وأمير المؤمنين عثمان بن عفّان بن العاص بن أمية ، ومروان بن الحكم بن أبي العاص ، وأعقابه الخلفاء الأوّلون في الإسلام والملوك بالأندلس معروفون يأتي ذكرهم عند أخبار دولهم . وأبو سُفيان بن حرب بن أميّة وأبناؤه معاوية أمير المؤمنين ويزيد وحنظلة وعُتبة وأم حبيبة أمّ المؤمنين ، وعَقِبُ معاوية بين الخلفاء والإسلام بيّنٌ معروفٌ يذكر عند ذكرهم . وعتاب بن أُسيد بن أبي العاص بن أمية ولاّه رسول الله صلى الله عليه وسلم على مكّة إذ فتحها فلم يزل عليها إلى أن مات يوم ورود الخبر بموت أبي بكر الصدّيق . ومنهم بنو أبي الشوارب القضاة ببغداد من عهد المتوكل إلى المُقتدر ، وهم بنو أبي عثمان بن عبدالله بن خالد بن أسيد بن أبي العاص وعُقبة بن أبي معيط وإسمه أبان بن عمرو بن أمية قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر صبراً ، وإبنه الوليد صحابي وليَ الكوفة وهو الذي حدّ على الخمر بين يدي عثمان ، وابنه أبو قطيفة الشاعر ، ومن عُقبة بن أبي معيط المعيطيّ الذي بويع بدانية من شرق الأندلس بايع له ما ملكها مجاهد زمان الفتنة بعد المائة الرابعة في آخر الدولة الأموية ، وهو عبدالله بن عبدالله بن عبيد الله بن الوليد بن محمد بن يوسف بن عبدالله بن عبد العزيز بن خالد بن عثمان بن عبدالله بن عبد العزيز بن خالد بن عُقبة بن أبي معيط .

وبنو نوفل بن عبد مناف : منهم جُبير بن مُطعم بن عديّ بن نوفل الصحابي المشهور ، وأبوه مطعم هو الذي نوّه به النبيّ صلى الله عليه وسلم يوم الطائف ومات قبل بَدْر ، وطُعيمة بن عديّ قتل يوم بدر كافراً ، ومولاه وحشي هو الذي قتل يوم أُحُد حمزة بن عبد المطّلب .

وبنو المطّلب بن عبد مُناف منهم قيس بن مخرمة بن المطّلب صحابي ، وابنه عبدالله بن قيس مولى يسار جد محمد بن إسحق بن يسار صاحب المغازي ، ومسطح وهو عوف بن أثاثة بن عبّاد بن المطّلب أحد من تكلم بالأفك وهو ابن خالة أبي بكر الصدّيق ، وركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطّلب كان من أشدّ الرجال ، وصارعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فصرعه وكانت آية من آياته . والسائب بن عبد يزيد وكان يشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسر يوم بدر ومن عقبه الشافعيّ محمد بن إدريس بن العبّاس بن عثمان بن شافع بن السائب .

وأمّا بنو هاشم بن عبد مناف فسيّدهم عبد المطلب بن هاشم ، ولم يذكر من عقبه إلاّ عقب عبد المطلب هذا ، وكان بنوه عشرة عبدالله أبو النبيّ صلى الله عليه وسلم وهو أصغرهم ، وحمزة ، والعبّاس وأبو طالب ، والزُبير ، والمُقوّم ويقال إسمه الغيداق ، وضرار وحجل ، وأبو لهب ، وقثم والزبير لا عقب لهما . وعقب حمزة انقرض فيما قال ابن حزم . ومن عقب أبي لهب ابنه عتبة صحابي . وأمّا عقب العبّاس وأبي طالب فأكثر من أن يحصر ، والبيت والشرف من بني العبّاس في عبدالله بن العبّاس ، ومن بني ابي طالب في علي أمير المؤمنين وبعده أخوه جعفر رضي الله عنهم أجمعين ، وسنذكر من مشاهيرهم عند ذكر أخبارهم ودولهم ما فيه كفاية إن شاء الله تعالى .

هذا آخر الكلام وفي أنساب قريش وانقضى بتمامها الكلام في أنساب مُضر وعدنان فلنرجع الآن إلى أخبار قريش وسائر مضر وما كان لهم من الدول الإسلامية . والله المستعان لا ربّ غيره ، ولا خير إلاّ خيره ، ولا معبود سواه ولا يرجى إلاّ إياه ، وهو حسبي ونعم الوكيل ، وأسأله الستر الجميل .

عبد المطلب بن هاشم — بن عبد مناف — بن قصي — بن كلاب — بن مرة — بن كعب — بن لؤي — بن غالب — بن فهر — بن مالك — بن النضر — بن كنانة — آخر قريش

- المطلب
- نوفل
- عبد الدار
- مخزوم بن يقظة
- مسهم بن عمرو — بن هصيص
- جمح
- عامر
- سامة
- تيم الأدرم
- محارب
- الحارث

- أمية — بن عبد شمس
- ربيعة
- عبد العزى
- أسد بن عبد العزى
- زهرة
- تيم
- بنو عدى
- جمح
- جشم
- سعد
- خزيمة

الخبر عن قريش من هذه الطبقة وملكهم بمكة وأولية أمرهم وكيف صار الملك اليهم فيها ممن قبلهم من الأمم السابقة

قد ذكروا عند الطبقة الأولى أن الحجاز وأكناف العرب كانت ديار العمالقة من ولد عمليق بن لاوذ وأنهم كان لهم ملك هنالك ، وكانت جُرْهُم أيضاً من تلك الطبقة من ولد يَقْطِن بن شَالِخ بن أرْفَخْشَد ، وكانت ديارهم اليمن مع إخوانهم حَضْرَمُوت . وأصاب اليمن يومئذ قحط ففرّوا نحو تِهَامَة يطلبون الماء والمرعى وعثروا في طريقهم بإسمعيل مع أمّه هاجر عند زَمْزَم ، وكان من شأنه وشأنهم معه ما ذكرناه عند ذكر إبراهيم عليه السلام . ونزلوا على قَطُورَا من بقية العمالقة ، وعليهم يومئذ السُمَيْدع بن هَوْثَر بثاء مثلثة ابن لاوي بن قَطُورَا بن ذُكْر بن عِمْلاق أو عمليق . واتصل خبر جُرْهُم من ورائهم من قومهم باليمن وما أصابوا من النجعة بالحجاز فلحقوا بهم ، وعليهم مضاضُ بن عمرو بن سعيد بن الرقيب بن هَنْء بن نَبْت بن جُرْهُم ، فنزلوا على مكّة بقعيقعان وكانت قَطُورَا أسفل مكّة . وكان مضاضُ يُعشر من دخل مكّة من أعلاها والسُميدع من أسفلها ، هكذا عند ابن اسحق والمسعودي أنّ قطورا من العمالقة ، وعند غيرهما أنّ قطورا من بطون جُرْهُم وليسوا من العمالقة . ثم افترق أمر قَطُورَا وجُرْهُم وتنافسوا الملك واقتتلوا وغلبهم المضاضُ وقتل السُميدع وانقضت العرب العاربة قال الشاعر :

مضى آلُ عِملاقٍ فلم يبقَ مِنْهُمُو حقيرٌ ولاذَ وعِزّةٌ مُتشاوِسُ
عَتوا فأدال الدهرُ مِنْهُم وَحُكْمهُ على الناسِ هذا واغذٌ ومُبَايِسُ

ونشأ إسمعيل صلوات الله عليه بين جُرْهُم وتكلم بلغتهم وتزوّج منهم حرّا بنت سَعْد بن عوف بن هنْء بن نَبْت بن جُرْهُم ، وهي المرأة التي أمره أبوه بتطليقها لما زاره ووجده غائباً فقال لها : قولي لزوجك فليغير عتبتهُ ، فطلّقها وتزوّج بنت أخيها مامة بنت مُهلْهِل بن سعد بن عوف ، ذكر هاتين المرأتين الواقدي في كتاب انتقال النور ، وتزوّج بعدهما السيدة بنت الحرث بن مضاض بن عمرو بن جُرْهُم . ولثلاثين سنة من عمر إسمعيل قدم أبوه الحجاز فأمر ببناء الكعبة البيت الحرام ، وكان الحجر زِرْباً لغنم

إسمعيل فرفع قواعدها مع ابنه إسمعيل وصيّرها خَلْوَةً لعبادته ، وجعلها حجاً للناس كما أمره الله ، وانصرف إلى الشام فقُبِضَ هنالك كما مرّ . وبعث الله إسمعيل إلى العمالقة وجُرْهُم وأهل اليمن فآمن بعض وكفر بعض إلى أن قبضه الله ودفن بالحجر مع أمه هاجر ويقال آجر ، وكان عمره فيما يقال مائة وثلاثين سنة وعهد بأمره لابنه قَيْذار : ومعنى قَيْذار صاحب الإبل وذلك لأنه كان صاحب إبل أبيه إسمعيل كذا قال السُهيليّ ، قال غيره معناه الملك . ويقال : إنما عهد لابنه نابت فقام إبنه بأمر البيت وولِيها ، وكان ولده فيما ينقل أهل التوراة كما نقل إثني عشر : قَيْذَار ينابوت اديبيل[1] مبْسام مشمَع دُوما مَسَّا حدد[2] ديمايطور يَاقِيس قِدْما[3] أمّهم السيدة بنت مضاض قاله السهيليّ . وهكذا وقعت أسماؤهم في الإسرائيليات ، والحروف مخالفة للحروف العربية بعض الشيء باختلاف المخارج ، فلهذا يقع الخلاف بين العلماء في ضبط هذه الألفاظ ، وقد ضبط ابن اسحق تيما منهم بالطاء والياء وضبطه الدارقطني بالضاد المعجمة والميم قبل الياء كأنها تأنيث آضم وذكر ابن اسحق ديما . وقال البكري به سميت دَوْمَة الجَنْدَل لأنه كان نزلها وذكر أنّ الطور بيطون ابن إسمعيل .

ثم هلك نَابِت بن إسمعيل ، وولي أمر البيت جدّه الحرث بن مضاض ، وقيل وليها مضاض بن عمرو بن سعد بن الرقيب بن هنء ابن نَبْت بن جُرْهُم ، ثم ابنه الحرث بن عمرو . ثم قسمت الولاية بين ولد إسمعيل بمكة واخوالهم من جُرْهُم ولاة البيت لا ينازعهم وُلْد إسمعيل إعظاماً للحرم أن يكون به بغي أو قتال . ثم بغت جُرْهُم في البيت ، ووافق بَغْيَهُم تفرّق سَبَأ ونزول بني حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر أرض مكّة ، فأرادوا المقام مع جُرْهُم فمنعوهم واقتتلوا فغلبهم بنو حارثة ، وهم فيما قيل خُزَاعَة ، وملكوا البيت عليهم ، ورئيسهم يومئذ عمرو بن لحيّ وشرّد بقية جُرْهُم . ولَحيّ هذا هو ربيعة بن حارثة بن ثَعْلَبَة بن عمرو مَزَيقيا بن عامر ، وقيل : إنما ثعلبة بن حارثة بن عامر . وفي الحديث «رأيت عمرو بن لَحيّ يجرّ قصبه في النار»

---

(١) وفي نسخة ثانية : قيابوت أدْبئيل .

(٢) وفي نسخة ثانية : حدار .

(٣) وهذه هي اسماء بني إسماعيل عن التوراة : بنايوت ، قيذار ، أدبئيل ، مبسام ، مشماع ، دومة ، مسّا ، حدار ، تيما ، يطور ، ناغيش ، قدمه . هؤلاء بنو إسماعيل وهذه اسماؤهم بحسب احويتهم وحظائرهم إثنا عشر زعيماً لقبائلهم . سفر التكوين : الفصل الخامس والعشرون .

يعني أحشاءه ، لأنه الذي بحر البحيرة وسيب السائبة وحمى الحامي وغير دين إسمعيل ودعا الى عبادة الأوثان . وفي طريق آخر رأيت عمرو بن عامر . قال عِيَاض المعروف في نَسب أبي خُزَاعَة ، هذا هو عمرو بن لَحيّ بن قَمْعَة بن إلياس وإنّما عامر إسم أبيه أخو قمعة ، وهو مُدْرِكَة بنُ إلياس ، وقال السُهيليّ : كان حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر خلف على أم لَحيّ بعد أبيه قمعة ولَحيّ تصغير وإسمه ربيعة تبنّاه حارثة وانتسب إليه فالنسب صحيح بالوجهين ، وأسلم بن أفصى بن حارثة أخو خُزَاعَة .

وعن ابن اسحق أنّ الذي أخرج جرْهُم من البيت ليست خُزَاعة وحدها ، وإنّما تصدّى للنكير عليهم خُزَاعة وكِنانَة . وتولّى كِبْرَهُ بنو بكر بن عبد مناة بنِ كنانة وبنو غبشان بن عبد عمرو بن بوى بن ملكان بن أفصى بن حارثة فاجتمعوا لحربهم واقتتلوا ، وغلبهم بنو بكر وبنو غَبْشَان بن كَنانة وخُزاعة على البيت ونفوهم من مكّة . فخرج عمرو ، وقيل عامر بن الحرث بن مضاض الأصغر ، بمن معه من جُرْهُم إلى اليمن بعد أن دفن حجر الركن وجميع أموال الكعبة بزَمْزَم . ثم أسفوا على ما فارقوا من أمر مكّة وحزنوا حزناً شديداً . وقال عمرو بن الحرث وقيل عامر :

كان لم يكن بين الحُجون إلى الصفا ... أنيسٌ ولم يسمر بمكّـــــة سَامِرٌ
بلى نحنُ كُنّـــا أَهْلَهـــا فـــأزَالَنـــا ... صروفُ اللّيـــالي والجدودُ العواثِرُ
وكنّـــا ولاةَ البيتِ من بعـد نـابتٍ ... نطوفُ فما تحظى لـدينـا المكـاثِرُ
مَلَكنـــا فعُزِّزْنـــا فـــأُعْظِم مُلْكُنـــا ... فليس لَحِيّ عنـــدنـــا ثم فـــاخِرِ
ألم تنكحوا من خيرِ شخصٍ عَلمتهُ ... فـــأبنـــاؤنـــا مِنّـــا ونحن الأصاهِرُ
فـــإن تثني الـــدنيـــا علينـــا بحالها ... فـــإنّ لها حـــالاً وفيهـــا التّشاجُرُ
فـــأخرجنـــا منهـــا المليكُ بقُـــدْرَةٍ ... كـــذلك يـــا للنّـــاس تجري المقَـــادرُ
أقولَ إذا نـــــام الخليُّ ولم أَنَمْ ... أذا العرش لا يبعـــدْ سُهَيْـــلٌ وعَـــامرُ
وبـــدّلت منهـــا أوجُهـــاً لا أُحِبُّهـــا ... قبـــائـــلُ منهـــا حِمْيَرٌ وبحَـــائِرُ
وَصِرنـــا أحـــاديثـــاً وكُنّـــا بَغبطـــةٍ ... بـــذلك عضّتنـــا السِنُون الغوابرُ
فساحت دموعُ العينِ تبكي لبلـــدةٍ ... بها حرمٌ أَمْنُ وفيهـــــا المشاعِرُ
ونبكـي لبيتٍ ليس يُؤْذي حمامُـــــهُ ... يظـــلُّ بها أمْنـــاً وفيهـــا العصافرُ
وفيـــــــه وحوشٌ لا تَرامُ أنيسةُ ... إذا خرجتْ منـــه فليست تُغـــادِرُ

ثم غلبت بنو حَبَشيّة على أمر البيت بقومهم من خزاعة ، واستقلوا بولايتها دون بني بكر

عبد مناة ، وكان الذي يليها لآخر عهدهم عمرو بن الحرث وهو غبشان .
وذكر الزُبير : أنّ الذين أخرجوا جُرْهُم من البيت من ولد إسمعيل هم إياد بن نزار .
ومن بعد ذلك وقعت الحرب بين مُضَر وإياد فاخرجتهم مُضَر ، ولما خرجت إياد قلعوا الحجر الأسود ودفنوه في بعض المواضع ، ورأت ذلك امرأة من خُزاعة فأخبرت قومها فاشترطوا على مُضَر إن دلوهم عليه أنّ لهم ولاية البيت دونهم ، فوفّوا لهم بذلك . وصارت ولاية البيت لخُزاعة إلى أن باعها أبو غبشان لِقصيّ . ويذكر ان من وَليها منهم عمرو بن لحيّ ونصب الأصنام وخاطبه رجل من جُرهُم :

يا عمرو لا تظلم بمكّة إنّها بلدٌ حرامُ
سائِلٌ بعادٍ أينَ هُمُ – وكذاك تخترمُ الأنامُ
وهي العماليقُ الذين لهم بها كان السوامُ

وكانت ولاية البيت لخُزاعة وكان لمُضر ثلاث خِصال : الإجازة بالناس يوم عرفة لبني الغوث بن مُرّة إخوتهم وهو صَوْفة ، والإفاضة بالناس غداة النحر من جمع إلى منى لبني زيد بن عديّ وانتهى ذلك منهم إلى أبي سيارة عُميرة بن الأعزل بن خالد بن سعد بن الحرث بن كانس بن زيد فدفع من مزدلفة أربعين سنة على حمار ، ونسء الشهور الحرم ، كان لبني مالك بن كنانة وانتهى إلى القُلَّمُس كما مرّ . وكان إذا أراد الناس الصدور من مكّة قال : اللهمّ إني أحللت أحد الصَّفَرَيْن ونسأت الآخر للعام المقبل قال عمرو بن قيس من بني فراس :

ونحنُ الناسِئُون على معدٍّ شهورُ الحِلّ نجعلُها حرامَا

قال ابن اسحق : فأقام بنو خزاعة وبنو كنانة على ذلك مدّة الولاية لخُزاعة دونهم كما قلناه . وفي أثناء ذلك تشعبت بطون كنانة ومن مُضر كلها وصاروا جرمًا وبيوتات متفرّقين في بطن قومهم من بني كنانة ، وكلهم إذ ذاك أحياء حلول بظواهرها .
وصارت قريش على فرقتين : قريش البطاح وقريش الظواهر . فقريش البطاح ولد قُصَيّ بن كلاب وسائر بني كعب بن لُؤَي ، وقريش الظواهر من سواهم وكانت خزاعَة بادية لكنانة ، ثم صار بنو كنانة لقريش ، ثم صارت قريش الظواهر بادية لقريش البطاح ، وقريش الظواهر من كان على أقل من مرحلة ، ومن الضواحي ما كان على أكثر من

ذلك . وصار من سوى قريش وكنانة من قبائل مُضَر في الضواحي أحياء بادية ، وظعوناً ناجعة من بطون قيْس ، وخندف من أشجع وعبس وفزارة ومرّة وسُليم وسعد بن بكر وعامر بن صعصعة وثقيف . ومن تميم والرباب وضبعي بني أسد وهُذيل والقارة وغير هؤلاء من البطون الصغار ، وكان التقدّم في مُضر كلها لكنانة ثم لقريش ، والتقدّم في قريش لبني لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر ، وكان سيّدهم قُصَيّ بن كلاب بن مُرَّة بن كعب بن لؤي كان له فيهم شرف وقرابة وثروة وولد . وكان له في قُضاعة ثم في بني عروة بن سعد بن زيد من بطونهم نسب ظئر ورَحِمْ كلالة كانوا من أجلها فيه شيعة ، وذلك بما كان ربيعة بن حرام بن عُذرة قدم مكّة قبل مهلك كلاب بن مُرَّة . وكان كلاب خلف قُصَيًّا في حجر أمّه فاطمة بنت سعد بن باسل بن خثعمة الأسدي من اليمن فتزوّجها ربيعة وقُصَيٌّ يومئذ فطيم فاحتملته إلى بلاد بني عُذْرَة وتركت إبنها زُهرة بن كلاب لأنه كان رجلاً بالغاً ، وولدت لربيعة بن حزام رَزَاح بن ربيعة . ولما شبّ قُصَيٌّ وعرف نسبه رجع إلى قومه ، وكان الذي يلي أمر البيت لعهده من خُزاعة حليل بن حبشيّة بن سلول بن كعب بن عمرو ، فأصهر إلى قُصَيٌّ في ابنته حُبَى فأنكحه إياها فولدت له عبد الدار وعبد مناف وعبد العُزّى وعبد قُصيّ . ولما انتشر ولد قُصيّ وكثر ماله وعظم شرفه هلك حليل ، فرأى قصيّ أنه أحق بالكعبة وبأمر مكّة وخزاعة وبني بكر لشرفه في قريش . ولما كاثرت قريش سائر الناس واعتزت عليهم وقيل أوصى له بذلك حليل ، ولما بدا له ذلك مشى في رجالات قريش ودعاهم الى ذلك فأجابوه ، وكتب إلى أخيه رزاح في قومه عُذرة مستجيشاً بهم فقدم مكّة في إخوته من ولد ربيعة ومن تبعهم من قُضاعة في جملة الحاج مجمعا نصر قُصَيّ .

قال السُهيليّ : وذكر غير ابن اسحق أنّ حليلاً كان يعطي مفاتيح البيت بنته حُبَى حين كبر وضعف فكانت بيدها ، وكان قُصَيّ ربما أخذها يفتح البيت للناس ويغلقه . فلما هلك حليل أوصى بولاية البيت إلى قُصَيّ وأبت خُزاعة أن يمضي ذلك لقُصَيّ ، فعند ذلك هاجت الحرب بينه وبين خزاعة وأرسل إلى رزاح أخيه يستنجده عليهم .

وقال الطبريّ : لما أعطى حليل مفاتيح الكعبة لابنته حُبَى لما كبر وثقل قالت : إجعل ذلك لرجل يقوم لك به . فجعله إلى أبي غَبْشان سليمان بن عمرو بن لؤي بن ملكان

بن قُصَيّ ، وكانت له ولاية الكعبة . ويقال : إنّ أبا غبشان هو ابن حليل باعه من قُصَيّ بزقِ خمر ، قيل فيه : «أخسر من صفقة أبي غبشان » . فكان من أوّل ما بدؤا به نقض ما كان لصوفة من إجازة الحاج ، وذلك أنّ بني سعد بن زيد مناة بن تميم كانوا يلون الإجازة للناس بالحج من عرفة ينفر الحاج لنفرهم ويرمون الجمار لرميهم ، ورثوا ذلك من بني الغَوْث بن مُرَّة ، كانت أمّه من جُرْهُم وكانت لا تلد ، فنذرت إنّ ولدت أن تتصدق به على الكعبة عبداً يخدمها ، فولدت الغَوْث وخلى أخواله من جُرْهُم بينه وبين من نافسه بذلك ، فكان له ولولده وكان يقال لهم صَوْفَة .

وقال السهيليّ : عن بعض الإخباريين : إنّ ولاية الغَوْث بن مُرّة كانت من قبل ملوك كِنْدة ، ولما انقرضوا ورث بالتعدد بنو سعد بن زيد مناة ، ولما جاء الإسلام كانت تلك الإجازة منهم لكَرِب بن صفوان بن حتات بن سجنة وقد مرّ ذكره في بطون تميم . فلما كان العام الذي أجمع فيه قُصيّ الإنفراد بولاية البيت وحضر إخوته من عُذرة ، تعرّض لبني سعد أصحاب صوفة في قومهم من قريش وكنانة وقُضاعة عند الكعبة ، فلما وقفوا للإجازة قال : لا نحن أولى بهذا منكم فتناجزا وغلبهم قُصَيّ على ما كان بأيديهم ، وعرفت خُزاعة وبنو بكر عند ذلك أنّه سيمنعهم من ولاية البيت كما منع الآخرين ، فانحازوا عنه وأجمعوا لحربه وتناجزوا وكثر القتل ، ثم صالحوه على أن يحكّموا من أشراف العرب ، وتنافروا إلى يعْمُر بن عوف بن كعب بن عمرو بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة فقضى لقصيّ عليهم ، فولى قصيّ البيت وقرّ بمكة وجمع قريشاً من منازلهم بين كنانة إليها وقطعها أرباعاً بينهم ، فأنزل كل بطن منهم بمنزله الذي صبحهُم[1] به الإسلام وسمي بذلك مجمعاً قال الشاعر :

قُصَيٌّ لعمْري كان يُدْعى مُجمّعاً ... بـه جمـعَ اللهُ القبـائـلَ من فِهْرِ

فكان أوّل من أصاب من بني لؤي بن غالب ملكاً أطاع له به قومه ، فصار له لواء الحرب وحجابة البيت ، وتيمنت قريش برأيه فصرفوا مشورتهم إليه في قليل أمورهم وكثيرها ، فاتخذوا دار الندوة إزاء الكعبة في مشاوراتهم وجعل بابها إلى المسجد فكانت مجتمع الملاء من قريش في مشاوراتهم ومعاقدهم . ثم تصدّى لإطعام الحاج وسقايته لما رأى أنهم ضيف الله وزوّار بيته ، وفرض على قريش خراجاً يؤدّونه إليه

(١) صَبَحَ : اتاهم صباحاً . وصَبِحَ : كان وضيّاً . وصَبُحَ : كان مشرقاً وجميلاً .

زيادة على ذلك كانوا يردونه به فحاز شرفهم كله ، وكانت الحجابة والسقاية والرفادةُ والندوةُ واللواء له . ولما أسنّ قُصَيّ وكان بكره عبدُ الدار وكان ضعيفا ، وكان أخوه عبد مناف شرف عليه في حياة أبيه ، فأوصى قُصَيّ لعبد الدار بما كان له من الحجابة واللواء والندوة والرفادة والسقاية يجبر له بذلك ما نقصه من شرف عبد مناف ، وكان أمره في قومه كالدين المتّبع لا يعدل عنه . ثم هلك وقام بأمره في قومه بنوه من بعده . وأقاموا على ذلك مدّة وسلطان مكّة لهم وأمر قريش جميعاً ، ثم نفس بنو عبد مناف على بني عبد الدار ما بأيديهم ونازعوهم ، فافترق أمر قريش وصاروا في مظاهرة بني قَصيّ بعضهم على بعض فرقتين . وكان بطون قريش قد اجتمعت لعهدها ذلك إثني عشر بطناً : بنو الحرث بن فهر ، وبنو مُحارب بن فهر ، وبنو عامر بن لؤي ، وبنو عديّ بن كعب ، وبنو سهم بن عمرو بن هُصيص بن كعب ، وبنو جُمح بن عمرو بن هُصيص ، وبنو تيم بن مُرَّة ، وبنو مخزوم بن يقظة بن مُرَّة ، وبنو زهرة بن كلاب ، وبنو أسد بن عبد العُزّى بن قُصَيّ ، وبنو عبد الدار ، وبنو عبد مناف بن قُصَيّ .

فأجمع بنو عبد مناف انتزاع ما بأيدي بني عبد الدار مما جعل لهم قُصَيّ ، وقام بأمرهم عبد شمس أسنّ ولده واجتمع له من قريش : بنو أسد بن عبد العُزّى ، وبنو زُهرة ، وبنو تيم ، وبنو الحرث . واعتزل بنو عامر ، وبنو المحارب الفريقين . وصار الباقي من بطون قريش مع بني عبد الدار وهم : بنو سَهْم ، وبنو جمح ، وبنو عَديّ ، وبنو مخزوم . ثم عقد كل من الفريقين على أحلافه عقداً مؤكداً ، وأحضر بنو عبد مناف وحلف قومهم عند الكعبة جفنة مملوءة طيباً غمسوا فيها أيديهم تأكيداً للحلف ، فسميّ «حلف المُطيَّبين» . وأجمعوا للحرب وسوّوا بين القبائل وأنّ بعضها إلى بعض ، فعبت بنو عبدار لبني أسد ، وبنو جمح لبني زهرة ، وبنو مخزوم لبني تيم ، وبنو عَديّ لبني الحرث . ثم تداعوا للصلح على أن يسلموا لبني عبد مناف السقاية والرِفادة ، ويختص بنو عبد الدار بالحجابة واللواء فرضيَ الفريقان وتحاجز الناس .

وقال الطبريّ قيل ورثها من أبيه . ثم قام بأمر بني عبد مناف هاشم ليساره وقراره بمكّة ، وتقلب أخيه عبد شمس في التجارة إلى الشام ، فأحسن هاشم ما شاء في إطعام الحاج وإكرام وفدهم . ويقال : إنه أوّل من أطعم الثريد الذي كان يطعم فهو

ثريد قريش الذي قال فيه النبيّ صلى الله عليه وسلم : فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام . والثريد لهذا العهد ثريد الخبز بعد أن يطبخ في المقلاة والتنور وليس من طعام العرب ، إلا أن عندهم طعاماً يسمونه البازين يتناوله الثريد لغة ، وهو ثريد الخبز بعد أن يطبخ في الماء عجينا رطباً إلى أن يتم نضجه ، ثم يدلكونه بالمغرفة حتى تتلاحم أجزاؤه وتتلازج . وما أدري هل كان ذلك الطعام كذلك أولا إلا أنّ لفظ الثريد يتناوله لغة .

ويقال : إن هاشم بن عبد المطلب أوّل من سنّ الرحلتين في الشتاء والصيف للعرب ذكره ابن اسحق ، وهو غير صحيح ، لأنّ الرحلتين من عوائد العرب في كل جيل لمراعي إبلهم ومصالحها لأنّ معاشهم فيها ، وهذا معنى العرب وحقيقتهم أنه الجيل الذي معاشهم في كسب الإبل والقيام عليها في ارتياد المرعى وانتجاع المياه والنتاج والتوليد وغير ذلك من مصالحها ، والفرار بها من أذى البرد عند التوليد الى القفار ودفئها ، وطلب التلول في المصيف للحبوب وبرد الهواء ، وتكوّنت على ذلك طِباعُهُم فلا بد لهم منها ظعنوا أو أقاموا وهو معنى العروبية ، وشعارها أنّ هاشماً لما هلك وكان مهلكه بغزّة من أرض الشام ، تخلف عبد المطلب صغيراً بيثرب فأقام بأمره من بعده إبنه المطّلب ، وكان ذا شرف وفضل ، وكانت قريش تسميّه الفضل لسماحته ، وكان هاشم قدم يثرب فتزوّج في بني عديّ وكانت قبله عند أُحَيْحَة بن الجلاّح بن الحُرَيْش بن جحجبا بنَ كلفة بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك سيد الأوس لعهده ، فولدت عمرو بن أحيحة ، وكانت لشرفها تشترط أمرها بيدها في عقد النكاح ، فولدت عبد المطلّب فسمته شيبة ، وتركه هاشم عندها حتى كان غلاماً . وهلك هاشم فخرج إليه أخوه المطّلب فأسلمته إليه بعد تعسّف واغتباط به ، فاحتمله ودخل مكة فرفده على بعيره فقالت قريش : هذا عبد ابتاعه المطّلب ، فسمي شيبة عبد المطلب من يومئذ .

ثم أنّ المطّلب هلك بردمان من اليمن ، فقام بأمر بني هاشم بعده عبد المطلب بن هاشم ، وأقام الرِفادة والسقاية للحاج على أحسن ما كان قومه يقيمونه بمكّة من قبله ، وكانت له وِفادة على ملوك اليمن من حِميَر والحبشة ، وقد قدّمنا خبره مع ابن ذي يَزن ومع أبْرهة . ولمّا أراد حفر زمزم للرؤيا التي رآها ، إعترضته قريش دون ذلك ، ثم حالوا بينه وبين ما أراد منها ، فنذر لئن ولد له عشرة من الولد ثم يبلغوا معه

حتى يمنعوه لَيَنْحَرَنّ أحدهم قرباناً لله عند الكعبة ، فلما كملوا عشرة ضرب عليهم القداح عند هُبَل الصنم العظيم الذي كان في جوف الكعبة على البئر التي كانوا ينحرون فيها هدايا الكعبة ، فخرجت القداح على إبنه عبدالله والد النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وتحيّر في شأنه ، ومنعه قومه من ذلك ، وأشار بعضهم وهو المُغيرة بن عبدالله بن مخزوم بسؤال العرّافة التي كانت لهم بالمدينة على ذلك ، فألفوها بخيبر وسألوها .
فقالت : قرّبوه وعشراً من الإبل وأجيلوا القداح فإن خرجت على الإبل فذلك وإلاّ فزيدوا في الإبل حتى تخرج عليها القداح وانحروها حينئذ فهي الفدية عنه وقد رضي إلهكم .. ففعلوا وبلغت الإبل مائة فنحرها عبد المطلب ، وكانت من كرامات الله به .
وعليه قوله صلى الله عليه وسلم «أنا ابن الذبيحين» يعني عبدالله أباه وإسمعيل بن إبراهيم جدّه اللذين قُرِّبا للذبح ، ثم فديا بذبح الأنعام .
ثم إنّ عبد المطلب زوّج ابنه عبدالله بآمنة بنت وَهْب بن عبد مُناف بن زهرة فدخل بها وحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعثه عبد المطلب يمتار لهم تمراً فمات هنالك ، فلما أبطأ عليهم خبره بعث في أثره . وقال الطبريّ : عن الواقدي : الصحيح أنه أقبل من الشام في حي لقريش ، فنزل بالمدينة ومرض بها ومات . ثم أقام عبد المطلب في رياسة قريش بمكّة والكون يصغي للملك العرب والعالم يتمخّض بفصال النبوة ، إلى أن وضح نور الله من أفقهم ، وسرى خبر السماء إلى بيوتهم ، واختلفت الملائكة إلى أحيائهم ، وخرجت الخلافة في أنصبائهم ، وصارت العزّة لمُضَر ولسائر العرب بهم ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . وعاش عبد المطلب مائة وأربعين سنة وهو الذي احتفر زمزم .
قال السُهيليّ : ولما حفر عبد المطلب زمزم استخرج منه تمثالي غزالين من ذهب وأسيافاً كذلك ، كان ساسان ملك الفرس أهداها إلى الكعبة ، وقيل سابور . ودفنها الحرث بن مضاض في زمزم لما خرج بجُرْهُم من مكّة ، فاستخرجها عبد المطلب ، وضرب الغزالين حلية للكعبة فهو أوّل من ذهّب حلية الكعبة بها ، وضرب من تلك الأسياف باب حديد وجعله للكعبة . ويقال : إنّ أوّل من كسى الكعبة واتخذ لها غَلَقاً تُبّعُ إلى أن جعل لها عبد المطلب هذا الباب . ثم اتخذ عبد المطلب حوضاً لزمزم يسقي منه ، وحسده قومه على ذلك وكانوا يخرّبونه بالليل ، فلما غمّه ذلك رأى في النوم قائلاً يقول : «قل لا أحلها لمغتسل وهي لشارب حلّ وبلّ فاذا قلتها فقد كفيتهم» .

فكان بعد إذا أرادها أحد بمكروه رمى بداء في جسده ، ولما علموا بذلك تناهوا عنه . وقال السهيليّ : أوّل من كسا البيت المسوح والخصف والأنطاع تُبّعُ الحميريّ. و يروى أنه لما كساها انتقض البيت فزال ذلك عنه ، وفعل ذلك حين كساه الخصف فلما كساه الملاء والوصائل قبله وسكن . وممن ذكر هذا الخبر قاسم بن ثابت في كتاب الدلائل . وقال ابن اسحق : أوّل من كسا البيت الديباج الحجاج . وقال الزبير بن بكار بل عبدالله بن الزبير أوّل من كساها ذلك. وذكر جماعة منهم الدارقطني : أنّ نتيلة بنت جناب أم العبّاس بن عبد المطلب كانت أضلت العبّاس صغيراً فنذرت إن وجدته أن تكسو الكعبة ، وكانت من بيت مملكة ، فوفت بنذرها .

هذه أخبار قريش ومُلكُهم بمكّة ، وكانت ثقيف جيرانهم بالطائف يساجلونهم في مذاهب العروبية و ينازعونهم في الشرف ، وكانوا من أوفر قبائل هَوَازِن ، لأنّ ثقيفاً هو قِسيّ بن مِنبّه بن بكر بن هوازن ، وكانت الطائف قبلهم لعدوان الذين كان فيهم حكيم العرب عامر بن الظرب بن عمرو بن عبّاد بن يشكُر بن بكر بن عدوان وكثر عددهم حتى قاربوا سبعين ألفاً ، ثم بغى بعضهم على بعض فهلكوا وقل عددهم ، وكان قسي بن منبّه صهراً لعامر بن الظرب ، وكان بنوه بينهم فلما قل عدد عدوان نغلّب عليهم ثقيف وأخرجوهم من الطائف وملكوه إلى أن صبحهم الإسلام به . على ما نذكره والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين والبقاء لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

أمر النبوّة والهجرة في هذه الطبقة الثالثة وما كان من اجتماع العرب على الاسلام بعد الاباية والحرب

لما استقر أمر قريش بمكة على ما استقر ، وافترقت قبائل مضر في أدنى مدن الشام والعراق ومادونهما من الحجاز فكانوا ظعوناً واحياء ، وكان جميعهم بمسغبة وفي جهد من العيش بحرب بلادهم وحرب فارس والروم على تلول العراق والشام ، وأربابهما ينزلون حاميتهم بثغورها ، ويجهّزون كتائبهم بتخومها ، ويُولّون على العرب من رجالاتهم وبيوت العصائب منهم من يسومهم القهر ، ويحملهم على الإنقياد حتى يؤتوا جباية السلطان الأعظم وإتاوَة ملك العرب ، ويؤدّوا ما عليهم من الدماء

والطوائل من يسترهن[١] أبناءهم على السلم وكف العادية ، ومن انتجاع الأرباب وميرة الأقوات ، والعساكر من وراء ذلك توقع بمن مَنَعَ الخراج وتستأصل من يروم الفساد . وكان أمر مُضَر راجعا في ذلك إلى ملوك[٢] كِنْدَة بني حِجْر آكل المرار منذ ولّاه عليهم تُبَّع حَسّان كما ذكرناه ، ولم يكن في العرب مُلكٌ إلاّ في آل المنذر بالحيرة للفُرس وفي آل جُهَيْنَةَ بالشام للروم وفي بني حِجْر هؤلاء على مُضَر والحجاز . وكانت قبائل مضر مع ذلك بل وسائر العرب أهل بغي وإلحاد ، وقطع للأرحام ، وتنافس في الردى ، وإعراض عن ذكر الله ، فكانت عبادتهم الأوثان والحجارة ، وأكلهم العقارب والخنافس والحيات والجعلان ، وأشرف طعامهم أوْبار الإبل اذا أمرّوها في الحرارة في الدم ، وأعظم عزّهم وفادةً على آل المنذر وآل جهَيْنَة وبني جعفر[٣] ونجعة من ملوكهم ، وإنما كان تنافسهم المؤودة والسائبة والوصيلة والحامي .

فلما تأذن الله بظهورهم واشرأبّت إلى الشرف هوادي أيامهم وتم أمر الله في إعلاء امرهم[٤] وهبت ريح دولتهم وملّة الله فيهم ، تبدّت تباشير الصباح من أمرهم وأونس الخير والرشد في خلالهم وأبدل الله بالطيّب الخبيث من أحوالهم وشرهم ، واستُبدلوا بالذلّ عزًّا وبالمآثم متاباً وبالشرّ خيراً ، ثم بالضلالة هدىً وبالمسغبة شِبْعاً وريًّا وايالةً وملكا . وإذا أراد الله أمراً يسر أسبابه فكان لهم من العز والظهور قبل المبعث ما كان ، وأوقع بنو شيبان وسائر بكر[٥] بن وائل وعبس بن غطفان بطيء ، وهم يومئذ ولاة العرب بالحيرة وأميرها منهم قبيصة بن إياس ومعه الباهوت[٦] صاحب مسلحة كسرى ، فأوقعوا بهم الوقعة المشهورة بذي قار والتحمت عساكر الفرس ، وأخبر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بالمدينة ليومها وقال : « اليوم انتصفت العرب من العجم وبي نصروا » . ووفد حاجب بن زرارة من بني تميم على كسرى في طلب الانتجاع والمسيرة بقومه في اباب[٧] العراق ، فطلب الأساورة منه

(١) وفي نسخة ثانية : ويسترهنوا .
(٢) وفي النسخة الباريسية : (امراء كندة) .
(٣) وفي النسخة الباريسية : بني حجر .
(٤) وفي النسخة الباريسية : يدهم .
(٥) وفي النسخة الباريسية : مضر .
(٦) وفي النسخة الباريسية : ابناهوت .
(٧) وفي النسخة الباريسية : أرياف .

الرهن على عادتهم ، فاعطاهم قوسه واستكبر عن استرهان وُلْده ، توقعوا[1] منه عجزا عما سواها وانتقلت خلال الخير من العجم ورجالات فارس فصارت أغلب في العرب حتى كان الواحد منهم همّه بخلافه[2] وشرفه الشرّ والسفسفة على أهل دول العجم . وانظر فيما كتب به عمر إلى أبي عبيدة بن المثنى حين وجهه الى حرب فارس : « انك تقدم على أرض المكر والخديعة والخيانة والحيرة[3] تقدم على أقوام قد جرؤا على الشرّ فعلموه وتناسوا الخير فجهلوه فانظر كيف تكون » اهـ . وتنافست العرب في الخلال وتنازعوا في المجد والشرف حسبما هو مذكور في أيامهم وأخبارهم .
وكان حظ قريش من ذلك أوفر على نسبة حظهم من مبعثه[4] وعلى ما كانوا ينتحلونه من هدى آبائهم ، وانظر ما وقع في حلف الفضول حيث اجتمع بنو هاشم وبنو المطلب وبنو أسد بن عبد العزّى وبنو زهرة وبنو تيم ، فتعاقدوا وتعاهدوا على أن لا يجدوا بمكّة مظلوما من أهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلاّ قاموا معه وكانوا على من ظلمه حتى تردّ عليه مظلمته ، وسمّت قريش ذلك الحلف حلف الفضول . وفي الصحيح عن طلحة أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لقد شهدت في دار عبدالله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لي به حمر النعم ولو دعي به في الاسلام لأجبت ».
ثم ألقى الله في قلوبهم إلتماس الدين وإنكار ما عليه قومهم من عبادة الأوثان ، حتى لقد اجتمع منهم ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزّى ، وعثمان بن الحويرث بن أسد ، وزيد بن عمرو بن نفيل من بني عدي بن كعب عمّ عمر بن الخطاب ، وعبيدالله بن جحش من بني أسد بن خزيمة ، وتلاوموا في عبادة الأحجار والأوثان وتواصوا بالنفر في البلدان بالتماس الحنيفيّة دين ابراهيم نبيهم . فأما ورقة فاستحكم في النصرانية وابتغى من أهلها الكتب حتى علم من أهل الكتاب ، وأمّا عبيدالله بن جحش فأقام على ما هو عليه حتى جاء الإسلام فأسلم وهاجر إلى الحبشة فتنصر وهلك نصرانياً وكان يمرّ بالمهاجرين بأرض الحبشة فيقول : فقحنا وصأصأتم أي أبصرنا وأنتم تلتمسون البصر مثل ما يقال في الجرو اذا فتح عينيه فقح واذا أراد ولم يقدر صأصأ ، وأمّا عثمان بن الحويرث فقدم على ملك الروم قيصر فتنصر وحسنت منزلته عنده ،

(١) وفي النسخة الباريسية : فرجعوا منه عجزاً عمن سواها .
(٢) وفي نسخة ثانية : بخلاله .
(٣) وفي النسخة الباريسية : والخيانة الحميرية .
(٤) وفي النسخة الباريسية : مغبّته .

وأما زيد بن عمرو فما هم أن يدخل[1] في دين ولا اتبع كتاباً واعتزل الأوثان والذبائح والميتة والدم ونهى عن قتل المؤودة وقال : أعبد ربّ ابراهيم وصرّح بعيب آلهتهم وكان يقول : اللهّم لو أني أعلم أيّ الوجوه أحب إليك لعبدتك[2] ولكن لا أعلم ثم يسجد على راحته . وقال ابنه سعيد وابن عمه عمر بن الخطاب : يا رسول الله استغفر الله لزيد بن عمرو قال : نعم انه يبعث أمة واحدة .

ثم تحدّث الكهاّن والحزاة قبل النبوّة وأنها كائنة في العرب وأن ملكهم سيظهر ، وتحدث أهل الكتاب من اليهود والنصارى بما في التوراة والإنجيل من بعث محمد وامته ، وظهرت كرامة الله بقريش ومكّة في أصحاب الفيل ارهاصاً بين يدي مبعثه . ثم ذهب ملك الحبشة من اليمن على يد ابن ذي يزن من بقية التبابعة ، ووفد عليه عبد المطلب يهنيه عند استرجاعه ملك قومه من أيدي الحبشة ، فبشره ابن ذي يزن بظهور نبيّ من العرب وأنه من ولده في قصة معروفة . وتحيّن الأمر لنفسه كثير من رؤساء العرب يظنه فيه ، ونفروا إلى الرهبان والأحبار من أهل الكتاب يسألونهم ببلدتهم علم ذلك[3] ، مثل أمية بن أبي الصلت الثقفيّ وما وقع له في سفره إلى الشام مع أبي سفيان بن حرب وسؤاله الرهبان ومفاوضته أبا سفيان فيما وقف عليه من ذلك ، يظن أنّ الأمر له أو لأشراف قريش من بني عبد مناف حتى تبين لهما خلاف ذلك في قصة معروفة ،(ثم رجمت) الشياطين عن استماع خبر السماء في أمره واصغى الكون لاستماع أنبائه .

المولد الكريم وبدء الوحي

ثم ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأوّل ، لأربعين سنة من ملك كسرى أنو شروان وقيل لثمان وأربعين ، ولثمانمائة واثنتين وثمانين لذي القرنين . وكان عبدالله أبوه غائبا بالشام وانصرف فهلك بالمدينة ، وولد سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد مهلكه بأشهر قلائل ، وقيل غير ذلك . وكفله جدّه عبد المطلب بن هاشم وكفالة الله من ورائه ، والتمس له الرضعاء واسترضع في بني سعد من بني هوازن ، ثم في بني نصر بن سعد أرضعته منهم حليمة بنت ابي ذؤيب عبدالله بن الحرث بن شحنة بن رزاح بن ناظرة بن خصفة بن

(١) وفي النسخة الباريسية : فلم يدخل دين .
(٢) وفي النسخة الباريسية : عبدتك به .
(٣) وفي نسخة ثانية : من ذلك .

قيس[١] ، وكان ظئره[٢] منهم الحارث بن عبد العزى وقد مرّ ذكرهما في بني عامر بن صعصعة ، وكان أهله يتوسمون فيه علامات الخير والكرامات من الله ، ولما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم شق الملكين بطنه واستخراج العلقة السوداء من قلبه وغسلهم حشاه وقلبه بالثلج ما كان ، وذلك لرابعة من مولده ، وهو خلف البيوت يرعى الغنم فرجع إلى البيت منتقع[٣] اللون ، وظهرت حليمة على شأنه فخافت أن يكون أصابه شيء من اللمم[٤] فرجعته إلى أمه . واسترابت آمنة برجعها إياه بعد حرصها على كفالته فأخبرتها الخبر ، فقالت : كلاّ والله لست أخشى عليه . وذكرت من دلائل كرامة الله له وبه كثيراً .

وأزارته أمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة أخوال جدّه عبد المطلب من بني عديّ بن النجار بالمدينة ، وكانوا أخوالاً لها أيضاً . وهلك عبد المطلب لثمان سنين من ولادته ، وعهد به إلى إبنه أبي طالب فأحسن ولايته وكفالته ، وكان شأنه في رضاعه وشبابه ومرباه عجباً . وتولّى حفظه وكلاءته من مفارقة أحوال الجاهلية ، وعصمته من التلبس بشيء منها حتى لقد ثبت أنه : مرّ بعرس مع شباب قريش ، فلمّا دخل على القوم أصابه غشيٌ النوم ، فما أفاق حتى طلعت الشمس وافترقوا . ووقع له ذلك أكثر من مرّة . وحمل الحجارة مع عمه العبّاس لبنيان الكعبة وهما صبيان ، فأشار عليه العبّاس بحملها في إزاره ، فوضعه على عاتقه وحمل الحجارة فيه وانكشف ، فلما حملها على عاتقه سقط مغشياً عليه ، ثم عاد فسقط فاشتمل إزاره وحمل الحجارة كما كان يحملها . وكانت بركاته تظهر بقومه وأهل بيته ورضعائه في شؤنهم كلها .

وحمله عمه أبو طالب الى الشام وهو ابن ثلاث عشرة وقيل ابن سبع عشرة ، فمرّوا ببُحَيْرا الراهب عند بصرى فعاين الغمامة تظله والشجر[٥] تسجد له ، فدعا القوم وأخبرهم بنبوّتهِ وبكثير من شأنه في قصة مشهورة . ثم خرج ثانية الى الشام تاجراً بمال خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى مع غلامها ميسرة ومروا بنسطور الراهب ، فرأى ملكين يظلاّنه من الشمس فأخبر ميسرة بشأنه ، فأخبر بذلك خديجة فعرضت

---

(١) وفي النسخة الباريسية : قصيّة بن نصر.

(٢) ظأّر المرأة على ولد غيرها : عطفها عليه — ظأرت المرأة : اتخذت ولداً ترضعه (قاموس) .

(٣) وفي نسخة ثانية : ممتقع اللون .

(٤) اللمم : الجنون (قاموس) .

(٥) وفي النسخة الباريسية : والحجر .

نفسها عليه ، وجاء أبو طالب فخطبها الى أبيها فزوجه ، وخضر الملأ من قريش ، وقام أبو طالب خطيبا فقال : «الحمدلله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع إسمعيل وضئضي[1] معدّ وعنصر مضر وجعل لنا بيتاً محجوجاً وحرماً آمناً وجعلنا امناء بيته وسوّاس حرمه وجعلنا الحكّام على الناس وأنّ ابن أخي محمد بن عبدالله من قد علمتم قرابته وهو لا يوزن بأحدٍ إلاّ رجح به فان كان في المال قلّ فإنّ المال ظلّ زائلٌ وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها من الصداق ما عاجله وآجله من مالي كذا وكذا وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل» . ورسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ابن خمس وعشرين سنة وذلك بعد الفجار بخمس عشرة سنة .

وشهد بنيان الكعبة لخمس وثلاثين من مولده حين أجمع كل قريش على هدمها وبنائها ، ولما انتهوا إلى الحجر تنازعوا أيهم يضعه وتداعوا للقتال ، وتحالف بنو عبد الدار على الموت[2] ثم اجتمعوا وتشاوروا ، وقال أبو أمية حكموا أول داخل من باب المسجد فتراضوا على ذلك . ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : هذا الأمين ، وبذلك كانوا يسمّونه ، فتراضوا به وحكموه . فبسط ثوبا ووضع فيه الحجر وأعطى قريشا أطراف الثوب ، فرفعوه حتى أدنوه من مكانه ، ووضعه عليه السلام بيده[3] . وكانوا أربعة عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، والأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى ، وأبو حذيفة بن المغيرة بن عمر بن مخزوم ، وقيس بن عدي السهمي . ثم استمرّ على أكمل الزكاء والطهارة في أخلاقه ، وكان يعرف بالأمين ، وظهرت كرامة الله فيه وكان اذا أبعد في الخلاء لا يمرّ بحجر ولا شجر إلا ويسلم عليه .

بدء الوحي

ثم بدىء بالرؤيا الصالحة فكان لا يرى رؤيا إلاّ جاءت مثل فلق الصبح ، ثم تحدّث الناس بشأن ظهوره ونبوّته ، ثم حببت إليه العبادة والخلوة بها فكان يتزوّد للإنفراد حتى جاء الوحي بحراء لأربعين سنة من مولده وقيل لثلاث وأربعين . وهي حالة يغيب

(١) الاصل والعدن (قاموس) .
(٢) وفي النسخة الباريسية :. وتحالف بنو عبد الدار وبنو عدي على الموت .
(٣) وفي النسخة الباريسية : واعطى اشراف قريش جنباته فرفعوه حتى أدنوه من مكانه وفي الكامل ج ٢ ص ٤٥ : فقال : هلمّوا إليّ ثوبا ، فأوتي به ، فأخذ الحجر الأسود فوضعه فيه ثمّ قال : لتأخذ كلّ قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعاً ، ففعلوا . فلمّا بلغوا به موضعه وضعه بيده ثم بُنِيَ عليه .

فيها عن جلسانه وهو كائن معهم ، فأحياناً يتمثل له الملك رجلاً فيكلمه ويعي قوله ، وأحياناً يلقي عليه القول ، ويصيبه أحوال الغيبة عن الحاضرين من الغط والعرق وتصببه كما ورد في الصحيح من أخباره ، قال : وهو أشدّ علي فيفصم عني وقد وعيت ما قال . وأحيانا يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول . فأصابته تلك الحالة بغار حراء وألقى عليه : «إقرأ باسم ربّك الذي خلق خلق الإنسان من علق إقرأ وربك الأكرم الذي علّم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم» . وأخبر بذلك كما وقع في الصحيح . وآمنت به خديجة وصدّقته وحفظت عليه الشأن . ثم خوطب بالصلاة وأراه جبريل طهرها ، ثم صلّى به وأراه سائر أفعالها . ثم كان شأن الاسراء من مكة الى بيت المقدس من الأرض إلى السماء السابعة الى سدرة المنتهى وأوحى إليه ما أوحى ، ثم آمن به عليّ ابن عمه أبي طالب وكان في كفالته من أزمة أصابت قريشا وكفل العبّاس جعفراً أخاه ، فجعفر أسنّ[1] عيال أبي طالب . فأدركه الاسلام وهو في كفالته فآمن وكان يصلّي معه ، في الشعاب مختفياً من أبيه حتى اذ ظهر عليهما أبو طالب دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : لا أستطيع فراق ديني ودين آبائي ، ولكن لا ينهض اليك شيء تكره ما بقيت ، وقال لعليّ : إلزمه فإنه لا يدعو إلاّ لخير.

فكان أوّل من أسلم خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى ، ثم أبو بكر ، وعليّ بن أبي طالب ، كما ذكرنا ، وزيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبلال بن حمامة مولى أبي بكر ، ثم عمر بن عنبسة السلمي ، وخالد بن سعيد بن العاص بن أمية . ثم أسلم بعد ذلك قوم من قريش اختارهم الله لصحابته من سائر قومهم وشهد لكثير منهم بالجنة . وكان أبو بكر محبّباً سهلا وكانت رجالات قريش تألفه فأسلم على يديه من بني أمية عثمان بن عفّان بن أبي العاص بن أمية ، ومن عشيرة بنى عمرو بن كعب بن سعد بن تيم طلحة بن عبيدالله بن عثمان بن عمرو ، ومن بني زهرة بن قصيّ سعد بن أبي وقّاص واسمه مالك بن وهب بن مناف بن زهرة وعبد الرحمن بن عوف بن عوف بن عبد الحرث بن زهرة ، ومن بني أسد بن عبد العزى الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد وهو ابن صفية عمة النبيّ صلى الله عليه وسلم ، ثم أسلم من بني الحرث بن فهر أبو عبيدة عامر بن عبدالله بن الجراح بن هلال

(١) وفي النسخة الباريسية : فجعفر من عيال ابي طالب .

بن أهيب بن ضبة بن الحرث ، ومن بني مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب أبو سلمة عبد الاسد بن هلال بن عبدالله بن عمر بن مخزوم ، ومن بني جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح وأخوه قدامة ، ومن بني عدي سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبدالله بن قرط بن رياح[1] بن عدي وزوجته فاطمة أخت عمر بن الخطاب بن نفيل وأبوه زيد هو الذي رفض الأوثان في الجاهلية ودان بالتوحيد وأخبر صلى الله عليه وسلم أنه يبعث يوم القيامة أمة وحده . ثم أسلم عُـمَـيْر أخو سعد بن أبي وقاص ، وعبدالله بن مسعود رضي الله عنه ابن غافل بن حبيب بن شمخ بن فار بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحرث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة حليف بنى زهرة ، كان يرعى غنم عقبة بن ابي معيط وكان سبب اسلامه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم حلب من غنمه شاة حائلاً فدرّت[2] . ثم أسلم جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب وامرأته أسماء بنت عميس بن النعمان بن كعب بن ملك بن قحافة الخثعمي ، والسائب بن عثمان بن مظعون ، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبدُ شمس واسمه مهشم ، وعامر بن فهيرة أزدى وفهيرة أمه مولاة أبي بكر . وأفد بن عبدالله بن عبد مناف تميمي من حلفاء بني عدي . وعمار بن ياسر عنسيّ بن مذحج مولى أبـي مخزوم[3] وصهيب بن سنان من بني النمر بن قاسط حليف بني جدعان . ودخل الناس في الدين أرسالاً وفشا الاسلام وهم ينتحلون[4] به ويذهبون إلى الشعاب فيصلون .

ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصدع بأمره ويدعوه إلى دينه بعد ثلاث سنين من مبدأ الوحي ، فصعد على الصفا ونادى يا صباحاه فاجتمعت إليه قريش ، فقال : لو أخبرتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أما كنتم تصدقوني ؟ قالوا : بلى . قال : فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد . ثم نزل قوله وأنذر عشيرتك الأقربين . وتردّد إليه الوحي بالنذارة[5] ، فجمع بني عبد المطلب وهم يومئذ أربعون على طعام

---

(١) وفي النسخة الباريسية : ابن رزاح .
(٢) وفي نسخة ثانية : فعدّت .
(٣) وفي نسخة ثانية : مولى لبني مخزوم .
(٤) وفي نسخة ثانية : يستجعون به .
(٥) الاصح ان يقول الوحي النزير أي الوحي القليل .

صنعه لهم عليّ بن أبي طالب بأمره ، ودعاهم إلى الاسلام ورغبهم وحذرهم وسمعوا كلامه وافترقوا .

ثم إنّ قريشاً حين صدع وسبّ الآلهة وعابها نكروا ذلك منه ونابذوه واجمعوا على عداوته ، فقام أبو طالب دونه محامياً ومانعاً ، ومشت إليه رجال قريش يدعونه الى النصفة عتبة وشيبة إبنا ربيعة بن عبد شمس ، وأبو البختري (٣) بن هشام بن الحرث ابن أسد بن عبد العزى ، والأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى ، والوليد بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم ، وأبو جهل عمرو بن هشام بن المغيرة ابن أخي الوليد ، والعاصى بن وائل بن هشام بن سعد بن سهم ، ونبيه ومنبه إبنا الحجاج بن علي بن حذيفة بن سعد بن سهم ، والأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة . فكلموا أبا طالب وعادوه فردّهم ردّاً جميلاً ، ثم عادوا إليه فسألوه النصفة فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الى بيته بمحضرهم وعرضوا عليه قولهم فتلا عليهم القرآن وأيأسهم من نفسه وقال لأبي طالب : يا عمّاه لا أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه . واستعبر وظنّ أنّ أبا طالب بداله في أمره ، فرقّ له أبو طالب وقال يا ابن أخي قل ما أحببت فوالله لا أسلمك أبداً .

هجرة الحبشة

ثم افترق أمر قريش وتعاهد بنو هاشم وبنو المطلب مع أبي طالب على القيام دون النبيّ صلى الله عليه وسلم ووثب كل قبيلة على من أسلم منهم يعذبونهم ويفتنونهم (٢) واشتدّ عليهم العذاب ، فأمرهم النبيّ صلى الله عليه وسلم بالهجرة إلى أرض الحبشة فراراً بدينهم ، وكان قريش يتعاهدونها بالتجارة فيحمدونها ، فخرج عثمان بن عفّان وامرأته رقية بنت النبيّ صلّى الله عليه وسلم وأبو حذيفة بن كتبة بن ربيعة مُرَاغماً لأبيه وامرأته سهلة بنت سهيل بن عمرو بن عامر بن لؤي والزبير بن العوام ومصعب بن عمير بن عبد شمس وابو سبرة بن أبي رهم (٣) بن عبد العزى العامري من بني عامر بن لؤي وسهيل بن بيضاء من بني الحرث بن فهر وعبدالله بن مسعود وعامر بن

(١) هو نجاء معجمه بوزن جعفري كما في شرح القاموس — قاله نصر .
(٢) وفي النسخة الباريسية : ويعيبونهم .
(٣) وفي نسخة ثانية : ابن ابي هاشم .

ربيعة العنزي حليف بني عديّ وهو من عنز بن وائل ليس من عنزة وامرأته ليلى بنت أبي خيثمة . فهؤلاء الأحد عشر رجلاً كانوا أوّل من هاجر إلى أرض الحبشة ، وتتابع المسلمون من بعد ذلك ، ولحق بهم جعفر بن أبي طالب وغيره من المسلمين . وخرجت قريش في آثار الأوّلين إلى البحر فلم يدركوهم ، وقدموا إلى أرض الحبشة فكانوا بها ، وتتابع المسلمون في اللحاق بهم ، يقال إنّ المهاجرين إلى أرض الحبشة بلغوا ثلاثة وثمانين رجلاً . فلما رأت قريش النبيّ صلى الله عليه وسلم قد امتنع بعمّه وعشيرته وأنّهم لا يسلمونه طفقوا يرمونه عند الناس ممن يفد على مكة بالسحر والكهانة والجنون والشعر يرومون بذلك صدّهم عن الدخول في دينه ، ثم انتدب جماعة منهم لمجاهرته صلى الله عليه وسلم بالعداوة والاذاية[1] ، منهم : عمه أبو لهب عبد العزى بن عبد المطلب أحد المستهزئين ، وابن عمه أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب ، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة ، وعقبة بن أبي معيط أحد المستهزئين ، وأبو سفيان من المستهزئين ، والحكم بن أبي العاص بن أمية من المستهزئين أيضا ، والنضر بن الحرث من بني عبد الدار ، والأسود بن المطّلب بن أسد بن عبد العزى من المستهزئين وابنه زمعة ، وأبو البختري العاص بن هشام ، والأسود بن عبد يغوث ، وأبو جهل بن هشام وأخوه العاص وعمهما الوليد وابن عمهم قيس بن الفاكه بن المغيرة ، وزهير بن أبي أمية بن المغيرة ، والعاص بن وائل السهمي وابنا عمه نبيه ومنبه ، وأُميّة وأُبيّ ابنا خلف بن جمح . وأقاموا يستهزئون بالنبي صلى الله عليه وسلم ويتعرضون له بالاستهزاء والاذاية حتى لقد كان بعضهم ينال منه بيده ، وبلغ عمه حمزة يوماً أنّ أبا جهل بن هشام تعرض له يوما بمثل ذلك وكان قوي الشكيمة ، فلم يلبث أنْ جاء إلى المسجد وأبو جهل في نادي قريش ، حتى وقف على رأسه وضربه وشجّه ، وقال له : تشتم محمداً وأنا على دينه ؟ وثار رجال بني مخزوم إليه فصدهم أبو جهل وقال دعوه فاني سببت ابن أخيه سبًّا قبيحاً . ومضى حمزة على إسلامه ، وعملت قريش أنّ جانب المسلمين قد اعتز بحمزة فكفّوا بعض الشرّ بمكانه فيهم ، ثم اجتمعوا وبعثوا عمرو بن العاص وعبدالله بن أبي ربيعة إلى النجاشيّ ليسلم إليهم من هاجر إلى أرضه من المسلمين فنكر النجاشيّ رسالتهما وردهما مقبوحين .

ثم أسلم عمر بن الخطاب وكان سبب إسلامه أنه بلغه أنّ أخته فاطمة أسلمت مع

---

(١) وفي نسخة ثانية : الأذى وهي اصح ولا وجود لكلمة الاذاية فيما بين ايدينا من كتب اللغة .

زوجها سعيد ابن عمه زيد ، وأن خباب بن الأرت عندهما يعلمها القرآن ، فجاء إليهما منكراً وضرب أخته فشجّها ، فلما رأت الدم قالت : قد أسلمنا وتابعنا محمداً فافعل ما بدا لك ! ، وخرج إليه خباب من بعض زوايا البيت فذكّره ووعظه ، وحضرته الانابة فقال له : إقرأ عليّ من هذا القرآن ، فقرأ من سورة طه وأدركته الخشية فقال له : كيف تصنعون اذا أردتم الإسلام ؟ فقالوا له وأروه الطهور . ثم سأل على مكان النبي صلى الله عليه وسلم فدل عليه ، فطرقهم في مكانهم ، وخرج إليه النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال : مالك يا ابن الخطّاب ؟ فقال : يا رسول الله جئت مسلماً ، ثم تشهّد شهادة الحق ودعاهم إلى الصلاة عند الكعبة فخرجوا وصلوا هنالك ، واعتز المسلمون باسلامه . وكان النبيّ صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه : اللهم أعزّ الاسلام بأحد العمرين يعنيه أو أبا جهل .

ولما رأت قريش فشّو الاسلام وظهوره أهمهم ذلك ، فاجتمعوا وتعاقدوا على بني هاشم وبني المطلب ألا يناكحوهم ولا يبايعوهم ولا يكلموهم ولا يجالسوهم ، وكتبوا بذلك صحيفة وضعوها في الكعبة ، وانحاز بنو هاشم وبنو المطلب كلهم كافرهم ومؤمنهم فصاروا في شعب أبي طالب محصورين متجنبين ، حاشا أبي لهب فإنه كان مع قريش على قومهم ، فبقوا كذلك ثلاث سنين لا يصل إليهم شيء ممن أراد صلتهم إلاّ سراً ورسول الله صلى الله عليه وسلم مقبل على شأنه من الدعاء إلى الله والوحي عليه متتابع . إلى أنّ قام في نقض الصحيفة رجال من قريش كان أحسنهم في ذلك أثراً هشام بن عمر وبن الحرث من بني حسل بن عامر بن لؤي ، لقي زهير بن أبي أمية بن المغيرة وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب فعيّره باسلامه أخواله إلى ما هم فيه ، فأجاب إلى نقض الصحيفة . ثم مضى إلى مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف وذكر رحم هاشم والمطلب ثم الى أبي البختري[1] بن هشام وزمعة بن الأسود فأجابوا كلّهم ، وقاموا في نقض الصحيفة ، وقد بلغهم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنّ الصحيفة أكلت الأرضة كتابتها كلها حاشا أسماءالله ، فقاموا بأجمعهم فوجدوها كما قال ، فخزوا ونقض حكمها .

ثم أجمع أبو بكر الهجرة وخرج لذلك فلقيه ابن الدغنة[2] فردّه ، ثم اتصل

(١) البختري بوزن الجعفري ، والخاء معجمة على ما في شرح القاموس (قاله نصر) .

(٢) وفي نسخة اخرى : ابن الدغينة .

بالمهاجرين في أرض الحبشة خبر كاذب بأنّ قريشا قد أسلموا ، فرجع إلى مكة قوم منهم عثمان بن عفّان وزوجته وأبو حذيفة وامرأته وعبدالله بن عتبة بن غزوان والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف ومصعب بن عمير وأخوه والمقداد بن عمرو وعبدالله بن مسعود وأبو سلمة بن عبد الأسد وامرأته أم المؤمنين وسلمة بن هشام بن المغيرة وعمّار بن ياسر وبنو مظعون عبدالله وقدامة وعثمان وابنه السائب وخنيس بن حذافة وهشام بن العاص وعامر بن ربيعة وامرأته وعبدالله بن مخرمة من بني عامر بن لؤي وعبدالله بن سهل بن السكران بن عمرو وسعد بن خولة وأبو عبيدة بن الجراح وسهيل بن بيضاء وعمرو بن أبي سرح ، فوجدوا المسلمين بمكة على ما كانوا عليه مع قريش من الصبر على أذاهم ، ودخلوا الى مكة بعضهم مختفياً وبعضهم بالجوار ، فأقاموا إلى أنْ كانت الهجرة إلى المدينة بعد أن مات بعضهم بمكة .

ثم هلك أبو طالب وخديجة وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين فعظمت المصيبة ، وأقدم عليه سفهاء قريش بالاذاية والاستهزاء وإلقاء القاذورة[1] في مصلاه . فخرج إلى الطائف يدعوهم إلى الاسلام والنصرة والمعونة وجلس إلى عبد ياليل بن عمر بن عمير وأخويه مسعود وحبيب وهم يومئذ سادات ثقيف وأشرافهم ، وكلمهم فأساؤا الردّ ، ويئس منهم فأوصاهم بالكتمان فلم يقبلوا واغروا به سفاءهم فاتبعوه حتى ألجاؤه الى حائط عتبة وشيبة ابني ربيعة ، فأوى إلى ظله حتى اطمأن ثم رفع طرفه إلى السماء يدعو : « اللهمّ إليك أشكو ضعف قوّتي وقلة حيلتي وهو اني على الناس أنت أرحم الراحمين أنت ربّ المستضعفين أنت ربي إلى من تكلني إلى بغيض يتجهمني أو إلى عدوٍّ ملكته أمري إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي ولكن عافيتك أوسع لي أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بي غضبك أو يحلّ عليّ سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوّة إلاّ بك » .

ولما انصرف من الطائف الى مكة بات بنخلة ، وقام يصلّي من جوف الليل ، فمرّ به نفر من الجنّ وسمعوا القرآن . ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة في جوار المطعم بن عدي بعد أن عرض ذلك على غيره من رؤساء قريش فاعتذروا بما قبله منهم . ثم قدم عليه الطفيل بن عمر والدوسي فأسلم ودعا قومه فأسلم بعضهم ودعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل الله له علامة للهداية فجعل في وجهه نوراً ثم

(١) وفي نسخة اخرى : القاذورات .

دعا له فنقله إلى سوطه وكان يعرف بذي النور.

وقال ابن حزم : ثم كان الإسراء إلى بيت المقدس ثم إلى السموات ، ولقي من لقي من الأنبياء ، ورأى جنة المأوى وسدرة المنتهى في السماء السادسة ، وفرضت الصلاة في تلك الليلة . وعند الطبري الإسراء وفرض الصلاة كان أوّل الوحي .

ثم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على وفود العرب في الموسم يأتيهم في منازلهم ليعرض عليهم الإسلام ويدعوهم إلى نصره ويتلو عليهم القرآن ، وقريش مع ذلك يتعرضونهم بالمقابح إن قبلوا منه وأكثرهم في ذلك أبو لهب . وكان من الذين عرض عليهم في الموسم بنو عامر بن صعصعة من مضر وبنو شيبان وبنو حنيفة من ربيعة وكندة من قحطان وكلب من قضاعة وغيرهم من قبائل العرب ، فكان منهم من يحسن الإستماع والعذر ، ومنهم من يعرض ويصرح بالأذاية ، ومنهم من يشترط الملك الذي ليس هو من سبيله فيردّ صلى الله عليه وسلم الأمر إلى الله . ولم يكن فيهم أقبح ردّاً من بني حنيفة . وقد ذخر الله الخير في ذلك كله للأنصار ، فقدم سويد بن الصامت أخو بني عمرو بن عوف بن الأوس ، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام فلم يبعد ولم يجب ، وانصرف الى المدينة فقتل في بعض حروبهم وذلك قبل بعاث . ثم قدم بمكّة أبو الحيسر أنس بن رافع في فتية من قومه من بني عبد الأشهل يطلبون الحلف ، فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الاسلام ، فقال إياس بن معاذ منهم وكان شاباً حدثاً : هذا والله خير مما جئنا له ، فانتهره أبو الحيسر فسكت . ثم انصرفوا إلى بلادهم ولم يتم لهم الحلف ومات إياس فيقال : إنه مات مسلماً .

ثم إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لقي عند العقبة في الموسم ستة نفر من الخزرج وهم : أبو أمامة اسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك[1] ابن النجار ، وعوف بن الحرث بن رفاعة بن سواد بن مالك بن غنم وهو ابن عفراء ، ورافع بن مالك بن العجلان بن عمر وبن عامر بن زيد بن مالك بن غضبة بن جشم بن الخزرج ، وطبقة بن عامر بن حيدرة بن عمر وبن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن علي بن أسد ابن مراد بن يزيد بن جشم ، وعقبة بن عامر بن نابي بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن سلمة ، وجابر بن عبدالله بن رئاب بن

(١) وفي النسخة الباريسية : مسلمة .

نعمان بن سلمة (١) بن عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة . فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام ، وكان من صنع الله لهم أنّ اليهود جيرانهم كانوا يقولون إنّ نبياً يبعث وقد أظل زمانه ، فقال بعضهم لبعض هذا والله النبيّ الذي تحدّثكم به اليهود فلا يسبقونا إليه . فآمنوا وأسلموا وقالوا إنّا قد قدّمنا فيهم (٢) حروباً فنتصرف وندعوهم إلى ما دعوتنا إليه فعسى الله أن يجمع كلمتهم بك فلا يكون أحد أعز منك ، فانصرفوا إلى المدينة ودعوا إلى الاسلام حتى فشا فيهم ، ولم تبق دار من دور الأنصار إلاّ وفيها ذكر النبيّ صلى الله عليه وسلم . حتى اذا كان العام القابل قدم مكة من الأنصار اثنا عشر رجلاً منهم خمسة من الستة الذي ذكرناهم ، ما عدا جابر بن عبدالله فإنه لم يحضرها ، وسبعة من غيرهم وهم : معاذ بن الحرث أخو عوف بن الحرث المذكور وقيل إنه ابن عفراء ، وذكوان بن عبد قيس بن خالدة ، وخالد بن مخلد بن عامر بن زريق ، وعبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهد بن ثعلبة بن صرمة بن أصرم بن عمرو بن عبادة بن عصيبة من بني حبيب ، والعبّاس ابن عبادة بن نضلة بن مالك بن العجلان بن زيد بن غنم بن سالم بن عوف بن عمرو ابن عوف هؤلاء عشرة من الخزرج . ومن الأوس : أبو الهيثم مالك بن التيهان وهو من بني عبد الأشهل بن جشم بن الحرث بن الخزرج بن عمر ابن مالك بن أوس ، وعويم بن ساعدة من بني عمر وبن عوف بن مالك بن الأوس بن حارثة . فبايع هؤلاء رسول الله صلى الله عليه وسلم عند العقبة على بيعة النساء ، وذلك قبل أن يفرض الحرب ، على الطاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أن لا يشركوا بالله شيئا ولا يسرقوا ولا يزنوا ولا يقتلوا أولادهم ولا يفتروا الكذب . فلما حان انصرافهم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن أم مكتوم ومصعب بن عمير يدعوهم إلى الإسلام ويعلم من أسلم منهم القرآن والشرائع ، فنزل بالمدينة على أسعد بن زرارة ، وكان مصعب يؤمهم وأسلم على يديه خلق كثير من الأنصار. وكان سعد بن معاذ وأسعد بن زرارة ابنا الخالة ، فجاء سعد بن معاذ وأسيد بن الحضير (٣) إلى اسعد بن زرارة وكان جاراً لبني عبد الأشهل ، فانكروا عليه فهداهما الله إلى الاسلام ، وأسلم

(١) وفي النسخة الباريسية : ابن سنان .

(٢) وفي نسخة ثانية : بينهم .

(٣) وفي نسخة ثانية : الحصين .

باسلامهما جميع بني عبد الأشهل في يوم واحد الرجال والنساء . ولم تبق دار من دور الأنصار إلاّ وفيها المسلمون رجال ونساء حاشا بني أمية بن زيد وخطمة ووائل وواقف ، بطون من الأوس وكانوا في عوالي المدينة ، فأسلم منهم قوم سيدهم أبو قيس صيفي بن الأسلت الشاعر فوقف بهم عن الاسلام حتى كان الخندق فأسلموا كلهم .

العقبة الثانية

ثم رجع مصعب المذكور ابن عمير إلى مكة وخرج معه إلى الموسم جماعة ممن أسلم من الأنصار للقاء النبي صلى الله عليه وسلم في جملة قوم منهم لم يسلموا بعد ، فوافوا مكة وواعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من أوسط أيام التشريق ، ووافوا ليلة ميعادهم إلى العقبة متسللين عن رحالهم سرًّا ممن حضر من كفّار قومهم ، وحضر معهم عبدالله بن عمر وبن حرام أبو جابر وأسلم تلك الليلة ، فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يمنعوه ما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم وأزرهم وأن يرحل إليهم هو وأصحابه . وحضر العبّاس بن عبد المطّلب ، وكان على دين قومه بعد ، وإنما توثق للنبيّ صلى الله عليه وسلم وكان للبراء بن معرور في تلك الليلة المقام المحمود في الإخلاص والتوثق لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أوّل من بايع . وكانت عدّة الذين بايعوا تلك الليلة ثلاثاً وسبعين رجلاً وامرأتين ، واختار منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اثني عشر نقيباً يكونون على قومهم ، تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس ، وقال لهم : أنتم كفلاء على قومكم ككفالة الحواريّين لعيسى بن مريم وأنا كفيل على قومي .

فمن الخزرج من أهل العقبة الأولى : أسعد بن زرارة ، ورافع بن مالك ، وعبادة ابن الصامت . ومن غيرهم سعد بن الربيع بن عمر بن أبي زهير بن مالك بن امرىء القيس ، ومالك بن مالك ، وثعلبة بن كعب بن الخزرج ، وعبدالله بن رواحة بن امرىء القيس ، والبراء بن معرور بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عديّ بن غنم بن كعب بن سلمة ، وعبدالله بن عمرو بن حرام[1] أبو جابر ، وسعد بن عبادة بن دليم[2] بن حارثة بن لودان بن عبد ، ودّ بن يزيد بن ثعلبة بن الخزرج بن

(١) وفي نسخة ثانية : حزام

(٢) وفي نسخة ثانية : ديلم .

ساعدة . وثلاثة من الأوس وهم : أسيد بن حضر بن سماك بن عتيك بن رافع بن امرىء القيس بن زيد بن عبد الأشهل ، وسعد بن خيثمة بن الحارث[1] بن مالك بن الأوس ، ورفاعة بن عبد المنذر بن زيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس . وقد قدّم أبو الهيثم بن التيهان مكان رفاعة هذا والله أعلم .

ولما تمت هذه البيعة أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرجوع إلى رحالهم فرجعوا ، ونمي الخبر إلى قريش فغدت الجلة[2] منهم على الأنصار في رحالهم فعاتبوهم ، فأنكروا ذلك وحلفوا لهم ، وقال لهم عبدالله بن أبي بن سلول ما كان قومي ليتفقوا على مثل هذا وأنا لا أعلمه ، فانصرفوا عنه وتفرّق الناس من منى ، وعلمت قريش صحة الخبر فخرجوا في طلبهم ، فأدركوا سعد بن عبادة فجاؤا به إلى مكة يضربونه ويجرّونه بشعره حتى نادى بجبير بن مطعم والحرث بن أميه وكان يجيرهما ببلده فخلصاه مما كان فيه . وقد كانت قريش قبل ذلك سمعوا صائحاً يصيح ليلاً على جبل أبي قبيس :

فـأن يسلم السعـدان يصبح محمـد ... بمكـــة لا يخشى خلاف مخالـف

فقال أبو سفيان السعدان سعد بكر وسعد هذيم فلما كان في الليلة القابلة سمعوه يقول :

أيا سعد : سعد الأوس كن أنت ناصراً ... ويا سعد سعد الخزرجين[3] الغطارف

أجيبـــا إلى داعي الهدى وتمنيـــا ... على الله في الفردوس منيـــة عـارف

فـــإنّ ثواب الله للطـــالب الهُدَى ... جنـــانٌ من الفردوس ذات فـــارف

فقال هما والله سعد بن عبادة وسعد بن معاذ .

ولما فشا الاسلام بالمدينة وطفق أهلها يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكّة ، تعاقدت على أن يفتنوا المسلمين عن دينهم فأصابهم من ذلك جهد شديد . ثم نزل قوله تعالى : «وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كلُّه لله» . فلما تمت بيعة الأنصار على ما وصفناه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ممن هو بمكّة بالهجرة إلى المدينة ، فخرجوا أرسالاً وأوّل من خرج أبو سلمة بن عبد الأسد ونزل في

---

(١) وفي النسخة الباريسية : الحرث .
(٢) وفي نسخة ثانية : الخلّة .
(٣) وفي نسخة ثانية : الخزرجيّ .

قبا ، ثم هاجر عامر بن ربيعة حليف بني عدي[1] بامرأته ليلى بنت أبي خيثمة بن غانم ، ثم هاجر جميع بني جحش من بني أسد بن خزيمة ونزلوا بقبا على عكاشة بن محصن وجماعة من بني أسد حلفاء بني أمية كانت فيهم زينب بنت جحش أم المؤمنين وأختاها حمنة وأم حبيبة ، ثم هاجر عمر بن الخطّاب وعياش[2] بن أبي ربيعة في عشرين راكباً فنزلوا في العوالي في بني أمية بن زيد وكان يصلّي بهم سالم مولى أبي حذيفة . وجاء أبو جهل بن هشام فخادع عياش بن أبي ربيعة وردّه إلى مكة فحبسوه حتى تخلص بعد حينٍ ورجع . وهاجر مع عمر أخوه وسعيد ابن عمه زيد وصهره على بنته حفصة أم المؤمنين خنيس[3] بن حذافة السهمي وجماعة من حلفاء بني عدي ، نزلوا بقبا على رفاعة بن عبد المنذر من بني عوف بن عمرو .
ثم هاجر طلحة بن عبيدالله فنزل هو وصهيب بن سنان على حبيب بن أساف في بني الحرث بن الخزرج بالسلم ، وقيل بل نزل طلحة على أسعد بن زرارة . ثم هاجر حمزة بن عبد المطّلب ومعه زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحليفه أبو مرثد كناز بن حصن الغنوي فنزلوا في بني عمر وبن عوف بقبا على كلثوم بن الهدم ، ونزل جماعة من بني المطلب بن عبد مناف فيهم مسطح بن اثاثة ومعه خباب بن الأرت مولى عتبة بن غزوان في بني المسجلان بقبا ، ونزل عبد الرحمن بن عوف في رجال من المهاجرين على سعد بن الربيع في بني الحرث بن الخزرج ، ونزل الزبير بن العوّام وأبو سبرة بن أبي رهم بن عبد العزى على المنذر بن محمد بن عتبة بن أحيحة الجلاح في دار بني جحجبا ، ونزل مصعب بن عمير على سعد بن معاذ في بني عبد الأشهل ، ونزل أبو حذيفة بن عتبة ومولاه سالم وعتبة ابن غزوان المازني على عباد بن بشر من بني عبد الأشهل ، ولم يكن سالم عتيق أبي حذيفة وإنّما أعتقته امرأة من الأوس كانت زوجا لأبي حذيفة إسمها بثينة بنت معاذ فتبناه ونسب اليه . ونزل عثمان بن عفان في بني النجّار على أوس أخي حسّان بن ثابت . ولم يبق أحد من المسلمين بمكّة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلاّ أبو بكر وعلي بن أبي طالب فإنهما أقاما بأمره وكان صلى الله عليه وسلم ينتظر أن يؤذن له في الهجرة .

---

(١) وفي النسخة الباريسية : عامر بن ربيعة بن عدي .
(٢) وفي نسخة ثانية : عبّاس .
(٣) وفي نسخة ثانية : جحش .

الهجرة

ولما علمت قريش أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد صار له شيعة وأنصار من غيرهم وأنه مجمع على اللحاق بهم وأنّ أصحابه من المهاجرين سبقوه إليهم تشاوروا ما يصنعون في أمره ، واجتمعت لذلك مشيختهم في دار الندوة : عتبة وشيبة وأبو سفيان من بني أمية وطعيمة بن عدي وجبير بن مطعم والحارث بن عامر من بني نوفل والنضر بن الحارث من بني عبد الدار وأبو جهل من بني مخزوم ونبيه ومنبه ابنا الحجاج من بني سهم وأمية بن خلف من بني جمح ، ومعهم من لا يعدّ من قريش . فتشاوروا في حبسه أو إخراجه عنهم ، ثم اتفقوا على أن يتخيروا من كل قبيلة منهم فتى شاباً جلداً فيقتلونه جميعاً فيتفرق دمه في القبائل ولا يقدر بنو عبد مناف على حرب جميعهم . واستعدوا لذلك من ليلتهم وجاء الوحي بذلك إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فلمّا رأى أرصدهم على باب منزله أمر علي بن أبي طالب أن ينام على فراشه ويتوشح ببرده ، ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم فطمس الله تعالى على أبصارهم ووضع على رؤسهم تراباً وأقاموا طول ليلهم ، فلما أصبحوا خرج إليهم عليّ فعلموا أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم قد نجا ، وتواعد رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر الصدّيق ، واستأجر عبدالله بن أريقط الدولي من بني بكر بن عبد مناف ليدل بهما إلى المدينة وينكب عن الطريق العظمى ، وكان كافراً وحليفاً للعاص بن وائل ، لكنهما وثقا بامره[(١)] وكان دليلا بالطرق .

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من خوخةٍ في ظهر دار أبي بكر ليلاً ، وأتيا الغار الذي في جبل ثور بأسفل مكّة فدخلا فيه ، وكان عبدالله بن أبي بكر يأتيهما بالأخبار ، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر وراعي غنمه يريح غنمه عليهما ليلاً ليأخذ حاجتهما من لبنها ، وأسماء بنت أبي بكر تأتيهما بالطعام . وتقفّى[(٢)] عامرا بالغنم أثر عبدالله[(٣)] ، ولما فقدته قريش اتبعوه ومعهم القائف فقاف الاثر حتى وقف عند الغار وقال هنا انقطع الأثر ! واذا بنسج العنكبوت على فم الغار فاطمأنوا إلى ذلك ورجعوا ، وجعلوا مائة ناقة لمن ردّهما عليهم .

(١) وفي نسخة ثانية : بأمانته .

(٢) وفي نسخة ثانية : نقض .

(٣) وفي النسخة الباريسية : اثر عبدالله والماء .

ثم أتاهما عبدالله بن أريقط بعد ثلاث براحلتهما[1] فركبا، وأردف أبو بكر عامر بن فهيرة ، واتتهما أسماء بسفرة لهما وشقت نطاقها وربطت السفرة فسميت ذات النطاقين . وحمل أبو بكر جميع ماله نحو ستة آلاف درهم ، ومرّوا بسراقة بن مالك بن جعشم فاتبعهم ليردّهم ، ولمّا رأوه دعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فساخت قوائم فرسه في الأرض ، فنادى بالأمان وأن يقفوا له . وطلب من النبي أن يكتب له كتاباً فكتبه أبو بكر بأمرهِ ، وسلك الدليل من أسفل مكّة على الساحل أسفل من عسفان[2] وأمج وأجاز قديداً الى العرج ثم إلى قبا من عوالي المدينة . ووردوها قريباً من الزوال يوم الإثنين لإثنتي عشرة خلت من ربيع الأوّل ، وخرج الأنصار يتلقونه وقد كانوا ينتظرونه حتى اذا[3] قلصت الظلال رجعوا إلى بيوتهم . فتلقوه مع أبي بكر في ظلّ نخلة ، ونزل عليه السلام بقبا على سعد بن خيثمة ، وقيل على كلثوم بن الهدم[4] ، ونزل ابو بكر بالسخ في بني الحرث بن خزرج على خبيب بن أسد ، وقيل على خارجة بن زيد . ولحق بهم عليّ رضي الله عنه من مكّة بعد أن ردّ الودائع للناس التي كانت عند النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فنزل معه بقبا .

وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم هنالك أياماً ثم نهض لما أمر الله وأدركته الجمعة في بني سالم بن عوف ، فصلاّها في المسجد هنالك ورغب إليه رجال بني سالم أن يقيم عندهم، وتبادروا إلى خطام ناقته اغتناما لبركته. فقال عليه السلام : خلّوا سبيلها فإنّها مأمورة، ثم مشى والأنصار حواليه إلى أن مرّ بدار بني بياضة ، فتبادر إليه رجالهم يبتدرون خطام الناقة ، فقال : دعوها فإنها مأمورة. ثم مرّ بدار بني ساعدة فتلقّاه رجال وفيهم سعد بن عبادة والمنذر بن عمر وودعوه كذلك وقال لهم مثل ما قال للآخرين. ثم إلى دار بني حارثة[5] بن الخزرج. فتلقّاه سعد بن الربيع وخارجة بن زيد وعبدالله بن رواحة. ثم مرّ ببني عديّ بن النجار أخوال عبد المطلب ففعلوا وقال لهم مثل ذلك ، إلى أن أتى دار بني مالك بن النجار فبركت ناقته على باب مسجده اليوم وهو يومئذ لغلامين منهم في حجر معاذ بن عفراء إسمهما سهل وسهيل وفيه خرب ونخل وقبور للمشركين ومربد ، ثم

(١) وفي نسخة ثانية : براحلتيها .
(٢) وفي النسخة الباريسية : من غسّان .
(٣) وفي نسخة ثانية : الى ان .
(٤) وفي النسخة الباريسية : ابن المنذر.
(٥) وفي النسخة الباريسية : بني الحرث .

بركت الناقة وبقي على ظهرها ولم ينزل فقامت ومشت غير بعيد ولم يثنها ، ثم التفتت خلفها ورجعت إلى مكانها الأوّل فبركت واستقرّت ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلّم عنها . وحمل أبو أيوب رحله إلى داره فنزل عليه وسأل عن المربد وأراد أن يتخذه مسجداً ، فاشتراه من بني النجّار بعد أن وهبوه إياه فأبى من قبوله ، ثم أمر بالقبور فنبشت وبالنخل فقطعت ، وبنى المسجد باللبن وجعل عضادتيه الحجارة وسواريه جذوع النخل وسقفه الجريد ، وعمل فيه المسلمون حسبة[1] لله عزّ وجلّ .

ثم وداع اليهود وكتب بينه وبينهم كتاب صلح وموادعة شرط فيه لهم وعليهم .

ثم مات اسعد بن زرارة وكان نقيباً لبني النجّار فطلبوا إقامة نقيب مكانه ، فقال أنا نقيبكم ، ولم يخص بها منهم آخر دون آخر فكانت من مناقبهم . ثم لما رجع عبدالله بن أريقط إلى مكة أخبر عبدالله بن أبي بكر بمكانه فخرج ومعه عائشة أخته وأمها أم رومان ومعهم طلحة بن عبيدالله[2] فقدموا المدينة وتزوّج رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة بنت أبي بكر وبنى بها في منزل أبي بكر بالسنح . وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا رافع إلى بناته وزوجته سودة بنت زمعة فحملاهنّ[3] إليه من مكة ، وبلغ الخبر بموت أبي أحيحة والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل من مشيخة قريش . ثم آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار ، فآخى بين جعفر بن أبي طالب وهو بالحبشة ومعاذ بن جبل ، وبين أبي بكر الصديق وخارجة بن زيد ، وبين عمر بن الخطّاب وعثمان بن مالك من بني سالم[4] ، وبين أبي عبيدة بن الجرّاح وسعد بن معاذ ، وبين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع ، وبين الزبير بن العوام وسلمة بن سلامة بن وقش ، وبين طلحة بن عبيدالله وكعب بن مالك ، وبين عثمان بن عفّان وأوس بن ثابت أخي حسان ، وبين سعيد بن زيد وأبي بن كعب ، وبين مصعب بن عمير وأبي أيوب ، وبين أبي حذيفة بن عتبة وعباد بن بشر بن وقش من بني عبد الأشهل ، وبين عمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان العنسي حليف بني عبد الأشهل وقيل بل ثابت بن قيس بن شمّاس ، وبين أبي ذر الغفاري

---

(١) وفي النسخة الباريسية : حسنة .

(٢) وفي النسخة الباريسية : عبدالله .

(٣) الاصح ان يقول جملهن .

(٤) وفي نسخة اخرى : بني سهم .

والمنذر بن عمرو من بني ساعدة ، وبين حاطب بن أبي بلتعة حليف بني أسد بن عبد العزّى ، وعويم بن ساعدة من بني عمرو بن عوف ، وبين سلمان الفارسي وأبي الدرداء ، وعمير بن بلتعة من بني الحرث بن الخزرج(١) وبين بلال بن حمامة وأبي رويحة الخثعمي(٢) .

ثم فرضت الزكاة ويقال وزيد في صلاة الحاضر(٣) ركعتين فصارت أربعا بعد أن كانت ركعتين سفراً وحضراً . ثم أسلم عبدالله بن سلام وكفر جمهور اليهود ، وظهر قوم من الأوس والخزرج منافقون يظهرون الإسلام مراعاة لقومهم من الأنصار ويصرّون الكفر ، وكان رؤسهم من الخزرج عبدالله بن أُبي بن سلول والجدّ بن قيس ، ومن الأوس الحرث بن سهيل بن الصامت وعبّاد بن حنيف ومربع بن قيظي وأخوه أوْس من أهل مسجد الضرار . وكان قوم من اليهود أيضا تعوذوا بالإسلام وهم يبطنون الكفر منهم : سعد بن حنيس(٤) وزيد بن اللصيت(٥) ورافع بن خزيمة ورفاعة بن زيد ابن التابوت وكنانة بن خبورا(٦) .

الغزوات

(الابواء) : ولما كان شهر صفر بعد مقدم النبيّ صلى الله عليه وسلم المدينة خرج في مائتين من أصحابه يريد قريشاً وبني ضُمْرة ، واستعمل على المدينة سعد بن عبادة ، فبلغ ودّان والأبواء ولم يلقهم . واعترضه مخشى بن عمر وسيد بني ضمرة بن عبد منات بن كنانة وسأله موادعة قومه فعقد له ، ورجع إلى المدينة ولم يلق حرباً . وهي أوّل غزاة غزاها بنفسه ، ويسمى بالأبواء وبودّان المكانان اللذان انتهى إليهما ، وهما متقاربان بنحو ستة أميال ، وكان صاحب اللواء فيها حمزة بن عبد المطّلب .

(بواط :) ثم بلغه أن عير قريش نحو ألفين وخمسمائة فيها أمية بن خلف ، ومائة رجل من قريش ذاهبة إلى مكة ، فخرج في ربيع الآخر لاعتراضها واستعمل على المدينة

---

(١) في هامش الأصل سقط أبو عمير اهـ قاله نصر .

(٢) وفي النسخة البارسية : ازويغة الخثعمي .

(٣) وفي النسخة البارسية : في صلاة الحضر .

(٤) وفي نسخة ثانية : خنيس .

(٥) وفي نسخة ثانية : زيد بن اللطيت .

(٦) وفي نسخة ثانية : كنانه بن حيورتا .

السائب بن عثمان بن مظعون . وقال الطبري : سعد بن معاذ فانتهى إلى بواط ولم يلقهم ورجع إلى المدينة .

غزوة العشيرة : ثم خرج في جمادى الأولى غازيا قريشا ، واستخلف على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد فسلك عن جانب من الطريق إلى أن لقي الطريق بصخيرات اليمام إلى العشيرة من بطن ينبع ، فأقام هنالك بقية جمادى الأولى وليلة من جمادى الثانية ووادع بني مدلج ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق حرباً .

بدر الأولى(١) وأقام بعد العشيرة نحو عشر ليال ثم أغار كرز بن جابر الفهريّ على سرح المدينة ، فخرج في طلبه حتى بلغ ناحية بدر ، وفاته كرز فرجع الى المدينة .

(البعوث) : وفي هذه الغزوات كلها غزا بنفسه وبعث فيما بينها بعوثاً نذكرها (فمنها) : بعث حمزة بعد الأبواء ، بعثه في ثلاثين راكباً من المهاجرين إلى سيف البحر فلقي أبا جهل في ثلثمائة راكب من أهل مكة فحجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني(٢) ولم يكن قتال . ومنها بعث عُبَيْدَة بن الحرث بن المطلب في ستين راكباً وثمانين من المهاجرين فبلغ ثَنْيَةَ المَرارِ(٣) ولقي بها جمعاً عظيماً من قريش كان عليهم عكرمة بن أبي جهل وقيل مكرز بن حفص بن الأحنف ولم يكن بينهم قتال . وكان مع الكفّار يومئذ من المسلمين المقْدَاد بن عمرو وعتبَةُ بن غَزْوان ، خرجا مع الكفار ليجد السبيل إلى اللحاق بالنبيّ صلى الله عليه وسلم فهربا إلى المسلمين وجاآ معهم . وكان بعث حمزة وعبيدة متقاربين ، واختلف أيهما كان قبل إلا أنهما أوّل راية عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال الطبريّ إنّ بعث حمزة كان قبل ودّان في شوال لسبعة أشهر من الهجرة . ومنها بعث سعد(٤) بن أبي وقّاص في ثمانية رهط من المهاجرين يطلب كرز بن جابر حين أغار على سرح المدينة فبلغ المرار ورجع .

ومنها بعث عبدالله بن جَحْش إثر مرجعه من بدر الأولى في شهر رجب بعثه بثمانية من المهاجرين وهم أبو حذيفة بن عتبة وعكاشة بن محصن بن أسد بن خزيمة وعتبة

---

(١) وفي النسخة الباريسية : العشيرة بدر الأولى .
(٢) وفي نسخة ثانية : عدي بن صجر الجهني .
(٣) وفي النسخة الباريسية : ثنية المرة .
(٤) وفي النسخة الباريسية : سعيد

بن غزوان بن مازن بن منصور وسعد بن أبي وقاص وعامر بن ربيعة العنزي حليف بني عدي وواقد بن عبدالله بن زيد مناة بن تميم وخالد بن البكير بن سعد بن ليث وسهيل بن بيضا [١] بن فهر بن مالك ، وكتب له كتاباً وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين ولا يكره أحداً من أصحابه ، فلما قرأ الكتاب بعد يومين وجد فيه أن تمضي حتى تنزل نخلة بين مكّة والطائف وترصد بها قريشاً وتعلم لنا من أخبارهم ، فأخبر أصحابه وقال : حتى نتزل النخلة بين مكة والطائف ومن أحب الشهادة فلينهض ولا أستكره أحداً . فمضوا كلهم وضل لسعد بن أبى وقاص وعتبة بن غزوان في بعض الطريق بعير لهما كانا يعتقبانه فتخلفا في طلبه ونفر الباقون إلى نخلة ، فمرّت بهم عير لقريش تحمل تجارة فيها عمرو بن الحضرمي وعثمان بن عبدالله بن المغيرة وأخوه نوفل والحكم بن كيْسَان مولاهم وذلك آخر يوم من رجب ، فتشاور المسلمون وتحرج بعضهم الشهر الحرام ثم اتفقوا واغتنموا الفرصة فيهم ، فرمى واقد بن عبدالله [٢] عمرو بن الحضْرَميّ فقتله وأسروا عثمان بن عبدالله والحكم بن كيْسَان وأفلت نوفل ، وقدموا بالعير والأسيرين وقد أخرجوا الخمس فعزلوه . فأنكر النبيّ صلى الله عليه وسلم فعلهم ذلك في الشهر الحرام ، فسقط في أيديهم ثم أنزل الله تعالى « يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه » الآية إلى قوله « حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا » . فسرّي عنهم وقبض النبيّ صلى الله عليه وسلم الخمس وقسم الغنيمة وقبل الفداء في الأسيرين ، وأسلم الحكم بن كيْسَان منهما ، ورجع سعد وعتبة سالمين إلى المدينة . وهذه أوّل غنيمة غنمت في الإسلام وأوّل غنيمة خمست في الإسلام وقتل عمرو بن الحضرمي هو الذي هيج [٣] وقعة بدر الثانية .

صرف القبلة : ثم صرفت القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة على رأس سبعة عشر شهراً من مقدمه المدينة ، خطب بذلك على المنبر وسمعه بعض الأنصار فقام فصلىّ ركعتين إلى الكعبة ، قاله ابن حزم . وقيل على رأس ثمانية عشر شهراً ، وقيل ستة عشر ، ولم يقل غير ذلك .

غزوة بدر الثانية : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة إلى رمضان من السنة

(١) وفي نسخة ثانية : بن مضاض

(٢) وفي النسخة الباريسية : عبدالله بن واقد .

(٣) وفي نسخة ثانية : هاج .

الثانية ، ثم بلغه أنّ عيراً لقريش فيها أموال عظيمة مقبلة من الشام إلى مكّة معها ثلاثون أو أربعون رجلاً من قريش عميدهم أبو سفيان ومعه عمرو بن العاصي ومخرمة بن نوفل ، فندب عليه السلام المسلمين إلى هذه العير وأمر من كان ظهره حاضراً بالخروج ، ولم يحتفل في الحشد لأنه لم يظن قتالاً ، واتصل خروجه بأبي سفيان ، فاستأجر ضَمْضَمَ بن عمرو الغفاريّ وبعثه إلى أهل مكة يستنفرهم لعيرهم فنفروا وأرعبوا إلاّ يسيراً منهم أبو لهب . وخرج صلى الله عليه وسلم لثمان خلوْن من رمضان واستخلف على الصلاة عمرو بن أمّ مكتوم وردّ أبا لبابة من الروحاء واستعمله على المدينة ، ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير ، ودفع إلى عليّ راية ، وإلى رجل من الأنصار أخرى يقال كانتا سوداوين . وكان مع أصحابه صلى الله عليه وسلم يومئذ سبعون بعيراً يعتقبونها فقط . وجعل على الساقة قيس بن أبي صَعصَعَة من بني النجّار ، وراية الأنصار يومئذ مع سعد بن معاذ فسلكوا نقب المدينة إلى ذي الحليفة ثم انتهوا إلى صخيرات يمام[1] ثم إلى بئر الروحاء ، ثم رجعوا ذات اليمين عن الطريق إلى الصفراء .

وبعث عليه السلام قبلها بَسْبَس بن عمرو الجهني حليف بني ساعدة وعديّ بن أبي الزغباء[2] الجهني حليف بني النجّار إلى بدر يتجسّسون أخبار أبي سفيان وغيره . ثم تنكّب عن الصفراء يميناً وخرج على وادي دَفْرَان ، فبلغه خروج قريش ونفيرهم ، فاستشار أصحابه ، فتكلّم المهاجرون وأحسنوا ، وهو يريد ما يقوله الأنصار وفهموا ذلك . فتكلّم سعد بن معاذ وكان فيما قال : «لو استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك فسر بنا يا رسول الله على بركة الله» فسرّ بذلك ، وقال : «سيروا وأبشروا فإنّ الله قد وعدني إحدى الطائفتين» .

ثم ارتحلوا من دَفْرَان إلى قريب من بَدْر وبعث عليّا والزُبير وسعداً في نفر يلتمسون الخبر فأصابوا غلامين لقريش ، فأتوا بهما وهو عليه السلام قائم يصليّ ، وقالوا : نحن سقاة قريش فكذّبوهما كراهية في الخبر ورجاء أن يكونا من العير للغنيمة وقلّة المؤنة ، فجعلوا يضربونهما فيقولان نحن من العير . فسلّم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنكر عليهم ، وقال للغلامين : أخبراني أين قريش . فأخبراه أنّهم وراء الكثيب[3]

(١) وفي نسخة اخرى : تمام .

(٢) وفي النسخة الباريسية : الدغماء .

(٣) الكثيف : التل من الرمل وفي النسخة الباريسية الكثيف وهو الصفيح من الحديد (قاموس) .

وأنّهم ينحرون يوما عشراً من الابل ويوماً تسعاً . فقال عليه السلام : القوم بين التسعمائة والألف . وقد كان بَسْبَسُ وعديّ الجهنيّان مضيا يتجسّسان ولا خبر حتى نزلا وأناخا قرب الماء واستقيا في شِنٍّ لهما ومجدي بن عمرو من جهيْنة بقربهما ، فسمع عديّ جارية من جواري الحي تقول لصاحبتها العير تأتي غداً أو بعد غد وأعمل لهم وأقضيك الذي لك وجاءت إلى مجدي بن عمرو فصدقها ، فرجع بسبسُ وعديّ بالخبر. وجاء أبو سفيان بعدهما يتجسّس الخبر فقال لمجدي هل أحسست أحداً فقال راكبين أناخا يميلان لهذا التل فاستقيا الماء ، ونهضا فأتى أبو سفيان مناخهما وفتت من أبعار رواحلهما ، فقال هذه والله علائف يثرب فرجع سريعاً وقد حذر وتنكب بالعير إلى طريق الساحل فنجا وأوصى إلى قريش بأنّا قد نجونا بالعير فارجعوا . فقال أبو جهل : والله لا نرجع حتى نرد ماء بدر ونقيم به ثلاثاً وتهابنا العرب أبداً ، ورجع الأخنس بن شريق بجميع بني زهرَة وكان حليفهم ومطاعاً فيهم ، وقال : إنمّا خرجتم تمنعون أموالكم وقد نجت فارجعوا . وكان بنو عديّ لم ينفروا مع القوم ، فلم يشهد بدراً من قريش عدويّ ولا زُهريّ .

وسبق رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا إلى ماء بدر وثبطهم عنه مطر نزل وبله مما يليهم وأصاب مما يلي المسلمين دهس[1] الوادي ، وأعانهم على السير ، فنزل عليه السلام على أدنى ماء من مياه بدر إلى المدينة ، فقال له الحباب بن المنذر بن عمرو بن الجموح : «آلله أنزلك بهذا المنزل فلا نتحوّل عنه أم قصدت الحرب والمكيدة ؟ فقال عليه السلام : لا بل هو الرأي والحرب . فقال يا رسول الله ليس هذا بمنزل ، وإنمّا نأتي أدنى ماء من القوم فننزله ونبني عليه حوْضاً فنملؤه ونغوّر القلب كلها فنكون قد منعناهم الماء . فاستحسنه رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم بنوا له عريشاً يكون فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يأتيه[2] من ربه النصر ، ومشى يريهم مصارع القوم واحداً واحداً ، ولما نزل قريش مما يليهم بعثوا عمير بن وهب الجمحِيّ يحزر[3] له أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانوا ثلثمائة وبضعة عشر رجلاً فيهم فارسان الزبير والمقداد، فحزرهم وانصرف وخبّرهم الخبر ، ورام حكيم بن حزام

---

(١) الدهس : المكان السهل ليس برمل ولا تراب (قاموس) .

(٢) وفي النسخة الباريسية : يكون فيه رسول الله (صلعم) واثقاً من ربه النصر.

(٣) وفي نسخة اخرى : يحذر.

وعتبة بن ربيعة أن يرجعا بقريش ولا يكون الحرب ، فأبى أبو جهل وساعده المشركون ، وتواقفت الفئتان .
وعدّل رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفوف بيده ورجع إلى العريش ومعه أبو بكر وحده ، وطفق يدعو ويلح وأبو بكر يقاوله ويقول في دعائه اللهمّ أن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض اللهمّ أنجز لي ما وعدتني ، وسعد بن معاذ وقوم معه من الأنصار على باب العريش يحمونه وأخفق (١) رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم انتبه فقال أبشر يا أبا بكر فقد أتى نصرالله . ثم خرج يحرّض الناس ، ورمى في وجوه القوم بحفنة من حصى وهو يقول : شاهت الوجوه . ثم تزاحفوا فخرج عتبة وأخوه شيبة وابنه الوليد يطلبون البراز فخرج إليهم عبيدة بن الحرث وحمزة بن عبد المطّلب وعلي بن أبي طالب فقتل حمزة وعلي شيبة والوليد وضرب عتبة عبيدة فقطع رجله فمات وجاء حمزة وعليّ إلى عتبة فقتلاه . وقد كان برز إليهم عوفُ ومعْوذُ إبنا عفرَاء وعبدالله بن رواحة من الأنصار فأبوا إلاّ قومهم ، وجال القوم جولة فهزم المشركون وقتل منهم يومئذ سبعون رجلا فمن مشاهيرهم : عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة وحنظلة بن أبي سفيان بن حرب وابنا سعيد بن العاص عبيدة والعاص ، والحرث بن عامر بن نوفل وابن عمه طعيمة بن عديّ وزمعة بن الأسود وابنه الحرث وأخوه عقيل بن الأسود وابن عمه أبو البختري بن هشام ونوفل بن خويلد بن أسد وأبو جهل بن هشام ، اشترك فيه معاذ ومعوذ ابنا عفراء ووجده عبدالله بن مسعود وبه رمق فحزّ رأسه ، وأخوه العاص بن هشام وابن عمها مسعود بن أمية وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة وابن عمه أبو قيس بن الفاكه ، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج ، والعاصى بن منبه وأميه بن خلف وابنه عليّ وعميْر بن عثمان عمّ طلحة .
وأسر العباس بن عبد المطلب وعقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحرث بن عبد المطلب والسائب بن عبد يزيد من بني المطلب وعمرو بن أبي سفيان بن حرب وأبو العاص بن الربيع وخالد بن أسيد بن أبي العيص وعديّ بن الخيار من بني نوفل وعثمان بن عبد شمس ابن عمّ عتبة بن غزوان وأبو عزيز أخو مصعب بن عميْر وخالد بن هشام ابن المغيرة وابن عمه رفاعة (٢) بن أبي رفاعة وأمية بن أبي حذيفة بن المغيرة والوليد

---

(١) وفي النسخة الباريسية : وطفق .

(٢) وفي النسخة الباريسية : وابن عمه حمير .

بن الوليد أخو خالد وعبدالله وعمرو ابنا أبيّ بن خلف وسهيل بن عمرو في آخرين مذكورين في كتب السير.

واستشهد من المسليمن ، من المهاجرين : عبيدة بن الحارث بن المطلب وعمير بن أبي وقاص وذو الشمالين بن عبد عمرو بن نضلة الخزاعي حليف بني زهرة وصفوان بن بيضاء من بني الحرث بن فهر ومهجع مولى عمر بن الخطّاب رضي الله عنه أصابه سهم فقتله ، وعاقل بن البكير الليثي حليف بني عديّ من الأنصار. ثم من الأوس : سعد بن خيثمة ومبشر بن عبد المنذر. ومن الخزرج : يزيد بن الحارث[1] بن الخزرج وعمير بن الحمام من بني سلمة سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يحض على الجهاد ويرغب في الجنة وفي يده تمرات يأكلهن فقال : بخ بخ أما بيني وبين الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء ثم رمى بهنّ وقاتل حتى قتل ، ورافع بن المُعلّى من بني حبيب بن عبد حارثة وحارثة بن سراقة من بني النجّار وعوف ومعوذ ابنا عفراء .

ثم انجلت الحرب وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتلى المشركين فسحبوا إلى القليب وطم عليهم التراب ، وجعل على النفل[2] عبدالله بن كعب بن عمرو بن مبدول بن عمر بن غنم بن مازن بن النجّار ، ثم انصرف إلى المدينة فلما نزل الصفراء قسم الغنائم كما أمر الله ، وضرب عنق النضر بن الحرث بن كلدة من بني عبد الدار ، ثم نزل عرق الظبية فضرب عنق عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية وكان في الأسارى ومرّ إلى المدينة فدخلها لثمان بقين من رمضان .

غزوة الكدر : وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد رجوعه إلى المدينة اجتماع غطَفان فخرج يريد بني سليم بعد سبع ليال من منصرفه ، واستخلف على المدينة سبّاع بن عرفطة الغفاري أو ابن أمّ مكتوم ، فبلغ ماء يقال له الكدر وأقام عليه ثلاثة أيام ثم انصرف ولم يلق حرباً ، وقيل إنه أصاب من نعمهم ورجع بالغنيمة ، وإنه بعث غالب بن عبدالله الليثي في سرية فنالوا منهم وانصرفوا بالغنيمة . وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذي الحجة ، وفدى رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر أسارى بدر .

---

(١) وفي النسخة الباريسية : يزيد من الحرث من بني الحرث بن الخزرج .

(٢) وفي النسخة الباريسية : البقل .

غزوة السويق : ثم إنّ أبا سفيان لما انصرف من بدر نذر أن يغزو المدينة فخرج في مائتي راكب حتى أتى بني النضير ليلاً ، فتوارى عنه جيٌّ بن أخطب ولقيه سلام بن مشكم وقراه[1] وأعلمه بخبر الناس ، ثم رجع ومرّ بأطراف المدينة فحرق نخلا وقتل رجلين في حرث لهما ، فنفر رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ، واستعمل على المدينة أبا لبابة بن عبد المنذر ، وبلغ الكدر[2] وفاته أبو سفيان والمشركون وقد طرحوا السويق من أزوادهم ليتخففوا ، فأخذها المسلمون فسميت لذلك غزوة السويق . وكانت في ذي الحجة بعد بدر بشهرين .

ذى أمرّ : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر المحرم غازياً غطفان واستعمل على المدينة عثمان بن عفان فأقام بنجد صفر وانصرف ولم يلق حرباً .

نجران : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر ربيع الأوّل يريد قريشاً واستخلف ابن أمّ مكتوم فبلغ نجران معدناً في الحجاز ولم يلق حرباً . وأقام هنالك إلى جمادى الثانية من السنة الثالثة وانصرف إلى المدينة .

قتل كعب بن الأشرف : وكان كعب بن الأشرف رجلاً من طيء وأمّه من يهود بني النضير ، ولما أصيب أصحاب بدر ، وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة وعبدالله بن رواحة مبشرين إلى المدينة ، جعل يقول : ويلكم أحق هذا ؟ وهؤلاء أشراف العرب وملوك الناس ، وإن كان محمد أصاب هؤلاء فبطن الأرض خير من ظهرها . ثم قدم مكّة ونزل على المطّلب بن أبي وداعة السهمي ، وعنده عاتكة بنت أسيد بن أبي العيص بن أمية ، فجعل يحرّض على رسول الله صلى الله عليه وسلم وينشد الأشعار ويبكي على أصحاب القليب ، ثم رجع إلى المدينة فشبب بعاتكة ثم شبب بنساء المسلمين . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يقتل كعب بن الأشرف ، فانتدب لذلك محمد بن مسلمة وملكان بن سلامة بن وقش وهو أبو نائلة من بني عبد الأشهل أخو كعب من الرضاعة وعبّاد بن بشر بن وقش والحرث بن بشر بن معاذ وأبو عبس بن جبر من بني حارثة ، وتقدّم إليه ملكان بن سلامة وأظهر له انحرافاً عن النبيّ صلى الله عليه وسلم عن إذنٍ منه ، وشكا إليه ضيق الحال ورام أن يبيعه وأصحابه طعاماً ويرهنون سلاحهم . فأجاب إلى ذلك ورجع إلى أصحابه ،

---

(١) وفي النسخة الباريسية : سلام بن مسلم ونهاه .

(٢) وفي نسخة ثانية : الكرز .

فخرجوا وشيعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بقيع الغرقد[1] في ليلة قمراء ، وأتوا كعبا فخرج إليهم من حصنه ومشوا غير بعيد ثم وضعوا عليه سيوفهم ، ووضع محمد بن مسلمة معولاً كان معه في ثنته[2] فقتله . وصاح عدوّ الله صيحة شديدة انذعر لها أهل الحصون التي حواليه ، وأوقدوا النيران ، ونجا القوم وقد جرح منهم الحرث بن أوس ببعض سيوفهم فنزفه الدم وتأخر ، ثم وافاهم بجرَّة العريض آخر الليل ، وأتوا النبيّ صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ، وأخبروه وتفل على جرح الحرث فبرأ . وأذن للمسلمين في قتل اليهود لما بلغه أنهم خافوا من هذه الفعلة ، وأسلم حينئذ حويصة بن مسعود ، وقد كان أسلم قبله أخوه محيصة بسبب قتل بعضهم .

غزوة بني قينقاع : وكان بنو قينقاع لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر وقف بسوق بني قينقاع في بعض الأيام فوعظهم وذكرهم ما يعرفون من أمره في كتابهم ، وحذّرهم ما أصاب قريشاً من البطشة ، فأساؤا الردّ وقالوا : لا يغرنك انك لقيت قوماً لا يعرفون الحرب فأصبت منهم والله لئن جرّبتنا لتعلمنّ أنّا نحن الناس . فأنزل الله تعالى : « وإمّا تخافن من قوم خيانة فأنبذ إليهم على سواء » . وقيل بل قتل مسلم يهودياً بسوقهم في حق ، فثاروا على المسلمين ونقضوا العهد ونزلت الآية . فسار إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واستعمل على المدينة بشير بن عبد المنذر ، وقيل أبا لبابة ، وكانوا في طرف المدينة في سبعمائة مقاتل منهم ثلثمائة دارع ، ولم يكن لهم زرع ولا نخل إنما كانوا تجار أو صاغة يعملون بأموالهم ، وهم قوم عبدالله بن سلام . فحصرهم عليه السلام خمس عشرة ليلة لا يكلم أحدا منهم حتى نزلوا على حكمه فكتفهم ليقتلوا ، فشفع فيهم عبدالله بن أبي بن سلول وألح في الرغبة[3] حتى حقن له رسول الله صلى الله عليه وسلم دماءهم ، ثم أمر بإجلائهم وأخذ ما كان لهم من سلاح وضياع[4] ، وأمر عبادة بن الصامت فمضى بهم إلى ظاهر ديارهم ولحقوا بخيبر ، وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الخمس من الغنائم وهو أول خمس

---

(١) وفي نسخة اخرى : الغرقد وفي النسخة الباريسية : العرقد .

(٢) الثنة : شعرات مؤخر رجل الفرس (قاموس) والأصح ان يقول ثنيته : اي اسنان مقدّم الفم . وفي النسخة الباريسية : في قبته .

(٣) وفي نسخة اخرى : الرغنة : اي الطمع .

(٤) وفي النسخة الباريسية : صياغة .

أخذه ، ثم انصرف إلى المدينة وحضر الأضحى فصلى بالناس في الصحراء وذبح بيده شاتين ويقال أنّها أوّل أضحيته صلى الله عليه وسلم .

سرية زيد بن حارثة إلى قردة : وكانت قريش من بعد بدر قد تخوّفوا من اعتراض المسلمين عيرهم في طريق الشام وصاروا يسلكون طريق العراق ، وخرج منهم تجّار فيهم أبو سفيان بن حرب وصفوان بن أمية واستجاروا بفرات بن حيان من بكر بن وائل فخرج بهم في الشتاء وسلك بهم على طريق العراق ، وانتهى خبر العير إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم وما فيها من المال وآنية الفضة ، فبعث زيد بن حارثة في سريّة فاعترضهم وظفر بالعير وأتى بفرات بن حيّان العجليّ أسيراً فتعوذ بالاسلام وأسلم . وكان خمس هذه الغنيمة عشرين ألفاً .

قتل ابن أبي الحقيق : كان سلام بن أبي الحقيق هذا من يهود خيبر وكنيته أبو رافع ، وكان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ويحزب عليهم الأحزاب ، مثلاً أو قريباً من كعب بن الأشرف ، وكان الأوس والخزرج يتصاولان تصاول الفحلين في طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم والذبّ عنه والنيل من أعدائه ، لا يفعل أحد القبيلتين شيئاً من ذلك إلاّ فعل الآخرون مثله . وكان الأوس قد قتلوا كعب بن الأشرف كما ذكرناه ، فاستأذن الخزرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتل ابن أبي الحقيق نظير ابن الأشرف في الكفر والعداوة ، فأذن لهم . فخرج إليهم من الخزرج ثم من بني سلمة[(١)] ثمانية نفر منهم : عبدالله بن عقيل ومسعر بن سنان وأبو قتادة والحرث بن ربعي الخزاعي من حلفائهم في آخرين ، وأمر عليهم عبدالله بن عقيل ونهاهم أن يقتلوا وليداً أو امرأة ، وخرجوا في منتصف جمادى الآخرة من سنة ثلاث ، فقدموا خيبر ، وأتوا دار ابن أبي الحقيق في علية له بعد أن انصرف عنه سمره ونام ، وقد أغلقوا الأبواب من حيث أفضوا كلها عليهم ، ونادوه ليعرفوا مكانه بصوته ، ثم تعاوروه بسيوفهم حتى قتلوه ، وخرجوا من القصر وأقاموا ظاهره حتى قام الناعي على سور القصر فاستيقنوا موته ، وذهبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخبر . وكان أحدهم قد سقط من درج العلية فأصابه كسر في ساقه فمسح عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وبرأ[(٢)] .

---

(١) وفي النسخة الباريسية : من بني ساعدة سلمة .
(٢) وفي نسخة ثانية : فبرئت .

غزوة أحد

وكانت قريش بعد واقعة بدر قد توامروا(١) وطلبوا من أصحاب العير أن يعينوهم بالمال ليتجهزوا به لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعانوهم ، وخرجت قريش باحابيشها وحلفائها وذلك في شوّال من سنة ثلاث ، واحتملوا الظعن التماساً للحفيظة وأن لا يفرّوا ، وأقبلوا حتى نزلوا ذا الحليفة قرب أحد ببطن السبخة مقابل المدينة على شفير وادٍ هنالك ، وذلك في رابع شوّال . وكانوا في ثلاثة آلاف فيهم سبعمائة دارع ومائتا فرس وقائدهم أبو سفيان ومعهم خمس عشرة امرأة بالدفوف يبكين قتلى بدر . وأشار صلى الله عليه وسلم على أصحابه بأن يتحصنوا بالمدينة ولا يخرجوا وإن جاؤا قاتلوهم على أفواه الأزقة ، وأقر(٢) ذلك على رأي عبدالله بن أبي بن سلول ، وألحّ قوم من فضلاء المسلمين ممن أكرمه الله بالشهادة فلبس لامته وخرج ، وقدم أولئك الذين ألحّو عليه وقالوا : يا رسول الله إن شئت فاقعد . فقال : ما ينبغي لنبي اذا لبس لامته أن يضعها حتى يقاتل . وخرج في ألفٍ من أصحابه ، واستعمل ابن ام مكتوم على الصلاة ببقية المسلمين بالمدينة . فلما سار بين المدينة وأحد انخزل عنه عبدالله بن أبي في ثلث الناس مغاضباً لمخالفة رأيه في المقام ، وسلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حرّة بني حارثة ومرّ بين الحوائط وأبو خيثمة من بني حارثة يدل به حتى نزل الشعب من أحد مستنداً إلى الجبل ، وقد سرحت قريش الظهر والكراع في زروع المسلمين وتهيأ للقتال في سبعمائة فيهم خمسون فارساً وخمسون رامياً ، وأمّر على الرماة عبدالله بن جبير من بني عمرو بن عوف والأوس أخو خُـوّات ، ورتبهم خلف الجيش ينضحون بالنبل لئلا يأتوا المسلمين من خلفهم ، ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير من بني عبد الدار ، وأجاز يومئذ سمرة بن جندب الفزاري ورافع بن خديج من بني حارثة في الرماة وسنها خمسة عشر عاماً ، وردّ أسامة بن زيد وعبدالله بن عمر بن الخطّاب ومن بني مالك بن النجار زيد بن ثابت وعمرو بن حرام ومن بني حارثة البراء بن عازب وأسيد بن ظهير ، ورد عرابة بن أوس وزيد بن أرقم وأبا سعيد الخدري سن جميعهم يومئذ أربعة عشر عاماً . وجعلت قريش على ميمنة الخيل خالد بن الوليد ،

(١) ربما قصد المؤرخ تآمروا .

(٢) وفي نسخة اخرى : وافقا .

وعلى ميسرتهم عكرمة بن أبي جهل . وأعطى عليه السلام سيفه بحقه إلى أبي دجانة سماك بن خرشة من بني ساعدة وكان شجاعاً بطلاً يختال عند الحرب . وكان مع قريش ذلك اليوم والد حنظلة غسيل الملائكة أبو عامر عبد عمرو بن صيفي بن مالك ابن النعمان في طليعة[١] وكان في الجاهلية قد ترهّب وتنسّك ، فلما جاء الإسلام غلب عليه الشقاء وفرّ إلى مكة في رجال من الأوس وشهد أحد مع الكفّار ، وكان يعد قريش في إنحراف الأوس إليه لما أنه سيدهم ، فلم يصدق ظنه ، ولما ناداهم وعرفوه ، قالوا : لا أنعم الله لك علينا يا فاسق . فقاتل المسلمين قتالاً شديداً .

وأبلى يومئذ حمزة وطلحة وشيبة وأبو دجانة والنضر بن أنس[٢] بلاءً شديداً ، وأصيب جماعة من الأنصار مقبلين غير مدبرين واشتدّ القتال وانهزم قريش أوّلاً ، فخلت الرماة عن مراكزهم ، وكرّ المشركون كرّة وقد فقدوا متابعة الرماة فانكشف المسلمون واستشهد منهم من أكرمه الله ، ووصل العدوّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقاتل مصعب بن عمير صاحب اللواء دونه حتى قتل ، وجرح رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجهه وكسرت رباعيته اليمنى السفلى بحجر ، وهشمت البيضة في رأسه ، يقال إن الذي تولى ذلك عتبة بن أبي وقاص وعمرو بن قميئة الليثي . وشدّ حنظلة الغسيل على أبي سفيان ليقتله فاعترضه شدّاد بن الأسود الليثي من شعوب فقتله وكان جنباً ، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الملائكة غسلته .

وأكبت الحجارة على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سقط من بعض حفر هناك ، فأخذ علي بيده واحتضنه طلحة حتى قام ، ومصّ الدم من جرحه مالك بن سنان الخدري والد ابي سعيد ، ونشبت حلقتان من حلق المغفر في وجهه صلى الله عليه وسلم فانتزعها أبو عبيدة بن الجراح فندرت ثنيتاه فصار اهتم[٣] . ولحق المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم وكرّ دونه نفر من المسلمين فقتلوا كلهم ، وكان آخرهم عمّار بن يزيد بن السكن . ثم قاتل طلحة حتى أجهض[٤] المشركون وأبو دجانة يلي النبيّ صلى الله عليه وسلم بظهره وتقع فيه النبل فلا يتحرك[٥] ، وأصيبت عين قتادة

(١) وفي نسخة ثانية : من ضبيعة .
(٢) وفي النسخة الباريسية : النضر بن شميل .
(٣) ويقال : اثرم بدل اهتم اهـ .
(٤) اجهض : بمعنى أبعد المشركين .
(٥) وفي نسخة ثانية : فلا يترك

ابن النعمان من بني ظفر فرجع وهي على وجنته ، فردها عليه السلام بيده فصحت وكانت أحسن عينيه .
وانتهى النضر بن أنس إلى جماعة من الصحابة وقد دهشوا وقالوا : قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال فما تصنعون في الحياة بعده ؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه . ثم استقبل الناس وقاتل حتى قتل ووجد به سبعون ضربة . وجرح يومئذ عبد الرحمن بن عوف عشرين جراحة بعضها في رجله فعرج منها . وقتل حمزة عمّ النبيّ صلى الله عليه وسلم قتله وحشيّ مولى جبير بن مطعم بن عدي ، وكان قد جاعله على ذلك بعتقه فرآه يبارز سبّاع بن عبد العزى فرماه بحربته من حيث لا يشعر فقتله .
ونادى الشيطان ألا أنّ محمداً قد قتل ، لأنّ عمرو بن قميئة كان قد قتل مصعب بن عمير يظن أنه النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وضربته أم عمّارة نسيبة بنت كعب بن أبي [1] مازن ضربات فتوفي [2] منها بدرعيه وخشي المسلمون لما أصابه ووهنو لصريخ الشيطان . ثم إنّ كعب بن مالك الشاعر من بنى سلمة عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فنادى بأعلى صوته يبشّر الناس ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له : أنصت ، فاجتمع عليه المسلمون ونهضوا معه نحو الشعب ، فيهم أبو بكر وعمر وعليّ والزبير والحرث بن الصمة [3] الأنصاري وغيرهم ، وأدركه أبي بن خلف في الشعب ، فتناول صلى الله عليه وسلم الحربة من الحرث بن الصمة وطعنه بها في عنقه فكرّ أبي منهزماً ، وقال له المشركون ما بك من بأس ، فقال : والله لو بصق عَلَيّ لقتلني وكان صلى الله عليه وسلم قد توعّده بالقتل فمات عدوّالله بسرف [4] مرجعهم الى مكة . ثم جاء عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالماء فغسل وجهه ونهض فاستوى على صخرة من الجبل وحانت الصلاة فصلى بهم قعوداً . وغفر الله للمنهزمين من المسلمين ونزل : إنّ الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان (الآية) وكان منهم عثمان بن عفان وعثمان بن أبي عقبة الأنصاري .

---

(١) وفي نسخة ثانية : من بني مازن .
(٢) وفي نسخة ثانية : توفي .
(٣) وفي النسخة الثانية : الصامت .
(٤) سرف القوم جاوزهم (القاموس) وسرف مكان بين مكة والمدينة . والمرجّح انه سقطت كلمة اثناء في الجملة .

واستشهد في ذلك اليوم حمزة كما ذكرناه وعبدالله بن جحش ومصعب بن عمير في خمسة وستين معظمهم من الأنصار ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدفنوا بدمائهم وثيابهم في مضاجعهم ولم يغسلوا ولم يصل عليهم . وقتل من المشركين إثنان وعشرون منهم الوليد بن العاص بن هشام وأبو أمية بن أبي حذيفة بن المغيرة وهشام بن أبي حذيفة بن المغيرة وأبو عزّة عمرو بن عبدالله بن جمح ، وكان أسر يوم بدر فمنّ عليه وأطلقه بلا فداء على أن لا يعين عليه فنقض العهد وأسر يوم أحد وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بضرب عنقه صبراً ، وأبي بن خلف قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ، وصعد أبو سفيان الجبل حتى أطلّ على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ونادى بأعلى صوته : الحرب : سجال يوم أحد بيوم بدر ، أعل هبل . وانصرف وهو يقول موعدكم العام القابل . فقال عليه السلام قولوا له هو بيننا وبينكم .

ثم سار المشركون إلى مكة ووقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمزة ، وكانت هند وصواحبها قد جدّ عنه وبقرن عن كبده فلاكتها ولم تسغها ، ويقال إنه لما رأى ذلك في حمزة قال لئن أظفرني الله بقريش لأمثلنّ بثلاثين منهم . ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة . ويقال إنه قال لعليّ لا يصيب المشركون منا مثلها حتى يفتح الله علينا .

غزوة حمراء الاسد : ولما كان يوم أحد سادس عشر شوّال ، وهو صبيحة يوم أحد ، أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج لطلب العدوّ وأن لا يخرج إلاّ من حضر معه بالأمس ، وفسح لجابر بن عبدالله ممن سواهم ، فخرج وخرجوا على ما بهم من الجهد والجراح وصار عليه السلام متجلداً مرهباً للعدّو ، وانتهى إلى حمراء الأسد على ثمانية أميال من المدينة وأقام بها ثلاثا ، ومرّ به هناك معبد بن أبي معبد الخزاعي سائراً الى مكة ، ولقي[1] أبا سفيان وكفّار قريش بالروحاء فأخبرهم بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلبهم وكانوا يرومون الرجوع إلى المدينة ففتّ ذلك في أعضادهم وعادوا إلى مكة .

بعث الرجيع : ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفر متمّ الثلاثة من الهجرة نفر من عضل والقارة بني الهون من خزيمة إخوة بني أسد ، فذكروا أنّ فيهم

---

(1) وفي النسخة الباريسية : ولحق .

اسلاماً ورغبوا أن يبعث فيهم من يفقههم في الدين ، فبعث معهم ستة رجال من أصحابه : مرثد بن أبي مرثد الغنوي[1] ، وخالد بن البكير الليثي ، وعاصم بن ثابت بن أبي الأفلح من بني عمرو بن عوف ، وخبيب بن عدي من بني جحجبا بن كلفة ، وزيد بن الدثنة بن بياضة بن عامر ، وعبدالله بن طارق حليف بني ظفر ، وأمر عليهم مرثداً منهم . ونهضوا مع القوم حتى اذا كانوا بالرجيع وهو ماء لهذيل قريباً من عسفان غدروا بهم ، واستصرخوا هذيلا عليهم فغشوهم في رحالهم ففزعوا إلى القتال فأمّنوهم وقالوا : إنا نريد نصيب بكم فداء من أهل مكة ، فامتنع مرثد وخالد وعاصم من أمنهم وقاتلوا حتى قتلوا ، ورموا رأس عاصم ليبيعوه من سلافة بنت سعد ابن شهيد وكانت نذرت أن تشرب فيه الخمر لما قتل ابنيها من بني عبد الدار يوم أحد ، فأرسل الله الدبر[2] فحمتْ عاصما منهم فتركوه إلى الليل فجاء السيل فاحتمله . وأمّا الآخرون فأسروهم وخرجوا بهم إلى مكة ولما كانوا بمرّ الظهر ان انتزع ابن طارق يده من القران وأخذ سيفة فرموه بالحجارة فمات ، وجاؤا بخبيب وزيد إلى مكه فباعوهما إلى قريش فقتلوهما صبراً .

غزوة بئر معونة : وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفر هذا ملاعب الأسنة أبو براء عمر بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة فدعاه إلى الاسلام ، فلم يسلم ولم يبعد ، وقال يا محمد لو بعثت رجالاً من أصحابك إلى أهل نجد يدعونهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك ، فقال إني أخاف[3] عليهم . فقال أبو براء أنا لهم جار . فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم : المنذر بن عمرو من بني ساعدة في أربعين من المسلمين ، وقيل في سبعين ، منهم الحرث بن الصمّة ، وحرام بن ملحان خال أنس ، وعامر[4] بن فهيرة ، ونافع بن بديل بن ورقاء . فنزلوا بئر معونة بين أرض بني عامر وحرّة بني سليم ، وبعثوا حرام بن ملحان بكتاب النبيّ صلى الله عليه وسلم إلى عامر بن الطفيل فقتله ، ولم ينظر في كتابه ، واستعدى عليهم بني عامر فأبوا لجوار أبي براء إياهم ، فاستعدى بني سليم فنهضت منهم عصية ورعل

(١) وفي نسخة ثانية : الغنمي .
(٢) الدبر بفتح الدال وسكون الموحدة : الزنابير اهـ .
(٣) وفي النسخة الباريسية : اخشى .
(٤) وفي النسخة الباريسية : عمرو .

وذكوان وقتلوهم عن آخرهم ، وكان سرحهم إلى جانب منهم ومعهم المنذر بن أحيحة[1] من بني الجلاّح وعمرو بن أمية الضمري فنظرا إلى الطير تحوم على العسكر ، فأسرعا إلى أصحابهما فوجداهم في مضاجعهم ، فأمّا المنذر بن أحيحة فقاتل حتى قتل ، وأما عمرو بن أمية فجز عامر بن الطفيل ناصيته حين علم أنه من مضر لرقبة كانت عن أمه ، وذلك لعشر بقين من صفر وكانت مع الرجيع في شهر واحد . ولما رجع عمرو بن أمية لقي في طريقه رجلين من بني كلاب أو بني سليم فنزلا معه في ظل كان فيه معهما عهد من النبيّ صلى الله عليه وسلم لم يعلم به عمرو فانتسبا له في بني عامر أو سليم فعدا عليهما لما ناما وقتلهما ، وقدم على النبيّ صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك فقال لقد قتلت قتيلين لأذينهما .

غزوة بني النضير : ونهض رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني النضير مستعيناً بهم في دية هذين القتيلين فأجابوا ، وقعد عليه السلام مع أبي بكر وعمر وعليّ ونفر من أصحابه إلى جدار من جدرانهم ، وأراد بنو النضير رجلاً منهم على الصعود إلى ظهر البيت ليلقي على النبيّ صلى الله عليه وسلم صخرة ، فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب منهم . وأوحى الله بذلك إلى نبيّه فقام ، ولم يشعر أحداً ممن معه واستبطأوه ، واتبعوه إلى المدينة . فأخبرهم عن وحي الله بما أراد به يهود وأمر من أصحابه بالتهيؤ لحربهم . واستعمل على المدينة ابن أمّ مكتوم ، ونهض في شهر ربيع الأوّل أوّل السنة الرابعة من الهجرة ، فتحصنوا منه بالحصون فحاصرهم ست ليال وأمر بقطع النخل وإحراقها ، ودس إليهم عبدالله بن أبي والمنافقون إنا معكم قتلتم أو أخرجتم ، فغرّوهم[2] بذلك ثم خذلوهم كرهاً وأسلموهم . وسأل عبدالله من النبيّ صلى الله عليه وسلم أن يكف عن دمائهم ويجليهم بما حملت الإبل من أموالهم إلاّ السلاح ، واحتمل إلى خيبر من أكابرهم حييٌّ بن أخطب وابن أبي الحقيق فدانت لهم خيبر ، ومنهم من سار إلى الشام ، وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم أموالهم بين المهاجرين الأوّلين خاصة ، وأعطى منها أبا دجانة وسهل بن حنيف كانا فقيرين . وأسلم من بني النضير يامين بن عمير بن جحاش ، وسعيد بن وهب فأحرزا أموالهما بإسلامهما . وفي هذه الغزاة نزلت سورة الحشر .

---

(١) وفي النسخة الباريسية : المنذر بن محمد بن الجلاح .
(٢) وفي نسخة ثانية : فقرّوهم .

غزوة ذات الرقاع : وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد بني النضير إلى جمادى من السنة الرابعة ، ثم غزا نجداً يريد بني محارب وبني ثعلبة من غطفان ، واستعمل على المدينة أبا ذرّ الغفاريّ ، وقيل عثمان بن عفان ، ونهض حتى نزل نجداً فلقي بها جمعاً من غطفان فتقارب الناس ولم يكن بينهم حرب ، إلا أنهم خاف بعضهم بعضاً حتى صلّى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسلمين صلاة الخوف ، وسميت ذات الرقاع لأنّ أقدامهم نقبت وكانوا يلقون عليها الخرق . وقال الواقدي : لأنّ الجبل الذي نزلوا به كان به سواد وبياض وحمرة رقاعاً فسميت بذلك وزعم أنها كانت في المحرم .

غزوة بدر الصغرى الموعد : كان أبو سفيان نادى يوم أحد كما قدّمناه بموعد بدر من قابل وأجابوه بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلمّا كان في شعبان من هذه السنة الرابعة خرج لميعاده واستعمل على المدينة عبدالله بن عبدالله بن أبي بن سلول ، ونزل في بدر وأقام هناك ثمان ليال وخرج أبو سفيان في أهل مكّة حتى نزل الظهران أو عسفان ، ثم بدا له في الرجوع واعتذر بانّ العام عام جدب .

غزوة دومة الجندل : خرج إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم في ربيع الأوّل من السنة الخامسة وخلف على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري . وسببها أنه عليه السلام بلغه انّ جمعاً تجمعوا بها فغزاهم ، ثم انصرفوا من طريقه قبل أن يبلغ دومة الجندل ولم يلق حرباً . وفيها وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم عيينة(١) بن حصن أن يرعى بأراضي المدينة لأنّ بلاده كانت أجدبت ، وكانت هذه قد أخصبت بسحابة وقعت فأذن له في رعيها .

غزوة الخندق

كانت في شوّال من السنة الخامسة ، والصحيح أنها في الرابعة ، ويقويه أنّ ابن عمر يقول ردّني رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد وأنا ابن أربع عشرة سنة ثم أجازني يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة سنة فليس بينهما إلاّ سنة واحدة وهو الصحيح ، فهي قبل دومة الجندل بلا شك . وكان سببها أنّ نفراً من اليهود منهم : سلام بن أبي الحقيق وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق وسلام بن مشكم وحيي بن أخطب من بني

(١) وفي النسخة البارسية : عتبة .

النضير وهود[1] ابن قيس وأبو عمارة[2] من بني وائل ، لما انجلى بنو النضير إلى خيبر خرجوا إلى مكة يحزّبون الأحزاب ويحرّضون على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرغبون من اشرأب إلى ذلك بالمال . فأجابهم أهل مكّة إلى ذلك ، ثم مضوا إلى غطفان وخرج بهم عيينة بن حصن على أشجع ، وخرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب في عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تبعهم من كنانة وغيرهم . ولما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بحفر الخندق على المدينة وعمل فيه بيده والمسلمون معه ، ويقال إنّ سلمان أشار به . ثم أقبلت الأحزاب حتى نزلوا بظاهر المدينة بجانب أحد ، وخرج عليه السلام في ثلاثة آلاف من المسلمين ، وقيل في تسعمائة فقط وهو راجل بلا شك[3] . وخلف على المدينة ابن أم مكتوم فنزل بسطح سلع والخندق بينه وبين القوم وأمر بالنساء والذراري فجعلوا في الأطام ، وكان بنو قريظة مواد عين لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاهم حييّ وأغراهم فنقضوا العهد ومالوا مع الأحزاب ، وبلغ أمرهم إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فبعث سعد بن معاذ وسعد ابن عبادة وخوّات[4] بن جبير وعبدالله بن رواحة يستخبرون الأمر ، فوجدوهم مكاشفين بالغدر والنيل من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فشاتمهم سعد بن معاذ وكانوا أحلافه وانصرفوا . وكان صلى الله عليه وسلم قد أمرهم إنْ وجدوا الغدر حقاً أن يخبروه تعريضا لئلا يفتوا في أعضاد الناس ، فلما جاؤا إليه قالوا يا رسول الله عضل والقارة يريدون غدرهم بأصحاب الرجيع ، فعظم الأمر وأحيط بالمسلمين من كل جهة ، وهمّ بالفشل بنو حارثة وبنو سلمة معتذرين بأنّ بيوتهم عورة خارج المدينة ثم ثبّتهم الله .

ودام الحصار على المسلمين قريباً من شهر ولم تكن حرب . ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عيينة بن حصن والحرث بن عوف أن يرجعا ولهما ثلثا ثمار[5] المدينة ، وشاور في ذلك سعد بن معاذ وسعد بن عبادة فأبيا ، وقالا : يا رسول الله أشيء أمرك الله به فلا بدّ منه أم شيء تحبه فتصدقه فتصنعه لك أم شيء تصنعه لنا ؟ فقال : بل

(١) وفي نسخة ثانية : وهو ابن قيس .
(٢) وفي النسخة الباريسية : عمّار .
(٣) وفي النسخة الباريسية : وهو الأصح .
(٤) وفي نسخة ثانية : خوان .
(٥) وفي النسخة الباريسية : ثلث ثمر المدينة .

أصنعه لكم إني رأيت أنّ العرب رمتكم عن قوس واحدة ، فقال سعد بن معاذ : قد كنا معهم على الشرك والأوثان ولا يطعمون منا بثمرة إلاّ شراءً[1] وبيعاً فحين أكرمنا الله بالإسلام وأعزنا بك نعطيهم أموالنا والله لا نعطيهم إلاّ السيف . فصلب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وتمادى الأمر ، وظهر فوارس من قريش إلى الخندق وفيهم : عكرمة بن أبي جهل ، وعمرو بن عبدودّ من بني عامر بن لؤي ، وضرار بن الخطّاب من بني محارب فلما رأوا الخندق قالوا هذه مكيدة ما كانت العرب تعرفها . ثم اقتحموا من مكان ضيق حتى جالت خيلهم بين الخندق وسلع ، ودعوا إلى البراز ، وقتل علي بن أبي طالب عمرو بن عبدودّ ، ورجعوا إلى قومهم من حيث دخلوا .

ورمي في بعض تلك الأيام سعد بن معاذ بسهم فقطع عنه الأكحل ، يقال رماه حُبان بن قيس بن العرقة وقيل أبو أسامة الجشمي حليف بني مخزوم ، ويروى أنه لما أصيب جعل يدعو : « اللهمّ إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئا فأبقى لها فلا قوم أحب إليّ أن أجاهدهم من قوم آذوا رسولك وأخرجوه ، وان كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعلها لي شهادة ، ولا تمتني حتى تقرّ عيني من بني قريظة » .

ثم اشتدّ الحال وأتى نعيم بن مسعود بن عامر بن أنيف بن ثعلبة بن قنفذ بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن ريث بن غطفان فقال : يا رسول الله اني أسلمت ولم يعلم قومي فمرني بما تشاء ، فقال إنما أنت رجل واحد فخذل عنا إن استطعت فإنّ الحرب خدعة . فخرج فأتى بني قريظة وكان صديقهم في الجاهلية ، فنقم لهم في قريش وغطفان وأنهم إن لم يكن الظفر لحقوا ببلادهم وتركوكم ، ولا تقدرون على التحوّل عن بلدكم ولا طاقة لكم بمحمد وأصحابه ، فاستوثقوا منهم برهن أبنائهم حتى يصابروا معكم . ثم أتى أبا سفيان وقريشاً فقال لهم : إنّ اليهود قد ندموا وراسلوا محمداً في المواعدة على أن يسترهنوا أبناءكم ويدفعوهم إليه . ثم أتى غطفان وقال لهم مثل ما قال لقريش . فأرسل أبو سفيان وغطفان إلى بني قريظة في ليلة سبت إنا لسنا بدار مقام فأعدوا للقتال ، فاعتذر اليهود بالسبت ، وقالوا : مع ذلك لا نقاتل حتى تعطونا أبناءكم . فصدّق القوم خبر نعيم ، وردوا إليهم بالاباية من الرهن والحث على الخروج ، فصدّق أيضا بنو قريظة خبر نعيم وأبوا القتال . وأرسل الله على قريش وغطفان ريحاً عظيمة أكفأت قدورهم وآنيتهم وقلعت أبنيتهم وخيامهم ، وبعث عليه

(١) وفي النسخة الباريسية : الاخرى وبيعاً .

السلام حذيفة بن اليمان عيناً فأتاه بخبر رحيلهم وأصبح وقد ذهب الأحزاب ورجع إلى المدينة .

(غزوة بني قريظة) ولما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أتاه جبريل بالنهوض إلى بني قريظة وذلك بعد صلاة الظهر من ذلك اليوم ، فأمر المسلمين أن لا يصلي أحد العصر إلا في بني قريظة ، وخرج وأعطى الراية عليّ بن أبي طالب ، واستخلف ابن أمّ مكتوم ، وحاصرهم صلى الله عليه وسلم خمساً وعشرين ليلة ، وعرض عليهم سيدهم كعب بن أسد إحدى ثلاث إمّا : الإسلام ، وإمّا تبييت النبيّ صلى الله عليه وسلم ليلة السبت ليكون الناس آمنين منهم ، وإمّا قتل الذراري والنساء ثم الاستماتة . فأبوا كل ذلك وأرسلوا إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم أن يبعث إليهم أبا لبابة بن عبد المنذر بن عمرو بن عوف لأنهم كانوا حلفاء الأوس ، فأرسله واجتمع إليه الرجال والنساء والصبيان فقالوا : يا أبا لبابة ترى لنا أن ننزل على حكم محمد ، قال نعم ، وأشار بيده في حلقه أنه الذبح . ثم رجع فندم وعلم أنه أذنب فانطلق على وجهه ، ولم يرجع إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وربط نفسه إلى عمود في المسجد ينتظر توبة الله عليه وعاهد الله أن لا يدخل أرض بني قريظة مكاناً خان فيه ربه ونبيّه ، وبلغ ذلك النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فقال لو أتاني لاستغفرت له فأمّا بعد ما فعل فما أنا بالذي أطلقه حتى يتوب الله عليه فنزلت توبته ، فتولّى عليه السلام إطلاقه بيده بعد أن أقام مرتبطا بالجذع ست ليالٍ لا يحل إلا للصلاة .

ثم نزل بنو قريظة على حكم النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم بعضهم ليلة نزولهم وهم نفر أربعة من هذيل إخوة قريظة والنضير ، وفرّ عنهم عمرو بن سعد القرظي ولم يكن دخل معهم في نقض العهد فلم يعلم أين وقع . ولما نزل بنو قريظة على حكمه صلى الله عليه وسلم طلب الأوس أن يفعل فيهم ما فعل بالخزرج في بني النضير ، فقال لهم : ألا ترضون أن يحكم فيهم رجل منكم ؟ قالوا : بلى . قال : فذلك إلى سعد بن معاذ وكان جريحاً منذ يوم الخندق وقد أنزله رسول الله صلى الله عليه وسلم في خيمة في المسجد ليعوده من قريب ، فأتى به على حمار فلما أقبل على المجلس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم : قوموا إلى سيدكم . ثم قالوا : يا سعد إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولاّك حكم مواليك ، فقال سعد : عليكم بذلك عهدالله وميثاقه ، قالوا : نعم . قال : فإني أحكم فيهم أن تقتل الرجال وتسبى الذرارى والنساء وتقسم

الأموال . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة . ثم أنه أمر فأخرجوا إلى سوق المدينة وخندق لهم بها خنادق وضربت أعناقهم فيها وهم بين الستمائة والسبعمائة رجل ، وقتلت فيهم امرأة واحدة بنانة امرأة الحكم القرظي وكانت طرحت على خلاد[1] بن سويد بن الصامت رحى من فوق الحائط فقتلته . وأمر عليه السلام بقتل من أنبت[2] منهم . ووهب لثابت بن قيس بن الشماس ولد الزبير بن ياطا فاستحيا منهم عبد الرحمن بن الزبير كانت له صحبة ، وبعد أن كان ثابت استوهب من النبيّ صلى الله عليه وسلم الزبير وأهله وماله فوهبه ذلك فمر الزبير عليه يده وأبى إلاّ الشدّ مع قومه اغتباطاً بهم قبحه الله . ووهب عليه السلام لأم المنذر بنت قيس من بني النجّار رفاعة بن سَمَوْأَل القرظي فأسلم رفاعة وله صحبة .

وقسم صلى الله عليه وسلم أموال بني قريظة فأسهم للفارس ثلاثة أسهم وللراجل سهما ، وكانت خيل المسلمين يومئذ ستة وثلاثين فارساً ، ووقع في سهم النبيّ صلى الله عليه وسلم من سبيهم ريحانة بنت عمرو بن خنافة من بني عمرو بن قريظة فلم تزل في ملكه حتى مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان فتح بني قريظة آخر ذي القعدة من السنة الرابعة . ولما تم أمرهم أجيبت دعوة سعد بن معاذ فانفجر عرقه ومات فكان ممن استشهد يوم الخندق في سبعة آخرين من الأنصار ، وأصيب من المشركين يوم الخندق أربعة من قريش فيهم : عمرو بن عبدودّ وابنه حَسْل ونوفل بن عبدالله بن المغيرة[3] ، ولم تغز كفّار قريش المسلمين مذ يوم الخندق . ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في جمادى الأولى من السنة الخامسة لستة أشهر من فتح بني قريظة فقصد بني لحيان يطالب بثأر عاصم بن ثابت وخبيب بن عديّ وأهل الرجيع ، وذلك إثر رجوعه من دومة الجندل ، فسلك على طريق الشام أوّلاً ثم أخذ ذات اليسار إلى صخيرات اليمام ، ثم رجع إلى طريق مكة وأجدّ السير حتى نزل منازل لبني بين أمج وعسفان فوجدهم قد حذروا وامتنعوا بالجبال ، وفاتهم الغِرّة فيهم فخرج في مائتي راكب إلى المدينة .

---

(١) وفي نسخة ثانية : خلال .
(٢) وفي نسخة ثانية : اثبت .
(٣) وفي نسخة ثانية : المريرة .

غزوة الغابة وذي قرد وبعد قفوله والمسلمين إلى المدينة بليال أغار عيينة بن حصن الفزاري في بني عبدالله من غطفان فاستلحموا[1] القاح النبيّ صلى الله عليه وسلم بالغابة ، وكان فيها رجل من بني غفار وامرأته فقتلوا الرجل وحملوا المرأة ، ونذر بهم سلمة بن عمرو بن الأكوع الأسلمي وكان ناهضاً ، فعلاً ثنية الوداع وصاح بأعلى صوته نذيراً بهم ، ثم اتبعهم واستنقذ ما كان بأيديهم ، ولما وقعت الصيحة بالمدينة ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم في أثرهم ، ولحق به المقداد بن الأسود وعباد[2] بن بشر وسعد بن زيد من بني عبد الأشهل . وعكاشة بن محصن ومحرز بن نضلة الأسديّ وأبو قتادة من بني سلمة في جماعة من المهاجرين والأنصار ، وأمّر عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن زيد وانطلقوا في اتباعهم حتى أدركوهم ، فكانت بينهم جولة قتل فيها محرز بن نضلة قتله عبد الرحمن بن عيينة وكان أوّل من لحق بهم . ثم ولّى المشركون منهزمين وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ماء يقال له ذو قرد ، فأقام عليه ليلة ويومها[3] ونحر ناقة من لقاحه المسترجعة ثم قفل إلى المدينة .

غزاة بني المصطلق : وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شعبان من هذه السنة السادسة ، ثم غزا بني المصطلق من خزاعة لما بلغه أنهم مجتمعون له وقائدهم الحرث بن أبي ضرار أبو جويرية[4] أمّ المؤمنين ، فخرج إليهم واستخلف أبا ذرّ الغفاريّ ، وقيل نميلة بن عبدالله الليثي ولقيهم بالمريسيع[5] من مياههم ما بين قديد والساحل فتزاحفوا وهزمهم الله وقتل من قتل منهم وسبي النساء والذرية وكانت منهم جويرية بنت الحرث سيدهم ، ووقعت في سهم ثابت بن قيس ، فكاتبها ، وأدّى عليه السلام عنها وأعتقها وتزوّجها . وأصيب في هذه الغزاة هشام بن صبابة الليثي من بني ليث بن بكر قتله رجل من رهط عبادة بن الصامت غلطاً يظنه من العدوّ ، وفي مرجع النبيّ صلى الله عليه وسلم من هذه الغزاة ، وفيها قال عبدالله بن أبي بن سلول لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعز منها الأذل لمشاجرة وقعت بين جهجاه بن

---

(١) وفي النسخة الباريسية : فاكتسحوا .
(٢) وفي النسخة الباريسية : عباس
(٣) وفي نسخة ثانية : ويومين .
(٤) وفي النسخة الباريسية : جويرة .
(٥) وفي نسخة ثانية : بالمريسع .

مسعود الغفاريّ أجير عمر بن الخطاب وبين سنان ابن واقد[1] الجهني حليف بني عوف بن الخزرج ، فتثاوروا[2] وتباهوا ، فقال ما قال ، وسمع زيد بن أرقم مقالته ، وبلغها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . ونزلت سورة المنافقين وتبرأ منه ابنه عبدالله ، وقال : يا رسول الله أنت والله الأعز وهو الأذل وإن شئت والله أخرجته . ثم اعترض أباه عند المدينة ، وقال : والله لا تدخل حتى يأذن لك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأذن له ، وحينئذ دخل ، وقال يا رسول الله بلغني أنك تريد قتل أبي وإني أخشى أن تأمر غيري فلا تدعني نفسي أن أقاتله ، وإن قتلته قتلت مؤمنا بكافر ، ولكن مرني بذلك فأنا والله أحمل إليك رأسه . فجزاه رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا وأخبره أنه لا يصل إلى أبيه سوء .

وفيها قال أهل الافك ما قالوا في شأن عائشة مما لا حاجة بنا إلى ذكره وهو معروف في كتب السير ، وقد أنزل الله القرآن الحكيم ببراءتها وتشريفها . وقد وقع في الصحيح أنّ مراجعته وقعت في ذلك بين سعد بن عبادة وسعد بن معاذ وهو وهم ينبغي التنبيه عليه ، لأن سعد بن معاذ مات بعد فتح بني قريظة بلا شك داخل السنة الرابعة وغزوة بني المصطلق في شعبان من السنة السادسة بعد عشرين شهرا من موت سعد ، والملاحاة بين الرجلين كانت بعد غزوة بني المصطلق بأزيد من خمسين ليلة . والذي ذكر ابن إسحق عن الزهري عن عبيدالله بن عبدالله وغيره أنّ المقاول لسعد بن عبادة إنما هو أسيد بن الحضير[3] والله أعلم .

ولما علم المسلمون أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم تزوّج جويرية ، أعتقوا كل ما كان في أيديهم من بني المصطلق أصهار[4] رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأطلق بسببها مائة من أهل بيتها ، ثم أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى بني المصطلق بعد إسلامهم بعاملين الوليد بن عقبة بن أبي معيط لقبض صدقاتهم ، فخرجوا يتلقونه ، فخافهم على نفسه ورجع ، وأخبر أنهم هموا بقتله . فتشاور المسلمون في غدرهم ثم جاء وفدهم منكرين ما كان من رجوع الوليد قبل لقيهم ، وأنهم إنما خرجوا تلقية

(١) وفي النسخة الباريسية : بن وفد .
(٢) وفي النسخة الباريسية : فتشاوروا .
(٣) وفي نسخة ثانية : ابن الحضي .
(٤) وفي النسخة الباريسية : لصهر رسول الله (صلعم) .

وكرامة وروده . فقبل النبيّ صلى الله عليه وسلم ذلك منهم ونزل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا إن - ءكم فاسق الآية .

عمرة الحديبية

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في السادسة وفي ذي القعدة منها معتمراً بعد بني المصطلق بشهرين ، واستنفر الأعراب حوالي المدينة فأبطأ أكثرهم فخرج بمن معه من المهاجرين والأنصار ، واتبعه من العرب فيما بين الثلثمائة بعد الألف إلى الخمسمائة ، وساق الهدي وأحرم من المدينة ليعلم الناس أنه لا يريد حربا . وبلغ ذلك قريشاً فأجمعوا على صدّه عن البيت وقتاله دونها ، وقدّموا خالد بن الوليد في خيل إلى كراع الغميم ، وورد خبرهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم بعسفان ، فسلك على ثنية المرار حتى نزل الحديبية من أسفل مكة وجاء من ورائهم ، فكرّ خالد في خيله إلى مكّة . فلما جاء صلى الله عليه وسلم إلى مكة بركت ناقته ، فقال الناس خلأت ، فقال : ما خلأت وماذاك لها بخلق[(١)] ولكن حبسها حابس الفيل ، ثم قال : والذي نفسي بيده لا تدعوني قريش اليوم إلى خطة يسألوني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها . ثم نزل واشتكى الناس فقد الماء فأعطاهم سهماً من كنانته غرزوه في بعض القلب[(٢)] من الوادي ، فجاش الماء حتى كفى جميع الجيش ، يقال نزل به البراء بن عازب . ثم جرت السفراء بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين كفّار قريش ، وبعث عثمان بن عفّان بينهما رسولا ، وشاع الخبر أنّ المشركين قتلوه ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين وجلس تحت شجرة فبايعوه على الموت وأن لا يفرّوا ، وهي بيعة الرضوان ، وضرب عليه السلام بيسراه على يمينه وقال هذه عن عثمان . ثم كان سهيل ابن عمرو آخر من جاء من قريش فقاضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن ينصرف عامه ذلك ويأتي من قابل معتمراً ويدخل مكّة وأصحابه بلا سلاح حاشا السيوف في القرب ، فيقيم بها ثلاثاً ولا يزيد ، وعلى أن يتّصل الصلح عشرة أعوام يتداخل فيه الناس ويأمن بعضهم بعضا ، وعلى أنّ من هاجر من الكفّار إلى المسلمين من رجل أوّ امرأة أنّ يرد إلى قومه ومن ارتدّ من المسلمين إليهم لم يردوه .

---

(١) وفي نسخة ثانية : وما هو لها بخلق .

(٢) وفي نسخة ثانية : بعض القلوب .

فعظم ذلك على المسلمين حتى تكلم فيه بعضهم ، وقد كان النبيّ صلى الله عليه وسلم علم أنّ هذا الصلح سبب لأمن الناس وظهور الإسلام ، وأنّ الله يجعل فيه فرجاً للمسلمين وهو أعلم بما علمه ربه . وكتب الصحيفة عليّ ، وكتب في صدرها هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأبي سهيل عن ذلك وقال لو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليًّا أنّ يمحوها ، فأبى وتناول هو الصحيفة بيده ومحا ذلك وكتب محمد بن عبدالله . ولا يقع في ذهنك من أمر هذه الكتابة ريب فإنها قد ثبتت في الصحيح ، وما يعترض في الوهم من أنّ كتابته قادحة في المعجزة فهو باطل ، لأنّ هذه الكتابة إذا وقعت من غير معرفة بأوضاع الحروف ولا قوانين الخطّ وأشكالها بقيت الأمية على ما كانت عليه ، وكانت هذه الكتابة الخاصة من إحدى المعجزات انتهى .

ثم أتى أبو جندل بن سهيل يرسف في قيوده وكان قد أسلم ، فقال سهيل : هذا أوّل ما نقاضي عليه . فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبيه وعظم ذلك على المسلمين ، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أبا جندل أنّ الله سيجعل له فرجا ، وبينما هم يكتبون الكتاب إذ جاءت سرية من جهة قريش قيل ما بين الثلاثين والأربعين يريدون الإيقاع بالمسلمين ، فأخذتهم خيول المسلمين وجاؤا بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعتقهم فإليهم ينسب العتقيون[1] .

ولما تم الصلح وكتابه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينحروا ويحلقوا فتوقفوا ، فغضب حتى شكى إلى زوجته أم سلمة فقالت : يا رسول الله أخرج وانحر واحلق فإنهم تابعوك[2] ، فخرج ونحر وحلق رأسه حينئذ خراش بن أمية الخزاعي ، ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، وما فتح من قبله فتح كان أعظم من هذا الفتح . قال الزهري : لما كان القتال حيث لا يلتقي الناس[3] . فلمّا كانت الهدنة ووضعت الحرب أوزارها وأمن الناس بعضهم بعضاً فالتقوا وتفاوضوا في الحديث والمنازعة فلم يكلم أحد بالإسلام أحداً يفعل شيئاً إلاّ دخل عليه[4] ، فلقد دخل في ذينك السنتين في الإسلام مثلما قبل ذلك أو أكثر .

---

(١) وفي نسخة ثانية : العتيقيون .
(٢) وفي نسخة ثانية : متابعوك .
(٣) وفي النسخة الباريسية : إنما كان القتال حيث يبتغي الناس .
(٤) وفي نسخة ثانية : دخل فيه .

ولما رجع صلى الله عليه وسلم إلى المدينة لحقه أبو بصير[1] عتبة بن أسيد بن جارية[2] هارباً وكان قد أسلم وحبسه قومه بمكة وهو ثقفي من حلفاء بني زهرة ، فبعث إليه الأزهر بن عبد عوف عمّ عبد الرحمن بن عوف والأخنس بن شريق سيد بني زهرة رجلاً من بني عامر بن لؤي مع مولى لهم ، فأسلمه النبيّ صلى الله عليه وسلم فاحتملاه . فلما نزلوا بذي الحليفة أخذ أبو بصير السيف من أحد الرجلين ، ثم ضرب به العامري فقتله وفرّ الآخر ، وأتى أبو بصير إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله قد وفت ذمتك وأطلقني الله فقال عليه السلام : ويلمه[3] مسعر حرب لو كان له رجال . ففطن أبو بصير من لحن هذا القول أنه سيرده ، وخرج إلى سيف البحر على طريق قريش إلى الشام ، وانضاف إليه جمهور من يفرّ عن قريش ممن أراد الإسلام فآذوا قريشاً وقطعوا على رفاقهم وسابلتهم ، فكتبوا إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم أن يضمهم بالمدينة .

ثم هاجرت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ، وجاء فيها أخواها عمارة والوليد ، فمنع الله من ردّ النساء وفسخ ذلك الشرط المكتتب ، ثم نسخت براءة ذلك كلّه وحرم الله حينئذ على المسلمين إمساك الكوافر في عصمتهم فانفسخ نكاحهن .

ارسال الرسل الى الملوك

ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بين الحديبية ووفاته رجالاً من أصحابه إلى ملوك العرب والعجم دعاة إلى الله عزّ وجل ، فبعث سليط بن عمرو بن عبد شمس بن عبدودّ آخا بني عامر بن لؤي إلى هوذة[4] بن عليّ صاحب اليمامة ، وبعث العلاء بن الحضرمي إلى المنذر ابن ساوى أخي بني عبد القيس صاحب البحرين ، وعمرو بن العاص إلى جيفر بن جلندي[5] بن عامر بن جلندي صاحب عمان ، وبعث حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس صاحب الاسكندرية فأدّى إليه كتاب رسول الله

---

(١) وفي النسخة الباريسية : أبو نصر .

(٢) وفي نسخة ثانية : ابن حارثة .

(٣) اصله : ويل أمه اهـ .

(٤) وفي النسخة الباريسية : هدوة .

(٥) وفي النسخة الباريسية : الى جبير بن خليد .

صلى الله عليه وسلم وأهدى المقوقس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع جوارٍ منهن مارية أم إبراهيم ابنه .

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم دِحيَة بن خليفة الكلبيّ إلى قيصر وهو هرقل ملك الروم ، فوصل إلى بُصْرى وبعثه صاحب بُصرى إلى هرقل ، وكان يرى في ملاحمهم أنّ ملك الختان قد ظهر ، فقرأ الكتاب وإذا فيه : بِسْم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم[1] الروم السلام على من اتبع الهدى . أمّا بعد أسلِمْ تَسْلَمْ يُؤتِكَ الله أَجْرَكَ مرتين فإن توليتَ فإنما عليك إثم الأريسيّين . وفي رواية «إثم الأكّارين عليك تعيا بحمله» . فطلب من في مملكته من قوم النبي صلى الله عليه وسلم فأحضروا له من غزّة ، وكان فيهم أبو سفيان فسأله كما وقع في الصحيح ، فأجابه وسلم[2] أحواله وتفرّس صحة أمره ، وعرض على الروم أتباعه فأبوا ونفروا فلاطفهم بالقول وأقصر . ويروى عن ابن اسحق أنه عرض عليهم الجزية ، فأبوا فعرض عليهم أن يصالحوا بأرض سورية . قالوا وهي أرض فلسطين والأردن ودمشق وحمص وما دون الدرب وما كان وراء الدرب فهو الشام فأبوا .

قال ابن اسحق : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم شجاع بن وهب الأسدي أخا بني أسد بن خزيمة إلى الحرث بن شمر الغساني صاحب دمشق ، وكتب معه : « السلام على من اتبع الهدى وآمن به أدعوك إلى أنْ تؤمن بالله وحده لا شريك له يبقى لك ملكك » . فلما قرأ الكتاب قال : من ينزع ملكي أنا سائر إليه . فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : باد ملكه .

قال : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي في شأن جعفر بن أبي طالب وأصحابه ، وكتب معه كتاباً : « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى النجاشيّ الأصحم عظيم الحبشة ، سلام عليك فاني أحمد إليك الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن وأشهد أنّ عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم الطيبة البتول الحصينة فحملت بعيسى فخلقه من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده ونفخه وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته تتبعني وتؤمن بالذي جاءني فاني رسول الله وقد بعثت إليك ابن عمي جعفراً ومعه نفر

---

(١) وفي النسخة الباريسية : ملك الروم .

(٢) وفي نسخة أخرى : وعلم .

من المسلمين فإذا جاؤك فاقرهم ودع التجري وإني أدعوك وجنودك إلى الله فلقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصحي والسلام على من اتبع الهدي» . فكتب إليه النجاشيّ «إلى محمد رسول الله من النجاشيّ الأصحم ابن الحرّ[1] سلام عليك يا رسول الله من الله ورحمة الله وبركاته أحمد الله الذي لا إله إلاّ هو الذي هدانا للإسلام أمّا بعد فقد بلغني كتابك يا رسول الله فما ذكرت، من أمر عيسى فورب السماء والأرض ما نزيد بالرأي على ما ذكرت أنه كما قلت وقد عرفنا ما بعثت به إلينا ، وقد قرّبنا إبن عمك وأصحابه فأشهد أنك رسول الله صادقاً مصدقاً فقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمت لله رب العالمين وقد بعثت إليك بابني أرخا[2] الأصحم فإني لا أملك إلاّ نفسي إنْ شئت أنْ آتيك فعلت يا رسول الله ، فإني أشهد أنّ الذي تقول حق والسلام عليك يا رسول الله» . فذكر أنه بعث إبنه في ستين من الحبشة في سفينة فغرقت بهم . (وقد جاء) أنه أرسل إلى النجاشي[3] ليزوّجه أم حبيبة ، وبعث إليها بالخطبة جاريته فأعطتها أوضاحاً وفتخا ووكلت خالد بن سعيد بن العاص فزوّجها ، ودفع النجاشي إلى خالد بن سعيد أربعمائة دينار لصداقها ، وجاءت إليها بها الجارية فأعطتها منها خمسين مثقالاً ، فردت الجارية ذلك بأمر النجاشي . وكانت الجارية صاحبة دهنه وثيابه وبعث إليها نساء النجاشي بما عندهن من عود وعنبر وأركبها في سفينتين مع بقية المهاجرين ، فلقوا النبيّ صلى الله عليه وسلم بخيبر، وبلغ أبا سفيان تزويج أم حبيبة منه فقال : ذلك الفحل الذي لا يقدع أنفه .

وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه السنة إلى كسرى ، وبعث بالكتاب عبدالله بن حذافة السهميّ وفيه : «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسله أمّا بعد فإني رسول الله إلى الناس كافة لينذر من كان حيًّا أسلم تسلم فإن أبيت فعليك إثم المجوس .» فمزّق كسرى كتاب النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مزّق الله ملكه . وفي رواية ابن اسحق بعد قوله «وآمن بالله ورسله وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأنّ محمداً عبده ورسوله وأدعوك بدعاية الله فإني أنا رسول الله إلى

(١) وفي النسخة الباريسية : ابن الجر.
(٢) وفي النسخة الباريسية : أرعاز.
(٣) وفي النسخة الباريسية : وعن الواقدي انه ارسل الى النجاشي .

الناس كافة لأنذر من كان حيًّا ويحق القول على الكافرين فإن أبيت فإثم الأريسيين عليك : » قال فلما قرأه مزّقه ، وقال يكتب إليّ هذا وهو عبدي ! قال : ثم كتب كسرى إلى باذان وهو عامله على اليمن أن ابعث إلى هذا الرجل الذي بالحجاز رجلين من عندك جلدين فليأتياني ، به فبعث باذان قهرمانه بانويه وكان حاسباً كاتباً بكتاب فارس ومعه خرخسرة من الفرس ، وكتب إليه معهما أن ينصرف إلى كسرى ، وقال لقهرمانه : اختبر الرجل وعرّفني بأمره . وأوّل ما قدما الطائف سألا عنه فقيل هو بالمدينة . وفرح من سمع بذلك من قريش وكانوا بالطائف ، وقالوا قطب له كسرى وقد كفيتموه . وقدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فكلمه بانويه[1] وقال : إنّ شاهنشاه قد كتب إلى الملك باذان أنّ يبعث إليك من يأتيه بك وبعثني لتنطلق معي ويكتب معه فينفعك وإن أبيت فهو من علمت ويهلك قومك ويخرب بلادك . وكانا قد حلقا لحاهما وأعفيا شواربهما فنهاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، فقالا : أمرنا به ربّنا يعنون به كسرى . فقال لهما : لكن ربي أمرني باعفاء لحيتي وقص شاربي لم أؤخرهما إلى غد . وجاءه الوحي بأنّ الله سلّط على كسرى إبنه شيرويه فقتله[2] ليلة كذا من شهر كذا لعشرٍ مضين من جمادى الأولى سنة سبع ، فدعاهما وأخبرهما فقالا : هل تدري ما تقول ؟ يحزنانه عاقبة هذا القول ، فقال إذهبا وأخبراه بذلك عني وقولا له إنّ ديني وسلطاني يبلغ ما بلغ ملك كسرى وإن أسلمت أعطيتك ما تحت يدك وملكتك على قومك من الأبناء ، وأعطى خرخسرة منطقة فيها ذهب وفضة كان بعض الملوك أهداها له . فقدما على باذان وأخبراه فقال ما هذا كلام ملك ما أرى الرجل إلاّ نبياً كما يقول ونحن ننتظر مقالته . فلم ينشب[3] باذان أن قدم عليه كتاب شيرويه : « أما بعد فإني قد قتلت كسرى ولم أقتله إلاّ غضباً لفارس لما كان استحل من قتل أشرافهم وتسخيرهم في ثغورهم فإذا جاءك كتابي هذا فخذلي الطاعة ممن قبلك وأنظر الرجل الذي كان كسرى كتب فيه إليك فلا تهجه حتى يأتيك أمري فيه » . فلمّا بلغ باذان الكتاب وأسلمت الأبناء معه من فارس ممن كان منهم باليمن ، وكانت حمير تسمي خرخسرة ذا المفخرة للمنطقة التي

(١) وفي النسخة الباريسية : أبو بويه .
(٢) وفي نسخة ثانية : يسلّط على كسرى ابنه شيرويه فيقتله .
(٣) اي لم يلبث .

أعطاه إياها النبيّ صلى الله عليه وسلم والمنطقة بلسانهم المفخرة ، وقد كان بانويه قال لباذان ما كلمت رجلاً قط أهيب عندي منه ، فقال : هل معه شرط ؟ قال : لا (قال الواقدي) وكتب إلى المقوقس عظيم القبط يدعوه إلى الإسلام فلم يسلم .

غزوة خيبر

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم غازياً إلى خيبر في بقية المحرم آخر السنة السادسة(١) وهو في ألف وأربعمائة راجل ومائتي فارس ، واستخلف نميلة بن عبدالله الليثي ، وأعطى راية لعليّ بن أبي طالب ، وسلك على الصهباء حتى نزل بواديها إلى الرجيع ، فحيل بينهم وبين غطفان وقد كانوا أرادوا إمداد يهود خيبر ، فلما خرجوا ذلك قذف الله في قلوبهم الرعب لحسٍ سمعوه من ورائهم فانصرفوا وأقاموا في أماكنهم . وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتح حصون خيبر حصناً حصناً فافتتح أوّلاً منها حصن ناعم ، وألقيت على محمود بن سلمة من أعلاه رحى فقتلته . ثم افتتح القموص حصن ابن أبي الحقيق ، وأصيبت منهم سبايا كانت منهنّ صفية بنت حييّ ابن أخطب، وكانت عروساً عند كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق فوهبها عليه السلام لدحية ، ثم ابتاعها منه بسبعة أرؤس ووضعها عند أمّ سلمة حتى اعتدّت وأسلمت ثم أعتقها وتزوّجها . ثم فتح حصن الصعب بن معاذ ، ولم يكن بخيبر أكثر طعاماً وودكاً منه . وآخر ما افتتح من حصونهم الوطيح والسلالم حصرهما بضع عشرة ليلة . ودفع إلى عليّ الراية في حصار بعض حصونهم ففتحه ، وكان أرمد فتفل في عينه صلى الله عليه وسلم فبرأ .

وكان فتح بعض خيبر عنوة وبعضها وهو الأكثر صلحاً على الجلاء ، فقسّمها صلى الله عليه وسلم وأقر اليهود على أن يعملوها بأموالهم وأنفسهم ولهم النصف من كل ما تخرج من زرع أو تمر يقرّهم على ذلك ما بداله ، فبقوا على ذلك الى آخر خلافة عمر فبلغه أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم قال في مرضه الذي مات فيه : «لا يبقى دينان بأرض العرب ، فأمر باجلائهم عن خيبر وغيرها من بلاد العرب» . وأخذ المسلمون ضياعهم من مغانم خيبر فتصرّفوا فيها ، وكان متولي قسمتها بين أصحابها جابر بن صخر من بني

(١) هذا منقول عن مالك بناء على ان ابتداء السنة من شهر الهجرة الحقيقي وهو ربيع وعلى المشهور محرم هو اول سنة سبع كما في المواهب — قاله نصر .

سلمة ، وزيد بن ثابت[1] من بني النجار ، واستشهد من المسلمين جماعة تنيف على العشرين من المهاجرين والأنصار منهم عامر بن الأكوع وغيره .

وفي هذه الغزاة حرّمت لحوم الحمر الأهلية فاكفئت القدور وهي تفور بلحمها . وفيها أهدت اليهودية زينب بنت الحرث امرأة سلام بن مشكم[2] إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم شاة مصلية ، وجعلت السمّ في الذراع منها وكان أحب اللحم إليه ، فتناوله ولاك منه مضغة ثم لفظها ، وقال : إنّ هذا العظم يخبرني أنه مسموم ، وأكل معه بشر بن البراء بن معرور وازدرد لقمته فمات منها . ثم دعا باليهودية فاعترفت ولم يقتلها لإسلامها حينئذ على ما قيل ، ويقال إنه دفعها إلى أولياء بشر فقتلوها .

قدوم مهاجرة الحبشة : وكان مهاجرة الحبشة قد جاء جماعة منهم[3] إلى مكة قبل الهجرة حين سمعوا بإسلام قريش ثم هاجروا إلى المدينة ، وجاء آخرون منهم قبل خيبر بسنتين ، ثم جاء بقيتهم إثر فتح خيبر . بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي في شأنهم ليقدمهم عليه ، فقدم جعفر بن أبي طالب وامرأته أسماء بنت عميس وبنوهما عبدالله ومحمد وعون ، وخالد بن سعيد بن العاص بن أمية وامرأته أمينة بنت خلف وابناهما سعيد ، وأم خالد وعمرو بن سعيد بن العاص ، ومعيف[4] بن أبي فاطمة حليف أبي سعيد بن العاص ولي بيت المال لعمر ، وأبو موسى الاشعري حليف آل عتبة بن ربيعة والأسود بن نوفل بن خويلد ابن أخي خديجة ، وجهم بن قيس بن شرحبيل بن عبد الدار وابناه عمر وخزيمة ، والحرث بن خالد بن صخر بن تميم ، وعثمان بن ربيعة بن أهبان من بني جمح ، ومحنية بن حذاء[5] الزبيدي حليف بني سهم ولي لرسول الله صلى الله عليه وسلم الأخماس ، ومعمر بن عبدالله بن نضلة من بني عدي ، وأبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عامر بن لؤي ، وأبي عمرو مالك بن ربيعة بن قيس بن عبد شمس ، فكان هؤلاء آخر من بقي بأرض الحبشة . ولما قدم جعفر على النبيّ صلى الله عليه وسلم

---

(١) وفي نسخة أخرى : زيد بن سلمة .

(٢) وفي النسخة الباريسية : سلام بن مكثم .

(٣) وفي النسخة الباريسية : قد جاء من جاء منهم .

(٤) وفي نسخة اخرى : معيقب .

(٥) وفي نسخة اخرى : جون .

يوم فتح خيبر قبل ما بين عينيه والتزمه ، وقال : ما أدري بأيهما أنا أسر بفتح خيبر أم بقدوم جعفر ؟!

فتح فدك ووادي القرى

ولما اتصل بأهل فدك شأن أهل خيبر بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه الأمان على أن يتركوا الأموال ، فأجابهم إلى ذلك فكانت خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، مما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب فلم يقسمها ووضعها حيث أمره الله . ثم انصرف عن خيبر إلى وادي القرى فافتتحها عنوةً وقسمها ، وقتل بها غلامه مدغماً ، قال فيه لما شهد له الناس بالجنة : كلا إنّ[1] الشملة التي أخذها يوم خيبر من المغانم قبل القسم لتشتعل عليه نارا ثم رحل إلى المدينة في شهر صفر .

عمرة القضاء

وأقام صلى الله عليه وسلم بعد خيبر إلى انقضاء شوال من السنة السابعة ثم خرج في ذي القعدة لقضاء العمرة التي عاهده عليها قريش يوم الحديبية وعقد لها الصلح ، وخرج ملأ من قريش عن مكة عداوة لله ولرسوله وكرها في لقائه ، فقضى عمرته وتزوّج بعد أحلاله بميمونة بنت الحرث من بني هلال بن عامر[2] خالة ابن عباس وخالد بن الوليد ، وأراد أن يبني بها ، وقد تمت الثلاث التي عاهده قريش على المقام بها وأوصوا إليه بالخروج وأعجلوه عن ذلك ، فبنى بها بسرف .

غزوة جيش الامراء

وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد منصرفه من عمرة القضاء إلى جمادى الأولى من السنة الثامنة ثم بعث الأمراء إلى الشام ، وقد كان أسلم قبل ذلك عمرو بن العاص وخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة بن أبي طلحة وهم من كبراء قريش . وقد كان عمرو بن العاص مضى عن قريش إلى النجاشي يطلبه في المهاجرين الذين عنده ، ولقي هنالك عمرو بن أمية الضمريّ وافد النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فغضب

(١) وفي نسخة اخرى : كلاله

(٢) وفي نسخة اخرى : بن علي

النجاشي لما كلمه في ذلك ، فوفقه الله وريء[1] الحق فأسلم وكتم اسلامه ، ورجع إلى قريش ولقي خالد بن الوليد فأخبره فتفاوضا ، ثم هاجرا إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم فأسلما .

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالداً مع بعث الشام وأمّر على الجيش مولاه زيد بن حارثة وكانوا نحواً من ثلاثة آلاف ، وقال إن أصابه قدر فالأمير جعفر بن أبي طالب ، فإن أصابه قدر فالأمير عبدالله بن رواحة ، فإن أصيب فليرتض المسلمون برجل من بينهم يجعلونه أميراً عليهم . وشيعهم صلى الله عليه وسلم وودّعهم ، ونهضوا حتى انتهوا إلى معان من أرض الشام ، فأتاهم الخبر بأن هرقل ملك الروم قد نزل مؤاب من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم ومائة ألف من نصارى العرب البادين هنالك من لخم وجذام وقبائل قضاعة من بهرا وبلي والقيس وعليهم مالك بن زاحلة من بني أراشة . فأقام المسلمون في معان ليلتين يتشاورون في الكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتظار أمره ومدده ، ثم قال لهم عبدالله بن رواحة أنتم إنما خرجتم تطلبون الشهادة وما نقاتل الناس بعدد ولا قوّة إلاّ بهذا الدين الذي أكرمنا الله به ، فانطلقوا إلى[2] جموع هرقل عند قرية مؤتة ورتبوا الميمنة والميسرة ، واقتتلوا فقتل زيد بن حارثةُ ملاقياً بصدره الرماح والراية في يده ، فأخذها جعفر بن أبي طالب وعقر فرسه ثم قاتل حتى قطعت يمينه فأخذها بيساره فقطعت فقتل كذلك وكان ابن ثلاث وثلاثين سنة ، فأخذها عبدالله بن رواحة وتردّد عن النزول بعض الشيء ثم صمم إلى العدّو فقاتل حتى قتل .

فأخذ الراية ثابت بن أقرم[3] من بني العجلان وناولها لخالد بن الوليد فانحاز بالمسلمين ، وأنذر النبيّ صلى الله عليه وسلم بقتل هؤلاء الأمراء قبل ورود الخبر وفي يوم قتلهم ، واستشهد مع الأمراء جماعة من المسلمين يزيدون على العشرة أكرمهم الله بالشهادة ، ورجعوا إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فأحزنه موت جعفر ولقيهم خارج المدينة وحمل عبدالله بن جعفر بين يديه على دابته وهو صبي وبكى عليه واستغفر له وقال : أبدله الله بيديه جناحين يطير بهما في الجنة ، فسمي ذا الجناحين .

---

(١) وفي نسخة اخرى : رأى

(٢) وفي احدى النسخ : فانطلقوا فهي احدى الحُسنيين إمّا ظهوره وإما شهادتنا موافقوه ونهضوا الى تخوم البلقاء فلقوا جموع هرقل .

(٣) وفي النسخة الباريسية : ثابت بن ارقم وفي نسخة اخرى : ثابت بن أقرن .

فتح مكة

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين عقد الصلح بينه وبين قريش في الحديبية أدخل خزاعة في عقده المؤمن منهم والكافر ، وأدخلت قريش بني بكر بن عبد مناة ابن كنانة في عقدها وكانت بينهم تراتٌ في الجاهلية وذحول كان فيها الأوّل للأسود بن رزن [1] من بني الدئل بن بكر بن عبد مناة وثأرهم [2] عند خزاعة لما قتلت حليفهم مالك بن عباد الحضرمي ، وكانوا قد عدوا [3] على رجل من خزاعة فقتلوه في مالك بن عباد حليفهم ، وعدت خزاعة على سلمى وكلثوم وذؤيب بني الأسود بن رزن فقتلوهم وهم أشراف بني كنانة ، وجاء الإسلام فاشتغل الناس به ونسوا أمر هذه الدماء ، فلمّا انعقد هذا الصلح من الحديبية وأمن الناس بعضهم بعضاً ، فاغتنم بنو الدئل هذه الفرصة في إدراك الثأر من خزاعة بقتلهم بني الأسود بن رزن ، وخرج نوفل بن معاوية الدُّؤلي فيمن أطاعه من بني بكر بن عبد مناة وليس كلهم تابعه ، وخرج معه بعضهم وخرجوا منهم وانحجزوا في دور مكة ودخلوا دار بديل بن ورقاء الخزاعي ، ورجع بنو بكر وقد انتقض العهد فركب بديل بن ورقاء وعمرو بن سالم في وفد من قومهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مستغيثين مما أصابهم به بنو الدئل بن عبد مناة وقريش ، فأجاب صلى الله عليه وسلم صريخهم وأخبرهم : بأنّ أبا سفيان يأتي يشدّ العقد ويزيد في المدّة وأنه يرجع بغير حاجة .

وكان ذلك سبباً للفتح وندم قريش على ما فعلوا ، فخرج أبو سفيان إلى المدينة ليؤكد العقد ويزيد في المدّة ، ولقي بديل بن ورقاء بعسفان فكتمه الخبر وورّى له عن وجهه ، وأتى أبو سفيان المدينة فدخل على ابنته أم حبيبة فطوت دونه فراش النبيّ صلى الله عليه وسلم وقالت لا يجلس عليه مشرك ، فقال لها قد أصابك بعدي شرّ يا بنية . ثم أتى المسجد وكلّم النبيّ صلى الله عليه وسلم فلم يجبه ، فذهب إلى أبي بكر وكلمه أن يتكلم في ذلك فأبى ، فلقي عمر فقال : والله لو لم أجد إلا الذرّ لجاهدتكم به ، فدخل على عليّ بن أبي طالب وعنده فاطمة وابنه الحسن صبيًّا

(١) وفي نسخة اخرى : بن رزق .

(٢) وفي النسخة الباريسية : دم عند خزاعة .

(٣) وفي نسخة أخرى : عقدوا .

فكلمه فما أتى له فقال عليّ : ما نستطيع أن نكلمه في أمر عزم عليه ، فقال لفاطمة يا بنت محمد أما تأمري[1] إبنك هذا ليجير بين الناس فقالت لا يجير أحد على رسول الله ، فقال له عليّ يا أبا سفيان أنت سيد بني كنانة فقم وأجر وارجع إلى أرضك ، فقال ترى ذلك مغنياً عني شيئاً ؟ قال : ما أظنه ولكن لا أجد لك سواه . فقام أبو سفيان في المسجد فنادى : ألا إني قد أجرت بين الناس ثم ذهب إلى مكة وأخبر قريشاً ، فقالوا ما جئت بشيء وما زاد ابن أبي طالب على أن لعب بك .

ثم أعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سائر إلى مكة ، وأمر الناس بأن يتجهزوا ، ودعا الله أن يطمس الأخبار عن قريش ، وكتب إليهم حاطب بن أبي بلتعة بالخبر مع ظعينة قاصدة إلى مكة ، فأوحى الله إليه بذلك فبعث عليًّا والزبير والمقداد إلى الظعينة فأدركوها بروضة خاخ وفتشوا رحلها فلم يجدوا شيئا ، وقالوا : رسول الله أصدق ، فقال عليّ : لتخرجنّ الكتاب أو لتلقينّ الحوائج ، فأخرجته من بين قرون رأسها . فلما قرىء على النبيّ صلى الله عليه وسلم قال ما هذا يا حاطب ؟ فقال يا رسول الله والله ما شككت في الإسلام ولكني ملصق في قريش فأردت عندهم يدا يحفظوني[2] بها في مخلف أهلي وولدي ، فقال عمر : يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق ، فقال : وما يدريك يا عمر لعل الله أطلع على أهل بدر فقال إعملوا ما شئتم فإني قد غفرت لكم .

وخرج صلى الله عليه وسلم لعشرٍ خلون من رمضان من السنة الثامنة في عشرة آلاف فيهم : من سُلَيْم ألف رجل وقيل سبعمائة ، ومن مزينة ألف ، ومن غفار أربعمائة ، ومن أسلم أربعمائة ، وطوائف من قريش وأسد وتميم وغيرهم ، ومن سائر القبائل جموع وكتائب الله من المهاجرين والأنصار. واستخلف أبا رهمٍ الغفاري على المدينة ، ولقيه العبّاس بذي الحليفة وقيل بالجحفة مهاجراً ، فبعث رحله إلى المدينة وانصرف معه غازياً ، ولقيه بنيق[3] العقاب أبو سفيان بن الحرث وعبد الله بن أبي أمية مهاجرين واستأذنا فلم يؤذن لهما ، وكلمته أم سلمة فأذن لهما ، وأسلما فسار حتى نزل مرّ الظهران ، وقد طوى الله أخباره عن قريش إلاّ أنهم يتوجسون الخيفة .

---

(١) الاصح ان يقول : اما تأمرين .
(٢) الإصح ان يقول : يحفظونني .
(٣) وفي نسخة أخرى : بشق .

وخشى العبّاس تلافي قريش إن فاجأهم الجيش قبل ان يستأمنوا ، فركب بغلة النبيّ صلى الله عليه وسلم وذهب يتجسس ، وقد خرج أبو سفيان وبديل بن ورقاء وحكيم ابن حزام يتحسسون الخبر ، وبينما العبّاس قد أتى الأراك ليلقى من السابلة من ينذر أهل مكة إذ سمع صوت أبي سفيان وَبُدَيْلْ وقد أبصرا نيران العساكر ، فيقول بُدَيَلْ : نيران بني خزاعة ، فيقول أبو سفيان : خزاعة أذلّ من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها . فقال العبّاس : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس والله إن ظفر بك ليقتلنك واصباح قريش فارتدف خلفي . ونهض به إلى المعسكر ومر بعمر فخرج يشتدّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الحمدلله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد ، فسبقه العبّاس على البغلة ودخل على أثره فقال : يا رسول الله هذا عدوّ الله أبوسفيان أمكن الله منه بلا عهد فدعني أضرب عنقه ، فقال العبّاس : قد أجرته فزأره عمر ، فقال العباس : لو كان من بني عديٍّ ما قلت هذا ولكنه من عبد مناف ، فقال عمر : والله لإسلامك كان أحب إليّ من إسلام الخطّاب لأني أعرف أنه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك . فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم العبّاس أن يحمله إلى رحله ويأتيه به صباحاً ، فلما أتى به قال له صلى الله عليه وسلم : ألم يأنِ لك أن تعلم أنّ لا إله إلاّ الله ؟ فقال بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك والله لقد علمت لو كان معه إله غيره أغنى عنا ، فقال : ويحك ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله ، قال بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك امّا هذه ففي النفس منها شيء[1] . فقال له العبّاس : ويحك أسلم قبل أن يضرب عنقك فأسلم . فقال العبّاس : يا رسول الله إنّ أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئاً . قال : نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن .

ثم أمر العبّاس أن يوقف أبا سفيان بخطم الوادي ليرى جنود الله ففعل ذلك ، ومرّت به القبائل قبيلة قبيلة ، إلى أن جاء مركب رسول الله صلى الله عليه وسلم في المهاجرين والأنصار ، عليهم الدروع البيض ، فقال من هؤلاء ؟ فقال العبّاس : هذا رسول الله في المهاجرين والأنصار . فقال : لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً : فقال : يا أبا سفيان إنها النبوّة ، فقال : هي إذاً ! فقال له العبّاس : النجاء إلى قومك . فأتى مكة

(١) وفي نسخة اخرى : في النفس منها حتى الآن شيئاً .

وأخبرهم بما أحاط بهم وبقول النبيّ صلى الله عليه وسلم من أتى المسجد أو دار أبي سفيان أو أغلق بابه .

ورتب الجيش وأعطى سعد بن عبادة الراية فذهب يقول : اليوم يوم الملحمة * اليوم تستحل الحرمة * وبلغ ذلك النبيّ صلى الله عليه وسلم فأمر عليًّا ان يأخذ الراية منه ، ويقال أمر الزبير . وكان على الميمنة خالد بن الوليد وفيها أسلم وغفار ومُزينة وجُهينة ، وعلى الميسرة الزبير ، وعلى المقدّمة أبو عبيدة بن الجرّاح . وسرّب رسول الله صلى الله عليه وسلم الجيوش من ذي طوى ، وأمرهم بالدخول إلى مكة : الزبير من أعلاها ، وخالد من أسفلها ، وأن يقاتلوا من تعرض لهم . وكان عكرمة بن أبي جهلٍ وصفوان بن أمية وسهيل بن عمرو قد جمعوا للقتال ، فناوشهم أصحاب خالد القتال ، واستشهد من المسلمين كرز بن جابر من بني محارب ، وخنيس بن خالد من خزاعة ، وسلمة بن جهينة ، وانهزم المشركون وقتل منهم ثلاثة عشر وأمّن النبيّ صلى الله عليه وسلم سائر الناس .

وكان الفتح لعشر بقين من رمضان ، وأهدر دم جماعة من المشركين سمّاهم يومئذ منهم : عبد العزّى بن خطلٍ من بني تميم ،والأدرم بن غالب كان قد اسلم وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقاً ومعه رجل من المشركين فقتله وارتدّ ولحق بمكّة وتعلق يوم الفتح بأستار الكعبة فقتله سعد بن حريث المخزومي وابو برزة الأسلميّ . ومنهم : عبدالله بن سعد بن أبي سرح كان يكتب للنبيّ صلى الله عليه وسلم ثم ارتدّ ولحق بمكة ونميت عنه أقوال ، فاختفى يوم الفتح وأتى به عثمان بن عفّان وهو أخوه من الرضاعة فاستأمن له فسكت عليه السلام ساعة ثم أمّنه ، فلما خرج قال لأصحابه هلاّ ضربتم عنقه ، فقال له بعض الأنصار هلا أومأت إليّ ، فقال : ما كان لنبي أن تكون له خائنة الأعين . ولم يظهر بعد إسلامه إلاّ خير وصلاح واستعمله عمر وعثمان . ومنهم الحويرث بن نفيل[1] من بني عبد قُصَيّ كان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكّة فقتله علي بن أبي طالب يوم الفتح . ومنهم مقيس بن صبابة كان هاجر في غزوة الخندق ثم عدا على رجل من الأنصار كان قتل أخاه قبل ذلك غلطاً ووداه فقتله وفرّ إلى مكّة مرتدّاً ، فقتله يوم الفتح نُمَيْلَة بن عبدالله الليثي وهو ابن عمه . ومنهم قينتا ابن خطلٍ كانتا تغنيان بهجو النبيّ صلى الله عليه وسلم فقتلت إحداهما

---

(١) قوله نفيل وفي المواهب نقيد اهـ.

واستؤمن للأخرى فأمنها . ومنهم مولاة لبني عبد المطلب إسمها سارة واستؤمن لها فأمَنها رسول الله صلى الله عليه وسلم . واستجار رجلان من بني مخزوم بأمّ هانىء بنت أبي طالب يقال إنّهما الحرث بن هشام وزهير بن أبي أميّة اخو أمّ سلمة فأمنتهما ، وأمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمانها فأسلما .

ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد وطاف بالكعبة وأخذ المفتاح من عثمان بن طلحة بعد أن مانعت دونه أم عثمان ثم أسلمته ، فدخل الكعبة ومعه أسامة بن زيد وبلال وعثمان بن طلحة وأبقى له حجابة البيت فهي في ولد شيبة إلى اليوم . وأمر بكسر الصور داخل الكعبة وخارجها ، وبكسر الأصنام حواليها ، ومرّ عليها وهي مشدودة بالرصاص يشير إليها بقضيب في يده وهو يقول : جاء الحق وزهق الباطل إنّ الباطل كان زهوقا ، فما بقي منهم [1] صنم إلا خرّ على وجهه . وأمر بلالاً فأذن على ظهر الكعبة ووقف رسول الله صلى الله عليه وسلم بباب الكعبة ثاني يوم الفتح وخطب خطبته المعروفة ، ووضع مآثر الجاهلية إلاّ سِدانة البيت وسقاية الحاج ، وأخبر أنّ مكة لم تحلّ لأحد قبله ولا بعده ، وإنما أحلّت له ساعة من نهار ثم عادت كحرمتها بالأمس [2] ، ثم قال : «لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ألا إنّ كل مأثورة أوْ دم أو مال يدعى في الجاهلية فهو تحت قدميّ هاتين إلا سِدانة الكعبة وسقاية الحاج ، ألا وإن قتل الخطأ مثل العمد بالسوط والعصا فيهما الدية مغلظة منها أربعون في بطونها أولادها ، يا معشر قريش إنّ الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء الناس من آدم وآدم خلق من تراب» . ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم : «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى» إلى آخر الآية . يا «معشر قريش ويا أهل مكة ما ترون إني فاعل فيكم ؟» قالوا : خيراً أخ كريم ، ثم قال : «اذهبوا فأنتم الطلقاء» . وأعتقهم على الإسلام وجلس لهم فيما قيل على الصفا فبايعوه على السمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا ، ولمّا فرغ من بيعة الرجال بايع النساء ، أمر عمر بن الخطاب أن يبايعهن واستغفر لهن رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه كان لا يمس امرأةً حلالاً ولا حراماً .

---

(١) الاصح ان يقول منها

(٢) وفي النسخة الباريسية : ثم اعيدت لحرمتها بالامس .

وهرب صفوان بن أمية إلى اليمن واتبعه عمير بن وهب من قومه بأمان النبيّ صلى الله عليه وسلم له فرجع وأنظره أربعة أشهر ، وهرب ابن الزبير الشاعر إلى نجران ورجع فأسلم ، وهرب هبيرة بن أبي وهب المخزوميّ زوج امّ هانيء إلى اليمن فمات هنالك كافراً . ثم بعث النبيّ صلى الله عليه وسلم السرايا حول مكة ولم يأمرهم بقتال ، وفي جملتهم خالد بن الوليد إلى بني جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة فقتل منهم وأخذ ذلك عليه ، وبعث إليهم عليًّا بمال فودى لهم قتلاهم وردّ عليهم ما أخذ لهم . ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالداً إلى العُزّى بيت بنخلة كانت مضر من قريش تعظمه وكنانة وغيرهم ، وسدنته بنو شيبان من بني سُلَيْم حلفاء بني هاشم فهدمه . ثم ان الأنصار توقفوا إلى أن يقيم صلى الله عليه وسلم داره بعد أن فتحها فأغمهم ذلك وخرجوا له ، فخطبهم صلى الله عليه وسلم وأخبرهم أنّ المحيا محياهم والممات مماتهم فسكتوا لذلك واطمأنوا .

غزوة حنين

وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكّة خمس عشرة ليلة وهو يقصر الصلاة فبلغه أنّ هوازن وثقيف جمعوا له وهم عامدون إلى مكة وقد نزلوا حنيناً ، وكانوا حين سمعوا بمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة يظنون أنه إنما يريدهم ، فاجتمعت هوازن إلى مالك بن عوف من بني النضير(١)، وقد أوعب معه بني نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن وبني جشم بن معاوية ، وبني سعد بن بكر وناسا من بني هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية والأحلاف ، وبني مالك بن ثقيف بن بكر ، ولم يحضرها من هوازن كعب ولا كلاب . وفي جشم دريد بن الصمة بن بكر بن علقمة ابن خزاعة بن أزية بن جشم رئيسهم وسيدهم شيخ كبير ليس فيه إلا ليؤتم برأيه ومعرفته . وفي ثقيف سيدان ليس لهم في الأحلاف إلاّ قارب بن الأسود بن مسعود ابن معتب(٢) ، وفي بني مالك ذو الخمار سُبَيْع بن الحرث بن مالك وأخوه أحمر . وجميع أمر الناس إلى مالك بن عوف .

فلمّا أتاهم أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة أقبلوا عامدين إليه ، وأسار

(١) وفي النسخة الباريسية : من بني نصر .

(٢) وفي النسخة الباريسية : بن مغيث .

مالك مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم يرى أنه أثبت لموقفهم ، فنزلوا بأوْطاس ، فقال دُرَيْد بن الصمة لمالك : مالي أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير ويعار الشاء وبكاء الصغير ، فقال : أموال الناس وأبناءهم سقنا معهم ليقاتلوا عنها ، فقال راعي ضأن : والله وهل يردّ المنهزم شيء ؟ إن كانت لك لم ينفعك إلاّ رجل بسلاحه وإن كانت عليك فضحت في أهلك ومالك . ثم سأل عن كعب وكلاب وأسف لغيابهم وأنكر على مالك رأيه ذلك ، وقال : لم تصنع بتقديم بيضة[1] هو ازن إلى نحور الخيل شيئاً أرفعهم إلى ممتنع بلادهم ، ثم ألق الصبيان على متون الخيل فان كانت لك لحق بك من وراءك وإن كانت لغيرك كنت قد أحرزت[2] أهلك ومالك . وأبى عليه مالك واتبعه هوازن .

ثم بعث النبيّ صلى الله عليه وسلم عبدالله بن أبي جدرد[3] الأسلمي يستعلم خبر القوم فجاءه وأطلعه على جليّة الخبر وأنهم قاصدون إليه ، فاستعار رسول الله صلى الله عليه وسلم من صفوان بن أمية مائة درع وقيل أربعمائة وخرج في اثني عشر ألفاً من المسلمين عشرة آلاف الذين صحبوه من المدينة وألفان من مسلمة الفتح ، واستعمل على مكّة عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية ومضى لوجهه . وفي جملة من اتبعه عباس بن مرداس ، والضحاك بن سفيان الكلابيّ ، وجموع من عبس وذبيان ، ومزينة وبني أسد . ومرّ في طريقه بشجرة سدرٍ خضراء ، وكان لهم في الجاهلية مثلها يطوف بها الأعراب ويعظمونها ويسمّونها ذات أنواطٍ ، فقالوا : يا رسول الله إجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط . فقال لهم : قلتم كما قال قوم موسى اجعل لنا إلَهاً كما لهم آلهة ، والذي نفسي بيده لتركبنّ سنن من كان قبلكم واجرم من ذلك[4] .

ثم نهض حتى أتى وادي حنين من أودية تهامة أوّل يوم[5] من شوّال من السنة الثامنة وهو وادي حزن[6] ، فتوسطوه في غبش الصبح وقد كمنت هوازن في جانبيه فحملوا

(١) وفي نسخة أخرى : نقيضة .
(٢) وفي النسخة الباريسية : اجرت .
(٣) وفي نسخة ثانية : ابي حدود .
(٤) وفي نسخة ثانية : وزجرهم عن ذلك .
(٥) قوله أول يوم ولعل الصواب كما في غير هذا الكتاب سادس يوم اهـ . وانتهى الى خيبر عاشره (قاله نصر) .
(٦) وفي النسخة الباريسية : وادي حروت .

على المسلمين حملة رجل واحد ، فولّى المسلمون لا يلوي أحد على أحد ، وناداهم صلى الله عليه وسلم فلم يرجعوا . وثبت معه أبو بكر وعمر وعلي والعبّاس وأبو سفيان بن الحرث وابنه جعفر والفضل وقثم إبنا العبّاس وجماعة سواهم ، والنبيّ صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء دلدل والعباس آخذ بشكائمها وكان جهير الصوت. فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينادي بالأنصار وأصحاب الشجرة قيل وبالمهاجرين ، فلمّا سمعوا الصوت وذهبوا ليرجعوا فصدّهم إزدحام الناس[1] عن أن يثنوا رواحلهم ، فاستقاموا وتناولوا سيوفهم وتراسهم واقتحموا عن الرواحل راجعين إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وقد اجتمع منهم حواليه نحو المائة فاستقبلوا هوازن والناس متلاحقون[2] ، واشتدّت الحرب وحمي الوطيس وقذف الله في قلوب هوازن الرعب حين وصلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يملكوا أنفسهم ، فولّوا منهزمين ولحق آخر الناس وأسرى هوازن مغلولة بين يديه . وغنم المسلمون عيالهم وأموالهم واستحرّ[3] القتل في بني مالك من ثقيف فقتل منهم يومئذ سبعون رجلاً في جملتهم : ذو الخمار وأخوه عثمان ابنا عبدالله بن ربيعة بن الحرث بن حبيب سيداهم ، وأمّا قارب بن الأسود سيد الأحلاف من ثقيف ففرّ بقومه منذ أوّل الأمر وترك رايته فلم يقتل منهم أحد ، ولحق بعضهم بنخلة . وهرب مالك بن عوف النصري مع جماعة من قومه فدخلوا الطائف مع ثقيف ، وانحازت طوائف هوازن إلى أوطاس[4] واتبعتهم طائفة من خيل المسلمين الذين توجهوا من نخلة فأدركوا فيهم دريد بن الصمة فقتلوه ، يقال قتله ربيعة بن رفيع بن أهبان بن ثعلبة بن يربوع بن سماك بن عوف بن امريء القيس . وبعث صلى الله عليه وسلم إلى من اجتمع بأوطاس من هوزان أبا عامر الأشعري عم أبي موسى فقاتلهم ، وقتل بسهم رماه به سلمة بن دريد بن الصمة فأخذ أبو موسى الراية وشدّ على قاتل عمه فقتله . وانهزم المشركون واستحرّ[5] القتل في بني رباب من بني نصر بن معاوية ، وانفضت جموع أهل هوازن كلها . واستشهد

---

(١) وفي نسخة ثانية : المنهزمين .
(٢) وفي النسخة الباريسيه : لاحقون .
(٣) وفي النسخة الباريسية : واستمر .
(٤) وفي النسخة الباريسية : الى واسط .
(٥) وفي النسخة الباريسية : وانهزم القوم واستمر القتل .

من المسلمين يوم الخميس أربعة منهم أيمن بن أم أيمن أخو أسامة لأمه[1] ، ويزيد بن زمعة بن الأسود ، وسراقة بن الحرث من بني العجلان ، وأبو عامر الأشعري .

حصار الطائف وغزوة تبوك

ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسبايا والأموال فحبست بالجعرانة بنظر مسعود ابن عمرو الغفاري ، وسار من فوره إلى الطائف فحاصر بها ثقيف خمس عشرة ليلة ، وقاتلوا من وراء الحصون ، وأسلم من كان حولهم من الناس وجاءت وفودهم إليه . وقد كان مرّ في طريقه بحصن مالك بن عوف النصري[2] فأمر بهدمه ، ونزل على أطم لبعض ثقيف فتمنع فيه صاحبه فأمر بهدمه فأخرب وتحصنت ثقيف .وقد كان عروة بن مسعود وغيلان بن سلمة من ساداتهم ذهبا إلى جرش يتعلمان صنعة المجانيق والدبابات للحصار لمّا أحسوا من قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم إياهم فلم يشهدا الحصار ولا حنينا قبله ، وحاصرهم المسلمون بضع عشرة أو بضعاً وعشرين ليلة واستشهد بعضهم بالنبل ورماهم صلى الله عليه وسلم بالمنجنيق ، ودخل نفر من المسلمين تحت دبابة ودنوا إلى سور الطائف فصبوا عليهم سكك الحديد المحماة ورموهم بالنبل فأصابوا منهم قوماً ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع أعنابهم[3] ، ورغب إليه ابن الأسود بن مسعود في ماله وكان بعيداً من الطائف وكفّ عنه ، ثم دخل إلى الطائف وتركهم ونزل أبو بكرة فأسلم .

واستشهد من المسلمين في حصاره : سعيد بن سعيد بن العاص ، وعبدالله بن أبي أميّة بن المغيرة أخو أمّ سلمة ، وعبدالله بن عامر بن ربيعة العنزى حليف بني عدي في آخرين قريباً من اثني عشر فيهم أربعة من الأنصار .

ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجعرانة وأتاه هناك وفد هوازن مسلمين راغبين ، فخيّرهم بين العيال والأبناء والأموال فاختاروا العيال والأبناء ، وكلموا المسلمين في ذلك بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم ، وقال المهاجرون والأنصار ما كان لنا فهو لرسول الله

(١) وفي النسخة الباريسية : أيمن بن عبيد أخو سلمة لأمه .
(٢) النصري بالصاد المهملة ، كذا في فضائل رمضان للأجهوري ، قال وأسلم بعد ذلك اهـ . (قاله نصر) .
(٣) وفي نسخة اخرى : اعناقهم .

صلى الله عليه وسلم . وامتنع الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن أن يردا عليهم ما وقع لهما من الفيء وساعدهم قومهم [1] ، وامتنع العبّاس بن مرداس كذلك . وخالف بنو سليم وقالوا : ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعوّض رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم تطب نفسه عن نصيبه . وردّ عليهم نساءهم وأبناءهم بأجمعهم .

وكان عدد سبي هوازن ستة آلاف بين ذكر وانثى فيهنّ الشيما أخت النبيّ صلى الله عليه وسلم من الرضاعة وهي بنت الحرث بن عبد العزّى من بني سعد بن بكر من هوازن ، وأكرمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحسن إليها وخيّرها فاختارت قومها فردّها اليهم . وقسم الأموال بين المسلمين ، ثم أعطى مَن نصيبه من خمس الخمس قوماً يستألفهم على الإسلام من قريش وغيرهم ، فمنهم من أعطاه مائة مائة ، ومنهم خمسين خمسين ، ومنهم ما بين ذلك ، ويسمّون المؤلفة وهم مذكورون في كتب السير يقاربون الأربعين ، منهم أبو سفيان وابنه معاوية وحكيم بن حزام وصفوان بن أمية ومالك بن عوف وغيرهم ، ومنهم عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر والأقرع بن حابس وهما من أصحاب المائة ، وأعطى عبّاس بن مرداس دونهما ، فأنشده أبياته المعروفة يتسخط فيها ، فقال إقطعوا عني لسانه فأتموا إليه المائة .

ولمّا أعطى المؤلفة قلوبهم وجد الأنصار في أنفسهم إذ لم يعطهم مثل ذلك وتكلّم شبانهم مع ما كانوا يظنون أنه إذا فتح الله عليه بلده يرجع إلى قومه ويتركهم ، فجمعهم ووعظهم وذكّرهم وقال : «إنما أعطي قوما حديثي عهد بالإسلام أتألفهم عليه ، أما ترضون أن ينصرف الناس بالشاء والبعير وتنصرفوا برسول الله إلى رحالكم ، لولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار ، ولو سلك الأنصار شعبا وسلك الناس شِعْباً لسلكت شعب الأنصار» فرضوا وافترقوا .

ثم اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجعرانة الى مكة ، ثم رجع الى المدينة فدخلها لست بقين من ذي القعدة من السنة الثامنة لشهرين ونصف من خروجه ، واستعمل على مكة عتاب بن أسيد شاباً ينيف عمره على عشرين ، وكان غلبه الورع والزهد فأقام الحج بالمسلمين في سنته وهو أوّل أمير أقام حجّ الإسلام المشركون على مشاعرهم . وخلف بمكة معاذ بن جبل يفقه الناس في الدين ويعلمهم القرآن ،

---

(١) وفي نسخة اخرى : وساعدهما قومهما .

وبعث عمرو بن العاص إلى جيفر وعبد ابني الجلندي[1] من الأزد بعمان مصدقاً فأطاعوا له بذلك. واستعمل صلى الله عليه وسلم مالك بن عوف على من أسلم من قومه ومن سلم منهم وماله حوالي الطائف من ثقيف، وأمره بمغادرة الطائف من التضييق عليهم ففعل حتى جاؤا مسلمين كما يذكر بعد. وحسن إسلام المؤلفة قلوبهم ممن أسلم يوم الفتح أو بعده وإن كانوا متفاوتين في ذلك. ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم كعب بن زهير فأهدر دمه وضاقت به الأرض، وجاء فأسلم وأنشد النبي صلى الله عليه وسلم قصيدته المعروفة بمدحه التي أوّلها:

* بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِي اليَوْمَ مَتْبولُ الخ. وأعطاه بردةً في ثواب مدحه فاشتراها معاوية من ورثته بعد موته وصار الخلفاء يتوارثونها شعاراً.

ووفد في سنة تسع على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بنو أسد فأسلموا وكان منهم ضرار بن الأزور، وقالوا: قدمنا يا رسول الله قبل أن يرسل إلينا فنزلت «يمنون عليك أن أسلموا» (الآية). ووفد فيها وفدتين في شهر ربيع الأول ونزلوا على رُويفع بن ثابت البلوي. وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد منصرفه من الطائف في ذي الحجة إلى شهر رجب من السنة التاسعة.

ثم أمر الناس بالتهيؤ لغزو الروم: «وكان في غزواته كثيراً ما يوري بغير الجهة التي يقصدها على طريقة الحرب إلا ما كان من هذه الغزاة لعسرها بشدّة الحرب، وبعد البلاد وفصل الفواكه وقلّة الظلال وكثرة العدو الذين يصدّون. وتجهز الناس على ما في أنفسهم من استثقال ذلك، وطفق المنافقون يثبطونهم عن الغزو، وكان نفر منهم يجتمعون في بيت بعض اليهود، فأمر طلحة بن عبيدالله أن يخرّب عليهم البيت فخرّبها[2]. واستأذن ابن قيس من بني سلمة في القعود فأذن له وأعرض عنه، وتدرّب كثير من المسلمين بالإنفاق والحملان وكان من أعظمهم في ذلك عثمان بن عفّان يقال إنه أنفق فيها ألف دينار وحمل على تسعمائة بعير ومائة فرس وجهز ركاباً. وجاء بعض المسلمين يستحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجد ما يحملهم عليه فتزلوا باكين لذلك، وحمل بعضهم يامين بن عمير النضري وهما أبو ليلى بن كعب من بني مازن بن النجّار وعبدالله بن المغفل المزني. واعتذر المخلفون من الأعراب

---

(١) وفي نسخة اخرى: الى أهل حنين وعمرو بن الجلندي.
(٢) وفي النسخة الباريسية: ان يحرق عليهم البيت فحرقها.

فعذرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم.
ثم نهض وخلّف على المدينة محمد بن مسلمة وقيل بل سبّاع بن عرفطة وقيل بل عليّ ابن أبي طالب، وخرج معه عبدالله بن أبي بن سلول في عدد وعدّة، فلما سار صلى الله عليه وسلم تخلّف هو فيمن تخلّف من المنافقين. ومرّ صلى الله عليه وسلم على ديار ثمود فأمر أن لا يستعمل ماؤها ويعلف ما عجن منه للإبل، وأذن لهم في بئر الناقة، وأمر أن لا يدخلوا عليهم بيوتهم إلاّ باكين، ونهى أنّ يخرج أحد منفرداً عن صاحبه، فخرج رجلان من بني ساعدة خنق[1] أحدهما فمسح عليه فشفي، والآخر رمته الريح في جبل طي فردّوه بعد ذلك إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم. وضلّ صلى الله عليه وسلم ناقته في بعض الطريق، فقال أحد المنافقين محمد يدّعي علم خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته، فبلغ ذلك النبيّ صلى الله عليه وسلم، فقال: والله لا أعلم إلاّ ما علّمني الله وأن الناقة بموضع كذا. وكان قد أوحى إليه بها فوجدوها ثم، وكان قائل هذا القول زيد بن اللصيت من بني قينقاع وقيل إنه تاب بعد ذلك. وفضح الوحي قوماً من المنافقين كانوا يخذلون الناس ويهوّلون عليهم أمر الروم، فتاب منهم مخشى بن جهير[2] ودعا أن يكفر عنه بشهادة يخفي مكانه فقتل يوم اليمامة.
ولمّا انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك أتاه يُحينة بن رؤبة صاحب أيلة وأهل جرباء وأذرح فصالحوا على الجزية وكتب لكلٍ كتاباً. وبعث صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى أكيدر بن عبد الملك[3] صاحب دومة الجندل من كندة كان ملكاً عليها وكان نصرانياً وأخبر أنه يجده يصيد البقر، واتفق أن بقر الوحش باتت تهدّ القصر بقرونها فنشط أكيدر لصيدها وخرج ليلاً، فوافق وصوله خالداً، فأخذه وبعث به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعفا عنه وصالحه على الجزية وردّه.
وأقام بتبوك عشرين ليلة، ثم انصرف، وكان في طريقه ماء قليل نهى أن يسبق إليه أحد، فسبق رجلان واستنفدا ما فيه فنكر عليهما ذلك، ثم وضع يده تحت وشله فصب ما شاء الله أن يصب ونضح به الوشل[4] ودعا فجاش الماء حتى كفى العسكر.

---

(١) وفي نسخة اخرى: جن
(٢) وفي النسخة الباريسية: مخشى بن حمير.
(٣) وفي النسخة الباريسية: عبدالله.
(٤) وفي نسخة اخرى: ونضح بالوشل.

ولما قرب المدينة بساعة من نهار أنفذ مالك بن الدخشم من بني سالم ومعن بن عدي من بني العجلان إلى مسجد الضرار ، فأحرقاه وهدماه ، وقد كان جماعة من المنافقين بنوه وأتوا إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم وهو يتجهز إلى تبوك فسألوه الصلاة فيه ، فقال : أنا على سفر ولو قدمنا أتيناكم فصلينا لكم فيه . فلمّا رجع أمر بهدمه .

وفي هذه الغزاة تخلف كعب بن مالك من بني سلمة ومرارة بن الربيع من بني عمرو بن عوف وهلال بن أمية بن واقف وكانوا صالحين ، فنهى صلى الله عليه وسلم عن كلامهم خمسين يوماً ، ثم نزلت توبتهم ، وكان المتخلفون من غير عذر نيفا وثلاثين رجلاً . وكان وصوله صلى الله عليه وسلم من تبوك في رمضان سنة تسع ، وفيه كانت وفادة ثقيف واسلامهم ، ونزل الكثير من سورة براءة في شأن المنافقين وما قالوه في غزوة تبوك آخر غزوة غزاها صلى الله عليه وسلم .

اسلام عروة بن مسعود ثم وفد ثقيف وهدم اللات

كان صلى الله عليه وسلم لما أفرج عن الطائف وارتحل المدينة اتبعه عُرْوَةُ بن مسعود سيدهم ، فأدركه في طريقه وأسلم ورجع يدعو قومه ، فرمي بسهم في سطح بيته وهو يؤذن للصلاة فمات ، ومنع قومه من الطلب بدمه وقال : هي شهادة ساقها الله إليّ وأوصى أن يدفن مع شهداء المسلمين . ثم قدم إبنه أبو المليح وقارب بن الأسود بن مسعود فأسلما ، وضيق مالك بن عوف على ثقيف واستباح سرحهم وقطع سابلتهم . وبلغهم رجوع النبيّ صلى الله عليه وسلم من تبوك وعلموا أنّ لا طاقة لهم بحرب العرب المسلمين ، وفزعوا إلى عبد ياليل بن عمرو بن عُمَيْر ، فشرط عليهم أن يبعثوا معه رجالاً منهم ليحضروا مشهده خشية على نفسه مما نزل بِعُرْوَة ، فبعثوا معه رجلين من أحلاف قومه وثلاثا من بني مالك ، فخرج بهم عبد ياليل وقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان من السنة التاسعة يريدون البيعة والإسلام فضرب لهم قبة في المسجد ، وكان خالد بن سعيد بن العاص يمشي في أمرهم وهو الذي كتب كتابهم بخطه ، وكانوا لا يأكلون طعاماً يأتيهم حتى يأكل منه خالد ، وسألوه أن يدع لهم اللات ثلاث سنين رغباً لنسائهم وأبنائهم حتى يأنسوا فأبى ، وسألوه أن يعفيهم من الصلاة فقال : لا خير في دين لا صلاة فيه ، فسألوه أن لا يكسروا أوثانهم

بأيديهم فقال : أمّا هذه فسنكفيكم منها . فأسلموا وكتب لهم وأمّر عليهم عثمان بن أبي العاص أصغرهم سناً لأنه كان حريصاً على الفقه وتعلم القرآن . ثم رجعوا إلى بلادهم ، وخرج معه أبو سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة لهدم اللات ، وتأخر أبو سفيان حتى دخل المغيرة فتناولها بيده ليهدمها ، وقام بنو معتب[1] دونه خشية عليه . ثم جاء أبو سفيان وجمع ما كان لها من الحُليّ وقضى منه دين عُرْوة والأسود إبني مسعود كما أمر النبيّ صلى الله عليه وسلم وقسّم الباقي .

الوفود

ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك واسلمت ثقيف ضربت إليه وفود العرب من كل وجه حتى لقد سميت سنة الوفود . قال إبن إسحق : وإنما كانت العرب تتربص بالإسلام أمر هذا الحي من قريش وأمر النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وذلك أنّ قريشا كانوا إمام الناس وهاديهم وأهل البيت والحرم وصريح ولد إسمعيل وقادتهم لا ينكرون لهم ، وكانت قريش هي التي نصبت لحربه وخلافه . فلمّا استفتحت مكة ودانت قريش ودخلها الإسلام عرفت العرب أنهم لا طاقة لهم بحربه وعداوته ، فدخلوا في دينه أفواجا يضربون إليه من كل وجه انتهى .

فأوّل من قدم إليه بعد تبوك وفد بني تميم وفيه من رؤوسهم : عطارِد بن حاجب بن زُرَارَة بن عدس من بني دارم بن مالك ، والحتات بن زيد[2] ، والأقرع بن حابس ، والزِّبْرِقَانُ بن بدرٍ من بني سعد ، وقيسُ بن عاصم ، وعمرو بن الأهتم وهما من بني منقر ، ونعيم بن زيد ومعهم عيينةُ بن حصن الفزاريّ . وقد كان الأقرع وعيَيْنة شهدا فتح مكة وخيبر وحصار الطائف ، ثم جاآ مع وفد بني تميم ، فلمّا دخلوا المسجد نادوا من وراء الحجرات فنزلت الآيات في إنكار ذلك عليهم . ولمّا خرج قالوا جئنا نفاخرك بخطيبنا وشاعرنا فأذن لهم ، فخطب عطارد وفاخر ويقال والأقرع بن حابس ، ثم أنشد الزبرقان بن بدر شعراً بالمفاخرة ، ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت بن قيس بن الشماس من بني الحرث بن الخزرج فخطب وحسّان بن ثابت فأنشد مساجلين لهم ، فأذعنوا للخطبة والشعر والسؤدد والحلم ، وقالوا : هذا

(١) وفي النسخة الباريسية : بنو مغيث .

(٢) وفي نسخة اخرى : الحباب بن يزيد .

الرجل هو مؤيد من الله خطيبه أخطب من خطيبنا وشاعره أشعر من شاعرنا وأصواتهم أعلى من أصواتنا . ثم أسلموا وأحسن رسول الله صلى الله عليه وسلم جوائزهم . وهذا كان شأنه مع الوفود ينزلهم اذا قدموا ويجهّزهم إذا رحلوا .

ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر رمضان مقدمه من تبوك كتاب ملوك حمير مع رسولهم ومع الحرث بن عبد كلال ، ونعيم بن عبد كلال ، والنعمان قيل ذي رعين وهمدان ومعافر . وبعث زرعة بن ذي يزن رسوله مالك بن مرّة الرهاويّ بإسلامهم ومفارقة الشرك ، وأهله وكتب إليهم النبي صلى الله عليه وسلم كتابه . وبعث إلى ذي يزن معاذ بن جبل مع رسوله مالك بن مرّة يجمع الصدقات ، وأوصاهم برسله معاذ وأصحابه . ثم مات عبدالله بن أبي بن سلول في ذي القعدة ، ونعى رسول الله صلى الله عليه وسلم النجاشيّ وأنه مات في رجب قبل تبوك .
وقدم وفد بهرا في ثلاثة عشر رجلا ونزلوا على المقداد بن عمرو وجاءبهم فأسلموا وأجازهم وانصرفوا ، وقدم وفد بني البكاء ثلاثة نفر منهم . وقدم وفد بني فزارة بضعة عشر رجلا فيهم خارجة بن حصن وابن أخيه الحرُّ بن قيس فأسلموا .

ووفد عديّ بن حاتم من طي فأسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث قبل تبوك إلى بلاد طي عليّ بن أبي طالب في سريّة فأغار عليهم ، وأصيب حاتم وسبيت إبنته وغنم سيفين في بيت أصنامهم كانتا من قربان الحرث بن أبي شمّر ، وكان عديّ قد هرب قبل ذلك ولحق ببلاد قضاعة بالشام فرارا من جيوش المسلمين وجوارا لأهل دينه من النصارى وأقام بينهم ، ولما سيقت إبنة حاتم جعلت في الحظيرة بباب المسجد التي كانت السبايا تحبس بها ، ومرّ بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمته أن يمنّ عليها ، فقال : قد فعلت ولا تعجلي حتى تجدي ذاتقة من قومك يبلغك إلى بلادك ثم آذنيني ، قالت : فأقمت حتى قدم ركب من بني قضاعة وأنا أريد أن آتي أخي بالشام فعرّفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فكساني وحلني وزوّرني وخرجت معهم فقدمت الشام فلما لقيها عديّ تلاوما ساعة ثم قال لها ماذا ترين في أمري مع هذا الرجل ؟ فأشارت عليه با للحاق به فوفد ، وأكرمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأدخله إلى بيته وأجلسه على وسادته ، بعد أن استوقفته في طريقه امرأة فوقف لها ، فعلم عديّ أنه ليس بملك وأنه نبي ، ثم أخبره عن أخذه المرباع من قومه ولا يحلّ له فازداد

استبصاراً[١] فيه ، ثم قال : لعلّه إنما يمنعك من الدخول في هذا الدين ما ترى من حاجتهم فيوشك ان يفيض المال فيهم حتى لا يوجد من يأخذه ، أو لعله يمنعك ما ترى من كثرة عدوّهم وقلة عددهم فوالله ليوشكنّ تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف ، أو لعلّك إنما يمنعك من الدخول فيه أنك ترى الملك والسلطان لغيرهم فيوشك أن تسمع بالقصور البيض من بابل قد فتحت .

فأسلم عديّ وانصرف إلى قومه .

ثم أنزل الله على نبيّه الأربعين آية من أوّل براءة في نبذ هذا العهد الذي بينه وبين المشركين أن لا يصدوا عن البيت ، ونهوا أن يقرب المسجد الحرام مشرك بعد ذلك ، وأن لا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان[٢] بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فيتم له إلى مدّته ، وأجّلهم أربعة أشهر من يوم النحر . فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الآيات أبا بكر وأمّره على إقامة الحج بالموسم من هذه السنة ، فبلغ ذا الحُلَيْفَة فأتبعه بعليّ فأخذها منه ، فرجع أبو بكر مشفقا أن يكون نزل فيه قرآن ، فقال له النبيّ صلى الله عليه وسلم : لم ينزل شيء ولكن لا يبلغ عني غيري أو رجل مني . فسار ابو بكر على الحج وعليّ على الاذان ببراءة ، فحج أبو بكر بالناس وهم على حجّ الجاهلية ، وقام عليّ عند العقبة يوم الأضحى فأذّن بالآية التي جاء بها .

قال الطبريّ وفي هذه السنة فرضت الصدقات لقوله تعالى خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكّيهم بها الآية . وفيها قدم وفد ثعلبة بن سعد[٣] ووفد سعد هذيم من قضاعة . قال الطبريّ : وفيها بعث بنو سعد بن بكر ضمّام[٤] بن ثعلبة وافداً فاستحلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما جاء به من الاسلام ، وذكر التوحيد والصلاة والزكوة والصيام والحج واحدة واحدة حتى إذا فرغ تشهّد وأسلم ، وقال : لأؤديّ هذه الفرائض وأجتنب ما نهيت عنه ثم لا أزيد عليها ولا انقص ، فلما انصرف قال صلى الله عليه وسلم : إن صدق دخل الجنة ، ثم قدم على قومه فأسلموا كلهم يوم قدومه . والذي عليه الجمهور : أنّ قدوم ضمّام وقصّته كانت سنة خمس .

---

(١) وفي نسخة ثانية : استبعاداً .

(٢) وفي نسخة ثانية : وإن كان .

(٣) وفي نسخة ثانية : ثعلبة بن منقذ .

(٤) وفي نسخة ثانية : ضمضام بن ثعلبة .

ثم دخلت سنة عشر فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد في ربيع أو جمادى في سريّة اربعمائة إلى نجران وما حولها يدعو بني الحرث بن كعب إلى الإسلام ويقاتلهم إن لم يفعلوا ، فأسلموا وأجابوا داعيته ، وبعث الرسل [١] في كل وجه فأسلم الناس فكتب بذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكتب إليه بأن يقدم مع وفدهم ، فأقبل خالد ومعه وفد بني الحرث بن كعب منهم قيس بن الحصين ذو القصة ويزيد بن عبد المدان ويزيد بن المحجل [٢] وعبدالله بن قراد [٣] الزيادي وشدّاد بن عبدالله الضبابي وعمرو بن عبدالله الضبابي ، فأكرمهم النبيّ صلى الله عليه وسلم وقال لهم : بم كنتم تغلبون من يقاتلكم في الجاهلية ؟ قالوا : كنا نجتمع ولا نفترق ولا نبدأ [٤] أحداً بظلم . قال : صدقتم ، فأسلموا وأمّر عليهم قيس بن الحصين ، ورجعوا صدر ذي القعدة من سنة عشر ، ثم أتبعهم عمرو بن حزم [٥] من بني النجّار ليفقّههم في الدين ويعلمهم السنة ، وكتب إليه كتاباً عهد إليه فيه عهده وأمره بأمره ، وأقام عاملا على نجـران . وهذا الكتاب وقع في السير مروياً واعتمده الفقهاء في الاستدلالات وفيه مآخذ كثيرة لـلأحكام الفقهية ونصّه : « بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب [٦] من الله ورسوله : يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ، عهداً من محمد النبيّ صلى الله عليه وسلم لعمرو بن حزم حين بعثه إلى اليمن آمره بتقوى الله في أمره كله فإنّ الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ، وآمره أنْ يأخذ بالحق كما أمره الله وأن يبشّر الناس بالخير ويأمرهم به ويعلّم الناس القرآن ويفهمهم [٧] فيه ، وأن ينهي الناس فلا يمس القرآن إنسان إلا وهو طاهر ، وان يخبر الناس بالذي لهم والذي عليهم ، ويلين للناس في الحق ويشتدّ عليهم في الظلم فإنّ الله حرّم [٨] الظلم ونهى عنه فقال : ألا لعنة الله على الظالمين ، وأن يبشر الناس بالجنة

---

(١) وفي النسخة الباريسية : الركبان .
(٢) وفي النسخة الباريسية : يزيد بن المحجب .
(٣) وفي نسخة اخرى : عبدالله بن قريض .
(٤) وفي النسخة الباريسية : ولا ننيل .
(٥) وفي نسخة اخرى : عمرو بن حزام .
(٦) وفي النسخة الباريسية : هذا بيان .
(٧) وفي نسخة اخرى : يفقههم فيه .
(٨) وفي النسخة الباريسية : كره الظلم .

وبعملها وينذر الناس بالنار وعملها ، ويستألف الناس حتى يتفقهوا في الدين ، ويعلّم الناس معالم الحجّ وسننه وفرائضه وما أمر الله به والحجّ الأكبر والحج الأصغر وهو العمرة ، وينهي الناس أن يصلي أحد في ثوب واحد صغير إلا أن يكون واسعاً يثنى طرفيه على عاتقيه ، وينهي أن يحتبي أحد في ثوب واحد ويفضي بفرجه إلى السماء ، وينهي أن يقصّ أحد شعر رأسه إذا عفا في قفاه ، وينهي إذا كان بين الناس هيج عن الدعاء إلى القبائل والعشائر وليكن دعاؤهم إلى الله وحده لا شريك له فمن لم يدع إلى الله ودعا القبائل والعشائر فليعطفوه بالسيف حتى يكون دعاؤهم إلى الله وحده لا شريك له ، ويأمر الناس بإسباغ الوضوء في وجوههم وأيديهم إلى المرافق وأرجلهم إلى الكعبين وأن يمسحوا برؤوسهم كما أمرهم الله ، وآمره بالصلاة لوقتها وإتمام الركوع والسجود وأن يغلس بالصبح ويهجر بالهاجرة حتى تميل الشمس وصلاة العصر والشمس في الأرض مدبرة والمغرب حين يقبل الليل لا يؤخر حتى تبدوا نجوم السماء والعشاء أوّل الليل ، وآمره بالسعي إلى الجمعة إذا نودي لها والغسل عند الرواح إليها ، وآمره أن يأخذ من الغنائم خمس الله ، وما كتب على المؤمنين[1] في الصدقة من العقار عشر ما سقت العين او سقت السماء وعلى ما سقى الغرب نصف العشر وفي كل عشر من الإبل شاتان وفي كل عشرين أربع شياة وفي كل أربعين من البقر بقرة وفي كل ثلاثين من البقر تبيع أو تبيعة جذع أو جذعة وفي كل أربعين من الغنم سائمة وحدها شاة فإنها فريضة الله التي افترض على المؤمنين في الصدقة فمن زاد خيراً فهو خير له ، وانه من أسلم من يهودي أو نصراني إسلاماً خالصاً من نفسه ودان بدين الإسلام فإنه من المؤمنين له مثل ما لهم وعليه ما عليهم ومن كان على نصرانيته أو يهوديته فإنه لا يردّ عنها وعليه الجزية ، على كل حالم[2] ذكراً وأنثى حر أو عبد دينار وافٍ أو عوضه ثياباً . فمن أدّى ذلك فإنّ له ذمّة الله وذمّة رسوله . ومن منع ذلك فإنه عدوّ لله ولرسوله وللمؤمنين جميعا صلوات الله على محمد والسلام عليه ورحمته وبركاته » .

وقدم وفد غسان في رمضان من هذه السنة العاشرة في ثلاثة نفر فأسلموا وانصرفوا إلى قومهم فلم يجيبوا إلى الإسلام فكتموا أمرهم وهلك إثنان منهم ولقي الثالث أبو عبيدة

---

(١) وفي النسخة الباريسية : على المسلمين .

(٢) وفي نسخة ثانية : كل محتلم .

عامر باليرموك[١] فأخبره بإسلامه . وقدم عليه وفد عامر عشرة نفر فأسلموا وتعلّموا شرائع الإسلام وأقرأهم أبيّ[٢] القرآن وانصرفوا . وقدم في شوّال وفد سلامان سبعة نفر رئيسهم حبيب فأسلموا وتعلّموا الفرائض[٣] وانصرفوا .

وفيها قدم وفد أزدجرش وفد فيهم صردُ بن عبدالله الأزدي في عشرة من قومه ، ونزلوا على فروة بن عمرو ، وأمّر النبيّ صلى الله عليه وسلم بعد أن أسلموا صرداً على من أسلم منهم ، وأن يجاهد المشركين حوله . فحاصر جرش ومن بها من خثعم وقبائل ايمن ، وكانت مدينة حصينة اجتمع إليها أهل اليمن حين سمعوا بزحف المسلمين ، فحاصرهم شهراً ، ثم قفل عنهم فظنوا أنه انهزم فاتبعوه إلى جبل شكر ، فصف وحمل عليهم ونال منهم ، وكانوا بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رائدين وأخبرهما ذلك اليوم بواقعة شكر وقال : إنّ بدن الله لتنحر عنده الآن فرجعا إلى قومهما وأخبراهم بذلك وأسلموا وحَمَى لهم حِمًى حول قريتهم .

وفيها كان إسلام همدان ووفادتهم على يد عليّ رضي الله عنه ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث خالد بن الوليد إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام ، فمكث ستة أشهر لا يجيبونه ، فبعث عليه السلام علي بن أبي طالب وأمره أن يقفل خالداً ، فلما بلغ عليّ أوائل اليمن جمعوا له فلما لقوه صفّوا فقدّم عليّ الإنذار وقرأ عليهم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمت همدان كلها في ذلك اليوم ، وكتب بذلك إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم فسجد لله شكراً ، ثم قال : السلام على همدان ثلاث مرّات . ثم تتابع أهل اليمن على الإسلام وقدمت وفودهم ، وكان عمرو بن معد يكرب الزبيدي قال لقيس بن مكشوح[٤] المرادي : إذهب بنا إلى هذا الرجل فلن يخفى علينا أمره فأبى قيس من ذلك ، فقدم عمرو على النبيّ صلى الله عليه وسلم فأسلم ، وكان فروة بن مسيك المراديّ على ربيد لأنه وفد قبل عمرو مفارقاً لملوك كندة فأسلم ونزل سعد بن عبادة وتعلم القرآن وفرائض الإسلام واستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على مراد وزبيد ومذحج كلّها وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصدقة فكان معه في بلاده حتى كانت الوفاة .

---

(١) وفي نسخة ثانية : عام اليرموك .
(٢) وفي نسخة ثانية : النبيّ .
(٣) وفي نسخة ثانية : القرآن .
(٤) وفي نسخة ثانية : مكثوم .

وفي هذه السنة قدم وفد عبد القيس يقدمهم الجارود بن عمرو وكانوا على دين النصرانية ، فأسلموا ورجعوا إلى قومهم . ولما كانت الوفاة وارتدّ عبد القيس ونصبوا المنذر بن النعمان بن المنذر الذي يسمّى الغرور ثبت الجارود على الإسلام ، وكان له المقام المحمود وهلك قبل أن يراجعوا . وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث العلاء بن الحضرميّ قبل فتح مكة إلى المنذر بن ساوي العبديّ(١) فأسلم وحسن إسلامه ، وهلك بعد الوفاة وقبل ردّة أهل البحرين والعلاء أمير عنده لرسول الله صلى الله عليه وسلم على البحرين .

وفي هذه السنة قدم وفد بني حنيفة في سنة عشر فيهم : مسيلمة بن حبيب الكذاب ، ورجّال بن عنفوة ، وطلق بن عليّ بن قيس ، وعليهم سلمان بن حنظلة ، فأسلموا وأقاموا أياماً يتعلمون القرآن من أبيّ بن كعب ، ورجّال يتعلم ، وطلق يؤذن لهم ، ومسيلمة في الرحال ، وذكروا للنبيّ صلى الله عليه وسلم مكانه في رحالهم فأجازه ، وقال : ليس بشركم مكاناً لحفظه رحالكم ، فقال مسيلمة عرف أن الأمر لي من بعده . ثم ادّعى مسيلمة بعد ذلك النبوّة ، وشهد له طَلْقَ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أشركه في الأمر فافتتن الناس به كما سنذكره .

وفيها قدم وفد كندة يقدمهم الأشعث بن قيس في بضعة عشر وقيل في ستين وقيل في ثمانين ، وعليهم الديباج والحرير ، وأسلموا ونهاهم النبيّ صلى الله عليه وسلم عنه فتركوه . وقال له أشعث نحن بنو آكل المرار وأنت ابن آكل المرار فضحك وقال : ناسبوا بهذا النسب العبّاس بن عبد المطلب وربيعة بن الحرث وكانا تاجرين فإذا ساحا في أرض العرب قال نحن بنو آكل المرار فيعتز بذلك لأنّ لهم عليه ولادة من الأمهات ، ثم قال لهم لا نحن بنو النضر بن كنانة فانتفوا منا ولا ننتفي من أبينا(٢) .

وقدم مع وفد كنانة(٣) وفد حضرموت وهم بنو وليعة ، وملوكهم جمد ومخوس ومشرح وأبضعة(٤) ، فأسلموا ودعا لمخوس بإزالة الرتّة من لسانه . (وقدم وائل بن حجر) راغبا في الإسلام فدعا له ومسح رأسه ، ونودي الصلاة جامعة سروراً بقدومه ، وأمر

---

(١) وفي النسخة الباريسية : العمري .
(٢) وفي نسخة ثانية : ولا ينتغي من الينا .
(٣) وفي نسخة ثانية : كندة .
(٤) وفي نسخة ثانية : ضمرة ومخوش ومسرح والضعة .

معاوية أن ينزله بالحرّة ، فمشى معه وكان راكباً فقال له معاوية أعطني نعلك أتوقى بها الرمضاء ، فقال ما كنت لألبسها وقد لبستها . وفي رواية لا يبلغ أهل اليمن أنّ سوقة لبس نعل ملك فقال : أردفنـي قال لست من أرداف الملوك ، ثم قال : إنّ الرمضاء قد أحرقت قدمي قال إمشِ في ظل ناقتي كفاك به شرفاً . ويقال إنه وفد على معاوية في خلافته فأكرمه وكتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً « بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب محمد النبيّ لوائل بن حجر قيل حضرموت إنك إن أسلمت لك ما في يديك من الأرض والحصون ويؤخذ منك من كل عشر واحدة ينظر في ذلك ذو عدل وجعلت لك ألاّ تظلم فيها معلّم [١] الدين. والنبيّ صلى الله عليه وسلم والمؤمنون أشهاد عليه [٢] » . قال عياض (وفيه) إلى الأقيال العباهلة والأوراع المشابيب [٣] . (وفيه) في التيعة [٤] شاة لا مقورّة لالياط ولا ضناك وأنطوا الثبجة وفي السيوب الخمس ومن زنى من بكر فاصقعوه مائة واستوفضوه عاماً ، ومن زنى من ثيّب فضرجوه بالاضاميم [٥] ، ولا توصيم في الدين ولا غمة في فرائض الله وكل مسكر حرام ووائل بن حجر يترفّل على الأقيال .

وفيها قدم وفد محارب في عشرة نفر فأسلموا . وفيها قدم وفد الرها من مذحج في خمسة عشر نفرا وأهدوا فرساً ، فاسلموا وتعلموا القرآن وانصرفوا ، ثم قدم نفر منهم وحجّوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتوفي فأوصى لهم بمائة وسق من خيبر جارية عليهم من الكتيبة وباعوها من معاوية .

وفيها قدم وفد نجران النصارى في سبعين [٦] راكبا يقدمهم أميرهم العاقب عبد المسيح من كندة ، وأسقفهم أبو حارثة من بكر بن وائل ، والسيّد الأيهم وجادلوا عن دينهم ، فنزل صدر سورة آل عمران وآية المباهلة فأبوا منها وفرقوا وسألوا الصلح ، وكتب لهم به على ألف حلّة في صفر وألف في رجب وعلى دروع ورماح وخيل وحمل

---

(١) وفي النسخة الباريسية : مقام الدين .
(٢) وفي نسخة ثانية : والمؤمنون عليه انصار .
(٣) وفي النسخة الباريسية : والاوزاع السابقين .
(٤) وفي نسخة ثانية : وفيه في العبّة .
(٥) وفي نسخة اخرى : ففرجوه بالاصاحيم .
(٦) وفي النسخة الباريسية : في ستين راكباً .

ثلاثين من كل صنف ، وطلبوا أن يبعث معهم واليا يحكم بينهم فبعث معهم أبا عبيدة بن الجرّاح ، ثم جاء العاقب والسيّد وأسلما .

وفيها قدم وفد الصدف من حضرموت في بضعة عشر نفرا فأسلموا ، وعلمهم أوقات الصلاة وذلك في حجة الوداع . وفي هذه السنة قدم وفد عبْس ، قال ابن الكلبي : وفد منهم رجل واحد فأسلم ورجع ومات في طريقه . وقال الطبريّ : وفيها وفد عديّ ابن حاتم في شعبان انتهى .

وفيها قدم وفد خولان عشرة نفر فأسلموا وهدموا صنمهم ، وكان وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم في هدنة الحديبية قبل خيبر رفاعة بن زيد الضبيبيّ من جذام وأهدى غلاما فأسلم ، وكتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً يدعوهم إلى الإسلام فأسلموا ، ولم يلبث أن قفل دحية بن خليفة الكلبيّ منصرفا من عند هرقل حين بعثه النبي صلى الله عليه وسلم ومعه تجارة ، فأغار عليه الهنيد بن عوض[1] وقومه بنو الضليع من بطون جذام فأصابوا كل شيء معه ، وبلغ ذلك مسلمين من بني الضبيب فاستنقذوا ما أخذه الهنيد وإبنه وردّوه على دحية ، وقدم دحية على النبيّ صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر ، فبعث النبيّ صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة في جيش من المسلمين فأغار عليهم بالقضقاض من حرة الرمل[2] ، وقتلوا الهنيد وإبنه في جماعة وكان معهم ناس من بني الضبيب فاستباحوهم معهم وقتلوهم ، فركب رفاعة بن زيد ومعه أبو زيد بن عمرو من قومه في جماعة منهم فقدموا على النبيّ صلى الله عليه وسلم وأخبروه الخبر ، فقال : كيف أصنع بالقتلى ؟ فقالوا : يا رسول الله أطلق لنا من كان حيًّا ، فبعث معهم علي بن أبي طالب وحمله على جمل وأعطاه سيفه فلحقه بفيفاء الفحلتين وأمره برد أموالهم فردّها .

وفي هذه السنة قدم وفد عامر بن صعصعة فيهم : عامر بن الطفيل بن مالك ، وأربد ابن ربيعة بن مالك ، فقال له عامر : يا محمد اجعل لي الأمر بعدك ، قال : ليس ذلك لك ولا لقومك ، قال : إجعل لي الوبر ولك المدر ، قال : لا ولكن أجعل لك أعنة الخيل فإنك امرؤ فارس ، فقال : لأملأنها عليك خيلاً ورجلاً ثم ولوا . فقال : اللهم أكفنيهم اللهم أهد عامر أو أغن الإسلام عن عامر . وذكر ابن إسحق

(١) وفي نسخة اخرى : بن عوص .

(٢) وفي النسخة الباريسية : بالقضاقض من حرة الرجل .

والطبريّ : أنهما أرادا الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقدروا عليه في قصة ذكرها أهل الصحيح ، ثم رجعوا إلى بلادهم فاخذه الطاعون في عنقه فمات في طريقه في أحياء بني سلول وأصابت أخاه أربد صاعقة بعد ذلك . ثم قدم علقمة بن علاثة بن عوف وعوف[1] بن خالد بن ربيعة وإبنه فأسلموا .

وفيها قدم وفد طيء في خمسة عشر نفرا يقدمهم سيدهم زيد الخيل وقبيصة بن الأسود من بني نبهان فأسلموا ، وسمّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد الخير وأقطع له بئراً وأرضين معها وكتب له بذلك ومات في مرجعه .

وفي هذه السنة ادعى مسيلمة النبوّة وأنه أشرك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأمر ، وكتب إليه : « من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله سلام عليك فإني قد أشركت في الأمر معك وأن لنا نصف الارض ولقريش نصف الأرض ولكن قريش قوم لا يعدلون ، وكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مسيلمة الكذاب سلام على من اتبّع الهدى أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين » . قال الطبريّ : وقد قيل إنّ ذلك كان بعد منصرف النبيّ صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع كما نذكر .

حجة الوداع

ثم خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى حجة الوداع في خمس ليال بقين من ذي العقدة ومعه من أشراف الناس ومائة من الإبل عرياً[2] ، ودخل مكة يوم الأحد لأربع خلون من ذي الحجة ، ولقيه عليّ بن أبي طالب بصدقات نجران فحجّ معه ، وعلم صلى الله عليه وسلم الناس بمناسكهم واسترحمهم وخطب الناس بعرفة خطبته التي بين فيها ما بين ، حمدالله واثنى عليه ثم قال : « أيها الناس إسمعوا قولي فإني لا أدري لعلّي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً ! أيها الناس إنّ دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربّكم كحرمة يومكم هذا وحرمة شهركم هذا وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم وقد بلّغت فمن كان عنده أمانة فليؤدّها إلى

(١) وفي النسخة الباريسية : وهودة .
(٢) وفي نسخة ثانية : هدايا .

من ائتمنه عليها وإن كان رِباً فهو موضوع ولكم رؤس أموالكم لا تَظلمون ولا تُظلمون قضى الله أنه لا ربا إن ربا العباس بن عبد المطلب موضوع كله وأن كل دمٍ في الجاهلية موضوع كلّه وأن أول دم يوضع دم ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب وكان مسترضعاً في بني ليث ، فقتله بنو هذيل فهو أول ما أبدأ من دم الجاهلية . أيها الناس إنّ الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه أبداً ولكنه رضي أن يطاع فيما سوى ذلك ممّا تحقرون من أعمالكم فاحذروه على دينكم . إنما النسيء زيادة في الكفر يضلّ به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرّمونه إلى فيحلوا ما حرّم الله ألا وإنّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض وإنّ عدّة الشهور عند الله إثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ثلاثة متوالية ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب الفرد الذي بين جمادى وشعبان أمّا بعد أيها الناس فإنّ لكم على نسائكم حقاً ولهنّ عليكم حقاً لكم عليهنّ أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه وعليهنّ أن لا يأتين بفاحشة مبينة ، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع وتضربوهنّ ضرباً غير مبرح فإن انتهين فلهنّ رزقهنّ وكسوتهنّ بالمعروف . واستوصوا بالنساء خيرا فإنهن عندكم عوان[1] لا يملكن لأنفسهن شيئاً وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله فاعقلوا أيها الناس واسمعوا قولي فإني قد بلغت قولي وتركت فيكم ما إن استعصمتم به فلن تضلوا أبداً كتاب الله وسنة نبيه أيها الناس إسمعوا قولي واعلموا إن كل مسلم أخو المسلم وإن المسلمين إخوة فلا يحل لامرىء من مال أخيه إلا ما أعطاه إياه عن طيب نفس فلا تظلموا أنفسكم ألاهل بلغت[2] .

فذكر أنهم قالوا : اللهم نعم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم اشهد . وكانت هذه الحجّة تسمى حجّة البلاغ وحجة الوداع لأنه لم يحج بعدها وكان قد حج قبل ذلك حجتين واعتمر مع حجة الوداع عمرة فتلك ثلاث ثم انصرف إلى المدينة في بقية ذي الحجة من العاشرة[3] .

---

(١) وفي نسخة أخرى : عوار .

(٢) وفي نسخة أخرى : اللهمّ .

(٣) لم يذكر هنا حديث الغدير وقد أجمع المؤرخون وأرباب التفسير أن رسول الله ﷺ لما رجع من حجة الوداع الى المدينة نزل عليه الأمين جبرائيل بقوله تعالى : يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك . وان الآية الكريمة أمرت النبي ﷺ ان ينصب علياً أميراً وخليفة للمسلمين من بعده فأمر الرسول من كان معه من المسلمين ان يحطوا رحلهم بغدير خم قرب الجحفة على طريق المدينة وان يرد من تقدم منهم الى=

العمال على النواحي

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أسلم باذان عامل كسرى على اليمن وأسلمت اليمن أمّره على جميع مخاليفها ولم يشرك معه فيها أحداً حتى مات ، وبلغه موته وهو منصرف من حجّة الوداع فقسم عمله على جماعة من أصحابه ، فولّى على صنعاء إبنه شهر[1] بن باذان ، وعلى مأرب أبا موسى الأشعري ، وعلى الجنديعلي بن أمية ، وعلى همدان عامر بن شهر الهمداني ، وعلى عك والأشعر بين الطاهر بن أبي هالة[2] وعلى ما بين نجران وزمع وزبيد خالد بن سعيد بن العاص ، وعلى نجران عمر وبن حزم[3] ، وعلى بلاد حضرموت زياد بن لبيد[4] البياضي ، وعلى السكاسك والسكون عكاشة بن ثور[5] بن أصفر الغوثي ، وعلى معاوية بن كندة عبدالله المهاجر

=المحل الذي نزل به الرسول وكان ذلك في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة سنة عشرة من الهجرة وكان ذلك اليوم شديد الحرّ فكان الرجل يضع بعض ردائه على رأسه وبعضه تحت قدميه من شدّة الحر . وقد وقف النبي في هذا اليوم بعد صلاة الظهر خطيباً بالمسلمين فقال : الحمدلله ونستعين ونؤمن به ونتوكل عليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات اعمالنا الدنيّة لا هادي لمن ضل ولا مضل لمن هدى واشهد ان لا إله إلا الله وان محمداً عبده ورسوله . اما بعد ايها الناس قد نبأني اللطيف الخبير انه لم يعمر نبيٌّ الا مثل نصف عمرُ الذي قبله واني اوشك ان ادعى فأجيب واني مسؤول وانتم مسؤولون . فماذا انتم قائلون ؟ قالوا نشهد انك قد بلغت ونصحت وجهدت فجزاك الله خيراً قال السم تشهدون ان لا إله إلا الله وان محمداً عبده ورسوله ؟ قالوا بلى نشهد بذلك . ثم قال ايها الناس الا تسمعون ؟ قالوا نعم . قال فاني فرط على الحوض وانتم واردون عليه فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين فنادى مناد وما الثقلان يا رسول الله ؟ قال الثقل الاكبر كتاب الله ، طرف بيد الله عز وجل وطرف بايديكم فتمسكوا به لا تضلوا والآخر الاصغر عترتي وان اللطيف الخبير نبأني انهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض فسألت لهما ذلك ربي فلا تتقدموهما فتهلكوا ولا تقصّروا عنهما فتهلكوا ثم اخذ بيد عليّ فرفعها وعرفه القوم فقال : ايها الناس من اولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قالوا الله ورسوله أعلم . قال ان الله مولاي وأنا مولى المؤمنين وانا اولى بهم من أنفسهم فمن كنت مولاه فعليّ مولاه ، اللهم والِ من والاه وعاد من عاداه وأدر الحق معه حيث دار الا فليبلغ الشاهد الغائب .

انظر كتاب البداية والنهاية لابن كثير ج ٥ ص ٢٠٨ وتاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٩٣ والفرق الاسلامية ص ٤٢ وغيرها من كتب التاريخ .

(١) وفي نسخة اخرى : شمر

(٢) وفي النسخة الباريسية : الطاهر بن ابي منالة

(٣) وفي نسخة اخرى : بن حزام

(٤) وفي النسخة الباريسية : زياد بن يزيد

(٥) وفي النسخة الباريسية : عكاشة بن بدر

بن ابي أمية واشتكى المهاجر فلم يذهب فكان زياد بن لبيد يقوم على عمله ، وبعث معاذ بن جبل معلماً لأهل اليمن وحضرموت ، وكان قبل ذلك قد بعث على الصدقات عدي بن حاتم على صدقة طيء وأسد ، ومالك بن نويرة على صدقات بني حنظلة ، وقسم صدقة بني سعد بين رجلين منهم ، وبعث العلاء بن الحضرمي على البحرين وبعث علي بن أبي طالب إلى نجران ليجمع صدقاتهم وجزيتهم ويقدم عليه بها فوافاه من حجة الوداع كما مرّ.

خبر العنسي

كان الأسود العنسي واسمه عبهلة بن كعب ولقبه ذو الخمار ، وكان كاهناً مشعوذاً يفعل الأعاجيب ويخلب بحلاوة منطقه ، وكانت داره كهف حنار[١] بها ولد ، ونشأ وادّعى النبوّة وكاتب مذحجاً عامّة فأجابوه ووعدوه[٢] ، نجران فوثبوا بها وأخرجوا عمرو بن حزم[٣] وخالد بن سعيد بن العاص وأقاموه في عملها ، ووثب قيس بن عبد يغوث على فروة بن مسيك وهو على مراد فأجلوه ، وسار الأسود في سبعمائة فارس إلى شهر بن باذان بصنعاء فلقيه شهر بن باذان فهزمه الأسود فقتله ، وغلب على ما بين صنعاء وحضرموت إلى أعمال الطائف إلى البحرين من قبل عدن ، وجعل يطير استطارة الحريق وعامله المسلمون بالتقية ، وارتدّ كثير من أهل اليمن . وكان عمرو بن معدي كرب مع خالد بن سعيد بن العاص ، فخالفه واستجاب للأسود ، فسار إليه خالد ولقيه فاختلفا ضربتين فقطع خالد سيفه الصمصامة وأخذها ، ونزل عمرو عن فرسه وفتك في الخيل ولحق عمرو بن الأسود فولاه على مذحج وكان أمر جنده إلى قيس بن عبد يغوث المرادي ، وأمر الأبناء إلى فيروز وداذويه وتزوج امرأة شهر بن باذان واستفحل أمره .

وخرج معاذ بن جبل هارباً ومرّ بأبي موسى في مأرب فخرج معه ولحقا بحضرموت ، ونزل معاذ في السكون وأبو موسى في السكاسك ، ولحق عمرو بن حزم وخالد بن سعيد بالمدينة . وأقام الطاهر بن أبي هالة ببلاد علكّ حيال[٤] صنعاء ، فلما ملك

(١) وفي نسخة أخرى : خيار وفي النسخة الباريسية : جناز

(٢) وفي نسخة أخرى : وأوعدوا

(٣) وفي نسخة أخرى : بن حزام .

(٤) وفي نسخة أخرى : جبال صنعاء .

الأسود اليمن واستفحل استخف بقيس بن عبد يغوث وبفيروز ودادويه ، وكانت إبنة عم فيروز هي زوجة شهر بن باذان التي تزوجها الأسود بعد مقتله وإسمها أزاد . وبلغ الخبر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فكتب مع وبر بن يحنس [1] إلى الأبناء وأبي موسى ومعاذ الطاهر يأمرهم فيه أن يعملوا في أمر الأسود بالغيلة أو المصادمة [2] ويبلغ منه من يروم عنده ديناً أو نجدة ، وأقام معاذ والأبناء في ذلك فداخلوا قيس بن عبد يغوث في أمره فأجاب ، ثم داخل فيروز بنت عمه زوجة الأسود فواعدته قتله ، وكتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى عامر بن شهر الهمداني وبعث جرير بن عبدالله إلى ذي الكلاع وذي أمران وذي ظليم من أهل ناحيته وإلى أهل نجران من عربهم ونصاراهم واعترضوا الأسود ومشوا وتنحوا إلى مكان واحد .

وأخبر الأسود شيطانه بغدر قيس وفيروز ودادويه فعاتبهم وهمّ بهم ، ففروا إلى امرأته وواعدتهم أن ينقبوا البيت من ظهره ويدخلوا فيبيتوه ، ففعلوا ذلك ودخل فيروز ومعه قيس ففتل [3] عنقه ثم ذبحه ، فنادى بالأذان عند طلوع الفجر ونادى دادويه بشعار الإسلام ، وأقام وبر بن يحنس [4] الصلاة واهتاج الناس مسلمهم وكافرهم وماج بعضهم في بعض واختطف الكثير من أصحابه صبياناً من أبناء المسلمين ، وبرزوا وتركوا كثيراً من أبنائهم ثم تراسلوا في ردّ كل ما بيده وأقاموا يترددون فيما بين صنعاء ونجران ، وخلصت صنعاء والجنود ، وتراجع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى أعمالهم وتنافسوا الإمارة في صنعاء ، ثم اتفقوا على معاذ فصلّى بهم وكتبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخبر ، وكان قد أتى خبر الواقعة من السماء فقال في غداتها : قتل العنسي البارحة قتله رجل مبارك وهو فيروز . ثم قدمت الرسل ، وقد توفي [5] النبي صلى الله عليه وسلم .

بعث أسامة : ولما رجع النبي صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع آخر ذي الحجة ضرب على الناس في شهر المحرم بعثاً إلى الشام وأمّر عليهم مولاه أسامة بن زيد

---

(١) وفي نسخة أخرى : بن عنيس .
(٢) وفي نسخة أخرى : المصادقة .
(٣) وفي النسخة الباريسية : ففك عنقه .
(٤) وفي نسخة ثانية : بن جنيس .
(٥) وفي نسخة أخرى : اسامة .

بن حارثة ، أمره أن يوطيء الخيل تخوم البلقاء والداروم إلى الأردن من أرض فلسطين ومشارف الشام ، فتجهّز الناس وأوعب معه المهاجرون الأوّلون . فبينا الناس على ذلك ابتدأ صلى الله عليه وسلم بشكواه التي قبضه الله فيها إلى كرامته ورحمته ، وتكلم المنافقون في شأن الكـرامة ، وبلغ الخبر بارتداد الأسود ومسيلمة ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عاصباً رأسه من الصداع وقال : «إني رأيت البارحة في نومي أنّ في عضديّ سوارين من ذهب فكرهتهما فنفختهما فطارا فأوّلتهما هذين الكذّابين صاحب اليمامة وصاحب اليمن وقد بلغني أنّ أقواماً تكلموا في إمارة اسامة إنْ يطعنوا في إمارته لقد طعنوا في إمارة أبيه من قبله وإنْ كان أبوه لحقيقاً بالأمارة وانه لحقيق بها[1] انفروا» . فبعث أسامة فضرب أسامة بالجرف[2] وتمهل ، وثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفاه الله قبل توجه أسامة .

أخبار الأسود ومسيلمة وطليحة : كان النبي صلى الله عليه وسلم بعدما قضى حجة الوداع تحلّل به السير فاشتكى وطارت الأخبار ، بذلك فوثب الأسود باليمن كما مرّ ، ووثب مسيلمة باليمامة ، ثم وثب طليحة بن خويلد في بني أسد ، يدعي كلهم النبوة . وحاربهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرسل والكتب إلى عماله ومن ثبت على إسلامه من قومهم أن يجدّوا في جهادهم ، فأصيب الأسود قبل وفاته بيوم ولم يشغله ما كان فيه من الوجع عن أمر الله والذبّ عن دينه ، فبعث إلى المسلمين من العرب في كل ناحية من نواحي هؤلاء الكذّابين يأمرهم بجهادهم . وجاء كتاب مسيلمة إليه فأجابه كما مرّ وجاء ، ابن أخي طليحة يطلب الموادعة فدعا صلى الله عليه وسلم حتى كان من حكم الله فيهم بعده ما كان .

مرضه صلى الله وسلم عليه : أوّل ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك أنّ الله نعى إليه نفسه بقوله إذا جاء نصرالله والفتح إلى آخر السورة ، ثم بدأه الوجع لليلتين بقيتا من صفر وتمادى به وجعه وهو يدور على نسائه حتى استقر به في بيت ميمونة ، فاستأذن نساءه أن يمرّض في بيت عائشة فأذن له . وخرج على الناس فخطبهم وتحلل منهم وصلى على شهداء أحد واستغفر لهم ، ثم قال لهم : إنّ عبداً من عبادالله خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عنده . وفهمها أبو بكر

---

(١) وفي النسخة الباريسية : لخليق بها .

(٢) وفي نسخة ثانية : الحرق .

فبكى ، فقال : بل نفديك بأنفسنا وأبنائنا ، فقال : على رسلك يا أبا بكر ، ثم جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه فرحب بهم وعيناه تدمعان ودعا لهم كثيراً وقال : أوصيكم بتقوى الله وأوصي الله بكم وأستخلفه عليكم وأودعكم إليه إني لكم نذير وبشير ألا تعلوا على الله في بلاده وعباده فإنه قال لي ولكم : تلك الدار الآخر نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين وقال أليس في جهنم مثوى للمتكبرين[1] .

ثم سألوه عن مغسله ، فقال : الأدنون من أهلي ، وسألوه عن الكفن ، فقال : في ثيابي هذه؟ أو ثياب مصر[2] أو حلّة يمانية . وسألوه عن الصلاة عليه ، فقال : ضعوني على سريري في بيتي على شفير قبري ثم اخرجوا عني ساعة حتى تصلي عليّ الملائكة ثم ادخلوا فوجاً بعد فوج فصلوا وليبدأ رجال أهلي[3] ثم نساؤهم . وسألوه عمن يدخله القبر ، فقال : أهلي . ثم قال : ائتوني بدواة وقرطاس أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده فتنازعوا وقال بعضهم أهجر؟ يستفهم . ثم ذهبوا يعيدون عليه ، ثم قال : دعوني فما أنا فيه خير مما تدعونني إليه ، وأوصى بثلاث : أن يخرجوا المشركين من جزيرة العرب ، وان يجيزوا الوفد كما كان يجيزهم ، وسكت عن الثالثة أو نسيها الراوي . وأوصى بالأنصار فقال إنهم كرشي وعيلتي التي أويت إليها[4] فأكرموا كريمهم وتجاوزوا عن مسيئهم فقد أصبحتم يا معشر المهاجرين تزيدون والأنصار لا يزيدون ، ثم قال : سدّوا هذه الأبواب في المسجد إلا باب أبي بكر فاني لا أعلم أمر أفضل يداً عندي في الصحبة من أبي بكر ، ولوكنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن صحبة إخاء وإيمان حتى يجمعنا الله عنده .

ثم ثقل به الوجع وأغمي عليه فاجتمع إليه نساؤه وبنوه وأهل بيته والعباس وعليّ ، ثم حضر وقت الصلاة فقال مروا أبا بكر فليصل بالناس ، فقالت عائشة : إنه رجل أسيف لا يستطيع أن يقوم مقامك ، فمر عمر فامتنع عمر ، وصلّى ابو بكر ، ووجد رسول الله صلى الله عليه وسلم خفة فخرج فلما أحس أبو بكر تأخر فجذبه رسول

---

(١) وفي النسخة الباريسية : للكافرين .

(٢) وفي نسخة أخرى : بياض مصر .

(٣) وفي نسخة أخرى : رجال أهل بيتي .

(٤) وفي النسخة الباريسية : هم كرسّي وعيني اليمنى فأكرموا كريمهم .

الله صلى الله عليه وسلم وأقامه مكانه وقرأ من حيث انتهى أبو بكر ، ثم كان أبو بكر يصلي بصلاته والناس بصلاة أبي بكر ، قيل صلوا كذلك سبع عشرة صلاة . وكان يدخل يده في القدم وهو في النزع فيمسح وجهه بالماء ويقول اللهمّ أعني على سكرات الموت ، فلما كان يوم الإثنين وهو يوم وفاته خرج إلى صلاة الصبح عاصباً رأسه وأبو بكر يصلي ، فنكص عن صلاته[1] ، وردّه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وصلى قاعداً عن يمينه ، ثم أقبل على الناس بعد الصلاة فوعظهم وذكّرهم ، ولما فرغ من كلامه قال له أبو بكر : إني أرى أصبحت بنعمة الله وفضله كما نحب . وخرج إلى أهله في السنح .

ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته فاضطجع في حجرة[2] عائشة ، ودخل عبد الرحمن بن أبي بكر عليه وفي يده سواك أخضر ، فنظر إليه وعرفت عائشة أنه يريده قالت : فمضغته حتى لان وأعطيته إياه فاستنّ به ثم وضعه . ثم ثقل في حجري فذهبت أنظر في وجهه فإذا بصره قد شخص وهو يقول : « الرفيق الأعلى من الجنة » فعلمت أنه خير فاختار . وكانت تقول : قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سحري ونحري . وذلك نصف نهار يوم الإثنين لليلتين من شهر ربيع الأول ودفن من الغد نصف النهار من يوم الثلاثاء . ونادى النعي في الناس بموته وأبو بكر غائب في أهله بالسنح ، وعمر حاضر فقام في الناس وقال : إن رجالاً من المنافقين زعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات وأنه لم يمت وإنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى وليرجعن فيقطعن أيدي رجال وأرجلهم . وأقبل أبو بكر حين بلغه الخبر فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكشف عن وجهه وقبله وقال : بأبي أنت وأمي قد ذقت الموتة التي كتب الله عليك ولن يصيبك بعدها موته أبداً . وخرج إلى عمر وهو يتكلم ، فقال : أنصت . فأبى ، وأقبل على الناس يتكلم فجاؤا إليه وتركوا عمر ، فحمد الله وأثنى عليه وقال : « أيها الناس من كان يعبد محمداً فإنّ محمداً قدمات ، ومن كان يعبد الله فإنّ الله حيّ لا يموت » ثم تلا : « وما محمد إلاّ رسول قد خلت من قبله الرسل » الآية . فكأنّ الناس لم يعلموا أنّ هذه الآية في المنزل قال عمر : فما هو إلاّ أن سمعت أبا بكر يتلوها فوقعت إلى الأرض ما تحملني رجلاي وعرفت أنه قد مات وقيل

(١) وفي النسخة الباريسية : نهض عن مصلاه .

(٢) وفي النسخة الباريسية : في حجر عائشة .

تلا : معها : إنك ميت وإنهم ميتون الآية .

وبينما هم كذلك إذ جاء رجل يسعى بخبر الأنصار أنهم اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة يبايعون سعد بن عبادة ويقولون منا أمير ومن قريش أمير ، فانطلق أبو بكر وعمر وجماعة المهاجرين إليهم ، وأقام عليّ والعبّاس وابناه الفضل وقثم وأسامة بن زيد يتولون تجهيز رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فغسله عليّ مسنده إلى ظهره والعباس وابناه يقلبونه معه وأسامة وشقران يصبان الماء وعلي يدلك من وراء القميص[1] لا يفضي إلى بشرته بعد أن كانوا اختلفوا في تجهيزه ثم أصابتهم سنة فخفقوا وسمعوا من وراء البيت أن اغسلوه وعليه ثيابه ففعلوا ، ثم كفنوه في ثوبين صحاريين وبرد حبرة أدرج فيهن إدراجاً ، استدعوا حفارين أحدهما يلحد والآخر يشق ، ثم بعث إليهما العبّاس رجلين وقال اللهم خر[2] لرسولك فجاء الذي يلحد وهو أبو طلحة زيد بن سهل كان يحفر لأهل المدينة فلحد لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولما فرغوا من جهازه يوم الثلاثاء وضع على سرير بيته واختلفوا أيدفن في مسجده أو بيته فقال أبو بكر سمعته صلى الله عليه وسلم يقول ما قبض نبي إلاّ يدفن حيث قبض ، فرفع فراشه الذي قبض عليه وحفر له تحته ، ودخل الناس يصلون عليه أفواجاً الرجال ثم ، النساء ثم الصبيان ثم العبيد لا يؤم أحدهم أحداً ، ثم دفن من وسط الليل ليلة الأربعاء وعن عائشة لإثنتي عشرة ليلة من ربيع الأول فكملت سنو الهجرة عشرسنين كوامل ، وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة وقيل خمس وستين سنة وقيل ستين .

خبر السقيفة

لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتاع الحاضرون لفقده حتى ظن أنه لم يمت ، واجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة يبايعون سعد بن عبادة وهم يرون أن الأمر لهم بما آووا ونصروا ، وبلغ الخبر إلى أبي بكر وعمر فجاؤا إليهم ومعهم أبو عبيدة ولقيهم عاصم بن عدي وعويم بن ساعدة فأرادوهم على الرجوع وخفضوا عليهم

(١) وفي النسخة البارسية : يصبان الماء على يديه من وراء القميص .

(٢) وفي نسخة ثانية : اغفر .

الشأن ، فأبوا الاّ أن يأتوهم فأتوهم في مكانهم ذلك فأعجلوهم عن شأنهم وغلبوهم عليه جماعاً وموعظة . وقال أبو بكر : نحن أولياء النبي وعشيرته وأحق الناس بأمره ولا ننازع في ذلك ، وأنتم لكم حق السابقة والنصرة ، فنحن الأمراء وأنتم الوزراء . وقال الحباب بن المنذر[1] بن الجموح : منا أمير ومنكم أمير وإن أبوا فاجلوهم يا معشر الأنصار عن البلاد فبأسيافكم دان الناس لهذا الدين وإن شئتم أعدناها جذعة[2] أنا جذيلها المحكك[3] وعذيقها المرجب[4] . وقال عمر : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصانا بكم كما تعلمون ولو كنتم الأمراء لأوصاكم بنا ، ثم وقعت ملاحاة بين عمر وابن المنذر[5] ، وأبو عبيدة يخفضها ويقول : اتقوا الله يا معشر الأنصار أنتم أوّل من نصر وآزر فلا تكونوا أول من بدّل وغير .

فقام بشير بن سعد بن النعمان[6] بن كعب بن الخزرج فقال : ألا إن محمداً من قريش وقومه أحق وأولى ، ونحن وإن كنا أولى فضل في الجهاد وسابقة في الدين ، فما أردنا بذلك إلا رضى الله وطاعة نبيه فلا نبتغي به من الدنيا عوضاً ، ولا نستطيل به على الناس . فقال الحباب بن المنذر : نفست والله عن ابن عمك يا بشير . فقال : لا والله ولكن كرهت أن أنازع قوماً حقهم . فأشار أبو بكر إلى عمر وأبي عبيدة فامتنعا وبايعا أبا بكر وسبقهما إليه بشير بن سعد ، ثم تناجى الأوس فيما بينهم وكان فيهم أسيد بن حضير أحد النقباء وكرهوا إمارة الخزرج عليهم وذهبوا إلى بيعة أبي بكر فبايعوه ، وأقبل الناس من كل جانب يبايعون أبا بكر وكادوا يطأون سعد بن عبادة ، فقال ناس من أصحابه إتقوا سعداً لا تقتلوه . فقال عمر : اقتلوه قتله الله . وتماسكا فقال أبو بكر : مهلاً يا عمر الرفق هنا أبلغ . فأعرض عمر ثم طلب سعد في البيعة فأبى وأشار بشير بن سعد بتركه ، وقال : إنما هو رجل واحد ، فأقام سعد لا يجتمع معهم في الصلاة ولا يفيض معهم في الحديث[7] حتى هلك أبو بكر . ونقل الطبري

---

(١) وفي النسخة الباريسية : فقال المنذر بن الحباب .
(٢) اي جديداً كما بدأ والأصح ان يقول جذعاً بدل جذعة .
(٣) الذي يستجار به ويستغني برأيه .
(٤) اي الذكي اللبق والمرجّب المهان (قاموس)
(٥) وفي نسخة أخرى : المنذر بن الحباب .
(٦) وفي النسخة الباريسية : بشير بن سعد والد النعمان من بني كعب بن الخزرج .
(٧) وفي النسخة الباريسية : في الحج .

أن سعداً بايع يومئذ ، وفي أخبارهم أنه لحق بالشام فلم يزل هنالك حتى مات وأن الجن قتلته وينشدون البيتين الشهيرين وهما

نحن قتلنا سيد الخزرج سعد بن عباده   فرميناه بسهمين فلم نخطء فؤاده

الخلافة الإسلامية

* (الخبر عن الخلافة الاسلامية في هذه الطبقة وما كان فيها من الردّة والفتوحات وما حدث بعد ذلك من الفتن والحروب في الاسلام ثم الاتفاق والجماعة) *

ولما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أمر السقيفة كما قدمناه ، أجمع المهاجرون والأنصار على بيعة أبي بكر ولم يخالف إلا سعد إن صحّ خلافه فلم يلتفت إليه لشذوذه . وكان من أوّل ما اعتمده إنفاذ بعث أسامة ، وقد ارتدت[1] العرب إمّا القبيلة مستوعبة وإمّا بعض منها ، ونجم النفاق والمسلمون كالغنم في الليلة الممطرة لقلّتهم وكثرة عدوّهم وإظلام الجوّ بفقد نبيّهم ، ووقف أسامة بالناس ورغب من عمر التخلف عن هذا البعث والمقام مع أبي بكر شفقة من أن يدهمه أمر ، وقالت له الأنصار فإن أبى إلاّ المضي فليول علينا أسنّ من أسامة . فأبلغ عمر ذلك كله أبا بكر فقام وقعد وقال : لا أترك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أخرج وأنفذه . ثم خرج حتى أتاهم فأشخصهم وشيّعهم وأذن لعمر في الشخوص ، وقال : أوصيكم بعشر فاحفظوها عليّ : لا تخونوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا الطفل ولا الشيخ ولا المرأة ولا تغرقوا نخلاً ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلاّ للأكل ، وإذا مررتم بقوم فرّغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له ، وإذا لقيتم أقواماً فحصوا أواسط رؤسهم وتركوا حولها فتل العصاب فاضربوا بالسيف ما فحصوا عنه ، فإذا قرب عليكم الطعام فاذكروا اسم الله عليه وكلوا ترفعوا باسم الله يا أسامة إصنع ما أمرك به نبي الله ببلاد قضاعة ثم أتت آفل ولا تقصر في شيء من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم» . ثم ودّعه من الجرف ورجع .

وقد كان بعث معه من القبائل من حول المدينة الذين لهم الهجرة في ديارهم وحبس من بقي منهم فصار مسالح حول قبائلهم ومضى أسامة مغذًا وانتهى لما أمر النبي صلى

(١) وفي نسخة ثانية : ارادت .

الله عليه وسلم وبعث الجنود في بلاد قضاعة وأغار على أبنى[1] فسبى وغنم ورجع لأربعين يوما وقيل لسبعين ، ولم يحدث أبو بكر في مغيبه شيئاً ، وقد جاء الخبر بارتداد العرب عامّة وخاصة إلا قريشاً وثقيفاً ، واستغلظ أمر مسيلمة واجتمع على طليحة عوام طيء وأسد وارتدت غطفان وتوقفت هوازن فأمسكوا الصدقة ، وارتد خواص من بني سليم وكذا سائر الناس بكل مكان . وقدمت رسل النبي صلى الله عليه وسلم من اليمن واليمامة وبنى أسد ومن الأمراء من كل مكان بانتقاض العرب عامّة أو خاصة ، وحاربهم بالكتب والرسل وانتظر بمصادمتهم قدوم أسامة ، فعاجلته عبس وذبيان ونزلوا في الإبرق ونزل آخرون بذي القصة ومعهم حبال[2] من بني أسد ومن انتسب إليهم من بني كنانة ، وبعثوا وفداً إلى أبي بكر نزلوا على وجوه من الناس يطلبون الاقتصار على الصلاة دون الزكاة ، فأبى أبو بكر من ذلك ، وجعل على أنقاب المدينة علياً والزبير وطلحة وعبدالله بن مسعود ، وأخذ أهل المدينة بحضور المسجد . ورجع وفد المرتدين وأخبروا قومهم بقلّة أهل المدينة فأغاروا على من كان بأنقاب المدينة ، فبعثوا إلى أبي بكر فخرج في أهل المسجد على النواضح ، فهربوا والمسلمون في أتباعهم إلى ذي خشب ، ثم نفروا إبل المسلمين بلعبات اتخذوها فنفرت ورجعت بهم وهم لا يملكونها إلى المدينة ولم يصبهم شيء ، وظن القوم بالمسلمين الوهن فبعثوا إلى أهل ذي القصة يستقدمونهم .

ثم خرج أبو بكر في التعبية وعلى ميمنته النعمان بن مقرّن وعلى ميسرته عبدالله بن مقرّن[3] ، وعلى الساقة سويد بن مقرن ، وطلع عليهم مع الفجر واقتتلوا فما ذرّقرن الشمس إلا وقد هزموهم وغنموا ما معهم من الظهر وقتل حبال ، واتبعهم أبو بكر إلى ذي القصة فجهز بها النعمان بن مقرن في عدد ورجع إلى المدينة ، ووثب بنو ذبيان وعبس على من كان فيهم من المسلمين فقتلوهم وفعل ذلك غيرهم من المرتدين ، وحلف أبو بكر ليقتلن من المشركين مثل من قتلوه من المسلمين وزيادة . واعتز المسلمون بوقعة أبي بكر وطرقت المدينة صدقات . وقدم أسامة فاستخلفه أبو بكر على المدينة ، وخرج في نفر إلى ذي خشب[4] وإلى ذي القصة ثم سار حتى نزل على أهل

(١) قوله أبنى بضم الهمزة : موضع بناحية البلقاء اهـ .
(٢) وفي نسخة ثانية خبال .
(٣) وفي النسخة الباريسية : معرور .
(٤) وفي النسخة الباريسية : ذي حسا .

الربذة بالأبرق وبها عبس وذبيان وبنو بكر من كنانة وثعلبة بن سعد ومن يليهم من مرة ، فاقتتلوا وانهزم القوم ، وأقام أبو بكر على الأبرق ، وحرم تلك البلاد على بني ذبيان ثم رجع إلى المدينة .

ردّة اليمن : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى مكة وبني كنانة عتاب بن أسيد ، وعلى الطائف وأرضها عثمان بن أبي العاص على المدر ، ومالك بن عوف على الوبر ، وعلى عجز هوازن عكرمة بن أبي جهل ، وعلى نجران وأرضها عمرو بن حزم على الصلاة ، وأبو سفيان بن حرب على الصدقات ، وعلى ما بين زمع وزبيد إلى نجران خالد بن سعيد بن العاص ، وعلى همدان كلها عامر بن شهر الهمداني ، وعلى صنعاء فيروز الديلمي ومسانده دادويه وقيس بن مكشوح المرادي رجعوا إليها بعد قتل الأسود ، وعلى الجنديعلي بن أمية ، وعلى مأرب أبو موسى الأشعري ، وعلى الأشعريين وعكّ الطاهر بن أبي هالة ، وعلى حضرموت زياد بن لبيد البياضي وعكاشة بن ثوربن أصفر الغوثي ، وعلى كندة المهاجر بن أبي أمية ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم غضب عليه في غزوة تبوك فاسترضته له أم سلمة وولاه على كندة ، ومرض فلم يصل إليها ، وأقام زياد بن لبيد ينوب عنه . وكان معاذ بن جبل يعلم القرآن باليمن يتنقل على هؤلاء وعلى هؤلاء في أعمالهم .

وثار الأسود في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاربه بالرسل وبالكتب فقتله الله وعاد الإسلام في اليمن كما كان ، فلما بلغهم الموت انتقضت اليمن وارتدّ أهلها في جميع النواحي وكانت الفالة من جند العنسي بين نجران وصنعاء لا يأوون إلى أحد ، ورجع عمرو بن حزم إلى المدينة واتبعه خالد بن سعيد ، وكان عمرو بن معد يكرب بالجبال حيال فروة بن مسيك وابن مكشوح وتحيل في قتل الابناء فيروز ودادويه وخشنش والاستبداد بصنعاء ، وبعث إلى الفالة من جيش الأسود يغريهم بالأبناء ويعدهم المظاهرة عليهم فجاؤا إليه ، وخشي الأبناء غائلتهم وفزعوا إليه فأظهر لهم المناصحة ، وهيأ طعاماً فجمعهم له ليغدر بهم فظفر بدادويه وهرب فيروز وخشنش وخرج قيس في أثرهما ، فامتنعا بخولان أخوال فيروز وثار قيس بصنعاء وجبى ما حولها ، وجمع الفالة من جنود الأسود إليه . وكتب فيروز إلى أبي بكر بالخبر ، فكتب له بولاية صنعاء ، وكتب إلى الطاهر بن أبي هالة بإعانته ، وإلى عكاشة بن ثور بأن يجمع أهل

تهامة ويقيم بمكانه ، وكتب إلى ذي الكلاع سميفع [1] وذي ظليم حوشب وذي تبان شهر بإعانة الأبناء وطاعة فيروز وأن الجند يأتيهم . وأرسل إليهم قيس بن مكشوح يغريهم بالأبناء ، فاعتزل الفريقان واتبعت عوامّهم قيس بن مكشوح في شأنه ، وعمد قيس إلى عيلات الأبناء الذين مع فيروز فغرّبهم وأخرجهم من اليمن في البرّ والبحر وعرضهم للنهبى ، فأرسل فيروز إلى بني عقيل بن ربيعة وإلى عكّ يستصرخهم ، فاعترضوا عيال فيروز والأبناء الذين معه فاستنقذوهم وقتلوا من كان معه ، وجاؤا إلى فيروز فقاتلوا معه قيس بن مكشوح دون صنعاء فهزموه ، ورجع إلى المكان الذي كان به مع فالة الأسود العنسي .

وانضاف قيس إلى عمرو بن معد يكرب وهو مرتد منذ تنبأ الأسود العنسي ، وقام حيال فروة بن مسيك ، وقد كان فروة وعمرو أسلما وكذلك قيس ، واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم قيساً على صدقات مراد ، وكان عمرو قد فارق قومه سعد العشيرة مع بني زبيد وأحلافها وانحاز إليهم فأسلم معهم وكان فيهم فلما انتقض الأسود ، واتبعه عوام مذحج كان عمرو فيمن اتبعه ، وأقام فروة فيمن معه على الإسلام فولى الأسود عمراً وجعله بحياله .

وكانت كندة قد ارتدّوا وتابعوا الأسود العنسي بسبب ما وقع بينهم وبين زياد الكندي في أمر فريضة من فرائض الصدقة أطلقها بعض بني عمرو بن معاوية بعد أن وقع عليها ميسم الصدقة غلطاً ، فقاتلهم زياد وهزمهم ، فاتفق بنو معاوية على منع الصدقة والردّة إلا شراحيل بن السمط وابنه ، وأشير على زياد بمعاجلتهم قبل أن ينضم إليهم بعض السكاسك وحضرموت وأبضعه وجمد ومشرح ومخوس وأختهم العمرة ، وهرب الباقون ورجع زياد بالسبي والغنائم ، ومرّ بالأشعث بن قيس وبني الحرث بن معاوية واستغاث نساء السبي فغار الأشعث وتنقذهم ، ثم جمع بني معاوية كلهم ومن أطاعه من السكاسك وحضرموت وأقام على ردّته .

وكان أبو بكر قد حارب أهل الردة أولاً بالكتب والرسل ولم يرسل إلى من ارتد وابتدأ بالمهاجرين والأنصار ، ثم استنفر كلاً على من يليه حتى فرغ من آخر أمور الناس لا يستعين بمرتد ، وكتب إلى عتاب بن أسيد بمكة وعثمان بن أبي العاص بالطائف بركوب من ارتد بمن لم يرتدّ وثبت على الأسلام من أهل عملها . وقد كان اجتمع

(١) وفي نسخة ثانية : سميقح .

بتهامة أوشاب[1] من مدلج وخزاعة ، فبعث عتاب إليهم ففرّقهم وقتلهم . واجتمع بشنوءة جمع من الأزد وخثعم وبجيلة فبعث إليهم عثمان بن أبي العاص من فرّقهم وقتلهم . واجتمع بطريق الساحل من تهامة جموع من علكّ والأشعريين فسار إليهم الطاهر بن أبي هالة ومعه مسروق العكّي فهزموهم وقتلوهم ، وأقام بالأجناد ينتظر أمر أبي بكر ومعه مسروق العكي . وبعث أهل نجران من بني الأفعى الذين كانوا بها قبل بني الحرث وهم في أربعين ألف مقاتل ، وجاء وفدهم يطلبون إمضاء العهد الذي بأيديهم من النبي صلى الله عليه وسلم ، فأمضاه أبو بكر إلا ما نسخه الوحي بأن لا يترك دينان بأرض العرب .

ورجعت رسل النبي صلى الله عليه وسلم الذين كان بعثهم عند انتقاض الأسود العنسي وهم : جرير بن عبدالله والأقرع ووبر بن يحنس[2] فرد أبو بكر جريراً ، ليستنفر من ثبت على الإسلام على من ارتدّ ويقاتل خثعم الذين غضبوا لهدم ذي الحليفة فيقتلهم ويقيم بنجران ، فنفذ ما أمره به ولم يمر به أحد إلاّ رجال قليل تتبعهم بالقتل ، وسار إلى نجران وكتب أبو بكر إلى عثمان بن ابي العاص أن يضرب البعوث على مخاليف أهل الطائف ، فضرب على كل مخلاف عشرين وأمر عليهم أخاه ، كتب إلى عتاب بن أسيد أن يضرب على مكة وعملها خمسمائة بعث وأمر عليهم أخاه خالداً وأقاموا ينتظرون ، ثم أمر المهاجر بن أبي أمية بأن يسير إلى اليمن ليصلح من أمره ثم ينفذ إلى عمله وأمره بقتال من بين نجران وأقصى اليمن ففعل ذلك . ومرّ بمكة والطائف فسار معهم خالد بن أسيد وعبد الرحمن بن أبي العاص بمن معهما ، ومرّ بجرير بن عبدالله وعكاشة بن ثور فضمهما إليه ، ثم مر بنجران وانضم إليه فروة بن مسيك ، وجاءه عمرو بن معديكرب وقيس بن مكشوح فأوثقهما وبعث بهما إلى أبي بكر ، وسار إلى لقائه فتتبعهم بالقتل ولم يؤمنهم فقتلوا بكل سبيل . وحضر قيس عند أبي بكر فحظر قتل دادويه ولم يجد أمراً جلياً في أمره ، وتاب عمرو بن معد يكرب واستقال فاقالهما وردّهما .

وسار المهاجر حتى نزل صنعاء وتتبع شذاذ القبائل فقتل من قدر عليه وقبل توبة من رجع إليه وكتب إلى أبي بكر بدخوله صنعاء ، فجاءه الجواب بأن يسير إلى كندة

---

(١) وفي نسخة ثانية : وشباب .

(٢) وفي نسخة ثانية : بن مخنس .

مع عكرمة بن ابي جهل وقد جاءه من ناحية عمان ومعه خلق كثير من مهرة والأزد وناجية وعبد القيس وقوم من مالك بن كنانة وبني العنبر ، وقدم أبين وأقام بها لاجتماع النخع وحمير ثم سار مع المهاجر إلى كندة ، وكتب زياد إلى المهاجر يستحثه فلقيه الكتاب بالمفازة بين مأرب وحضرموت ، فاستخلف عكرمة على الناس وتعجل إلى زياد ونهدوا إلى كندة وعليهم الأشعث بن قيس فهزموهم وقتلوهم وفرّوا إلى النجير حصن لهم فتحصنوا فيه مع من استغووه من السكاسك وشذاذ السكون[1] وحضرموت وسدّوا عليهم الطريق إلا واحدة جاء عكرمة بعدهم فسدّها وقطعوا عنهم المدد ، وخرجوا مستميتين في بعض الأيام فغلبوهم وأخرجوهم . واستأمن الأشعث إلى عكرمة بما كانت أسماء بنت النعمان بن الجون تحته فخرج إليه ، وجاء به إلى المهاجر وأمّنه في أهله وماله وتسعة من قومه على أن يفتح لهم الباب ، فاقتحمه المسلمون وقتلوا المقاتلة وسبوا الذرية فكان في السبي ألف امرأة ، فلما فرغ من النجير دعا بكتاب الأمان من الأشعث واذا هو قد كتب غرض نفسه في التسعة رجال من أصحابه ، فأوثقه كتافاً وبعث به إلى أبي بكر ينظر في أمره ، فقدم مع السبايا والأسرى ، فقال له أبو بكر : أقتلك . قال إني راودت القوم على عشرة وأتيناهم بالكتاب مختومة ، فقال أبو بكر : إنما الصلح على من كان في الصحيفة وأما غير ذلك فهو مردود[2] . فقال يا أبا بكر : احتسب فيّ وأقلني واقبل إسلامي وردّ عليّ زوجتي ، وقد كان تزوج أم فروة أخت أبي بكر حين قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخرها إلى أن يرجع ، فأطلقه أبو بكر وقبل إسلامه وردّ عليه زوجته وقال ليبلغني عنك خير ، ثم خلّى عن القوم فذهبوا وقسم الأنفال .

بعث الجيوش للمرتدين

لما قدم أسامة ببعث الشام على أبي بكر استخلفه على المدينة ومضى إلى الربذة فهزم بني عبس وذبيان وكنانة بالأبرق ورجع إلى المدينة كما قدّمناه ، حتى إذا استجم جند أسامة وتاب من حوالي المدينة خرج إلى ذي القصة على بريد من تلقاء نجد ، فعقد فيها أحد عشر لواءً على أحد عشر جنداً لقتال أهل الردّة ، وأمر كل واحد باستنفار

(١) وفي النسخة الباريسية : وشذاذ الكون .
(٢) وفي النسخة الباريسية : واما قبل ذلك فهو مراودة .

من يليه من المسلمين من كل قبيلة ، وترك بعضها لحماية البلاد . فعقد لخالد بن الوليد وأمره بطليحة وبعده لمالك بن نويرة بالبطاح ، ولعكرمة بن أبي جهل وأمره بمسيلمة واليمامة ثم اردفه بشرحبيل بن حسنة وقال له : إذا فرغت من اليمامة فسر إلى قتال قضاعة ثم تمضي إلى كندة بحضرموت ، ولخالد بن سعيد بن العاص وقد كان قدم بعد الوفاة الى المدينة من اليمن وترك أعماله فبعثه إلى مشارف الشام ، ولعمرو بن العاص إلى قتال المرتدة من قضاعة ، ولحذيفة بن محصن وعرفجة بن هرثمة فحذيفة لأهل دبا وعرفجة لمهرة وكل واحد منهما أمير في عمله على صاحبه ، ولطريفة بن حاجز وبعثه إلى بني سليم ومن معهم من هوازن ، ولسويد بن مقرن وبعثه إلى تهامة اليمن ، وللعلاء بن الحضرمي وبعثه إلى البحرين .

وكتب إلى الأمراء عهودهم بنص واحد : « بسم الله الرحمن الرحيم هذا عهد من أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم لفلان حين بعثه فيمن بعثه لقتال من رجع عن الإسلام وعهد اليه أن يتقي الله ما استطاع في أمره بالجدّ في أمر الله ومجاهدة من تولى عنه ورجع عن الاسلام إلى أماني الشيطان بعد أن يعذر إليهم فيدعوهم بدعاية الإسلام فإن أجابوه أمسك عنهم وإن لم يجيبوه شنّ غارته عليهم حتى يقرّوا له ثم ينبئهم بالذي عليهم والذي لهم فيأخذ ما عليهم ويعطيهم الذي لهم لا ينظرهم ولا يردّ المسلمين عن قتال عدوّهم . فمن أجاب إلى أمر الله عز وجل وأقرّ له قبل ذلك منه وأعانه عليه بالمعروف . وإنما يقاتل من كفر بالله على الإقرار بما جاء من عندالله فإذا أجاب الدعوة لم يكن عليه سبيل وكان الله حسيبه بعد فيما استسرّ به ، ومن لم يجب إلى داعية الله قتل وقوتل حيث كان وحيث بلغ مراغمة لا يقبل الله من أحد شيئاً مما أعطى إلاّ الإسلام فمن أجابه وأقرّ قبل منه وأعانه ، ومن أبى قاتله فإن أظهره الله عليه عز وجلّ قتلهم فيه كل قتلة بالسلاح والنيران ثم قسم ما أفاء الله عليه إلا الخمس فانه يبلغناه ويمنع أصحابه العجلة والفساد وأن يدخل فيهم حشواً حتى يعرفهم ويعلم ما هم لئلا يكونوا عيوناً ولئلا يؤتى المسلمون من قبلهم ، وأن يقتصد بالمسلمين ويرفق بهم في السير والمنزل ويتفقدهم ولا يعجل عن بعض ويستوصي بالمسلمين في حسن الصحبة ولين القول » انتهى .

وكتب إلى كل من بعث إليه الجنود من المرتدة كتاباً واحداً في نسخ كثيرة على يد رسل تقدّموا بين أيديهم نصه بعد البسملة : « هذا عهد من أبي بكر خليفة رسول الله صلى

الله عليه وسلم إلى من بلغه كتابي هذا من عامة أو خاصة أقام على الإسلام أو رجع عنه ، سلام على من اتبع الهدى ولم يرجع إلى الضلالة والهوى ،[1] فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلاّ هو وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وأومن بما جاء به وأكفر من أبى وأجاهده أما بعد» . ثم قرّر أمر النبوة ووفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأطنب في الموعظة ثم قال : «وإني بعثت إليكم فلاناً في جيش من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان وأمرته ألا يقاتل أحداً ولا يقتله حتى يدعوه إلى داعية الله فمن استجاب له وأقر وكف وعمل صالحاً قبل منه وأعانه ، ومن أبى أمرته أن يقاتله على ذلك ثم لا يبقي على أحد منهم قدر عليه فمن اتبعه فهو خير له ومن تركه فلن يعجز الله ، وقد أمرت رسولي أن يقرأ كتابي في كل مجمع لكم والداعية للأذان فإذا أذن المسلمون فأذنوا كفّوا عنهم وإن لم يؤذنوا فاسألوهم بما عليهم فإن أبو عاجلوهم وإن أقرّوا قبل منهم وحملهم على ما ينبغي لهم» انتهى . فنفذت الرسل بالكتب أمام الجنود وخرجت الأمراء ومعهم العهود وكان أوّل ما بدأ به خالد طليحة وبني أسد .

خبر طليحة

كان طليحة قد ارتدّ في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان كاهناً فادّعى النبوّة واتبعه أفاريق من بني إسرائيل[2] ونزل سميراء ، وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرار بن الأزور إلى قتاله مع جماعة ، فاجتمع عليهم المسلمون وهم ضرار بمناجزته ، فأتى الخبر بموت النبي صلى الله عليه وسلم فاستطار أمر طليحة واجتمعت إليه غطفان وهوازن وطيء ، وفرّ ضرار ومن معه من العمال إلى المدينة وقدمت وفودهم على أبي بكر في الموادعة على ترك الزكاة فأبى من ذلك ، وخرج كما قدّمناه إلى غطفان وأوقع بهم بذي القصة فانضموا بعد الهزيمة إلى طليحة وبني أسد ببزاخة وكذلك فعلت طيء وأقامت بنو عامر وهوازن ينتظرون .

وجمل[3] خالد إلى طليحة ومعه عيينة بن حصن على بزاخة من مياه بني أسد وأظهر أنه

(١) وفي نسخة الباريسية : والعمي .

(٢) وفي النسخة الباريسية : بني أسد .

(٣) وفي نسخة ثانية : صمد .

يقصد خيبر ثم ينزل إلى سلمى وأجأ فيبدأ بطيء . وكان عديّ بن حاتم قد خرج معه في الجيش فقال له : أنا أجمع لك قبائل طيء يصحبونك إلى عدوّك . وسار إليهم فجاء بهم وبعث خالد عكاشة بن محصن وثابت بن أقرم من الأنصار طليعة ولقيهما طليحة وأخوه فقتلاهما ومرّ بهما المسلمون فعظم عليهم قتلهما . ثم عبّى خالد كتائبه وثابت بن قيس على الأنصار وعدّي بن حاتم على طيء ولقي القوم فقاتلهم ، وعيينة بن حصن مع طليحة في سبعمائة من غطفان ، واشتدّ المجال بينهم وطليحة في عباءة يتكذب لهم في انتظار الوحي ، فجاء عيينة بعدما ضجر من القتال [1] وقال : هل جاءك أحد بعد ؟ قال : لا ثم راجعه ثانية ثم ثالثة فقال : جاء . وقال إنّ لك رحى كرحاه ، وحديثاً لا تنساه . فقال عيينة : يا بني فزارة الرجل كذاب ، وانصرف فانهزموا وقتل من قتل وأسلم الناس طليحة فوثب على فرسه واحتقب امرأته فنجا بها إلى الشام ، ونزل في كلب [2] من قضاعة على النقع حتى أسلمت أسد وغطفان ، فأسلم ثم خرج معتمراً أيام عمر ولقيه بالمدينة فبايعه وبعثه في عساكر الشام ، فأبلى في الفتح ، ولم يصب عيالات بني أسد في واقعة بزاخة شيء لأنهم كانوا أخرجوهم في الحصون عند واسط وأسلموا خشية على ذراريهم .

خبر هوازن وسليم وبني عامر

كان بنو عامر ينتظرون أمر طليحة وما تصنع أسد وغطفان حتى أحيط بهم وكان قرة ابن هبيرة في كعب وعلقمة بن علاثة [3] في كلاب وكان علقمة قد ارتد بعد فتح الطائف ، ولما قبض النبي صلى الله عليه وسلم رجع إلى قومه ، وبلغ أبا بكر خبره فبعث إليه سرية مع القعقاع ابن عمر ومن بني تميم فأغار عليهم ، فأفلت وجاء بأهله وولده وقومه فأسلموا . وكان قرّة بن هبيرة قد لقي عمرو بن العاصي منصرفه من عمان بعد الوفاة وأضافه وقال له : اتركوا الزكاة فانّ العرب لا تدين لكم بالأتاوة ، فغضب لها عمرو وأسمعه وأبلغها أبا بكر ، فلما أوقع خالد ببني أسد وغطفان وكانت هوازن وسليم وعامر ينتظرون أمرهم فجاؤا إلى خالد وأسلموا وقبل منهم الإسلام ، إلا من

(١) وفي النسخة الباريسية : عندما ظهر القتال .
(٢) اي نزل عند بني كلب .
(٣) وفي نسخة ثانية : بن علاقة .

عدا على أحد من المسلمين أيام الردّة فانه تتبعهم فأحرق وقمط [١] ورضخ بالحجارة ورمى من رؤس الجبال ، ولما فرغ من أمر بني عامر أوثق عيينة بن حصن وقرّة بن هبيرة وبعث بهما إلى أبي بكر فتجاوز لهما وحقن دماءهما .

ثم اجتمعت قبائل غطفان إلى سلمى بنت مالك بن حذيفة من بدر بن ظفر في الحوأب فنزلوا إليها وتذامروا ، وكانت سلمى هذه قد سبيت قبل وأعتقتها عائشة وقال لها النبي صلى الله عليه وسلم يوماً وقد دخل عليها وهي في نسوة ببيت عائشة فقال : إنّ احداكن تستنبح كلاب الحوأب ، وفعلت ذلك واجتمع إليها الفلال من غطفان وهوازن وسليم وطيء وأسد ، وبلغ ذلك خالداً وهو يتبع الثأر ويأخذ الصدقات ، فسار إليهم وقاتلهم وسلمى واقفة على جملها حتى عقر وقتلت وقتل حول هودجها مائة رجل ، فانهزموا وبعث خالد بالفتح على أثره بعده بعشرين ليلة .

وأما بنو سليم فكان الفجاءة بن عبدياليل قدم على أبي بكر يستعينه مدعياً إسلامه ويضمن له قتال أهل الردّة فأعطاه وأمره ، وخرج إلى الجون وارتد وبعث نجبة بن أبي المثنى من بني الشريد ، وأمره بشن الغارة على المسلمين في سليم وهوازن . فبعث أبو بكر إلى طريفة بن حاجز قائده على جرهم وأعانه بعبدالله بن قيس الحاسبي فنهضا إليه ولقياه ، فقتل نجبة وهرب الفجاءة فلحقه طريفة فأسره وجاء به إلى أبي بكر فأوقد له في مصلى المدينة حطباً ثم رمى به في النار مقموطاً ، وفاءت بنو سليم كلهم وفاء معهم أبو شجرة بن عبد العزى أبو الخنساء وكان فيمن ارتد .

خبر بني تميم وسجاح

قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وعماله في بني تميم الزبرقان بن بدر على الرباب وعوف والأبناء وقيس بن عاصم على المقاعس والبطون وصفوان بن صفوان وسبرة بن عمرو على بني عمرو ووكيع بن مالك على بني مالك ومالك بن نويرة على حنظلة [٢] ، فجاء صفوان إلى أبي بكر حين بلغته الوفاة بصدقات بني عمرو ، وجاء الزبرقان بصدقات أصحابه ، وخالفه قيس بن عاصم في المقاعس والبطون لأنه كان ينتظره ، وبقي من أسلم منهم متشاغلاً بمن تربص أو ارتاب . وبينما هم على ذلك فجئتهم

(١) وفي نسخة ثانية : وقحط .
(٢) وفي نسخة ثانية : على بني حنظلة .

سجاح[١] بنت الحارث بن سويد من بني عقفان أحد بطون تغلب وكانت تنبأت بنبأ الوفاة ، واتبعها الهذيل بن عمران في بني تغلب وعقبة بن هلال في النمر والسليل بن قيس في شيبان وزياد بن بلال وكان الهذيل نصرانياً فترك دينه إلى دينها ، وأقبلت من الجزيرة في هذه الجموع قاصدة المدينة لتغزو أبا بكر والمسلمين ، وانتهت إلى الحرف[٢] فدهم بني تميم أمر عظيم لما كانوا عليه من اختلاف الكلمة ، فوادعها مالك بن نويرة وثناها عن الغزو وحرّضها[٣] على بني تميم ففرّوا أمامها ، ورجع إليها وكيع بن مالك واجتمعت الرباب وضبة فهزموا أصحاب سجاح وأسروا منهم ، ثم اصطلحوا .

وسارت سجاح فيمن معها تريد المدينة فبلغت النباج فاعترضهم بنو الهجيم[٤] فيمن تأشب[٥] إليهم من بني عمرو وأغاروا عليهم فأسر الهذيل وعقبة ، ثم تحاجزوا على أن تطلق أسراهم ويرجعوا ولا يجتازوا عليهم ، ورجع عن سجاح مالك بن نويرة ووكيع بن مالك إلى قومهم ويئست سجاح وأصحابها من الجواز عليهم ، ونهدت إلى بني حنيفة وسار معها من تميم الزبرقان بن بدر[٦] وعطارد بن حاجب وعمرو بن الأهتم وغيلان بن حريث[٧] وشبث بن ربعي ونظراؤهم ، وصانعها مسيلمة بما كان فيه من مزاحمة ثمامة بن أثال له في اليمامة . وزحف شرحبيل بن حسنة والمسلمون إليه فاهدى لها واستأمنها وكانت نصرانية أخذت الدين من نصارى تغلب ، فقال لها مسيلمة : نصف الأرض لنا ونصف الأرض لقريش لكنهم لم يعدلوا فقد جعلت نصفهم لك .
ويقال إنها جاءت إليه واستأمنته وخرج إليها من الحصن إلى قبة ضربت لها بعد أن جمرها[٨] فدخل إليها وتحرّك الحرس حوالي القبة فسجع لها وسجعت له من أسجاع الفرية ، فشهدت له بالنبوة وخطبها لنفسه فتزوجته وأقامت عنده ثلاثا ورجعت إلى

(١) وفي النسخة الباريسية : شجاح .
(٢) وفي نسخة ثانية : الحرث .
(٣) وفي النسخة الباريسية : فحملها على بني تميم .
(٤) وفي نسخة ثانية : النجيم .
(٥) تأشب القوم : اختلطوا (قاموس) .
(٦) وفي النسخة الباريسية : بن زيد .
(٧) وفي النسخة الباريسية : بن حرسه .
(٨) اي نجرّها وطيّبها وفي النسخة الباريسية خمرها .

قومها ، فعذلوها في التزويج على غير صداق فرجعت إليه فقال لها : ناد في أصحابك إني وضعت عنهم صلاة الفجر والعتمة مما فرض عليهم محمد ، وصالحته على أن يحمل لها النصف من غلات اليمامة فأخذته وسألت أن يسلفها النصف للعام القابل ، ودفعت الهذيل وعقبة لقضبه فهم على ذلك ، وإذا بخالد بن الوليد وعساكره قد أقبلوا فانفضت جموعهم وافترقوا ، ولحقت سجاح بالجزيرة فلم تزل في بني تغلب حتى نقل معاوية عام الجماعة بني عقفان عشيرتها إلى الكوفة ، وأسلمت حينئذ سجاح وحسن إسلامها . ولما افترق وفد الزبرقان والأقرع على أبي بكر وقالا : إجعل لنا خراج البحرين ونحن نضمن لك أمرها ففعل وكتب لهم بذلك ، وكان طلحة بن عبيدالله يتردّد بينهم في ذلك ، فجاء إلى عمر ليشهد في الكتاب فمزقه ومحاه وغضب طلحة ، وقال لأبي بكر رضي الله عنه : أنت الأمير أم عمر رضي الله عنه ؟ فقال : عمر غير أن الطاعة لي . وشهد الأقرع والزبرقان مع خالد اليمامة والمشاهد كلها . ثم مضى الأقرع مع شرحبيل إلى دومة .

البطاح ومالك بن نويرة

لما انصرفت سجاح إلى الجزيرة وراجع بنو تميم الإسلام أقام مالك بن نويرة متحيراً في أمره واجتمع إليه من تميم بنو حنظلة واجتمعوا بالبطاح ، فسار إليهم خالد بعد أن تقاعد عنه الأنصار يسألونه انتظار أبي بكر ، فأبى إلا انتهاز الفرصة من هؤلاء ، فرجعوا إلى اتباعه ولحقوا به . وكان مالك بن نويرة لما تردّد في أمره فرّق بني حنظلة في أموالهم ونهاهم عن القتال ورجع إلى منزله ، ولما قدم خالد بعث السرايا يدعون إلى الاسلام ويأتون بمن لم يجب أن يقتلوه ، فجاؤا بمالك بن نويرة في نفر معه من بني ثعلبة بن يربوع واختلفت السريّة فيهم ، فشهد أبو قتادة أنهم أذنوا وصلّوا فحبسهم عند ضرار بن الأزور وكانت ليلة ممطرة فنادى مناديه أن أدفئوا أسراكم وكانت في لغة كنانة كناية[1] عن القتل فبادر ضرار بقتلهم وكان كنانياً . وسمع خالد الواعية فخرج متأسفاً وقد فرغوا منهم ، وأنكر عليه أبو قتادة فزجره خالد ، فغضب ولحق بأبي بكر ويقال : إنهم لما جاؤا بهم إلى خالد خاطبه مالك بقوله : فعل صاحبكم شأن

(١) وفي نسخة أخرى : وكانت في لغته كناية .

صاحبكم فقال له خالد : أو ليس لك بصاحب ؟ ثم قتله[١] وأصحابه كلهم ثم قدم خالد على أبي بكر وأشار عمر أن يقيد منه بمالك بن نويرة او يعزله فأبى ، وقال : ما كنت أشيم سيفاً سلّه الله على الكافرين ، وودى مالكاً وأصحابه وردّ خالداً إلى عمله .

خبر مسيلمة واليمامة

لما بعث أبو بكر عكرمة بن أبي جهل إلى مسيلمة وأتبعه شرحبيل استعجل عكرمة فانهزم وكتب إلى أبي بكر بالخبر ، فكتب إليه لا ترجع فتوهن الناس وامض إلى حذيفة وعرفجة فقاتلوا مهرة وأهل عمان فإذا فرغتم فامض أنت وجنودك واستنفروا من مررتم عليه حتى تلقوا المهاجر بن أبي أمية باليمن وحضرموت ، وكتب إلى شرحبيل يمضي إلى خالد فإذا فرغتم فامض أنت إلى قضاعة فكن مع عمرو بن العاص على من ارتدّ منهم . ولما فرغ خالد من البطاح ورضي عنه أبو بكر بعثه نحو مسيلمة وأوعب معه الناس ، وعلى المهاجرين أبو حذيفة وزيد وعلى الأنصار ثابت بن قيس والبرّاء بن عازب ، وتعجّل خالد إلى البطاح وانتظر البعوث حتى قدمت عليه ، فنهض إلى اليمامة وبنو حنيفة يومئذ كثير يقال أربعون ألف مقاتل متفرقين في قراها وحجرها ، وتعجل شرحبيل كما فعل عكرمة بقتال مسيلمة فنكب وجاء خالد فلامه على ذلك . ثم جاء خليط من عند أبي بكر مدداً لخالد ليكون ردءاً له من خلفه ففرّت جموع كانت تجمعت هنالك من فلال سجاح ، وكان مسيلمة قد جعل لها جعلاً .

وكان الرَجّال[٢] بن عنفوة من أشراف بني حنيفة شهد لمسيلمة بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أشركه معه في الأمر لأنّ الرجال ، كان قد هاجر وأقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ القرآن وتفقّه في الدين فلما ارتدّ مسيلمة بعثه النبي صلى الله عليه وسلم معلماً لأهل اليمامة ومشغباً على مسيلمة فكان أعظم فتنة على بني حنيفة

---

(١) رثاه اخوه بقصيدة من أشجا الشعر وأحزنه . منها :

لقد لامني عند القبور على البكا ... رفيقي لتذراف الدموع السوافك
وقال اتبكي كل قبر رأيته ... لقبر ثوى بين اللوى ، فالدكادك ؟
فقلت له : إن الشجا يبعث الشجا ... فدعني فهذا كله قبر مالك .

(٢) الرجّال بوزن شدّاد بالجيم ، قال في القاموس : ووهم من ضبطه بالحاء . واسمه على ما في البداية : نهار اقاله نصر) وفي النسخة الباريسية الرحال

منه . واتبع مسيلمة على شأنه وشهد له وكان يؤذن لمسيلمة ويشهد له بالرسالة بعد النبي صلى الله عليه وسلم ، فعظم شأنه فيهم وكان مسيلمة ينتهي إلى أمره ، وكان مسيلمة يسجع لهم بأسجاع كثيرة يزعم أنها قرآن يأتيه ، ويأتي بمخارق يزعم أنها معجزات فيقع منها ضدّ المقصود .

ولما بلغ مسيلمة وبني حنيفة دنوّ خالد ، خرجوا وعسكروا في منتهى ريف اليمامة[١] واستنفروا الناس فنفروا إليهم ، وأقبل خالد ولقيه شرحبيل بن حسنة فجعله على مقدمته ، حتى إذا كان على ليلة من القوم هجموا على مجاعة في سرية أربعين أو ستين راجعين من بلاد بني عامر وبني تميم يثأرون فيهم فوجدوهم دون ثنية اليمامة فقتلوهم أجمعين ، وقيل له استبق مجاعة بن مرارة إن كنت تريد اليمامة فاستبقى .

ثم سار خالد ونازل بني حنيفة ومسيلمة والرجال على مقدمة مسيلمة واشتدت الحرب وانكشف المسلمون حتى دخل بنو حنيفة خباء خالد ، ومجاعة بها أسير مع أم متمم[٢] زوجة خالد ، فدافعهم عنها مجاعة وقال : نعمت الحرة . ثم تراجع المسلمون وكرّوا على بني حنيفة فقال المحكم بن الطفيل : ادخلوا الحديقة يا بني حنيفة فاني أمنع أدباركم ، فقاتل ساعة ثم قتله عبد الرحمن بن أبي بكر ، ثم تذامر المسلمون وقاتل ثابت بن قيس فقتل ثم زيد بن الخطاب ثم أبو حذيفة ثم سالم مولاه ثم البراء اخو أنس بن مالك وكان تأخذه عند الحرب رعدة حتى ينتفض ويقعد عليه الرجال حتى يبول ، ثم يثور كالأسد فقاتل وفعل الأفاعيل . ثم هزم الله العدو وألجأهم المسلمون إلى الحديقة وفيها مسيلمة فقال البراء ألقوني عليهم من أعلى الجدار فاقتحم ، وقاتلهم على باب الحديقة ودخل المسلمون عليهم ، فقتل مسيلمة وهو مزبد متساند لا يعقل من الغيظ ، وكان زيد بن الخطاب قتل الرجال بن عنفوة . وكان خالد لما نازل بني حنيفة ومسيلمة ودارت الرحى عليه طلب البراز فقتل جماعة ، ثم دعا مسيلمة للبراز والكلام محادثة يحاول فيه غرة وشيطانه يوسوس إليه ، ثم ركبه خالد فأرهقه وأدبروا وزالوا عن مراكزهم وركبهم المسلمون فانهزم[٣] . وتطاير الناس عن مسيلمة بعد أن

---

(١) وفي نسخة أخرى : ريف اليمن .

(٢) وفي رواية : غير ام تميم ، وفي النسخة الباريسية مع ام اميم .

(٣) اي فانهزم اصحاب مسيلمة .

قالوا له أين ما كنت تعدنا ؟ فقال : قاتلوا على أحسابكم . وأتاه وحشي فرماه بحربته فقتل .

واقتحم الناس عليه حديقة الموت من حيطانها وأبوابها فقتل فيها سبعة عشر ألف مقاتل من بني حنيفة ، وجاء خالد بمجاعة ووقفه على القتلى ليريه مسيلمة فمرّ بمحكم فقال : هوذا ؟ فقال مجاعة : هذا والله خير منه ، ثم أراه مسيلمة رويجل دميم أخينس ، فقال خالد : هذا الذي فعل فيكم ما فعل ، فقال مجاعة : قد كان ذلك وإنه والله ما جاءك إلاّ سرعان الناس وإنّ جماهيرهم في الحصون فهلم أصالحك على قومي . وقد كان خالد التقط من دون الحصون ما جاء من مال ونساء وصبيان ونادى بالنزول عليها فلما قال له مجاعة ذلك قال له : أصالحك على ما دون النفوس . وانطلق يشاورهم فأفرغ السلاح على النساء ووقفن بالسور ثم رجع إليه وقال أبوا أن يجيزوا ذلك ، ونظر خالد إلى رؤس الحصون قد اسودّت والمسلمون قد نهكتهم الحرب وقد قتل من الأنصار ما ينيف على الثلثمائة وستين ، ومن المهاجرين مثلها ومن التابعين لهم مثلها أو يزيدون ، وقد فشت الجراحات فيمن بقي ، فجنح إلى السلم فصالحه على الصفراء والبيضاء ، ونصف السبي والحلقة وحائط ومزرعة من كل قرية ، فأبوا فصالحهم على الربع فصالحوه . وفتحت الحصون فلم يجد فيها إلاّ النساء والصبيان فقال خالد : خدعتني يا مجاعة فقال : قومي ولم أستطع إلاّ ما صنعت فعقد له وخيرهم ثلاثاً فقال : له سلمة بن عمير لا نقبل صلحاً ونعتصم بالحصون ونبعث إلى أهل القرى فالطعام كثير والشتاء قد حضر، فتشاءم مجاعة برأيه وقال لهم لولا أني خدعت القوم ما أجابوا إلى هذا ، فخرج معه سبعة من وجوه القوم وصالحوا خالداً وكتب لهم وخرجوا إلى خالد للبيعة والبراءة مما كانوا عليه . وقد أضمر سلمة بن عمير الفتك بخالد فطرده حين وقعت عينه عليه وأطلع أصحابه على غدره فأوثقوه وحبسوه ثم أفلت فاتبعوه وقتلوه . وكان أبو بكر بعث إلى خالد مع سلمة بن وقش إن أظفره الله أن يقتل من جرت عليه الموسى من بني حنيفة ، فوجده قد صالحهم فأتم عقده معهم ، ووفى لهم وبعث وفداً منهم إلى أبي بكر بإسلامهم فلقيهم وسالهم عن اسجاع مسيلمة فقصّوها عليه ، فقال سبحان الله هذا الكلام ما خرج من إلاّ ولا برّ فأين يذهب بكم عن أحلامكم وردّهم إلى قومهم .

ردّة الحطم وأهل البحرين

لما فرغ خالد من اليمامة ارتحل عنها إلى وادٍ من أوديتها وكانت عبد القيس وبكر بن وائل وغيرهم من أحياء ربيعة قد ارتدّوا بعد الوفاة وكذا المنذر بن ساوى من بعدها بقليل ، فأما عبد القيس فردّهم الجارود بن المعلي وكان قد وفد وأسلم ودعا قومه فأسلموا فلما بلغهم خبر الوفاة ارتدوا وقالوا لو كان نبياً ما مات فقال لهم الجارود تعلمون أن لله أنبياء من قبله ولم تروهم وتعلمون أنهم ماتوا ومحمد صلى الله عليه وسلم قد مات ثم تشهد فتشهدوا معه وثبتوا على إسلامهم ، وخلوا بين سائر ربيعة وبين المنذر بن ساوى والمسلمين .

وقال ابن إسحق كان أبو بكر بعث العلاء بن الحضرمي إلى المنذر وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولاه فلما كانت الوفاة وارتدت ربيعة ونصبوا المنذر بن النعمان بن المنذر وكان يسمّى المغرور ، فأقاموه ملكاً كما كان قومه بالحيرة ، وثبت الجارود وعبد القيس على الإسلام ، واستمرّ[1] بكر بن وائل على الردّة ، وخرج الحطم بن ربيعة أخو بني قيس بن ثعلبة حتى نزل بين القطيف وهجر ، وبعث إلى دارين فأقاموا ليجعل عبد القيس بينه وبينهم ، وأرسل إلى المغرور بن سويد أخي النعمان بن المنذر وبعثه إلى جواثي[2] وقال اثبت فان ظفرت ملكتك بالبحرين حتى تكون كالنعمان بالحيرة ، فحاصره المسلمون[3] بجواثي وجاء العلاء بن الحضرمي لقتال أهل الردة بالبحرين ومر باليمامة فاستنفر ثمامة بن أثال في مسلمة بني حنيفة وكان متردداً ، وألحق عكرمة بعمان ومهرة ، وأمر شرحبيل بالمقام حيث هو يغاور مع عمرو بن العاص أهل الردّة من قضاعة ، عمرو يغاور سعداً وبلق وشرحبيل يغاور كلباً ولفها . ثم مرّ ببلاد بني تميم فاستقبله بنو الرباب وبنو عمرو[4] ومالك بن نويرة بالبطاح يقاتلهم ووكيع بن مالك يواقف عمرو بن العاص وقيس بن عاصم من المقاعس ، والبطون يواقف الزبرقان بن بدر والأبناء عوف وقد أطاعوه على الاسلام وحنظلة متوقفون . فلما رأى

(١) وفي النسخة الباريسية : واستفحل أمر بكر .
(٢) وفي النسخة الباريسية : الى جوله .
(٣) وفي النسخة الباريسية : فحاصر المسلمين .
(٤) وفي نسخة ثانية : بنو عمر .

قيس بن عاصم تلقى الرباب وبني عمر[1] وقدم وجاء بالصدقات إلى العلاء وخرج معه لقتال البحرين ، فسار مع العلاء من بني تميم مثل عسكره ونزل هجر وبعث إلى الجارود أن ينازل بعبد القيس الحطم وقومه مما يليه ، واجتمع المشركون إلى الحطم إلا أهل دارين ، والمسلمون إلى العلاء ، وخندقوا واقتتلوا وسمعوا في بعض الليالي ضوضأة شديدة أي جلبة وصياحاً وبعثوا من يأتيهم بخبرها فجاءهم بأنّ القوم سكارى ، فبيتوهم ووضعوا السيوف فيهم واقتحموا الخندق وفر القوم هراباً فمتمرد وناج ومقتول ومأسور .

وقتل قيس بن عاصم الحطم بن ربيعة ، ولحق جابر بن بجير وضربه فقطع عصبه ومات ، وأسر عفيف بن المنذر والمغرور بن سويد وقال للعلاء : أجرني فقال له العلاء : أنت غررت بالناس ، فقال : لكني أنا مغرور ، ثم أرسل وأقام بهجر . ويقال إن المغرور إسمه وليس هو بلقب وقتل المغرور بن سويد بن المنذر وقسم الأنفال بين الناس ، وأعطى عفيف بن المنذر وقيس بن عاصم وثمامة بن أثال من أسلاب القوم وثيابهم ، وقصد الفلال إلى دارين وركبوا السفين إليها ورجع الآخرون إلى قومهم .

وكتب العلاء إلى من أقام على إسلامه من بكر بن وائل بالقعود لأهل الردة في السبل وإلى خصفة التيمي والمثنى بن حارثة بمثل ذلك ، فرجعوا إلى دارين وجمعهم الله بها . ثم لما جاءته كتب بكر بن وائل وعلم حسن إسلامهم أمر أن يؤتى من خلفه على أهل البحرين ثم لما ندب الناس إلى دارين وأن يستعرضوا البحر ، فارتحلوا واقتحموا البحـر على الظهر ، وكلهم يدعو : يا أرحم الراحمين يا كريم يا حليم يا أحد يا صمد يا حي يا محيي الموتى يا حيّ يا قيوم لا إله إلا أنت يا ربنا . ثم أجازوا الخليج يمشون على مثل رمل مشياً فوقها ما يغمر أخفاف الإبل في مسيرة يوم وليلة ، فلقوا العدوّ واقتتلوا ، وما تركوا بدارين مخبراً وسبوا الذراري واستاقوا الأموال ، وبلغ نفل الفارس ستة آلاف والراجل ألفين .

ورجع العلاء إلى البحرين وضرب الإسلام بجرانه . ثم أرجف المرجفون بأن أبا شيبان وثعلبة والحر قد جمعهم مفروق الشيباني على الردة ، فوثق العلاء باللهازم وتقاربهم[2]

---

(١) وفي نسخة أخرى : يلقي الرباب وعمرو العلاء .

(٢) وفي نسخة أخرى : بان اللهازم تفارقهم .

وكانوا مجمعين على نصره ، وأقبل العلاء بالناس فرجعوا إلى من أحب المقام ، وقتل ثمامة بن أثال فيهم . ومرّوا بقيس بن ثعلبة بن بكر بن وائل فرأوا خميصة الخطم عليه فقالوا هو قتله ! فقال : لم أقتله ولكن الأمير نفلنيها فلم يقبلوا وقتلوه . وكتب العلاء إلى أبي بكر بهزيمة أهل الخندق وقتل الخطم قتله زيد وسميفع [1] فكتب إليه أبو بكر إن بلغك عن بني ثعلبة ما خاض فيه المرجفون فابعث إليهم جنداً وأوصهم وشرّد بهم من خلفهم .

ردة أهل عمان ومهرة واليمن [2]

نبغ بعمان بعد الوفاة رجل من الأزد يقال له لقيط بن مالك الأزدي يسامى في الجاهلية الجلندي فدفع عنها الملكين اللذين كانا بها ، وهما جيفر وعبد [3] ابنا الجلندي ، فارتدّ وادعى النبوة وتغلب على عمان ودفع عنها الملكين ، وبعث جيفر إلى أبي بكر بالخبر ، فبعث أبو بكر حذيفة بن محصن من حمير وعرفجة البارقي ، حذيفة إلى عمان وعرفجة إلى مهرة ، وإن اجتمعا فالأمير صاحب العمل ، وأمرهما أن يكاتبا جيفر أو يأخذا برأيه . وقد كان بعث عكرمة إلى اليمامة ومسيلمة ووقعت عليه النكبة كما مرّ ، فأمره بالمسير إلى حذيفة وعرفجة ليقاتل معهما عمان ومهرة ويتوجه إذا فرغ من ذلك إلى اليمن ، فمضى عكرمة فلحق بهما قبل أن يصلا إلى عمان ، وقد عهد إليهم أبو بكر أن ينتهوا إلى رأي عكرمة ، فراسلوا جيفراً وعبداً وبلغ لقيطاً مجيء الجيوش فعسكر بمدينة دبا وعسكر جيفر وعبد بصحار ، واستقدموا عكرمة وحذيفة وعرفجة وكاتبوا رؤساء الدين فقدموا بجيوشهم [4] ، ثم صمدوا إلى لقيط وأصحابه فقاتلوهم ، وقد أقام لقيط عياله وراء صفوفه ، وهمّ المسلمون بالهزيمة حتى جاءهم مددهم من بني ناجية وعليهم الحريث [5] بن راشد ومن عبد القيس وعليهم سنجار بن صرصار [6] فانهزم العدوّ وظفر [7] المسلمون ، وقتلوا منهم نحواً من عشرة آلاف وسبوا الذراري والنساء

(١) وفي نسخة أخرى : مسمع .
(٢) وفي النسخة الباريسية : النمر . وفي الكامل ج ٢ ص ٣٧٤ ردّة اليمن .
(٣) وفي نسخة ثانية : عبّاد .
(٤) وفي النسخة الباريسية : فارفضوا إليهم .
(٥) وفي نسخة ثانية : الخرّيت .
(٦) وفي نسخة ثانية : سيحان بن صوحان .
(٧) وفي النسخة الباريسية : واثخن .

وتمّ الفتح ، وقسّموا الأنفال وبعثوا بالخمس إلى أبي بكر مع عرفجة وكان الخمس ثمانمائة رأس .

وأقام حذيفة بعمان وسار عكرمة إلى مهرة وقد استنفر أهل عمان ومن حولها من ناحيته الأزد وعبد القيس وبني سعيد من تميم ، فاقتحم مهرة بلادهم وهم على فرقتين يتنازعان الرياسة فأجابه أحد الفريقين ، وسار إلى الآخرين فهزمهم وقتل رئيسهم ، وأصابوا منهم ألفي نجيبة . وأفاد المسلمون قوة بغنيمتهم وأجاب أهل تلك النواحي إلى الإسلام وهم أهل نجد والروضة والشاطىء والجزائر والمر واللبان وأهل جيرة وظهور الشحر[1] والفرات وذات الخيم ، فاجتمعوا كلهم على الإسلام ، وبعث إلى أبي بكر بذلك مع البشير وسارعوا إلى اليمن للقاء المهاجر بن أبي أمية كما عهد إليه أبو بكر .

بعوث العراق وصلح الحيرة

ولما فرغ خالد من أمر اليمامة بعث إليه أبو بكر في المحرم من سنة إثنتي عشرة فأمره بالمسير إلى العراق ومرج الهند وهي الأبلة منتهى بحر فارس في جهة الشمال قرب البصرة ، فيتألف أهل فارس ومن في مملكتهم من الأمم . فسار من اليمامة وقيل قدم على أبي بكر ثم سار من المدينة ، وانتهى إلى قرية بالسواد وهي بانقيا وبرسوما وصاحبها جابان ، فجاء صلوبا فصالحهم على عشرة آلاف دينار[2] فقبضها خالد ، ثم سار إلى الحيرة وخرج إليه أشرافها مع إياس بن قبيصة الطائي الأمير عليها بعد النعمان بن المنذر ، فدعاهم إلى الإسلام أو الجزية أو المناجزة ، فصالحوه على تسعين ألف درهم ، وقيل إنما أمره أبو بكر أن يبدأ بالأبلة ويدخل من أسفل العراق . وكتب إلى عياض بن غنم أن يبدأ بالمضيخ ويدخل من أعلى العراق ، وأمر خالداً بالقعقاع بن عمرو التميمي وعياض بن عوف الحمي[3] ، وقد كان المثنى بن حارثة الشيباني استأذن أبا بكر في غزو العراق فأذن له فكان يغزوهم قبل قدوم خالد ، فكتب أبو بكر إليه وإلى حرملة ومدعور وسلمان أن يلحقوا بخالد بالأبلة وكانوا في ثمانية آلاف

---

(١) وفي نسخة ثانية : الشمر وفي الطبري ج ٣ ص ٢٦٤ : والصبرات .

(٢) وفي نسخة ثانية : باروسما والليس وكانت لابن صلوبا ، فصالحهم على عشرة آلاف دينار .

(٣) وفي نسخة ثانية : الحميري .

فارس ، ومع خالد عشرة آلاف ، فسار خالد في أوّل مقدمته المثنى وبعده عدي بن حاتم وجاء هو بعدهما على مسيرة يوم بين كل عسكر ، وواعدهما الحفير ليجتمعوا به ويصادموا عدوهم وكان صاحب ذلك الفرج[1] من أساورة الفرس إسمه هرمز وكان يحارب العرب في البرّ والهند في البحر ، فكتب إلى أردشير كسرى بالخبر وتعجل هو إلى الكواظم في سرعان أصحابه حتى نزل الحفير ، وجعل على مجنبتيه قباذ وأنو شجان يناسبانه في أردشير الأكبر واقترنوا بالسلاسل لئلا يفرّوا ، وأروا خالداً أنهم سبقوا إلى الحفير فمال إلى كاظمة فسبقه هرمز إليها أيضاً . وكان للعرب على هرمز حنق لسوء مجاورته وقدم خالد فنزل قبالتهم على غير ماء وقال : جالدوهم على الماء فإنّ الله جاعله لأصبر الفريقين ، ثم أرسل الله سحابة فأغدرت من ورائهم .

ولما حطوا أثقالهم قدم خالد ودعا إلى النزال[2] فبرز إليه هرمز وترجلا ثم اختلفا ضربتين فاحتضنه خالد وحمل أصحاب هرمز للغدر به فلم يشغله ذلك عن قتله ، وحمل القعقاع بن عمرو فقتلهم وانهزم أهل فارس وركبهم المسلمون ، وسميت الواقعة ذات السلاسل . وأخذ خالد سلب هرمز وكانت قلنسوته بمائة ألف ، وبعث بالفتح والأخماس إلى أبي بكر .

وسار فنزل بمكان البصرة وبعث المثنى بن حارثة في آثار العدو فحاصر حصن المرأة فتحه وأسلمت فتزوجها ، وبعث معقل بن مقرن إلى الأبلة ففتحها عتبة بن[3] غزوان أيام عمر سنة أربع عشرة ، ولم يتعرض خالد وأصحابه إلى الفلاحين وتركهم وعمارة البلاد كما أمرهم أبو بكر[4] . وكان كسرى أردشير لما جاءه كتاب هرمز بمسير خالد أمره بقارن بن فريانس فسار إلى المدار[5] ولما انتهى إلى المذار[6] لقيه المنهزمون من هرمز ومعهم قباذ وأنو شجان فتذامروا ورجعوا ونزلوا النهر ، وسار إليهم خالد واقتتلوا وبرزقان فقتله معقل بن الأعشى بن النباش وقتل عاصم أنوشجان وقتل عدي قباذ ، وانهزمت الفرس وقتل منهم نحو ثلاثين ألفاً سوى من غرق ومنعت المياه

---

(١) وفي نسخة ثانية : المرج .
(٢) وفي النسخة الباريسية : الى البراز .
(٣) وفي نسخة ثانية : عقبة .
(٤) وفي نسخة ثانية : كما أمر ابو بكر به .
(٥) وفي نسخة ثانية : فسار من المدائن .
(٦) وفي نسخة ثانية : الدار .

المسلمين من طلبهم . وكانت الغنيمة عظيمة وأخذ الجزية من الفلاحين وصاروا في ذمّة ، ولم يقاتل المسلمين من الفرس بعد قارن أعظم منه ، وتسمى هذه الوقعة بالثني وهو النهر .

ولما جاء الخبر إلى أردشير بالهزيمة بعث الأندرزغر وكان فارساً من مولدي السواد فأرسل في اثره عسكراً مع بهمن حاذويه ، وحشد الأندرزغر ما بين الحيرة وكسكر من عرب الضاحية والدهاقين وعسكروا بالولجة ، وسار إليهم خالد فقاتلهم وصبروا ، ثم جاءهم كمين من خلفهم فانهزموا ومات الأندرزغر عطشاً . وبذل خالد الأمان للفلاّحين فصاروا ذِمة ، وسبى ذراري المقاتلة ومن أعانهم وأصاب إثنين من نصارى بني وائل أحدهما جابر بن بجير والآخر ابن عبد الأسود من عجل فأسرهما ، وغضب بكر بن وائل لذلك فاجتمعوا على الليس [1] وعليهم عبد الأسود العجلي ، فكتب أردشير إلى بهمن حاذويه ، وقد أقام بعد الهزيمة كتاباً يأمره بالمسير إلى نصارى العرب بالليس فيكون معهم إلى أن يقدم عليهم جابان من المرازبة ، فقدم بهمن على أردشير ليشاوره وخالفه جابان إلى نصارى العرب من عجل وتيم اللات وضبيعة وعرب الضاحية من الحيرة وهم مجتمعون على الليس . وسار إليهم خالد حين بلغه خبرهم ولا مشعر لهم بجابان [2] ، فلما حط الأثقال سار إليهم وطلب المبارزة ، فبرز إليه مالك بن قيس فقتله خالد ، واشتد القتال بينهم وسائر المشركين ينتظرون قدوم بهمن ، ثم انهزموا واستأسر الكثير منهم وقتلهم خالد حتى سال النهر بالدم وسمي نهر الدم ، ووقف على طعام الأعاجم وكانوا قعوداً للأكل فنفله المسلمين ، وجعل العرب يتساءلون عن الرقاق يحسبونه رقاعاً . وبلغ عدد القتلى سبعين ألفاً . ولما فرغ من الليس سار إلى أمعيشيا فغزا أهلها وأعجلهم أن ينقلوا أموالهم فغنم جميع ما فيها وخرّبها .

---

(١) وفي نسخة أخرى : الليث .

(٢) وفي نسخة أخرى : ولا يشعر بجابان .

فتح الحيرة

ثم سافر خالد إلى الحيرة وحمل الرجال والأثقال في السفن ، وخرج ابن زيان من[1] الحيرة ومعه الأزادية فعسكر عند الغريّين وأرسل إبنه ليقاطع الماء عن السفن ، فوقفت على الأرض . وسار إليه خالد فلقيه على فرات باذقلا[2] فقتله وجميع من معه ، وسار نحو أبيه على الحيرة فهرب بغير قتال لما كان بلغه من موت أردشير كسرى وقتل ابنه . ونزل خالد منزله بالغريّين وحاصر قصور الحيرة وافتتح الديور وصاح القسيسون والرهبان بأهل القصور فرجعوا على الاباية ، وخرج إياس بن قبيصة من القصر الأبيض ، وعمرو بن عبد المسيح بن قيس بن حيان بن بقيلة ، وكان معمراً وسأله خالد عن عجيبة قدرآها ، فقال : رأيت القرى ما بين دمشق والحيرة تسافر بينهما المرأة فلا تتزود إلا رغيفاً واحداً . ثم جاءه واستقرب منه ورأى مع خادمه كيساً فيه سم فأخذه خالد ونثره في يده ، وقال ما هذا ؟ قال خشيت أن تكونوا على غير ما وجدت فيكون الموت أحب اليّ من مكروه أدخله على قومي ، فقال له خالد : لن تموت حتى تأتي على أجلها . ثم قال : باسم الله الذي لا يضرّ مع اسمه شيء وابتلع السم فوعك ساعة ثم قام كأنما نشط من عقال . فقال عبد المسيح : لتبلغنّ ما أردتم ما دام حد منكم هكذا . ثم صالحهم على مائة أو مائتين وتسعين ألفاً وعلى كرامة[3] بنت عبد المسيح لشريك كان النبي صلى الله عليه وسلم عرّف بها إذا فتحت الحيرة فأخذها شريك ، وافتدت منه بألف درهم وكتب لهم بالصلح وذلك في أول سنة إثنتي عشرة .

فتح ما وراء الحيرة

كان الدهاقين يتربصون بخالد ما يصنع بأهل الحيرة فلما صالحهم واستقاموا له جاءته الدهاقين من كل ناحية فصالحوه عمّا يلي الحيرة من الفلاليح وغيرها على ألف ألف وقيل على ألفي ألف سوى جباية كسرى ، وبعث خالد ضرار بن الأزور وضرار بن

---

(١) وفي نسخة أخرى : وخرج وزبان الحيرة .
(٢) وفي نسخة أخرى : باذقلة .
(٣) رواية الدميري الشيا والصحابي هو أوس بن خزيمة ، انظر ترجمة البقلة (قاله نصر)

الخطّاب والقعقاع بن عمرو والمثنى بن حارثة وعيينة بن الشماس فكانوا في الثغور وأمرهم بالغارة ، فمخروا السواد كله إلى شاطىء دجلة . وكتب إلى ملوك فارس : « أما بعد فالحمدلله الذي حل نظامكم ووهن كيدكم وفرّق كلمتكم ولو لم نفعل ذلك كان شراً لكم فادخلوا في أمرنا ندعكم وأرضكم ونجوزكم إلى غيركم وإلاّ كان ذلك وأنتم كارهون على أيدي قوم يحبون الموت كما تحبون الحياة » . وكتب إلى المرازبة : « أما بعد فالحمدلله الذي فض حدّتكم وفرق كلمتكم وجفل حرمكم وكسر شوكتم فأسلموا تسلموا وإلا فاعتقدوا مني الذمة وأدّوا الجزية وإلا فقد جئتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون شرب الخمر » انتهى .

وكان العجم مختلفين بموت أردشير وقد أزالوا بهمن حاذويه فيمن سيره في العساكر ، فجبى خالد خراج السواد في خمسين ليلة ، وغلب العجم عليه ، وأقام بالحيرة سنة يصعد ويصوب ، والفرس حائرون فيمن يملكونه ولم يجدوا من يجتمعون عليه لأن سيرين كان قتل جميع من تناسب إلى بهرام جور . فلما وصل كتاب خالد تكلم نساء آل كسرى وولوا الفرّخزاد بن البندوان إلى أن يجدوا من يجتمعون عليه ، ووصل جرير ابن عبد الله البجلي إلى خالد بعد فتح الحيرة ، وكان مع خالد بن سعيد بن العاص بالشام ، ثم قدم على أبي بكر فكلمه أن يجمع له قومه كما وعده النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا أوزاعاً(١) متفرقين في العرب ، فسخط ذلك منه أبو بكر فقال : تكلمني(٢) بما لا يعني وأنت ترى ما نحن فيه من فارس والروم . وأمره بالمسير إلى خالد فقدم عليه بعد فتح الحيرة .

فتح الأنبار وعين التمر
وتسمّى هذه الغزوة ذات العيون

ثم سار خالد على تعبيته إلى الأنبار وعلى مقدمته الأقرع بن حابس ، وكان بالأنبار شيرزاد صاحب ساباط فحاصرهم ورشقوهم بالنبال حتى فقأوا منهم ألف عين . ثم نحر ضعاف الإبل وألقاها في الخندق حتى ردمه بها وجاز هو وأصحابه فوقها ،

(١) الجماعات ولا واحد لها (قاموس) .
(٢) وفي النسخة الباريسية : تكلفني .

فاجتمع المسلمون والكفار في الخندق ، وصالح شيرزاد على أن يلحقوه بمأمنه ويخلي لهم عن البلد وما فيها ، فلحق ببهمن حاذويه. ثم استخلف خالد على الأنبار الزبرقان ابن بدر ، وسار إلى عين التمر وبها بهرام[1] بن بهرام جوبين في جمع عظيم من العجم ، وعقبة بن أبي عقبة في جمع عظيم من العرب ، وحولهم طوائف من النمر وتغلب وإياد وغيرهم من العرب . وقال عقبة لبهرام : دعنا وخالداً فالعرب أعرف بقتال العرب . فتركه لذلك واتقى به وسار عقبة إلى خالد وحمل خالد عليه وهو يقيم صفوفه ، فاحتضنه وأخذه أسيراً وانهزم العسكر عن غير قتال وأسر أكثرهم . وبلغ الخبر إلى بهرام[2] فهرب وترك الحصن وتحصن به المنهزمون ، واستأمنوا لخالد فأبى ، فنزلوا على حكمه فقتلهم أجمعين ، وعقبة معهم .

وغنم ما في الحصن وسبى عيالهم[3] وأولادهم وأخذ من البيعة وهي الكنيسة غلماناً كانوا يتعلمون الإنجيل ففرّقهم في الناس منهم : سيرين أبو محمد ونصير أبو موسى وحمران مولى عثمان ، وبعث إلى أبي بكر بالفتح والخمس . وقتل من المسلمين عمير ابن رباب السهمي من مهاجرة الحبشة وبشير بن سعد والد النعمان .

ولما فرغ خالد من عين التمر وافق وصول كتاب عياض بن غنم وهو على من بازائه من نصارى العرب بناحية دومة الجندل وهم بهرام[4] وكلب وغسان وتنوخ والضجاعم ، وكانت رياسة دومة لأكيدر بن عبد الملك والجودي بن ربيعة يقتسمانها ، وأشار أكيدر بصلح خالد فلم يقبلوا منه فخرج عنهم ، وبلغ خالد مسيره فأرسل من أعترضه فقتله وأخذ ما معه ، وسار خالد فنزل دومة وعياض عليها من الجهة الأخرى ، وخرج الجودي لقتال خالد وأخرج طائفة أخرى لقتال عياض ، فانهزموا من الجهتين إلى الحصن فأغلق دونهم وقتل الجودي وافتتح الحصن عنوة فقتل المقاتلة وسبى الذرية .

---

(١) وفي نسخة ثانية : مهران بن بهرام .

(٢) وفي نسخة ثانية : مهران .

(٣) وفي نسخة ثانية : اهليهم .

(٤) وفي نسخة ثانية : بهرا .

وأقام خالد بدومة الجندل فطمع الأعاجم في الحيرة وملأهم عرب الجزيرة غضباً لعقبة ، فخرج اسواران إلى الأنبار وانتهيا إلى الحصيد والخنافس ، فبعث القعقاع من الحيرة عسكرين حالا بينهما وبين الريف ، ثم جاء خالد إلى الحيرة فعجل القعقاع بن عمرو وأبا ليلى بن فدكى إلى لقائهما بالحصيد ، فقتل من العجم مقتلة عظيمة ، وقتل الأسواران ، وغنم المسلمون ما في الحصيد ، وانهزمت الأعاجم إلى الخنافس وبها البهبوذان من الأساورة . وسار أبو ليلى في اتباعهم فهزم البهبوذان إلى المضيخ[1] وكان بها الهذيل بن عمران وربيعة بن بجير من عرب الجزيرة غضباً لعقبة وجآ مدداً لأهل الحصيد ، فكتب خالد إلى القعقاع وأبي ليلى وواعدهما[2] المضيخ ، وسار إليهم فتواقفا هنالك وأغاروا على الهذيل ومن معه من ثلاثة أوجه ، فأكثروا فيهم القتل ففر الهذيل في قليل ، وكان مع الهذيل عبد العزيز بن أبي رهم من أوس مناة ولبيد بن جرير وكانا أسلما وكتب لهما أبو بكر بإسلامهما فقتلا في المعركة ، فوداهما أبو بكر وأوصى بأولادهما ، وكان عمر يعتمد بقتلهما وقتل مالك بن نويرة على خالد .

ولما فرغ خالد من الهذيل بالمضيخ واعد القعقاع وأبا ليلى إلى الثني شرقي الرصافة ليغير على ربيعة بن بجير التغلبي صاحب الهذيل الذي جاء معه لمدد الفرس ويبيتهم فلم يلق[3] منهم أحداً ، ثم اتبع الهذيل بعد مفره من المضيخ الى اليسير وقد لحق هنالك بعتاب بن اسيد فبيتهم خالد قبل أن يصل إليهم خبر ربيعة فقتل منهم مقتلة عظيمة ، وسار إلى الرصافة وبها هلال بن عقبة فتفرق عنه أصحابه وهرب فلم يلق بها خالد أحداً . ثم سار خالد إلى الرضاب وإلى الفراض[4] وهي تخوم الشام والعراق والجزيرة فحميت الروم واستعانوا بمن يليهم من مسالح فارس ، واجتمعت معهم تغلب وإياد والنمر وساروا إلى خالد وطلبوا منه العبور ، فقال : اعبروا أسفل منا فعبروا وامتاز الروم من العرب ، فانهزمت الروم ذلك اليوم وقتل منهم نحو من مائة ألف . وأقام خالد على

(١) وفي نسخة ثانية : المصيخ .
(٢) وفي نسخة ثانية : اودعها
(٣) وفي نسخة أخرى : وتبيتهم فلم يفلت منهم أحداً .
(٤) وفي نسخة أخرى : من الرِضاب الى الفراض .

الفراض إلى ذي القعدة ، ثم أذن للناس بالرجوع إلى الحيرة ، وجعل شجرة بن الأغر على الساقة . وخرج من الفراض حاجاً مكتتماً بحجة وذهب يتعسف في البلاد حتى أتى مكة فحج ورجع فوافى الحيرة مع جنده ، وشجرة بن الأغر معهم ولم يعلم بحجه إلا من أعلمه به ، وعتب به أبو بكر في ذلك لما سمعه وكانت عقوبته إياه أن صرفه من غزو العراق إلى الشام . ثم شن خالد بن الوليد الغارات على نواحي السواد فأغار هو على سوق[1] بغداد ، وعلى قطربل ، وعقرقوما[2] ، ومسكن ، وبادروبا . وحج أبو بكر في هذه السنة واستخلف على المدينة عثمان بن عفان .

بعوث الشام

وكان من أوّل عمل أبي بكر بعد عوده من الحج أن بعث خالد بن سعيد بن العاص في الجنود إلى الشام أول سنة ثلاث عشرة ، وقيل إنما بعثه الى الشام لما بعث خالد بن الوليد إلى العراق أول السنة التي قبلها ، ثم عزله قبل أن يسير لأنه كان لما قدم من اليمن عندَ الوفاة تخلف عن بيعة أبي بكر أياماً وغدا على عليّ وعثمان فعزلهما على الاستكانة لتيم وهما رؤس بني عبد مناف فنهاه عليّ وبلغت الشيخين ، فلما ولاه أبو بكر عقد له عمر فعزله وأمره أن يقيم بتيماء ويدعو من حوله من العرب إلى الجهاد حتى يأتيه أمره ، فاجتمعت إليه جموع كثيرة ، وبلغ الروم خبره فضربوا البعث على العرب الضاحية بالشام من بهرا وسليح وكلب وغسان ولخم وجذام ، وسار إليهم خالد فغلبهم على منازلهم وافترقوا . وكتب له أبو بكر بالإقدام فسار متقدما ولقيه البطريق ماهان من بطارقة الروم فهزمه خالد واستلحم الكثير من جنوده ، وكتب إلى أبي بكر يستمده ، ووافق كتابه المستنفرين وفيهم ذو الكلاع ومعه حمير وعكرمة بن أبي جهل ومن معه من تهامة والشحر[3] وعمان والبحرين فبعثهم إليه . وحينئذ إهتم ابو بكر بالشام وكان عمرو بن العاص لما بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً إلى عمان وعده أن يعيده إلى عمله عند فراغه من أمر عمان ، فلما جاء بعد الوفاة أعاده إليها أبو بكر إنجازاً لوعده صلى الله عليه وسلم تسليماً وهي صدقات سعد هذيم وبني عذرة ،

(١) وفي نسخة أخرى : شرق .
(٢) وفي نسخة أخرى : عقرقوف .
(٣) وفي نسخة أخرى : والسِّرُّوَ.

فبعث إليه الآن يأمره باللحاق بخالد بن سعيد لجهاد الروم وأن يقصد فلسطين، وبعث أيضا إلى الوليد بن عقبة وكان على صدقات قضاعة وولاه الأردن، وأمر يزيد ابن أبي سفيان على جمهور من انتدب إليه فيهم سهيل بن عمرو وأشباهه، وأمر أبا عبيدة بن الجراح على جميعهم وعين له حمص، وأوصى كل واحد منهم.

ولما وصل المدد إلى خالد بن سعيد وبلغه توجه الامراء تعجل للقاء الروم قبلهم فاستطرد له ماهان ودخل دمشق، واقتحم خالد الشام ومعه ذو الكلاع وعكرمة والوليد حتى نزل مرج الصفر[1] عند دمشق فانطوت مسالح ماهان عليه وسدوا الطريق دونه وزحف إليه ماهان، ولقي إبنه سعيداً في طريقه فقتلوه وبلغ الخبر أباه خالدا فهرب فيمن معه وانتهى إلى ذي المروة قرب المدينة. وأقام عكرمة ردءاً من خلفهم فردّ عنهم الروم فأقام قريباً من الشام.

وجاء شرحبيل بن حسنة إلى أبي بكر وافداً من العراق من عند خالد فندب معه الناس وبعثه مكان الوليد إلى أردن، ومرّ بخالد ففصل ببعض أصحابه. ثم بعث أبو بكر معاوية وأمره باللحاق بأخيه يزيد، وأذن لخالد بن سعيد بدخول المدينة.

وزحف الأمراء في العساكر نحو الشام، فعبّى هرقل عساكر الروم ونزل حمص بعد أن أشار على الروم بعدم قتال العرب ومصالحتهم على ما يريدون، فأبوا ولجّوا، ثم فرّقهم على أمراء المسلمين، فبعث شقيقه تدارق[2] في تسعين ألفاً نحو عمرو بن العاص بفلسطين، وبعث جرجة بن توذر نحو يزيد بن أبي سفيان، وبعث الدراقص نحو شرحبيل بن حسنة بالأردن، وبعث القيقلان[3] بن نسطورس في ستين ألفا نحو أبي عبيدة بالجابية. فهابهم المسلمون ثم رأوا أنّ الاجتماع أليق بهم، وبلغ كتاب ابي بكر بذلك فاجتمعوا باليرموك إحداً وعشرين ألفاً[4]. وأمر هرقل ايضاً باجتماع جنوده ووعدهم بوصول ملحان إليهم ردءاً[5]، فاجتمعوا بحيال المسلمين والوادي خندق بينهم، فأقاموا بازائه ثلاثة أشهر، واستمدوا أبا بكر فكتب

---

(١) بوزن سكر. مشدد.

(٢) هو فره دريك.

(٣) وفي نسخة أخرى: القيقار.

(٤) وفي نسخة أخرى: بضعة وعشرين ألفاً.

(٥) وفي النسخة الباريسية: مدداً.

إلى خالد بن الوليد أن يستخلف على العراق المثنى بن حارثة ويلحق بهم وأمّره على جند الشام .

بعوث الشام

ولما استمدّ المسلمون أبا بكر بعث إليهم خالد بن الوليد من العراق واستحثّه في السير إليهم ، فنفّذ خالد لذلك ووافى المسلمين مكانهم عندما وافى ماهان والروم أيضاً . وولّى خالد قباله وولى الأمراء قبل الآخرين أزاءهم فهزم ماهان ، وتتابع الروم على الهزيمة وكانوا مائتين وأربعين ألفا وتقسموا بين القتل والغرق[1] في الواقوصة والهَوِيّ في الخندق ، وقتل صناديد الروم وفرسانهم ، وقتل تدارق أخو هرقل ، وانتهت الهزيمة إلى هرقل وهو دون حمص فارتحل وأخلد[2] إلى ما وراءها لتكون بينه وبين المسلمين وأصرّ[3] عليها وعلى دمشق . ويقال إنّ المسلمين كانوا يومئذ ستة وأربعين ألفاً : سبعة وعشرين منها مع الأمراء ، وثلاثة آلاف من إمداد أهل العراق مع خالد بن الوليد ، وستة آلاف ثبتوا مع عكرمة ردءا بعد خالد بن سعيد . وأن خالد بن سعيد سماهم[4] كراديس ستة وثلاثين كردوسا لما رأى الروم تعبّوا كراديس ، وكان كل كردوس ألفاً وكان ذلك في شهر جمادى ، وأن أبا سفيان بن حرب أبلى يومئذ بلاءً حسناً بسعيه وتحريضه .

قالوا وبينما الناس في القتال قدم البريد من المدينة بموت أبي بكر وولاية عمر ، فأسرّه إلى خالد وكتمه عن الناس . ثم خرج جرجه من أمراء الروم فطلب خالداً وسأله عن أمره وأمر الإسلام ، فوعظه خالد فاستبصر وأسلم وكانت وهناً على الروم . ثم زحف خالد بجماعة من المسلمين فيهم جرجه فقتل من يومه ، واستشهد عكرمة بن أبي جهل وإبنه عمرو ، وأصيبت عين أبي سفيان ، واستشهد سَلَمَة بن هشام وعَمرو وأبان ابنا سعيد وهشام بن العاص وهبار[5] بن سفيان والطُفَيْل بن عمرو ، وأثبت

(١) وفي نسخة أخرى : الطرق .
(٢) وفي نسخة اخرى : وأجاز
(٣) وفي نسخة أخرى : وأمّر
(٤) وفي نسخة أخرى : عباهم
(٥) وفي نسخة أخرى : سيّار

خالد بن سعيد فلا يعلم أين مات بعد ويقال استشهد في مرج الصُفَّر في الوقعة الأولى .

ويقال إنّ خالداً لما جاء من العراق مـدداً للمسلمين بالشام طلب من الأدِلّاء أن يغوروا به حتى يخرج من وراء الروم ، فسلك به رافع بن عمرو الطائي من فزارة في بلاد كلب حتى خرج إلى الشام ونحر فيها الإبل وأغار على مضيخ[1] فوجد به رفقة[2] فقتلهم وأسلبهم ، وكان الحرث بن الأيهم وغسّان قد اجتمعوا بمرج راهط فسلك إليهم واستباحهم ، ثم نزل بصرى ففتحها ، ثم سار منها إلى المسلمين بالواقوصة فشهد معهم اليرموك . ويقال : إنّ خالداً لمّا جاء من العراق إلى الشام لقي أمراء المسلمين ببصرى فحاصروها جميعاً حتى فتحوها على الجزية ، ثم ساروا جميعاً إلى فلسطين مدداً لعمرو بن العاص ، وعمرو بالغور والروم بجلّق مع تدارق أخي هرقل ، وكشفوا عن جلّق إلى أجنادين وراء الرملة شرقا ، ثم تزاحف الناس فاقتتلوا ، وانهزم الروم وذلك في منتصف جمادى الأولى من السنة ، وقتل فيها تدارق ، ثم رجع هرقل ولقي المسلمين بالواقوصة عند اليرموك ، فكانت واقعة اليرموك كما قدّمنا في رجب بعد أجنادين ، وبلغت المسلمين وفاة أبي بكر وأنها كانت لثمانٍ بقين من جمادى الآخرة .

خلافة عمر رضي الله عنه

ولما احتضر أبو بكر عهد إلى عمر رضي الله عنهما بالأمر من بعده بعد أن شاور عليه[3] طلحة وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم وأخبرهم بما يريد فيه ، فأثنوا على رأيه ، فأشرف على الناس وقال : إني قد استخلفت عمر ولم آل لكم نصحاً فاسمعوا له وأطيعوا . ودعا عثمان فأمره فكتب : «بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد به أبو بكر خليفة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم عند آخر عهده بالدنيا وأوّل عهده بالآخرة في الحال التي يؤمن فيها الكافر ويوقن فيها الفاجر ، إني استعملت عليكم عمر ابن الخطّاب ولم آل لكم خيراً ، فإن صبر وعدل فذلك علمي به ورأيي فيه ، وإن

(١) وفي نسخة أخرى : مصيخ .
(٢) وفي النسخة الباريسية . فصبح به رفعه
(٣) وفي نسخة اخرى : عليّاً وطلحه ...

جار وبدّل فلا علم لي بالغيب والخير أردت ولكل امرىء ما اكتسب وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون» .

فكان أوّل ما أنفذه من الأمور عزل خالد عن إمارة الجيوش بالشام وتولية أبي عبيدة ، وجاء الخبر بذلك والمسلمون مواقفون عدوّهم في اليرموك فكتم أبو عبيدة الأمر كله ، فلما انقضى أمر اليرموك كما مرّ سار المسلمون إلى فِحْل من أرض الاردن وبها رافضة[1] الروم وخالد على مقدمة الناس فقاتلوا الروم .

فتح دمشق

واقتحموها عنوة وذلك في ذي القعدة ولحقت رافضة الروم بدمشق وعليها ماهان من البطارقة فحاصرهم المسلمون حتى فتحوا دمشق ، وأظهر أبو عبيدة إمارته وعزل خالد . وقال سببه أنّ أبا بكر كان يسخط خالد بن سعيد والوليد بن عقبة من أجل فرارهما كما مرّ ، فلمّا ولي عمر رضي الله عنه أباح لهما دخول المدينة ثم بعثهما مع الناس إلى الشام ، ولما فرغ أمر اليرموك وساروا إلى فحل وبلغ عمر خبر اليرموك فكتب فعزل خالد بن الوليد وعمرو بن العاص حتى يصير الحرب إلى فلسطين فيتولاها عمرو ، وأن خالداً قدم على عمر بعد العزل وذلك بعد فتح دمشق وأنهم ساروا إلى فحل فاقتحموها، ثم ساروا إلى دمشق وعليها نسطاس بن نَسْطُورُس فحاصروها سبعين ليلة وقيل ستة أشهر من نواحيها الأربع ، خالد وأبو عبيدة ويزيد وعمرو كل واحد على ناحية . وقد جعلوا بينهم وبين هرقل مدينة حمص ومن دونها ذو الكلاع في جيش من المسلمين ، وبعث هرقل المدد إلى دمشق وكان فيهم ذو الكِلاع فَسُقِطَ في أيديهم وقدموا على دخول دمشق وطمع المسلمون فيهم ، واستغفلهم خالد في بعض الليالي فتسور سورهم من ناحيته وقتل الوليد وفتح الباب واقتحم البلد وكبّروا وقتلوا جميع من لقوه . وفزع أهل النواحي إلى الأمراء الذين يلونهم فنادوا لهم بالصلح والدخول ، فدخلوا من نواحيهم صلحاً فأجريت ناحية خالد على الصلح مثلهم .

قال سيف : وبعثوا إلى عمر بالفتح فوصل كتابه بأن يصرف جند العراق إلى العراق ، فخرجوا وعليهم هاشم بن عُتْبَة وعلى مقدمته القَعْقَاع . وخرج الأمراء إلى فِحْل وأقام يزيد بن أبي سفيان بدمشق ، وكان الفتح في رجب سنة أربع عشرة . وبعث

(١) وفي نسخة ثانية : واقعة الروم

يزيد دِحْيَة الكلبيّ إلى تدمر ، وأبا الأزاهر القشيري إلى حوران والبثنة[1] ، فصالحوهما ووليا عليهما . ووصل الأمراء الى فِحْل فبيتهم الروم فظفر المسلمون بهم وهزموهم فقتل منهم ثمانون ألفاً وكان على الناس في وقعة فحل شرحبيل بن حسنة ، فسار بهم إلى بيسان وحاصرها فقتل مقاتلتها وصالحه الباقون فقبل منهم . وكان أبو الأعور السَلِميّ على طَبَرَيّة محاصراً لها ، فلما بلغهم شأن بيسان صالحوه فكمل فتح الأردن صلحاً ونزلت القوّاد في مدائنها وقراها وكتبوا إلى عمر بالفتح .

وزعم الواقدي أنّ اليرموك كانت سنة خمس عشرة وأنّ هرقل انتقل فيها من أنطاكية الى قسطنطينية وأنّ اليرموك كانت آخر الوقائع . والذي تقدّم لنا من رواية سيف أنّ اليرموك كانت سنة ثلاث عشرة وأن البريد بوفاة أبي بكر قدم يوم هربت الروم فيه ، وأن الأمراء بعد اليرموك ساروا إلى دمشق ففتحوها ثم كانت بعدها وقعة فحل ، ثم وقائع أخرى قبل شخوص هرقل والله أعلم .

خبر المثنى بالعراق بعد مسير خالد الى الشام

لما وصل كتاب أبي بكر إلى خالد بعد رجوعه من حجّه بأن ينصرف إلى الشام أميراً على المسلمين بها ويخرج في شطر الناس ويرجع بهم إذا فتح الله عليه إلى العراق ويترك الشطر الثاني بالعراق مع المُثّنى بن حارسة ، وفعل ذلك خالد ومضى لوجهه ، وأقام المثنى بالحيرة ورتّب المصالح . واستقام أهل فارس بعد خروج خالد بقليل على شَهْرَيرار[2] بن شيرين بن شهريار ممن يناسبه إلى كِسْرى أبي سابور وذلك سنة ثلاث عشرة ، فبعث إلى الحيرة هُرْمُز فاقتتلوا هنالك قتالاً شديداً بعُدْوَة الضَرّاء وغار الفيل بين الصفوف فقتله المُثّنى وناس معه ، وانهزم أهل فارس واتّبعهم المسلمون يقتلونهم حتى انتهوا إلى المدينة ، ومات شهريار إثـر ذلك وبقي ما دون دجلة من السواد في أيدي المسلمين .

ثم اجتمع أهل فارس من بعد شهريار على آزرميدخت ولم ينفذ لها أمر فخلعت ، وملك سابور بن شهريار وقام بأمره الفرُخزاذ بن البندُوان وزوّجه آزرميدخت ،

---

(١) وفي نسخة ثانية : والبثينة .

(٢) وفي نسخة اخرى : شهريار .

فغضبت وبعث[1] إلى سياوخش وكان من كبار الأساورة وشكت إليه ، فأشار عليها بالقبول . وجاءه ليلة العرس فقتل الفرّخزاد ومن معه ، ونهض إلى سابور فحاصره ثم اقتحم عليه فقتله ، وملكت آزرميدخت وتشاغل بذلك آل ملكها[2] حتى انتهى شأن أبي بكر وصار السواد في سلطانه ، وتشاغل أهل فارس عن دفاع المسلمين عنه .

ولما أبطأ خبر أبي بكر على المثنى استخلف المثنى على الناس بشر بن الخصاصية وخرج نحو المدينة يستعلم ويستأذن ، فقدم وأبو بكر يجود بنفسه وقد عهد إلى عمر وأخبره الخبر ، فأحضر عمر وأوصاه أن يندب الناس مع المثنى وأن يصرف أصحاب خالد من الشام إلى العراق ، فقال عمر : يرحم الله أبا بكر علم أنه تستر في إمارة خالد فأمرني بصرف أصحابه ولم يذكره .

ولاية أبي عبيد بن مسعود على العراق ومقتله

ولما ولي عمر ندب الناس مع المثنى بن حارثة أياماً وكان أوّل منتدب أبو عبيد بن مسعود ، وقال عمر للناس : إنّ الحجاز ليس لكم بدار إلاّ النجعة ولا يقوى عليه أهله إلاّ بذلك أين المهاجرون عن موعد الله ؟ سيروا في الأرض التي وعدكم الله في الكتب أن يورثكموها . فقال : ليظهره على الدين كله فالله مظهر دينه ومعز ناصره ومولي أهله مواريث الأمم . أين عباد الله الصالحون ؟ فانتدب أبو عبيد الثقفيّ ، ثم سعد بن عبيد الانصاري ، ثم سليط بن قيس ، فولّى أبا عبيد على البعث لسبقه ، وقال : إسمع من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأشركهم في الأمر ولا تجتهد مسرعاً بل اتئد فإنها الحرب ، والحرب لا يصلحها إلاّ الرجل المكيث الذي يعرف الفرصة والكف . ولم يمنعني أن أؤمر سليطاً إلاّ لسرعته إلى الحرب ، وفي السرعة إلى الحرب إلاّ عن بيان ضياع والله لولا سرعته لأمرته . فكان بعث أبي عبيد هذا أوّل بعث بعثه عمر ، ثم بعث بعده يُعلى[3] بن أمية إلى اليمن وأمره بإجلاء أهل نجران

(١) وفي نسخة اخرى : زوجة آزرميدخت ، فغضبت وبعثت .
(٢) وفي نسخة اخرى : وتشاغلوا بذلك عن ملكها .
(٣) وفي نسخة أخرى : بعليّ .

لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك في مرضه ، وقال أخبرهم أنّا نجليهم بأمر الله ورسوله أن لا يترك دينان بأرض العرب ثم نعطيهم أرضاً كأرضهم وفاء بذمّتهم كما أمر الله .

قالوا : فخرج أبو عبيد مع المثنى بن حارثة وسعد وسليط إلى العراق ، وقد كانت بوران بنت كسرى كلما اختلفت الناس بالمدائن عدلت بينهم حتى يصطلحوا ، فلما قتل الفرّخزاذ بن البندوان وملكت آزرميدخت اختلف أهل فارس واشتغلوا عن المسلمين غيبة المثنى كلها ، فبعثت بوران إلى رستم تستحثه للقدوم وكان على فرج[1] خراسان ، فأقبل في الناس إلى المدائن وعزل الفرخزاذ وفقأ عين آزرميدخت ونصّب بوران ، فملكته وأحضرت مرازبة فارس فأسلموا له ورضوا به وتوّجته . وسبق المثنى إلى الحيرة ، ولحقه أبو عبيد ومن معه . وكتب رستم إلى دهاقين السواد أن يثوروا بالمسلمين وبعث في كل رستاق رجلاً لذلك ، فكان في فرات باذقلاجابان وفي كسكرنرسي ، وبعث جنداً لمصادمة المثنى فساروا واجتمعوا أسفل الفرات . وخرج المثنى من الحيرة خوفاً أن يؤتى من خلفه ، فقدم عليه أبو عبيد ، ونزل جابان النمارق ومعه جمع عظيم ، فلقيه أبو عبيد هناك وهزم الله أهل فارس وأسر جابان ثم أطلق ، وساروا في المنهزمين حتى دخلوا كسكر وكان بها نرسي ابن خالة كِسرى فجمع الفالة إلى عسكره ، وسار إليهم أبو عبيد من النمارق في تعبيته ، وكان على مجنبتي نرسي نفدويه وشيرويه[2] إبنا بسطام خال كسرى .

واتصلت هزيمة جابان ببوران ورستم فبعثوا الجالنوس مدداً لنرسي وعاجلهم أبو عبيد فالتقوا أسفل من كسكر فاشتدّ القتال وانهزمت الفرس ، وهرب نرسي وغنم المسلمون ما في عسكره ، وبعث أبو عبيد المثنى وعاصماً فهزموا من كان تجمّع من أهل الرساتيق وخرّبوا وسبوا وأخذوا الجزية من أهل السواد وهم يتربصون قدوم الجالنوس . ولمّا سمع به أبو عبيد سار إليه على تعبيته فانهزم الجالنوس وهرب ورجع أبو عبيد فنزل الحيرة ، وقد كان عمر قال له : «إنك تقدم على أرض المكر والخديعة والخيانة والخزي تقدم على قوم تجرّأوا على الشّر فعلموه وتناسوا الخير فجهلوه فانظر كيف تكون

---

(١) الفرج : الخلل بين الشيئين ، الثغر ، فرج الوادي : بطنه . فرج الطريق : متنه .

(٢) وفي النسخة الباريسية : بندويه وتبروبة .

وأحرز لسانك ولا تفش سرّك فإنّ صاحب السر ما ضبّط متحصن لا يؤتى من وجه يكرهه وإذا ضيّعه كان بمضيعة» .

ولما رجع الجالنوس إلى رستم بعث بهمن حادويه ذا الحاجب إلى الحيرة فأقبل ومعه درفش كابيان راية كسرى عرض ثمانية أذرع في طول إثني عشر من جلود النمر فنزل في الناطف على الفرات ، وأقبل أبو عبيدِ فنزل عدوته وقعد إلى أن نصبوا للفريقين جسراً على الفرات ، وخيّرهم بهمن حادويه في عبوره أو عبورهم ، فاختار أبو عبيد العبور وأجاز إليهم . وماجت الأرض بالمقاتلة ونفرت خيول المسلمين وكراديسهم من الفيلة ، وأمر بالتخفيف عن الخيل فترجل أبو عبيد والناس وصافحوا العدوّ بالسيوف ، ودافعتهم الفيلة فقطعوا وضنها[1] فسقطت رحالها وقتل من كان عليها ، وقابل أبو عبيد فيلا منهم فوطئه بيده وقام عليه فأهلكه . وقاتلهم الناس ثم انهزموا عن المثنى وسبقه بعض المسلمين إلى الجسر[2] فقطعه ، وقال : موتوا أو تظفروا . وتوالب بعضهم الفرات فغرقوا وأقام المثنى وناس معه مثل عروة بن زيد الخيل وأبي محجن الثقفي وأنظارهم ، وقاتل أبو زيد الطائي كان نصرانياً قدم الحيرة لبعض أمره فحضر مع المثنى وقاتل حينئذ حميّة ، ونادى المثنى الذين عبروا من المسلمين فعقدوا الجسر وأجاز بالناس ، وكان آخر من قتل عند الجسر سليط بن قيس فانفضّ أصحابه إلى المدينة وبقي المثنّى في فلّه جريحاً .

وبلغ الخبر الى عمر فشق[3] عليه وعذر المنهزمين ، وهلك من المسلمين يومئذ أربعة آلاف قتلى وغرقى وهرب ألفان وبقيت ثلاثة آلاف . وبينما بهمن حادويه يروم العبور خلف المسلمين أتاه الخبر بأنّ الفرس ثاروا برستم مع الفيرزان فرجع إلى المدائن ، وكانت الوقعة في مدائن سنة ثلاث عشرة . ولما رجع بهمن حادويه أتبعه جابان ومعه مردارشاه[4] ، وخرج المثنى في أثرهما فلما أشرف عليهما أتياه يظنان أنه هارب فأخذهما أسيرين ، وخرج أهل الليس على أصحابهما فأتو بهم أسرى وعقدوا معه مهادنة وقتل جميع الأسرى .

---

(١) ج وضين ، الوضين للهودج بمنزلة الحزام للسرج (قاموس)

(٢) وفي النسخة الباريسية : الى الحصن .

(٣) وفي النسخة الباريسية : اشتد عليه .

(٤) وفي نسخة اخرى : مرادن شاه

ولمّا بلغ عمر رضي الله عنه وقعة أبي عبيد بالجسر ندب الناس إلى المثنى ، وكان فيمن ندب بجيلة وأمرهم إلى جرير بن عبدالله لأنه الذي جمعهم من القبائل بعد أن كانوا مفترقين ووعده النبيّ صلى الله عليه وسلم بذلك وشغل عن ذلك أبو بكر بأمر الردّة ووفّى له عمر به وسيّره مدداً للمثنى بالعراق ، وبعث عصمة بن عبدالله الضبّي ، وكتب إلى أهل الردّة بأن يوافوا المثنى وبعث المثّنى الرسل فيمن يليه من العرب ، فوافوه[1] في جموع عظيمة حتى نصارى النمر جاؤه وعليهم أنس بن هلال ، وقالوا : نقاتل مع قومنا . وبلغ الخبر إلى رستم والفيرزان فبعثا مهران الهمداني إلى الحيرة والمثّنى بين القادسية وخفان ، فلما بلغه الخبر استبقى فرات باذقلا وكتب بالخبر إلى جرير وعصمة ان يقصدا العُذَيب مما يلي الكوفة ، فاجتمعوا هنالك ومهران قبالتهم عدوة الفرات وتركوا له العبور فأجاز إليهم . وسار إليه المثّنى في التعبية وعلى مجنبتيه مهران مرزبان الحيرة من الأزدبة[2] ومردارشاه ، ووقف المثّنى على الرايات يحرّض الناس فأعجلتهم فارس وخالطوهم وركدت حربهم واشتدت ، ثم حمل المثّنى على مهران فأزاله عن مركزه ، وأصيب مسعود أخـو المثّنى ، وخالط المثّنى القلب ووثب المجنبات على المجنبات قبالتهم فانهزمت الفرس ، وسبقهم[3] المثّنى إلى الجسر فهربوا مصعدين ومنحدرين ، واستلحمتهم خيول المسلمين وقتل فيها مائة ألف أو يزيدون ، وأحصى مائة رجل من المسلمين قتل كل واحد منهم عشرة . وتبعهم المسلمون إلى الليل ، وأرسل المثّنى في آثار الفرس ، فبلغوا ساباط فغنموا وسبوا ساباط[4] واستباحوا القرى وسخّروا السواد بينهم وبين دجلة لا يلقون مانعاً . ورجع المنهزمون إلى رستم فاستهانوا ورضوا أن يتركوا ما وراء دجلة .

ثم خرج المثّنى من الحيرة واستخلف بشير بن الخصاصية وسار نحو السواد ونزل الليس من قرى الأنبار فسميت الغزاة ، غزاة الأنبار الآخرة وغزاة الليس الآخرة ، وجاءت إلى المثّنى عيون فدلته على سوق الخنافس وسوق بغداد ، وأنّ سوق الخنافس أقرب ويجتمع بها تجّار المدائن والسواد وخفراؤهم ربيعة وقضاعة ، فركب إليها وأغار عليها

---

(١) وفي النسخة الباريسية : فوافقه .

(٢) وفي نسخة اخرى : ابن الازاذبة

(٣) وفي النسخة الباريسية : وساقهم .

(٤) وفي النسخة الباريسية : فبلغوا السيب فغنموا وسبوا وبلغوا ساباط .

يوم سوق ، فاشتفّ السوق وما فيها وسلب الخفراء ورجع إلى الأنبار فأتوه بالعلوفة والزاد وأخذ منهم أدِلّاء تظهر له المدائن وسار بهم إلى بغداد ليلاً ، وصبح السوق فوضع فيهم السيف وأخذ ما شاء من الذهب والفضة والجيّد من كل شيء . ثم رجع إلى الأنبار وبعث المُضارب العجليّ إلى الركان[1] وبه جماعة من تغلب فهربوا عنه ، ولحقهم المُضارب فقتل في أخرياتهم وأكثر . ثم سرّح فُرات بن حيّان التغلبي وعتيبة ابن النهّاس للإغارة على أحياء من تغلب بصفين ، ثم اتبعها المثنّى بنفسه فوجدوا أحياء صفين قد هربوا عنها فعبر المثنّى إلى الجزيرة ، وفني زادهم وأكلوا رواحلهم وأدركوا عيراً من أهل خفان[2] ، فحضر نفر من تغلب فأخذوا العير ودلّهم أحد الخفراء على حيّ من تغلب ساروا إليه يومهم ، وهجموا عليهم فقتلوا المقاتلة وسبوا الذرية واستاقوا الأموال ، وكان هذا الحيّ بوادي الرويحلة ، فاشترى أسراهم من كان هنالك من ربيعة بنصيبهم من الفيء وأعتقوهم وكانت ربيعة لا تسبي في الجاهلية . ولما سمع المثنّى أنّ جميع من يملك البلاد قد انتجع شاطىء دجلة خرج في اتباعهم فأدركهم بتكريت ، فغنم ما شاء وعاد إلى الأنبار ، ومضى عُتيبة وفرات حتى أغارا على النمر وتغلب بصفّين ، وتمكن رعب المسلمين من قلوب أهل فارس وملكوا ما بين الفرات ودجلة .

أخبار القادسية

ولما دهم أهل فارس من المسلمين بالسواد ما دهمهم وهم مختلفون بين رستم والفيرزان واجتمع عظماؤهم وقالوا لهما إمّا أن تجتمعا وإلاّ فنحن لكما حرب فقد عرّضتمونا للهلكة وما بعد بغداد وتكريت إلى المدار[3] فأطاعا لذلك ، وفزعوا إلى بوران يسألونها في ولد من آل كسرى يولّونه عليهم ، فأحضرت لهم النساء والسراري وبسطوا عليهن العذاب فذكروا لهم غلاماً من ولد شهريار بن كسرى إسمه يزدجرد أخذته أمه عندما قتل شيرويه أبناء أبيه ، فسألوا أمه عنه فدلتهم عليه عند أخواله كانت أودعته عندهم حينئذ فجاؤا به ابن إحدى وعشرين سنة فملكوه واجتمعوا عليه ، وتبارى

(١) وفي نسخة أخرى الكِباث .
(٢) ويقال اهل دبا .
(٣) وفي نسخة اخرى : المدائن .

المزاربة في طاعته وعيّن المسالح والجنود لكل ثغر ومنها الحيرة والأبلّة والأنبار وخرجوا إليها من المدائن.

وكتب المثنّى بذلك إلى عمر، وبينما هو ينتظر الجواب انتقض أهل السواد وكفروا وخرج المثنّى إلى ذي قار، ونزل الناس في عسكر واحد. ولمّا وصل كتابه إلى عمر قال: «والله لأضربنّ ملوك العجم بملوك العرب»، فلم يدع رئيسا ولا ذا رأي وشرف وبسطة ولا خطيباً ولا شاعراً إلاّ رماهم به، فرماهم بوجوه الناس، وكتب إلى المثنّى يأمره بخروج المسلمين من بين العجم والتفرّق في المياه بحيالهم، وأن يدعو الفرسان وأهل النجدات من ربيعة ومضر ويحضرهم طوعاً وكرهاً، فنزل المسلمون بالحلة[1] وسروا[2] إلى عصيّ وهو جبل البصرة متناظرين، وكتب إلى عمّاله على العرب أن يبعثوا إليه من كانت له نجدة أو فرس أو سلاح أو رأي وخرج إلى الحج، فحجّ سنة ثلاث عشرة، ورجع فجاءته أفواجهم إلى المدينة، ومن كان أقرب إلى العراق إنضمّ إلى المثنّى، فلمّا اجتمعت عنده إمداد العرب خرج من المدينة واستخلف عليها عليّا وعسكر على صرار من ضواحيها، وبعث على المقدمة طلحة وجعل على المجنبتين عبد الرحمن والزبير وانبهم أمره على الناس، ولم يطق أحد سؤاله، فسأله عثمان. فأحضر الناس واستشارهم في المسير إلى العراق فقال العامة: سر نحن معك فوافقهم، ثم رجع إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحضر عليّا وطلحة والزبير وعبد الرحمن واستشارهم فأشاروا بمقامه وأن يبعث رجلاً بعده آخر من الصحابة بالجنود حتى يفتح الله على المسلمين ويهلك عدوّهم، فقبل ذلك ورأى فيه الصواب. وعين لذلك سعد بن أبي وقّاص وكان على صدقات هوزان فأحضره وولاّه حرب العراق وأوصاه وقال: «يا سعد بن أم سعد لا يغرنّك من الله أن يقال خال رسول الله وصاحب رسول الله فإنّ الله لا يمحو السيء بالسيء ولكنه يمحو السيء بالحسن وليس بين الله وبين أحد نسب إلاّ بطاعته فالناس في دين الله سواء الله ربهم وهم عباده يتفاضلون بالعافية ويدركون ما عنده بالطاعة. فانظر الأمر الذي رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلزمه فألزمه وعليك بالصبر».

ثم سرحه في أربعة آلاف ممن اجتمع إليه فيهم: حميضة بن النعمان بن حميضة على

---

(١) وفي نسخة اخرى: بالجلّ.

(٢) وفي النسخة الباريسية: وسراق.

بارق ، وعمرو بن معدي كرب وأبو سبرة بن أبي رهم على مذحج ، ويزيد بن الحرث الصدائي على عذرة ، وخبب ومسلية وبشر بن عبدالله الهلاليّ على قيس عيلان ، والحصين بن نمير ومعاوية بن حديج على السكون وكندة . ثم أمر بعد خروجه بألفي يماني وألفي فخرى . وسار سعد وبلغه في طريقه بزرود[1] أنّ المثنى مات من جراحة انتقضت ، وأنه استخلف على الناس بشير بن الخصاصية ، وكانت جموع المثنى ثلاثة آلاف ، وكذلك أربعة آلاف من تميم والرباب وأقاموا ، وعمر ضرب على بني أسد أن ينزلوا على حدّ أرضهم ، فنزلوا في ثلاثة آلاف وأقاموا بين سعد والمثنّى ، وسار سعد إلى سيراف فنزلها ، واجتمعت إليه العساكر ولحقه الأشعث بن قيس ومعه ثلاثون ألفاً ، ولم يكن أحد أجرأ على الفرس من ربيعة ، ثم عبّى سعد كتائب من سيراف وأمّر الأمراء وعرّف على كل عشرة عريفاً ، وجعل الرايات لأهل السابقة ورتّب المقدمة والساقة والمجنبات والطلائع وكل ذلك بأمر عمر ورأيه ، وبعث في المقدمة زُهرة بن عبدالله بن قتادة الحيوي من بني تميم فانتهى إلى العُذيب ، وعلى اليمامة عبدالله بن المعتمر ، وعلى المسيرة شرحبيل بن السمط وخليفة بن خالد بن عرفطة حليف بني عبد شمس وعاصم بن عمر التميمي ، وسواد بن مالك التميمي على الطلائع ، وسلمان بن ربيعة الباهلي على المجردة . ثم سار على التعبية ولقيه المهنّى[2] بن حارثة الشيباني بسيراف ، وقد كان بعد موت أخيه المثنّى سار بذي قار إلى قابوس واستلحمه ومن معه ورجع إلى ذي قار .

وجاء إلى سعد بالخبر ليعلمه بوصية المثنّى إليه أن لا تدخلوا بلاد فارس وقاتلوهم على حدّ أرضهم بادىء حجر من ارض العرب ، فإن يظهر الله المسلمين فلهم ما وراءهم وإلاّ رجعتم إلى فئة ثم تكونوا أعلم بسبيهم وأجرأ على أرضهم إلى أن يردّ الله الكرب . فترحم سعد ومن معه على المثنّى وولّى أخاه المهنّى على عمله وتزوّج سلمى زوجته ، ووصله كتاب عمر بمثل رأي المثنّى يسأله عن سيراف . ونزل العرب ثم أتى القادسية فنزلها بحيال القنطرة بين العتيق والخندق ، ووصله كتاب عمر يؤكد عليهم في الوفاء بالأنبار ولو كان إشارة أو ملاعبة ، وكان زهرة في المقدمة فبعث سريّة للإغارة على الحيرة عليها بكر بن عبدالله الليثي ، وإذا أخت مرزبان الحيرة تزفّ إلى زوجها فحمل

---

(١) وفي نسخة ثانية : بزرورد .

(٢) وفي نسخة ثانية : المعنّى .

بكير على ابن الأزادية فقتله وحملوا الأثقال والعروس في ثلاثين امرأة ومائة من التوابع ومعهم ما لا يعرف قيمته ، ورجع بالغنائم فصبح سعد بالعذيب فقسمّه في المسلمين .

ولما رجع سعد إلى القادسية أقام بها شهراً يشنّ الغارات بين كسكر والأنبار ولم يأته خبر عن الفرس ، وقد بلغت أخبارهم إلى يزدجرد وأنّ ما بين الحيرة والفرات قد نهب وخرّب ، فأحضر رستم ودفعه لهذا الوجه ، فتقاعد عنه وقال : ليس هذا من الرأي . وبعث الجيوش يعقب بعضها بعضاً أولى من مصادمة مرّة ، فأبى يزدجرد إلا مسيره لذلك . فعسكر رستم بساباط وكتب سعد بذلك إلى عمر ، فكتب إليه لا يكترثنك ما يأتيك عنهم واستعن بالله وتوكل عليه ، وابعث رجالا من أهل الراي والجلد يدعونه فإن الله جاعل ذلك وهناً لهم .

فأرسل سعد نفراً منهم : النعمان بن مقرّن ، وقيس بن زرارة[1] ، والأشعث بن قيس ، وفرات بن حيّان وعاصم بن عمر ، وعمرو بن معدي كرب ، والمغيرة بن شعبة ، والمهنّى بن حارثة . فقدموا على يزدجرد وتركوا رستم ، واجتمعوا واجتمع الناس ينظرون إليهم وإلى خيولهم ويردّوهم ، فأحضرهم يزدجرد وقال لترجمانه : سلهم ما جاء بكم وما أولعكم بغزونا وبلادنا من أجل أنا تشاغلنا عنكم اجترأتم علينا ؟ فتكلّم النعمان بن مقرّن بعد أن استأذن أصحابه ، وقال ما معناه : إنّ الله رحمنا وأرسل إلينا رسولا صفته كذا يدعونا إلى كذا ووعدنا بكذا فأجابه منّا قوم وتباعد قوم ثم أمر أن نجاهد من خالفه من العرب فدخلوا معه على وجهين مكره اغتبط وطائع ازداد حتى اجتمعنا عليه وعرفنا فضل ما جاء به ثم أمرنا بجهاد من يلينا من الأمم ودعائهم إلى الإنصاف فإن أبيتم فأمر أهون من ذلك وهو الجزية فإن أبيتم فالمناجزة ، فقال يزدجرد : لا أعلم في الأرض أمة كانت أشقى ولا أقل عدداً ولا أسوأ ذات بين منكم وقد كان أهل الضواحي يكفونا أمركم ولا تطمعوا أن تقوموا للفرس فإن كان بكم جهد أعطيناكم قوتاً وكسوناكم وملّكنا عليكم ملكاً يرفق بكم .

فقال قيس بن زرارة : هؤلاء أشراف العرب والأشراف يستحيون من الأشراف وأنا أكلمك وهم يشهدون ، فأمّا ما ذكرت من سوء الحال فكما وصفت وأشد ثم ذكر

---

(١) وفي نسخة ثانية : النعمان بن مقرن وبشر بن أبي أدهم وجملة من حيوة وحنظلة بن الربيع وعدي بن سهيل وعطارد بن حاجب والحرث بن حسّان والمغيرة بن زرارة .

من عيش العرب ورحمة الله بهم بإرسال النبيّ صلى الله عليه وسلم مثل ما قال النعمان الخ . ثم قال له : إختر إمّا الجزية عن يد وأنت صاغر أو السيف وإلاّ فنجّ نفسك بالإسلام . فقال يزدجرد : لو قتل أحد الرسل قبلي لقتلتكم . ثم استدعى بوقر من تراب وحمل على أعظمهم ، وقال : إرجعوا إلى صاحبكم وأعلموه اني مرسل رستم حتى يدفنكم أجمعين في خندق القادسية ثم يدوّخ بلادكم أعظم من تدويخ سابور .

فقام عاصم بن عمر فحمل التراب على عنقه ، وقال : أنا أشرف هؤلاء . ولما رجع إلى سعد فقال : أبشر فقد أعطانا الله تراب أرضهم وعجب رستم من محاورتهم ، وأخبر يزدجرد بما قاله عاصم بن عمر ، فبعث في أثرهم إلى الحيرة فأعجزوهم .

ثم أغار سواد بن مالك التميمي بعد مسير الوفد إلى يزدجرد على الفراض فاستاق ثلثمائة دابة بين بغل وحمار وثور وآخرها سمكا وصبح بها العسكر ، فقسّمه سعد في الناس ، وواصلوا السرايا والبعوث لطلب اللحم ، وأمّا الطعام فكان عندهم كثيراً . وسار رستم إلى ساباط في ستين ألفا وعلى مقدمته الجالنوس في أربعين ألفاً وساقته عشرون ألفا وفي الميمنة الهرمزان وفي الميسرة مهران بن بهرام الرازي ، وحمل معه ثلاثة وثلاثين فيلا ثمانية عشر في القلب وخمسة عشر في الجنبين . ثم سار حتى نزل كوثى ، فأتى برجل من العرب ، فقال له رستم : ما جاء بكم وما تطلبون ؟ فقال : نطلب وعد الله بأرضكم وأبنائكم إن لم تسلموا . قال رستم : فإن قتلتم دون ذلك ، قال من قتل دخل الجنة ومن بقي أنجزه الله وعده ، قال رستم : فنحن إذا وضعنا في أيديكم ، فقال : أعمالكم وضعتكم وأسلمكم الله بها فلا يغرنّك من ترى حولك فلست تحاول الناس [1] إنما تحاول القضاء والقدر . فغضب وأمر به فضربت عنقه .

وسار فنزل الفرس وفشا من عسكره المنكر وغصبوا الرعايا أموالهم وأبناءهم حتى نادى رستم منهم بالويل ، وقال : صدق والله العربي . وأتى ببعضهم فضرب عنقه . ثم سار حتى نزل الحيرة ودعا أهلها فعزرهم [2] وهمّ بهم ، فقال له ابن بقيلة : لا تجمع علينا أن تعجز عن نصرتنا وتلومنا على الدفع عن أنفسنا . وأرسل سعد السرايا إلى السواد وسمع بهم رستم فبعث لاعتراضهم الفرس ، وبلغ ذلك سعداً فأمدّهم بعاصم بن عمر فجاءهم وخيل فارس تحتوشهم ، فلما رأوا عاصم هربوا ، وجاء عاصم بالغنائم .

---

(١) وفي النسخة الباريسية : الأنس .

(٢) وفي النسخة الباريسية : وهددهم .

ثم ارسل سعد عمرو بن معدي كرب وطليحة الأسديّ طليعة فلما ساروا فرسخا وبعضه ، لقوا المسالح فرجع عمرو ، ومضى طليحة حتى وصل عسكر رستم وبات فيه وهتك أطناب خيمة أو خيمتين واقتاد بعض الخيل وخرج يعدو به فرسه ، ونذر به الفرس فركبوا في طلبه إلى أن أصبح وهم في أثره فكرّ على فارس فقتله ثم آخر وأسر الرابع ، وشارف عسكر المسلمين فرجعوا عنه ، ودخل طليحة على سعد بالفارسي ولم يخلف بعده فيهم مثله فأسلم ولزم طليحة .

ثم سار رستم فنزل القادسية بعد ستة أشهر من المدائن ، وكان يطاول خوفا وتقيّة ، والملك يستحثّه وكان رأى في منامه كأن ملكاً نزل من السماء ومعه النبيّ صلى الله عليه وسلم ودفعه النبي إلى عمر فحزن لذلك أهل فارس في سيره . ولمّا وصل القادسية وقف على العتيق حيال عسكر المسلمين والناس يتلاحقون حتى أغتموا من كثرتهم ، وركب رستم غداة تلك الليلة وصعد مع النهر وصوّب[1] حتى وقف على القنطرة ، وأرسل إلى زهرة فوافقه وعرض له بالصلح . وقال : كنتم جيراننا وكنّا نحسن إليكم ونحفظكم ويقرّر صنيعهم مع العرب ويقول زهرة : ليس أمرنا بذلك[2] وإنما طلبنا الآخرة وقد كنا كما ذكرت إلى أن بعث الله فينا رسولا دعانا الى دين الحق فأجبناه . وقال : قد سلطتكم على من لم يدن به وأنا منتقم بكم منهم وأجعل لكم الغلبة . فقال رستم : وما هو دين الحق . فقال : الشهادتان وإخراج الناس من عبادة الخلق إلى عبادة الله وأنتم إخوان في ذلك . فقال رستم : فإن أجبنا إلى هذا ترجعون ؟ فقال : إي والله فانصرف عنه رستم . ودعا رجال فارس وذكر ذلك لهم فأنفوا ، وأرسل الى سعد أن ابعث لنا رجلا نكلمه ويكلمنا ، فبعث إليهم ربعي بن عامر وحبسوه على القنطرة حتى أعلموا رستم ، فجلس على سرير من ذهب وبسط النمارق والوسائد منسوجة بالذهب ، وأقبل ربعي على فرسه وسيفه في خرقة ورمحه مشدودة بعصب ، وقدم حتى انتهى الى البساط ووطئه بفرسه ، ثم نزل وربطها بوسادتين شقهما وجعل الحبل فيهما ، فلم يقبلوا ذلك وأظهروا التهاون . ثم أخذ عباءة بعيره فاشتملها ، وأشاروا إليه بوضع سلاحه فقال : لو أتيتكم فعلت كذا فأمركم وإنما دعوتموني . ثم أقبل يتوكأ على رمحه ويقارب خطوه حتى أفسد ما مرّ عليه من البسط ،

(١) وفي نسخة ثانية : وصوّت .
(٢) وفي نسخة ثانية : من أولئك .

ثم دنا من رستم وجلس على الأرض وركز رمحه على البساط وقال : إنّا لا نقعد على زينتكم . فقال له الترجمان : ما جاء بكم ، فقال : الله بعثنا لنخرج عباده من ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام وأرسلنا بدينه الى خلقه فمن قبله قبلنا منه وتركناه وأرضه ومن أبى قاتلناه حتى نفيء إلى الجنّة أو الظفر . فقال رستم : هل لكم أن تؤخر هذا الأمر حتى ننظر فيه ؟ قال : نعم كم أحب إليك يوما أو يومين ، قال : لا بل حتى نكاتب أهل رأينا ورؤساء قومنا . فقال : إنّ مما سنّ لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نمكّن الأعداء أكثر من ثلاث فانظر في أمرك وأمرهم واختر إمّا الإسلام وندعك وأرضك أو الجزية فنقبل ونكف عنك وإن احتجت إلينا نصرناك أو المنابذة في الرابع أن تنبذ[1] وأنا كفيل بهذا عن أصحابي . قال أسيّدهم أنت ؟ قال : لا ولكن المسلمون كالجسد الواحد يجيز بعضهم عن بعض يجيز أدناهم على أعلاهم . فخلا رستم برؤساء قومه وقال : رأيتم كلاماً قط مثل كلام هذا الرجل ؟ فأروه الاستخفاف بشأنه وثيابه . فقال : ويحكم إنما أنظر إلى الرأي والكلام والسيرة والعرب تستخف اللبّاس وتصون الأحساب .

ثم أرسل إلى سعد أن إبعث إلينا ذلك الرجل ، فبعث إليهم حذيفة بن محصن[2] ففعل كما فعل الأول ولم ينزل عن فرسه وتكلم وأجاب مثل الأول ، فقال له : ما قعد بالأول عنا ؟ فقال : أميرنا يعدل بيننا في الشدة والرخاء وهذه نوبتي . فقال رستم : والمواعدة إلى متى ؟ فقال : إلى ثلاث من أمس وانصرف . وحاص رستم بأصحابه يعجبهم من شأن القوم . وبعث في الغد عن آخر فجاءه المغيرة بن شعبة فلمّا وصل إليهم وهم على زيهم وبسطهم على غلوة من مجلس رستم فجاء المغيرة حتى جلس معه على سريره فأنزلوه ، فقال : لا أرى قوماً أسفه منا معشر العرب لا نستعبد بعضاً بعضاً فظننتكم كذلك وكان أحسن بكم أن تخبروني أن بعضكم أرباب بعض مع أني لم آتكم وإنما دعوتموني فقد علمت أنكم مغلوبون ولم يقم ملك على هذه السيرة . فقالت السفلة : صدق والله العربي ، وقالت الأساطين[3] : لقد رمانا بكلام لا تزال عبيدنا ينزعون إليه قاتل الله من يصغر أمر هذه الأمة . ثم تكلم رستم فعظم من

---

(١) وفي نسخة ثانية : إلا أن تبذلوا .

(٢) وفي النسخة الباريسية : ابن حصن .

(٣) وفي نسخة ثانية : الدهاقين .

أمر فارس بل من شأن فارس وسلطانهم وصغر أمر العرب وقال : كانت عيشتكم سيئة وكنتم تقصدونا في الجدب فنردكم بشيء من التمر والشعير ولم يحملكم على ما صنعتم إلا ما بكم من الجهد ونحن نعطي أميركم كسوة وبغلا وألف درهم وكل رجل منكم حمل تمر وتنصرفون فلست أشتهي قتلكم . فتكلم المغيرة وخطب فقال : أما الذي وصفتنا به من سوء الحال والضيق والاختلاف فنعرفه ولا ننكره والدنيا دُوَلٌ والشدة بعدها الرخاء ولو شكرتم ما آتاكم الله لكان شكركم قليلاً عما أوتيتم وقد أسلمكم ضعف[1] الشكر إلى تغير الحال وأن الله بعث فينا رسولاً ، ثم ذكر مثل ما تقدّم إلى التخيير بين الإسلام أو الجزية أو القتال ، ثم قال : وإن عيالنا ذاقوا طعام بلادكم فقالوا لا صبر لنا عنه . فقال رستم : إذاً تموتون دونها ، فقال المغيرة : يدخل من قتل منا الجنة ويظفر من بقي منا بكم . فاستشاط غضباً وحلف أن لا يقع الصلح أبداً حتى أقتلكم أجمعين . وانصرف المغيرة وخلا رستم بأهل فارس وعرض عليهم مصالحة القوم ، وحذّرهم عاقبة حربهم ، فلجوّا . وبعث إليه سعد يعرض عليه الإسلام ويرغب ، فأجابه بمثل ما كان يقول لأولئك من الإمتنان على العرب والتعريض بالمطامع ، فلم يتفق شيء من رأيهم . فقال رستم : تعبرون إلينا أم نعبر إليكم ؟ فقالوا : بل اعبروا وأرسل إليهم سعد بذلك وأرادوا القنطرة ، فقال سعد : لا ولا كرامة لا نردّ عليكم شيئاً غلبناكم عليه فأبى . فأتوا[2] يسكرون العتيق بالتراب والقصب والبرادع حتى جعلوا جسراً .

ثم عبر رستم ونصب له سريره وجلس عليه وضرب طيارة وعبر عسكره ، وجعل الفيلة في القلب والمجنبتين عليها الصناديق والرجال والرايات أمثال الحصون ، وجعل الجالنوس بينه وبين الميمنة والفيرزان بينه وبين الميسرة ، ورتب يزدجرد الرجال بين المدائن والقادسية وما بينه وبين رستم رجلاً على كل دعوة تنتقل إليه ينبئهم أخبار رستم في أسرع وقت . ثم أخذ المسلمون مصافهم واختط سعد قصره ، وكان به عرق النساء وأصابته معه دماميل لا يستطيع معها الجلوس فصعد على سطح القصر راكباً على وسادة في صدره وأشرف على الناس ، وعاب ذلك عليه بعض الناس فنزل واعتذر إليهم وأراهم القروح في جسده فعذروه ، واستخلف خالد بن عرفطة على الناس

---

(١) وفي نسخة ثانية : وقد اسلمكم الله بضعف الشكر .

(٢) وفي نسخة ثانية : فباتوا .

وحبس من شغب عليه في القصر وقيدهم ، وكان فيهم أبو محجن الثقفي ، وقيل إنما حبسه بسبب الخمر . ثم خطب الناس وحثهم على الجهاد وذكرهم بوعد الله ، وذلك في المحرم سنة أربع عشرة ، وأخبرهم أنه استخلف خالد بن عرفطة . وأرسل جماعة من أهل الرأي لتحريض الناس على القتال مثل المغيرة وحذيفة وعاصم وطليحة وقيس وغالب وعمرو ، ومن الشعراء الشماخ والحطيئة والعبدي بل وعبدة بن الطيب وغيرهم ففعلوا ، ثم أمر بقراءة الأنفال فهشت قلوب الناس وعيونهم وعرفوا السكينة مع قراءتها ، فلما فرغت القراءة قال سعد : إلزموا مواقفكم فاذا صليتم الظهر فإني مكبر تكبيرة فكبّروا واستعدّوا ، فإذا سمعتم الثانية فكبّروا وأتموا عدّتكم ، فإذا سمعتم الثالثة فكبّروا ونشطوا الناس ، فإذا سمعتم الرابعة فازحفوا حتى تخالطوا عدوكم وقولوا لا حول ولا قوّة إلا بالله .

فلما كبر الثالثة برز أهل النجدات فأنشبوا القتال وخرج أمثالهم من الفرس فاعتوروا الطعن والضرب ، وارتجزوا الشعر ، وأول من أسر في ذلك اليوم هرمز من ملوك الكبار[1] وكان متوّجاً أسره غالب بن عبدالله الأسدي[2] فدفعه إلى سعد ورجع إلى الحرب . وطلب البراز أسوار منهم فبرز إليه عمرو بن معدي كرب فأخذه وجلده الارض فذبحه وسلب سواريه ومنطقته . ثم حملوا الفيلة على المسلمين وأمالوها على بجيلة فثقلت عليهم ، فأرسل سعد إلى بني أسد أن يدافعوا عنهم ، فجاءه طليحة بن خويلد وحمل بن مالك فردّوا الفيلة ، وخرج على طليحة عظيم منهم فقتله طليحة ، وعير الأشعث بن قيس كندة بما يفعله بنو أسد فاستشاطوا ونهدوا معه فأزالوا الذين بازائهم . وحين رأى الفرس ما لقي الناس والفيلة من بني أسد حملوا عليهم جميعاً وفيهم ذو الحاجب والجالنوس .

وكبر سعد الرابعة فزحف المسلمون وثبت بنو أسد ، ودارت رحى الحرب عليهم وحملت الفيول على الميمنة والميسرة ونفرت خيول المسلمين منها فأرسل سعد إلى عاصم بن عمر هل من حيلة لهذه الفيلة ؟ فبعث الرماة يرشقونها بالنبل واشتدّ لردّها آخرون يقطعون الوضن ، وخرج عاصم بجميعهم ورحى الحرب على أسد ، واشتدّ عواء الفيلة ووقعت الصناديق فهلك أصحابها ، ونفس عن أسد أن أصيب منهم

---

(١) وفي نسخة ثانية : اللباب .

(٢) وفي نسخة ثانية : الازدي .

خمسمائة وردّوا فارس إلى مواقفهم . ثم اقتتلوا إلى هدءٍ من الليل وكان هذا اليوم الأول وهو يوم الرماة . ولما أصبح دفن القتلى وأسلم الجرحى إلى نساء يقمن عليهم ، وإذا بنواصي الخيل طالعة من الشام . كان عمر بعد فتح دمشق عزل خالد بن الوليد عن جند العراق وأمر أبا عبيدة أن يؤمر عليهم هاشم بن عتبة يردّهم إلى العراق ، فخرج بهم هاشم وعلى مقدمته القعقاع بن عمرو ، فقام القعقاع على الناس صبيحة ذلك اليوم يوم أغواث ، وقد عهد إلى أصحابه أن يقطعوا أعشاراً بين كل عشرين مدّ البصر وكانوا ألفاً ، فسلم على الناس وبشرهم بالجنود وعرضهم على القتال ، وطلب البراز فخرج إليه ذو الحاجب فعرفه القعقاع ونادى بالثأر لأصحاب الجسر ، وتضاربا فقتله القعقاع وسرّ الناس بقتله ، ووهنت الأعاجم لذلك . ثم طلب البراز فخرج إليه الفيرزان والبندوان .

وأكثر المسلمون القتل في الفرس وأخذوا الفيلة عن القتال لأن توابيتها تكسرت بالأمس ، فاستأنفوا حملها ، وجعل القعقاع إبلا وجعل عليها البراقع وأركبها عشرة عشرة ، وأطاف عليها الخيول تحملها ، وحملها على خيل الفرس فنفرت منها وركبتهم خيول المسلمين ، ولقي الفرس من الإبل أعظم مما لقي المسلمون من الفيلة . وبرز القعقاع يومئذ في ثلاثين فارساً في ثلاثين حملة فقتلهم ، كان آخرهم بزرجمهر الهمداني ، وبارز الأعور بن قطنة[1] شهريار سجستان فقتل كل واحد منهما صاحبه .

ولما انتصف النهار تزاحف الناس فاقتتلوا إلى انتصاف الليل وقتلوا عامة أعلام فارس ، ثم أصبحوا في اليوم الثالث على مواقفهم بين الصفين ومن المسلمين ألفا جريح وقتيل ومن المشركين عشرة آلاف ، فدفن المسلمون موتاهم وأسلموا الجرحى إلى النساء ووكلوا النساء والصبيان بحفر القبور ، وبقي قتلى المشركين بين الصفين . وبات القعقاع يسرب أصحابه إلى حيث فارقهم بالأمس ، وأوصاهم إذا طلعت الشمس أن يقبلوا مائة مائة يجدّد بذلك الناس ، وجاء بينهما يلحق هاشم بن عتبة . فلما ذر قرن الشمس أقبل أصحاب القعقاع فتقدموا والمسلمون يكبرون ، فتزاحفت الكتائب طعناً وهرباً ، وما جاء آخر أصحاب القعقاع حتى لحق هاشم فعبّى أصحابه سبعين سبعين وكان فيهم قيس بن المكشوح فلما خالط القلب كبر وكبر المسلمون ثم كبر فخرق الصفوف إلى

(١) وفي النسخة الباريسية : بن خطبة .

العتيق ، ثم عاد وقد أصبح الفرس على مواقفهم وأعادوا الصناديق على الفيلة وأحدقوا الرّجال بها يحمونها أن تقطع وضنها ، وأقام الفرسان يحمون الرجالة فلم تنفر خيل المسلمين منها . وكان هذا اليوم يوم عماس وكان شديداً ، إلا أن الطائفتين فيه سواء وأبلى فيه قيس بن المكشوح وعمرو بن معدي كرب ، زحفت الفيلة وفرّقت بين الكتائب . وأرسل سعد إلى القعقاع وعاصم أن أكفياني الأبيض وكان بازائهما ، وإلى محمل والذميل[1] أن أكفياني الأجرب وكان بازائهما ، فحملوا على الفيلين فقتل الأبيض ومن كان عليه وقطع مشفر الأجرب وفقئت عينه وضرب سائسه الذميل بالطيرزين فأفلت جريحاً ، وتحيّر الأجرب بين الطائفتين وألقى نفسه في العتيق واتبعته الفيلة وخرقت[2] صفوف الأعاجم في اثره ، وقصدت المدائن بثوابتها[3] وهلك جميع من فيها . وخلص المسلمون والفرس فاختلفوا على سواء إلى المساء واقتتلوا بقية ليلتهم وتسمى ليلة الهرير .

فأرسل سعد طليحة وعمراً إلى مخاضة أسفل السكر يقومون عليها خشية أن يؤتى المسلمون منها ، فتشاوروا أن يأتوا الأعاجم من خلفهم ، فجاء طليحة وراء العسكر وكبر فارتاع أهل فارس ، فأغار عمرو أسفل المخاضة ورجع وزاحفهم الناس دون إذن سعد وأوّل من زاحفهم من الناس دون إذن سعد زاحفهم القعقاع وقومه فحمل عليهم ، ثم حمل بنو أسد ثم النخع ثم بجيلة ثم كندة ، وسعد يقول في كل واحدة اللهم اغفر لهم وانصرهم . وقد كان قال لهم إذا كبرت ثلاثاً فاحملوا ، فلما كبر الثالثة لحق الناس بعضهم بعضاً صلاة العشاء واختلطوا وصليل الحديد كصوت القرن إلى الصباح .

وركدت الحرب وانقطعت الأخبار والأصوات عن سعد ورستم وأقبل سعد على الدعاء ، وسمع نصف الليل صوت القعقاع في جماعة من الرؤساء إلى رستم حتى خالطوا صفه مع الصبح فحمل الناس من كل جهة على من يليهم واقتتلوا إلى قائم ظهيرة ، فناجز الفيرزان والهرمزان بعض الشيء وانفرج القلب ، وهبت ريح عاصف فقلبت طيارة رستم عن سريره فهوت في العتيق ، وانتهى القعقاع ومن معه إلى السرير

---

(١) وفي نسخة ثانية : الدّميل .

(٢) وفي نسخة ثانية : وفرقت .

(٣) وفي نسخة ثانية : بوثوبها .

وقد قام رستم عنه فاستظل في ظل بغل وحمله ، وضرب هلال بن علقمة الحمل فوقع أحد العدلين على رستم فكسر ظهره ، وضربه هلال ضربة نفحت مسكا وضرب نحو العتيق فرمى بنفسه فيه فاقتحم هلال وجرّه برجله فقتله ، وصعد السرير وقال : قتلت رستم ورب الكعبة إليّ إليّ . فأطافوا به وكبروا . وقيل إن هلالاً لما قصد رستم رماه بسهم ، فأثبت قدمه بالركاب ثم حمل عليه ، فقتله واحتز رأسه ونادى في الناس قتلت رستم .

فانهزم قلب المشركين وقام الجالنوس على الردم ونادى الفرس إلى العبور ، وتهافت المقترنون بالسلاسل في العتيق وكانوا ثلاثين فهلكوا ، وأخذ ضرار بن الخطاب راية الفرس العظيمة وهي درفش كابيان فعوض منها ثلاثين ألفاً وكانت قيمتها ألف ألف ومائة ألف ألف ، وقتل ذلك اليوم من الأعاجم عشرة آلاف في المعركة ، وقتل من المشركين في ذلك اليوم ستة آلاف دفنوا بالخندق سوى ألفين وخمسمائة قتلوا ليلة الهرير ، وجمع من الأسلاب والأموال ما لم يجمع قبله ولا بعده مثله . ونفل سعد هلال بن علقمة سلب رستم ، وأمر القعقاع وشرحبيل باتباع العدوّ وقد كان خرج زهرة بن حيوة قبلهما في آثارهم ، فلحق الجالنوس يجمع المنهزمين فقتله وأخذ سلبه ، فتوقف سعد من عطائه ، وكتب إلى عمر ، فكتب إليه : تعمد إلى مثل زهرة وقد صلى بمثل ما صلى به وقد بقي عليك من حربك ما بقي تفسد قلبه أمض له سلبه وفضله على أصحابه في العطاء بخمسمائة .

ولحق سلمان بن ربيعة الباهلي وأخذه عبد الرحمن بطائفة من الفرس قد استماتوا فقتلوهم أجمعين ، واستمات بعد الهزيمة بضعة وثلاثون رئيساً من المسلمين فقتلوهم أجمعين . وكان ممن هرب من أمراء الفرس الهرمزان وأهودوزاد بيهس[1] وقارن ، وممن استمات فقتل شهريار بن كبارا وأسر المدمرون والفردان الأهوازي وحشرشوم الهمداني . وكتب سعد إلى عمر بالفتح وبمن أصيب من المسلمين ، وكان عمر يسأل الركبان حين يصبح إلى انتصاف النهار ثم يرجع إلى أهله ، فلما ألفى البشير قال : من أين ؟ فأخبره فقال : حدّثني فقال : هزم الله المشركين . ففرح بذلك . وأقام المسلمون بالقادسية ينتظرون كتاب عمر إلى أن وصلهم بالإقامة . وكانت وقعة القادسية سنة أربع عشرة وقيل خمس عشرة وقيل ست عشرة .

---

(١) وفي نسخة ثانية : الفرزاد بن بيهس .

فتح المدائن وجلولاء بعدها

ولما انهزم أهل فارس بالقادسية انتهوا إلى بابل وفيهم بقايا الرؤساء النخيزجان ومهران الأهوازي والهرمزان وأشباههم واستعملوا عليهم الفيرزان. وأقام سعد بعد الفتح شهرين وسار بأمر عمر إلى المدائن وخلف العيال بالعتيق في جند كثيف حامية لهم، وقدّم بين يديه زهرة بن حيوة وشرحبيل بن السمط وعبدالله بن المعتمر[1]، ولقيهم بعض عساكر الفرس برستن فهزموهم حتى لحقوا ببابل. ثم جاء سعد وسار في التعبية ونزلوا على الفيرزان ومن معه ببابل، فخرجوا وقاتلوا المسلمين، فانهزموا وافترقوا فرقتين ولحق الهرمزان بالأهواز والفيرزان بنهاوند وبها كنوز كسرى، وسار النخيزجان ومهران إلى المدائن فتحصنوا وقطعوا الجسر. ثم سار سعد من بابل على التعبية وزهرة في المقدمة، وقدم بين يديه بكير بن عبدالله الليثي وكثير بن شهاب السبيعي[2] حتى عبرا ولحقا بأخريات القوم، فقتلا في طريقهما اسوارين من أساورتهم، ثم تقدموا إلى كوثى[3] وعليها شهريار فخرج لقتالهم فقتل وانهزم أصحابه فافترقوا في البلاد. وجاء سعد فنفل قاتله سلبه.

وتقدّم زهرة إلى ساباط فصالحه أهلها على الجزية وهزم كتيبة كسرى، ثم نزلوا جميعاً نهرشير[4] من المدائن، ولما عاينوا الايوان كبروا وقالوا: هذا أبيض كسرى هذا ما وعدالله. وكان نزولهم عليها ذا الحجة سنة خمس عشرة فحاصروها ثلاثة أشهر ثم اقتحموها، وكانت خيولهم تغير على النواحي وعهد إليهم عمر أن من أجاب من الفلاحين ولم يعن عليهم فذلك أمانة، ومن هرب فأدرك فشأنكم به. ودخل الدهاقين من غربي دجلة وأهل السواد كلهم في أمان المسلمين واغتبطوا بملكهم، واشتد الحصار على نهرشير ونصبوا عليها المجانيق واستلحموهم في المواطن، وخرج بعض المرازبة يطلب البراز، فقاتله زهرة بن حيوة فقتلا معا، ويقال إن زهرة قتله شبيب الخارجي أيام الحجاج. ولما ضاق بهم الحصار ركب إليهم الناس بعض الأيام

(١) وفي النسخة الباريسية: ابن المعتز.

(٢) وفي النسخة الباريسية: السعدي.

(٣) وفي النسخة الباريسية: كوتا.

(٤) وفي نسخة ثانية: بهرشير.

فلم يروا على الأسوار أحدا إلا رجلاً يشير إليهم فقال : ما بقي بالمدينة أحد وقد صاروا إلى المدينة القصوى التي فيها الإيوان ، فدخل سعد والمسلمون وأرادوا العبور إليهم فوجدوهم جمعوا المعابر عندهم ، فأقام أياماً من صبر ودلّه بعض العلوج على مخاضة في دجلة فتردّد ، فقال له أقدم فلا تأتي عليك ثلاثة إلا ويزدجرد قد ذهب بكل شيء فيها . فعزم سعد على العبور وخطب الناس وندبهم إلى العبور ورغبهم ، وندب من يجيز أن لا يجيء الفراض حتى يجيز إليه الناس ، فانتدب عاصم بن عمر في ستمائة واقتحموا دجلة فلقيهم أمثالهم من الفرس عند الفراض وشدوا عليهم فانهزموا وقتل أكثرهم وعوروا من الطعن في العيون ، وعاينهم المسلمون على الفراض ، فاقتحموا في أثرهم يصيحون نستعين بالله ونتوكل عليه حسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم . وساروا في دجلة وقد طبقوا ما بين عدوتيها وخيلهم سابحة بهم وهم يهيمنون تارة ويتحادثون أخرى حتى أجازوا البحر ولم يفقدوا شيئاً ، إلا قدحا لبعضهم غلبت صاحبه عليه جرية الماء وألقته الريح إلى الشاطىء .

ورأى الفرس عساكر المسلمين قد أجازوا البحر فخرجوا هاربين إلى حلوان ، وكان يزدجرد قدم إليها قبل ذلك عياله ، ورفعوا ما قدروا عليه من عرض المتاع وخفيفه ومن بيت المال والنساء والذراري ، وتركوا بالمدائن من الثياب والأمتعة والآنية والألطاف مالا تحصر[1] قيمته ، وكان في بيت المال ثلاثة آلاف ألف ألف ألف مكرّرة ثلاث مرّات تكون جملتها ثلاثة آلاف قنطار من الدنانير ، وكان رستم عند مسيره إلى القادسية حمل نصفها لنفقات العساكر وأبقى النصف . واقتحمت العساكر المدينة تجول في سككها لا يلقون بها أحداً ، وأرز سائر الناس إلى القصر الأبيض حتى توثقوا لأنفسهم على الجزية .

ونزل سعد القصر الأبيض واتخذ الإيوان به مصلّى ولم يغير ما فيه من التماثيل ، ولما دخله قرأ «كم تركوا من جنات وعيون» الآية ، وصلى فيه صلاة الفتح ثماني ركعات لا يفصل بينهن وأتم الصلاة بنية الإقامة . وسرح زهرة بن حيوة في آثار الأعاجم إلى النهروان وقراها من كل جهة ، وجعل على الأخماس عمرو بنُ عمرو بن مقرّن ، وعلى القسم سلمان بن ربيعة الباهلي وجمع ما كان في القصر والإيوان والدور وما نهبه أهل المدائن عند الهزيمة ، ووجدوا حلية كسرى ثيابه وخرزاته وتاجه ودرعه التي كان

(١) وفي نسخة ثانية : لا تحصى .

يجلس فيها للمباهاة أخذ ذلك من أيدي الهاربين على بغلين ، وأخذ منهم أيضاً وقر بغل من السيوف وآخر من الدروع والمغافر منسوبة كلها : درع هرقل وخاقان ملك الترك وداهر ملك الهند وبهرام جور وسياوخش والنعمان بن المنذر وسيف كسرى وهرمز وقباذ وفيروز وهرقل وخاقان وداهر وبهرام وسياوخش والنعمان أحضرها القعقاع وخيّره في الأسياف ، فاختار سيف هرقل وأعطاه درع بهرام ، وبعث إلى عمر سيف كسرى والنعمان وتاج كسرى وحليته وثيابه ليراها الناس . وقسّم سعد الفيء بين المسلمين بعدما خمسه ، وكانوا ستين ألفاً فصار للفارس إثنا عشر ألفا وكلهم كان فارساً ليس فيهم راجل ، ونفل من الأخماس في أهل البلاد ، وقسم في المنازل بين الناس ، واستدعى العيالات من العتيق فأنزلهم الدور ولم يزالوا بالمدائن حتى تم فتح جلولاء وحلوان وتكريت والموصل ، واختطت الكوفة فتحولوا إليها ، وأرسل في الخمس كل شيء يعجب العرب منهم أن يضع إليهم ، وحضر إليهم نهار كسرى وهو الغطف وهو بساط طوله ستون ذراعاً في مثلها مقدار مزرعة جريت في أرضه وهي منسوجة بالذهب طرقاً كالأنهار وتماثيل خلالها بصدف الدر والياقوت وفي حافاتها كالأرض المزدرعة والمقبلة بالنبات ورقها من الحرير على قضبان الذهب وزهره حبات الذهب والفضة وثمره الجوهر ، كانت الأكاسرة يبسطونه في الإيوان في فصل الشتاء عند فقدان الرياحين يشربون عليه ، فلما قدمت الأخماس على عمر قسمها في الناس ، ثم قال أشيروا في هذا القصب ، فاختلفوا وأشاروا على نفسه ، فقطعه بينهم ، فأصاب عليّ قطعة منه باعها بعشرين ألفاً ولم تكن بأجودها .

وولى عمر سعد بن أبي وقاص على الصلاة والحرب فيما غلب عليه ، وولى حذيفة بن اليمان على سقي الفرات ، وعثمان بن حنيف على سقي دجلة ، ولما انتهى الفرس بالهرب إلى جلولاء ، وافترقت الطرق من هنالك بأهل آذربيجان والباب وأهل الجبال وفارس ، وقفوا هنالك خشية الافتراق واجتمعوا على مهران الرازي وخندقوا على أنفسهم وأحاطوا الخندق بحسره الحديد ، وتقدّم يزدجرد إلى حلوان . وبلغ ذلك سعداً فكاتب عمر بذلك يأمره أن يسرح بجلولاء هاشم ابن أخيه عتبة في اثني عشر ألفاً وعلى مقدمته القعقاع بن عمرو ، وأن يولي القعقاع بعد الفتح ما بين السواد والجبل . فسار هاشم من المدائن لذلك في وجوه المسلمين وأعلام العرب حتى قدم جلولاء فأحاط بهم وحاصرهم في خنادقهم ، وزاحفوهم ثمانين يوماً ينصرون عليهم في

كلها والمدد متصل من ههنا وههنا ثم قاتلهم آخر الأيام فقتلوا منهم أكثر من ليلة الهرير ، وأرسل الله عليهم ريحاً وظلمة فسقط فرسانهم في الخندق وجعلوه طرقاً مما يليهم ففسد حصنه ، وشعر المسلمون بذلك فجاء القعقاع إلى الخندق فوقف على بابه ، وشاع في الناس أنه أخذ في الخندق ، فحمل الناس حملة واحدة إنهزم المشركون لها وافترقوا ، ومرّوا بالحسرة التي تحصنوا بها فعقرت دوابهم فترجلوا ولم يفلت منهم إلا القليل ، يقال إنه قتل منهم يومئذ مائة ألف . واتبعهم القعقاع بالطلب إلى خانقين ، وأجفل يزدجرد من حلوان إلى الري واستخلف عليها حشرشوم[1] ، وجاء القعقاع إلى حلوان فبرز إليه حشرشوم وعلى مقدمته الرمى ، فقتله القعقاع وهرب حشرشوم من ورائه ، وملك القعقاع حلوان وكتب إلى عمر بالفتح واستأذنوا في اتباعهم ، فأبى وقال : وددت أنّ بين السواد والجبل سداً حصيناً من ريف السواد فقد آثرت سلامة المسلمين على الأنفال .

وأحصيت الغنيمة فكانت ثلاثين ألف ألف ، فقسمها سلمان بن ربيعة ، يقال : إنه أصاب الفارس تسعة آلاف وتسعة من الدواب . وبعثوا بالأخماس إلى عمر مع زياد ابن أبيه . فلما قدم الخمس قال عمر : والله لا يجنه سقف حتى أقسمه ، فجعله في المسجد وبات عبد الرحمن بن عوف وعبدالله بن أرقم يحرسانه ، ولما أصبح جاء في الناس ونظر إلى ياقوتة وجوهرة فبكى ، فقال عبد الرحمن بن عوف : مايبكيك يا أمير المؤمنين وهذا موطن شكر ؟ قال : والله ما أعطى الله هذا قوماً إلا تحاسدوا وتباغضوا فيلقي الله بأسهم بينهم . ومنع عمر من قسمة السواد ما بين حلوان والقادسية فاقرّه حبسا ، واشترى جرير بعضه بشاطىء الفرات فردّ عمر الشراء .

ولما رجع هاشم من جلولاء إلى المدائن بلغهم أن أدين بن الهرامون جمع جمعاً وجاء بهم إلى السهل ، فبعث إليه ضرار بن الخطاب في جيش فلقيهم بما سبدان فهزمهم وأسر أدين فقتله ، وانتهى في طلبهم إلى النهروان وفتح ما سبدان عنوة وردّ إليها أهلها ونزل بها فكانت أحد فروج الكوفة ، وقيل كان فتحها بعدنهاوند والله سبحانه أعلم .

---

(١) وفي النسخة الباريسية : خسرشوم وفي نسخة أخرى خشرشوم وفي الطبري ج ٤ ص ١٣٦ : خسروشنوم.

ولاية عتبة بن غزوان على البصرة

كان عمر عندما بعث المثنى إلى الحيرة بعث قطبة[١] بن قتادة السدوسي[٢] إلى البصرة فكان يغير بتلك الناحية ، ثم استمدّ عمر فبعث إليه شريح بن عامر بن سعد ابن بكر فأقبل إلى البصرة ومضى إلى الأهواز ، ولقيه مسلحة الأعاجم فقتلوه . فبعث عمر عتبة بن غزوان والياً على تلك الناحية ، وكتب إلى العلاء بن الحضرمي أن يمدّه بعرفجة بن هرثمة وأمره أن يقيم بالتخوم بين أرض العرب وأرض العجم ، فانتهى إلى حيال الجسر وبلغ صاحب الفرات خبرهم فأقبل في أربعة آلاف وعتبة في خمسمائة والتقوا فقتلوا الأعاجم أجمعين وأسروا صاحب الفرات ، ثم نزل البصرة في ربيع سنة أربع عشرة ، وقيل إنّ البصرة بصرت سنة ست عشرة بعد جلولاء وتكريت . أرسل سعد إليها عتبة فأقام بها شهراً وخرج إليه أهل الأبلة ، وكانت مرفأ للسفن من الصين ، فهزمهم عتبة وأحجرهم في المدينة ورجع إلى عسكره ، ورعب الفرس فخرجوا عن الإبلة وحملوا ما خف وأدخلوا المدينة وعبروا النهر ، ودخلها المسلمون فغنموا ما فيها واقتسموه .

ثم اختط البصرة وبدأ بالمسجد فبناه بالقصب . وجمع لهم أهل دست ميان فلقيهم عتبة فهزمهم وأخذ مرزبانها أسيراً ، وأخذ قتادة منطقته فبعث بها إلى عمر ، وسأل عنهم فقيلَ له : انثالت عليهم الدنيا فهم يهيلون الذهب والفضة . فرغب الناس في البصرة وأتوها . ثم سار عتبة إلى عمر بعد أن بعث مجاشع بن مسعود في جيش إلى الفرات ، واستخلف المغيرة بن شعبة على الصلاة إلى قدوم مجاشع[٣] ، وجاء ألف بيكان من عظماء الفرس إلى المسلمين ولقيهم المغيرة بن شعبة بالمرغاب وبينما هم في القتال إذ لحق بهم النساء وقد اتخذن خمرهن رايات ، فانهزم الأعاجم وكتبوا بالفتح إلى عمر ، فردّ عتبة إلى عمله فمات في طريقه ، وقيل إن إمارة عتبة كانت سنة خمس عشرة وقيل ست عشرة فوليها ستة أشهر ، واستعمل عمر بعده المغيرة بن شعبة سنتين فلما رمى بما رمى به عزله ، واستعمل أبا موسى . وقيل استعمل بعد عتبة أبا سبرة وبعده المغيرة .

---

(١) وفي نسخة ثانية : قتبة .

(٢) وفي نسخة ثانية : السلوسي .

(٣) وفي النسخة البارسية : مشاجع .

وقعة مرج الروم وفتوح مدائن الشام بعدها

لما انهزم الروم بفحل سار أبو عبيدة وخالد إلى حمص واجتمعوا بذي الكلاع في طريقهم ويعث هرقل توذر البطريق للقائهم فنزلوا جميعاً بمرج الروم ، وكان توذر بازاء خالد وشمس[(١)] بطريق آخر بازاء أبي عبيدة وأمسوا متباريين[(٢)] . ثم أصبح فلم يجدوا توذر وسار إلى دمشق واتبعه خالد ، واستقبله يزيد من دمشق فقاتله ، وجاء خالد من خلفه فلم يفلت منهم إلا القليل وغنموا ما معهم . وقاتل شمس[(٣)] أبو عبيدة بعد مسير خالد فانهزم الروم وقتلوا واتبعهم أبو عبيدة إلى حمص ومعه خالد ، فبلغ ذلك هرقل فبعث بطريق حمص إليها وسار هو في الرهاء ، فحاصر أبو عبيدة حمص حتى طلبوا الأمان فصالحهم ، وكان هرقل يعدهم في حصارهم المدد ، وأمر أهل الجزيرة بامدادهم فساروا لذلك . وبعث سعد بن أبي وقاص العساكر من العراق فحاصروا هبت وقرقيسيا فرجع أهل الجزيرة إلى بلادهم . ويئس أهل حمص من المدد فصالحوا على صلح أهل دمشق ، وأنزل أبو عبيدة فيها السمط بن الأسود في بني معاوية من كندة الأشعث بن ميناس في السكون والمقداد في بلي وغيرهم ، وولى عليهم أبو عبيدة عبادة بن الصامت وصار إلى حماة فصالحوه على الجزية عن رؤسهم والخراج عن أرضهم ، ثم سار نحو شيزر فصالحوا كذلك ، ثم إلى المعرة كذلك ويقال معرة النعمان وهو النعمان بن بشير الأنصاري . ثم سار إلى اللاذقية ففتحها عنوة ثم سلمية أيضا ، ثم أرسل أبو عبيدة خالد بن الوليد إلى قنسرين فاعترضه ميناس عظيم الروم بعد هرقل فهزمهم خالد وأثخن فيهم ، ونازل قنسرين حتى افتتحها عنوة وخربها . وأدرب إلى هرقل من ناحينه ، وأدرب عياض بن غنم لذلك ، وأدرب عمر بن مالك من الكوفة إلى قرقيسيا ، وأدرب عبدالله بن المعتمر من الموصل ، فارتحل هرقل إلى القسطنطينية من أمدها ، وأخذ أهل الحصون بين الإسكندرية[(٤)] وطرسوس وشعبها أن ينتفع المسلمون بعمارتها . ولما بلغ عمر صنيع خالد قال : «أمّر

(١) وفي نسخة ثانية : شمر .

(٢) وفي نسخة ثانية : مستترين .

(٣) وفي نسخة ثانية : ششس .

(٤) هي الاسكندرونة مع مقتضى السياق .

خالد نفسه يرحم الله أبا بكر هو كان أعلم مني بالرجال » . وقد كان عزل خالداً والمثنى بن حارثة خشية أن يداخلهما كبر من تعظيم فوكلوا إليه ، ثم رجع عن رأيه في المثنى عند قيامه بعد أبي عبيد ، وفي خالد بعد قنسرين فرجع خالد إلى إمارته .

ولما فرغ أبو عبيدة من قنسرين سار إلى حلب وبلغه أن أهل قنسرين غدروا فبعث إليهم السمط الكندي فحاصرهم وفتح وغنم ، ووصل أبو عبيدة إلى خناصر[1] حلب وهو موضع قريب منها يجمع أصنافاً من العرب ، فصالحوا على الجزية ثم أسلموا بعد ذلك . ثم أتى حلب وكان على مقدّمته عياض بن غنم الفهري فحاصرهم حتى صالحوه على الأمان ، وأجاز ذلك أبو عبيدة ، وقيل صولحوا على مقاسمة الدور والكنائس ، وقيل إنتقلوا إلى انطاكية حتى صالحوا ورجعوا إلى حلب .

ثم سار أبو عبيدة من حلب إلى أنطاكية وبها جمع كبير من فل قنسرين وغيرهم ولقوه قريباً منها فهزمهم وأحجرهم وحاصرهم حتى صالحوه على الجلاء أو الجزية ورحل عنهم ، ثم نقضوا فبعث أبو عبيدة إليهم عياض بن غنم وحبيب بن مسلمة ففتحاها على الصلح الأول وكانت عظيمة الذكر ، فكتب عمر إلى أبي عبيدة أن يرتب فيها حامية مرابطة ولا يؤخر عنهم العطاء[2] . ثم بلغ أبا عبيدة أن جمعاً بالروم بين معرة مصرين وحلب فسار إليهم فهزمهم وقتل بطارقتهم ، وأمعن بل وأثخن فيهم ، وفتح معرة مصرين على صلح حلب . وجالت خيوله فبلغت سرمين وتيري وغلبوا على جميع أرض قنسرين وأنطاكية ، ثم فتح حلب ثانية .

وسار يريد قورس ، وعلى مقدمته عياض ، فصالحوه على صلح أنطاكية . وبث خيله ففتح تل نزار وما يليه ، ثم فتح منبج على يد سلمان بن ربيعة الباهلي ، ثم بعث عياضاً إلى دلوك وعينتاب فصالحهم على مثل منبج واشترط عليهم أن يكونوا عوناً للمسلمين . وولى أبو عبيدة على كل ما فتح من الكور عاملاً وضم إليه جماعة وشحن الثغور المخوفة بالحامية . واستولى المسلمون على الشام من هذه الناحية إلى الفرات ، وعاد أبو عبيدة إلى فلسطين .

وبعث أبو عبيدة جيشاً مع ميسرة بن مسروق العبسي ، فسلكوا درب تفليس إلى بلاد الروم فلقي جمعاً للروم ومعهم عرب من غسان وتنوخ وإياد يريدون اللحاق بهرقل

(١) وفي نسخة ثانية : حاضر

(٢) وفي النسخة الباريسية : ولا يجبي منهم العطاء .

فأوقع بهم وأثخن فيهم ، ولحق به على أنطاكية مالك بن الأشتر النخعي مدداً ، فرجعوا جميعاً إلى أبي عبيدة . وبعث أبو عبيدة جيشاً آخر إلى مرعش مع خالد بن الوليد ففتحها على إجلاء أهلها بالأمان وخرّبها ، وبعث جيشاً آخر مع حبيب بن مسلمة إلى حصن الحرث كذلك . وفي خلل ذلك فتحت قيسارية ، بعث إليها يزيد بن أبي سفيان أخاه معاوية بأمر عمر فسار إليها وحاصرهم بعد أن هزمهم ، وبلغت قتلاهم في الهزائم ثمانين ألفاً وفتحها آخراً وكان علقمة بن مجزز[1] على غزة وفيها القبفار من بطارقة الروم .

وقعة أجنادين وفتح بيسان والاردن وبيت المقدس

لما انصرف أبو عبيدة وخالد إلى حمص بعد واقعة مرج الروم نزل عمرو وشرحبيل على أهل بيسان فافتتحها وصالح أهل الأردن ، واجتمع عسكر الروم بأجنادين وغزة وبيسان وعليهم أرطبون من بطارقة الروم ، فسار عمرو وشرحبيل إليهم واستخلف على الأردن أبا الأعور السلمي . وكان الأرطبون قد أنزل بالرملة جنداً عظيماً من الروم وبيت المقدس كذلك ، وبعث عمر وعلقمة بن حكيم الفراسي ومسرور[2] بن العكي لقتال أهل بيت المقدس ، وبعث أبا أيوب المالكي إلى قتال أهل الرملة ، وكان معاوية محاصراً لأهل قيسارية فشغل جميعهم عنه ، ثم زحف عمرو إلى الأرطبون واقتتلوا كيوم اليرموك وأشدّ ، وانهزم أرطبون إلى بيت المقدس وأفرج له المسلمون الذين كانوا يحاصرونها حتى دخل .

ورجعوا إلى عمرو وقد نزل أجنادين . وقد تقدم لنا ذكر هذه الوقعة قبل اليرموك على قول من جعلها قبلها وهذا على قول من جعلها بعدها . ولما دخل أرطبون بيت المقدس فتح عمرو غزة ، وقيل كان فتحها في خلافة أبي بكر ، ثم فتح سبسطية وفيها قبر يحيى بن زكريا ، وفتح نابلس على الجزية ، ثم فتح مدينة لدّ ، ثم عمواس وبيت حبرين ويافا ورفح وسائر مدائن الأردن . وبعث إلى الأرطبون فطلب أن يصالح كأهل الشام ويتولى العقد عمر وكتبوا إليه بذلك ، فسار عن المدينة واستخلف عليّ بن أبي طالب بعد أن عذله في مسيره فأبى ، وقد كان واعد أمراء الأجناد هنالك فلقيه

(١) مجزز : بجيم مفتوحة وزايين الاولى مشردة مكسورة كما في الكامل اهـ .
(٢) وفي نسخة ثانية : مسروق .

يزيد ثم أبو عبيدة ثم خالد على الخيول عليهم الديباج والحرير فنزل ورماهم بالحجارة ، وقال : أتستقبلوني[1] في هذا الزي ؟ وإنما شبعتم منذ سنتين والله لو كان على رأس المائتين لاستبدلت بكم فقالوا : إنها بلا ثمن. وإن علينا السلاح ، فسكت ودخل الجابية . وجاءه أهل بيت المقدس وقد هرب أرطبون عنهم إلى مصر ، فصالحوه على الجزية وفتحوها له وكذلك أهل الرملة . وولى علقمة بن حكيم على نصف فلسطين وأسكنه الرملة ، وعلقمة بن مجزز على النصف الآخر وأسكنه بيت المقدس ، وضم عمراً وشرحبيل إليه فلقياه بالجابية . وركب عمر إلى بيت المقدس فدخلها وكشف عن الصخرة وأمر ببناء المسجد عليها وذلك سنة خمس عشرة وقيل سنة ست عشرة . ولحق أرطبون بمصر مع من أبى الصلح من الروم حتى هلك في فتح مصر ، وقيل إنما لحق بالروم وهلك في بعض الصوائف . ثم فرّق عمر العطاء ودون الدواوين سنة خمس عشرة ورتب ذلك على السابقة .

ولما أعطى صفوان بن أمية والحرث بن هشام وسهيل بن عمرو أقل من غيرهم قالوا : لا والله لا يكون أحد أكرم منا . فقال : إنما أعطيت على سابقة الإسلام لا على الأحساب . قالوا فنعم إذاً . وخرجوا إلى الشام فلم يزالوا مجاهدين حتى أصيبوا .

ولما وضع عمر الدواوين قال له عليّ وعبد الرحمن إبدأ بنفسك ، قال لا بل بعَم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الأقرب فالأقرب ، ورتب ذلك على مراتب ففرض خمسة آلاف ثم أربعة ثم ثلاثة ثم ألفين وخمسمائة ثم ألفين ثم ألفا واحداً ثم خمسمائة ثم ثلثمائة ثم مائتين وخمسين ثم مائتين ، وأعطى نساء النبي صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف لكل واحدة وفضل عائشة بألفين ، وجعل النساء على مراتب فلأهل بدر خمسمائة ثم أربعماية ثم ثلثمائة ثم مائتين ، والصبيان مائة مائة والمساكين جريبين[2] في الشهر ، ولم يترك في بيت المال شيئاً . وسئل في ذلك فأبى وقال : هي فتنة لمن بعدي . وسأل الصحابة في قوته من بيت المال ، فأذنوا له وسألوه في الزيادة على لسان حفصة ابنته متكتمين عنه ، فغضب وامتنع ، وسألها عن حال رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيشه وملبسه وفراشه فأخبرته بالكفاف من ذلك ، فقال والله لأضعن الفضول مواضعها ولأتبلغن بالترجية وإنما مثلي ومثل صاحبي كثلاثة سلكوا طريقاً

(١) الاصح ان يقول : تستقبلونني .
(٢) وفي نسخة ثانية : جرايتين .

وتزود الأول فبلغ المنزل واتبعه الآخر مقتدياً به كذلك ثم جاء الثالث بعدهما فإن اقتفى طريقها وزادهما لحق بهما وإلا لم يبلغها .

وفتحت في جمادى من هذه السنة تكريت لأن أهل الجزيرة كانوا قد اجتمعوا إلى المرزبان الذي كان بها وهم من الروم وإياد وتغلب والنمر ومعهم المشهارجة ليحموا أرض الجزيرة مَن ورائهم ، فسرح إليهم سعد بن أبي وقاص بأمر عمر ، كاتبه عبدالله بن المعتمر وعلى مقدمته ربعي بن الأفكل وعلى الخيل عرفجة بن هرثمة ، فحاصروهم أربعين يوماً وداخلوا العرب الذين معهم فكانوا يطلعونهم على أحوال الروم ، ثم يئس الروم من أمرهم واعترموا على ركوب السفن في دجلة للنجاة ، فبعث العرب بذلك إلى المسلمين وسألوهم الأمان ، فأجابوهم على أن يسلموا فأسلموا وواعدوهم الثبات والتكبير وأن يأخذوا على الروم أبواب البحر مما يلي دجلة ففعلوا . ولما سمع الروم التكبير من جهة البحر ظنوا أن المسلمين استداروا من هناك فخرجوا إلى الناحية التي فيها المسلمون فأخذتهم السيوف من الجهتين ، ولم يفلت إلا من أسلم من قبائل ربيعة من تغلب والنمر وإياد . وقسمت الغنائم فكان للفارس ثلاثة آلاف درهم وللراجل ألف . ويقال إن عبدالله بن المعتمر بعث ربعي بن الأفكل بعهد عمر إلى الموصل ونينوى وهما حصنان على دجلة من شرقيها وغربيها ، فسار في تغلب وإياد والنمر وسبقوه إلى الحصنين فأجابوا إلى الصلح وصاروا ذمة . وقيل بل الذي فتح الموصل عتبة بن فرقد سنة عشرين وأنه ملك نينوى وهو الشرقي عنوة . وصالحوا أهل الموصل وهو الغربي على الجزية وفتح معها جبل الأكراد[1] وجميع أعمال الموصل وقيل إنما بعث عتبة بن فرقد عياض بن غنم عندما فتح الجزيرة على ما نذكره والله أعلم .

مسير هرقل إلى حمص وفتح الجزيرة وارمينية

كان أهل الجزيرة قد راسلوا هرقل وأغروه بالشام وأن يبعث الجنود إلى حمص وواعدوه المدد ، وبعثوا الجنود إلى أهل هيت مما يلي العراق ، فأرسل سعد عمر بن مالك بن جبير بن مطعم في جند وعلى مقدمته الحرث بن يزيد العامري فسار إلى هيت وحاصرهم ، فلما رأى اعتصامهم بخندقهم حجر عليهم الحرث بن يزيد وخرج

(١) وفي النسخة الباريسية : معاقيل الاكراد .

في نصف العسكر وجاء قرقيسيا على غرّة فأجابوه إلى الجزية ، وكتب إلى الحرث أن يخندق على عسكر الجزيرة فبيت حتى سألوا المسالمة والعود إلى بلادهم فتركهم ولحق بعمر بن مالك .

ولما اعتزم هرقل على قصد حمص وبلغ الخبر أبا عبيدة ضمّ إليه مسالحه وعسكر بفنائها ، وأقبل إليه خالد من قنسرين ، وكتبوا إلى عمر بخبر هرقل فكتب إلى سعد أن يذهب بل أن يندب الناس مع القعقاع بن عمرو ويسرحهم من يومهم فإن أبا عبيدة قد أحيط به ، وان يسرح سهيل بن عدي إلى الرقة فإن أهل الجزيرة هم الذين استدعوا الروم إلى حمص ، وأن يسرح عبدالله بن عتبان إلى نصيبين ثم يقصد حران والرها ، وأن يسرح الوليد بن عقبة إلى عرب الجزيرة من ربيعة وتنوخ وأن يكون عياض بن غنم على أمراء الجزيرة هؤلاء إن كانت حرب . فمضى القعقاع من يومه في أربعة آلاف إلى حمص ، وسار عياض بن غنم وأمراء الجزيرة كل أمير إلى كورته ، وخرج عمر من المدينة فأتى الجابية يريد حمص مغيثاً لأبي عبيدة . ولما سمع أهل الجزيرة خبر الجنود فارقوا هرقل ورجعوا إلى بلادهم ، وزحف أبو عبيدة إلى الروم فانهزموا ، وقدم القعقاع من العراق بعد الوقعة بثلاث ، وكتبوا إلى عمر بالفتح فكتب إليهم أن أشركوا أهل العرب في الغنيمة . وسار عياض بن غنم إلى الجزيرة وبعث سهيل بن عدي إلى الرقة عند ما انقبضوا عن هرقل فنهضوا معه ، إلا إياد بن نزار ، فإنهم دخلوا أرض الروم . ثم بعث عياض بن سهيل وعبدالله يضمها إليه ، وسار بالناس إلى حران فأجابوه إلى الجزية . ثم سرح سهيلاً وعبدالله إلى الرها فأجابوا إلى الجزية ، وكمل فتح الجزيرة . وكتب أبو عبيدة إلى عمر لما رجع من الجابية ، وانصرف معه خالد أن يضم إليه عياض بن غنم مكانه ففعل ، وولى حبيب بن مسلمة على عجم الجزيرة وحربها والوليد بن عقبة على عربها .

ولما بلغ عمر دخول إياد إلى بلاد الروم ، كتب إلى هرقل بلغني أن حيّاً من أحياء العرب تركوا دارنا وأتوا دارك فوالله لتخرجنهم أو لنخرجنّ النصارى إليك ، فأخرجهم هرقل وتفرّق منهم أربعة آلاف فيما يلي الشام والجزيرة ، وأبى الوليد بن عقبة أن يقبل منهم إلا الإسلام ، فكتب إليه عمر إنما ذلك في جزيرة العرب إلى تل التي فيها مكة والمدينة واليمن فدعهم على أن لا ينصّروا وليداً ولا يمنعوا أحداً منهم من الإسلام . ثم وفدوا إلى عمر في أن يضع عنهم اسم الجزية فجعلها الصدقة مضاعفة .

ثم عزل الوليد عنهم لسطوته وعزتهم ، وأمر عليهم فرات بن حيان وهند بن عمر الجملي .

وقال ابن اسحق : إن فتح الجزيرة كان سنة تسع عشرة وإن سعداً بعث إليها الجند مع عياض بن غنم وفيهم ابنه عمر مع عياض بن غنم ، ففتح عمر مع عياض الرها ، وصالحت حرّان ، وافتتح أبو موسى نصيبين ، وبعث عثمان بن ابي العاص إلى أرمينية فصالحوه على الجزية ، ثم كان فتح قيسارية من فلسطين ، فتكون الجزيرة على هذا من فتوح أهل العراق والأكثر أنها من فتوح أهل الشام . وأن أبا عبيدة سيّر عياض بن غنم إليها ، وقيل بل استخلفه لما توفي ، فولاه عمر على حمص وقنسرين والجزيرة فسار إليها سنة ثمان عشرة في خمسة آلاف فانتهت طائفة إلى الرقة فحاصروها حتى صالحوه على الجزية والخراج على الفلاحين . ثم سار إلى حران فجهز عليها صفوان بن المعطل وحبيب بن مسلمة ، وسار هو إلى الرها فحاصرها حتى صالحوه . ثم رجع إلى حران وصالحهم كذلك ، ثم فتح سميساط وسروج ورأس كيفا فصالحوه على منبج كذلك ، ثم آمد ثم ميافارقين ثم كفرتوثا[1] ثم نصيبين ثم ماردين ثم الموصل وفتح أحد حصنيها ، ثم سار إلى أرزن الروم ففتحها ودخل الدرب إلى بدليس[2] . ثم خلاط فصالحوه وانتهى إلى اطراف أرمينية ، ثم عاد إلى الرقّة ومضى إلى حمص فمات . واستعمل عمر عمير بن سعد الأنصاري ففتح رأس عين وقيل إن عياضاً هو الذي أرسله ، وقيل إن أبا موسى الأشعري هو الذي افتتح رأس عين بعد وفاة عياض بولاية عمر ، وقيل إن خالداً حضر فتح الجزيرة مع عياض ودخل الحمام بآمد فأطلى بشيء فيه خمر وقيل لم يسر خالد تحت لواء أحد بعد أبي عبيدة .

ولما فتح عياض سميساط بعث حبيب بن مسلمة إلى ملطية ففتحها عنوة أيضاً ورتب فيها الجند وولى عليها ، ولما أدرب عياض بن غنم من الجابية . فرجع عمر إلى المدينة سنة سبع عشرة وعلى حمص أبو عبيدة ، وعلى قنسرين خالد بن الوليد من تحته ، وعلى دمشق يزيد ، وعلى الأردن معاوية ، وعلى فلسطين علقمة بن مجزز ، وعلى السواحل عبدالله بن قيس . وشاع في الناس ما أصاب خالد مع عياض بن غنم من الأموال فانتجعه رجال منهم الأشعث بن قيس وأجازه بعشرة آلاف ، وبلغ ذلك

(١) وفي النسخة الباريسية : كفرتوثا .

(٢) وفي النسخة الباريسية : تفليس .

عمر مع ما بلغه في آمد من تدلكه بالخمر ، فكتب إلى أبي عبيدة أن يقيمه في المجلس وينزع عنه قلنسوته ويعقله بعمامته ويسأله من أين أجاز الأشعث ؟ فإن كان من ماله فقد أسرف فاعزله واضمم إليك عمله . فاستدعاه أبو عبيدة وجمع الناس وجلس على المنبر وسأل البريد[1] خالداً فلم يجبه ؛ فقام بلال وأنفذ فيه أمر عمر وسأله ، فقال : من مالي فأطلقه وأعاد قلنسوته وعمامته . ثم استدعاه عمر فقال من أين هذا الثراء ؟ قال : من الأنفال والسهمان وما زاد على ستين ألفا فهو لك فجمع ماله فزاد عشرين فجعلها في بيت المال ثم استصلحه .

وفي سنة سبع عشرة هذه اعتمر عمر ووسع في المسجد ، وأقام بمكة عشرين ليلة ، وهدم على من أبى البيع دورهم لذلك ، وكانت العمارة في رجب وتولاها : مخرمة بن نوفل ، والأزهر بن عبد عوف ، وحويطب بن عبد العزى وسعيد بن يربوع ، واستأذنه أهل المياه أن يبنو المنازل بين مكة والمدينة فأذن لهم على شرط أن ابن السبيل أحق بالظل والماء .

غزو فارس من البحرين وعزل العلاء عن البصرة ثم المغيرة وولاية أبي موسى

كان العلاء بن الحضرمي على البحرين أيام أبي بكر ثم عزله عمر بقدامة بن مظعون ثم أعاده ، وكان العلاء يناوىء سعد بن أبي وقاص ووقع له في قتال أهل الردة ما وقع ، فلما ظفر سعد بالقادسية كانت أعظم من فعل العلاء ، فأراد أن يؤثر في الفرس شيئاً فندب الناس إلى فارس وأجابوه ، وفرّقهم أجنادا بين الجارود بن المعلى والسوار ابن همام وخليد بن المنذر وأمره على جميعهم وحمله في البحر إلى فارس بغير إذن من عمر لأنه كان ينهي عن ذلك وأبو بكر قبله خوف الغرق . فخرجت الجنود إلى اصطخرو بازائهم الهربذ في أهل فارس ، وحالوا بينهم وبين سفنهم فخاطبهم خليد وقال : إنما جئتم لمحاربتهم والسفن والأرض لمن غلب . ثم ناهدوهم واقتتلوا بطاوس ، وقتل الجارود والسوار وأمر خُلَيْد أصحابه أن يقاتلوا رجّالة ، وقتل من الفرس مقتلة عظيمة ، ثم خرج المسلمون نحو البصرة وأخذ الفرس عليهم الطرق فعسكروا

(١) وفي نسخة ثانية : اليزيد .

وامتنعوا ، وبلغ ذلك عمر فأرسل إلى عتبة بالبصرة يأمره بإنفاذ جيش كثيف إلى المسلمين بفارس قبل أن يهلكوا ، وأمر العلاء بالإنصراف عن البحرين إلى سعد بمن معه ، فأرسل عتبة الجنود اثني عشر ألف مقاتل فيهم عاصم بن عمرو وعرفجة بن هرثمة والأحنف بن قيس وأمثالهم وعليهم أبو سبرة بن أبي رهم من عامر بن لؤي ، فساحل بالناس حتى لقوا خليداً والعسكر ، وقد تداعى إليهم بعد وقعة طاوس أهل فارس من كل ناحية ، فاقتتلوا وانهزم المشركون وقتلوا . ثم انكفؤا بما أصابوا من الغنائم واستحثهم عتبة بالرجوع فرجعوا إلى البصرة .

ثم استأذن عتبة في الحج فأذن له عمر فحج ، ثم استعفاه فأبى وعزم عليه ليرجعن إلى عمله فانصرف ومات ببطن نخلة على رأس ثلاث سنين من مفارقة سعد . واستخلف على عمله أبا سبرة بن أبي رهم فأقره عمر بقية السنة .

ثم استعمل المغيرة بن شعبة عليها ، وكان بينه وبين أبي بكرة منافرة وكانا متجاورين في مشربتين ينفذ البصر من إحداهما إلى الأخرى من كوتين ، فزعموا أن أبا بكرة وزياد بن أبيه وهو أخوه لأمه[1] وآخرين معهما عاينوا المغيرة على حالة قذفوه بها ، وادعوا الشهادة ومنعه أبو بكرة من الصلاة ، وبعثوا إلى عمر ، فبعث أبا موسى أميراً في تسعة وعشرين من الصحابة فيهم أنس بن مالك وعمران بن حصين وهشام بن عامر ومعهم كتاب عمر إلى المغيرة : «أما بعد فقد بلغني عنك نبأ عظيم وبعثت أبا موسى أميراً فسلم إليه ما في يدك والعجل» . ولما استحضرهم عمر اختلفوا في الشهادة ولم يستكملها زياد فجلد الثلاثة . ثم عزل أبا موسى عن البصرة بعمر بن سراقة ثم صرفه إلى الكوفة ورد أبا موسى فأقام عليه .

بناء البصرة والكوفة

وفي هذه السنة وهي اربع عشرة بلغ عمر أن العرب تغيرت ألوانهم ورآى ذلك في وجوه وفودهم فسألهم فقالوا وخومة البلاد غيرتنا ، وقيل إن حذيفة وكان مع سعد كتب بذلك إلى عمر فسأل عمر سعداً فقال : غيرتهم وخومة البلاد والعرب لا يوافقها من البلاد إلا ما وافق إبلها ، فكتب إليه أن يبعث سلمان وحذيفة شرقية فلم يرضيا إلا

(١) وفي النسخة الباريسية : اخوه لأبيه .

بقعة الكوفة فصليا فيها ودعيا أن تكون منزل ثبات . ورجع إلى سعد فكتب إلى القعقاع وعبدالله بن المعتمر أن يستخلفا على جندهما ويحضرا ، وارتحل من المدائن فنزل الكوفة في المحرم سنة سبع عشرة لسنتين وشهرين من وقعة القادسية ولثلاث سنين وثمانية أشهر من ولاية عمر ، وكتب إلى عمر إني قد نزلت الكوفة بين الحيرة والفرات برّيا بحريا بين الجلاء والنصر وخيرت الناس بينها وبين المدائن ومن أعجبته تلك جعلته فيها مسلحة ، فلما استقروا بالكوفة ثاب إليهم ما فقدوه من حالهم . ونزل أهل البصرة أيضاً منازلهم في وقت واحد مع أهل الكوفة بعد ثلاث مرات نزلوها من قبل واستأذنوا جميعاً في بنيان القصب ، فكتب عمر : إن العسكرة أشد لحربكم وأذكر لكم وما أحب أن أخالفكم فابتنوا بالقصب . ثم وقع الحريق في القصرين فاستأذنوا في البناء باللبن فقال : إفعلوا ولا يزيد أحد على ثلاثة بيوت ولا تطاولوا في البنيان والزموا السنّة تلزمكم الدولة . وكان على تنزيل الكوفة أبو هياج بن مالك ، وعلى تنزيل البصرة أبو المحرب عاصم بن الدلف . وكانت ثغور الكوفة أربعة : حلوان وعليها القعقاع ، وما سبدان وعليها ضرار بن الخطاب ، وقرقيسيا وعليها عمر بن مالك ، والموصل وعليها عبدالله بن المعتمر . ويكون بها خلفاؤهم إذا غابوا .

فتح الاهواز والسوس بعدها

لما انهزم الهرمزان يوم القادسية قصد خوزستان وهي قاعدة الأهواز فلكها وملك سائر الأهواز ، وكان أصله منهم من البيوتات السبعة في فارس ، وأقام يغير على أهل ميسان ودست ميسان من ثغور البصرة يأتي اليها من منادر ونهر تيري من ثغور الأهواز . واستمد عتبة بن غزوان سعداً فأمده بنعيم بن مقرن ، ونعيم بن مسعود ، فنزلا بين ثغور البصرة وثغور الأهواز . وبعث عتبة بن غزوان سلمي بن القين وحرملة بن مريطة[1] من بني العدوية بن حنظلة فنزلا على ثغور البصرة بميسان ، ودعوا بني العم بن مالك وكانوا ينزلون خراسان ، فأهل البلاد يأمنونهم ، فاستجابوا وجاء منهم غالب الوائلي وكليب بن وائل الكلبي فلقيا سلمي وحرملة وواعداهما الثورة بمنادر ونهرتيري . ونهض سلمي وحرملة يوم الموعد في التعبية وأنهضا نعيماً والتقوا هم

(١) وفي نسخة ثانية : بن قريضة .

والهرمزان[1] وسلمي على أهل البصرة ونعيم على أهل الكوفة ، وأقبل إليهما المدد من قبل غالب وكليب وقد ملك منادر ونهرتيري ، فانهزم وقتل المسلمون من أهل فارس مقتلة ، وانتهوا في اتباعهم إلى شاطىء دجيل وملكوا ما دونها . وعبر الهرمزان جسر سوق الأهواز وصار دجيل بينه وبين المسلمين ، ثم طلب الهرمزان الصلح فصالحوه على الأهواز كلها ما خلا[2] نهر تيري ومنادر وما غلبوا عليه من سوق الأهواز فإنه لا يرد ، وبقيت المسالح على نهرتيري ومنادر وفيهما غالب وكليب . ثم وقع بينهما وبين الهرمزان اختلاف في التخم ووافقهما سلمي وحرملة فنقض الهرمزان ومنع ما قبله وكثف جنوده بالأكراد ، وبعث عتبة بن غزوان حرقوص بن زهير السعدي لقتاله ، فانهزم وسار إلى رام هرمز وفتح حرقوص سوق الأهواز ونزل بها واتسقت[3] له البلاد إلى تستر . ووضع الجزية وكتب بالفتح وبعث في أثر الهرمزان جزء بن معاوية فانتهى الى قرية الشغر ، ثم الى دورق فملكها وأقام بالبلاد وعمّرها وطلب الهرمزان الصلح على ما بقي من البلاد ، ونزل حرقوص جبل الأهواز وكان يزدجرد في خلال ذلك يمد ويحرض أهل فارس حتى اجتمعوا وتعاهدوا مع أهل الأهواز على النصرة ، وبلغت الأخبار حرقوصاً وجزءا وسلمي وحرملة فكتبوا إلى عمر فكتب إلى سعد أن يبعث جنداً كثيفاً مع النعمان بن مقرن ينزلون منازل الهرمزان ، وكتب إلى أبي موسى أن يبعث كذلك جنداً كثيفاً مع سعد بن عدي أخي سهيل ويكون فيهم البراء بن مالك ومجزأة بن ثور وعرفجة بن هرثمة وغيرهم ، وعلى الجندين أبو سبرة بن أبي رهم .

فخرج النعمان بن مقرّن في أهل الكوفة فخلّف حرقوصا وسلمي وحرملة إلى الهرمزان وهو برام هرمز ، فلما سمع الهرمزان بمسير النعمان إليه بادره الشده ولقيه فانهزم ولحق بتستر ، وجاء النعمان إلى رام هرمز فنزلها وجاء أهل البصرة من بعده فلحقهم خبر الواقعة بسوق الأهواز فساروا حتى أتوا تستر ، ولحقهم النعمان فاجتمعوا على تستر وبها الهرمزان ، وأمدّهم عمر بأبي موسى جعله على أهل البصرة فحاصروهم أشهراً وأكثروا فيهم القتل ، وزاحفهم المشركون ثمانين زحفاً سجالاً ثم انهزموا في آخرها ، واقتحم المسلمون خنادقهم وأحاطوا بها وضاق عليهم الحصار فاستأمن بعضهم من

(۱) وفي النسخة الباريسية : ولقوا الهرمزان .
(۲) وفي النسخة الباريسية : ما عدا .
(۳) وفي نسخة ثانية : اتسعت .

داخل البلد بمكتوب في سهم على أن يدلهم على مدخل يدخلون منه ، فانتدب لهم طائفة ودخلوا المدينة من مدخل الماء وملكوها وقتلوا المقاتلة ، وتحصّن الهرمزان بالقلعة فأطافوا بها واستنزلوه على حكم عمرو وأوثقوه . واقتسموا الفيء فكان سهم الفارس ثلاثة آلاف والراجل ألف . وقتل من المسلمين في تلك الليلة البرّاء بن مالك ومجزأة بن ثور قتلهما الهرمزان .

ثم خرج أبو سبرة في أثر المنهزمين ومعه النعمان وأبو موسى فنزلوا على السوس ، وسار زِرُّ ابن عبدالله الفقيمي إلى جنديسابور فنزل عليها . وكتب عمر إلى أبي موسى الأشعري بالرجوع إلى البصرة وأمر مكانه الأسود بن ربيعة بن مالك صحابي يسمّى المقترب ، وأرسل أبو سبرة بالهرمزان إلى عمر في وفد منهم أنس بن مالك والأحنف بن قيس فقدموا به المدينة وألبسوه كسوته من الديباج المذهب وتاجه مرصّعاً بالياقوت وحليته ليراه المسلمون ، فلما رآه عمر أمر بنزع ما عليه وقال يا هرمزان كيف رأيت أمر الله وعاقبة الغدر؟ فقال : يا عمر إنا وإياكم في الجاهلية كان الله قد خلى بيننا وبينكم فغلبناكم . فلما صار الآن معكم غلبتمونا . قال : فما حجتُك وما عذرك في الانتقاض مرّة بعد أخرى ؟ قال : أخاف أن تقتلني قبل أن أخبرك ، قال لا تخف ذلك . ثم استقى فأُتيَ بالماء فقال : أخاف أن أُقتل وأنا أشرب فقال لا بأس عليك حتى تشربه ، فألقاه من يده وقال لا حاجة لي في الماء وقد أمّنتني . قال : كذبت.. قال أنس : صدق يا أمير المؤمنين فقد قلت له لا بأس عليك حتى تخبرني وحتى تشربه وصدّق الناس . فأقبل عمر على الهرمزان وقال خدعتني لا والله إلا أن تسلم ! فأسلم . ففرض له في ألفين وأنزله المدينة واستأذنه الأحنف بن قيس في الانسياح في بلاد فارس وقال : لا يزالون في الانتقاض حتى يهلك ملكهم فأذن له .

ولما لحق أبو سبرة بالسوس[1] ونزل عليها وبها شهريار أخو الهرمزان فأحاط بها ومعه المقترب بن ربيعة في جند البصرة ، فسأل أهل السوس الصلح فأجابوهم . وسار النعمان بن مقرّن بأهل الكوفة إلى نهاوند وقد اجتمع بها الأعاجم ، وسار المقترب إلى زرّ بن عبدالله على جنديسابور فحاصروها مدّة ثم رمى السهم بالأمان من خارج على الجزية فخرجوا لذلك ، فناكرهم المسلمون فإذا عبد فعل ذلك أصله منهم ، فأمضى عمر أمانه . وقيل في فتح السوس إنّ يزدجرد سار بعد وقعة جلولاء فنزل

(١) وفي النسخة البارىسية : بالفرس

اصطخر ومعه سياه[1] في سبعين ألفا من فارس فبعثه إلى السوس ونزل الكلبانية وبعث الهرمزان إلى تستر ، ثم كانت واقعة ابي موسى فحاصرهم فصالحوه على الجزية وسار الى هرمز ثم إلى تستر. ونزل سياه بين رام هرمز وتستر ، وحمل أصحابه على صلح أبي موسى ثم على الإسلام على أن يقاتلوا الأعاجم ولا يقتلوا العرب ويمنعهم هو من العرب ، ويلحقوا بأشراف العطاء فأعطاهم ذلك عمر[2] وأسلموا وشهدوا فتح تستر ، ومضى سياه إلى بعض الحصون في زي العجم فغدرهم وفتحه للمسلمين وكان فتح تستر وما بعدها سنة سبع عشرة وقيل ست عشرة .

مسير المسلمين الى الجهات للفتح

لما جاء الأحنف بن قيس بالهرمزان إلى عمر قال له : يا أمير المؤمنين لا يزال أهل فارس يقاتلون ما دام ملكهم فيهم فلو أذنت بالإنسياح في بلادهم فأزلنا[3] ملكهم انقطع رجاؤهم . فأمر أبا موسى أن يسير من البصرة غير بعيد ويقيم حتى يأتي أمره ، ثم بعث إليه مع سهيل بن عديّ بألوية الأمراء الذين يسيرون في بلاد العجم : لواء خراسان للأحنف بن قيس ، ولواء أردشير خرة وسابور لمجاشع بن مسعود السلمي ، ولواء اصطخر لعثمان بن أبي العاص الثقفي ، ولواء فسا ودار ابجرد لسارية بن زنيم الكناني ، ولواء كرمان لسهيل بن عديّ ، ولواء سجستان لعاصم بن عمرو ، ولواء مكران للحكم بن عمير التغلبي[4] . ولم يتهيأ مسيرهم إلى سنة ثمان عشرة ، ويقال سنة إحدى وعشرين أو إثنين وعشرين ، ثم ساروا في بلاد العجم وفتحوا كما يذكر بعد .

مجاعة عام الرمادة وطاعون عمواس

وأصاب الناس سنة ثمان عشرة قحط شديد وجدب أعقب جوعا بعد العهد بمثله مع طاعون أتى على جميع الناس ، وحلف عمر لا يذوق السمن واللبن حتى يحيا

(١) وفي نسخة ثانية : سياه

(٢) وفي النسخة الباريسية : فعقد لهم ذلك عمر وأسلموا .

(٣) وفي النسخة الباريسية : فازلت ملكهم

(٤) وفي نسخة ثانية : الثعلبي .

الناس ، وكتب إلى الأمراء بالأمصار يستمدّهم لأهل المدينة ، فجاء أبو عبيدة بأربعة آلاف راحلة من الطعام ، وأصلح عمرو بن العاص بحر القلزم وأرسل فيه الطعام من مصر فرخص السعر ، واستقى عمر بالناس فخطب الناس وصلّى . ثم قام وأخذ بيد العبّاس وتوسّل به ثم بكى وجثا على ركبتيه يدعو إلى أن مُطِر الناس . وهلك بالطاعون أبو عبيدة ومعاذ ويزيد بن أبي سفيان والحرث بن هشام وسهيل بن عمرو وابنه عتبة في آخرين أمثالهم . وتفانى الناس بالشام ، وكتب عمر إلى أبي عبيدة أن يرتفع بالمسلمين من الأرض التي هو بها فدعا أبا موسى يرتاد له منزلا ومات قبل رحيله ، وسار عمر بالناس إلى الشام وانتهى الى سَرْغٍ ولقيه أمراء الأجناد وأخبروه بشدّة الوباء ، واختلف الناس عليه في قدومه فقبل إشارة العود ورجع ، وأخبر عبد الرحمن بن عوف بما سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمر الوباء فقال : «إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا فراراً منه» . أخرجاه في الصحيحين .

ولما هلك يزيد ولّى عمر على دمشق مكانه أخاه معاوية بن أبي سفيان وعلى الأرض شرحبيل بن حسنة ، ولمّا فحش أثر الطاعون بالشام أجمع عمر على المسير إليه ليقسّم مواريث المسلمين ويتطوّف على الثغور ففعل ذلك ، ورجع واستقضى في سنة ثمان عشرة على الكوفة شريح بن الحرث الكنديّ ، وعلى البصرة كعب بن سوار الأزديّ . وحج في هذه السنة ويقال إن فتح جلولاء والمدائن والجزيرة كان في هذه السنة وقد تقدّم ذكر ذلك وكذلك فتح قيسارية على يد معاوية وقيل سنة عشرين .

فتح مصر

ولما فتح عمر بيت المقدس استأذنه عمرو بن العاص في فتح مصر فأغزاه ثم اتبعه الزبير بن العوّام فساروا سنة عشرين أو إحدى أو إثنين أو خمس فاقتحموا باب إليون ثم ساروا في قرى الريف إلى مصر ولقيهم الجاثليق أبو مريم والأسقف قد بعثه المقوقس ، وجاء أبو مريم إلى عمرو فعرض الجزية والمنع وأخبره بما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأنهم ، وأجّلهم ثلاثا ورجعوا إلى المقوقس وأرطبون أمير الروم فأبى من ذلك أرطبون وعزم على الحرب وبيّت المسلمين فهزموه وجنده . ونازلوا عين شمس

وهي المطريّة وبعثوا لحصار الفرما أبرهه[1] بن الصبّاح ، ولحصار الإسكندرية عوف ابن مالك ، وراسلهم أهل البلاد وانتظروا عين شمس فحاصرهم عمرو والزبير مدة حتى صالحوهما على الجزية ، وأجروا ما أخذوا قبل ذلك عنوة ، فجرى الصلح وشرطوا ردّ السبايا فأمضاه لهم عمر بن الخطّاب على أن يجيز السبايا في الإسلام وكتب العهد بينهم ونصّه :

«بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم ودمهم وأموالهم وكافّتهم وصاعهم[2] ومدّهم وعددهم لا يزيد شيء في ذلك ولا ينقص ولا يساكنهم النوب ، وعلى أهل مصر أن يعطوا الجزية إذا اجتمعوا على هذا الصلح وانتهت زيادة نهرهم خمسين ألف ألف وعليه ممن جنى نصرتهم فإن أبى أحد منهم أن يجيب رفع عنهم من الجزى بقدرهم[3] وذمتنا ممّن أبى بريّة وإن نقص نهرهم من غايته[4] اذا انتهى رفع عنهم بقدر ذلك ، ومن دخل في صلحهم من الروم والنوب فله ما لهم وعليه ما عليهم ومن أبى واختار الذهاب فهو آمن حتى يبلغ مأمنه ويخرج من سلطاننا ، وعليهم ما عليهم أثلاثا في كل ثلث جباية ثلث ما عليهم على ما في هذا الكتاب عهد الله وذمته وذمة رسوله وذمة الخليفة أمير المؤمنين وذمم المؤمنين . وعلى النوبة الذين استجابوا أن يعينوا بكذا وكذا رأسا وكذا فرسا على أن لا يغزوا ولا يمنعوا من تجارة صادرة ولا واردة . شهد الزبير وعبدالله ومحمد إبناه وكتب وردان وحضر» هذا نص الكتاب منقولا من الطبري .

قال فدخل في ذلك أهل مصر كلهم وقبلوا الصلح ونزل المسلمون الفسطاط ، وجاء أبو مريم الجاثليق يطلب السبايا التي بعد المعركة في ايام الأجل فأبى عمرو من ردّها وقال : أغاروا وقاتلوا وقسّمتهم في الناس ، وبلغ الخبر إلى عمر فقال : من يقاتل في أيام الأجل فله الأمن وبعث بهم إلى الرباق[5] فردّهم عليهم . ثم سار عمرو إلى الإسكندرية فاجتمع له من بينها وبين الفسطاط من الروم والقبط فهزمهم وأثخن

(١) وفي نسخة ثانية : الفورفا أبرهة

(٢) وفي النسخة الباريسية : وصلبهم

(٣) وفي نسخة ثانية : من الجزية بعددهم

(٤) وفي النسخة الباريسية : من عادته

(٥) وفي نسخة ثانية : الرقاق

فيهم ، ونازل الإسكندرية وبها المقوقس وسأله المدنة إلى مدّة فلم يجبه وحاصرهم ثلاثة أشهر ثم فتحها عنوة وغنم ما فيها وجعلهم ذمة . وقيل إنّ المقوقس صالح عمراً على إثني عشر ألف دينار على أن يخرج من يخرج ويقيم من يقيم باختيارهم وجعل عمرو فيها جنداً .

ولما تم فتح مصر والإسكندرية أغزى عمرو العساكر إلى النوبة فلم يظفروا ، فلما كان أيام عثمان وعبدالله بن أبي سرح على مصر صالحهم على عدّة رؤوس في كل سنة ويهدي إليهم المسلمون طعاماً وكسوة فاستمرّ ذلك فيها[1] .

وقعة نهاوند وما كان بعدها من الفتوحات

لما فتحت الأهواز ويزدجرد بمرو كاتبوه واستنجدوه ، فبعث إلى الملوك ما بين الباب والسند وخراسان وحلوان يستمدّهم فأجابوه ، واجتمعوا إلى نهاوند وعلى الفرس الفيرزان في مائة وخمسين ألف مقاتل . وكان سعد بن أبي وقّاص قد ألّب أقوام عليه من عسكره ، وشكوا إلى عمر فبعث محمد بن مسلمة في الكشف عن أمره فلم يسمع إلاّ خيراً سوى مقالة من بني عبس ، فاستقدمه محمد إلى عمر وخبّره الخبر وقال : كيف تصلّي يا سعد ؟ قال : أطيل[2] الأولتين وأحذف الأخيرتين . قال : هكذا[3] الظنّ بك ، ثم قال : من خليفتك على الكوفة ؟ قال : عبدالله بن عبدالله بن عتبان فأقرّه وشافهه بخبر الأعاجم وأشار بالانسياح ليكون أهيب على العدوّ . فجمع عمر الناس واستشارهم بالمسير بنفسه ، فمن موافق ومخالف إلى أن اتفق رأيهم على أن يبعث الجنود ويقيم ردءاً لهم ، وكان ذلك رأي عليّ وعثمان وطلحة وغيرهم ، فولّى على حربهم النعمان بن مقرّن المزني وكان على جند الكوفة بعد انصرافهم من حصار السوس ، وأمره أن يصير إلى ماء لتجتمع الجيوش عليه ويسير بهم إلى الفيرزان ومن معه . وكتب إلى عبدالله بن عبدالله بن عتبان أن يستنفر الناس مع النعمان ، فبعثهم مع حذيفة بن اليمان ومعه نعيم بن مقرّن ، وكتب إلى المقترب وحرملة وزرّ الذين كانوا بالأهواز وفتحوا السوس وجنديسابور أن يقيموا بتخوم أصبهان وفارس ويقطعوا المدد

---

(١) وفي نسخة ثانية : فيما بعد .

(٢) وفي النسخة الباريسية : أصلي الأولتين

(٣) وفي النسخة الباريسية : هو

عن أهل نهاوند .

واجتمع الناس على النعمان وفيهم حذيفة وجرير والمغيرة وابن عمر وأمثالهم ، وأرسل النعمان طليحة وعمرو بن معد يكرب طليعة ، ورجع عمرو من طريقه . وانتهى طليحة إلى نهاوند ونفض الطرق فلم يلق بها أحدا وأخبر الناس ، فرحل النعمان وعبّى المسلمين ثلاثين ألفا ، وجعل على مقدمته نعيم بن مقرّن وعلى مجنبتيه حذيفة بن اليمان وسويد بن مقرّن وعلى المجردة القعقاع وعلى الساقة مجاشع بن مسعود . ومع الفيرزان كتائبه وعلى مجنبتيه الزردق وبهمن جادويه مكان ذي الحاجب ، وقد توافى إليهم بنهاوند كل من غاب من القادسية من أبطالهم .

فلما تراءى الجمعان كبر المسلمون وحطت العرب الأثقال وتبادر أشراف الكوفة إلى فسطاط النعمان فبنوه ، حذيفة بن اليمان والمغيرة بن شعبة وعقبة بن عمرو وجرير بن عبدالله وحنظلة الكاتب وبشير بن الخصاصية والأشعث بن قيس ووائل بن حجر وسعيد بن قيس الهمداني . ثم تزاحفوا للقتال يوم الأربعاء والخميس والحرب سجال ثم أحجروهم في خنادقهم يوم الجمعة وحاصروهم أياماً ، وسئم المسلمون إعتصامهم بالخنادق وتشاوروا ، وأشار طليحة باستخراجهم للمناجزة بالاستطراد فناشبهم القعقاع فبرزوا إليه كأنهم جبال حديد قد تواثقوا أن لا يفرّوا وألقوا حسك الحديد خلفهم لئلا ينهزموا ، فلمّا بارزوا استطرد لهم حتى فارقوا الخنادق وقد ثبت لهم المسلمون ونزل الصبر ، ثم وقف النعمان على الكتائب وحرّض المسلمين ودعا لنفسه بالشهادة ، وقال : إذا كبّرت الثالثة فاحملوا . ثم كبّر وحمل عند الزوال وتجاول الناس ساعة وركدت الحرب ثم انفض الأعاجم وانهزموا وقتلوا ما بين الظهر والعتمة حتى سالت أرض المعركة دما تزلق فيه المشاة حتى زلق فيه النعمان وصرع ، وقيل بل أصابه سهم ، فسجّاه أخوه نعيم بثوب . وتناول الراية حذيفة بعهده وتواصوا بكتمان موته . وذهب الأعاجم ليلاً وعميت عليهم المذاهب ، وعقرهم حسك الحديد ووقعوا في اللهب الذي أعدوه في عسكرهم فمات منهم أكثر من مائة ألف منها نحو ثلاثين ألفا في المعركة ، وهرب الفيرزان بعد أن صرع إلى همذان واتبعه نعيم بن مقرّن فأدركه بالثنية دونها وقد سدّتها الأحمال وترجل وصعد في الجبل ، وكان نعيم قد قدّم القعقاع أمامه فاعترضه وقتله المسلمون على الثنية ، ودخل الفلّ همذان وبها خسرشنوم فنزل المسلمون عليها مع نعيم والقعقاع ، ودخل المسلمون نهاوند يوم الوقعة وغنموا ما فيها

وجمعوه إلى صاحب الأقباض السائب بن الأقرع .

وولّي على الجند حذيفة بعهد النعمان إليه . ثم جاء الهربذ صاحب بيت النار إلى حذيفة فأمّنه وأخرج له سفطين مملوأين[1] جوهرا نفيسا كانا من دخائر كسرى أودعها عنده البخرجان[2] فنقلها المسلمون ، وبعث الخمس مع السائب إلى عمر وأخبره بالواقعة وبالفتح بمن استشهد فبكى ، وبالسفطين فقال ضعها[3] في بيت المال والحق بجندك . قال السائب : ثم لحقني رسوله بالكوفة فردني إليه فلما رآني قال : ما لي وللسائب ما هو إلا أن نمت الليلة التي خرجت فيها فباتت الملائكة تسحبني إلى السفطين يشتعلان نارا يتوعدوني بالكي إن لم أقسّمها فخذهما عني وبعها في أرزاق المسلمين . فبعتها بالكوفة من عمرو بن حريث المخزومي بالفي ألف درهم وباعها عمرو بأرض الأعاجم بضعفها ، فكان له بالكوفة مال . وكان سهم الفارس بنهاوند ستة آلاف والراجل ألفين ولم يكن للفرس من بعدها إجتماع . وكان أبو لؤلؤة قاتل عمر من أهل نهاوند حصل في أسر الروم وأسره الفرس منهم ، فكان إذا لقي سبيّ نهاوند بالمدينة يبكي ويقول : أكل عمر كبدي . وكان أبو موسى الأشعري قد حضر نهاوند على أهل البصرة فلما انصرف مرّ بالدينور فحاصرها خمسة أيام ، ثم صالحوه على الجزية . وسار إلى أهل شيروان[4] فصالحوه كذلك . وبعث السائب بن الأقرع إلى الصيمرة[5] ففتحها صلحاً .

ولما اشتدّ الحصار بأهل همذان بعث خسرشنوم إلى نعيم والقعقاع في الصلح على قبول الجزية فأجابوه إلى ذلك ثم اقتدى أهل الماهين وهم الملوك الذين جاؤا لنصرة يزدجرد وأهل همذان ، وبعثوا إلى حذيفة فصالحوه . وأمر عمر بالإنسياح في بلاد الأعاجم ، وعزل عبدالله بن عبدالله بن عتبان عن الكوفة وبعثه في وجه آخر . وولّى مكانه زياد بن حنظلة حليف بني عبد قصيّ واستعفى فأعفاه ، وولّى عمار بن ياسر ، واستدعى ابن مسعود من حمص فبعثه معه معلما لأهل الكوفة ، وأمدّهم بأبي موسى ، وأمدّ

---

(١) وفي نسخة ثانية : صفتين مملوءتين

(٢) وفي نسخة ثانية : البجرجان .

(٣) وفي نسخة ثانية : صنها

(٤) وفي النسخة الباريسية : سيروان

(٥) وفي النسخة الباريسية : العميرة وفي نسخة ثانية : العيمرة .

أهل البصرة مكانه بعبدالله بن عبدالله ، ثم بعثه إلى أصبهان مكان حذيفة ، وولّى على البصرة عمرو بن سراقة .

ثم انتقض أهل همذان فبعث إلى نعيم بن مقرّن فحاصرهم ، وصار بعد فتحها إلى خراسان ، وبعث عتبة بن فرقد وبكر بن عبدالله إلى أذربيجان يدخل أحدهما من حلوان والآخر من الموصل ، ولما وصل عبدالله بن عبدالله بن عتبان إلى أصبهان ، وكان من الصحابة من وجوه الأنصار حليف بني الحبلى فأمدّه بأبي موسى ، وجعل على مجنبتيه عبدالله بن ورقاء الرياحيّ وعصمة بن عبدالله ، فسار إلى نهاوند ورجع حذيفة إلى عمله على ما سقت دجلة . فسار عبدالله بمن معه ومن تبعه من عند النعمان نحو أصبهان ، وعلى جندها الأسبيذان وعلى مقدمته شهريار بن جادويه في جمع عظيم برستاق أصبهان ، فاقتتلوا وبارز عبدالله بن ورقاء شهريار فقتله ، وانهزم أهل أصبهان وصالحهم الأسبيذان على ذلك الرستاق ، ثم ساروا إلى أصبهان وتسمى جي [1] وملكها الفادوسفان [2] ، فصالحهم على الجزية والخيار بين المقام والذهاب وقال : ولكم أرض من ذهب . وقدم أبو موسى على عبدالله من ناحية الأهواز فدخل معه أصبهان وكتبوا إلى عمر بالفتح . فكتب إلى عبدالله أن يسير إلى سهيل بن عديّ لقتال كرمان ، فاستخلف على أصبهان السائب بن الأقرع ، ولحق بسهيل قبل أن يصل كرمان . وقد قيل : إنّ النعمان بن مقرّن حضر فتح أصبهان أرسله إليها عمر من المدينة واستجاش له أهل الكوفة فقتل في حرب أصبهان ، والصحيح أنّ النعمان قتل بنهاوند . وافتتح أبو موسى قم وقاشان . ثم ولّى عمر على الكوفة سنة إحدى وعشرين المغيرة بن شعبة وعزل عمّاراً .

فتح همذان

كان أهل همذان قد صالح عليهم خسرشنوم القعقاع ونعيا وضمنها ثم انتقض فكتب عمر إلى نعيم أن يقصدها فودّع حذيفة ورجع إليها من الطريق على تعبيته ، فاستولى على بلادها أجمع حتى صالحوا على الجزية ، وقيل إن فتحها كان سنة أربع وعشرين فبينما نعيم يجول في نواحي همذان إذ جاء الخبر بخروج الديلم وأهل الريّ

(١) وفي النسخة الباريسية : وتسمّى جرّ

(٢) وفي النسخة الباريسية : الفادوسوان

وأسفنديار أخو رستم بأهل اذربيجان ، فاستخلف نعيم على همذان يزيد بن قيس الهمداني وسار إليهم فاقتتلوا وانهزم الفرس وكانت واقعتها مثل نهاوند وأعظم . وكتبوا إلى عمر بالفتح فأمر نعيماً بقصد الري والمقام بها بعد فتحها . وقيل إنّ المغيرة بن شعبة أرسل من الكوفة جرير بن عبدالله إلى همذان ففتحها صلحا وغلب على أرضها ، وقيل تولاّها بنفسه وجرير على مقدمته . ولما فتح جرير همذان بعث البرّاء بن عازب إلى قزوين ففتح ما قبلها ، وسار إليها فاستنجدوا بالديلم فوعدوهم ثم جاء البرّاء في المسلمين فخرجوا لقتالهم والديلم وقوف على الجبل ينظرون ، فيئس أهل قزوين منهم وصالحوا البرّاء على صلح أبهر قبلها . ثم غزا البرّاء الديلم وجيلان[1] .

فتح الري

ولما انصرف نعيم من واقعته سار إلى الري وخرج إليه أبو الفرخان من أهلها في الصلح وأبى ذلك ملكها سياوخش بن مهران بن بهرام جوبين ، واستمدّ أهل دنباوند[2] وطبرستان وقومس[3] وجرجان فأمدّوه[4] والتقوا مع نعيم فشغلوا به عن المدينة ، وقد كان خلفهم أبو فرخان . ودخل المدينة من الليل ومعه المنذر بن عمر وأخو نعيم فلم يشعروا وهم مواقفون لنعيم إلاّ بالتكبير من ورائهم ، فانهزموا وقتلوا وأفاء الله على المسلمين بالريّ مثل ما كان بالمدائن ، وصالحه أبو الفرخان الزبيني[5] على البلاد فلم يزل شرفهم في عقبه . وأخرب نعيم مدينتهم العتيقة وأمر ببناء أخرى . وكتب إلى عمر بالفتح وصالحه أهل دنباوند على الجزية فقبل منهم .

ولما بعث بالأخماس إلى عمر كتب إليه بإرسال أخيه سويد إلى قومس ومعه هند بن عمرو الجملي ، فسار فلم يقم له أحد وأخذها سلما وعسكر بها . وكاتبه الفلّ الذين بطبرستان وبالمفاوز فصالحوه على الجزية ، ثم سار إلى جرجان وعسكر فيها ببسطام وصالحه ملكها على الجزية ، وتلقاه مرزبان صول قبل جرجان فكان معه حتى جبى

(١) وفي النسخة الباريسية : ومرقان التيير والطيلسان

(٢) وفي النسخة الباريسية : دينباوند

(٣) وفي النسخة الباريسية : وقوقس

(٤) وفي النسخة الباريسية : فأوفدوه وفي نسخة أخرى : فأمّروه .

(٥) وفي النسخة الباريسية : المرسي

الخراج وأراه مروجها وسدّها ، وقيل كان فتحها سنة ثلاثين أيام عثمان ، ثم أرسل سويد إلى الأصبهبذ صاحب طبرستان على الموادعة فقبل وعقد له بذلك .

فتح أذربيجان

ولما افتتح نعيم الريّ أمره عمر أن يبعث سماك بن خرشة الأنصاري إلى أذربيجان ممدّا لبكير بن عبدالله[1] ، وكان بكير بن عبدالله عندما سار إلى أذربيجان لقي بالجبال أسفنديار بن فرّخزاد مهزوما من واقعة نعيم من ماح رود[2] دون همذان وهو أخو رستم فهزمه بكير وأسره . فقال له : أمسكني عندك فأصالح لك على البلاد وإلا فرّوا إلى الجبال وتركوها ، وتحصّن من تحصّن إلى يوم ما فأمسكه وسارت البلاد صلحا إلاّ الحصون . وقدم عليه سماك وهو في مثل ذلك وقد افتتح ما يليه وافتتح عتبة بن فرقد ما يليه ، وكتب بكير إلى عمر يستأذنه في التقدّم ، فأذن له أن يتقدّم نحو الباب وأن يستخلف على ما افتتح ، فاستخلف عتبة بن فرقد وجمع له عمر أذربيجان كلها ، فولّى عتبة سماك بن خرشة[3] على ما افتتحه بكير . وكان بهرام بن الفرّخزاد قصد طريق عتبة وأقام به في عسكره مقتصداً[4] معترضاً له فلقيه عتبة وهزمه ، وبلغ خبر الأسفنديار وهو أسير عند بكير فصالحه واتبعه أهل أذربيجان كلهم . وكتب بكير وعتبة بذلك إلى عمر وبعثوا بالأخماس فكتب عمر لأهل أذربيجان كتاب الصلح ، ثم غزا عتبة بن فرقد شهر زور والصامغان ففتحها بعد قتال على الجزية والخراج ، وقتل خلقاً من الأكراد ، وكتب إلى عمر أن فتوحي بلغت أذربيجان فولاّه إياها وولّى هرثمة بن عرفجة الموصل .

فتح الباب

ولما أمر عمر بكير بن عبدالله بغزو الباب والتقدم إليها ، بعث سراقة بن عمرو على حربها فسار من البصرة ، وجعل على مقدّمته عبد الرحمن بن ربيعة وعلى إحدى

(١) وفي نسخة ثانية : لبكر بن عبدالله
(٢) وفي نسخة ثانية : معهم ابو حرود
(٣) وفي النسخة الباريسية : ابن خرثمة
(٤) وفي النسخة الباريسية : معتصر

مجنبتيه ابن أسيد الغفاريّ وعلى الأخرى بكير بن عبدالله المتقدم وعلى المقاسم سلمان بن ربيعة الباهليّ ، وردّ أبا موسى الأشعري إلى البصرة مكان سراقة ، ثم أمدّ سراقة بحبيب بن مسلمة من الجزيرة وجعل مكانه زياد بن حنظلة ، وسار سراقة من أذربيجان ، فلما وصل عبد الرحمن بن ربيعة في مقدّمته على الباب والملك بها يومئذ شهريار من ولد شهريرار الذي أفسد بني اسرائيل وأغزى الشام منهم ، فكاتبه شهريار واستأمنه على أن يأتي فحضر وطلب الصلح والموادعة على أن تكون جزيته النصر والطاعة للمسلمين ، قال : ولا تسومونا الجزية فتوهنونا لعدوكم . فسيّره عبد الرحمن إلى سراقة فقبل منه وقال : لا بدّ من الجزية على من يقيم ولا يحارب العدوّ . فأجاب ، وكتبوا إلى عمر فأجاز ذلك .

فتح موقان وجبال ارمينية

ولما فرغ سُراقة من الباب بعث[1] أمراء إلى ما يليه من الجبال المحيطة بأرمينية ، فأرسل بكير بن عبدالله إلى موقان ، وحبيب بن مسلمة إلى تفليس ، وحذيفة بن اليمان إلى جبال اللان[2] ، وسلمان بن ربيعة إلى الوجه الآخر . وكتب بالخبر الى عمر فلم يرج تمام ذلك لأنه فرج عظيم ، ثم بلغه موت سُراقة واستخلف عبد الرحمن بن ربيعة ، فأقرّه عمر على فرج الباب وأمره بغزو الترك . ولم يفتح أحد من أولئك الأمراء إلاّ بكير بن عبدالله فإنه فتح موقان ، ثم تراجعوا على الجزية ديناراً عن كل حالم .

غزو الترك

ولما أمر عبد الرحمن بن ربيعة بغزو الترك سار حتى الباب وسار معه شهريار فغزا بلنجر وهم قوم من الترك ففرّوا منه وتحصّنوا ، وبلغت خيله على مائتي فرسخ من بلنجر وعاد بالظفر والغنائم . ولم يزل يردّد الغزو فيهم إلى أيام عثمان فتذامر الترك وكانوا يعتقدون أن المسلمين لا يقتلون لأنّ الملائكة معهم ، فأصابوا في هذه الغزاة رجلا من المسلمين على غرّة فقتلوه وتجاسروا ، وقاتل عبد الرحمن فقتل وانكشف أصحابه ، وأخذ الراية أخوه سلمان فخرج بالناس ومعه أبو هريرة الدوسي فسلكوا على جيلان إلى جرجان .

(١) وفي النسخة الباريسية : ولما فرغ من الباب بعث سراقة .
(٢) وفي نسخة ثانية : اللات .

فتح خراسان

ولما عقدت الألوية للأمراء للإنسياح في بلاد فارس كان الأحنف بن قيس منهم بخراسان وقد تقدم ، أن يزدجرد سار بعد جلولاء إلى الريّ وبها أبان جادويه من مرازبته فأكرهه على خاتمه ، وكتب الضحّاك بما اقترح من ذخائر يزدجرد وختم عليها وبعث بها إلى سعد ، فردّها عليه على حكم الصلح الذي عقد له . ثم سار يزدجرد والناس معه إلى أصبهان ثم إلى كرمان ثم رجع إلى مرو من خراسان فنزلها وأمن من العرب ، وكاتب الهرمزان وأهل فارس بالأهواز والفيرزان وأهل الجبال فنكثوا[1] جميعا وهزمهم الله وخذلهم وأذن عمر للمسلمين بالانسياح في بلادهم .

وأمّر الأمراء كما قدّمناه وعقد لهم الألوية ، فسار الأحنف إلى خراسان سنة ثمان عشرة وقيل إثنتين وعشرين فدخلها من الطبسين[2] ، وافتتح هراة عنوة واستخلف عليها صحار بن فلان[3] العبدي ، ثم سار إلى مرو الشاهجان ، وأرسل إلى نيسابور مُطرّف بن عبدالله بن الشخّير ، وإلى سرخس الحرث بن حسّان ، ودرج يزدجرد من مرو الشاهجان إلى مرو الروذ فلكها الأحنف ولحقه مدد أهل الكوفة هنالك ، فسار الى مرو الروذ واستخلف على الشاهجان حارثة بن النعمان الباهلي وجعل مدد الكوفة في مقدّمته ، والتقوا هم ويزدجرد على بلخ فهزموه وعبر النهر فلحقهم الأحنف وقد فتح الله عليهم ، ودخل أهل خراسان في الصلح ما بين نيسابور وطخارستان . وولّى على طخارستان ربعي بن عامر ، وعاد الى مرو الروذ فنزلها وكتب إلى عمر بالفتح ، فكتب إليه أن يقتصر على ما دون النهر .

وكان يزدجرد وهو بمرو الروذ قد استنجد ملوك الأمم وكتب إلى ملك الصين وإلى خاقان ملك الترك وإلى ملك الصُغد ، فلما عبر يزدجرد النهر مهزوما أنجده خاقان في الترك وأهل فرغانة والصغد ، فرجع يزدجرد وخاقان إلى خراسان فنزلا بلخ ، ورجع أهل الكوفة إلى الأحنف بمرو الروذ ونزل المشركون عليه ، ثم رحل ونزل سفح الجبل في عشرين ألفا من أهل البصرة وأهل الكوفة وتحصن العسكران بالخنادق وأقاموا

(١) وفي النسخة الباريسية : فنكبوا .

(٢) وفي النسخة الباريسية : الطمسين .

(٣) وفي نسخة أخرى : فلال وكذا في الكامل والطبري .

يقاتلون[1] أياماً ، وصحبهم الأحنف ليلة وقد خرج فارس من الترك يضرب بطبله ويتلوه إثنان كذلك ، ثم يخرج العسكر بعدهم عادة لهم ، فقتل الأحنف الأوّل ثم الثاني ثم الثالث فلما مرّ بهم خاقان تشاءم وتطير ورجع أدراجه فارتحل وعاد إلى بلخ ، وبلغ الخبر إلى يزدجرد وكان على مرو الشاهجان محاصراً لحارثة بن النعمان ومن معه فجمع خزائنه وأجمع اللحاق بخاقان على بلخ ، فمنعه أهل فارس وحملوه على صلح المسلمين والركون إليهم وأنهم أوفى ذمة من الترك ، فأبى من ذلك وقاتلهم فهزموه واستولوا على الخزائن ، ولحق بخاقان وعبروا النهر إلى فرغانة ، وأقام يزدجرد ببلد الترك أيام عمر كلها إلى أن كفر أهل خراسان أيام عثمان . ثم جاء أهل فارس إلى الأحنف ودفعوا إليه الخزائن والأموال وصالحوه واغتبطوا بملكة المسلمين ، وقسّم الأحنف الغنائم فأصاب الفارس ما أصابه يوم القادسية .

ثم نزل الأحنف بلخ وأنزل أهل الكوفة في كورها الأربع ورجع إلى مرو الروذ فنزلها ، وكتب بالفتح إلى عمر . وكان يزدجرد لما عبر النهر لقي رسوله الذي بعثه إلى ملك الصين قد رده إليه يسأله أن يصف له المسلمين الذين فعلوا به هذه الأفاعيل مع قلّة عددهم ، ويسأل عن وفائهم ودعوتهم وطاعة أمرائهم ووقوفهم عند الحدود ومآكلهم وشرابهم وملابسهم ومراكبهم ، فكتب إليه بذلك كله . وكتب إليه ملك الصين أن يسالمهم فإنهم لا يقوم لهم شيء بما قام نردبل[2] ، فأقام يزدجرد بفرغانة بعهد من خاقان . ولمّا وصل الخبر إلى عمر خطب الناس وقال : ألا وإنّ مُلك المجوسية قد ذهب فليسوا يملكون من بلادهم شبراً يضر بمسلم ، ألا وإنّ الله قد أورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأبناءهم لينظر كيف تعملون فلا تبدّلوا فيستبدل الله بكم غيركم ، فإني لا أخاف على هذه الأمة أن تؤتى إلاّ من قبلكم[3]

---

(١) وفي النسخة الباريسية : يقتتلون .

(٢) كذا في الأصل : وفي الكامل ج ٣ ص ٣٧ : «وكتب ملك الصين إلى يزدجرد «إنه لم يمنعني أن أبعث إليك بجند اوله بمرو وآخره بالصين الجهالةُ بما يحقّ عليّ ، ولكن هؤلاء القوم الذين وصف لي رسولك لو يحاولون الجبال لهدّوها ولو خلا لهم سربهم ازالوني ما داموا على ما وصف ، فسالمهم وأرض منهم بالمسالمة ولا تهيّجهم ما لم يهيّجوك» .

(٣) وفي النسخة الباريسية : أن تؤتوا الأمر قبلكم .

فتوح فارس

ولما خرج الأمراء الذين توجهوا إلى فارس من البصرة افترقوا وسار كل أمير إلى جهته وبلغ ذلك أهل فارس فافترقوا إلى بلدانهم وكانت تلك هزيمتهم وشتاتهم . وقصد مجاشع بن مسعود من الأمراء سابور وأردشير خرة فاعترضه الفرس دونهما بتُوّج فقتلهم وأثخن فيهم ، وافتتح توّج واستباحها وصالحهم على الجزية وأرسل بالفتح والأخماس إلى عمر ، فكانت واقعة توّج هذه ثانية لواقعة العلاء بن الحضرمي عليهم أيام طاوس ثم دعوا الى الجزية فرجعوا وأقرّوا بها .

اصطخر : وقصد عثمان بن أبي العاص اصطخر فزحفوا إليه بجور(١)، فهزمهم وأثخن فيهم وفتح جور واصطخر ووضع عليهم الجزية وأجابه الهربذ إليها ، وكان ناس منهم فرّوا فتراجعوا إليها . وبعث بالفتح والخمس إلى عمر . ثم فتح كازرون والنوبندجان وغلب على أرضها ، ولحق به أبو موسى فافتتحا مدينة شيراز وأرّجان على الجزية والخراج ، وقصد عثمان جنابة(٢) ففتحها ولقي الفرس بناحية جهرم فهزمهم وفتحها . ثم نقض شهرك في أوّل خلافة عثمان فبعث عثمان بن أبي العاص ابنه وأخاه الحكم وأتته الأمداد من البصرة وعليه عبيدالله بن معمر وشبل بن معبد والتقوا بارض فارس ، فانهزم شهرك وقتله الحكم بن أبي العاصي وقيل سوار بن همّام العبدي وقيل إن ابن شهرك حمل على سوار فقتله . ويقال إن اصطخر كانت سنة ثمان وعشرين وقيل تسع وعشرين . وقيل إنّ عثمان بن ابي العاص أرسل أخاه الحكم من البحرين إلى فارس في ألفين ، فسار إلى توّج وعلى مجنبته الجارود وأبو صفرة والد المهلب ، وكان كسرى أرسل شهرك في الجنود إلى لقائهم ، فالتقوا بتوّج وهزمهم إلى سابور وقتل شهرك وحاصروا مدينة سابور حتى صالح عليها ملكها واستعانوا به على قتال اصطخر ، ثم مات عمر رضي الله عنه ، وبعث عثمان بن عفّان عبيدالله بن معمر مكان عثمان بن أبي العاص وأقام محاصراً اصطخر وأراد ملك سابور الغدر به ، ثم أحضر وأصابت عبيدالله حجارة منجنيق فمات بها . ثم فتحوا المدينة فقتلوا بها بشرا كثيرا منهم .

---

(١) وفي الكامل ج ٣ ص ٤٠ : مقصد عثمان بن أبي العاص الثقفي لاصطخر فالتقى هو وأهل اصطخر بجور فاقتتلوا .

(٢) وفي نسخة ثانية : جينا .

بساودر ابجرد : وقصد سارية بن زنيم الكنانيّ من أمراء الانسياح مدينة بسا[1] ودار ابجرد فحاصرهم ، ثم استجاشوا بأكراد فارس واقتتلوا بصحراء ، وقام عمر على المنبر ونادى يا سارية الجبل ، يشير إلى جبل كان ازاءه أن يسند إليه ، فسمع ذلك سارية ولجأ إليه ثم انهزم المشركون ، وأصاب المسلمون مغانمهم وكان فيها سفط جوهر فاستوهبه سارية من الناس ، وبعث به مع الفتح إلى عمر ، ولما قدم به الرسول سأله عمر فأخبره عن كل شيء ودفع إليه السفط فأبى إلا أن يقسّم على الجند فرجع به وقسمه سارية .

كرمان : وقصد سهيل بن عديّ من أمراء الانسياح كرمان ولحق به عبدالله بن عبدالله بن عتبان ، وحشد أهل كرمان واستعانوا بالقفص وقاتلوا المسلمين في أدنى أرضهم فهزموهم بإذن الله ، وأخذ المسلمون عليهم الطريق بل الطرق ودخل النسير[2] بن عمرو العجليّ[3] إلى جيرفت وقتل في طريقه مرزبان كرمان ، وعبدالله بن عبدالله مفازة شيرزاد وأصابوا ما أرادوا من إبل وشاء . وقيل إنّ الذي فتح كرمان عبدالله بن بديل بن ورقاء الخزاعيّ . ثم أتى الطبسين من كرمان ، ثم قدم على عمر وقال : أقطعني الطبسين ، فأراد أن يفعل فقال إنها رستاقان فامتنع .

سجستان : وقصد عاصم بن عمرو من الأمراء سجستان ولحق به عبدالله بن عمير وقاتلوا أهل سجستان في أدنى أرضهم فهزموهم وحصروهم بزرنج ومخروا أرض سجستان ، ثم طلبوا الصلح[4] على مدينتهم وأرضها ، على أن الفدافد حمى ، وبقي أهل سجستان على الخراج[5] وكانت أعظم من خراسان وأبعد فروجا يقاتلون القندهار والترك وأمما أخرى ، فلما كان زمن معاوية هرب الشاه من أخيه نبيل[6] ملك الترك إلى بلد من سجستان يدعى آمل ، وكان على سجستان سلم بن زياد بن أبي سفيان فعقد له وأنزله آمل ، وكتب إلى معاوية بذلك فأقرّه بغير نكير وقال : إن هؤلاء قوم غدرٌ وأهون ما يجيء منهم إذا وقع اضطراب أن يغلبوا على بلاد آمل

(١) وفي الكامل ج ٣ ص ٤٢ : فسا
(٢) وفي نسخة ثانية : البشير بن عمرو.
(٣) وفي النسخة الباريسية : البجلي.
(٤) وفي النسخة الباريسية : ثم صالحوهم.
(٥) وفي نسخة ثانية : على ان الفرات حمى ويبقى أهل سجستان على الخراج.
(٦) وفي بعض الكتب رتبيل بدل زنبيل اهـ.

بأسرها ، فكان كذلك . وكفر الشاه بعد معاوية وغلب على بلاد آمل واعتصم منه زنبيل بمكانه ، وطمع هو في زرنج فحاصرها حتى جاءت الأمداد من البصرة فأجفلوا عنها .

مكران : وقصد الحكم بن عمرو التغلبي من أمراء الانسياح بلد مكران ولحق به شهاب بن المخارق وجاء سهيل بن عديّ وعبدالله بن عبدالله بن عتبان وانتهوا جميعا الى دوين[1] وأهل مكران على شاطية[2] وقد أمدّهم أهل السند بجيش كثيف ، ولقيهم المسلمون فهزموهم وأثخنوا فيهم بالقتل ، واتبعوهم أياما حتى انتهوا الى النهر ورجعوا إلى مكران فأقاموا بها وبعثوا إلى عمر بالفتح والأخماس مع صحّار العبدي ، وسأله عمر عن البلاد فأثنى عليها شرّاً ، فقال : والله لا يغزوها جيش لي أبدا وكتب إلى سهيل والحكم أن لا يجوز مكران أحد من جنودكما .

خبر الاكراد

كان أمر أمراء الانسياح لما فصلوا إلى النواحي ، اجتمع ببيروذ[3] بين نهر تيري ومنادر من أهل الأهواز جموع من الأعاجم أعظمهم الأكراد ، وكان عمر قد عهد إلى أبي موسى أن يسير إلى أقصى تخوم البصرة ردءاً للأمراء المنساحين ، فجاء إلى بيروذ وقاتل تلك الجموع قتالا شديدا وقاتل المهاجر بن زياد حتى قتل[4] . ثم وهن الله المشركين فتحصّنوا منه في قلّة وذلّة ، فاستخلف أبو موسى عليهم أخاه الربيع بن زياد وسار الى أصبهان مع المسلمين الذين يحاصرونها حتى إذا فتحت رجع إلى البصرة . وفتح الربيع بن زياد بيروذ وغنم ما فيها ولحق به بالبصرة وبعثوا إلى عمر بالفتح والأخماس ، وأراد ضبّة بن محصن العنزي أن يكون في الوفد فلم يجبه أبو موسى ، فغضب وانطلق شاكيا إلى عمر بانتقائه ستين غلاما من أبناء الدهاقين لنفسه وأنه أجاز الحطيئة بألف وولّى زياد بن أبي سفيان أمور البصرة ، واعتذر أبو موسى وقبله عمر .

وكان عمر قد اجتمع إليه جيش من المسلمين فبعث عليهم سلمة بن قيس الأشجعي

---

(١) وفي النسخة الباريسية : دومن .

(٢) وفي نسخة ثانية : شاطئيه .

(٣) بيروذ على وزن فيروز ، قال في الكامل وآخره ذال معجمة اهـ .

(٤) وفي نسخة ثانية : وقتل المهاجر بن زياد .

ودفعهم الى الجهاد على عادته وأوصاهم ، فلقوا عدوا من الأكراد المشركين فدعوهم إلى الإسلام أو الجزية ، فأبوا وقاتلوهم وهزموهم وقتلوا وسبوا وقسّموا الغنائم ، ورآى سلمة جوهراً في سفط فاسترضى المسلمين وبعث به إلى عمر فسأل الرسول عن أمور الناس حتى أخبره بالسفط فغضب وأمر به فوجيء في عنقه ، وقال : أسرع قبل أن تفترق الناس ليقسّمه سلمة فيه فباعه سلمة وقسمه في الناس وكان الفص يباع بخمسة دراهم وقيمته عشرون ألفا .

مقتل عمر وأمر الشورى وبيعة عثمان رضي الله عنه

كان للمغيرة بن شعبة مولى من نصارى العجم إسمه أبو لؤلؤة وكان يشدد عليه في الخراج ، فلقي يوما عمر في السوق فشكى إليه وقال : أعدني على المغيرة فإنه يثقل عليّ في الخراج درهمين في كل يوم ، قال : وما صناعتك ؟ قال نجّار حدّاد نقاش ، فقال : ليس ذلك بكثير على هذه الصنائع وقد بلغني انك تقول أصنع رحى تطحن بالريح فاصنع لي رحى . قال : أصنع لك رحى يتحدّث الناس بها أهل المشرق والمغرب ، وانصرف ، فقال عمر : توعدني العلج . فلما اصبح خرج عمر إلى الصلاة واستوت الصفوف ودخل أبو لؤلوة في الناس وبيده خنجر برأسين نصابه في وسطه ، فضرب عمر ست ضربات إحداها تحت سرّته ، وقتل كليبا بن أبي البكير الليثي ، وسقط عمر فاستخلف عبد الرحمن بن عوف في الصلاة واحتمل الى بيته .

ثم دعا عبد الرحمن وقال : أريد أن أعهد إليك ، قال : أتشير عليّ بها قال : لا . قال : والله لا أفعل . قال : فهبني صمتاً حتى أعهد إلى النفر الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض . ثم دعا عليا وعثمان والزبير وسعدا وعبد الرحمن معهم ، وقال انتظروا طلحة ثلاثا فإن جاء وإلاّ فاقضوا أمركم ، وناشد الله من يفضي إليه الأمر منهم أن يحمل أقاربه على رقاب الناس ، وأوصاهم بالأنصار الذين تبوؤا الدار والإيمان أن يحسن إلى محسنهم وبعفو[1] عن مسيئهم ، وأوصى بالعرب فإنهم مادّة الإسلام أن تؤخذ صدقاتهم في فقرائهم ، وأوصى بذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنْ يوفى لهم بعهدهم ، ثم قال : اللهمّ قد بلغت لقد تركت الخليفة من بعدي

(١) مقتضى سياق الجملة ان يقول « يُعفَى » .

علي أنقى من الراحة . ثم دعى أبا طلحة الأنصاري فقال : قم على باب هؤلاء ولا تدع أحدا يدخل إليهم حتى يقضوا أمرهم . ثم قال : يا عبدالله بن عمر اخرج فانظر من قتلني ؟ قال يا أمير المؤمنين : قتلك أبو لؤلؤة غلام المغيرة . قال : الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل سجد لله سجدة واحدة . ثم بعث إلى عائشة يستأذنها في دفنه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر فأذنت له . ثم قال : يا عبدالله إنْ اختلف القوم فكن مع الأكثر ، فان تساووا فكن مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف .

ثم أذن للناس فدخل المهاجرون والانصار فقال لهم : أهذا عن ملأ منكم ؟ فقالوا : معاذ الله . وجاء علي وابن عباس فقعدوا عند رأسه ، وجاء الطبيب فسقاه نبيذا فخرج متغيّرا ثم لبنا فخرج كذلك ، فقال له : اعهد . قال : قد فعلت . ولم يزل يذكر الله إلى أن توفي ليلة الاربعاء لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين ، وصلّى عليه صهيب وذلك لعشر سنين وستة أشهر من خلافته .

وجاء أبو طلحة الأنصاري ومعه المقداد بن الاسود ، وقد كان أمرهما عمر أن يجمعا هؤلاء الرهط الستة في مكان ويلزماهم أن يقدّموا للناس من يختاروه[1] منهم وإن اختلفوا كان الاتباع للاكثر وإن تساووا حكّموا عبدالله بن عمر أو اتبعوا عبد الرحمن بن عوف ، ويؤجلوهم في ذلك ثلاثا يصلي فيهم بالناس صهيب ويحضر عبدالله بن عمر معهم مشيرا ليس له شيء من الأمر وطلحة شريكهم ان قدم في الثلاث ليال . فجمعهم أبو طلحة والمقداد في بيت المسوّر بن مخرمـة وقيل في بيت عائشة ، وجاء عمرو بن العـاص والمغيرة بن شعبة فجلسا بالباب فحصبهما سعد وأقامها وقال : تريدان أن تقولا حضرنا وكنا في أهل الشورى . ثم دار بينهما الكلام وتنافسوا في الأمر ، فقال : عبد الرحمن أيكم يخرج منها نفسه ويجتهد فيوليها أفضلكم وأنا أفعل ذلك ؟ فرضي القوم وسكت علي . فقال : ما تقول على شريطة أن تؤثر الحق ولا تتبع الهوى ولا تخصّ ذا رحم ولا تألوا الامّة نصحا وتعطينا العهد بذلك . قال : وتعطوني أنتم مواثيقكم على أن تكونوا معي على من خالف وترضوا من اخترت وتواثقوا . ثم قال لعليّ : أنت أحق من حضر بقرابتك وسوابقك وحسن أثرك في الدين ولم تبعد في نفسك فمن ترى أحق فيه بعدك من هؤلاء ؟ قال : عثمان . وخلا بعثمان فقال له مثل ذلك فقال : عليّ .

(١) الصواب يختارونه لانه لم يتقدم الفعل ما يحذف النون .

ودار عبد الرحمن لياليه كلها يلقى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يوافي المدينة من أمراء الأجناد واشراف الناس ويشيرهم إلى صبيحة الرابع ، فأتى منزل المسوّر بن مخرمة وخلا فيه بالزبير وسعد أن يتركا الأمر لعلي أو عثمان[1] فاتفقا على عليّ ، ثم قال له سعد بايع لنفسك وأرحنا فقال : قد خلعت لهم نفسي على أن أختار ولو لم أفعل ما أريدها[2] . ثم استدعى عبد الرحمن عليا وعثمان فناجى كلاً منهما إلى أن رضوا بل إلى أن صلّوا الصبح ولا يعلم أحد ما قالوا . ثم جمع المهاجرين وأهل السابقة من الأنصار وأمراء الأجناد حتى غص المسجد بهم ، فقال : أشيروا عليّ ، فأشار عمّار بعلي ووافقه المقداد . فقال ابن أبي سرح : إن أردت أن لا تختلف قريش فبايع عثمان ووافقه عبدالله بن أبي ربيعة ، فتفاوضا وتشاتما ونادى سعد : يا عبد الرحمن افرغ قبل أن يفتتن الناس . فقال : نظرت وشاورت فلا تجعلنّ أيها الرهط على أنفسكم سبيلا . ثم قال لعليّ : عليك عهد الله وميثاقه لتعملنّ بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخليفتين من بعده ، قال : أرجوا أن أجتهد بل أن أفعل بمبلغ علمي وطاقتي . وقال لعثمان مثل ذلك فقال : نعم . فرفع رأسه إلى سقف المسجد ويده في يد عثمان ، وقال : اللهمّ اشهد أني قد جعلت ما في عنقي من ذلك في عنق عثمان فبايعه الناس . ثم قدم طلحة في ذلك اليوم فأتى عثمان ، فقال له عثمان : أنت على الخيار في الأمر وإن أبيت رددتها . فقال : أكلُّ الناس بايعوك ؟ قال : نعم . قال : رضيت ، ولا أرغب عما أجمعوا عليه .

وكانت العجم بالمدينة يستروح بعضها الى بعض ، ومرّ أبو لؤلؤة بالهرمزان وبيده الخنجر الذي طعن به عمر فتناوله من يده وأطال النظر فيه ثم ردّه إليه ، ومعهم جفينة نصرانيّ من أهل الحيرة . فلما طعن عمر من الغداة قال عبد الرحمن بن أبي بكر لعبيدالله بن عمر : اني رأيت هؤلاء الثلاثة يتناجون فلما رأوني افترقوا وسقط منهم هذا الخنجر ، فعدا عبيدالله عليهم فقتلهم ثلاثتهم ، وأمسكه سعد بن أبي وقاص وجاء به الى عثمان بعد البيعة وهو في المسجد فاشار عليّ بقتله ، وقال عمرو بن العاص : لا يقتل عمر بالأمس ويقتل ابنه اليوم ، فجعلها عثمان دية واحتملها وقال انا وليّه . ثم قام عثمان وصعد المنبر وبايعه الناس كافّة ، وولّى لوقته سعد بن أبي

---

(١) وفي النسخة الباريسية : لعلي وعثمان .

(٢) وفي نسخة ثانية : على ان اختار ولم افعل ما اردتها .

وقاص على الكوفة وعزل المغيرة وذلك بوصيّة عمر لأنه أوصى بتولية سعد ، وقال لم أعزله عن سوء ولا خيانة منه . وقيل إنما ولاّه وعزل المغيرة بعد سنة وأنه أقرّ لاول أمره عمّال عمر كلهم .

نقض أهل الاسكندرية وفتحها

لما سار هرقل الى القسطنطينية وفارق الشام واستولى المسلمون على الإسكندرية وبقي الروم بها تحت أيديهم ، فكاتبوا هرقل فاستنجدوه فبعث إليهم عسكرا مع منويل الخصيّ ونزلوا بساحل الاسكندرية لمنعهم المقوقس من الدخول إليه ، فساروا إلى مصر ولقيهم عمرو بن العاص والمسلمون فهزموهم واتبعوهم إلى الاسكندرية ، وأثخنوا فيهم بالقتل وقتل قائدهم منويل الخصيّ ، وكانوا قد أخذوا في مسيرهم إلى مصر أموال أهل القرى فردّها عمرو عليهم بالبينة ثم هدم سور الاسكندرية ورجع الى مصر .

ولاية الوليد بن عقبة الكوفة وصلح أرمينية وأذربيجان

وفي سنة خمس وعشرين عزل عثمان سعداً عن الكوفة لأنه اقترض من عبدالله بن مسعود من بيت المال قرضاً ، وتقاضاه ابن مسعود فلم يوسر سعد[1] فتلاحيا وتناجيا بالقبيح وافترقا يتلاومان ، وتداخلت[2] بينهما العصبية ، وبلغ الخبر عثمان فعزل سعداً واستدعى الوليد بن عقبه من الجزيرة ، وكان على غربها منذ ولاّه عمر ، فولاّه عثمان على الكوفة فكان مكان سعد .

ثم عزل عُتبة بن فرقد عن أذربيجان فنقضوا ، فغزاهم الوليد وعلى مقدّمته عبدالله بن شبيل الأحمسيّ فأغار على أهل موقان والبرزند والطيلسان ففتح وغنم وسبى ، وطلب أهل كور أذربيجان الصلح فصالحهم على صلح حذيفة ثمانمائة درهم وقبض المال .

ثم بث سراياه وبعث سلمان بن ربيعة الباهلي الى أهل أرمينية في اثني عشر ألفا فسار فيها وأثخن ، ثم انصرف إلى الوليد وعاد الوليد إلى الكوفة وجعل طريقه على

(١) وعند ابن الاثير في تاريخه الكامل ج ٣ ص ٨٢ : «فلما تقاضاه ابن مسعود لم يتيسر له قضاؤه» .
(٢) وفي النسخة الباريسية : وقد دخلت .

الموصل ، فلقيه كتاب عثمان بأنّ الروم أجلبوا على معاوية بالشام فابعث إليهم رجلا من أهل النجدة والبأس في عشرة آلاف عند قراءة المكتوب[1] ، فبعث الوليد الناس مع سلمان بن ربيعة ثمانية آلاف ومضوا إلى الشام ودخلوا أرض الروم مع حبيب بن مسلمة ، فشنوا عليهم الغارات واستفتحوا الحصون ، وقيل إنّ الذي أمدّ حبيب بن مسلمة بسلمان ين ربيعة هو سعيد بن العاص ، وذلك أنّ عثمان كتب إلى معاوية أن يغزي حبيب بن مسلمة في أهل الشام أرمينية فبعثه وحاصر قاليقلا حتى نزلوا على الجلاء أو الجزية ، فجلى كثير الى بلاد الروم وأقام فيها فيمن معه أشهراً . ثم بلغه أن بطريق أرميناقس وهي بلاد ملطية وسيواس وقونية إلى خليج قسطنطينية قد زحف إليه في ثمانين ألفا ، فاستنجد معاوية فكتب إلى عثمان فأمر سعيد بن العاص بإمداد حبيب فأمدّه بسلمان في ستة آلاف ، وبيّت الروم فهزمهم وعاد الى قاليقلا ، ثم سار في البلاد فجاء بطريق خلاط وبيده أمان عيّاض بن غنم وحمل ما عليهم من المال فنزل حبيب خلاط ، ثم سار منها فصالحه صاحب السيرجان[2] ثم صاحب اردستان[3] ثم صالح أهل دبيل بعد الحصار ، ثم أهل بلاد السيرجان كلهم . ثم أتى أهل شمشاط فحاربوه فهزمهم وغلب على حصونهم ، ثم صالحه بطريق خرزان[4] على بلاده وسار إلى تفليس فصالحوه وفتح عدّة حصون ومدن تجاورها . وسار ابن ربيعة الباهلي إلى أرّان فصالح أهل البيلقان على الجزية والخراج ، ثم أهل بردعة كذلك وقراها . وقاتل أكراد البوشنجان وظفر بهم وصالح بعضهم على الجزية ، وفتح مدينة شمكور وهي التي سميت بعد ذلك المتوكليّة ، وسار سلمان حتى فتح فلية وصالحه صاحب كسكر على الجزية وملك شروان وسائر ملوك الجبال الى مدينة الباب وانصرفوا . ثم غزا معاوية الروم وبلغ عموريّة ووجد ما بين انطاكية وطرسوس من الحصون خاليا فجمع فيها العساكر حتى رجع وخرّبها .

---

(١) وفي نسخة اخرى : الكتاب .
(٢) وفي النسخة الباريسية : السفرخان .
(٣) وفي النسخة الباريسية : ازدشاط .
(٤) : وفي النسخة الباريسية : خزران ..

ولاية عبدالله بن أبي سرح على مصر وفتح افريقية

وفي سنة ست وعشرين عزل عثمان عمرو بن العاص عن خراج مصر واستعمل مكانه عبدالله بن أبي سرح أخاه من الرضاعة ، فكتب إلى عثمان يشكو عمرا فاستقدمه واستقل عبدالله بالخراج والحرب وأمره بغزو افريقية . وقد كان عمرو بن العاص سنة إحدى وعشرين سار من مصر إلى برقة فصالح أهلها على الجزية ثم سار إلى طرابلس فحاصرها شهراً ، وكانت مكشوفة السور[1] من جانب البحر وسفن الروم في مرساها فحسر القوم في بعض الأيام وانكشف أمرها لبعض المسلمين المحاصرين فاقتحموا البلد بين البحر والبيوت فلم يكن للروم ملجأ إلاّ سفنهم ، وارتفع الصياح فأقبل عمرو بعساكره فدخل البلد ولم تفلت الروم إلا بما خفّ في المراكب ، ورجع إلى مدينة صبرة وكانوا قد آمنوا بمنعة طرابلس فصبحهم المسلمون ودخلوها عنوة ،وكمل الفتح ورجع عمرو إلى برقة فصالحه أهلها على ثلاثة عشر ألف دينار جزية وكان أكثر أهل برقة لواتة . وكان يقال إنّ البربر ساروا بعد قتل ملكهم جالوت الى المغرب وانتهوا إلى لوبية ومراقية كورتان من كور مصر ، فصارت زناتة ومغيلة من البربر الى المغرب فسكنوا الجبال وسكنت لواتة برقة وتعرف قديما انطابلس ، وانتشروا إلى السوس ونزلت هوّارة مدينة لبدة ونزلت نفوسة مدينة صبرة وجلوا من كان هنالك من الروم ، وأقام الأفارق وهم خدم الروم وبقيتهم على صلح يؤدونه إلى من غلب عليهم إلى أن كان صلح عمرو بن العاص .

ثم إنّ عبدالله بن ابي سرح كان أمره عثمان بغزو افريقية سنة خمس وعشرين ، وقال له : إن فتح الله عليك فلك خمس الخمس من الغنائم . وأمر عقبة بن نافع بن عبد القيس على جند وعبدالله بن نافع بن الحرث على آخر وسرحها ، فخرجوا إلى افريقية في عشرة آلاف وصالحهم أهلها على مال يؤدّونه ولم يقدروا علَى التوغل فيها لكثرة أهلها . ثم ان عبدالله بن أبي سرح[2] استأذن عثمان في ذلك واستمدّه ، فاستشار عثمان الصحابة فأشاروا به ، فجهز العساكر من المدينة وفيهم جماعة من الصحابة منهم ابن عباس وابن عمر وابن عمرو بن العاص وابن جعفر والحسن

(١) وفي النسخة الباريسية منكشفة السور

(٢) وفي نسخة اخرى : ثم لما ولي عبدالله بن ابي سرح

والحسين وابن الزبير وساروا مع عبدالله بن أبي سرح سنة ست وعشرين ، ولقيهم عقبة بن نافع فيمن معه من المسلمين ببرقة ، ثم ساروا إلى طرابلس فنهبوا الروم عندها ، ثم ساروا إلى افريقية وبثّوا السرايا في كل ناحية ، وكان ملكهم جرجير يملك ما بين طرابلس وطنجة تحت ولاية هرقل ويحمل إليه الخراج ، فلما بلغه الخبر جمع مائة وعشرين ألفا من العساكر ولقيهم على يوم وليلة من سبيطلة دار ملكهم وأقاموا يقتتلون ودعوه إلى الإسلام أو الجزية فاستكبر. ولحقهم عبد الرحمن[1] بن الزبير مدداً بعثه عثمان لما أبطأت أخبارهم ، وسمع جرجير بوصول المدد ففتّ في عضده ، وشهد ابن الزبير معهم القتال ، وقد غاب ابن أبي سرح وسأل عنه فقيل إنه سمع منادي جرجير يقول من قتل ابن أبي سرح فله مائة ألف دينار وأزوّجه ابنتي فخاف وتأخر عن شهود القتال ، فقال له ابن الزبير : تنادي أنت بأن من قتل جرجير نفلته مائة ألف وزوّجته ابنته واستعملته على بلاده ، فخاف جرجير أشدّ منه .

ثم قال عبدالله بن الزبير لابن أبي سرح أن يترك جماعة من أبطال المسلمين المشاهير متأهبين للحرب ، ويقاتلون الروم بباقي العسكر إلى أن يضجروا فيركب عليهم بالآخرين على غرّة لعلّ الله ينصرنا عليهم ، ووافق على ذلك أعيان الصحابة[2] ففعلوا ذلك وركبوا من الغد إلى الزوال وألحوا عليهم حتى أتعبوهم ثم افترقوا ، وأركب عبدالله الفريق الذين كانوا مستريحين فكبّروا وحملوا حملة رجل واحد حتى غشوا الروم في خيامهم فانهزموا وقتل كثير منهم ، وقتل ابن الزبير جرجير وأخذت ابنته سبيّة فنفلها ابن الزبير ، وحاصر ابن أبي سرح سبيطلة ففتحها وكان سهم الفارس فيها ثلاثة آلاف دينار وسهم الرجل ألف . وبث جيوشه في البلاد إلى قفصة فسبوا وغنموا ، وبعث عسكراً إلى حصن الأجم وقد اجتمع به أهل البلاد فحاصره وفتحه على الأمان ، ثم صالحه أهل افريقية على ألفي ألف وخمسمائة ألف دينار . وأرسل ابن الزبير بالفتح والخمس فاشتراه مروان بن الحكم بخمسمائة ألف دينار ، وبعض الناس يقول أعطاه اياه ولا يصح ، وإنما أعطى ابن أبي سرح خمس الخمس من الغزوة الأولى . ثم رجع عبدالله بن أبي سرح إلى مصر بعد مقامه سنة وثلاثة أشهر . ولمّا بلغ هرقل أن أهل افريقية صالحوه بذلك المال الذي أعطوه غضب عليهم وبعث

---

(١) وفي النسخة الباريسية : عبدالله

(٢) وفي نسخة اخرى : أعيان اصحابه

بطريقا يأخذ منهم مثل ذلك ، فنزل قرطاجنّة وأخبرهم بما جاء له فأبوا وقالوا : قد كان ينبغي أن يساعدنا[1] مما نزل بنا . فقاتلهم البطريق وهزمهم وطرد الملك الذي ولّوه بعد جرجير ، فلحق بالشام وقد اجتمع الناس على معاوية بعد علي (رضي الله عنه) ، فاستجاشه على افريقية فبعث معه معاوية بن حديج السكوني في عسكر ، فلما وصل الاسكندرية وهلك الرومي ومضى ابن حديج في العساكر فنزل قونية ، وسرّح إليه البطريق ثلاثين ألف مقاتل وقاتلهم معاوية فهزمهم معاوية ، وحاصر حصن جلولاء فامتنع معه حتى سقط ذات سوره فملكه المسلمون وغنموا ما فيه . ثم بثّ السرايا ودوّخ البلاد فأطاعوا ، وعاد الى مصر. ولمّا أصاب ابن أبي سرح من افريقية ما أصاب ورجع إلى مصر خرج قسطنطين بن هرقل غازيا الى الإسكندرية في ستمائة مركب وركب المسلمون البحر مع ابن ابي سرح ومعه معاوية في أهل الشام . فلما تراءى الجمعان أرسوا جميعا ، وباتوا على أمان والمسلمون يقرؤن ويصلّون . ثم قرنوا سفنهم عند الصباح واقتتلوا ونزل الصبر واستحرّ القتل ، ثم انهزم قسطنطين جريحا في فلّ قليل من الروم ، وأقام ابن أبي سرح بالموضع أياما ثم قفل وسمى المكان ذات الصواري والغزوة كذلك لكثرة ما كان بها من الصواري ، وكانت هذه الغزاة سنة احدى وثلاثين وقيل أربع وثلاثين . وسار قسطنطين الى صقلية وعرّفهم خبر الهزيمة فنكروه وقتلوه في الحمام .

فتح قبرص

كان أبو عبيدة لما احتضر[2] استخلف على عمله عيّاض بن غنم وكان ابن عمه وخاله وقيل استخلف معاذ بن جبل ، واستخلف عيّاض بعده سعيد بن حذيم الجمحي ، ومات سعيد فولى عمر مكانه عمير بن سعيد الانصاري ، ومات يزيد بن أبي سفيان فجعل عمر مكانه على دمشق أخاه معاوية ، فاجتمعت له دمشق والأردن ، ومات عمر وهو كذلك وعمير على حمص وقنسرين ، ثم استعفى عمير عثمان في مرضه فأعفاه وضمّ حمص وقنسرين الى معاوية ، ومات عبد الرحمن بن أبي علقمة

(١) وفي النسخة الباريسية : يساعدنا

(٢) وفي النسخة الباريسية : استحضر

وكان على فلسطين فضم عثمان عمله الى معاوية فاجتمع الشام كله لمعاوية لسنتين من إمارة عثمان . وكان يلحّ على عمر في غزو البحر وكان وهو بحمص كتب إليه في شأن قبرص أنّ قرية من قرى حمص يسمع أهلها نباح كلاب قبرص وصياح دجاجهم ، فكتب عمر الى عمرو بن العاص : صف لي البحر وراكبه ! فكتب إليه : «هو خلق كبير يركبه خلق صغير ليس إلا السماء والماء إن ركد فلق[1] القلوب وإن تحرك أزاغ العقول يزداد فيه اليقين قلّة والشك كثرة وراكبه دود على عود إن مال غرق وإن نجا برق» . فكتب عمر إلى معاوية والذي بعث محمدا بالحق لا أحمل فيه مسلما أبدا ، وقد بلغني أنّ بحر الشام يشرف على أطول شيء من الأرض فيستأذن الله كل يوم وليلة في أن يغرق الأرض فكيف أحمل الجنود على هذا الكافر ، وبالله لمسلم واحد أحب إليّ مما حوت الروم ، فاياك أن تعرض لي في ذلك فقد علمت ما لقي العلاء مني .

ثم كاتب ملك الروم عمز وقاربه وأقصر عن الغزو ، ثم ألحّ معاوية على عثمان بعده في غزو البحر فأجابه على خيار الناس وطوعهم ، فاختار الغزو جماعة من الصحابة فيهم ، أبو ذرّ وأبو الدرداء وشدّاد بن أوس وعبادة بن الصامت وزوجه أمّ حرام بنت ملحان ، واستعمل عليهم عبدالله بن قيس حليف بني فزارة ، وساروا إلى قبرص وجاء عبدالله بن أبي سرح من مصر فاجتمعوا عليها وصالحهم أهلها على سبعة آلاف دينار لكل سنة ، ويؤدّون مثلها للروم ، ولا منعة لهم على المسلمين ممن أرادهم من سواهم وعلى أن يكونوا عينا للمسلمين على عدوّهم ، ويكون طريق الغزو للمسلمين عليهم . وكانت هذه الغزاة سنة ثمان وعشرين وقيل تسع وعشرين وقيل ثلاث وثلاثين ، وماتت فيها أم حرام سقطت عن دابتها حين خرجت من البحر ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم أخبرها بذلك . وأقام عبدالله بن قيس الجاسي على البحر فغزا خمسين غزاة لم ينكب فيها أحد ، إلى أن نزل في بعض أيام في ساحل المرقي من أرض الروم فثاروا إليه فقتلوه ، ونجا الملاّح وكان استخلف سفيان بن عوف الأزدي على السفن فجاء إلى أهل المرقي وقاتلهم حتى قتل وقتل معه جماعة .

---

(١) وفي النسخة الباريسية : خرق

ولاية ابن عامر على البصرة وفتوح فارس وخراسان

وفي السنة الثالثة من خلافة عثمان خرج أبو موسى من البصرة غازيا إلى أهل آمد والأكراد لما كفروا حمل ثقله على أربعين بغلا من القصر[1] بعد ان كان حض على الجهاد مشياً ، فألّب الناس عليه ومضوا إلى عثمان فاستعفوه منه وتولّى كبر ذلك غيلان بن خرشة[2] فعزله عثمان وولّى عبدالله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس وهو ابن خال عثمان ، وكان ابن خمس وعشرين سنة ، وجمع له جند أبي موسى وجند عثمان بن أبي العاص من عمان والبحرين ، فصرف عبيدالله بن معمر عن خراسان وبعثه الى فارس ، وولّى على خراسان مكانه عمير بن عثمان بن سعد فاثخن فيها حتى بلغ فرغانة ولم يدع كورة إلا أصلحها . ثم ولّى عليها سنة أربع أمير[3] بن أحمر اليشكري ، وعلى كرمان عبد الرحمن بن عبيس ، واستعمل على سجستان في سنة أربع عمران بن الفضيل البرجمي ، وعلى كرمان عاصم بن عمرو فجاشت فارس وانتقضت بعبيدالله بن عمرو وجمعوا له[4] فلقيهم بباب اصطخر فقتل عبيدالله وانهزم جنده .

وبلغ الخبر عبدالله بن عامر فاستنفر أهل البصرة وسار بالناس ، وعلى مقدمته عثمان بن أبي العاص وفي المجنبتين أبو برزة[5] الأسلمي ومعقل بن يسار وعلى الخيل عمران بن حصين ، ولقيهم باصطخر فقتل منهم مقتلة عظيمة وانهزموا وفتح اصطخر عنوة ، وبعدها دار ابجرد. وسار الى مدينة جور وهي اردشير ، وكان هَرِم بن حيّان محاصراً لها فلما جاء ابن عامر فتحها. ثم عاد إلى اصطخر وقد نقضت فحاصرها طويلا ورماها بالمجانيق واقتحمها عنوة ففني فيها أكثر أهل البيوتات والأساورة لأنهم كانوا لجأوا إليها ، ووطىء أهل فارس وطأة لم يزالوا منها في ذل . وكتب الى عثمان بالفتح فكتب إليه أن يستعمل على كور فارس هرم بن حيّان اليشكري وهرم بن حيان العبسي والخرّيت بن راشد وأخاه المنجاب من بني سلمة والبرجمان الهجيمي[6] ، وان يفرق كور خراسان

(١) وفي النسخة الباريسية : الضهر
(٢) وفي نسخة ثانية : جرَشة
(٣) أمير بوزن زبير وكذا كريز وعبيس كما في الكامل اهـ .
(٤) وفي النسخة الباريسية : وحملوا له
(٥) وفي النسخة الباريسية : ابو بردة
(٦) وفي النسخة الباريسية : المحجمي

بين ستة نفر : الأحنف بن قيس على المرو ، وحبيب بن قرة[1] اليربوعي على بلخ ، وخالد بن عبدالله بن زهير على هراة ، وأمير بن أحمر اليشكري على طوس ، وقيس بن هبيرة السلميّ على نيسابور ، ثم جمع عثمان خراسان كلها لقيس ، واستعمل أمير بن أحمد اليشكري على سجستان ، ثم بعده عبد الرحمن[2] بن سمرة من قرابة ابن عامر بـن كريز ، فلم يزل عليها حتى مات عثمان وعمران على كرمان وعمير بن عثمان ابن مسعود على فارس وابن كريز القشيري على مكران ، وخرج على قيس بن هبيرة بعد موت عثمان ابن عمه عبدالله بن حازم كما نذكره .

ولما افتتح ابن عامر فارس أشار عليه الناس بقصد خراسان وكانوا قد انتقضوا فسار إليها وقيل عاد إلى البصرة ، واستخلف على فارس شريك بن الأعور الحارثي فبنى مسجدها . فلما دخل البصرة أشار عليه الأحنف بن قيس وحبيب بن أوس بالمسير إلى خراسان فتجهز واستخلف على البصرة زياد بن أبيه ، وسار إلى كرمان وقد نكثوا فبعث لحربهم مجاشع بن مسعود السلميّ ولحرب سجستان الربيع بن زياد الحارثي ، وسار هو الى نيسابور وتقدّمه الأحنف بن قيس الى الطبسين حصنان هما بابا خراسان فصالحه أهلها ، وسار الى قوهستان[3] فقاتل أهلها حتى أحجرهم في حصنهم ولحقه ابن عامر فصالحوه على ستمائة ألف درهم ، وقيل كان المتوليّ حرب قوهستان أمير بن أحمر اليشكري .

ثم بعث ابن عامر السرايا إلى أعمال نيسابور ففتح رستاق رام عنوة وباخرز وجيرفت عنوة ، وبعث الأسود بن كلثوم من عدي الرباب وكان ناسكا الى بيهق[4] من أعمالها فدخل البلد من ثلمة كانت في سورها وقاتل حتى قتل وظفر أخوه أدهم بالبلد . وفتح ابن عامر بشت بالشين المعجمة من أعمال نيسابور ثم اسفراين[5] ثم قصد نيسابور ، وبعدما استولى على أعمالها فحاصرها أشهراً[6] وكان بها أربع مرازبة من فارس فسأل واحد منهم الأمان على أن يدخلهم ليلا ، وفتح لهم الباب وتحصّن الأكبر منهم في

---

(١) وفي النسخة الباريسية : قروة وفي نسخة أخرى قرط .
(٢) وفي النسخة الباريسية : عبدالله
(٣) وفي النسخة الباريسية : مهزستان
(٤) وفي النسخة الباريسية : بهق
(٥) وفي النسخة الباريسية : استيغيراس
(٦) وفي نسخة اخرى : شهرا

حصنها حتى صالح على ألف الف درهم . وولّى ابن عامر على نيسابور قيس بن الهيثم السلمي.. وبعث جيشا إلى نسا وأبيورد فصالحهم أهلها ، وآخر إلى سرخس فصالحوا مرزبانها على أمان مائة رجل لم يدخل فيها نفسه فقتله وافتتحها[١] عنوة وجاء ، مرزبان طوس فصالحه على ستمائة ألف درهم ، وبعث جيشا إلى هراة مع عبدالله بن حازم فصالح مرزبانها على ألف ألف درهم . ثم بعث مرزبان مرو فصالح على ألف ألف ومائتي ألف وأرسل إليه ابن عامر حاتم بن النعمان الباهلي ، ثم بعث الأحنف بن قيس إلى طخارستان فصالح في طريقه رستاقاً على ثلثمائة ألف وعلى أن يدخل رجل يؤذن فيه ويقيم حتى ينصرف ومرّ الى مرو الروذ ، وزحف إليه أهلها فهزمهم وحاصرهم وكان مرزبانها من أقارب باذام[٢] صاحب اليمن فكتب إلى الأحنف متوسلا بذلك في الصلح فصالحه على ستمائة ألف . ثم اجتمع أهل الجوزجان والطالقان والفارياب في جمع عظيم ولقيهم الأحنف فقاتلهم قتالا شديداً ثم انهزموا فقتلوا قتلا ذريعاً .

ورجع الأحنف إلى مروالروذ ، وبعث الأقرع بن حابس الى فلهم بالجوزجان فهزمهم وفتحها عنوة ، ثم فتح الأحنف الطالقان صلحاً والفارياب وقيل فتحها أمير بن أحمد ، ثم سار الأحنف إلى بلخ وهي مدينة طخارستان فصالحوه على أربعمائة ألف وقيل سبعمائة واستعمل عليها أسيد بن المنشمر ، ثم سار إلى خوارزم على نهر جيحون فامتنعت عليه فرجع إلى بلخ . وقد استوفى أسيد قبض المال وكتبوا إلى ابن عامر . ولما سار مجاشع بن مسعود إلى كرمان كما ذكرناه وكانوا قد انتقضوا ففتح هميد[٣] عنوة وبنى بها قصراً ينسب إليه ، ثم سار إلى السيرجان وهي مدينة كرمان فحاصرها وفتحها عنوة وجلى كثيراً من أهلها . ثم فتح جيرفت عنوة ودوخ نواحي كرمان وأتى القفص وقد تجمع له من العجم من أهل الجلاء ، وقاتلهم فظفر وركب كثير منهم البحر إلى كرمان وسجستان ، ثم أنزل العرب في منازلهم وأراضيهم .

وسار الربيع بن زياد الحارثي بولاية ابن عامر كما قدّمناه[٤] إلى سجستان فقطع المفازة

---

(١) وفي نسخة اخرى : اقتحمها

(٢) وفي نسخة اخرى : باذان

(٣) وفي النسخة الباريسية : حمير.

(٤) وفي النسخة الباريسية : كما قلناه .

من كرمان حتى أتى حصن زالق فأغار عليهم يوم المهرجان وأسر دهقانهم ، فافتدى بما غمر عنزة قاعة[1] من الذهب والفضة ، وصالحوه على صلح فارس . وسار إلى زرنج[2] ولقيه المشركون دونها فهزمهم وقتلهم وفتح حصوناً عدة بينها وبينه ، ثم انتهى إليها وقاتله أهلها فأحجرهم وحاصرهم ، وبعث مرزبانها في الأمان ليحضر فأمنه وجلس له على شلو من أشلاء القتلى وارتفق بآخر وفعل أصحابه مثله ، فرعب المرزبان من ذلك وصالح على ألف جام من الذهب يحملها ألف وصيف ، ودخل المسلمون المدينة ، ثم سار منها إلى وادي سنارود فعبره إلى القرية التي كان رستم الشديد يربط بها فرسه ، فقاتلهم وظفر بهم ، وعاد إلى زرنج وأقام بها سنة ثم سار بها إلى ابن عامر واستخلف عليها عاملاً فأخرجوه وامتنعوا . فكانت ولاية الربيع سنة ونصف سنة سبى فيها أربعين ألف رأس وكان الحسن البصري يكتب له .

ثم استعمل إبن عامر على سجستان عبد الرحمن بن سمرة فسار إليها وحاصر زرنج حتى صالحوه على ألفي ألف درهم وألفي وصيف ، وغلب على ما بينها وبين الكش من ناحية الهند وعلى ما بينها وبين الداذين[3] من ناحية الرخج ، ولما انتهى إلى بلد الداذين حاصرهم في جبل الزور حتى صالحوه ودخل على الزور[4] وهو صنم من ذهب عيناه ياقوتتان ، فأخذهما وقطع يده ، وقال للمرزبان : دونك الذهب والجوهر وإنما قصدت أنه لا يضرّ ولا ينفع . ثم فتح كابل وزابلستان وهي بلاد غزنة فتحها صلحاً .

ثم عاد إلى زرنج إلى أن اضطرب أمر عثمان ، فاستخلف عليها أمير بن أحمر وانصرف فأخرجه أهلها وانتقضوا . ولما كان الفتح لابن عامر في فارس وخراسان وكرمان وسجستان قال له الناس : لم يفتح لأحد ما فتح عليك فقال : لا جرم لأجعلن شكري لله على ذلك أن أخرج محرماً من موقفي هذا . فأحرم بعمرة من نيسابور وقدم على عثمان استخلف على خراسان قيس بن الهيثم ، فسار قيس في أرض طخارستان ودوخها وامتنع عليه سنجار فافتتحها عنوة .

---

(١) وفي الكامل ج ٣ ص ١٢٨ : فافتدى نفسه بأن غرز عنزة وغمرها ذهباً وفضة .
(٢) وفي نسخة أخرى : زريخ وفي الكامل زرنج .
(٣) وفي النسخة الباريسية : الدوان وفي الكامل ج ٣ ص ١٢٩ الداوُن .
(٤) وفي النسخة الباريسية : جبل الرور وفي الكامل ج ٣ ص ١٢٩ : جبل الزوز .

ولاية سعيد بن العاص الكوفة

كان عثمان لأول ولايته قد ولّى على الكوفة الوليد بن عقبة استقدمه إليها من عمله بالجزيرة وعلى بني تغلب وغيرهم من العرب ، فبقي على ولاية الكوفة خمس سنين وكان أبو زبيد الشاعر قد انقطع إليه من أخواله بني تغلب ليد أسداها إليه وكان نصرانياً فأسلم على يده وكان يغشاه بالمدينة والكوفة ، وكان أبو زبيد يشرب الخمر فكان بعض السفهاء يتحدث بذلك في الوليد لملازمته إياه . ثم عدا الشباب من الأزد بالكوفة على رجل من خزاعة فقتلوه ليلاً في بيته وشهد عليهم أبو شريح الخزاعي فقتلهم الوليد فيه بالقسامة ، وأقام آباؤهم للوليد على حقه وكانوا ممن يتحدثون فيه ، وجاؤا إلى ابن مسعود بمثل ذلك فقال : لا نتبع عورة من استتر عنا . وتغيظ الوليد من هذه المقالة وعاتب ابن مسعود عليها ، ثم عمد أحد أولئك الرهط إلى ساحر قد أتي به الوليد فاستفتى ابن مسعود فيه وأفتى بقتله ، وحبسه الوليد ثم أطلقه ، فغضبوا وخرجوا إلى عثمان شاكين من الوليد وانه يشرب الخمر . فاستقدمه عثمان وأحضره وقال : رأيتموه يشرب ؟ قالوا لا وإنما رأيناه يقيء الخمر فأمر سعيد بن العاص فجلده وكان عليّ حاضراً فقال : إنزعوا خميصته للجلد . وقيل إن عليا أمر ابنه الحسن أن يجلده فأبى فجلده عبدالله بن جعفر ، ولما بلغ أربعين قال : أمسك جلد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر أربعين وجلد عمر ثمانين وكل سنة[1] .

ولما وقعت هذه الواقعة عزل عثمان الوليد عن الكوفة وولى مكانه سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية ، مات سعيد الأول كافراً وكان يكنى أحيحة ، وخالد ابنه عم سعيد الثاني ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم صنعاء وكان يكتب واستشهد يوم مرج الصفر ، وربي سعيد الثاني في حجر عثمان فلما فتح الشام أقام مع معاوية ثم استقدمه عثمان وزوجه وأقام عنده حتى كان من رجال قريش . فلما استعمله عثمان وذلك سنة ثلاثين سار إلى الكوفة ومعه الأشتر وأبو خشة[2] الغفاري وجندب بن عبد الله والصعب بن جثامة ، وكانوا شخصوا مع الوليد ليعينوه فصاروا عليه ، فلما وصل

---

(١) المعنى مشوش هنا وربما يعود هذا الى سقوط بعض الكلمات اثناء النسخ ولم تذكر هذه القصة بالتفصيل كما هي في الكامل وفي الطبري والمسعودي .

(٢) وفي نسخة ثانية : ابو حنيفة .

خطب الناس وحذرهم وتعرف الأحوال ، وكتب إلى عثمان أن أهل الكوفة قد اضطرب أمرهم وغلب الروادف والتابعة على أهل الشرف والسابقة ، فكتب إليه عثمان أن يفضل أهل السابقة ويجعل من جاء بعدهم تبعاً يعرف لكل منزلته ويعطيه حقه . فجمع الناس وقرأ عليهم كتاب عثمان وقال : أبلغوني حاجة ذي الحاجة . وجعل القراء في سمره فلم ترض أهل الكوفة ذلك وفشت المقالة ، وكتب سعيد إلى عثمان فجمع الناس واستشارهم فقالوا : أصبت لا تطمع في الأمور من ليس لها بأهل فتفسد . فقال : يا أهل المدينة إني أرى الفتن دبت إليكم وإني أرى أن أتخلص الذي لكم وأنقله إليكم من العراق . فقالوا : وكيف ذلك ؟ قال : تبيعونه ممن شئتم بما لكم في الحجاز واليمن . ففعلوا ذلك واستخلصوا ما كان لهم بالعراق ، منهم طلحة ومروان والأشعث بن قيس ، ورجال من القبائل اشتروا ذلك بأموال كانت لهم بخيبر ومكة والطائف .

غزو طبرستان

وفي هذه السنة غزا سعيد بن العاص طبرستان ولم يغزها أحد قبله ، وقد تقدّم أن الأصبهبذ صالح سويد بن مقرن عنها أيام عمر على مال ، فغزاها سعيد في هذه السنة ومعه ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم الحسن والحسين وابن عباس وابن عمر وابن عمرو وابن الزبير وحذيفة بن اليمان في غيرهم ، ووافق خروج ابن عامر من البصرة إلى خراسان فنزل نيسابور ، ونزل سعيد قومس وهي صلح كان حذيفة صالحهم عليه بعد نهاوند . فأتى سعيد جرجان فصالحوه على مائتي ألف ، ثم أتى متاخمة جرجان علي البحر فقاتله أهلها ، ثم سألوا الأمان فأعطاهم على أن لا يقتل منهم رجلاً واحداً ، وفتحوا فقتلهم أجمعين إلا رجلاً وقتل معه محمد بن الحكم بن أبي عقيل جدّ يوسف بن عمرو ، وكان أهل جرجان يعطون الخراج تارة مائة ألف وأخرى مائتين وثلثمائة وربما منعوه . ثم امتنعوا وكفروا فانقطع طريق خراسان من ناحية قومس إلا على خوف شديد ، وصار الطريق إلى خراسان من فارس كما كان من قبل حتى ولي قتيبة بن مسلم خراسان . وقدمها يزيد بن المهلب فصالح المرزبان وفتح البحيرة ودهستان وصالح أهل جرجان على صلح سعيد .

غزو حذيفة الباب وأمر المصاحف

وفي سنة ثلاثين هذه صرف حذيفة من غزو الري إلى غزو الباب مدداً لعبد الرحمن بن ربيعة وأقام له سعيد العاص بأذربيجان ردءاً حتى عاد بعد مقتل عبد الرحمن كما مرّ، فأخبره بما رأى من اختلاف أهل البلدان في القرآن وأن أهل حمص يقولون قراءتنا خير من قراءة غيرنا وأخذناها عن المقداد، وأهل دمشق يقولون كذلك، وأهل البصرة عن أبي موسى، وأهل الكوفة عن ابن مسعود. وأنكر ذلك واستعظمه وحذر من الاختلاف في القرآن، ووافقه من حضر من الصحابة والتابعين، وأنكر عليه أصحاب ابن مسعود فأغلظ عليهم وخطأهم، فأغلظ له ابن مسعود فغضب سعيد وافترق المجلس، وسار حذيفة إلى عثمان فأخبره وقال: أنا النذير العريان فأدرك الأمة. فجمع عثمان الصحابة فرأوا ما رآه حذيفة، فأرسل عثمان إلى حفصة أن إبعثي إلينا بالصحف ننسخها وكانت هذه الصحف هي التي كتبت أيام أبي بكر، فإن القتل لما استحر في القراء يوم اليمامة قال عمر لأبي بكر: أرى أن تأمر بجمع القرآن لئلا يذهب الكثير منه لفناء القراء، فأبى وقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفعله. ثم استبصر ورجع إلى رأي عمر وأمر زيد بن ثابت بجمعه من الرقاع والعسب[1] وصدور الرجال، وكتب في الصحف فكانت عند أبي بكر ثم عند عمر ثم عند حفصة. وأرسل عثمان فأخذها، وأمر زيد بن ثابت وعبدالله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحرث بن هشام أن ينسخوها في المصاحف، وقال اذا اختلفتم فاكتبوها بلسان قريش ففعلوا. ونسخوا المصاحف فبعث الى كل أفق بمصحف يعتمد عليه، وحرق ما سوى ذلك الصحابة في سائر الامصار، ونكره عبدالله بن مسعود في الكوفة حتى نهاهم عن ذلك وحملهم عليه.

مقتل يزدجرد

لما خرج ابن عامر من البصرة إلى فارس فافتتحها هرب يزدجرد من جور وهي أردشير خره[2] في سنة ثلاثين، وبعث ابن عامر في إثره مجاشع بن مسعود وقيل هرم بن

(١) العسب هو النسل كما في القاموس ولعل ابن خلدون كان يعني العَسِيبْ وهي جريدة النخل المستقيمة الدقيقة المكشوط خوصها.

(٢) وفي النسخة الباريسية: وهو ازدشير خرج سنة ثلاثين.

حيان اليشكري وقيل العبسي[1] ، فاتبعه إلى كرمان فهرب إلى خراسان وهلك الجند في طريقهم بالثلج ، فلم يسلم إلا مجاشع ورجع معه وكان مهلكهم على خمسة فراسخ من السيرجان ، ولحق يزدجرد بمرو ومعه خرّزاذ أخو رستم ، فرجع عنه إلى العراق ووصى به ما هو به مرزبان مرو فسأله في المال فمنعه وخافه على نفسه وعلى مرو ، واستجاش بالترك فبيتوه وقتل أصحابه وهرب يزدجرد ماشياً الى شط المرغاب وآوى إلى بيت رجل ينقر الأرحاء ، فلما نام قتله ورماه في النهر . وقيل إنما بيته أهل مرو ولما جاؤا إلى بيت الرجل أخذوه وضربوه فأقر بقتله فقتلوه وأهله ، واستخرجوا يزدجرد من النهر وحملوه في تابوت إلى اصطخر فدفن في ناوس هنالك .

وقيل إن يزدجرد هرب من وقعة نهاوند إلى أرض أصبهان واستأذن عليه بعض رؤسائها وحجب فضرب البواب وشجّه ، فرحل عن أصبهان إلى الري ، وجاء صاحب طبرستان وعرض عليه بلاده فلم يجبه ومضى من فوره ذلك إلى سجستان ، ثم إلى مرو في ألف فارس ، وقيل بل أقام بفارس أربع سنين ثم بكرمان سنتين وطلبه دهقانها[2] في شيء فمنعه فطرده عن بلاده ، وأقام بسجستان خمس سنين ، ثم نزل خراسان ونزل مرو ومعه الرهن من أولاد الدهاقين وفرّخزاذ وكاتب ملوك الصين وفرغانة والخزر وكابل ، وكان دهقان مرو قد منعه الدخول خوفاً من مكره ووكل ابنه بحفظ الأبواب ، فعمد يزدجرد يوماً إلى مرو ليدخلها فمنعه ابن الدهقان وأظهر عصيان أبيه في ذلك ، وقيل بل أراد يزدجرد أن يجعل ابن أخيه دهقاناً عليها فعمل في هلاكه ، وكتب إلى نيزك طرخان يستقدمه لقتل يزدجرد ومصالحة العرب عليه وأن يعطيه كل يوم ألف درهم ، فكتب نيزك إلى يزدجرد يعده المساعدة على العرب وأنه يقدم عليه فيلقاه منفرداً عن العسكر وعن فرخزاد ، فأجابه إلى ذلك بعد أن امتنع فرخزاد واتهمه يزدجرد في امتناعه فتركه لشأنه بعد أن أخذ خطه برضاه بذلك . وسار إلى نيزك فاستقبله بأشياء وجاء به إلى عسكره ثم سأله أن يزوجه إبنته فأنف يزدجرد من ذلك وسبه فعلا رأسه بالمقرعة فركض منهزما وقتل أصحابه ، وانتهى إلى بيت طحان فمكث فيه ثلاثا لم يطعم ، ثم عرض عليه الطعام فقال لا أطعم إلا بالزمزمة ، فسأل من زمزم

---

(١) وفي نسخة ثانية : العنسي .

(٢) وفي النسخة الباريسية : قهرمانها .

له حتى أكل ووشى المزمزم بأمره إلى بعض الأساورة[1] فبعث إلى الطحان بخنقه والقائه في النهر ، فأبى من ذلك وجحده ، فدل عليه ملبسه وعرف المسك فيه فأخذوا ما عليه وخنقوه وألقوه في الماء فجعله أسقف مرو في تابوت ودفنه .

وقيل بل سار يزدجرد من كرمان قبل وصول العرب إليها إلى مرو وفي أربعة آلاف على الطبسين وقهستان ، ولقيه قبل مرو قائدان من الفرس متعاديين فسعى أحدهما في الآخر ، ووافقه يزدجرد في قتله ، ونمى الخبر إليه فبيت يزدجرد وعدوه ، فهرب إلى رحى على فرسخين من مرو ، وطلب منه الطحّان شيئا فأعطاه منطقته فقال : إنما أحتاج أربعة دراهم ، فقال : ليست معي . ثم قام فقتله الطحان وألقى شلوه في الماء . وبلغ خبر قتله الى المطران بمرو فجمع النصارى ووعظهم عليه من حقوق سلفه فدفنوه وبنوا له ناووسا وأقاموا له مأتما ، بعد عشرين سنة من ملكه ستة عشر منها في محاربة العرب .

وانقرض ملك الساسانية بموته . ويقال إن قتيبة حين فتح الصغد وجد جاريتين من ولد المخدج ابنه كان قد وطىء أمّه بمرو فولدت هذا الغلام بعد موته ذاهب الشق فسمى المخدج[2] ، وولد له أولاد بخراسان ووجد قتيبة هاتين الجاريتين من ولده فبعث بهما إلى الحجاج ، وبعث بهما إلى الوليد أو بإحداهما فولدت له يزيد الناقص .

ظهور الترك بالثغور

كان الترك والخزر يعتقدون أن المسلمين لا يقتلون لما رأوا من شدّتهم وظهورهم في غزواتهم حتى أكمنوا لهم في بعض الغياض فقتلوا بعضهم فتجاسروا على حربهم . وكان عبد الرحمن بن ربيعة على ثغور أرمينية إلى الباب ، واستخلف عليها سراقة بن عمرو وأقرّه عمر وكان كثير الغزو في بلاد الخزر ، وكثيرا ما كان يغزو بلنجر وكان عثمان قد نهاه عن ذلك فلم يرجع ، فغزاهم سنة إثنتين وثلاثين وجاء الترك لمظاهرتهم وتذامروا فاشتدت الحرب بينهم وقتل عبد الرحمن كما مرّ ، وافترقوا فرقتين فرقة سارت نحو الباب لقوا سلمان بن ربيعة قد بعثه سعيد بن العاص من الكوفة مدداً للمسلمين بأمر عثمان فساروا معه ، وفرقة سلكوا على جيلان وجرجان فيهم سلمان الفارسي وأبو

(١) وفي النسخة الباريسية : الى بعض المرازبة .

(٢) وفي النسخة الباريسية : ولد المجدّع والمخدج : ناقص الخلق .

هريرة . ثم استعمل سعيد بن العاص على الباب سلمان بن ربيعة مكان أخيه ، وبعث معه جندا من أهل الكوفة عليهم حذيفة بن اليمان وأمدّهم عثمان بحبيب بن مسلمة في جند الشام وسلمان أمير على الجميع ، ونازعه حبيب الامارة فوقع الخلاف ، ثم غزا حذيفة بعد ذلك ثلاث غزوات آخرها عند مقتل عثمان .

وخرجت جموع الترك سنة إثنتين وثلاثين من ناحية خراسان في أربعين ألفا عليهم قارن من ملوكهم فانتهى إلى الطبسين ، واجتمع له أهل بادغيس وهراة وقهستان ، وكان على خراسان يومئذ قيس بن الهيثم السلميّ استخلفه عليها ابن عامر عند خروجه إلى مكة محرما فدوّخ جهتها ، وكان معه ابن عمه عبدالله بن حازم فقال لابن عامر : اكتب لي على خراسان عهداً إذا خرج منها قيس ففعل ، فلما أقبلت جموع الترك قال قيس لابن حازم : ما ترى ، قال : أرى أن تخرج عن البلاد فإن عهد ابن عامر عندي بولايتها . فترك منازعته وذهب إلى ابن عامر ، وقيل أشار عليه أن يخرج إلى ابن عامر يستمدّه ، فلما خرج أظهر عهد ابن عامر له بالولاية عند مغيب قيس ، وسار ابن حازم للقاء الترك في أربعة آلاف . ولما التقى الناس أمر جيشه بايقاد النار في أطراف رحالهم فهاج العدوّ على دهش ، وغشيهم ابن حازم بالناس متتابعين ، فانهزموا وأثخن المسلمون فيهم بالقتل والسبي . وكتب ابن حازم بالفتح إلى ابن عامر فأقرّه على خراسان فلم يزل والياً عليها إلى حرب الجمل ، فأقبل إلى البصرة وبقي أهل البصرة بعد غزوة ابن حازم هذه حتى غزوا المنتقضين من أهلها وعادوا تجهزوا كتيبة من أربعة آلاف فارس هناك .

بدء الانتقاض على عثمان رضي الله عنه

لما استكمل الفتح واستكمل للملّة المُلْك ونزل العرب بالأمصار في حدود ما بينهم وبين الأمم من البصرة والكوفة والشام ومصر ، وكان المختصون بصحابة الرسول صلى الله عليه وسلم والاقتداء بهديه وآدابه المهاجرين والأنصار من قريش وأهل الحجاز ومن ظفر بمثل ذلك من غيرهم . وأما سائر العرب من بني بكر بن وائل وعبد القيس وسائر ربيعة والازد وكندة وتميم وقضاعة وغيرهم ، فلم يكونوا من تلك الصحبة بمكان إلاّ قليلا منهم وكان لهم في الفتوحات قدم ، فكانوا يرون ذلك لأنفسهم مع ما يدين به فضلاؤهم من تفضيل أهل السابقة من الصحابة ومعرفة حقهم ، وما كانوا فيه من

الذهول والدهش لأمر النبوة وتردّد الوحي وتنزل الملائكة ، فلما انحسر ذلك العباب وتنوسي الحال بعض الشيء وذلّ العدو واستفحل الملك ، كانت عروق الجاهلية تنفض ووجدوا الرياسة عليهم للمهاجرين والأنصار من قريش وسواهم ، فأنفت نفوسهم منه ، ووافق أيام عثمان فكانوا يظهرون الطعن في ولاته بالأمصار ، والمؤاخذة لهم باللحظات والخطرات ، والاستبطاء[1] عليهم في الطاعات والتجني بسؤال الاستبدال منهم والعزل ، ويفيضون في النكير على عثمان . وفشت المقالة في ذلك من أتباعهم وتنادوا بالظلم من الأمراء في جهاتهم وانتهت الأخبار بذلك إلى الصحابة بالمدينة ، فارتابوا لها وأفاضوا في عزل عثمان وحمله على عزل أمرائه . وبعث الى الأمصار من يأتيه بصحيح الخبر : محمد بن مسلمة إلى الكوفة ، وأسامة بن زيد إلى البصرة ، وعبدالله بن عمر إلى الشام ، وعمّار بن ياسر إلى مصر وغيرهم إلى سوى هذه ، فرجعوا إليه فقالوا : ما أنكرنا شيئا ولا أنكره أعيان المسلمين ولاعوامهم إلا عمّاراً فانه استماله قوم من الأشرار انقطعوا إليه منهم عبدالله بن سبأ ويعرف بابن السوداء ، كان يهوديا وهاجر أيام عثمان فلم يحسن إسلامه وأخرج من البصرة فلحق بالكوفة ثم بالشام وأخرجوه فلحق بمصر ، وكان يكثر الطعن على عثمان ويدعو في السرّ لأهل البيت ويقول : إن محمداً يرجع كما يرجع عيسى . وعنه أخذ ذلك أهل الرجعة ، وإن عليًّا وصيّ رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث لم يجز وصيته وإنّ عثمان أخذ الأمر بغير حق ، ويحرّض الناس على القيام في ذلك والطعن على الأمراء . فاستمال الناس بذلك في الأمصار وكاتب به بعضهم بعضا ، وكان معه خالد بن ملجم وسودان بن حمران وكنانة بن بشر فثبطوا عمارا عن المسير الى المدينة .

وكان مما أنكروه على عثمان إخراج أبي ذر من الشام ومن المدينة إلى الربذة ، وكان الذي دعا إلى ذلك شدّة الورع من أبي ذر وحمله الناس على شدائد الأمور والزهد في الدنيا وانه لا ينبغي لأحد أن يكون عنده أكثر من قوت يومه ، ويأخذ بالظاهر في ذم الادّخار بكنز الذهب والفضة . وكان ابن سبأ يأتيه فيغريه بمعاوية ويعيب[2] قوله المال مال الله ، ويوهم أنّ في ذلك احتجانه للمال وصرفه على المسلمين ، حتى

---

(١) وفي النسخة الباريسية : والاشتطاط .
(٢) وفي النسخة الباريسية : ونقيم .

عتب أبو ذر معاوية فاستعتب له وقال سأقول مال المسلمين[١] ، وأتى ابن سبأ إلى أبي الدرداء وعبادة بن الصامت بمثل ذلك فدفعوه ، وجاء به عبادة الى معاوية وقال هذا الذي بعث[٢] عليك أباذرّ. ولما كثر ذلك على معاوية شكاه إلى عثمان فاستقدمه وقال له ما لأهل الشام يشكون منك فأخبره ، فقال : يا أبا ذرّ لا يمكن حمل الناس على الزهد وإنما عليّ أن أقضي[٣] بينهم بحكم الله وأرغبهم في الاقتصاد ، فقال أبو ذرّ : لا نرضى من الأغنياء حتى يبذلوا المعروف ويحسنوا للجيران والاخوان ويصلوا القرابة ، فقال له كعب الأحبار : من أدّى الفريضة فقد قضى ما عليه . فضربه أبو ذرّ فشجّه وقال : يا ابن اليهودية ما أنت وهذا . فاستوهب عثمان من كعب شجّته فوهبه . ثم استأذن أبو ذرّ عثمان في الخروج من المدينة وقال : إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني بالخروج منها إذا بلغ البناء سلعاً ، فأذن له ، ونزل الربذة وبنى بها مسجدا وأقطعه عثمان صرمة من الإبل وأعطاه مملوكين وأجرى عليه رزقا ، وكان يتعاهد المدينة فعدّ أولئك الرهط خروج أبي ذرّ فيما ينقمونه على عثمان مع ما كان من أعطاء مروان خمس مغانم أفريقية والصحيح أنه اشتراه بخمسمائة ألف فوضعها عنه .

ومما عدّوا عليه أيضا زيادة النداء الثالث على الزوراء يوم الجمعة ، وإتمامه الصلاة في منى وعرفة مع أن الأمر في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم والشيخين بعده كان على القصر . ولما سأله عبد الرحمن واحتج عليه بذلك قال له : بلغني أن بعض حاج اليمن والجفاة جعل صلاة المقيم ركعتين من أجل صلاتي وقد اتخذت بمكة أهلا ولي بالطائف مال . فلم يقبل ذلك عبد الرحمن فقال : زوجتك بمكّة إنما تسكن بسكناك ولو خرجت ومالك بالطائف على أكثر من مسافة القصر . وأما حاج اليمن فقد شهدوا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم والشيخين بعده وقد كان الإسلام ضرب بجرانه . فقال عثمان : هذا رأي رأيته . فمن الصحابة من تبعه على ذلك ومنهم من خالفه . ومما عدّوا عليه سقوط خاتم النبي صلى الله عليه وسلم من يده في بئر أريس على ميلين من المدينة فلم يوجد .

---

(١) وفي نسخة اخرى : ما للمسلمين .
(٢) وفي النسخة الباريسية : الذي خيّر .
(٣) وفي النسخة الباريسية : ان اقصد

وأما الحوادث التي وقعت في الأمصار فمنها قصة الوليد بن عقبة وقد تقدّم ذكرها وأنه عزله على شرب الخمر واستبدله بسعيد بن العاص منه ، وكان وجوه الناس وأهل القادسية يسمرون عنده مثل مالك بن كعب الأرحبي والأسود بن يزيد وعلقمة بن قيس من النخع وثابت بن قيس الهمداني وجندب بن زهير الغامدي وجندب بن كعب الأزدي وعروة بن الجعد وعمرو بن الحمق الخزاعيّ وصعصعة بن صوحان وأخوه زيد وابن الكوّاء وكميل بن زياد وعمير بن ضابيء وطليحة بن خويلد ، وكانوا يفيضون في أيام الوقائع وفي أنساب الناس وأخبارهم وربما ينتهون إلى الملاحاة ويخرجون منها إلى المشاتمة والمقاتلة ، ويعذلهم في ذلك حجّاب سعيد بن العاص فينهرونهم[1] ويضربونهم . وقد قيل إن سعيدا قال يوما : إنما هذا السواد بستان قريش ، فقال له الأشتر : السواد الذي أفاء الله علينا بأسيافنا تزعم أنه بستان لك ولقومك ؟ وخاص القوم في ذلك ، فأغلظ لهم عبد الرحمن الأسدي[2] صاحب شرطته فوثبوا عليه وضربوه حتى غشي عليه ، فمنع سعيد بعدها السمر عنده . فاجتمعوا في مجالسهم يثلبون سعيدا وعثمان ، والسفهاء يغشونهم .

فكتب سعيد وأهل الكوفة إلى عثمان في إخراجهم ، فكتب أن يلحقوهم بمعاوية وكتب إلى معاوية إن نفراً خلقوا للفتنة فقم عليهم وإنههم وإن آنست منهم رشدا فاقبل وان أعيوك فارددهم علي ، فأنزلهم معاوية وأجرى عليهم ما كان لهم بالعراق ، وأقاموا عنده يحضرون مائدته ثم قال لهم يوما :«أنتم قوم من العرب لكم أسنان وألسنة وقد أدركتم بالإسلام شرفا وغلبتم الأمم وحويتم مواريثهم وقد بلغني أنكم نقمتم قريشا ولو لم تكن قريش كنتم أذلة اذا أئمتكم لكم جنة فلا تفترقوا على جنتكم وان أئمتكم يصبرون لكم على الجور ويحملون عنكم المؤنة والله لتنتهنّ أو ليبتلينكم الله بمن يسومكم ولا يحمدكم على الصبر ، ثم تكونون شركاءهم[3] فيما جررتم على الرعية في حياتكم وبعد وفاتكم» . فقال له صعصعة منهم : أمّا ما ذكرت من قريش فإنها لم تكن أكثر الناس ولا أمنعها في الجاهلية فتخوّفنا ، وأمّا ما ذكرت من الجنّة فانّ الجنّة إذا

---

(١) وفي نسخة اخرى : فيهزمونهم .

(٢) وفي نسخة اخرى : الازدي

(٣) وفي النسخة الباريسية : ثم يكونون شركاءكم

اخترمت[1] خلص إلينا . فقال معاوية : الآن عرفتكم وعلمت أنّ الذي أغراكم على هذا قلّة العقول وأنت خطيبهم ولا أرى لك عقلا أعظم عليك أمر الإسلام ، وتذكرني الجاهلية أخْزى الله قوما عظّموا أمركم فقهوا عني ولا أظنكم تفقهون ، ثم ذكر شأن قريش وأن عزّها إنما كان بالله في الجاهلية والإسلام ولم يكن بكثرة ولا شدّة ، وكانوا على أكرم أحساب وأكمل مروءة وبوّأهم الله حرمه فآمنوا فيه مما أصاب العرب والعجم والأسود والأحمر في بلادهم ، ثم ذكر بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وأنّ الله ارتضى له أصحابا كان خيارهم قريشا فبنى الملك عليهم وجعل الخلافة فيهم فلا يصلح ذلك إلاّ بهم ، ثم قرّعهم ووبّخهم وهددهم ، ثم أحضرهم بعد أيام ، وقال : إذهبوا حيث شئتم لا ينفع الله بكم احدا ولا يضرّه ، وإن اردتم النجاة فالزموا الجماعة ولا تبطرنّكم النعمة وسأكتب الى أمير المؤمنين فيكم . وكتب إلى عثمان : «أنه قدم عليّ أقوام ليست لهم عقول ولا أديان أبطرهم العدل إنّما همهم الفتنة وأموال أهل الذمة ، والله مبتليهم ثم فاضحهم وليسوا بالذين ينكون أحد[2] إلاّ مع غيرهم فإنه سعيدا ومن عنده عنهم[3] .

فخرجوا من عنده قاصدين الجزيرة ومروا بعبد الرحمن بن خالد بن الوليد بحمص فأحضرهم ، وقال : «يا آلة الشيطان[4] لا مرحبا بكم ولا أهلا قد رجع الشيطان محسورا وأنتم بعد في نشاط خسّر الله عبد الرحمن إن لم يؤدّبكم يا معشر من لا أدري أعربٌ هم أم عجم» . ثم مضى في توبيخهم على ما فعلوا وما قالوا لسعيد ومعاوية ، فهابوا[5] سطوته وطفقوا يقولون : نتوب إلى الله أقلنا أقالك الله ، حتى قال : تاب الله عليكم . وسرّح الأشتر إلى عثمان تائبا فقال له عثمان : أحلّك حيث تشاء ، فقال : مع عبد الرحمن بن خالد قال : ذاك إليك فرجع إليهم . وقيل إنهم عادوا إلى معاوية من القابلة ودار بينهم وبينه القول وأغلظوا له وأغلظ عليهم ، وكتب إلى عثمان فأمر أن يردّهم الى سعيد ، فردّهم ، فأطلقوا ألسنتهم وضجّ سعيدٌ منهم ، وكتب إلى

---

(١) وفي نسخة اخرى : اذا اخترقت

(٢) وفي نسخة اخرى : يأتون الأمر

(٣) وفي الطبري ج ٥ ص ٨٧ : «ليسوا بالذين ينكون احدا إلا مع غيرهم فإنه سعيدا ومن قبله عنهم ، فانهم ليسوا لأكثر من شغب أو نكير .

(٤) الآلة : بتشديد اللام الحربة .

(٥) وفي النسخة الباريسية : فرهبوا

عثمان ، فكتب إليه أن يسيّرهم إلى عبد الرحمن بن خالد فدار بينهم وبينه ما قدّمناه .
وحدث بالبصرة مثل ذلك من الطعن وكان بدؤه فيما يقال شأن عبدالله بن سبأ المعروف بابن السوداء ، هاجر إلى الإسلام من اليهودية ونزل على حكيم بن جبلة العبديّ وكان يتشيع لأهل البيت ، ففشت مقالته بالطعن وبلغ ذلك حكيم بن جبلة فأخرجه وأتى الكوفة فأخرج أيضا واستقرّ بمصر ، وأقام يكاتب أصحابه بالبصرة ويكاتبونه والمقالات تفشو بالطعن والنكير على الأمراء . وكان حمران[1] بن أبان أيضا يحقد لعثمان أنه ضربه على زواجه إمرأة في العدّة وسيّره إلى البصرة ، فلزم ابن عامر وكان بالبصرة عامر بن عبد القيس وكان زاهدا متقشّفا فأغرى به حمران صاحب ابن عامر فلم يقبل سعايته ، ثم أذن له عثمان فقدم المدينة ومعه قوم فسعوا بعامر بن عبد القيس أنه لا يرى التزويج ولا يأكل اللحم ولا يشهد الجمعة ، فألحقه عثمان بمعاوية وأقام عنده حتى تبيّنت براءته وعرف فضله وحقه وقال : إرجع إلى صاحبك فقال : لا أرجع إلى بلد استحلّ أهله مني ما استحلوا وأقام بالشام كثير العبادة والإنفراد بالسواحل إلى أن هلك .
ولما فشت المقالات بالطعن والأرجاف على الأمراء اعتزم سعيد بن العاص على الوفادة على عثمان سنة أربع وثلاثين ، وكان قبلها قد ولّى على الأعمال امراء من قبله ، فولّى الأشعث بن قيس على أذربيجان وسعيد بن قيس على الري والنسير العجلي على همذان والسائب بن الأقرع على أصبهان ومالك بن حبيب على ماه وحكيم بن سلامة على الموصل وجرير بن عبدالله على قرقيسيا وسلمان بن ربيعة على الباب وجعل على حلوان عتيبة[2] بن النهّاس وعلى الحرب القعقاع بن عمرو ، فخرجوا لأعمالهم وخرج هو وافدا على عثمان ، واستخلف عمرو بن حريث وخلت الكوفة من الرؤساء وأظهر الطاعنون أمرهم وخرج بهم يزيد بن قيس يريد خلع عثمان ، فبادره القعقاع بن عمرو فقال له : إنما نستعفي من سعيد . وكتب يزيد إلى الرهط الذين عند عبد الرحمن بن خالد بحمص في القدوم ، فساروا إليه وسبقهم الأشتر ووقف على باب المسجد يوم الجمعة يقول جئتكم من عند عثمان وتركت سعيدا يريده على نقصان

(١) وفي النسخة الباريسية : عمران
(٢) وفي النسخة الباريسية : عيينة .

نسائكم على مائة درهم وردّ أولي[1] البلاء منكم إلى ألفين ، ويزعم أن فيئكم بستان قريش . ثم استخف الناس ونادى يزيد في الناس من شاء أن يلحق بيزيد لردّ سعيد فليفعل ، فخرجوا وذوو الرأي يعذلونهم فلا يسمعون .

وأقام أشراف الناس وعقلاؤهم مع عمرو بن حريث ونزل يزيد وأصحابه الجزعة[2] قريبا من القادسية لاعتراض سعيد وردّه ، فلما وصل قالوا : إرجع فلا حاجة لنا بك قال : إنما كان يكفيكم أن تبعثوا واحدا إليّ وإلى عثمان رجلا . وقال مولى له : ما كان ينبغي لسعيد أن يرجع ، فقتله الأشتر ورجع سعيدا الى عثمان فأخبره بخبر القوم وأنهم يختارون أبا موسى الأشعري ، فولاّه الكوفة وكتب إليهم : «أما بعد فقد أمرت عليكم من اخترتم وأعفيتكم من سعيد والله لأقرضنكم عرضي ولابذلنّكم صبري ولاستصلحنكم بجهدي» . وخطب أبو موسى الناس ، وأمرهم بلزوم الجماعة ، وطاعة عثمان ، فرضوا ورجع الأمراء من قرب الكوفة واستمرّ أبو موسى على عمله .

وقيل إنّ أهل الكوفة أجمع رأيهم أن يبعثوا إلى عثمان ويعذلوه فيما نقم عليه ، فأجمع رأيهم على عامر بن عبد القيس الزاهد وهو عامر بن عبدالله من بني تميم ثم من بني العنبر[3] فأتاه وقال له : إن ناسا اجتمعوا ونظروا في أعمالك فوجدوك ركبت أمورا عظاما ، فاتق الله وتب إليه . فقال عثمان : ألا تسمعون إلى هذا الذي يزعم الناس أنه قارىء ثم يجيء يكلمني في المحقرات ؟ ووالله لا يدري أين الله . فقال له عامر : بل والله إني لأدري إنّ الله لبالمرصاد . فأرسل عثمان إلى معاوية وعبدالله بن أبي سرح وسعيد بن العاص وعبدالله بن عامر وعمرو بن العاص ، وكانوا بطانته دون الناس فجمعهم وشاورهم ، وقال : إنكم وزرائي ونصحائي وأهل ثقتي وقد صنع الناس ما رأيتم فطلبوا أن أعزل عمالي وأرجع إلى ما يحبون فاجتهدوا رأيكم . فقال ابن عامر : أرى أن تشغلهم بالجهاد ، وقال سعيد : متى تهلك قادتهم يتفرّقوا ، وقال معاوية : إجعل كفالتهم إلى أمرائهم وأنا أكفيك الشام ، وقال عبدالله : استصلحهم بالمال . فردّهم عثمان إلى أعمالهم وأمرهم بتجهيز الناس في البعوث ليكون لهم فيها شغل ، ورد سعيد إلى الكوفة فلقيه الناس بالجزعة وردوه كما ذكرناه وولّى أبا موسى وأمر عثمان

---

(١) وفي النسخة الباريسية : على نقض اعطيتكم للنساء وذر النساء

(٢) وفي النسخة الباريسية : المخزعة وفي نسخة اخرى : الجرعة

(٣) وفي نسخة اخرى : بني العنيس .

حذيفة بغزو الباب فسار نحوه .

ولما كثر هذا الطعن في الأمصار وتواتر بالمدينة وكثر الكلام في عثمان والطعن عليه ، وكان له منهم شيعة يذبّون عنه مثل زيد بن ثابت وأبي أسيد الساعدي وكعب بن مالك وحسان بن ثابت فلم يغنوا عنه ، واجتمع الناس إلى علي بن أبي طالب وكلموه وعددوا عليه ما نقموه ، فدخل على عثمان وذكر له شأن الناس وما نقموا عليه وذكره بأفعال عمر وشدّته ولينه هو لعمّاله وعرض عليه ما يخاف من عواقب ذلك في الدنيا والآخرة ، فقال له : إنّ المغيرة بن شعبة ولّيناه وعمر ولاّه ، ومعاوية كذلك ، وابن عامر تعرفون رحمه وقرابته . فقال له عليّ إنّ عمر كان يطأ على صماخ من ولاّه وأنت ترفق بهم وكانوا أخوف لعمر من غلامه يرفأ[1] ومعاوية يستبدّ عليك ، ويقول هذا أمر عثمان فلا تغير عليه . ثم تكالما طويلا وافترقا وخرج عثمان على أثر ذلك ، وخطب وعرض بما هو فيه من الناس وطعنهم وما يريدون منه ، وأنهم تجرؤا عليه لرفقه بما لم يتجرؤا بمثله على ابن الخطّاب ، ووافقهم برجوعه في شأنه إلى ما يقدمهم .

حصار عثمان ومقتله رضي الله عنه وأثابه ورفع درجته

ولما كثرت الإشاعة في الأمصار بالطعن على عثمان وعمّاله ، وكتب بعضهم إلى بعض في ذلك وتوالت الأخبار بذلك على أهل المدينة ، جاؤا إلى عثمان وأخبروه فلم يجدوا عنده علما منه . وقال : أشيروا عليّ وأنتم شهود المؤمنين . قالوا : تبعث من تثق به إلى الأمصار يأتوك[2] بالخبر . فأرسل محمد بن مسلمة إلى الكوفة ، وأسامة بن زيد إلى البصرة ، وعبدالله بن عمر إلى الشام وغيرهم إلى سواها فرجعوا ، وقالوا : ما أنكرنا شيئا ولا انكره علماء المسلمين ولاعوامهم ، وتأخر عمّار بن ياسر بمصر واستماله ابن السوداء وأصحابه خالد بن ملجم وسودان بن حمران وكنانة بن بشر ، وكتب عثمان إلى أهل الأمصار : إن قد رفع إليّ أهل المدينة أن عمّالي وقع منهم أضرار بالناس ، وقد أخذتهم بأن يوافوني في كل موسم فمن كان له حق فليحضر يأخذ بحقه مني أو من عمّالي ، أو تصدّقوا فإنّ الله يجزي المتصدّقين . فبكى الناس عند قراءة كتابه عليهم

(١) كذا في الأصل وفي الكامل ج ٣ ص ١٥٢ : فقال عليّ : انشدك الله ! هل تعلم ان معاوية كان أخوف لعمر من يرفأ ، غلام عمر ، له ؟ قال : نعم .

(٢) الاصح ان يقول يأتونك .

ودعوا له ، وبعث إلى عمّال الأمصار فقدموا عليه في الموسم : عبدالله بن عامر وابن أبي سرح ومعاوية وأدخل معهم سعيد بن العاص وعمراً وقال : ويحكم ما هذه الشكاية والاذاعة واني لأخشى والله أن يكونوا صادقين ! فقالوا له : ألم يخبرك رسلك بأنّ أحداً لم يشافههم بشيء ؟ وإنما هذه إشاعة لا يحل الأخذ بها واختلفوا في وجه الرأي في ذلك . فقال عثمان : إن الأمر كائن وبابه سيفتح ولا أحب أن تكون لأحد عليّ حجة في فتحه وقد علم الله أني لم آل الناس خيراً فسكّتوا الناس وبيّنوا لهم حقوقهم . ثم قدم المدينة فدعا عليّا وطلحة والزبير ومعاوية حاضر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أنتم ولاة هذا الأمر واخترتم صاحبكم[1] يعني عثمان وقد كبر وأشرف وفشت مقالة خفتها عليكم فما عنيتم فيه من شيء فأنا لكم به ولا تطمعوا الناس في أمركم . فانتهره عليّ ، ثم ذهب عثمان يتكلّم ، وقال : اللذان كانا قبلي منعا قرابتهما احتسابا وأنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعطي قرابته وأنّ قرابتي أهل عيلة وقلّة معاش فأعطيتهم فإن رأيتم ذلك خطأ فردّوه ، فقالوا : أعطيت عبدالله بن خالد بن أسيد خمسين ألفا ومروان خمسة عشر ألفا ، قال : آخذ ذلك منهما ، فانصرفوا راضين .

وقال له معاوية : أخرج معي إلى الشام قبل أن يهجم عليك ما لا تطيقه ، قال : لا أبتغي بجوار رسول الله صلى الله عليه وسلم بدلا . قال : فأبعث إليك جندا يقيمون معك ، قال : لا أضيق على جيران رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال معاوية : لتغتالّن ولتعرّين[2]، قال : حسبي الله ونعم الوكيل . ثم سار معاوية ومرّ على عليّ وطلحة والزبير فوصّاهم بعثمان وودّعهم ومضى . وكان المنحرفون عن عثمان بالأمصار قد تواعدوا عند مسير الأمراء إلى عثمان أن يثبوا عليه في مغيبهم ، فرجع الأمراء ولم يتهيأ لهم ذلك ، وجاءتهم كتب من المدينة ممن صار إلى مذهبهم في الانحراف عن عثمان أن أقدموا علينا فإن الجهاد عندنا ، فتكاتبوا من أمصارهم في القدوم إلى المدينة ، فخرج المصريون وفيهم عبد الرحمن بن عديس البلويّ في خمسمائة وقيل في ألف وفيهم كنانة بن بشر الليثي وسودان بن حمران السكونيّ وميسرة أو قتيرة بن فلان السكوني ، وعليهم جميعا الغافقي بن حرب العكّي ، وخرج أهل الكوفة وفيهم زيد بن صوحان

---

(١) وفي النسخة الباريسية : وولوا صاحبهم

(٢) وفي نسخة ثانية : لتعيّرن

العبديّ والأشتر النخعي وزياد بن النضر الحارثي وعبدالله بن الأصمّ العامري ، وخرج أهل البصرة وفيهم حكيم بن جبلة العبديّ وذريح بن عبّاد وبشر بن شريح القيسي وابن المحرش وعليهم حرقوص بن زهير السعدي وكلهم في مثل عدد أهل مصر ، وخرجوا جميعا في شوّال مظهرين للحجّ .

ولما كانوا من المدينة على ثلاث مراحل تقدّم ناس من أهل البصرة وكان هواهم في طلحة فنزلوا ذا خشَب ، وتقدّم ناس من أهل الكوفة وكان هواهم في الزبير فنزلوا الأعوص ، ونزل معهم ناس من أهل مصر وكان هواهم في عليّ وتركوا عامتهم بذي المروة . وقال زياد بن النضر وعبدالله بن الأصم من أهل الكوفة : لا تعجلوا حتى ندخل المدينة فقد بلغنا أنهم عسكروا لنا فوالله إن كان حقا لا يقوم لنا أمر .

ثم دخلوا المدينة ولقوا عليّا وطلحة والزبير وأمّهات المؤمنين وأخبروهم أنهم إنما أتوا للحجّ وأن يستعفوا من بعض العمّال ، واستأذنوا في الدخول فمنعوهم ورجعوا إلى أصحابهم وتشاوروا في أن يذهب من أهل الكوفة وكل مصر فريق إلى أصحابهم كيادا وظلما في الفرقة ، فأتى المصريون عليّا وهو في عسكر عند أحجار الزيت وقد بعث إبنه الحسن إلى عثمان فيمن اجتمع عليه فعرضوا عليه أمرهم ، فصاح بهم وطردهم وقال : إن جيش ذي المروة وذي خشب والأعوص ملعونون على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلّم وقد علم ذلك الصالحون . وأتى البصريون طلحة والكوفيون الزبير فقالا مثل ذلك فانصرفوا وافترقوا عن هذه الأماكن إلى عسكرهم على بعد . فتفرّق أهل المدينة فلم يشعروا إلا والتكبير في نواحيها ، وقد هجموا وأحاطوا بعثمان ونادوا بأمان من كف يده ، وصلّى عثمان بالناس أياما ولزم الناس بيوتهم ولم يمنعوا الناس من كلامه ، وغدا عليهم عليّ فقال : ما ردكم بعد ذهابكم ، قالوا أخذنا كتابا مع بريد بقتلنا . وقال البصريون لطلحة والكوفيون للزبير مثل مقالة أهل مصر وانهم جاؤا لينصروهم ، فقال لهم عليّ : كيف علمتم بما لقي أهل مصر وكلكم على مراحل من صاحبه حتى رجعتم علينا جميعا ؟ هذا أمر أبرم بليل . فقالوا : اجعلوه كيف شئتم لا حاجة لنا بهذا الرجل ليعتزلنا ، وهم يصلّون خلفه ومنعوا الناس من الاجتماع معه .

وكتب عثمان إلى الأمصار يستحثهم فبعث معاوية حبيب بن مسلمة الفهريّ ، وبعث

عبدالله بن أبي سرح معاوية بن حديج[1] وخرج من الكوفة القعقاع بن عمرو، وتسابقوا إلى المدينة على الصعب والذلول، وقام بالكوفة نفر يحضّون على إعانة أهل المدينة فمن الصحابة عقبة بن عامر[2] وعبدالله بن أبي أوفى وحنظلة الكاتب، ومن التابعين مسروق الأسود وشريح وعبدالله بن حكيم. وقام بالبصرة في ذلك عمران بن حصين وأنس بن مالك وهشام بن عامر، ومن التابعين كعب بن سوار وهرم بن حيّان. وقام بالشام وبمصر جماعة أخرى من الصحابة والتابعين.

ثم خطب عثمان في الجمعة القابلة وقال يا هؤلاء الله الله فوالله إنّ أهل المدينة ليعلموا أنكم ملعونون على لسان محمد فامحوا الخطايا بالصواب. فقال محمد بن مسلمة: أنا أشهد بذلك. فأقعده حكيم بن جبلة، وقام زيد بن ثابت فأقعده آخر، وحصبوا الناس حتى أخرجوهم من المسجد، وأصيب عثمان بالحصباء فصرع وقاتل دونه سعد بن أبي وقّاص والحسين وزيد بن ثابت وأبو هريرة. ودخل عثمان بيته وعزم عليهم في الإنصراف فانصرفوا، ودخل عليّ وطلحة والزبير على عثمان يعودونه وعنده نفر من بني أمية فيهم مروان فقالوا لعليّ: أهلكتنا وصنعت هذا الصنع والله لئن بلغت الذي تريد لتمرّن عليك الدنيا، فقام مغضبا وعادوا إلى منازلهم. وصلّى عثمان بالناس وهو محصور ثلاثين يوما، ثم منعوه الصلاة، وصلّى بالناس أمير المصريين الغافقي بن حرب العكّي، وتفرّق أهل المدينة في بيوتهم وحيطانهم ملازمين للسلاح وبقي الحصار أربعين يوما. وقيل بل أمر عثمان أبا أيوب الأنصاري فصلّى أياما، ثم صلى عليّ بعده بالناس وقيل أمر عليّ سهل بن حنيف فصلّى عشر ذي الحجة ثم صلّى العيد والصلوات حتى قتل عثمان.

وقد قيل في حصار عثمان أن محمد بن أبي بكر ومحمد بن أبي حذيفة كانا بمصر يحرّضان على عثمان، فلما خرج المصريون في رجب مظهرين للحجّ ومضمرين قتل عثمان أو خلعه وعليهم عبد الرحمن بن عديس البلويّ كان فيمن خرج مع المصريين محمد بن أبي بكر، وبعث عبدالله بن سعد في آثارهم وأقام محمد بن حذيفة بمصر، فلما كان ابن أبي سرح بأيلة بلغه أن المصريين رجعوا إلى عثمان فحصروه، وأنّ محمد بن أبي حذيفة غلب على مصر فرجع سريعا إليهما فمنع منهما، فأتى فلسطين وأقام بها

(١) وفي نسخة ثانية: بن جريح

(٢) وفي النسخة الباريسية: ابن عمر.

حتى قتل عثمان . وأمّا المصريون فلمّا نزلوا ذا خشب جاء عثمان إلى بيت عليّ ومتّ إليه بالقرابة في أن يركب إليهم ويردّهم لئلا تظهر الجراءة منهم ، فقال له عليّ : قد كلمتك في ذلك فأطعت أصحابك وعصيتني ! يعني مروان ومعاوية وابن عامر وابن أبي سرح وسعيدا . فعلى أي شيء أردّهم ؟ فقال : على أن أصير إلى ما تراه وتشيره وأن أعصي أصحابي وأطيعك . فركب في ثلاثين من المهاجرين والأنصار فيهم سعيد بن زيد وأبو جهم العدويّ وجبير بن مطعم وحكيم بن حزام ومروان بن الحكم وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن عتّاب ، ومن الأنصار أبو أسيد الساعدي وأبو حميد وزيد بن ثابت وحسّان وكعب بن مالك ، ومن العرب نيار[1] بن مكرز ، فأتوا المصريين وتولى الكلام معهم : عليّ ومحمد بن مسلمة ، فرجعوا إلى مصر ، وقال ابن عديس لمحمد اتوصينا بحاجة ، قال : تتقي الله وتردّ من قبلك عن إمامهم فقد وعدنا أن يرجع وينزع . ورجع القوم إلى المدينة ودخل عليّ على عثمان وأخبره برجوع المصريين ، ثم جاءه مروان من الغد فقال له : أخبر الناس بأنّ أهل مصر قد رجعوا وأن ما بلغهم عنك كان باطلا قبل أن تجيء الناس من الأمصار ويأتيك ما لا تطيقه ففعل . فلما خطب ناداه الناس من كل ناحية[2] اتق الله يا عثمان وتب إلى الله وكان أوّلهم عمرو بن العاص ، فرفع يده وقال لهم : إني تائب . وخرج عمرو بن العاص إلى منزله بفلسطين ، ثم جاء الخبر بحصاره وقتله .

وقيل إنّ عليّا لما رجع عن المصريين أشار على عثمان أن يسمع الناس ما اعتزم عليه من النزع قبل أن يجيء غيرهم ، ففعل وخطب بذلك وأعطى الناس من نفسه التوبة ، وقال : «أنا أوّل من اتعظ أستغفر الله مما فعلت وأتوب إليه فليأت أشرافكم يروني رأيهم فوالله إن ردّني الحق عبداً لاستن[3] بسنّة العبد ولأذلنّ ذل العبد وما عن الله مذهب إلاّ إليه فوالله لأعطينكم الرضى ولا أحتجب عنكم» . ثم بكى وبكى الناس ودخل منزله ، فجاءه نفر من بني أمية يعذلونه في ذلك فوبختهم نائلة بنت الفرافصة فلم يرجعوا إليها ، وعابوه فيما فعل واستذلوه في إقراره بالخطبة والتوبة عند الخوف ، واجتمع الناس بالباب وقد ركب بعضهم بعضا ، فقال لمروان : كلّمهم فأغلظ لهم

---

(١) في النسخة الباريسية : ينار وفي نسخة اخرى : دينار

(٢) وفي النسخة الباريسية : من كل جهة

(٣) وفي النسخة الباريسية : لاسيرن

في القول . وقال : «جئتم لتنزع[1] ملكنا من أيدينا . والله لئن رمتمونا ليمرنّ عليكم منا أمر لا يسرّكم ولا تحمدوا غب[2] رأيكم إرجعوا إلى منازلكم فإنّا والله ما نحن مغلوبين على ما في أيدينا» . وبلغ الخبر عليّا فنكر ذلك ، وقال لعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث : أسمعت خطبته بالأمس ومقالة مروان للناس اليوم ؟ يا لله و يا للناس إن قعدت في بيتي ، قال : تركتني وقرابتي وحقي وإن تكلمت فجاء ما يريد يلعب به مروان و يسوقه حيث يشاء بعد كبر السنّ وصحبة الرسول . وقام مغضباً إلى عثمان واستقبح مقالة مروان وأنبّه عليها وقال ما أنا عائد بعد مقامي هذا لمعاتبتكم فقد أذهبت شرفك وغلبت على رأيك . ثم دخلت عليه إمرأته نائلة وقد سمعت قول عليّ ، فعذلته في طاعة مروان ، وأشارت عليه باستصلاح عليّ فبعث إليه فلم يأته . فأتاه عثمان إلى منزله ليلا يستلينه و يعده الثبات على رأيه معه فقال : بعد أن قام مروان على بابك يشتم الناس ويؤذيهم ، فخرج عثمان وهو يقول : خذلتني وجرّأت الناس ، فقال علي : والله إني أكثر الناس ذبّا عنك ولكني كلما جئت بشيء أظنه لك رضىً جاء مروان بأخرى فسمعت قوله وتركت قولي . ثم منع عثمان الماء فغضب عليّ غضباً شديدا حتى دخلت الروايا على عثمان .

وقيل إن عليّا كان عند حصار عثمان بخيبر فقدم[3] والناس مجتمعون عند طلحة فجاء عثمان وقال : يا عليّ إن لي حق الإخاء والقرابة والصهر ، ولو كان أمر الجاهلية فقط كان عاراً على بني عبد مناف أن تنتزع تيم أمرهم ! فجاء عليّ إلى طلحة وقال : ما هذا ، فقال طلحة : أبعد ما مسّ الحزام الطبيين[4] يا أبا حسن . فانصرف عليّ إلى بيت المال ، وأعطى الناس فبقي طلحة وحده وسرّ بذلك عثمان وجاء إليه طلحة فقال له والله ما جئت تائبا ولكن مغلوبا فالله حسيبك يا طلحة .

وقيل إن المصريين لما رجعوا خرج إليهم محمد بن مسلمة فأعطوه صحيفة قالوا وجدناها عند غلام عثمان بالبويب وهو على بعير من إبل الصدقة يأمر فيها بجلد عبد الرحمن بن عديس وعمرو بن الحمق وعروة بن البيّاع وحبسهم وحلق رؤوسهم

---

(١) وفي النسخة الباريسية : ولا تنزعون

(٢) وفي النسخة الباريسية : راغب

(٣) وفي النسخة الباريسية : فقام

(٤) هذا مثل يضرب به عند بلوغ الامر غايته في الشدّة

والجاهم وصلب بعضهم ، وقيل وجدت الصحيفة بيد أبي الأعور السلميّ . فعاد المصريون وعاد معهم الكوفيون والبصريّون وقالوا لمحمد بن مسلمة حين سألهم : قد كلّمنا عليّا وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد فوعدونا أن يكلموه فليحضر عليّ معنا عند عثمان . ثمّ دخل عليّ ومحمد على عثمان وأخبروه بقول أهل مصر فحلف ما كنت ولا علم . وقال محمد صدق هذا من عمل مروان . ودخل المصريون فشكى ابن عديس بابن أبي سرح وما أحدثه بمصر وأنه ينسب ذلك إلى كتاب عثمان وأنّا جئنا من مصر لقتلك فردّنا عليّ ومحمد وضمنا لنا النزوع عن هذا كله فرجعنا ولقينا هذا الكتاب وفيه أمرك لابن أبي سرح بجلدنا والمثلة بنا وطول الحبس وهو بيد غلامك وعليه خاتمك ، فحلف عثمان ما كتب ولا أمر ولا علم . قالوا : فكيف يجترأ عليك بمثل هذا فقد استحقيت الخلع على التقديرين ولا يحل أن يولّى الأمور من ينتهي إلى هذا الضعف ، فاخلع نفسك فقال : لا أنزع ما ألبسني الله ولكن أتوب وأرجع . قال : رأيناك تتوب وتعود فلا بدّ من خلعك أو قتلك وقتال أصحابك دون ذلك أن يخلص إليك أو تموت ، فقال : لا ينالكم أحد بأخرى[1] ولو أردت ذلك لاستجشت بأهل الأمصار. ثم كثر اللغط وأخرجوا ومضى عليّ إلى منزله ، وحصر المصريون عثمان وكتب إلى معاوية وابن عامرَ يستحثّهم وقام يزيد بن أسد القسري فاستنفر أهل الشام وسار إلى عثمان وبلغهم قتله بوادي القرى ، فرجعوا وقيل سار من الشام حبيب بن مسلمة ومن البصرة مجاشع بن مسعود فبلغهم قتله بالربذة فرجعوا .

وكانت بطانة عثمان أشاروا عليه أن يبعث إلى عليّ في كفّهم عنه على الوفاء لهم ، فبعث إليه في ذلك فأجاب بعد توقف ثم بعث إليهم فقالوا لا بدّ لنا أن نتوثق منه وجله فأعلمه وتوثق منه على أجل ثلاثة أيام ، وكتب بينهم كتابا على ردّ المظالم وعزل من كرهوه من العمّال . ثم مضى الأجل وهو مستعدّ ولم يغير شيئا ، فجاء المصريون من ذي خشب يستنجدون عهدهم فأبى فحصروه وأرسل إلى علي وطلحة والزبير وأشرف عليهم فحيّاهم ودعا لهم ، ثم قال : «أنشدكم الله تعالى هل تعلمون أنكم دعوتم الله عند مصاب عمر أن يختار لكم ويجمعكم على خيركم ؟ أتقولون أنه لم يستجب لكم أو تقولون أن الله لم يبال بمن ولي هذا الدين أم تقولون أن الأمة ولوا مكابرة وعن غير مشورة فوكلهم إلى أمرهم أو لم يعلم عاقبة أمري ، ثم أنشدكم الله

(١) وفي الكامل ج ٣ ص ١٧٠ : فمن قاتلكم فبغير أمري قاتل .

هل تعلمون لي من السوابق ما يجب حقه فمهلا فلا يحل إلاّ قتل ثلاثة : زانٍ بعد إحصان وكافر بعد إيمان وقاتل بغير حق ثم إذا قتلتموني وضعتم السيف على رقابكم ، ثم لا يرفع الله عنكم الاختلاف» . فقالوا له : ما ذكرت من الاستخارة بعد عمر فكل ما صنع الله تعالى فيه الخيرة ، ولكن الله ابتلى بك عباده وأمّا حقك وسابقتك فصحيح ، لكن أحدثت ما علمت ولا نترك إقامة الحق مخافة الفتنة عاما قابلا ، وأمّا حصر القتل في الثلاثة ففي كتب الله قتل من سعى في الأرض فسادا ومن قاتل على البغي وعلى منع الحق والمكابرة عليه ، وأنت إنّما تمسكت بالأمارة علينا وإنّما قاتل دونك هؤلاء لهذه التسمية فلو نزعتها انصرفوا . فسكت عثمان ولزم الدار وأقسم على الناس بالانصراف فانصرفوا إلاّ الحسن بن عليّ ومحمد بن طلحة وعبدالله بن الزبير.

وكانت مدّة إنحصاره أربعين يوما ، ولثمان عشرة منها وصل الخبر بمسير الجنود من الأمصار فاشتد الانحصار ومنعوه من لقاء الناس ومن الماء ، وأرسل إلى عليّ وطلحة والزبير وأمّهات المؤمنين يطلب الماء فركب علي إليهم مُغلسا ، وقال : يا أيها الناس إن هذا لا يشبه أمر المؤمنين ولا الكافرين وإنما الأسير عند فارس والروم يُطعم ويُسقى . فقالوا : لا والله ونعمة عين . فرجع وجاءت أمّ حبيبة على بغلتها مشتملة على أدواة وقالت: أردت أن أسأل هذا الرجل عن وصايا عنده لبني أمية أو تهلك أموال أيتامهم وأراملهم ، فقالوا : لا والله ، وضربوا وجه البغلة فنفرت وكادت تسقط عنها وذهب بها الناس إلى بيتها .

وأشرف عليهم عثمان وقرّر حقوقه وسوابقه فقال بعضهم مهلاً عن أمير المؤمنين ، فجاء الأشتر وفرّق الناس وقال : لا يمكر بكم . ثم خرجت عائشة إلى الحج ودعت أخاها فأبى ، فقال له حنظلة الكاتب : تدعوك أم المؤمنين فلا تتبعها وتتبع سفهاء العرب فيما لا يحل ولو قد صار الأمر إلى الغلبة غلبك عليه بنو عبد مناف . ثم ذهب حنظلة إلى الكوفة وبلغ طلحة والزبير ما لقي عليّ وأمّ حبيبة فلزموا بيوتهم . وكان آل حزم يدسون الماء إلى بيت عثمان في الغفلات ، وكان ابن عبّاس ممن لزم باب عثمان للمدافعة فأشرف عليه عثمان وأمره أن يحجّ بالناس ، فقال : جهاد هؤلاء أحب إليّ ، فأقسم عليه وانطلق .

ولما رأى أهل مصر أن أهل الموسم يريدون قصدهم ، وأنّ أهل الأمصار يسيرون إليهم اعتزموا على قتل عثمان رضي الله عنه يرجون في ذلك خلاصهم واشتغال الناس

عنهم ، فقاموا إلى الباب ليقتحموه فمنعهم الحسن بن عليّ وابن الزبير ومحمد بن طلحة ومروان وسعيد بن العاص ومن معهم من أبناء الصحابة وقاتلوهم وغلبوهم دون الباب ، ثم صدهم عثمان عن القتال وحلف ليدخلنّ فدخلوا وأغلق الباب فجاؤا بالنار وأحرقوه ، ودخلوا وعثمان يصلّي وقد افتتح سورة طه ، وقد سار أهل الدار فما شغله شيء من أمرهم حتى فرغ وجلس إلى المصحف يقرأ فقرأ : «الذين قال لهم الناس إنّ الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل» . ثم قال لمن عنده إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عهد إليّ عهداً فأنا صابر عليه ، ومنعهم من القتال وأذن للحسن في اللحاق بأبيه وأقسم عليه فأبى وقاتل دونه ، وكان المغيرة بن الأخنس بن شريق قد تعجّل من الحج في عصابة لنصره فقاتل حتى قتل . وجاء أبو هريرة ينادي يا قوم مالي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار وقاتل ، ثم اقتحمت الدار من ظهرها من جهة دار عمرو بن حزم فامتلأت قوماً ولا يشعر الذين بالباب ، وانتدب رجل فدخل على عثمان في البيت فحاوره في الخلع فأبى فخرج ، ودخل آخر ثم آخر كلهم يعظه فيخرج ويفارق القوم ، وجاء ابن سلاّم فوعظهم فهموا بقتله ، ودخل عليه محمد بن أبي بكر فحاوره طويلا بما لا حاجة إلى ذكره ثم استحيا وخرج . ثم دخل عليه السفهاء فضربه أحدهم وأكبت عليه نائلة امرأته تتقي الضرب بيدها فنفحها أحدهم بالسيف في أصابعها . ثم قتلوه وسال دمه على المصحف ، وجاء غلمانه فقتلوا بعض أولئك القاتلين وقتلاء أخر ، وانتهبوا ما في البيت وما على النساء حتى نائلة ، وقتل الغلمان منهم وقتلوا من الغلمان ، ثم خرجوا إلى بيت المال فانتهبوه ، وأرادوا قطع رأسه فمنعهم النساء فقال ابن عديس : اتركوه . ويقال إن الذي تولى قتله كنانة بن بشر التُجيبي وطعنه عمرو بن الحمق طعنات ، وجاء عمير بن ضابيء وكان أبوه مات في سجنه فوثب عليه حتى كسر ضلعا من أضلاعه . وكان قتله لثمان عشرة خلت من ذي الحجة وبقي في بيته ثلاثة أيام .

ثم جاء حكيم بن حزام وجبير بن مطعم إلى علي فأذن لهم في دفنه ، فخرجوا به بين المغرب والعشاء ومعهم الزبير والحسن وأبو جهم بن حذيفة ومروان فدفنوه في حشّ كوكب [1] ، وصلى عليه جبير وقيل مروان وقيل حكيم ، ويقال : انّ ناسا تعرّضوا لهم

(١) هو حائط من حيطان المدينة وهو خارج البقيع

ليمنعوا من الصلاة عليه ، فأرسل إليهم عليّ وزجرهم . وقيل إنّ عليّا وطلحة حضرا جنازته وزيد بن ثابت وكعب بن مالك .

وكان عمّاله عند موته على ما نذكره : فعلى مكّة عبدالله بن الحضرميّ ، وعلى الطائف القاسم بن ربيعة الثقفيّ ، وعلى صنعاء يعلى بن منيّة ، وعلى الجند عبدالله بن ربيعة ، وعلى البصرة والبحرين عبدالله بن عامر ، وعلى الشام معاوية بن أبي سفيان ، وعلى حمص عبد الرحمن بن خالد من قبله ، وعلى قنسرين حبيب بن مسلمة كذلك ، وعلى الأردن ابو الأعور السلميّ كذلك ، وعلى فلسطين علقمة بن حكيم الكندي[1] كذلك ، وعلى البحرين عبدالله بن قيس الفزاري ، وعلى القضاء أبو الدرداء ، وعلى الكوفة أبو موسى الأشعري على الصلاة والقعقاع بن عمرو على الحرب ، وعلى خراج السواد جابر المزنيّ وسمّاك الأنصاري على الخراج ، وعلى قرقيسيا جرير بن عبدالله ، وعلى أذربيجان الأشعث بن قيس ، وعلى حلوان عتيبة[2] بن النهّاس ، وعلى أصبهان السائب بن الأقرع ، وعلى ماسبذان خنيس[3] ، وعلى بيت المال عقبةُ بن عمرو ، وعلى القضاء زيد بن ثابت .

بيعة علي رضي الله عنه

لما قتل عثمان اجتمع طلحة والزبير والمهاجرون والأنصار وأتوا عليّا يبايعونه ، فأبى وقال : أكون وزيراً لكم خير من أن أكون أميراً ومن اخترتم رضيته ، فألّحوا عليه وقالوا : لا نعلم أحق منك ولا نختار غيرك حتى غلبوه في ذلك ، فخرج إلى المسجد وبايعوه وأوّل من بايعه طلحة ثم الزبير بعد أن خيّرهما ويقال إنهما ادّعيا الإكراه بعد ذلك بأربعة أشهر وخرجا إلى مكة ، ثم بايعه الناس . وجاؤا بسعد فقال لعليّ : حتى تبايعك الناس[4] فقال : اخلوه وجاؤا بابن عُمر فقال : كذلك . فقال : إئتني بكفيل . قال : لا أجده فقال الأشتر : دعني أقتله فقال عليّ : دعوه أنا كفيله . وبايعت الأنصار وتأخّر منهم حسّان بن ثابت وكعب بن مالك ومسلمة بن مخلد وأبو

---

(١) وفي النسخة الباريسية : الكناني .

(٢) وفي النسخة الباريسية : عيينه .

(٣) وفي النسخة الباريسية : عنيس .

(٤) الأصح ان يقول : حتى يبايعك الناس .

سعيد الخدريّ ومحمد بن مسلمة والنعمان بن بشير وزيد بن ثابت ورافع بن خديج وفُضالةُ بن عبيد وكعب بن عجرة وسلمة بن سلامة بن وقش[1] ، وتأخر من المهاجرين عبدالله بن سلاَّم وصُهيب بن سنان وأسامة بن زيد وقُدامة بن مظعون والمغيرة بن شعبة . وأمّا النعمان بن بشير فأخذ أصابع نائلة امرأة عثمان وقميصه الذي قتل فيه ولحق بالشام صريخاً .

وقيل إنّ عثمان لما قتل بقي الغافقي بن حرب أميرا على المدينة خمسة ايام ، والتمس من يقوم بالأمر فلم يجبه أحد ، وأتوا إلى عليّ فامتنع ، وأتى الكوفيّون الزبير والبصريّون طلحة فامتنعا ، ثم بعثوا إلى سعد وابن عمر فامتنعا[2] . فبقوا حيارى ورأوا أنّ رجوعهم إلى الأمصار بغير إمام يوقع في الخلاف والفساد ، فجمعوا أهل المدينة وقالوا : أنتم أهل الشورى وحكمكم جائز على الأمة فاعقدوا الامامة ونحن لكم تبع وقد أجّلناكم يومين وإن لم تفعلوا قتلنا فلانا وفلانا وغيرهما يشيرون إلى الأكابر . فجاء الناس إلى عليّ فاعتذر وامتنع ، فخوّفوه الله في مراقبة الإسلام ، فوعدهم إلى الغد . ثم جاؤه من الغد وجاء حكيم بن جبلة[3] في البصريّين ، فأحضر الزبير كرها ، وجاء الأشتر في الكوفيين فأحضر طلحة كذلك وبايعوا لعلي ، وخرج إلى المسجد وقال : هذا أمركم ليس لأحد فيه حق إلاّ من أردتم وقد افترقنا أمس وأنا كاره فأبيتم إلا أن أكون عليكم ، فقالوا : نحن على ما افترقنا عليه بالأمس ، فقال لهم : اللهمّ إشهد ! ثم جاؤا بقوم ممن تخلف قالوا نبايع على إقامة كتاب الله . ثم بايع العامة ، وخطب عليّ وذكر الناس وذلك يوم الجمعة لخمس بقيّن من ذي الحجة ورجع إلى بيته ، فجاءه طلحة والزبير وقالا : قد اشترطنا إقامة الحدود فأقمها على قتلة هذا الرجل ، فقال : لا قدرة لي على شيء مما تريدون حتى يهدأ الناس وننظر الأمور فتؤخذ الحقوق ، فافترقوا عنه .

وأكثر بعضهم المقالة في قتلة عثمان وباستناده إلى أربعة في رأيه ، وبلغه ذلك فخطبهم وذكر فضلهم وحاجته إليهم ونظره لهم ، ثم هرب مروان وبنو أمية ولحقوا بالشام ، فاشتدّ على عليّ منع قريش من الخروج ، ثم نادى في اليوم الثالث برجوع

---

(١) وفي نسخة أخرى : وخشب .

(٢) وفي النسخة الباريسية : ثم بعثوا الى سعد بن عمر فامتنع .

(٣) وفي النسخة الباريسية : وجاء حكم بن عبلة .

الاعراب إلى بلادهم ، فابوا وتذامرت معهم السبئية ، وجاءه طلحة والزبير فقالا : دعنا نأتي البصرة والكوفة فنستنفر الناس فأمهلهما . وجاء المغيرة فأشار عليه باستبقاء العمّال حتى يستقرّ الأمر ويستبدلوا بمن شاء فأمهله ، ورجع من الغد فأشار بمعاجلة الاستبدال ، وجاءه ابن عبّاس فأخبره بخبر المغيرة ، فقال : نصحك أمس وغشّك اليوم. قال : فما الرأي ؟ قال : كان الرأي أن تخرج عند قتل الرجل إلى مكة وأمّا اليوم فإنّ بني أمية يشبّهون على الناس بأن يلجموك طرفاً من هذا الأمر ويطلبون ما طلب أهل المدينة في قتلة عثمان فلا يقدرون عليهم والأمر أن تقرّ معاوية . فقال علي رضي الله عنه : والله لا أعطيه إلاّ السيف . فقال له ابن عبّاس : أنت رجل شجاع لست صاحب رأي في الحرب أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الحرب خدعة . قال : بلى ! فقال ابن عبّاس : أمّا والله إن أطعتني لأتركنهم ينظرون في دبر الأمور ولا يعرفون ما كان وجهها من غير نقصان عليك ولا إثم لك . فقال : يا ابن عبّاس لست من هنيّاتك ولا هنيّات معاوية في شيء[1] . فقال ابن عبّاس : أطعني والحق بمالك بينبُع وأغلق بابك عليك فإنّ العرب تجول جولة وتضطرب ولا تجد غيرك ، وإن نهضت مع هؤلاء القوم يحمّلك الناس دم عثمان غداً . فأبى عليّ وقال : أشرْ عليّ واذا خالفتك أطعني . قال : أيسر مالك عندي الطاعة . قال : فسر إلى الشام فقد وليتكها . قال : إذاً يقتلني معاوية بعثمان أو يحبسني فيتحكم عليّ لقرابتي منك ولكن أكتب إليه وعده فأبى . وكان المغيرة يقول نصحته فلم يقبل فغضب ولحق بمكة .

ثم فرّق علي العمّال على الأمصار فبعث على البصرة عثمان بن حنيف ، وعلى الكوفة عمارة بن شهاب من المهاجرين ، وعلى اليمن عبيدالله بن عبّاس ، وعلى مصر قيس بن سعد ، وعلى الشام سهل بن حنيف . فمضى عثمان إلى البصرة واختلفوا عليه فأطاعته فرقة وقال آخرون : ما يصنع أهل المدينة فنقتدى بهم ، ومضى عمارة إلى الكوفة فلما بلغ زبالة لقي طليحة بن خويلد فقال له : إرجع فإنّ اليوم لا يستبدلون بأبي موسى وإلاّ ضربت عنقك ، ومضى ابن عبّاس إلى اليمن فجمع يعلى بن منيّة[2] مال الجباية

(١) وفي النسخة البارسية : لست من سنامك ولا سنامك معاوية في شي .
— وفي الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ١٩٨ : لست من هناتك ولا هنات معاوية في شيء .
— وفي الطبري ج ٥ ص ١٦١ : لست من هنيئتك وهنيئات معاوية في شيء .
(٢) وفي النسخة البارسية : بن حقبة .

وخرج به إلى مكة ودخل عبيدالله إلى اليمن ، ومضى قيس بن سعد إلى مصر ولقيه بأيلة خيّالة من أهل مصر فقالوا : من أنت ؟ قال : قيس بن سعد من فلّ عثمان أطلب من آوي إليه وأنتصر به . ومضى حتى دخل مصر وأظهر أمره فافترقوا عليه فرقة كانت معه وأخرى تربصوا حتى يروا فعله في قتلة عثمان . ومضى سهل بن حنيف إلى الشام حتى إذا كان بتبوك لقيته خيل فقال لهم : أنا أمير على الشام ، قالوا إن كان بعثك غير عثمان فارجع فرجع .

فلّما رجع وجاءت أخبار الآخرين دعا عليّ طلحة والزبير وقال قد وقع ما كنت أحذركم . فسألوه الإذن في الخروج من المدينة وكتب عليّ إلى أبي موسى مع معبد[1] الأسلمي فكتب إليه بطاعة أهل الكوفة وببيعتهم ومن الكاره منهم والراضي حتى كأنه يشاهد . وكتب إلى معاوية مع سبرة الجهني فلم يجبه إلى ثلاثة أشهر من مقتل عثمان ، ثم دعا قُبيصة من عبس وأعطاه كتابا مختوما عنوانه من معاوية إلى عليّ وأوصاه بما يقول وأعاده مع رسول عليّ ، فقدما في ربيع الأوّل ودخل العبسيّ وقد رفع الطومار كما أمره حتى دفعه إلى علي ، ففضه فلم يجد فيه كتابا فقال للرسول : ما وراءك ؟ قال : آمن أنا ؟ قال نعم قال تركت قوما لا يرضون إلاّ بالقود قال : وممن ؟ قال منك وتركت ستين ألف شيخ يبكون تحت قميص عثمان منصوباً على منبر دمشق . فقال : اللهم اني أبرأ اليك من دم عثمان ! قد نجا والله قتلة عثمان إلاّ أن يشاء الله . ثم ردّه إلى صاحبه وصاحت السبئيّة اقتلوا هذا الكلب وافد الكلاب ، فنادى يآل مُضر يا لقيس أحلف بالله ليردّنها عليكم أربعة آلاف خصيّ فانظروا كم الفحول والركاب وتقاووا عليه ، فمنعته مُضر ودسّ أهل المدينة على عليّ من يأتيهم برأيه في القتال وهو زياد بن حنظلة التميمي وكان منقطعا إليه فجالسه ساعة فقال له عليّ : سيروا لغزو الشام . فقال لعليّ : الأناة والرفق أمثل فتمثل يقول :

متى تجمع القلب الذكيّ وصارما ... وأنفـــاً حميـــاً تجتنبك المظــالمُ

فعلم أنّ رأيه القتال[2] ثم جاء الى القوم الذين دسوه فأخبرهم ثم استأذنه طلحة والزبير في العمرة ولحقا بمكّة . ثم اعتزم على الخروج إلى الشام ودعا أهل المدينة إلى قتالهم ،

---

(١) وفي النسخة البازيسية : فهد .

(٢) وفي الطبري ج ٥ ص ١٦٣ : «فخرج زياد على الناس والناس ينتظرونه فقالوا : ما وراءك ؟ فقال : السيف يا قوم . فعرفوا ما هو فاعل» .

وقال : إنطلقوا إلى هؤلاء القوم الذين يريدون تفريق جماعتكم لعلّ الله يصلح بكم ما أفسد أهل الآفاق وتقضون الذي عليكم .

وأمر الناس بالتجهّز إلى الشام ودفع اللواء لمحمد بن الحنفيّة ، وولّى عبدالله بن عبّاس ميمنته ، وعمرو بن سلمة ميسرته ، ويقال بل عمرو بن سفيان بن عبد الأسد ، وولّى أبا ليلى بن عمرو بن الجرّاح ابن أخي عبيدة مقدمته ، ولم يولِ أحداً ممن خرج على عثمان . واستخلف على المدينة تمّام بن العبّاس ، وعلى مكة قثم بن العبّاس . وكتب الى قيس بن سعد بمصر وعثمان بن حنيف بالبصرة وأبي موسى بالكوفة أن يندبوا الناس إلى الشام ، وبينما هو على التجهّز للشام إذ أتاه الخبر عن أهل مكّة بنحو آخر وأنّهم على الخلاف فانتقض عن الشام .

أمر الجمل

ولما جاء خبر مكة إلى عليّ قام في الناس وقال : ألا إنّ طلحة والزبير وعائشة قد تمالأوا على نقض إمارتي ودعوا الناس إلى الإصلاح وسأصبر ما لم أخف على جماعتكم وأكفّ إن كفّوا وأقتصد نحوهم ، وندب أهل المدينة فتثاقلوا ، وبعث كميلا النخعيّ فجاءه بعبد الله بن عمر فقال : انهض معي ، فقال : أنا من أهل المدينة افعل ما يفعلون ، قال : فأعطني كفيلا بانك لا تخرج[1] ، قال : ولا هذه ، فتركه ورجع الى المدينة ، وخرج إلى مكة وقد أخبر ابنة علي أم كلثوم[2] بأنه سمع من أهل المدينة تثاقلهم وأنه على طاعة عليّ ويخرج معتمراً . وجاء الخبر من الغداة إلى عليّ بأنه خرج إلى الشام فبعث في أثره على كل طريق ، وماج أهل المدينة ، وركبت أمّ كلثوم إلى أبيها وهو في السوق يبعث الرجال ويظاهر في طلبه فحدّثته فانصرف عن ذلك ووثق به فيما قاله ، ورجع إلى أهل المدينة فخاطبهم[3] وحرّضهم فرجعوا الى اجابته ، وأول من أجابه أبو الهيثم بن التيهان البدري وخزيمة بن ثابت وليس بذي الشهادتين . ولما رأى زياد بن حنظلة تثاقل الناس عن عليّ انتدب إليه وقال : من تثاقل عنك فإنّا نخفّ معك ونقاتل دونك .

(١) وفي النسخة الباريسية : بانه لا يخرج .
(٢) وفي نسخة اخرى : أخبر أخته ام كلثوم .
(٣) وفي النسخة الباريسية : فخطبهم .

وكان سبب اجتماعهم بمكّة أنّ عائشة كانت خرجت إلى مكّة وعثمان محصور كما قدّمناه ، فقضت نسكها وانقلبت تريد المدينة فلقيت في طريقها رجلا من بني ليث اخوالها فأخبرها بقتل عثمان وبيعة عليّ ، فقالت : قتل عثمان والله ظلماً ولأطلبنّ بدمه فقال لها الرجل : ولمَ أنت كنت تقولين ما قلت ؟ فقالت : إنهم استتابوه ثم قتلوه ، وانصرفت الى مكة . وجاءها الناس فقالت : «إن الغوغاء من أهل الأمصار وأهل المياه وعبيد أهل المدينة اجتمعوا على هذا الرجل المقتول ظلما ونَقَّموا عليه استعمال من حدثت سنُّه وقد استعمل امثالهم من كان قبله ومواضع من الحمى حماها لهم فتابعهم ونزع لهم عنها فلّما لم يجدوا حجة ولا عذرا بادروا بالعدوان فسفكوا الدم الحرام واستحلّوا البلد الحرام والشهر الحرام وأخذوا المال الحرام : والله لاصبعٌ من عثمان خيرٌ من طباق الأرض أمثالهم ولو أنّ الذي اعتدّوا به عليه كان ذنبا لخلص منه كما يخلص الذهب من خبثه أو الثوب من درنه» . فقال عبدالله بن عامر الحضرمي وكان عامل مكّة لعثمان : أنا أوّل طالب ، فكانت أوّل مجيب وتبعه بنو أمية وكانوا هربوا إلى مكّة بعد قتل عثمان ، منهم : سعيد بن العاص والوليد بن عقبة . وقدم عبدالله بن عامر من البصرة بمالٍ كثير ويعلى بن منيّة[1] من اليمن بستمائة بعير وستمائة ألف فأناخ بالأبطح ، ثم قدم طلحة والزبير من المدينة فقالت لهما عائشة : ما وراءكما ؟ قالا : تحملنا هرابا من المدينة من غوغاء وأعراب غلبوا على خيارهم فلم يمنعوا أنفسهم ولا يعرفون حقا ولا ينكرون باطلاً ، فقالت : إنهضوا بنا إليهم ، وقال آخرون : نأتي الشام ، فقال ابن عامر : إنّ معاوية كفاكم الشام فأتوا البصرة فلي بها صنائع ولهم في طلحة هوى . فنكروا عليه مجيئه من البصرة واستقام رأيهم على رأيه وقالوا : إنّ الذين معنا لا يطيقون من بالمدينة ويحتجّون ببيعة عليّ واذا أتينا البصرة أنهضناهم كما أنهضنا أهل مكّة وجاهدنا ، فاتفقوا ودعوا عبدالله[2] بن عمر الى النهوض فأبى وقال : أنا من أهل المدينة أفعل ما يفعلون . وكانت أمهات المؤمنين معها على قصد المدينة ، فلما نهضت إلى البصرة قعدوا عنها وأجابتها حفصة فمنعها أخوها عبدالله . وجهّزهم ابن عامر بما معه من المال ويعلى بن منيّة بما معه من المال والظهر ، ونادوا في الناس

(١) يعلى بن منيّه هو يعلى بن أميه ، وهو ابوه ، ومنيّه امه كما في شرح مسلم والكامل ينتسب تارة الى ابيه وتارة الى امه وقول الناس منبّه تحريف ، قاله نصر .
(٢) وفي نسخة اخرى : عبد الرحمن .

بالحملان فحملوا على ستمائة بعير وساروا في ألف من أهل مكة ومن أهل المدينة وتلاحق بهم الناس فكانوا ثلاثة آلاف ، وبعثت أمّ الفضل وأمّ عبدالله بن عبّاس بالخبر استأجرت على كتابها من أبلغه عليًا ، ونهضت عائشة ومن معها ، وجاء مروان بن الحكم إلى طلحة والزبير فقال : على أيّكما أسلّم بالأمرة وأؤذن بالصلاة ، فقال ابن الزبير على أبي ، وقال ابن طلحة على أبي ، فأرسلت عائشة إلى مروان تقول له أتريد أن تفرّق أمرنا ليصلّ بالناس ابن أختي[1] تعني عبدالله بن الزبير.

وودّع أمهات المؤمنين عائشة من ذات عرق باكيات ، وأشار سعيد بن العاص على مروان بن الحكم وأصحابه بادراك ثأرهم من عائشة وطلحة والزبير. فقالوا نسير لعلنا نقتل قتلة عثمان جميعا . ثم جاء إلى طلحة والزبير فقال : لمن تجعلان الأمر إن ظفرتما ؟ قالا : لأحدنا الذي تختاره الناس ، فقال : بل اجعلوه لولد عثمان لأنكم خرجتم تطلبون بدمه فقالا : وكيف ندع شيوخ المهاجرين ونجعلها لأبنائهم ؟ قال : فلا أراني أسعى إلاّ لإخراجها من بني عبد مناف فرجع ، ورجع عبدالله بن خالد بن أسيد ووافقه المغيرة بن شعبة ومن معه من ثقيف فرجعوا ، ومضى القوم ومعهم أبان والوليد ابنا عثمان . وأركب يعلى بن منيّة عائشة جملا اسمه عسكر اشتراه بمائة دينار وقيل بثمانين ، وقيل بل كان لرجل من عُرينة عرض لهم بالطريق على جمل فاستبدلوا به جمل عائشة على ان خمله بألف فزادوه أربعمائة درهم ، وسألوه عن دلالة الطريق فدلهم ومرّ بهم على الماء الحوأب فنبحتهم كلابه. وسألوه عن الماء فعرّفهم باسمه . فقالت عائشة : ردّوني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وعنده نساؤه : ليت شعري أيتكُنّ تنبحها كلاب الحوأب ، ثم ضربت عضد بعيرها[2] فأناخته وأقامت بهم يوما وليلة إلى أن قيل النجاء النجاء قد أدرككم عليّ ، فارتحلوا نحو البصرة فلما كانوا بفنائها لقيهم عُمير بن عبدالله التميمي ، وأشار بأن يتقدّم عبدالله بن عامر إليهم فأرسلته عائشة وكتبت معه إلى رجال من البصرة ، إلى الأحنف بن قيس وسُمرة وأمثالهم ، وأقامت بالحفّين[3] تنتظر الجواب ، ولما بلغ ذلك أهل البصرة دعا عثمان بن حنيف عمران بن حصين وكان رجلا عامّة ، وأبا الأسود الدوَليّ وكان

(١) وفي النسخة الباريسية : ابن أخي .

(٢) وفي النسخة الباريسية : عضب بعيرها .

(٣) لعلها : حفير وهو موضع بين مكة والمدينة وعن ابن دريد : بين مكة والبصرة (معجم البلدان) .

رجلا خاصّة ، وقال : انطلقا إلى هذه المرأة فاعلما علمها وعلم من معها . فجاآها بالحفين وقالا : إنّ أميرنا بعثنا نسألك عن مسيرك ؟ فقالت : إنّ الغوغاء ونزاع القبائل فعلوا ما فعلوا فخرجت في المسلمين أعلمهم بذلك وبالذي فيه الناس وراءنا وما ينبغي من إصلاح هذا الامر ..ثم قرأت لا خير في كثير من نجوا هم الآية . ثم عدلا عنها إلى طلحة فقالا : ما أقدمك ؟ قال : الطلب بدم عثمان . فقالا : ألم تبايع عليّا ؟ قال : بلى والسيف على رأسي وما أستقبل على البيعة إن هو لم يخل بيننا وبين قتلة عثمان . وقال لهما الزبير مثل ذلك ، ورجعا إلى عثمان بن حنيف فاسترجع وقال : دارت رحى الإسلام وربّ الكعبة ، ثم قال أشيروا عليّ ، فقال عمران : اعتزل . قال بل أمنعهم حتى يأتي أمير المؤمنين . فجاءه هشام بن عامر فأشار عليه بالمسالمة والمسامحة حتى يأتي أمر عليّ ، فأبى ونادى في الناس فلبس السلاح ثم دسّ من يتكلم في الجمع ليرى ما عندهم ، فقال رجل : إنّ هؤلاء القوم إن كانوا جاؤا خائفين فبلدهم يأمن فيه الطير وان جاؤا لدم عثمان فما نحن بقتلته فأطيعوني وردّوهم من حيث جاؤا . فقال الأسود بن سريع السعدي : إنما جاؤا يستعينون بنا على قتلته منا ومن غيرنا . فحصبه الناس فعرف عثمان أنّ لهم بالبصرة ناصرا وكسره ذلك كلّه .

وانتهت عائشة ومن معها إلى المِرْبد ، وخرج إليها عثمان فيمن معه وحضر أهل البصرة ، فتكلّم طلحة من الميمنة : فحمدا الله وذكر عثمان وفضله ودعا إلى الطلب بدمه وحثّ عليه ، وكذلك الزبير فصدقهما أهل الميمنة . وقال أصحاب عثمان من الميسرة : بايعتم عليًّا ثم جئتم تقولون . ثم تكلمت عائشة وقالت : «كان الناس يتجنّون على عثمان و يأتوننا بالمدينة فنجدهم فجرة ونجده برًّا تقيا وهم يحاولون غير ما يظهرون ، ثم كثروا واقتحموا عليه داره وقتلوه واستحلّوا المحرّمات بلا تِرَة ولا عذر ، ألا وأنّ مما ينبغي لكم ولا ينبغي غيره أخذ قتلة عثمان واقامة كتاب الله» ثم قرأت «ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم» الآية . فاختلف أصحاب عثمان عليه ومال بعضهم إلى عائشة ، ثم افترق الناس وتحاصبوا وانحدرت عائشة إلى المِرْبد ، وجاءها جارية[1] بن قدامةُ السعدي فقال : «يا أم المؤمنين والله لقتل عثمان أهون من خروجك من بيتك على هذا الجمل الملعون عرضة للسلاح ، إنّه قد كان لك من الله ستر وحرمة فهتكت سترك وأبحت حُرمتك وأنّه من

(١) وفي النسخة الباريسية : حارثة .

رأى قتالك يرى قتلك ، فإن كنت أتيتنا طائعة فارجعي إلى منزلك وان كنت مكرهة فاستعيني بالله وبالناس على الرجوع » .

وأقبل حكيم بن جبلة وهو على الخيل[١] فأنشب القتال ، وأشرع أصحاب عائشة رماحهم فاقتتلوا على فم السكة[٢] ، وحجز الليل بينهم وباتوا يتأهبون وعاداهم حكيم بن جبلة فاعترضه رجل من عبد القيس[٣] فقتله حكيم ، ثم قتل امرأة أخرى ، واقتتلوا إلى أن زال النهار . وكثر القتل في أصحاب عثمان بن حنيف ولما عضتهم الحرب تنادوا إلى الصلح وتوادعوا على أن يبعثوا إلى المدينة فإن كان طلحة والزبير أكرها سلم لهم عثمان الأمر وإلاّ رجعا عنه . وسار كعب بن سوار القاضي الى أهل المدينة يسألهم عن ذلك ، فجاءهم يوم جمعة وسألهم فلم يجبه إلا أسامة بن زيد فإنّه قال : بايعا مكرهين . فضربه الناس حتى كاد يقتل . ثم خلّصه صهيب وأبو أيوب ومحمد بن مسلمة إلى منزله ، ورجع كعب وبلغ الخبر بذلك إلى عليّ ، فكتب إلى عثمان بن حنيف يعجزه ويقول والله ما أُكرها على فرقة ولقد أكرها على جماعة وفضل ، فإن كانا يريدان الخلع فلا عذر لهما وإن كانا يريدان غير ذلك نظرنا ونظروا . ولما جاء كعب بقول أهل المدينة بعث طلحة والزبير إلى عثمان ليجتمع بهما ، فامتنع واحتج بالكتاب وقال هذا غير ما كنا فيه . فجمع طلحة والزبير الناس وجآ إلى المسجد بعد صلاة العشاء في ليلة ظلماء شاتية ، وتقدم عبد الرحمن بن عتّاب في الوحل فوضع السلاح في الحاثية من الزُطّ والسابحة وهم أربعون رجلا فقاتلوهم وقتلوا عن آخرهم ، واقتحموا على عثمان فأخرجوه إلى طلحة والزبير وقد نتفوا شعر وجهه كله ، وبعثا إلى عائشة بالخبر فقالت خلوا سبيله ، وقيل أمرت بإخراجه وضربه ، وكان الذي تولى إخراجه وضربه مجاشع بن مسعود . وقيل إنّ الإتفاق إنمّا وقع بينهم على أن يكتبوا إلى عليّ فكتبوا إليه وأقام عثمان يصلّي فاستقبلوه ووثبوا عليه فظفروا به وأرادوا قتله ، ثم استبقوه من أجل الأنصار وضربوه وحبسوه .

ثم خطب طلحة والزبير وقالا يا أهل البصرة توبة بحوبة[٤] إنما أردنا أن نستعتب عثمان

---

(١) وفي نسخة ثانية : على ظهر الخيل .

(٢) وفي النسخة الباريسية : فم السمكة .

(٣) وفي النسخة الباريسية : من عبدالله بن القيس .

(٤) توبة بحوبة : اي توبة بإثم وفي النسخة الباريسية : توبة تحويه .

فغلب السفهاء فقتلوه . فقالوا لطلحة قد كانت كتبك تأتينا بغير هذا ! قال الزبير : أمّا أنا فلم أكاتبكم ، وأخذ يرمي عليّا بقتل عثمان فقال رجل من عبد القيس : يا معشر المهاجرين أنتم أوّل من أجاب داعي الإسلام وكان لكم بذلك الفضل ، ثم استخلفتم مراراً ولم تشاورونا ، وقتلتم كذلك ، ثم بايعتم عليّا وجئتم تستعدوننا عليه فماذا الذي نقمتم عليه ؟ فهموا بقتله ومنعته عشيرته ، ثم وثبوا من الغد على قتل عثمان ومن معه فقتلوا منهم سبعين . وبلغ حكيم بن جبلة ما فعل بعثمان بن حنيف فجاء لنصره في جماعة من عبد القيس ، فوجد عبدالله بن الزبير فقال له : ما شأنك ؟ قال : تخلوا عن عثمان وتقيمون على ما كنتم حتى يقدم عليّ ولقد استحللتم الدم الحرام تزعمون الطلب بثأر عثمان وهم لم يقتلوه . ثم ناجزهم الحرب في ربيع الآخر سنة ست وثلاثين ، وأقام حكيم أربعة قوّاد فكان هو بحيال طلحة ، وذُرَيْح بحيال الزبير ، وابن المحرش بحيال عبد الرحمن بن عتاب ، وحرقوص بن زهير بحيال عبد الرحمن بن الحرث بن هشام . وتزاحفوا واستحرّ القتل فيهم حتى قتل كثير منهم وقتل حكيم وذريح ، وأفلت حرقوص في فلّ من أصحابه إلى قومهم بني سعد ، وتتبعوهم بالقتل وطالبوا بني سعد بحرقوص وكانوا عثمانية[1] ، فاعتزلوا وغضبت عبد القيس كلهم والكثير من بكر بن وائل ، وأمر طلحة والزبير بالعطاء في أهل الطاعة لهما ، وقصدت عبد القيس وبكر بيت المال فقاتلوهم ومنعوهم ، وكتبت عائشة إلى أهل الكوفة بالخبر[2] وأمرتهم أن يثبطوا الناس عن عليّ وأن يقدموا بدم عثمان ، وكتبت بمثل ذلك الى اليمامة والمدينة .

ولنرجع إلى خبر عليّ وقد كان لمّا بلغه خبر طلحة والزبير وعائشة ومسيرهم إلى البصرة دعا أهل المدينة للنصرة وخطبهم ، فتثاقلوا أوّلا وأجابه زياد بن حنظلة وأبو الهيثم وخزيمة بن ثابت وليس بذي الشهادتين وأبو قتادة في آخرين ، وبعثت أم سلمة معه ابن عمّها وخرج يسابق طلحة والزبير إلى البصرة ليردّهما ، واستخلف على المدينة تمام ابن عبّاس وقيل سهل بن حنيف ، وعلى مكّة قثم بن عباس ، وسار في ربيع الآخر سنة ست وثلاثين ، وسار معه من نشط من الكوفيين والمصريين متخففين في تسعمائة ، ولقيه عبدالله بن سلام فأخذ بعنانه وقال يا أمير المؤمنين : لا تخرج منها فوالله إن

(١) اي من اتباع الخليفة عثمان .
(٢) وفي النسخة الباريسية : بالفتح .

خرجت منها لا يعود إليها سلطان المسلمين أبداً . فبدر الناس إليه ، فقال : دعوه فنعم الرجل من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم . وسار فانتهى الى الربذة ، وجاء خبر سبقهم إلى البصرة فأقام يأتمر بما يفعل ولحقه ابنه الحسن وعذله في خروجه وما كان من عصيانه إيّاه ، فقال : ما الذي عصيتك فيه حين أمرتني ؟ قال : أمرتك أن تخرج عند حصار عثمان من المدينة ولا تحضر لقتله ، ثم عند قتله ألا تبايع حتى تأتيك وفود العرب وبيعة الأمصار ، ثم عند خروج هؤلاء أن تجلس في بيتك حتى يصطلحوا . فقال : أمّا الخروج من المدينة فلم يكن إليه سبيل وقد كان أحيط بنا كما أحيط بعثمان ، وأمّا البيعة فخفنا ضياع الأمر والحل والعقد لأهل المدينة لا للعرب ولا للأمصار ولقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أحق بالأمر بعده فبايع الناس غيري واتبعتهم في أبي بكر وعمر وعثمان فقتلوه وبايعوني طائعين غير مكرهين ، فأنا أقاتل من خالف بمن أطاع إلى أن يحكم الله وهو خير الحاكمين ، وأمّا القعود عن طلحة والزبير فاذا لم أنظر فيما يلزمني من هذا الأمر فمن ينظر فيه ؟

ثم أرسل إلى الكوفة محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر يستنفران الناس ، وأقام بالربذة يحرّض الناس وأرسل إلى المدينة في أداته وسلاحه ، وقال له بعض أصحابه عرِّفنا بقصدك من القوم ؟ قال : الإصلاح إن قبلوه وإلاّ ننظرهم وان بادرونا امتنعنا . ثم جاءه جماعة من طيء نافرين معه فقبلهم وأثنى عليهم . ثم سار من الربذة وعلى مقدمته أبو ليلى بن عمرو بن الجرّاح ، ولما انتهى الى فيد أتته أسد وطيء وعرضوا عليه النفير معه ، فقال : الزموا قراركم ففي المهاجرين كفاية . ولقيه هنالك رجل من أهل الكوفة من بني شيبان فسأله عن أبي موسى ، فقال إن أردت الصلح فهو صاحبه ، وان اردت القتال فليس بصاحبه . فقال : والله ما أريد إلاّ الصلح حتى يردّ علينا . ثم انتهى إلى الثعلبية والأساد ، فبلغه ما لقي عثمان بن حنيف وحكيم بن جبلة ، ثم جاءه بذي قار عثمان بن حنيف وأراه ما بوجهه ، فقال : «أصبت أجراً وخيراً إنّ الناس وليهم قبلي رجلان فعملا بالكتاب ثم ثالث فقالوا وفعلوا ثم بايعوني ومنهم طلحة والزبير ثم نكثا وألّبا عليّ . ومن العجب انقيادهما لأبي بكر وعمر وعثمان وخلافهما عليّ ! والله إنهما ليعلمان اني لست دونهم» . ثم أخذ في الدعاء عليهما وابن وائل هنالك يعرضون عليه النفير فأجابهم مثل طيء وأسد ، وبلغه خروج عبد القيس على طلحة والزبير فأثنى عليهم . وأمّا محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر فبلغا إلى الكوفة

ودفعا إلى أبي موسى كتاب عليّ وقاما في الناس بأمره فلم يجبهما أحد وشاوروا أبا موسى في الخروج إلى علي ، فقال : الخروج سبيل الدنيا والقعود سبيل الآخرة فقعدوا كلهم . وغضب محمد ومحمد وأغلظا لأبي موسى ، فقال لهما : والله إنّ بيعة عثمان لفي عنقي وعنق عليّ وان كان لا بدّ من القتال فحتى نفرغ من قتلة عثمان حيث كانوا ، فرجعا إلى عليّ بالخبر وهو بذي قار ، فرجع عليّ بالـلائمة على الاشتر ، وقال : أنت صاحبنا في أبي موسى فاذهب انت وابن العباس وأصلح ما أفسدت . فقدما على أبي موسى وكلما أستعانا عليه بالناس لم يجب إلى شيء ولم ير إلاّ القعود حتى تنجلي الفتنة ويلتئم الناس ، فرجع ابن عبّاس والأشتر إلى عليّ فأرسل عليّ ابنه الحسن وعمّار بن ياسر وقال : لعمار : انطلق فأصلح ما أفسدت . فانطلقا حتى دخلا المسجد ، وخرج أبو موسى فلقي الحسن بن علي فضمه إليه وقال لعمّار : يا أبا اليقظان أعدوت على أمير المؤمنين فيمن عدا وأحللت نفسك مع الفجّار ؟ فقال : لم أفعل . فأقبل الحسن على أبي موسى فقال : لم تثبط الناس عنّا وما أردنا إلا الإصلاح ومثل أمير المؤمنين لا يخاف على شيء . قال : «صدقت بأبي أنت وأمي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستكون فتنة ، القاعد فيها خير من القائم والقائم خير من الماشي ، والماشي خير من الراكب والمسلمون اخوان ودماؤهم وأموالهم حرام» فغضب عمّار وسبّه فسبّه آخر وتثاور الناس ، ثم كفّهم أبو موسى . وجاء زيد بن صوحان بكتاب عائشة إليه وكتابها إلى أهل الكوفة فقرأهما على الناس في سبيل الإنكار عليها فسبه شبث بن ربعي[1] ، وتهاوى الناس وأبو موسى يكفّهم ويأمرهم بلزوم البيوت حتى تنجلي الفتنة ، ويقول : أطيعوني وخلوا قريشا إذا أبوا إلاّ الخروج من دار الهجرة وفراق أهل العلم . حتى ينجلي الأمر . وناداه زيد بن صوحان بإجابة عليّ والقيام بنصرته وتابعه القعقاع بن عمرو فقام بعده فقال : لا سبيل إلى الفوضى وهذا أمير المؤمنين مليء بما ولي وقد دعاكم فانفروا ، وقال عبد خير مثل ذلك وزاد : يا أبا موسى هل تعلم أنّ طلحة والزبير بايعا ؟ قال : نعم . قال : فهل أحدث عليّ ما ينقض البيعة ؟ لا أدري قال : لا دريت ونحن نتركك حتى تدري . ثم قال سيحان[2] بن صوحان مثل ما قال القعقاع ، وحرّض على طاعة عليّ وقال : فإنه

(١) شبث : بفتح الشين المعجمة والموحّدة كما في القاموس .
(٢) سيان بوران جيحان اهـ .

ـعاكم تنظرون ما بينه وبين صاحبيه[1] وهو المأمون على الأمّة الفقيه في الدين ، فقال عمّار وهو دعاكم إلى ذلك لتنظروا في الحق وتقاتلوا معه عليه ، وقال الحسن : أجيبوا دعوتنا وأعينونا على ما ابتلينا به وابتليتم وإن أمير المؤمنين يقول : إن كنت مظلوما أطيعوني[2] أو ظالما فخذوا مني بالحق . والله إن طلحة والزبير أول من بايعني وأول من غدر. فأجاب الناس ، وحرّض عديّ بن حاتم قومه وحُجر بن عديّ كذلك فنفر مع الحسن من الكوفة تسعة آلاف سارت منها ستة في البر وباقيهم في الماء .

وأرسل عليّ بعد مسيرالحسن وعمّار الأشتر إلى الكوفة فدخلها والناس في المسجد وأبو موسى والحسن وعمّار في منازعة معه ومع الناس ، فجعل الأشتر يمرّ بالقبائل ويدعوهم إلى القصر حتى انتهى إليه في جماعة الناس فدخله وأبو موسى بالمسجد يخطبهم ويثبطهم والحسن يقول له اعتزل عملنا واترك منبرنا ، فدخل الأشتر إلى القصر وأمر باخراج غلمان أبي موسى من القصر ، وجاءه أبو موسى فصاح به الأشتر : أخرج لا أمّ لك وأجله تلك العشيّة . ودخل الناس لينهبوا متاعه فمنعهم الأشتر ، ونفر الناس مع الحسن كما قلنا وكان الامراء على أهل النفير على كنانة وأسد وتميم والرباب ومزينة معقل بن يسار الرياحي ، وعلى قبائل قيس سعد بن مسعود الثقفي عم المختار ، وعلى بكر وتغلب وعلة بن محدوج الذهلي ، وعلى مذحج والأشعريّين حجر بن عدي ، وعلى بجيلة وأنمار وخثعم والازد مخنف بن سليم الأزدي ، ورؤساء الجماعة من الكوفيين القعقاع بن عمرو وسعد بن مالك وهند بن عمرو والهيثم بن شهاب ، ورؤساء النفار زيد بن صوحان والأشتر وعدي بن حاتم والمسيب بن نجبة ويزيد بن قيس وأمثالهم . فقدموا على عليّ بذي قار ، فركب إليهم ورحب بهم وقال : يا أهل الكوفة دعوتكم لتشهدوا معنا إخواننا من أهل البصرة فإن يرجعوا فهو الذي نريد وإن يلحوا داويناهم بالرفق حتى يبدؤنا بالظلم ولا ندع أمراً فيه الصلاح إلا آثرناه على ما فيه الفساد ان شاء الله . فاجتمع الناس عنده بذي قار وعبد القيس بأسرها وهم ألوف ينتظرونه ما بينه وبين البصرة ، ثم دعا القعقاع وكان من الصحابة فأرسله إلى أهل البصرة وقال : إلق هذين الرجلين فادعها للالفة

(١) وفي النسخة الباريسية : صاحبه .
(٢) وفي النسخة الباريسية : أعينوني .

والجماعة وعظم عليهما الفرقة وقال له : كيف تصنع اذا قالوا ما لا وصاة مني فيه عندك ؟ قال : نلقاهم بالذي أمرت به فاذا جاء منهم ما لي عندنا منك رأي فيه اجتهدنا رأينا وكلمناهم كما نسمع ونرى انه ينبغي ، قال : أنت لها .

فخرج القعقاع فقدم البصرة وبدأ بعائشة وقال : أي أمّة ما أشخصك ؟ قالت : أريد الاصلاح بين الناس ، قال فابعثي الى طلحة والزبير تسمعي مني ومنهما ، فبعثت إليهما فجاآ فقال لهما : اني سألت أم المؤمنين ما أقدمها فقالت الاصلاح وكذلك قالا . قال فأخبراني ما هو؟ قالا : قتلة عثمان ! فإنّ تركهم ترك للقرآن ، قال : فقد قتلتم منهم ستمائة من أهل البصرة وغضب لهم ستة آلاف واعتزلوكم وطلبتم حرقوص بن زهير فمنعه ستة آلاف فان قاتلتم هؤلاء كلهم اجتمعت مضر وربيعة على حربكم فأين الاصلاح ؟ قالت عائشة : فماذا تقول أنت ؟ قال هذا الأمر دواؤه التسكين واذا سكن اختلجوا فآثروا العافية ترزقوها وكونوا مفاتيح خير ولا تعرضونا للبلاء فنتعرّض له ويصرعنا واياكم ، فقالوا قد أصبت وأحسنت فارجع فان قدم عليّ وهو على مثل رأيك صلح هذا الأمر ، فرجع وأخبر علياً فأعجبه وأشرف القوم على الصلح . وقد كانت وفود أهل البصرة أقبلوا إلى علي قبل رجوع القعقاع وتفاوضوا مع أهل الكوفة واتفقوا جميعا على الاصلاح ، ثم خطب عليّ الناس وأمرهم بالرحيل من الغد وأن لا يرحل معه أحد ممن أعان على عثمان . فاجتمع من أهل مصر ابن السوداء وخالد بن ملجم والأشتر والذين رضوا بمن سار إليه مثل علباء بن الهيثم وعدي بن حاتم وسالم بن ثعلبة القيسي وشريح بن أوفى ، وتشاوروا فيما قال عليّ وقالوا : هو أبصر بكتاب الله وأقرب إلى العمل به من أولئك وهو يقول ما يقول ، وإنما معه الذين أعانوا على عثمان فكيف إذا اصطلحوا واجتمعوا ورأوا قلّتنا في كثرتهم . فقال الأشتر رأيهم والله فينا واحد وأن يصطلحوا فعلى دمائنا فهلموا نثب على طلحة نلحقه بعثمان ثم يرضى منا بالسكون ، فقال ابن السوداء : طلحة وأصحابه نحو من خمسة آلاف وانتم الفان وخمسمائة فلا تجدون إلى ذلك سبيلا ، وقال علباء بن الهيثم : اعتزلوا الفريقين حتى يأتيكم من تقومون به . فقال ابن السوداء : ودّ والله الناس لو انفردتم فيتخطفونكم، فقال عدي : والله ما رضيت ولا كرهت فاما اذ وقع ما وقع ونزل الناس بهذه المنزلة فان لنا خيلا وسلاحا . فإن أقدمتم أقدمنا وإن أحجمتم أحجمنا ، ثم قال سالم بن ثعلبة وسويد بن أوفى : أبرموا أمركم . ثم تكلم ابن السوداء فقال : يا قوم إن عزّكم

في خلطة الناس فصانعوهم وإذا التقى الناس غدا فانشبوا القتال فلا يجدون بدّاً منه ويشغلهم الله عما تكرهون ، وافترقوا على ذلك .

وأصبح عليّ راحلا حتى نزل على عبد القيس فانضموا اليه وساروا معه فنزل الزاوية ، وسار من الزاوية إلى البصرة . وسار طلحة والزبير وعائشة من الفرضة والتقوا بموضع قصر عبيدالله بن زياد منتصف جمادى الآخرة ، وتراسلت بكر بن وائل وعبد القيس وجاؤا إلى عليّ رضي الله عنه فكانوا معه ، وأشار على الزبير بعض أصحابه أن يناجز القتال ، فاعتذر بما وقع بينه وبين القعقاع . وطلب من عليّ رضي الله تعالى عنه أصحابه مثل ذلك فأبى وسُئل ما حالنا وحالهم في القتلى ؟ فقال : أرجو أن لا يقتل منّا ومنهم أحد نقي قلبه لله إلاّ أدخله الله الجنة ، ونهى عن قتالهم وبعث إليهم حكيم بن سلام ومالك بن حبيب إن كنتم على ما جاء به القعقاع فكفُّوا حتى ننزل وننظر في الأمر ، وجاءه الأحنف بن قيس وكان معتزلا عن القوم وقد كان بايع علياً بالمدينة بعد قتل عثمان مرجعه من الحج ، قال الأحنف : ولم أبايعه حتى لقيت طلحة والزبير وعائشة بالمدينة وعثمان محصور وعلمت أنه مقتول فقلت لهم من أبايع بعده ؟ قالوا عليّا فلما رجعت وقد قتل عثمان بايعت عليّا فلما جاؤا إلى البصرة دعوني إلى قتال عليّ فحرت في أمري بين خذلانهم أو خلع طاعتي ، فقلت : ألم تأمروني بمبايعته ؟ قالوا نعم لكنه بدّل وغير فقلت لا أنقض بيعتي ولا أقاتل أمّ المؤمنين ، ولكن أعتزل ، ونزل بالجلحاء على فرسخين من البصرة في زهاء ستة آلاف ، فلما قدم عليّ جاءه وخيره بين القتال معه أو كف عشرة آلاف سيف عنه ، فاختار الكفّ ونادى في تميم وبني سعد فأجابوه فاعتزل بهم حتى ظفر عليّ فرجع إليه واتبعه . ولما تراءى الجمعان خرج طلحة والزبير وجاءهم عليّ حتى اختلفت اعناق دوابهم . فقال عليّ : لقد أعددتما سلاحا وخيلا ورجالا إن كنتما أعددتما عند الله عذرا ألم أكن أخاكما في دينكما تحرّمان دمي وأحرّم دمكما فهل من حدث أحلّ لكما دمي قال طلحة : ألّبت على عثمان ! قال عليّ : يومئذ يوفيهم الله دينهم الحقّ فلعن الله قتلة عثمان يا طلحة . أما بايعتني ؟ قال : والسيف على عنقي . ثم قال للزبير : أتذكر يوم قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم لتقاتلنّه وأنت له ظالم ؟ قال اللهم نعم ولو ذكرت قبل مسيري ما سرت . ووالله لا أقاتلك أبداً وافترقوا . فقال عليّ لأصحابه : إنّ الزبير قد عهد أن لا يقاتلكم . ورجع الزبير إلى عائشة وقال : ما كنت في موطن منذ عقلت إلا وأنا

أعرف أمري غير موطني هذا ! قالت : فما تريد أن تصنع ؟ قال أدَعَهم وأذهب. فقال له ابنه عبدالله : خشيت رايات ابن أبي طالب وعلمت أن حامليها فتية أنجاد وأنّ تحتها الموت الأحمر فجنبت فأحفظه ذلك . وقال : حلفت . قال : كفّر عن يمينك فأعتق غلامه مكحولا . وقيل إنما أراد الرجوع عن القتال حين سمع ان عمّار بن ياسر مع عليّ لمّا ورَدَ : ويح عمّار تقتله الفئة الباغية .

وكان أهل البصرة على ثلاث فرق مفترقين مع هؤلاء وهؤلاء وثالثة اعتزلت كالأحنف ابن قيس وعمران بن حصين ، ونزلت عائشة في الازد ورأسهم صبرة بن شيمان ، وأشار عليه كعب بن سور بالإعتزال فأبى وكان معها قبائل كثيرة من مضر والرباب وعليهم المنجاب بن راشد ، وبنو عمرو بن تميم وعليهم أبو الجربا ، وبنو حنظلة وعليهم هلال بن وكيع وسُليم وعليهم مجاشع بن مسعود ، وبنو عامر وغطفان وعليهم زفر بن الحرث ، والأزد وعليهم صبرة بن شيمان ، وبكر وعليهم مالك بن مسمع ، وبنو ناجية وعليهم الخرّيت بن راشد ، وهم في نحو ثلاثين ألفاً . وعليّ في عشرين ألفا . والناس جميعا متنازلون مضر إلى مضر وربيعة إلى ربيعة ، ولا يشكّون في الصلح وقد ردّوا حكما ومالكا إلى علي : إنّا على ما فارقنا عليه القعقاع ، وجاء ابن عبّاس إلى طلحة والزبير ، ومحمد بن طلحة إلى عليّ وتقارب أمر الصلح وبات الذين أثاروا أمر عثمان بشرّ ليلة يتشاورون ، واتفقوا على إنشاب الحرب بين الناس فغلسوا وما [1] يشعر بهم أحد ، وقصد مضر الى مضر وربيعة إلى ربيعة ويمن الى يمن فوضعوا فيهم السلاح ، وثار أهل البصرة وثار كل قوم في وجوه أصحابهم . وبعث طلحة والزبير عبد الرحمن بن الحرث بن هشام الى الميمنة وهم ربيعة ، وعبد الرحمن بن عتّاب إلى الميسرة ، وركبا في القلب ، وسألا [2] الناس ما هذا ؟ فقالوا : طرقنا أهل الكوفة ليلا فقال طلحة والزبير إنّ عليًّا لا ينتهي حتى يسفك الدماء . ثم دفعوا أولئك المقاتلين فسمع عليّ وأهل عسكره الصيحة ، فقال ما هذا ؟ فقيل له أظنّه سقط من هنا طرقنا أو نحوه السبئية بيتونا ليلا فرددتهم [3] فوجدنا القوم على أهبة فركبونا ، وثار الناس وركب عليّ . وبعث الى الميمنة والميسرة صاحبها ، وقال : إنّ طلحة والزبير لا

(١) وفي النسخة الباريسية : ولم .
(٢) وفي نسخة اخرى : وتساءل
(٣) وفي نسخة اخرى : فرددناهم .

ينتهيان حتى تسفك الدماء ونادى في الناس كفّوا ، وكان رأيهم جميعا في تلك الفتنة أن لا يقتتلوا حتى يقيموا الحجة ولا يقتلوا مدبرا ولا يجهزوا على جريح ولا يستحلّوا سلباً .

وأقبل كعب بن سور إلى عائشة وقال : قد أبى القوم إلاّ القتال فلعل الله يصلح بك . فأركبها وألبسوا هودجها الأدراع وأوقفوها بحيث تسمع الغوغاء ، واقتتل الناس حتى انهزم أصحاب الجمل وذهب ، وأصيب طلحة بسهم في رجله فدخل البصرة ودمه يسيل إلى أن مات . وذهب الزبير إلى وادي السباع لما ذكره عليّ ، فمرّ بعسكر الأحنف واتّبعه عمرو بن الجرموز وكان يسائله حتى اذا قام إلى الصلاة قتله ورجع بفرسه وسلاحه وخاتمه إلى الأحنف فقال والله ما أدري أحسنت أم أسأت . فجاء ابن جرموز إلى عليّ وقال للحاجب : استأذن لقاتل الزبير فقال لحاجبه : ائذن له وبشّره بالنار. ولما بلغت الهزيمة البصرة ورأوا الخيل أطافت بالجمل فرجعوا وشبت الحرب كما كانت . وقالت عائشة لكعب بن سور وناولته مصحفا : تقدّم فادعهم إليه واستقبل القوم فقتله السبئيّة رشقا بالسهم ، ورموا عائشة في هودجها حتى جأرت بالاستغاثة ثم بالدعاء على قتلة عثمان ، وضج الناس بالدعاء فقال عليّ ما هذا قالوا عائشة تدعو على قتلة عثمان ! فقال : اللهم إلعن قتلة عثمان .

ثم أرسلت عائشة إلى الميْمنة والميسرة وحرّضتهم ، وتقدّم مضر الكوفة ومضر البصرة فاجتلدوا أمام الجمل حتى ضرسوا ، وقتل زيد بن صوحان من أهل الكوفة وأخوه سيحان وارتث أخوهما صعصعة ، وتزاحف الناس وتأخرت يمن الكوفة وربيعتها ثم عادوا فقتل على راياتهم عشرة . ثم أخذها يزيد بن قيس فثبت ، وقتل تحت راية ربيعة زيد وعبدالله بن رقية وأبو عبيدة بن راشد بن سلمة ، واشتدّ الأمر ولزقت ميمنة الكوفة بقلبهم وميسرة أهل البصرة بقلبهم ،ومنعت ميمنة هؤلاء ميسرة هؤلاء وميسرة هؤلاء ميمنة هؤلاء ،وتنادى شجعان مضر من الجانبين بالصبر وقصدوا الأطراف يقطعونها ، وأصيبت يد عبد الرحمن بن عتّاب قبل قتله ، وقاتل عند الجمل الأزد ثم بنو ضُبّة وبنو عبد مناة ، وكثر القتل والقطع وصارت المجنبات إلى القلب واستحرّ القتل إلى الجمل حتى قتل على الخطام أربعون رجلا أو سبعون كلهم من قريش ، فجرح عبدالله بن الزبير وقتل عبد الرحمن بن عتّاب وجندب بن زهير العامري وعبدالله بن حكيم بن حزام ومعه راية قريش قتله الأشتر وأعانه فيه عدي بن حاتم ، وقتل الأسود

بن أبي البختري وهو آخذ بالخطام وبعده عمرو بن الأشرف الأزدي في ثلاثة عشر من أهل بيته وجرح مروان بن الحكم وعبدالله بن الزبير سبعا وثلاثين جراحة ما بين طعنة ورمية ، ونادى عليّ اعقروا الجمل يتفرقوا ، وضربه رجل فسقط فما كان صوت أشد عجيجاً منه . وكانت راية الأزد من أهل الكوفة مع مخنف بن سليم فقتل فأخذها الصقعب أخوه فقتل ثم أخوهما عبدالله كذلك ، فأخذها العلاء بن عروة فكان الفتح وهي بيده . وكانت راية عبد القيس من أهل الكوفة مع القاسم بن سليم فقتل ومعه زيد وسيحان ابنا صوحان وأخذها عدة فقتلوا منهم عبدالله بن رقية ثم منقذ بن النعمان ، ودفعها الى ابنه مرّة فكان الفتح وهي بيده . وكانت راية بكر بن وائل في بني ذهل[1] مع الحرث بن حسّان فقتل في خمسة من بني أهله ورجال من بني محدوج[2] وخمسة وثلاثين من بني ذهل .

وقيل في عقر الجمل : ان القعقاع دعا الأشتر وقد جاء من القتال عند الجمل إلى العود فلم يجبه ، وحمل القعقاع والخطام بيد زفر بن الحرث فأصيب شيوخ من بني عامر ، وقال القعقاع لبجير بن دلجة[3] من بني ضُبّة وهو من أصحاب عليّ يا بجير صح بقومك يعقروا الجمل قبل أن يصابوا وتصاب أم المؤمنين ، فضرب ساق البعير فوقع على شقّه ، وأمّن[4] القعقاع من يليه واجتمع هو وزفر على قطع بطان البعير وحملا الهودج فوضعاه وهو كالقنفذ بالسهام ، وفرّ من وراءه ، وأمر عليّ فنودي لا تتبعوا مُدبرا ولا تجهزوا على جريح ولا تدخلوا الدور ، وأمر بحمل الهودج من بين القتلى ، وأمر محمد بن أبي بكر أن يضرب عليها قبّة وأن ينظر هل بها جراحة فجاء يسألها . وقيل لما سقط الجمل أقبل محمد بن أبي بكر إليه ومعه عمّار فاحتملا الهودج إلى ناحية ليس قربه أحد وأتاها عليّ فقال : كيف أنت يا أمّة ؟ قالت : بخير قال : يغفر الله لك . قالت : ولك . وجاء وجوه الناس إليها فيهم القعقاع بن عمرو فسلم عليها ، وقالت له : وددت اني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة . وجاء إلى عليّ فقال له مثل قولها ولما كان الليل أدخلها أخوها محمد بن أبي بكر الصديق البصرة ،

---

(١) وفي النسخة الباريسية : بني هذيل .
(٢) وفي نسخة اخرى : بني مخزوم .
(٣) وفي النسخة الباريسية : ابن دجله .
(٤) وفي نسخة ثانية : أمر.

فأقرّها في دار عبدالله بن خلف الخزاعي على صفيّة زوجه بنت الحرث بن أبي طلحة من بني عبد الدار أمّ طلحة الطلحات بن عبدالله ، وتسلّل الجرحى من بين القتلى فدخلوا ليلا إلى البصرة وأذن عليّ في دفن القتلى فدفنوا بعد أن أطاف عليهم ، ورأى كعب بن سور وعبد الرحمن بن عتّاب وطلحة بن عبيدالله وهو يقول : زعموا أنه لم يخرج إلينا إلا الغوغاء مع أن هؤلاء فيهم . ثم صلّى على القتلى من الجانبين وأمر بالأطراف فدفنت في قبر عظيم ، وجمع ما كان في العسكر من كل شيء وبعث به إلى مسجد البصرة وقال من عرف شيئا فليأخذه إلاّ سلاحا عليه سمة السلطان . وأحصى القتلى من الجانبين فكانوا عشرة الاف منهم من ضُبّة ألف رجل .

ولما فرغ عليّ من الوقعة جاءه الأحنف بن قيس في بني سعد فقال له : تربصت فقال ما أراني إلاّ قد أحسنت وبأمرك كان ما كان ، فارفق فانّ طريقك بعيد وأنت إليّ غداً أحوج منك أمس فلا تقل لي مثل هذا فاني لم أزل لك ناصحاً . ثم دخل البصرة يوم الإثنين فبايعه أهلها على راياتهم حتى الجرحى والمستأمنة ، وأتاه عبد الرحمن بن أبي بكرة فبايعه وعرّض له في عمه زياد بأنه متربّص ، فقال والله إنه لمريض وعلى مسرّتك لحريص . فقال : إنهض أمامي فمضى فلما دخل عليه عليّ اعتذر فقبل عذره واعترض بالمرض قبل عذره ، وأراده على البصرة فامتنع وقال : ولها رجلا من أهلك تسكن إليه الناس وسأشير عليه ، وأشار بابن عبّاس فولاه ، وجعل زياداً على الخراج وبيت المال ، وأمر ابن عباس بموافقته فيما يراه . ثم راح علي إلى عائشة في دار ابن خلف وكان عبدالله بن خلف قتل في الوقعة فأساءت أمه وبعض النسوة عليه ، فأعرض عنهنّ وحرّضه بعض أصحابه عليهنّ فقال : إن النساء ضعيفات وكنا نؤمر بالكفّ عنهنّ وهنّ مشركات فكيف بهن مسلمات . ثم بلغه أنّ بعض الغوغاء عرض لعائشة بالقول والإساءة ، فأمر من أحضر له بعضهم وأوجعهم ضربا ، ثم جهّزها عليّ إلى المدينة بما احتاجت إليه وبعثها مع أخيها محمد مع أربعين من نسوة البصرة اختارهن لمرافقتها ، وأذن للفل ممن خرج عنها أن يرجعوا معها ، ثم جاء يوم ارتحالها فودّعها واستعتبت له واستعتب لها ، ومشى معها اميالا وشيّعها بنوه مسافة يوم ، وذلك غرّة رجب ، فذهبت إلى مكة فقضت الحج ورجعت إلى المدينة . ورجع [1]

---

(١) وفي نسخة اخرى : وخرج .

بنو أمية من الفل ناجين الى الشام ، فعتبة بن أبي سفيان وعبد الرحمن[1] ويحيى أخوا مروان خلصوا إلى عصمة بن أُبير التيمي إلى أن أندملت جراحهم ، ثم بعثهم إلى الشام . وأمّا عبدالله بن عامر فخلص إلى بني حرقوص ومضى من هنالك ، وأما مروان بن الحكم فأجاره أيضا مالك بن مسمع وبعثه وقيل كان مع عائشة فلما ذهبت إلى مكة فارقها الى المدينة ، وأما ابن الزبير فاختفى بدار بعض الأزد وبعث إلى عائشة يعلمها بمكانه فأرسلت أخاها محمدا وجاء إليها به .

ثم قسم عليّ جميع ما في بيت المال على من شهد معه ، وكان يزيد على ستمائة ألف فأصاب كل رجل خمسمائة ، وقال : ان أظفركم الله بالشام فلكم مثلها إلى أعطياتكم . فخاض السبئيّة في الطعن عليه بذلك وبتحريم أموالهم مع اراقة دمائهم ، ورحلوا عنه فأعجلوه عن المقام بالبصرة ، وارتحل في آثارهم ليقطع عليهم أمرا إن أرادوه .

وقد قيل في سياق أمر الجمل غير هذا ، هو أنّ عليّا لما أرسل محمد بن أبي بكر إلى أبي موسى ليستنفر له أهل الكوفة وامتنع ، سار هاشم بن عتبة بن أبي وقّاص إلى عليّ بالربذة فأخبره فأعاده إليه يقول له : إني لم أولّك إلاّ لتكون من أعواني على الحق ، فامتنع أبو موسى وكتب إليه هاشم مع المحل بن خليفة الطائي ، فبعث عليّ ابنه الحسن وعمّار بن ياسر يستنفران كما مرّ . وبعث قرظة[2] بن كعب الأنصاري أميرا وبعث إليه : إني قد بعثت الحسن وعمّارا يستنفران الناس وبعثت قرظة بن كعب واليا على الكوفة فاعتزل عملنا مذموما مدحورا وان لم تفعل فقد أمرته أن ينابذك وإن ظفر بك أن يقطعك إربا إربا وانّ الناس تواقفوا للقتال ، وأمر عليّ من يتقدّم بالمصحف يدعوهم إلى ما فيه وان قطع وقتل وحمله بعض الناس وفعل ذلك فقتل . وحملت ميمنتهم[3] على ميسرتهم فاقتتلوا ولاذ الناس بجمل عائشة أكثرهم من ضَبّة والأزد ثم انهزموا آخر النهار ، واستحرّ في الأزد القتل وحمل عمّار على الزبير يحوزه بالرمح ثم استلان له وتركه ، وألقى عبدالله بن الزبير نفسه مع الجرحى . وعقر الجمل واحتمل عائشة أخوها محمد فأنزلها وضرب عليها قبة ووقف عليها عليّ يعاتبها ، فقالت

(١) وفي النسخة الباريسية : عبدالله .
(٢) وفي النسخة الباريسية : قرطه .
(٣) يعني ميمنة عليّ (رض)

له ملكت فأسجح[1] نعم ما أبكيت قومك اليوم ، فسرّحها في جماعة رجال ونساء الى المدينة وجهزها بما تحتاج إليه . هذا أمر الجمل ملخص من كتاب أبي جعفر الطبريّ اعتمدناه للوثوق به ولسلامته من الأهواء الموجودة في كتب ابن قتيبة وغيره من المؤرخين . وقتل يوم الجمل عبد الرحمن أخو طلحة من الصحابة والمحرز بن حارثة العبشمي وكان عمر ولآه على أهل مكّة ، ومحاشع ومخالد ابنا مسعود مع عائشة . وعبدالله بن حكيم بن حزام وهند بن أبي هالة وهو ابن خديجة قتل مع عليّ وقيل بالبصرة وغيرهم . انتهى أمر الجمل .

ولما فرغ الناس من هذه الوقعة اجتمع صعاليك من العرب وعليهم جبلة بن عتاب الحنظلي وعمران بن الفضيل البرجميّ ، وقصدوا سجستان وقد نكث أهلها ، وبعث عليّ إليهم عبد الرحمن بن جرو الطائي فقتلوه ، فكتب إلى عبدالله بن عبّاس أن يبعث إلى سجستان واليًا ، فبعث ربعي بن كاس العنبري في أربعة آلاف ومعه الحصين بن أبي الحرّ فقتل جبلة وانهزموا وضبط ربعي البلاد واستقامت .

انتقاض محمد بن أبي حذيفة بمصر ومقتله

لما قتل أبو حذيفة بن عتبة يوم اليمامة ترك ابنه محمداً في كفالة عثمان وأحسن تربيته وسكر في بعض الأيام فجلده عثمان ، ثم تنسك وأقبل على العبادة وطلب الولاية من عثمان ، فقال : لست بأهل فاستأذنه على اللحاق بمصر لغزو البحر فأذن له وجهزه ولزمه الناس وعظّموه لما رأوا من عبادته ، ثم غزا مع ابن أبي سرح غزوة الصواري كما مرّ ، فكان يتعرّض له بالقدح فيه وفي عثمان بتوليته ويجتمع في ذلك مع محمد بن أبي بكر ، وشكاهما ابن أبي سرح إلى عثمان فكتب إليه بالتجافي عنهما لوسيلة ذلك بعائشة وهذا لتربيته . وبعث إلى ابن أبي حذيفة ثلاثين ألف درهم وحمل من الكسوة فوضعها ابن أبي حذيفة في المسجد ، وقال : يا معشر المسلمين كيف أخادع عن ديني وآخذ الرشوة عليه . فازداد أهل مصر تعظيما له وطعنا على عثمان وبايعوه على رياستهم ، وكتب إليه عثمان يذكّره بحقوقه عليه فلم يردّه ذلك . وما زال يحرّض الناس عليه حتى خرجوا لحصاره وأقام هو بمصر ، وخرج ابن أبي سرح إلى عثمان

(١) اي احسن العفو اهـ . وفي النسخة الباريسية : ملكت فاسمح .

فاستولى هو على مصر وضبطها إلى أن قتل عثمان وبويع عليّ وبايع عمرو بن العاص لمعاوية ، وسار إلى مصر قبل قدوم قيس بن سعد فمنعها فخدعا محمد حتى خرج إلى العريش فتحصن بها في ألف رجل ، فحاصراه حتى نزل على حكمهم فقتلوه .
وفي هذا الخبر بعض الهون لأنّ الصحيح أنّ عمرا ملك مصر بعد صفّين ، وقيس ولاه عليّ لأول بيعته ، وقد قيل ان ابن أبي حذيفة لما حوصر عثمان بالمدينة أخرج هو ابن أبي سرح عن مصر وضبطها ، وأقام ابن أبي سرح بفلسطين حتى جاء الخبر بقتل عثمان وبيعة علي وتوليته قيس بن سعد على مصر ، فأقام بمعاوية . وقيل إنّ عمراً سار إلى مصر بعد صفّين فبرز إليه ابن أبي حذيفة في العساكر وخادعه في الرجوع إلى بيعة عليّ ، وأن يجتمعا لذلك بالعريش في غير جيش من الجنود ، ورجع إلى معاوية عمرو فأخبره ، ثم جاء إلى ميعاده بالعريش وقد استعدّ بالجنود وأكمنهم خلفه حتى إذا التقيا طلعوا على أثره فتبين ابن أبي حذيفة الغدر فتحصن بقصر العريش إلى أن نزل على حكم عمرو . وبعث به إلى معاوية فحبسه إلى أن فرّ من محبسه فقتل ، وقيل إنما بعثه عمرو إلى معاوية عند مقتل محمد بن أبي بكر وأنّه أمّنه ثم حمله إلى معاوية فحبسه بفلسطين .

ولاية قيس بن سعد على مصر

كان عليّ قد بعث إلى مصر لأوّل بيعته قيس بن سعد أميرا في صفر من سنة ست وثلاثين وأذن له في الإكثار من الجنود وأوصاه فقال له : لو كنت لا أدخلها إلاّ بجند آتي بهم من المدينة لا أدخلها أبدا فانا أدع لك الجند تبعثهم في وجوهك ، وخرج في سبعة من أصحابه حتى أتى مصر وقرأ عليهم كتابا يعلمهم بمبايعته وطاعته وأنّه أميرهم ، ثم خطب فقال بعد أن حمدا لله : أيها الناس قد بايعنا خير من نعلم بعد نبيّنا فبايعوه على كتاب الله وسنّة رسوله . فبايعه الناس واستقامت مصر ، وبعث عليها عمّاله إلاّ بعض القرى كان فيها قوم يدعون إلى الطلب بدم عثمان ، مثل يزيد بن الحرث ومسلمة بن مخلد ، فهادنهم وجبى الخراج وانقضى أمر الجمل وهو بمصر .
وخشي معاوية أن يسير إليه عليّ في أهل العراق وقيس من ورائه في أهل مصر . فكتب إليه يعظم قتل عثمان ويطوّقه عليّا ويحضّه على البراءة من ذلك ومتابعته على أمره على أن يوليه العراقين اذا ظفر ولا يعزله ، يوليّ من أراد من أهله الحجاز

كذلك ، ويعطيه ما شاء من الأموال . فنظر في أهله بين موافقته أو معاجلته بالحرب فآثر الموافقة ، فكتب إليه : «أما بعد فإني لم أقارف[1] شيئا مما ذكرته وما اطلعت لصاحبي على شيء منه . وأمّا متابعتك فانظر فيها وليس هذا مما يسرع إليه ، وأنا كاف عنك فلا يأتيك شيء من قبلي تكرهه حتى نرى وترى » . فكتب إليه معاوية : «إنّي لم أرك تدنو فأعدّك سلما ولا تتباعد فأعدّك حربا ، وليس مثلي يصانع المخادع وينخدع للمكايد ومعه عدد الرجال وأعنّة الخيل والسلام» . فعلم قيس أنّ المدافعة لا تنفع معه فأظهر له ما في نفسه ، وكتب إليه بالردّ القبيح والشتم والتصريح بفضل عليّ والوعيد ، فحينئذ أيس معاوية منه وكاده من قبل علي ، فأشاع في الناس أن قيسا شيعة له تأتينا كتبه ورسله ونصائحه وقد ترون ما فعل باخوانكم القائمين بثأر عثمان وهو يجري عليهم من الأعطية والارزاق ، فأبلغ ذلك إلى عليّ محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر وعيونه بالشام فأعظم ذلك ، وفاوض فيه الحسن والحسين وعبدالله بن جعفر ، فقال له عبدالله : دع ما يريبك إلى ما لا يريبك واعزله عن مصر . ثم جاء كتابه بالكفّ عن قتال المعتزلين فقال ابن جعفر : مره بقتالهم خشية أن تكون هذه ممالأة . فكتب إليه يأمره بذلك فلم ير قيس ذلك رأيا وقال : متى قاتلناهم ساعدوا عليك عدوّك وهم الآن معتزلون والرأي تركهم . فقال ابن جعفر : يا أمير المؤمنين ابعث محمد بن أبي بكر على مصر ، وكان أخاه لأمه ، واعزل قيسا فبعثه . وقيل بعث قبله الأشتر النخعيّ ، ومات بالطريق ، فبعث محمد ولما قدم محمد على قيس خرج عنها مغضبا إلى المدينة وكان عليها مروان بن الحكم فأخافه ، فخرج هو وسهل بن حنيف إلى عليّ . وكتب معاوية إلى مروان يعاتبه لو أمددت عليّا بمائة ألف مقاتل كان أيسر عليّ من قيس بن سعد .

ولما قدم قيس على عليّ وكشف له عن وجه الخبر قبل عذره وأطاعه في أمره كله ، وقدم محمد مصر فقرأ كتاب عليّ على الناس وخطبهم[2] ، ثم بعث إلى أولئك القوم المعتزلين الذين كان قيس وادعهم . ادخلوا في طاعتنا أو اخرجوا عن بلادنا . فقالوا : دعنا حتى ننظر . وأخذوا حذرهم ، ولما انقضت صفّين وصار الأمر إلى التحكيم

---

(١) وفي النسخة الباريسية : لم افارق .

(٢) وفي النسخة انباريسية : خاطبهم .

بارزوه وبعث العساكر إلى يزيد بن الحرث الكناني بخربتا وعليهم الحرث بن جمهان فقتلوه ثم بعث آخر فقتلوه .

مبايعة عمرو بن العاص لمعاوية

لما أحيط بعثمان خرج عمرو بن العاص إلى فلسطين ومعه إبناه عبدالله ومحمد ، فسكن بها هاربا مما توقعه من قتل عثمان إلى أن بلغه الخبر بقتله ، فارتحل يبكي ويقول كما تقول النساء ، حتى أتى دمشق فبلغه بيعة عليّ ، فاشتدّ عليه الأمر وأقام ينتظر ما يصنعه الناس ، ثم بلغه مسيز عائشة وطلحة والزبير فأمّل فرجا من أمره ، ثم جاءه الخبر بوقعة الجمل فارتاب في أمره . وسمع أنّ معاوية بالشام لا يبايع عليّا وأنّه يعظّم قتل عثمان ، فاستشار إبنيه في المسير إليه ، فقال له آبنه عبدالله توفي النبي صلى الله عليه وسلم والشيخان بعده وهم راضون عنك فأرى أن تكف يدك وتجلس في بيتك حتى يجتمع الناس . وقال له محمد : أنت ناب من أنياب العرب وكيف يجتمع هذا الأمر وليس لك فيه صيت . فقال : يا عبدالله أمرتني بما هو خير لي في ديني ، ويا محمد أمرتني بما هو خير لي في دنياي وشرّ لي في آخرتي . ثم خرج ومعه ابناه حتى قدم على معاوية فوجدوهم يطلبون دم عثمان ، فقال : أنتم على الحق اطلبوا بدم الخليفة المظلوم . فأعرض معاوية قليلا ، ثم رجع إليه وشركه في سلطانه .

أمر صفين

لما رجع عليّ بعد وقعة الجمل إلى الكوفة مجمعا على قصد الشام ، بعث إلى جرير بن عبدالله البجلي بهمدان وإلى الأشعث بن قيس باذربيجان وهما من عمّال عثمان بأن يأخذا له البيعة ويحضرا عنده ، فلما حضرا بعث جرير إلى معاوية يعلمه ببيعته ونكث طلحة والزبير وحزبهما ويدعوه إلى الدخول فيما دخل فيه الناس ، فلّما قدم عليه طاوله في الجواب وحمل أهل الشام ليرى جرير قيامهم في دم عثمان واتهامهم عليّا به ، وكان أهل الشام لما قدم عليهم النعمان بن بشير بقميص عثمان مُلّوثا بالدم كما قدّمناه وبأصابع زوجته نائلة ، وضع معاوية القميص على المنبر والأصابع من فوقه ، فمكث الناس يبكون مدّة وأقسموا ألاّ يمسهم ماء إلاّ لجنابة ولا يناموا على فراش حتى يثأروا لعثمان ومن حال دون ذلك قتلوه . فرجع جرير بذلك إلى عليّ وعذله الأشتر في بعث

جرير وأنّه طال مقامه حتى تمكن أهل الشام من رأيهم [1] ، فغضب لذلك جرير ولحق بقرقيسيا واستقدمه معاوية فقدم عليه . وقيل ان شرحبيل بن السمط الكندي اشار على معاوية بردّ جرير لأجل منافسة كانت بينهما منذ أيام عمر ، وذلك أن شرحبيل كان عمر بن الخطاب بعثه إلى سعد بالعراق ليكون معه فقرّبه سعد وقدّمه ونافسه له أشعث بن قيس ، فأوصى جريرا عند وفادته على عُمر أن ينال من شرحبيل عنده ، ففعل فبعث عمر شرحبيل إلى الشام فكان يحقد ذلك على جرير ، فلما جاء الى معاوية أغراه شرحبيل به وحمله على الطلب بدم عثمان .

ثم خرج عليّ وعسكر بالنُخَيلة واستخلف على الكوفة أبا مسعود الأنصاري وقدم عليه عبدالله بن عبّاس في أهل البصرة ، وتجهّز معاوية وأغراه عمرو بقلّة عسكر عليّ واضطغان أهل البصرة له بمن قتل منهم ، وعبّى معاوية أهل الشام وعقد لعمرو ولابنيه وغلامه وردان الألوية . وبعث عليّ في مقدمته زياد بن النضر الحارثي في ثمانية آلاف وشريح بن هانيء في أربعة آلاف ، وسار من النُخيلة إلى المدائن واستنفر من كان بها من المقاتلة وبعث منها معقل بن قيس في ثلاثة آلاف يسير من الموصل ويوافيه بالرقّة . وولّى عليّ على المدائن سعد بن مسعود الثقفي عمّ المختار بن أبي عبيد ، وسار فلما وصل إلى الرقّة نصب له جسر فعبر وجاء زياد وشريح من ورائه ، وكانا سمعا بمسير معاوية وخشيا أن يلقاهما معاوية وبينهما وبين عليّ البحر ورجعا إلى هيت وعبر الفرات ، ولحقا بعلي فقدّمهما امامه ، فلما أتيا إلى سور الروم لقيهما أبو الأعور السلمي في جند من أهل الشام فطاولاه وبعثا إلى عليّ فسرح الأشتر وأمره أن يجعلهم على مجنبتيه ، وقال : لا تقاتلهم حتى آتيك . وكتب إلى شريح وزياد بطاعته فقدم عليهما وكف عن القتال سائر يومه حتى حمل عليهم أبو الأعور بالعشيّ فاقتتلوا ساعة وافترقوا ، ثم خرج من الغداة وخرج إليه من أصحاب الأشتر هاشم بن عتبة المرقال واقتتلوا عامة يومهم . وبعث الأشتر سنان بن مالك النخعيّ إلى أبي الأعور السلميّ يدعوه إلى البراز فأبي وحجز بينهم الليل ، ووافاهم من الغد عليّ وعساكره ، فتقدم الأشتر وانتهى إلى معاوية ولحق به عليّ . وكان معاوية قد ملك شريعة الفرات فشكى الناس إلى عليّ العطش فبعث صعصعة بن صوحان إلى معاوية : «بأنّا سرنا ونحن عازمون على الكفّ عنكم حتى نعذر إليكم فسابقنا جندكم بالقتال ونحن رأينا

(١) وفي النسخة الباريسية : من ورائهم .

الكفّ حتى ندعوك ونحتج عليك وقد منعتم الماء والناس غير منتهين فابعث إلى أصحابك يخلّون عن الماء للورد حتى ننظر بيننا وبينكم وان أردت القتال حتى يشرب الغالب فعلنا» . فأشار عمرو بن العاص بتخلية الماء لهم ، وأشار ابن أبي سرح والوليد بن عقبة بمنعهم الماء ، وعرضا بشتم فتشاتم معهم صعصعة ورجع ، وأوعز إلى أبي الأعور بمنعهم الماء وجاء الأشعث بن قيس إلى الماء فقاتلهم عليه ثم أمر معاوية أبا الأعور يزيد بن أبي أسد القسري جدّ خالد بن عبدالله ثم بعمرو بن العاص بعده ، وأمر عليّ الأشعث بشبث بن ربعي ثم بالأشتر وعليهم أصحاب عليّ وملكوا الماء عليهم ، وأرادوا منعهم منه فنهاهم عليّ عن ذلك .

وأقام يومين ثم بعث إلى معاوية أبا عمر وبشير بن عمرو بن محصن الأنصاري وسعيد بن قيس الهمداني وشبث بن ربعي التميمي ، يدعونه إلى الطاعة وذلك أوّل ذي الحجة سنة ست وثلثين ، فدخلوا عليه وتكلّم بشير بن عمرو بعد حمدا لله والثناء عليه والموعظة الحسنة وناشده الله أن لا يفرّق الجماعة ولا يسفك الدماء ، فقال : هلاّ أوصيت بذلك صاحبك . فقال بشير : ليس مثلك أحق بالأمر بالسابقة والقرابة . قال : فما رأيك ؟ قال : تجيبه إلى ما دعا إليه من الحق ، قال معاوية : ونترك دم عثمان لا والله لا أفعله أبدا ! ثم قال شبث بن ربعي : يا معاوية إنما طلبت دم عثمان تستميل به هؤلاء السفهاء الطغام إلى طاعتك ، ولقد علمنا أنك أبطأت على عثمان بالنصر لطلب هذه المنزلة فاتق الله ودع ما أنت عليه ولا تنازع الأمر أهله . فأجابه معاوية وأبدع في سبّه وقال : انصرفوا فليس بيني وبينكم إلاّ السيف . فقال له شبث : أقسم بالله لنعجلنها[1] لك . ورجعوا إلى عليّ بالخبر .

وأقاموا يقتتلون أيام ذي الحجة كلها عسكر من هؤلاء وعسكر من هؤلاء ، وكرهوا أن يلقوا جمع أهل العراق بجمع أهل الشام حذرا من الاستئصال والهلاك . ثم جاء المحرم فذهبوا إلى الموادعة حتى ينقضي طمعا في الصلح ، وبعث إلى معاوية عدي بن حاتم ويزيد بن قيس الأرحبي وشبث بن ربعي وزياد بن خصفة[2] ، فتكلم عدي بعد الحمد والثناء ودعا إلى الدخول في طاعة عليّ ليجمع الله به الكلمة فلم يبق غيرك ومن معك واحذر يا معاوية أن يصيبك وأصحابك مثل يوم الجمل . فقال معاوية :

---

(١) وفي نسخة اخرى : لنجعلنها لك .
(٢) وفي نسخة اخرى : زياد بن حفصة .

كأنك جئت مهدّداً لا مُصلحاً هيهات يا عدي أنا ابن حرب والله ما يقعقع لي بالشنان وأنّك من قتلة عثمان وأرجو أن يقتلك الله به . فقال له يزيد بن قيس : إنما أتيناك رسلا ولا ندع مع ذلك النصح والسعي في الالفة والجماعة وذكر من فضل عليّ واستحقاقه للأمر بتقواه وزهده . فقال معاوية بعد الحمد والثناء : أمّا الجماعة التي تدعون إليها فهي معنا وأمّا طاعة صاحبكم فلا نراها لأنه قتل خليفتنا وآوى أهل ثأرنا ونحن مع ذلك نجيبكم إلى الطاعة والجماعة إذا دفع إلينا قتلة عثمان . فقال شبث بن ربعي : أيسرّك يا معاوية أن تقتل عمّارا ؟ قال : نعم بمولاه . قال شبث : حتى تضيق الأرض والفضاء عليك . فقال معاوية : لوكان ذلك لكانت عليك أضيق . وافترقوا عن معاوية ثم خلا بزياد بن خصفة وشكى إليه من عليّ وسأله النصر منه بعشيرته وأن يولّيه أحد المصرين ، فأبى وقال : إني على بيّنة من ربي فلن أكون ظهيرا للمجرمين . وقام عنه فقال معاوية لعمرو : كأنّ قلوبهم قلب رجل واحد .

ثم بعث معاوية إلى عليّ حبيب بن مسلمة وشرحبيل بن السمط ومعن بن يزيد بن الأخنس فدخلوا عليه ، فتكلّم حبيب بعد الحمد لله والثناء فقال : إنّ عثمان كان خليفة مهديًّا يعمل بكتاب الله وينيب إلى أمره فاستثقلتم حياته واستبطأتم موته فقتلتموه فادفع إلينا قتلته إن كنت لم تقتله ثم اعتزل أمر الناس فيولّوا من أجمعوا عليه . فقال عليّ : ما أنت وهذا الأمر ؟ فاسكت فلست بأهلٍ له ، فقال والله لتراني بحيث تكره ، فقال : وما أنت لا أبقى الله عليك ان ابقيت اذهب فصوّب وصعد ، ثم تكلّم بعد الحمد لله والثناء وهداية الناس بمحمد صلى الله عليه وسلم وخلافة الشيخين وحسن سيرتهما ، وقد وجدنا عليهما أن توليّا ونحن أقرب منهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن سمحنا لهما[1] بذلك ، وُولي عثمان فعاب الناس عليه وقتلوه ، ثم بايعوني مخافة الفرقة فأجبتهم ، ونكث عليّ رجلان وخالف صاحبكم الذي ليس له مثل سابقتي ، والعجب من انقيادكم له دون بيت نبيّكم ولا ينبغي لكم ذلك ، وأنا أدعوكم إلى الكتاب والسنّة ومعالم الدين وإماتة الباطل وإحياء الحق» فقالوا : نشهد أن عثمان قتل مظلوما ، فقال : لا أقول مظلوما ولا ظالما . قالوا : فمن لم يقل ذلك فنحن منه برآء وانصرفوا . فقرأ عليّ انك لا تسمع الموتى الآية ثم ، قال لاصحابه : لا يكن هؤلاء في ضلالهم أجدّ منكم في حقّكم .

---

(١) وفي نسخة اخرى : سامحناهما .

ثم تنازع عدي بن حاتم في راية طيء وعامر بن قيس الحزمري[1] وكان رهطه أكثر من رهط عدي ، فقال عبدالله بن خليفة البولاني : مافينا أفضل من عدي ولا من أبيه حاتم ولم يكن في الإسلام أفضل من عدي وهو الوافد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأس طيء في النخيلة والقادسية والمدائن وجلولاء ونهاوند وتستر ، وسأل عليّ قومهم فوافقوه على ذلك فقضى بها لعديّ . ولما انسلخ المحرّم نادى عليّ في الناس بالقتال وعبّى الكتائب وقال : لا تقاتلوهم حتى يقاتلوكم فاذا هزمتموهم فلا تقتلوا مدبرا ولا تجهزوا على جريح ولا تكشفوا عورة ولا تمثّلوا ولا تأخذوا مالا ولا تهيّجوا إمرأة وإن شتمتكم فإنهنّ ضعاف الأنفس والقوى ، ثم حرّضهم ودعا لهم وجعل الأشتر على خيل الكوفة وسهل بن حنيف على خيل البصرة وقيس بن سعد على رجالة البصرة وعمّار بن ياسر على رجّالة الكوفة وهاشم بن عتبة معه الراية ومُسعر بن فدكي على القرّاء ، وعبّى معاوية كتائبه فجعل على الميمنة ذا الكلاع الحميري وعلى الميسرة حبيب بن مسلمة ، وعلى المقدّمة أبا الأعور وعلى خيل دمشق عمرو بن العاص وعلى رجّالتها مسلم بن عُقبة المرّي . وعلى الناس كلهم الضحّاك بن قيس . وتبايع رجال من أهل الشام على الموت فعقلوا أنفسهم بالعمائم في خمسة صفوف فاقتتلوا عامة يومهم ، وفي اليوم الثاني هاشم بن عُتبة وأبو الأعور السلميّ ، وفي اليوم الثالث عمّار بن ياسر وعمرو بن العاص فاقتتلوا أشدّ قتال وحمل عمّار فأزال عمرا عن موضعه ، وفي اليوم الرابع محمد بن الحنفيّة وعبيدالله بن عمر بن الخطاب وتداعيا إلى البراز فردّ عليّ ابنه وتراجعوا ، وفي اليوم الخامس عبدالله بن عبّاس والوليد بن عُقبة فاقتتلا كذلك ، ثم عاد في اليوم السادس الأشتر وحبيب فاقتتلا قتالا شديدا وانصرفا .

وخطب عليّ الناس عشيّة يومه[2] وأمرهم بمناهضة القوم بأجمعهم وأن يطيلوا ليلتهم القيام ، ويكثروا التلاوة ويدعو الله بالنصر والصبر ، ويرموا[3] غدا في لقائهم بالجدّ والحزم . فبات الناس يصلحون ليلتهم سلاحهم ، وعبّى عليّ الناس ليلته إلى الصباح ، وزحف وسأل عن القبائل من أهل الشام وعرف مواقفهم وأمر كل قبيلة أن تكفيه أختها من الشام ، ومن ليس منهم أحد بالشام يصرفهم إلى من ليس منهم أحد

---

(١) وفي نسخة اخرى : الجرموزي .

(٢) وفي نسخة اخرى : عشية يومهم .

(٣) وفي النسخة الباريسية : ويدنو في الكامل : القوهم .

بالعراق مثل بجيلة صرفهم الى لخم . وخرج معاوية في أهل الشام فاقتتلوا يوم الأربعاء قتالا شديدا عامة يومهم ثم انصرفوا ، وغلس عليّ يوم الخميس بالزحف وعلى ميمنته عبدالله بن بُديل بن ورقاء وعلى ميسرته عبدالله بن عبّاس والقرّاء مع عمّار وقيس بن سعد وعبدالله بن يزيد والناس على راياتهم ومراكزهم ، وعليّ في القلب بين أهل الكوفة والبصرة ومعه أهل البصرة والكوفة ومعه أهل المدينة من الأنصار وخزاعة وكنانة .

ورفع معاوية قبة عظيمة وألقى عليها الثياب وبايعه أكثر أهل الشام على الموت ، وأحاط بقبته خيل دمشق[١] وزحف ابن بُديل في الميمنة فقاتلهم إلى الظهر وهو يحرّض أصحابه . ثم كشف خيلهم واضطرهم إلى قبة معاوية ، وجاء الذين تبايعوا على الموت إلى معاوية فبعثهم إلى حبيب فحمل بهم على ميمنة أهل العراق فانجفل الناس عن ابن بُديل إلا ثلثمائة أو مائتين من القرّاء وانتهت الهزيمة إلى عليّ ، وأمدّه عليّ بسهل بن حنيف في أهل المدينة فاستقبلهم جموع عظيمة لأهل الشام فمنعتهم ، ثم انكشفت مضر من الميسرة وثبتت ربيعة وجاء عليّ يمشي نحوهم فاعترضه أحمر مولى أبي سفيان فحال دونه كيسان مولاه فقتله أحمر ، فتناول عليّ أحمر من درعه فجذبه وضرب به الأرض وكسر منكبيه وعضديه ، ثم دنا من ربيعة فصبّرهم وثبّت أقدامهم وتنادوا بينهم إن أصيب بينكم أمير المؤمنين افتضحتم في العرب ، وكان الأشتر مرّ به راكضا نحو الميمنة واستقبل الناس منهزمين فأبلغهم مقالة عليّ : أين فراركم من الموت الذي لا تعجزوه[٢] إلى الحياة التي لا تبقى لكم ، ثم نادى أنا الأشتر فرجع إليه بعضهم فنادى مذحجا وحرّضهم فأجابوه ، وقصد القوم واستقبله شباب من همذان ثمانمائة أو نحوها وكان قد هلك منهم في ذلك اليوم أحد عشر رئيسا وأصيب منهم ثمانون ومائة وزحف الأشتر نحو الميمنة ، وتراجع الناس واشتدّ القتال حتى كشف أهل الشام وألحقهم بمعاوية عند الاصفرار وانتهى إلى ابن بُديل في مائتين أو ثلثمائة من القرّاء قد لصقوا بالارض ، فانكشفوا عنهم أهل الشام وأبصروا إخوانهم وسألوا عن عليّ فقيل لهم هو في الميسرة يقاتل ، فقال ابن بُديل استقدموا بنا ونهاه الأشتر فأبى ومضى نحو معاوية وحوله أمثال الجبال تقتل كل من دنا منه حتى وصل

(١) وفي النسخة الباريسية : وأحاط نفسه بخيل دمشق .
(٢) الصحيح ان تقول : لا تعجزونه .

الى معاوية ، فنهض إليه الناس من كل جانب وأحيط به فقتل وقتل من أصحابه ناس ورجع آخرون مجرّحين[1] وأهل الشام في اتباعهم ، فبعث الأشتر من نفس عنهم حتى وصلوا إليه وزحف الأشتر في همذان وطوائف من الناس فأزال أهل الشام عن مواقفهم حتى ألحقهم بالصفوف المعقلة بالعمائم حول معاوية ، ثم حمل أخرى فصرع منهم أربعة صفوف حتى دعا معاوية بفرسه فركبه ، وخرج عبدالله بن أبي الحصين الأزدي في القراء الذين مع عمّار فقاتلوا ، وتقدّم عقبة بن حديد النميري مستميتا ومعه إخوته وقاتلوا حتى قتلوا ، وتقدّم شمر بن ذي الجوشن مبارزا فضرب أدهم بن محرز الباهليّ وجهه بالسيف وحمل هو على أدهم فقتله ، وحمل قيس بن المكشوح [2] ومعه راية بجيلة فقاتل حتى أخذها آخر كذلك .

ولما رأى عليّ أهل ميمنة أصحابه قد عادوا إلى مواقفهم وكشفوا العدوّ قبالتهم أقبل إليهم وعذلهم بعض الشيء عن مفرّهم وأثنى على وجوههم ، وقاتل الناس قتالا شديدا وتبارز الشجعان من كل جانب وأقبلت قبائل طيء والنخع وخرجت حمير من ميمنة أهل الشام ، وتقدّم ذو الكلاع ومعهم عبيدالله بن عمر بن الخطاب فقصد ربيعة في ميسرة أهل العراق وعليهم ابن عبّاس وحملوا عليهم حملة شديدة فثبتت ربيعة وأهل الحفاظ منهم وانهزم الضعفاء والفشلة ، ثم رجعوا ولحقت بهم عبد القيس وحملوا على حمير فقتل ذو الكلاع وعبيدالله بن عمر وأخذ سيف ذي الكلاع وكان لعمر ، فلما ملك معاوية العراق أخذه من قاتله . ثم خرج عمّار بن ياسر وقال اللهمّ اني لا أعمل اليوم عملا أرضى من جهاد هؤلاء الفاسقين ثم نادى من سعى في رضوان ربّه فلا يرجع إلى مال ولا ولد فأتاه عصابة فقال : «اقصدوا بنا هؤلاء الذين يطلبون بدم عثمان يخادعون بذلك عمّا في نفوسهم من الباطل» ، ثم مضى فلا يمرّ بواد من صفّين الا اتبعه من هناك من الصحابة . ثم جاء الى هاشم بن عتبة وكان صاحب الراية فأنهضه حتى دنا من عمرو بن العاص وقال : يا عمرو بعت دينك بمصر ؟ تبًّا لك فقال : إنما أطلب دم عثمان ، فقال : أشهد أنك لا تطلب وجه الله في كلام كثير من أمثال ذلك وأنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في عمّار تقتله الفئة الباغية .

(١) وفي نسخة اخرى : مجزوحون .

(٢) المكشوح لقب واسمه هبيره اهـ .

ولما قتل عمّار حمل عليّ وحمل معه ربيعة ومضر وهمذان حملة منكرة فلم يبق لأهل الشام صف إلاّ انتقض حتى بلغوا معاوية فناداه عليّ : علام يقتل الناس بيننا هلّم أحاكمك إلى الله فأينا قتل صاحبه استقام له الامر ، فقال له عمرو : أنصفك . فقال له معاوية : لكنك ما أنصفت . وأسر يومئذ جماعة من أصحاب عليّ فترك سبيلهم ، وكذلك فعل عليّ . ومرّ عليّ بكتيبة من الشام قد ثبتوا فبعث إليهم محمد ابن الحنفية فازالهم عن مواقفهم ، وصرع عبدالله بن كعب المرادي فمرّ به الأسود بن قيس فأوصاه بتقوى الله والقتال مع عليّ ، وقال أبلغه عني السلام ، وقال له قاتل على[1] المعركة حتى تجعلها خلف ظهرك فانه من أصبح غدا والمعركة خلف ظهره فإنه العالي .

ثم اقتتل الناس إلى الصباح وهي ليلة الجمعة وتسمّى ليلة الهرير ، وعليّ يسير بين الصفوف ويحرّض كل كتيبة على التقدّم حتى أصبح والمعركة كلها خلف ظهره ، والأشتر في الميمنة وابن عبّاس في الميسرة والناس يقتتلون من كل جانب وذلك يوم الجمعة . ثم ركب الأشتر ودعا الناس إلى الحملة على أهل الشام فحمل حتى انتهى إلى عسكرهم وقتل صاحب رايتهم ، وأمدّه عليّ بالرجال ، فلما رآى عمرو شدّة أهل العراق وخاف على أصحابه الهلاك ، قال لمعاوية : مر الناس يرفعون المصاحف على الرماح ويقولون كتاب الله بيننا وبينكم فإن قبلوا ذلك ارتفع عنّا القتال وإن أبى بعضهم وجدنا في افتراقهم راحة . ففعلوا ذلك ، فقال الناس : نجيب إلى كتاب الله فقال لهم عليّ : «يا عباد الله امضوا على حقكم وقتال عدوكم فإنّ معاوية وابن أبي معيط وحبيبا وابن أبي سرح والضحّاك ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن أنا أعرف بهم صحبتهم أطفالا ورجالا فكانوا شرّ أطفال وشرّ رجال ، ويحكم والله ما رفعوها إلاّ مكيدة وخديعة» . فقالوا : لا يسعنا أن نُدعى إلى كتاب الله فلا نقبل ، فقال : إنما قتلناهم ليدينوا بكتاب الله فإنّهم نبذوه . فقال له مسعر بن فدك التميميّ وزيد بن حصين الطائي في عصابة من القرّاء الذين صاروا خوارج بعد ذلك : يا عليّ أجب الى كتاب الله وإلاّ لدفعنا برمتك إلى القوم . أو فعلنا بك ما فعلنا بابن عفّان . فقال : إن تطيعوني فقاتلوا وإن تعصوني فافعلوا ما بدا لكم ، قالوا : فابعث إلى الأشتر وكفّه عن القتال ، فبعث إليه يزيد بن هانيء بذلك فأبى ، وقال : قد رجوت أن يفتح

(١) وفي النسخة الباريسية : عن المعركة .

الله لي فلما جاء يزيد بذلك ارتج الموقف باللغط ، وقالوا لعليّ : ما نراك إلا أمرته بقتال فابعث إليه فليأتك وإلاّ اعتزلناك ، فقال عليّ : ويحك يا يزيد قل له أقبل إليّ فان الفتنة قد رفعت ، فقال : أَلِرَفع المصاحف ؟ فقال : نعم قال : لقد ظننت أن ذلك يوقع فرقة كيف ندع هؤلاء وننصرف والفتح قد وقع ، فقال يزيد : تحب أن تظفر وأمير المؤمنين يُسَلَّم إلى عدوّه أو يقتل ، ثم أقبل إليهم الأشتر وأطال عتبهم ، وقال امهلوني فواقا فقد احسست بالفتح ، فأبوا فعذلهم وأطال في عذلهم ، فقالوا دعنا يا أشتر قاتلناهم لله ، فقال : بل خدعتم فانخدعتم . ثم كثرت الملاحاة بينهم وتشاتموا فصاح بهم عليّ فكفّوا ، فقال له الاشعث بن قيس : إنّ الناس قد رضوا بما دعوا إليه من حكم القرآن فإن شئت أتيت معاوية وسألته ما يريد . قال : افعل . فأتاه وسأله : لأيّ شيء رفعتم المصاحف ؟ قال : لنرجع نحن وأنتم إلى ما أمر الله به من كتابه تبعثون رجلا ترضونه ، ونحن آخر ونأخذ عليهما أن يعملا بما في كتاب الله لا يعدوانه . ثم نتبع ما اتفقا عليه ، فقال الأشعث هذا الحق ورجع إلى عليّ والناس وأخبرهم ، فقال الناس رضينا وقبلنا ، ورضي أهل الشام عمرا ، وقال الأشعث وأولئك القرّاء الذين صاروا خوارج : رضينا بأبي موسى ، فقال عليّ لا أرضاه فقال الأشعث ويزيد بن الحصين[1] ومسعر بن فدك : لا نرضى إلاّ به . قال فإنه ليس ثقة قد فارقني وخذل الناس عني وهرب مني حتى أمّنته بعد شهر ، قالوا لا نريد إلاّ رجلا هو منك ومن معاوية سواء ، قال فالأشتر، قالوا : وهل سعر الأرض غير الأشتر؟ قال : فاصنعوا ما بدا لكم . فبعثوا إلى أبي موسى وقد اعتزل القتال ، فقيل إنّ الناس قد اصطلحوا ، فحمد الله ، قيل وقد جعلوك حكما فاسترجع ، وجاء أبو موسى إلى العسكر وطلب الأحنف بن قيس من عليّ أن يجعله مع أبي موسى ، فأبى الناس من ذلك وحضر عمرو بن العاص عند عليّ لتكتب القضية بحضوره ، فكتبوا بعد البسملة هذا ما تقاضى عليه أمير المؤمنين ، فقال : عمرو ليس هو بأميرنا ، فقال له الأحنف : لا تمحها فاني أتطير بمحوها فمكث مليًّا ، ثم قال الأشعث : امحها . فقال عليّ : الله أكبر وذكر قصة الحُديبيّة وفيها أنّك ستدعى إلى مثلها فتجيبها ، فقال عمرو : وسبحان الله نشبه بالكفار ونحن مؤمنون . فقال عليّ : يا ابن النابغة ومتى لم تكن للفاسقين وليًّا وللمؤمنين عدوًّا ، فقال عمرو : والله لا يجمع بيني وبينك

(١) وفي النسخة الباريسية زيد بن الحصن .

مجلس بعد اليوم ، فقال عليّ : أرجو أن يظهر الله مجلسي منك ومن أشباهك .
وكتب الكتاب : «هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان قاضى عليّ على أهل الكوفة ومن معهم ومعاوية على أهل الشام ومن معهم انّا ننزل عند حكم الله وكتابه وأن لا يجمع بيننا غيره وأنّ كتاب الله بيننا من فاتحته إلى خاتمته نحيي ما أحيا ونميت ما امات مما وجد الحكمان في كتاب الله . وهما أبو موسى عبدالله ابن قيس وعمرو بن العاص وما لم يجدا في كتب الله فالسنّة العادلة الجامعة غير المفرّقة وأخذ الحكمان من عليّ ومعاوية ومن الجندين العهود والمواثيق أنهما آمنان على أنفسهما وأهليهما والأمة لهما أنصار على الذي يتقاضيان عليه ، وعلى عبدالله بن قيس وعمرو بن العاص عهد الله وميثاقه أن يحكما بين هذه الامة ولا يورداها في حرب ولا فرقة حتى يقضيا ، وأجّلا القضاء إلى رمضان وإن أحبّا أن يؤخّرا ذلك أخّراه وأنّ مكان قضيتهما مكان عدل بين أهل الكوفة وأهل الشام» . وشهد رجال من أهل العراق ورجال من أهل الشام وضعوا خطوطهم في الصحيفة ، وأبى الأشتر أن يكتب إسمه فيها وحاوره الأشعث في ذلك فأساء الردّ عليه وتهدّده . وكتب الكتاب لثلاث عشرة خلت من صفر سنة سبع وثلاثين . واتفقوا على أن يوافي عليّ موضع الحكمين بدومة الجندل وبأذرح في شهر رمضان ، ثم جاء بعض الناس إلى عليّ يحضّه على قتال القوم فقال : لا يصلح الرجوع بعد الرضى ولا التبديل بعد الإقرار .

ثم رجع الناس عن صفّين ورجع علي ، وخالفت الحروريّة وأنكروا تحكيم الرجال ورجعوا على غير الطريق الذي جاؤا فيه حتى جازوا النخيلة ورأوا بيوت الكوفة ، ومرّ عليّ بقبر خباب بن الأرت توفي بعد خروجه فوقف واسترحم له ، ثم دخل الكوفة فسمع رجة البكاء في الدور فقال يبكين على القتلى فترحم لهم ، ولم يزل يذكر الله حتى دخل القصر فلم تدخل الخوارج معه وأتوا حرورا فنزلوا بها في اثني عشر ألفا ، وقدّموا شبث بن عمر التميمي أمير القتال وعبيدالله بن الكوّا اليشكري أمير الصلاة ، قالوا البيعة لله عزّ وجل والأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر والأمر شورى بعد الفتح . فقالوا للناس بايعتم عليًّا إنّكم أولياء من والى وأعداء من عادى ، وبايع أهل الشام معاوية على ما أحب وكرهوا فلستم جميعا من الحق في شيء . فقال لهم زياد بن النضر : والله ما بايعناه إلا على الكتاب والسنّة لكن لما خالفتموه تعيّنتم للضلال وتعيّنا للحق . ثم بعث عليّ عبدالله بن عبّاس إليهم قوال لا تراجعهم حتى آتيك فلم يصبر عن

مكالمتهم ، وقال : ما نقمتم من أمر الحكمين وقد أمر الله بهما بين الزوجين فكيف بالأمة فقالوا لا يكون هذا بالرأي والقياس فإنّ ذلك جعله الله حكما للعباد وهذا أمضاه كما أمضى حكم الزاني والسارق . قال ابن عباس : قال الله تعالى يحكم به ذو عدل منكم ، قالوا والأخرى كذلك وليس أمر الصيد والزوجين كدماء المسلمين . ثم قالوا له : قد كنّا بالأمس نقاتل عمرو بن العاص فان كان عدلا فعلى ما قتلناه وان لم يكن عدلا فكيف يسوغ تحكيمه ؟ وأنتم قد حكمتم الرجال في أمر معاوية وأصحابه والله تعالى قد امضى حكمه فيهم أن يقتلوا أو يرجعوا وجعلتم بينكم الموادعة في الكتب وقد قطعها الله بين المسلمين وأهل الحرب منذ نزلت براءة .

ثم جاء عليّ إلى فسطاط يزيد بن قيس منهم بعد أن علم أنهم يرجعون إليه في رأيهم ، فصلّى عنده ركعتين وولاّه على أصبهّان والريّ ، ثم خرج إليهم وهم في مجلس ابن عبّاس فقال من زعيمكم قالوا : ابن الكوّا قال : فما هذا الخروج ؟ قالوا لحكومتكم يوم صفين ، قال أنشدكم الله أتعلمون أنّه لم يكن رأيي وإنما كان رأيكم مع أني اشترطت على الحكمين أن يحكما بحكم القرآن فان فعلا فلا ضير وإن خالفا فلا خير ونحن برآء من حكمهم ، قالوا فتحكيم الرجال في الدماء عدل ؟ قال إنّا حكمنا القرآن إلا أنه لا ينطق وإنما يتكلم به الرجال ، قالوا : فلم جعلتم الأجل بينكم ؟ قال لعلّ الله يأتي فيه بالهدنة بعد افتراق الأمة فرجعوا إلى رأيه ، وقال ادخلوا مصركم فلنمكث ستة أشهر حتى يجبى المال ويسمن الكراع ثم نخرج الى عدّونا فدخلوا من عند آخرهم .

أمر الحكمين

ولما انقضى الأجل وحان وقت الحكمين بعث عليّ أبا موسى الأشعري في أربعمائة رجل عليهم شريح بن هانىء الحارثي ومعهم عبدالله بن عبّاس يصلى بهم ، وأوصى شريحا بموعظة عمر ، فلما سمعها قال متى كنت أقبل مشورة عليّ وأعتدّ برأيه ؟ قال وما يمنعك أن تقبل من سيد المسلمين ، وأساء الردّ عليه فسكت عنه . وبعث معاوية عمرو بن العاص في أربعمائة من أهل الشام والتقوا بأذرح من دومة الجندل ، فكان أصحاب عمرو أطوع من أصحاب ابن عباس لابن عبّاس ، حتى لم يكونوا يسألوه عن كتاب معاوية اذا جاءه ، ويسأل أهل العراق ابن عبّاس ويتهمونه ، وحضر مع الحكمين :

عبدالله بن عمّر ، وعبد الرحمن بن أبي بكر ، وعبدالله بن الزبير ، وعبد الرحمن ابن الحرث بن هشام ، وعبد الرحمن بن عبديغوث الزهري ، وأبو جهم بن حذيفة العدويّ ، والمغيرة بن شعبة ، وسعد بن أبي وقّاص على خلاف فيه ، وقيل قدم على حضوره فأحرم بعمرة من بيت المقدس .

ولما اجتمع الحكمان قال عمرو لأبي موسى : أتعلم أنّ عثمان قتل مظلوما وأنّ معاوية وقومه أولياؤه ، قال : بلى ، قال : فما يمنعك منه وهو في قريش كما علمت وإن قصّرت به السابقة قدّمه حسن السياسة وأنه صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكاتبه وصاحبه والطالب بدم عثمان وعرّض بالولاية ، فقال أبو موسى : يا عمرو اتق الله واعلم أنّ هذا الأمر ليس بالشرف وإلاّ لكان لآل أبرهة بن الصبّاح وإنمّا هو بالدين والفضل مع أنّه لو كان بشرف قريش لكان لعلي بن أبي طالب وما كنت لأرى لمعاوية طلبه دم عثمان وأوليه وأدع المهاجرين الأوّلين . وأما تعريضك بالولاية فلو خرج لي معاوية عن سلطانه ما وليته وما أرتشي في حكم الله ، ثم دعاه إلى تولية عبدالله بن عمر ، فقال له عمرو : فما يمنعك من ابني وهو من علمت ؟ فقال : هو رجل صدق ولكنك غمسته في الفتنة ، فقال عمرو : إنّ هذا الأمر لا يصلح إلاّ لرجل له ضرس يأكل ويطعم . وكانت في ابن عمر غفلة وكان ابن الزبير بازائه فنبهه لما قال ، فقال ابن عمر : لا أرشو عليها أبداً . ثم قال أبو موسى : يا ابن العاص إنّ العرب أسندت أمرها إليك بعد المقارعة بالسيوف فلا تردّنهم في فتنة ، قال له : فخبّرني ما رأيك ، قال : أرى أن نخلع الرجلين ونجعل الأمر شورى يختار المسلمون لأنفسهم . فقال عمرو : والرأي ما رأيت .

ثم أقبلوا على الناس وهم ينتظرونهم ، وكان عمرو قد عوّد أبا موسى أن يقدّمه في الكلام لما له من الصحبة والسنّ ، فقال : يا أبا موسى أعلمهم أنّ رأينا قد اتفق ، فقال : إنّا رأينا أمراً نرجو الله أن يصلح به الأمة ، فقال له ابن عبّاس : ويحك أظنه خدعك فاجعل له الكلام قبلك ، فأبى وقال : أيها الناس إنا نظرنا في أمر الأمة فلم نر أصلح لهم مما اتفقنا عليه وهو أن نخلع عليا ومعاوية ويولّي الناس أمرهم من أحبّوا واني قد خلعتهما فولوا من رأيتموه أهلا ، فقال عمرو : إنّ هذا قد خلع صاحبه وقد خلعته كما خلعه وأثبتّ معاوية فهو ولّي ابن عفّان وأحق الناس بمقامه . ثم غدا ابن عبّاس وسعد على ابي موسى باللائمة فقال : ما أصنع غدرني ورجع باللائمة على

٤

عمرو وقال لا وفقك الله غدرت وفجرت . وحمل شريح على عمرو فضربه بالسيف[١] وضربه ابن عمر كذلك ، وحجز الناس بينهم ، فلحق أبو موسى بمكّة وانصرف عمرو وأهل الشام إلى معاوية فسلموا عليه بالخلافة ، ورجع ابن عبّاس وشريح إلى عليّ بالخبر فكان يقنت اذا صلّى الغداة ويقول اللهم إلعن معاوية وعمرا وحبيبا وعبد الرحمن بن مخلد والضحّاك بن قيس والوليد وأبا الأعور ، وبلغ ذلك معاوية فكان إذ اقنت يلعن عليًّا وابن عبّاس والحسن والحسين والأشتر[٢] .

أمر الخوارج وقتالهم

ولما اعتزم عليّ أن يبعث أبا موسى للحكومة أتاه زُرعة بن البَرح الطائي وحرقوص بن زهير السعديّ من الخوارج وقالا له : تب من خطيئتك وارجع عن قضيّتك واخرج بنا إلى عدوّنا نقاتلهم ، وقال عليّ : قد كتبنا بيننا وبينهم كتابا وعاهدناهم ، فقال حرقوص : ذلك ذنب تنبغي التوبة منه ، فقال عليّ : ليس بذنب ولكنه عجز من الرأي ، فقال زرعة : لئن لم تدع تحكيم الرجال لأقاتلنك أطلب وجه الله ، فقال عليّ : بؤسا لك كأني بك قتيلا تسفى عليك الرياح ، قال : وددت لو كان ذلك . وخرجا من عنده يناديان لا حكم إلاّ لله ، وخطب عليّ يوما فتنادوا من جوانب المسجد بهذه الكلمة ، فقال عليّ : الله أكبر كلمة حق أريد بها باطل ، وخطب ثانيا فقالوا كذلك ، فقال : أما آن لكم عندنا ثلاثا ما صحبتمونا لا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها إسمه ولا الفيء ما دمتم معنا ولا نقاتلكم حتى تبدؤنا وننتظر فيكم أمر الله .

ثم اجتمع الخوارج في منزل عبدالله بن وهب الراسبي[٣] فوعظهم وحرّضهم على الخروج إلى بعض النواحي لإنكار هذه البدع ، وتبعه حرقوص بن زهير في المقالة ، فقال حمزة بن سنان الأسدي[٤] : الرأي ما رائتم لكن لا بدّ لكم من أمير وراية ، فعرضوها على زيد بن حصين الطائي ، ثم حرقوص بن زهير ، ثم حمزة بن سنان ، ثم

(١) وفي النسخة البازيسية : بالسوط .
(٢) قال ابن كثير في تاريخه : ان هذا لم يصحّ اهـ ولعلّ الدعاء كان لغير اللعن . قاله نصر .
(٣) وفي النسخة البازيسية : عبدالله بن وهيب الراسي .
(٤) وفي نسخة اخرى : حمزه بن سنان الأزديّ .

شريح بن أوفى العنسي فأبوا كلّهم . ثم عرضوها على عبدالله بن وهب فأجاب فبايعوه لعشر خلون من شوّال ، وكان يقال له ذو الثفنات . ثم اجتمعوا في منزل شريح وتشاوروا . وكتب ابن وهب إلى أهل البصرة منهم يستحشدهم [1] على اللحاق بهم ، ولما اعتزموا على السير تعبدوا ليلة الجمعة ويومها ساروا ، فخرج معهم طرفة بن عديّ بن حاتم الطائيّ ، واتبعه أبوه إلى المدائن فلم يقدر عليه فرجع ولقيه عبدالله بن وهب في عشرين فارسا وأراد قتله فمنعه من كان معه من طيء .

وأرسل عليّ إلى عامل المدائن سعد بن مسعود بخبرهم فاستخلف ابن أخيه المختار بن عبيد وسار في طلبهم في خمسمائة فارس ، فتركوا طريقهم وساروا على بغداد ولحقهم سعد بالكرخ مساء ، وجاءه عبدالله في ثلاثين فارسا وقاتلهم وامتنعوا ، وأشار أصحابه بتركهم [2] إلى أن يأتي فيهم أمر عليّ فأبى ، ولما جنّ عليهم الليل عبر عبدالله إليهم دجلة وسار إلى أصحابه بالنهروان ، واجتمعت خوارج البصرة في خمسمائة رجل عليهم مُسعر بن فدكي التميميّ واتبعهم أبو الاسود الدؤليّ بأمر ابن عبّاس ولحقهم فاقتتلوا حتى حجز بينهم الليل ، فأدلج مُسعر بأصحابه فلحق بعبدالله بن وهب بالنهروان ، ولما خرجت الخوارج بايع عليّ أصحابه على قتالهم ، ثم انكر [3] شأن الحكمين وخطب الناس وقال بعد الحمدلله والموعظة : ألا إنّ هذين الحكمين نبذا حكم القرآن واتبع كل واحد هواه واختلفا في الحكم وكلاهما لم يرشد ، فاستعدّوا للسير إلى الشام . وكتب إلى الخوارج بالنهروان بذلك واستحثهم للمسير إلى العدّو وقال : نحن على الأمر الأوّل الذي كنّا عليه . فكتبوا إليه : إنّك غضبت لنفسك ولم تغضب لربّك فان شهدت على نفسك بالكُفر وتبت نظرنا بيننا وبينك وإلاّ فقد نابذناك على السواء .

فيئس عليّ منهم ورأى أن يمضي إلى الشام ويدعهم ، وقام في الناس يحرّضهم لذلك ، وكتب إلى ابن عبّاس من معسكره بالنُخيلة يأمره بالشخوص بالعساكر والمقام إلى أن يأتي أمره ، فأشخص ابن عبّاس الأحنف بن قيس في ألف وخمسمائة ، ثم خطب ثانية وندب الناس وقال : كيف ينفر هذا العدد القليل وأنتم

(١) وفي نسخة اخرى : يستحث بهم .
(٢) وفي النسخة البارنسية : وأمر أصحابه فتركهم .
(٣) وفي النسخة البارنسية : ثم بلغه شأن الحكمين .

ستون ألف مقاتل ! ثم تهدّدهم وأمرهم بالنفير مع جارية بن قدامة السعدي ، فخرج معه ألف وستمائة[1] ووافوا عليّا في ثلاثة آلاف ويزيدون . ثم خطب أهل الكوفة ولاطفهم بالقول وحرّضهم وأخبرهم بما فعل أهل البصرة مع كثرتهم وقال ليكتب إليّ كل رئيس منكم ما في عشيرته من المقاتلة من أبنائهم ومواليهم ، فأجابه سعيد بن قيس الهمداني ومعقل بن قيس وعديٌّ بن حاتم وزياد بن خصفة وحُجر بن عديّ وأشراف الناس بالسمع والطاعة ، وأمروا ذويهم ألاّ يتخلّف منهم أحد ، فكانوا أربعين ألف مقاتل وسبعة عشر ممن بلغ الحلم ، وانتهت عساكره إلى ثمانية وستين ألفا .

وبلغه أنّ الناس يرون تقديم الخوارج فقال لهم : إنّ قتال أهل الشام أهم[2] علينا لأنّهم يقاتلونكم ليكونوا ملوكا جبارين ويتخذوا عباد الله خولا فرجعوا إلى رأيه وقالوا : سر بنا إلى حيث شئت . وبينما هو على اعتزام السير إلى أهل الشام بلغه أنّ خوارج أهل البصرة لقوا عبدالله بن خباب من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم قريبا من النهروان فعرّفهم بنفسه ، فسألوه عن أبي بكر وعمر فأثنى خيرا ، ثم عن عثمان في أول خلافته وآخرها فقال : كان محقا في الأوّل والآخر ، فسألوه عن عليّ قبل التحكيم وبعده ، فقال : هو أعلم بالله وأشدّ توقياً على دينه ، فقالوا : إنك توالي الرجال على أسمائها ، ثم ذبحوه وبقروا بطن امرأته ثم قتلوا ثلاث نسوة من طيء . فأسف عليًّا قتلهم عبدالله بن خباب واعتراضهم الناس ، فبعث الحرث بن مرّة العبدي لينظر فيما بلغه عنهم فقتلوه ، فقال له أصحابه : كيف ندع هؤلاء ونأمن غائلتهم في أموالنا وعيالنا إنّما نقدّم أمرهم على الشام ، وقام الأشعث بن قيس بمثل ذلك فوافقهم عليّ وسار إليهم ، وبعث من يقول لهم ادفعوا إلينا قتلة إخواننا منكم فنكف عنكم حتى نرجع من قتال العرب[3] لعل الله يردكم إلى خير ، فقالوا : كلّنا قتلهم وكلنا مستحل دماءكم ودماءهم ، ثم جاءهم قيس بن سعد ووعظهم وأبو أيوب الأنصاري كذلك .

ثم جاءهم عليّ فتهدّدهم وسفّه رأيهم ويريهم[4] شأن الحكمين وأنهما لما خالفا حكم

---

(١) وفي النسخة الباريسية : الف وسبعمائة .

(٢) وفي النسخة الباريسية : أحب علينا .

(٣) يعني المؤرخ قتال اهل الشام .

(٤) وفي نسخة اخرى : بيّن هم .

الكتاب والسنّة نبذنا أمرهما ونحن على الأمر الأول فقالوا : إنا كفرنا بالتحكيم وقد تبنا فان تبت أنت فنحن معك وان أبيت فقد نابذناك ، فقال : كيف أحكم على نفسي بالكفر بعد إيماني وهجرتي وجهادي ثم انصرف عنهم . وقيل إنَّ عليًّا خطبهم وأغلظ عليهم فيما فعلوه من الاستعراض والقتل فتنادوا لا تكلموهم وتأهّبوا للقاء الله . ثم قصدوا جسر الخوارج ولحقهم عليّ دونه ، وقد عبّى أصحابه : وعلى ميمنته حجر بن عديّ وعلى ميسرته شبث بن ربعي أو معقل بن قيس وعلى الخيل أبو أيوب وعلى الرجالة أبو قتادة وعلى أهل المدينة سبعمائة أو ثمانمائة قيس بن سعد . وعبأت نحوه الخوارج : على ميمنتهم زيد بن حصين الطائي وعلى الميسرة شريح بن أوفى العنسي[١] وعلى الخيل حمزة بن سنان الأسدي وعلى الرجالة حرقوص بن زهير . ودفع عليّ إلى أبي أيوب راية أماناً لهم لمن جاءها ممن لم يقتل ولم يستعرض فناداهم إليها وقال : من انصرف الى الكوفة والمدائن فهو آمن . فاعتزل عنهم فروة بن نوفل الأشجعيّ في خمسمائة وقال أعتزل حتى يتضح لي أمر في قتال عليّ فنزل الدسكرة ، وخرج آخرون إلى الكوفة ، ورجع آخرون إلى عليّ وكانوا أربعة آلاف ، وبقي منهم ألف وثمانمائة فحمل عليهم عليّ والناس حتى فرّقهم[٢] على الميمنة والميسرة . ثم استقبلتهم الرماة وعطفت عليهم الخيل من المجنبتين ونهض إليهم الرجال بالسلاح فهلكوا كلهم في ساعة واحدة كأنما قيل لهم موتوا ، وقتل عبدالله بن وهب وزيد بن حصن وحرقوص بن زُهير وعبدالله بن شجرة وشريح بن أوفى . وأمر عليّ أن يلتمس المخدج في قتلاهم وهو الذي ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم في علاماتهم فوجد في القتلى فاعتبر[٣] عليّ وكبر واستنصر الناس ، وأخذ ما في عسكرهم من السلاح والدواب فقسمه بين المسلمين وردّ عليهم المتاع والإماء والعبيد . ودفن عدي بن حاتم ابنه طرفة ورجالا من المسلمين فنهى علي عن ذلك ، وارتحل ولم يفقد من أصحابه إلاّ سبعة أو نحوهم .

وشكا إليه الناس الكلال ونفود السهام والرماح وطلبوا الرجوع إلى الكوفة ليستعدوا

---

(١) وفي النسخة الباريسية : العبسي .

(٢) وفي النسخة الباريسية : فحملوا على الناس حتى فرّقوهم .

(٣) الاصح ان يقول استعبر (من العبرة)

فإنه أقوى على القتال[1] ، وكان الذي تولي كلامه الأشعث بن قيس فلم يجبه ، وأقبل فنزل ومنعهم من دخول منازلهم حتى يسيروا إلى عدوّهم ، فتسللوا أيام المقامة إلى البيوت وتركوا المعسكر خاليا فلما رأى عليّ ذلك دخل ثم ندبهم ثانيا فلم ينفروا ، فأقام أياما ثم كلّم رؤساءهم على رأيهم والذي يبطىء بهم فلم ينشط من ذلك إلاّ القليل ، فخطبهم وأغلظ في عتابهم وأعلمهم بما له عليهم من الطاعة في الحق والنصح فتثاقلوا وسكتوا .

ولاية عمرو بن العاص مصر

قد تقدّم لنا ما كان من اجتماع العثمانية بنواحي مصر مع معاوية بن حُديج السكوني ، وإن محمد بن أبي بكر بعث إليهم العساكر من الفسطاط مع ابن مضاهم[2] فهزموه وقتلوه ، واضطربت الفتنة بمصر على محمد بن أبي بكر ، وبلغ ذلك عليًّا فبعث إلى الأشتر من مكان عمله بالجزيرة وهر نصيبين فبعثه على مصر وقال : ليس لها غيرك . وبلغ الخبر إلى معاوية وكان قد طمع في مصر فعلم أنها ستتمنع بالأشتر ، وجاء الأشتر فنزل على صاحب الخراج بالقُلْزُم فمات هنالك ، وقيل إنّ معاوية بعث إلى صاحب القُلْزُم فسمَّه على أن يسقط عنه الخراج وهذا بعيد . وبلغ خبر موته عليًّا فاسترجع واسترحم وكان محمد بن أبي بكر لما بلغته ولاية الأشتر شق عليه فكتب عليّ يعتذر إليه وأنّه لم يولّه لسوء رأي في محمد وإنّما هو لما كان يظن فيه من الشدّة ، وقد صار إلى الله ونحن عنه راضون فرضي الله عنه وضاعف له الثواب ، فاصبر لعدوّك وشمّر للحرب وادع الى سبيل ربّك بالحكمة والموعظة الحسنة وأكثر من ذكر الله والاستعانة به والخوف منه يكفيك ما أهمَّك ويعينك على ما ولاّك . فأجابه محمد بالرضى برأيه والطاعة لأمره ، وأنه مزمع على حرابة من خالفه .

ثم لمّا كان من أمر الحكمين ما كان واختلف أهل العراق على عليّ ، وبايع أهل الشام معاوية بالخلافة ، فاراد معاوية صرف عمله[3] إلى مصر لما كان يرجو من الإستعانة على حروبه بخراجها ، ودعا بطانته أبا الأعور السلميّ وحبيب بن مسلمة وبسر بن

---

(١) وفي النسخة الباريسية : أقوى على العدو .

(٢) هو ابن مضاهم الكلبي .

(٣) وفي النسخة الباريسية : فازداد معاوية وصرف همه .

أرطأة والضحّاك بن قيس وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد وشرحبيل بن السمط وشاورهم في شأنها ، فأشار عليه عمرو بافتتاحها وأشار ببعث الجيش مع حازم صارم يوثق ويجتمع إليه من كان على رأيه من العثمانية ، وقال معاوية : بل الرأي أن نكاتب العثمانيّة بالوعد ونكاتب العدو بالصلح والتخويف ونأتي الحرب من بعد ذلك ، ثم قال معاوية : إنك يا ابن العاص بورك لك في العجلة وأنا في التؤدة ، فقال : أفعل ما تراه وأظن الأمر لا يصير إلا للحرب . فكتب معاوية إلى معاوية بن حُديج ومسلمة بن مُخلد يشكرهما على الخلاف ، ويحثهما على الحرب والقيام في دم عثمان ، وفرحا بجوابهما[1] فطلب المدد فجمع أصحابه وأشاروا بذلك ، فأمر عمرو بن العاص أن يتجهز إلى مصر في ستة آلاف رجل ووصّاه بالتؤدة وترك العجلة ، فنزل أدنى أرض مصر واجتمعت إليه العثمانيّة ، وبعث كتابه وكتاب معاوية إلى محمد بن أبي بكر بالتهديد وأنّ الناس اجتمعوا عليك وهم مسلموك فاخرج ، فبعث بالكتابين إلى عليّ فوعده بانفاذ[2] الجيوش وأمره بقتال العدوّ والصبر.

فقدّم محمد بن أبي بكر كنانة بن بشر في ألفين ، فبعث معاوية عمرو بن حُديج[3] وسرّحه في أهل الشام فأحاطوا بكنانة ، فترجل عن فرسه وقاتل حتى استشهد . وجاء الخبر الى محمد بن أبي بكر فافترق عنه أصحابه وفرّوا ، وآوى في مفرّه إلى خربة واستتر في تلك الخربة ، فقبض عليه فأخذه ابن حديج وجاء به إلى الفسطاط ، وطلب أخوه عبد الرحمن من عمرو أن يبعث إلى ابن حُديج في البقاء عليه فأبى ، وطلب محمد الماء فمنعه ابن حُديج جزاءً بما فعل بعثمان ، ثم احرقه في جوف حمار بعد أن لعنه ودعا عليه وعلى معاوية وعمرو . وكانت عائشة تقنت في الصلاة بالدعاء على قتلته . ويقال إنه لما انهزم اختفى عند جبلة بن مسروق حتى أحاط به معاوية بن حُديج[4] وأصحابه ، فخرج إليهم فقاتل حتى قتل .

ولما بلغ الخبر عليًّا خطب الناس وندبهم الى أعدائهم وقال : اخرجوا بنا الى الجزعة بين الحيرة والكوفة . وخرج من الغد إلى منتصف النهار يمشي إليها حتى نزلها فلم يلحق

---

(١) وفي النسخة الباريسية : وجاء جوابهما .

(٢) وفي النسخة الباريسية : بانقياد .

(٣) وفي النسخة الباريسية : فبعث عمرو معاوية بن حديج .

(٤) اي من الشاميين والمصريين الذين قتلوا محمد بن ابي بكر اهـ (ابن كثير)

به أحد ، فرجع من العشي وجمع أشراف الناس ووبّخهم فأجاب مالك بن كعب الأرحبيّ في ألفين ، فقال سر وما أراك تدركهم فسار خمسا ، ولقي[1] حجّاج بن عرفة الأنصاري قادما من مصر فأخبره بقتل محمد ، وجاء إلى عليّ عبد الرحمن بن شبث الفزاريّ وكان عيناً له بالشام ، فأخبره بقتل محمد واستيلاء عمرو على مصر ، فحزن لذلك ، وبعث الى مالك بن كعب[2] أن يرجع بالجيش وخطب الناس فأخبرهم بالخبر وعذلهم على ما كان منهم من التثاقل حتى فات هذا الأمر ووبّخهم طويلا ثم نزل .

دعاء ابن الحضرمي بالبصرة لمعاوية ومقتله

ولما فتح معاوية مصر بعث عبدالله بن الحضرمي إلى البصرة داعيا لهم وقد آنس منهم الطاعة بما كان من قتل عليّ اباهم يوم الجمل وأنهم على رأيه في دم عثمان ، وأوصاه بالنزول في مصر يتودّد إلى الأزد وحذّره من ربيعة وقال إنّهم ترائبه يعني شيعة لعليّ . فسار ابن الحضرمي حتى قدم البصرة . وكان ابن عبّاس قد خرج إلى عليّ واستخلف عليها زياداً ، ونزل في بني تميم واجتمع إليه العثمانيّة فحضهم على الطلب بدم عثمان من عليّ ، فقال الضحّاك بن قيس الهلاليّ : قبّح الله ما جئت به وما تدعو إليه تحملنا على الفرقة بعد الاجتماع وعلى الموت ليكون معاوية أميراً ؟ فقال له عبدالله بن حازم السلمي : اسكت فلست لها بأهل . ثم قال لابن الحضرميّ : نحن أنصارك ويدك والقول قولك ، فقرأ كتاب معاوية يدعوهم إلى رأيه من الطلب بدم عثمان على أن يعمل فيهم بالسنّة ويضاعف لهم الأعطية . فلما فرغ من قراءته قام الأحنف بن قيس معتزلا وحض عمر بن مرحوم على لزوم البيعة والجماعة ، وقام العبّاس بن حُجر في مناصرة ابن الحضرميّ ، فقال له المثنى بن مخرمة لا يغرنّك ابن صحّار وارجع من حيث جئت ، فقال ابن الحضرمي لصبرة بن شيمان الأزدي ألا تنصرني ؟ قال : لو نزلت عندي فعلت . ودعا زياد أمير البصرة حُصين بن المنذور ومالك بن مسمع ورؤوس بكر بن وائل إلى المنعة من ابن الحضرمي إلى أن يأتي أمر عليّ ، فأجاب حُصين وتثاقل مالك وكان هواه في بني أميّة ، فأرسل زياد الى صبرة بن شيمان يدعوه

(١) وفي نسخة ثانية : ولحق .
(٢) وفي النسخة الباريسية : كعب بن مالك .

إلى الجوار[١] بما معه من بيت المال[٢] فقال : إن حملته إلى داري أجرتك فتحول إليه ببيت المال والمنبر ، وكان يصلي الجمعة في مسجد قومه ، وأراد زياد إختبارهم فبعث إليهم من ينذرهم بمسيره بهم اليهم ، وأخذ زياد جندا منهم بعد صبره لذلك وقال : إن جاؤا جئناهم ، وكتب زياد إلي عليّ بالخبر فأرسل أعين بن ضبيعة[٣] ليفرّق تميما عن ابن الحضرمي ويقاتل من عصاه بمن أطاعه ، فجاء لذلك وقاتلهم يوما أو بعض يوم ، ثم اغتاله قوم فقتلوه يقال من الخوارج .

ولاية زياد على فارس

ولما قتل ابن الحضرمي بالبصرة والناس مختلفون على عليّ طمع أهل النواحي من بلاد العجم في كسر الخراج ، وأخرج أهل فارس عاملهم سهل بن حنيف ، فاستشار عليّ الناس فأشار عليه جارية بن قدامة[٤] بزياد فأمر ابن عبّاس أن يولّيه عليها ، فبعثه إليها في جيش كثيف فطوى بهم أهل فارس وضرب ببعضهم بعضا وهرب قوم وأقام آخرون ، وصفت له فارس بغير حرب . ثم تقدّم إلى كرمان فدوّخها مثل ذلك فاستقامت وسكن الناس ، ونزل اصطخر وسكن قلعة بها تسمّى قلعة زياد[٥] .

فراق ابن عبّاس لعلي رضي الله عنهم

وفي سنة اربعين فارق عبدالله بن عبّاس عليًّا[٦] ولحق بمكة ، وذلك أنه مرّ يوما بأبي الأسود[٧] ووبّخه على أمر ، فكتب أبو الأسود إلى عليّ بأنّ ابن عبّاس استتر بأموال الله فأجابه عليّ يشكره على ذلك وكتب لابن عبّاس ولم يخبره بالكاتب ، فكتب اليه

---

(١) وفي نسخة اخرى : الجدار .

(٢) وفي الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ٣٦١ : فارسل الى صبره بن شيمان الحدّاني الأزدي يطلب أن يجيره وبيت مال المسلمين .

(٣) كذا بالاصل وفي الكامل ج ٣ ص ٣٦٢ . وفي النسخة الباريسية : ابن صعصعة .

(٤) وفي النسخة الباريسية : حارثة بن قادمة وفي الكامل جارية بن قادمة السعدي .

(٥) وفي نسخة اخرى : زيّار .

(٦) وفي النسخة الباريسية : البصرة .

(٧) وفي النسخة الباريسية : بابي الحسن .

بكذب ما بلغه من ذلك وانه ضابط للمال[١] حافظ له ، فكتب إليه عليّ أعلمني ما أخذت ومن أين أخذت وفيما صنعت[٢] ؟ فكتب إليه ابن عبّاس فهمت استعظامك لما رفع إليك اني رزأته من هذا المال فابعث إلى عملك من أحببت فاني ظاعن عنه واستدعى أخواله من بني هلال ، فجاءته قيس كلها ولم يبعث الأموال[٣] وقال : هذه أرزاقنا ، وأتبعه أهل البصرة ووقفت دونه قيس . فرجع صبرة بن شيمان الهمداني بالأزد وقال قيس : إخواننا وهم خير من المال فأطيعوني ، وانصرف معهم بكر وعبد القيس ثم انصرف الأحنف بقومه من بني تميم وحجز بقية تميم عنه ، ولحق ابن عبّاس بمكة .

مقتل علي

قتل عليّ رضي الله عنه سنة أربعين لسبع عشرة من رمضان وقيل لإحدى عشرة وقيل في ربيع الآخر والأوّل أصح ، وكان سبب قتله أنّ عبد الرحمن بن مُلجم المَراديّ والبرك[٤] بن عبدالله التميميّ الصُريميّ واسمه الحجّاج وعمرو بن بكر التميمي السعديّ ، ثلاثتهم من الخوارج لحقوا من فِلّهم بالحجاز ، واجتمعوا فتذاكروا ما فيه الناس وعابوا الولاة وترحّموا على قتلى النهروان ، وقالوا : ما نصنع بالبقاء بعدهم فلو شرينا أنفسنا وقتلنا أئمة الضلال وأرحنا منهم الناس ، فقال ابن ملجم وكان من مصر : أنا أكفيكم عليًّا ، وقال البُرك : أنا أكفيكم معاوية ، وقال عمرو بن بكر التميمي : أنا أكفيكم عمرو بن العاص . وتعاهدوا أن لا يرجع أحد عن صاحبه حتى يقتله أو يموت . واتّعدوا لسبع عشرة من رمضان وانطلقوا ، ولقي ابن ملجم أصحابه بالكوفة فطوى خبره عنهم ، ثم جاء إلى شبيب بن شجرة من أشجع ودعاه إلى الموافقة[٥] في شأنه ، فقال شبيب ثكلتك أمك فكيف تقدر على قتله . قال : أكمن له في المسجد في صلاة الغداة فان قتلناه وإلاّ فهي الشهادة ، قال : ويحك لا

(١) وفي النسخة الباريسية : وانه بريء ضابط للمال .
(٢) وفي نسخة ثانية : وضعت
(٣) وفي نسخة ثانية : فحمل المال .
(٤) البرك على وزن صرد كذا خطه الحافظ اهـ . (تاج العروس)
(٥) وفي النسخة الباريسية : المرافقة .

أجدني أنشرح لقتله مع سابقته وفضله ، قال : ألم يقتل العباد الصالحين أهل النهروان ؟ قال : بلى . قال : فنقتله بمن قتله منهم ، فأجابه : ثم لقي امرأة من تيم الرباب فائقة الجمال قتل أبوها وأخوها يوم النهروان ، فأخذت قلبه فخطبها فشرطت عليه عبداً وقينة وقتل عليّ ، فقال كيف يمكن ما أنت تريدين ؟ قالت التمس غرّته فان قتلته شفيت النفوس وإلاّ فهي الشهادة . قال : والله ما جئت إلا لذلك ولك ما سألت ، قالت : سأبعث معك من يشدّ ظهرك ويساعدك ، وبعثت معه رجلا من قومها إسمه وردان .

فلما كانت الليلة التي واعد ابن ملجم أصحابه على قتل عليّ وكانت ليلة الجمعة جاء إلى المسجد ومعه شبيب ووردان وجلسوا مقابل السدّة التي يخرج منها علي للصلاة ، فلما خرج ونادى للصلاة علاه شبيب بالسيف فوقع بعضادة الباب ، وضربه ابن ملجم على مقدّم رأسه ، وقال : الحكم لله لا لك يا عليّ ولا لأصحابك . وهرب وردان إلى منزله وأخبر بعض أصحابه بالأمر فقتله . وهرب شبيب مُغلسا . وصاح الناس به فلحقه رجل من حضرموت فأخذه وجلس عليه والسيف في يد شبيب والناس قد أقبلوا في طلبه ، وخشي الحضرمي على نفسه لاختلاط الغلس فتركه وذهب في غمار الناس ، وشدّ الناس على ابن ملجم واستخلف عليّ على الصلاة جعدة بن هبيرة وهو ابن أخته أم هانيء فصلّى الغداة بالناس ، وأدخل ابن ملجم مكتوفا على عليّ فقال : أي عدوّ الله ما حملك على هذا ؟ قال : شحذته أربعين صباحا وسألت الله أن يقتل به شرّ خلقه ، فقال : أراك مقتولا به . ثم قال إن هلكت فاقتلوه كما قتلني وان بقيت رأيت فيه رأيي ، يا بني عبد المطلب لا تُحرضّوا على دماء المسلمين وتقولوا قتل أمير المؤمنين لا تقتلوا إلا قاتلي ، يا حسن إن أنا متّ من ضربتي هذه فاضربه بسيفه ولا تمثلنّ بالرجل فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إياكم والمثلة . وقالت أمّ كلثوم لابن ملجم وهو مكتوف وهي تبكي : أي عدوّ الله إنه لا بأس على أبي والله مخزيك قال : فعلام تبكين ؟ والله لقد شريته بألف وصقلته أربعين ولو كانت هذه الضربة بأهل بلد ما بقي منهم أحد . وقال جندب بن عبدالله لعليّ أنبايع الحسن إن فقدناك ؟ قال : ما آمركم به ولا أنهاكم أنتم أبصر ، ثم دعا الحسن والحسين ووصّاهما قال : أوصيكما بتقوى الله ولا تبغيا الدنيا وان

بغتكما ولا تأسفا على شيء زوى منها عنكما[1] وقولا الحق وارحما اليتيم وأعينا الضائع[2] وكونا للظالم خصما وللمظلوم ناصرا واعملا بما في كتاب الله ولا تأخذكما في الله لومة لائم . ثم قال لمحمد بن الحنفية : اني اوصيك بمثل ذلك وبتوقير أخويك لعظيم حقهما عليك ولا تقطع أمرا دونهما ، ثم وصّاهما بابن الحنفية ، ثم أعاد على الحسن وصيته . ولما حضرته الوفاة كتب وصيّته العامة ولم ينطق إلا بلا إله إلا الله حتى قبض .

فأحضر الحسن ابن ملجم فقال له : هل لك في البقاء عليّ واني قد عاهدت الله أن أقتل عليًّا ومعاوية واني عاهدت الله على الوفاء بالعهد فخلّ بيني وبين ذلك فإن قتلته وبقيت فلك عهد الله أن آتيك ، فقال : لا والله حتى تعاين النار ثم قدّمه فقتله .

وأما البُرك فإنه قعد لمعاوية تلك الليلة فلما خرج للصلاة ضربه بالسيف في إليته وأخذ فقال : عندي بشرى[3] اتنفعني ان أخبرتك بها قال : نعم . قال : إنّ أخا لي قتل عليًّا هذه الليلة ، قال : فلعله لم يقدر عليه ، قال : بلى إنّ عليًّا ليس معه حرس ، فأمر به معاوية فقتل ، وأحضر الطبيب فقال : ليس إلا الكي أو شربة تقطع منك الوُلد . فقال : في يزيد وعبدالله ما تقرّ به عيني والنار لا صبر لي عليها ، وقد قيل إنّه أمر بقطع البُرك فقطع وأقام إلى أيام زياد فقتله بالبصرة ، وعند ذلك اتخذ معاوية المقصورة وحرس الليل وقيام الشرط على رأسه إذا سجد . ويقال إنّ أوّل من اتخذ المقصورة مروان بن الحكم سنة أربع واربعين حين طعنه اليمانيّ .

وأمّا عمرو بن بكر فإنّه جلس لعمرو بن العاص تلك الليلة فلم يخرج وكان اشتكى فأمر صاحب شرطته خارجة بن ابي حبيبة بن عامر بن لؤيّ يصلي بالناس فشدّ عليه فضربه فقتله وهو يرى أنه عمرو بن العاص ، فلما أخذوه وأدخلوه على عمرو قال فمن قتلت إذا ؟ قالوا خارجة فقال : لعمرو بن العاص والله ما ظننته غيرك ! فقال عمرو : وأردت عمرا واراد الله خارجة . وأمر بقتله .

وتوفي عليّ رضي الله عنه وعلى البصرة عبدالله بن عبّاس وعلى قضائها ابو الأسود الدؤلي وعلى فارس زياد بن سميّة وعلى اليمن عبيدالله بن العبّاس حتى وقع أمر بسر بن

(١) وفي النسخة الباريسية : ولا تبكيا منها على شيء رزى عنكما

(٢) وفي النسخة الباريسية : واضنعا لله .

(٣) وفي النسخة الباريسية : مسرّة .

أبي أرطأة ، وعلى مكّة والطائف قثم بن عبّاس وعلى المدينة أبو أيوب الأنصاري وقيل سهل بن حنيف .

بيعة الحسن وتسليمه الأمر لمعاوية

ولما قتل عليّ رضي الله عنه اجتمع أصحابه فبايعوا ابنه الحسن ، وأوّل من بايعه قيس ابن سعد وقال : ابسط يدك على كتاب الله وسنّة رسوله وقتال الملحدين . فقال الحسن على كتاب الله وسنة رسوله . ويأتيان على كل شرط . ثم بايعه الناس فكان يشترط عليهم انكم سامعون مطيعون تسالمون من سالمت وتحاربون من حاربت ، فارتابوا وقالوا : ما هذا لكم بصاحب وما يريد القتال .

وبلغ الخبر بمقتل عليّ إلى معاوية فبويع بالخلافة ودعي بأمير المؤمنين ، وقد كان بويع بها بعد اجتماع الحكمين . ولأربعين ليلة بعد مقتل علي مات الأشعث بن قيس الكندي من أصحابه ، ثم مات من أصحاب معاوية شرحبيل بن السمط الكندي .

وكان عليّ قبل قتله قد تجهز بالمسلمين إلى الشام ، وبايعه أربعون ألفا من عسكره على الموت ، فلما بويع الحسن زحف معاوية في أهل الشام إلى الكوفة فسار الحسن في ذلك الجيش للقائه وعلى مقدّمته قيس بن سعد في اثني عشر الفا ، وقيل بل كان عبدالله بن عبّاس على المقدّمة وقيس في طلائعه . فلّما نزل الحسن في المدائن شاع في العسكر أنّ قيس بن سعد قتل ، واهتاج الناس وماج بعضهم في بعض وجاؤا إلى سرادق الحسن ونهبوا ما حوله حتى نزعوه بساطه الذي كان عليه واستلبوه رداءه وطعنه بعضهم في فخذه . وقامت ربيعة وهمدان دونه واحتملوه على سرير إلى المدائن ودخل الى القصر وكاد أمره أن ينحلّ ، فكتب إلى معاوية يذكر له النزول عن الأمر على أن يعطيه ما في بيت المال بالكوفة ومبلغه خمسة آلاف ألف ، ويعطيه خراج دارابجرد من فارس والاّ يشتم عليًّا وهو يسمع ، وأخبر بذلك أخوه الحسين وعبدالله بن جعفر وعذلاه فلم يرجع اليهما . وبلغت صحيفته إلى معاوية فأمسكها وكان قد بعث عبدالله بن عامر وعبدالله بن سمرة الى الحسن ومعهما صحيفة بيضاء ختم في أسفلها وكتب إليه أن اشترط في هذه الصحيفة ما شئت فهو لك فاشترط فيها أضعاف ما كان في الصحيفة ، فلما سلم له وطالبه في الشروط أعطاه ما في الصحيفة الاولى وقال هو الذي

طلبت[1] . ثم نزعه أهل البصرة خراج دار ابجرد وقالوا : هو فيئنا لا نعطيه . وخطب الحسن أهل العراق وقال : سخى نفسي عنكم ثلاث : قتل أبي وطعني وانتهاب بيتي ، ثم قال ألا وقد أصبحتم بين قبيلين قبيل بصفين يبكون له وقبيل بالنهروان يطلبون بثأره وأمّا الباقي فخاذل ، وأمّا الباكي فثائر وأنّ معاوية دعانا إلى أمر ليس فيه عزّ ولا نصفة ، فإن أردتم الموت رددناه عليه وحاكمناه إلى الله بظبا السيوف ، وإن أردتم الحياة قبلنا وأخذنا لكم الرضى . فناداه الناس من كل جانب البقية البقية فأمضى الصلح . ثم بايع لمعاوية لستة أشهر من بيعته .

ودخل معاوية الكوفة وبايعه الناس ، وكتب الحسن إلى قيس بن سعد يأمره بطاعة معاوية فقام قيس في أصحابه فقال نحن بين القتال مع غير إمام أو طاعة إمام ضلالة ، فقال له الناس : طاعة الإمام أولى ، وانصرفوا إلى معاوية فبايعوه وامتنع قيس وانصرف . فلما دخل معاوية الكوفة أشار عليه عمرو بن العاص أن يقيم الحسن للناس خطيبا ليبدو للناس عيَّه ، فلما قدم حمدا الله وقال : أيها الناس إنّ الله هداكم بأوّلنا وحقن دماءكم بآخرنا وإنّ لهذا الأمر مدّة والدنيا دول الله عزل وجل يقول لنبيه : وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين ، فقال له معاوية إجلس وعرف أنه خدع في رأيه . ثم ارتحل الحسن في أهل بيته وحشمهم إلى المدينة وخرج أهل الكوفة لوداعه باكين ، فلم يزل مقيما بالمدينة إلى أن هلك سنة تسع واربعين . وقال أبو الفرج الأصبهاني سنة احدى وخمسين وعلى فراشه بالمدينة ، وما ينقل من أنّ معاوية دس إليهم السمّ مع زوجه جعدة بنت الأشعث فهو من أحاديث الشيعة وحاشا لمعاوية من ذلك .

وأقام قيس بن سعد على امتناعه من البيعة وكان معاوية قد بعث عبدالله بن عامر في جيش إلى عبيدالله بن عبّاس لما كتب إليه في الأمان بنفسه ، فلقيه ليلا وأمّنه وسار معه إلى معاوية ، فقام بأمر العسكر بعده قيس بن سعد وتعاقدوا على قتال معاوية حتى يشترط لشيعة عليّ على دمائهم وأموالهم وما كانوا أصابوا في الفتنة ، وبلغ الخبر الى معاوية وأشار عليه عمرو في قتاله ، وقال معاوية : يقتل في ذلك أمثالهم من أهل الشام ولا خير فيه . ثم بعث إليه بصحيفة ختم في أسفلها وقال : اكتب في هذا ما شئت فهو لك ، فكتب قيس له ولشيعته الأمان على ما أصابوا من الدماء والأموال ،

(١) وفي النسخة الباريسية : اشترطت .

ولم يسأل مالا فأعطاه معاوية ذلك وبايعه قيس والشيعة الذين معه ، ثم جاء سعد بن أبي وقّاص فبايعه.واستقرّ الأمر لمعاوية واتفق الجماعة على بيعته وذلك في منتصف سنة احدى وأربعين وسمّي ذلك العام عام الجماعة من أجل ذلك . ثم خرج عليه الخوارج من كل جهة من بقية أهل النهروان وغيرهم فقاتلهم واستلحمهم كما يأتي في أخبارهم على ما اشترطناه في تأليفنا من إفراد الأخبار عن الدول وأهل النّحل دولة دولة وطائفة طائفة .

وهذا آخر الكلام في الخلافة الإسلامية وما كان فيها من الردّة والفتوحات والحروب ثم الاتفاق والجماعة أوردتها ملخصة عيونها ومجامعها من كتاب محمد بن جرير الطبريّ وهو تاريخه الكبير فإنه أوثق ما رأيناه في ذلك ، وأبعد من المطاعن عن الشبه في كبار الأمّة من خيارهم وعدولهم عن الصحابة رضي الله عنهم والتابعين ، فكثيرا ما يوجد في كلام المؤرخين أخبار فيها مطاعن وشبه في حقهم أكثرها من أهل الأهواء فلا ينبغي أن تسوّد بها الصحف[1] ، وأتبعتها بمفردات من غير كتاب الطبريّ بعد أن تحريت الصحيح جهد الطاقة وإذا ذكرت شيئا في الأغلب نسبته إلى قائله ، وقد كان ينبغي أن تلحق دولة معاوية وأخباره بدول الخلفاء وأخبارهم فهو تاليهم في الفضل والعدالة والصحبة ، ولا ينظر في ذلك إلى حديث الخلافة بعدي ثلاثون سنة فانه لم يصحّ ، والحق أنّ معاوية في عداد الخلفاء وإنّما أخّره المؤرخون في التأليف عنهم لأمرين : الأوّل أنّ الخلافة لعهده كانت مغالبة لأجل ما قدّمناه من العصبية التي حدثت لعصره ، وأمّا قبل ذلك كانت اختيارا واجتماعا فميّزوا بين الحالتين ، فكان معاوية أوّل خلفاء المغالبة والعصبيّة الذين يعبّر عنهم أهل الأهواء بالملوك ، ويشبّهون بعضهم ببعض وحاشى الله أن يُشبّه معاوية بأحد ممّن بعده ، فهو من الخلفاء الراشدين ومن كان تلوه في الدين والفضل من الخلفاء المروانية ممن تلاه في المرتبة كذلك وكذلك من بعدهم من خلفاء بني العباس ، ولا يقال إنّ الملك أدون رتبة من الخلافة فكيف يكون خليفة ملكا .

واعلم أنّ الملك الذي يخالف بل ينافي الخلافة هو الجبروتيّة المعبر عنها بالكسرويّة التي أنكرها عمر على معاوية حين رأى ظواهرها ، وأما الملك الذي هو الغلبة والقهر بالعصبية والشوكة فلا ينافي الخلافة ولا النبوّة فقد كان سليمان بن داود وأبوه صلوات

---

(١) وفي نسخة اخرى : العيون .

الله عليهما نبيّين وملكين وكانا على غاية الاستقامة في دنياهما وعلى طاعة ربّهما عزّ وجل . ومعاوية لم يطلب الملك ولا أبّهته للإستكثار من الدنيا ، وانما ساقه أمر العصبيّة بطبعها لمّا استولى المسلمون على الدول كلها وكان هو خليفتهم فدعاهم بما يدعو الملوك إليه قومهم عندما تستفحل العصبيّة وتدعو لطبيعة الملك . وكذلك شأن الخلفاء أهل الدين من بعده إذا دعتهم ضرورة الملك إلى استفحال أحكامه ودواعيه ، والقانون في ذلك عرض أفعالهم على الصحيح من الأخبار لا بالواهي ، فمن جرت أفعاله عليها فهو خليفة النبي صلى الله عليه وسلم في المسلمين ، ومن خرجت أفعاله عن ذلك فهو من ملوك الدنيا وإنما سميّ خليفة بالمجاز .

الأمر الثاني في ذكر معاوية مع خلفاء بني أمية دون الخلفاء الأربعة أنهم كانوا أهل نسب واحد وعظيمهم معاوية ، فجعل مع أخل نسبه ، والخلفاء الأوّلون مختلفو الأنساب فجعلوا في نمط واحد وألحق بهم عثمان وإن كان من أهل هذا النسب للحوقه بهم قريبا في الفضل والله يحشرنا في زمرتهم و يرحمنا بالاقتداء بهم .

تمت تكملة الجزء الثاني و يليه الجزء الثالث وأوّله

الخبر عن الدول الاسلامية ونبدأ منها بدولة بني أمية معقبة لخلفاء صدر الإسلام وذكر أوليتّهم وأخبار دولهم واحدة واحدة الى انقضائها

فهرس الموضوعات